

الهجرة النبوية

لفضيلة الاستاذ الأ كبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

لما هل أول المحرم كان العدد الأول من هذه المجلة قد نجح طبعه .
فلما خطب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
خطبته في مناسبة الهجرة النبوية وعيد حضرة صاحب الجلالة الملك ، رأينا
حقاً علينا أن ننشر هاتين الخطبتين تسجيلاً لهذا الكلام الحكيم في صفحات
هذه المجلة . وقد ملأنا ملزمة فقرناها ببقية الملازم راجين أن يضعها القارى
في الترتيب عند التجليد حيث أراد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلام على إمام الأنبياء ، وشيخ المرسلين ، وسيد المصلحين ، وقدوة المتقين .
سلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه .
سلام عليه يوم ولد ويوم بعث ، ويوم هاجر ويوم قبض الى الرفيق الأعلى ، ويوم
يبعث حياً .
وسلام على المؤمنين في جميع البلدان والأقطار أحييهم به من هذا للكان المعمور
في مستهل هذا العام الهجرى .
أمراً ساداً :

لم تكن العرب تؤرخ على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وكان التأريخ منهم يؤرخ
بسنة مجدية في ناحية من نواحي بلادهم وشدة أصابهم ، أو بالعامل كان يكون عليهم ،
أو بالأمر الحادث ينتشر خبره عندهم . يدل على ذلك اختلاف شعرائهم في تأريخاتهم ،
ولو كان لهم تاريخ على أمر معروف وأصل معمول عليه لم يختلف ذلك منهم . حكاه الطبرى
في تاريخه .

والمشهور أن صر بن الخطاب رضى الله عنه هو أول من جمع المسلمين للمشورة في أمر التاريخ، وأنهم عرضوا عليه أمورا: التاريخ لمولد الرسول الأكرم صلوات الله عليه، والتاريخ لمبعثه، والتاريخ لوفاة، والتاريخ لهجرته، فاختر من بينها التاريخ للهجرة وقال: إنها فرقت بين الحق والباطل.

اختار صر هذا ورضيه الصحابة. فمن الحق أن يحتفل المسلمون بهذا الحادث، وأن يذكروا مافيه من عبر وعظات، وما كان له من الأثر البعيد في حياة الاسلام والمسلمين. وإن هذا الحادث كبد كُربا كان من الصراع الخفيف الروح بين الحق والباطل، وبما كان من انتصار الحق انتصاراً لم يكن ليتم لولا قوة الايمان، وثبات العقيدة، والصبر على احتمال المكار، والاستهانة بالنفس والمال والأهل والوطن في سبيل الحق، وفي سبيل حرية الرأي والعزة الانسانية والكرامة.

لم يكن محمد صلوات الله عليه وسلامه مطالباً بتلك ولا طالباً جاهاً، ولم يكن محباً للمال يبنى توفير لذاته وشهوته. فقد كان زاهداً في الدنيا قائماً باليسير منها. ولم تكن شمائله وأخلاقه بحيث تنفر منه أهله ومعاشريه، بل كان أفضل قومه مروءة، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأكثرهم برأ، وأطهرهم قلباً ونفساً وذليلاً وردناً، وأعدلهم حكماً، وأدومهم شكراً، وأشدّهم حياءً وأناة، يستجيب لدعوة الضيف، وينصر الظلوم، ويميز حناناً وعطفاً على البائسين.

ومع هذه الشمائل فقد أخرج قومه من مدينته، فهاجر فراراً بدنه، وانحساراً للنفس في مهاجرة، وأحيط بالمداوة من كل جانب، وتربص له الشر في كل ثنية ومطلع. كن له الشنان في كل قلب، وضاق عليه وجه الفناء، وانحس كل وسيلة للبقاء مع الحرية، فلم يجد الوسيلة. ولم يكن لهذا كله من سبب إلا أنه يريد حماية الانسانية، ويريد لها عزبة، ويأبى التقليد والغرور، والاعتزاز بما عليه الآباء، إلا أن تكون ذليلة معذبة. ومن شأن التقليد والغرور الحرمان من نعمة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع. إنهما يطمسان نور العقل، ويردان الفطرة الى أسفل السافلين.

حرية الرأي، وحرية الجهر به، وحق الانسان في الضرب في الأرض، يلقى عقيدته وتعاليمه ويبدع الحجة والبرهان، وينشر مبادئ الفضيلة، ويدعم أصول الأخلاق، هذه الحرية أثمن شيء لدى الانسان، وأعز ما يبتغيه العاقل ويحافظ عليه. هي حياة النفس الانسانية، تعدل حياة الجسم أو ترجع عليها، والاعتداء عليها عدل الاعتداء على الحياة الجسمية. لذلك أجاز المعتلا، وأجاز الدين الاسلامي القتال لحمايتها، وعد الدفاع عنها دفاعا عن النفس، ودفاعا عن الشرف الانساني، وعن الكرامة التي اختص الله بها هذا النوع من بين سائر الأنواع.

كان من الطبيعي أن تتلصق الوسائل لردع أولئك السفهاء وشق طريق للحرية وللحق حتى يصلوا الى مأمن يقيهما هذه الشرور الجليلة، ويبعدهما عن نيران هذه البشرية البهيمية الخبيثة، ليؤدي الرسول الأمين رسالته عن ربه، وينجلي ليل الوثنية وعبادة المادة، وينبليج نور الوحي الإلهي يملأ القلوب طمأنينة، ويواسي الضعفاء، ويأخذ بيد البائسين، وينزل الجبابرة من مكانهم العلى الى مستوى العباد، ويصيح بالناس جميعهم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم». وقد سمي الله تعالى في كتابه الصبر على الذل والرضا بالضميم ظمعا للنفس، وأتب من يقيم عليها ويقعد عن الهجرة: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعُوا اللَّائِكَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيم كُنْتُمْ، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

فظم النفس هو ترك الجهر بالحق، وترك العمل به خوف الأذى، والصبر على هذا الذل، وعدم الهم بالخروج عنه والهجرة الى حيث نجد الانسانية حريتها وكرامتها. فالواجب الانساني والديني يحتم في هذه الحالة الهجرة، ويجعلها هجرة في سبيل الله يعطى أجرها: «ومن يهاجر في سبيل الله يحد في الأرض مرأسا كثيرا وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»

بدأت للرسول الأكرم صلوات الله عليه بارقة الأمل، وفتحت له سبل الهجرة، بعد أن صرف أن اليهود يثرب يقولون لأهلها: إن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه نبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. وبعد أن قال له نفر من الخزرج: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم، بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فمضى أن يجمعهم الله بك، وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك. وبعد أن زامت إليه الأخبار بأن هذا نفر وجد بعد رجوعه قلوبا متفتحة للإيمان، متاهة على دين، وأنه لم يبق دار من دورهم إلا فيه ذكر محمد.

بدأت له هذه البارقة فلم يتردد في الهجرة، ثم أشار على أصحابه بها، ونحين الوقت للمقدرها، فهاجر هو وصاحبه أبو بكر وكان الله نصيره ومؤيده: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في النار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الدين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم».

كانت الهجرة ونمت، ولا بسنها أحوال وأهوال، واستهدفت لأخطار وقي الله النبي صلى الله عليه وسلم شرها، تضمنتها بطون السير وكتب التاريخ. وليس لي من غرض في ذكر التاريخ إلا بمقدار ما تقتزع العبرة وتستفاد العظة.

وكان من نتائجها أن انساب الدين الاسلامي في أودية بلاد العرب وطلع على أنجادها، وأن أعز الله دينه بالانصار والمهاجرين ومن نفذ الاسلام الى قلوبهم واهتدت بصائرهم بنوره، فاتقم للانسانية، وضرب يافوخ الشرك، ودق عنقه، وعاد الى البلد الذي أخرجه منه أهله فاتحا وهاديا.

وبعد أن تم له الظفر طاف بالكعبة على راحلته ثم قال لقريش: «ما ترون أني فاعل؟» فقالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «فادعوا فأنتم الطلقاء».

قال هذا لمن لم يدخر وسعا في إيذائه، ولم تقم حيلة في سبيل إذلاله وقتنته عن دينه وعقيدته، ولمن فتنوا بعض أصحابه، ولمن قاتلوه في بدر وأحد، وحاصروه في غزوة الخندق،

ولمن ألبوا عليه العرب . فعل ذلك لأنه لم يكن يعمل لأرضاء نفسه ، ولم يقاتل لملك ، وإنما قاتل وهاجر وبجاهد لله وفي سبيل الله ، وقاتل للحق ، فلما رضى الحق رضى هو ، ولما أطا أن الحق أطا أنت نفسه . فهو ما ولد إلا للحق ، وما عاش إلا للحق . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

كان من نتائج الهجرة أن دخل الناس في دين الله أفواجا ، وعزّت كلمة الله ، وبدأ التشريع للمجتمع الانساني تنفجريا بانيه ، وتضى مصايجه ، وأن استبهرت المدينة الاسلامية ، وقامت دولها في الشرق والقرب أعز ما أعزّت كلمة الله وتوحدت نواياها ، وتذل وتزول ما استهانت بالحق وتفرقت .

أيها السادة :

لو أنى أبحث لنفسي أن أطيل عليكم في بيان مزايا الدين الاسلامي ، وما عاد على الانسانية من خير ببركة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لوجدت للقول مبدأنا فسيحا ، وللغرض مضطربا واسعا ، ولكنى أكتفى بكلمات :

إنه دين رفع مقام الانسانية الى أن جعل الانسان خليفة الله في الأرض ، وقدم الحرية حتى أباح القتال في سبيل حماية المفيدة ، وأعز منزلة العقل الانساني ثم طالبه بالتدبر والتفكر ، ورفع قدر العلم والعلماء ، وسوى بين الطبقات ، ولم يجعل بين الله وعبيده وسيطا ، وجعل شعاره في العبادة التذكير بأن الله أكبر من كل شيء ، وأنه المعبود وحده والمستعان وحده ، وجعل الصدقة والبر فرضا ، وأكد طلب الرحمة والرفق ، وحث على الاتحاد والتعاون والصبر ، وهوّن أمر الحياة الدنيا ، ورفع شأن الحياة الآخرة ، وجعلها المطلب الوحيد الذي يجب أن يتوجه اليه القصد ، وأبان أصول الأخلاق جميعها ، ووضع قواعد العدل وأمر به ، وقرر أن رحمة الله وسمت كل شيء ، وأنها تكتب للمتقين الذين يؤمنون بالآخرة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

من الحق أن نعتبر بحادث الهجرة، وأن تكون أعمال الرسول الأكرم هي القدوة،
والأ تلهبنا المدنية وزخرف الحياة عما في الأخلاق والدين من جمال، وأن تنبه الضمائر
إلى ما في السمو الروحي من لذة، وأن نعتقد أن الإباحية التي طغت على العالم وأشعلت
فيه نيران الشهوات مدسوسة للإنسانية مهينة لكرامتها.

ومن الحق أن يمتدح المسلمون أن عزتهم من قبل لم تقم إلا على الدين، وأن ذلهم
لم ينجي، إلا بعد الإعراض عنه.

«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله
شديد العقاب». «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين». «وعهد الله الذين آمنوا منهم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن
كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

وأسأل الله أن يوفق قادة الإسلام وحجته لإعلاء شأن دينه، وأن يديم حضرة
صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد نصيرا للملم والدين، ممتما بالصحة والسعادة والهناء.
والسلام عليكم ورحمة الله.

خطبة فضيلة الاستاذ الأكبر

الشيخ محمد مصطفى الراغب
في احتفال الازهر بعيد جلالة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيتها السادة :

يحتفل الازهر الليلة بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول
أطال الله بقاءه . وجلالته من الآثار الخالدة والأعمال الصالحة النافعة ما سيكون مقخرة
التاريخ ، وما سيزيده توالي الأيام وتعاقب الأجيال إجلالا وإكبارا . ولا أريد الليلة أن
أحدث عن جلالته من نواحيه المتعددة ، فهذا يطول أمره . ولكني أحدث منه من حيث
هو عالم ، ومن حيث إنه نصير للعلم والدين في الشرق ، محافظ على التقاليد الدينية والتقاليد
القومية الصالحة .

عرف كل من أسعدم الحظ بالتشرف بقاء جلالته أنه واسع الاطلاع على القديم
والحديث ، يتتبع باهتمام كل الحركات الفكرية في الشرق والغرب ، ويتتبع النهضة
الأدبية في البلدان المختلفة . وقد أسعده الله بذاكرة قوية لا يذت عنها شيء مما يرسم فيها ،
وأسعده بعقل جبار يحص به للسائل ، ويدرك ما فيها من دقائق ، وما يتبعها من آثار ،
ويرد الرائف ويبقى على النافع الصحيح ، وكثيرا ما أدهش العلماء المتخصصين في فروع
من العلم بأسئلة كان يلقيها عليهم في نواح مختلفة مما يتعدون فيه لم تكن خطرت على
بالهم من قبل . فهو عالم حقا ، له رأى ناضج دقيق ، وهذه الدقة خلق من أخلاقه في جميع
ما يتناوله من الشئون . وكثيرا ما رأيت مريدى التشرف بلفاقه حذرين خائفين مما
يلقى عليهم من أسئلة لم يعدوا أنفسهم لها .

من هذا تعلمون سبب حبه للعلم وحديه على العلماء ، وتعلمون سر هذه النهضة العلمية المباركة التي وجدت في عهده الزاهر ، وسر إنشاء هذه الدور الضخمة للعلم ، وهذه المعاهد التي ترونها منبثة في كل ناحية من نواحي القطر لفروع مختلفة من العلم .

كان البرنس أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية الأهلية يُعنى بأمرها كما يعنى كل عالم محب للعلم بدار للتعليم العالى ، ويعدها بالرائى النافع ، ويحوطها بالرعاية ، لتصل الى البقاء والاستقرار . فلما أصبح البرنس فؤاد جلالة الملك فؤاد الأول ، أنشأ الجامعة المصرية وأقام لها الصروح الشاحنة التي ترونها في الجانب الغربى للثيل ، تلقى دروس العبرة على الأهرام بما فيها من حياة وعلم . ولولا حب جلالة للعلم ومضاء عزمته لما رأينم تلك الصروح وهذه الحياة التي تدب في كلياتها المختلفة ، والتي ستصير إن شاء الله حياة قوية صالحة تنبأى بها البلاد ، وتزيد العلم ، وتدفع ثماره للناس في لغة العرب ، لغة القرآن الكريم . هذا أمر الجامعة .

أما المعاهد الدينية فقد عنى بإصلاحها منذ جلس على العرش ، وعنى بإسعادها . ورأى جلالة في إصلاح المعاهد والتعليم الدينى قائم على أساسين صحيحين : العقيدة الدينية ، والعلم .

فجلالة الملك فؤاد مؤمن قوى بالإيمان ، مخلص الإخلاص كله لمبادئ الدين السامية ، يعتقد أن الخير كله في المحافظة على الدين والعمل به ، وعالم خبير بنظريات الفلاسفة وآراء الناس في الخير والشر ، وبالمذاهب الاجتماعية التي وجدت في العالم ، وهذا يدفعه بلاشبهة الى محاولة التوفيق بين الدين والعلم ابتغاء ضم العلماء والفلاسفة الى الدين ، ليزيد بهم قوة ، ويمجد محتجاله ، مدافعا عنه بسلاح العلم والفلسفة ، ويعتمد عن شرور عداوة العلم والعلماء . وهذا هو الذى قصد من إصلاح التعليم الدينى ، ليجد علماء الدين يديم سلاح العلم ، وليتعمدوا عن وصمة الجهل بما لا يجوز جهله في هذا العصر .

وقد أدركت هذا حق الإدراك من أحاديث جلالاته الممتعة ، فصارت النظم

والقوانين للأزهر تسير هذا الرأي النافع ، ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء خدمة الدين وعلمه ، واللغة العربية وآدابها .

وسيكون عصر جلالة الملك فؤاد من ناحية إصلاح التعليم الدينى عصر ايباهى به الشرق وتغريبه مصر ، وسيميد هذا البلد المبارك ان شاء الله مجد الاسلام وغره بطومه وعلمائه . وقد وضعت الأسس الثابته الصالحة ، وبنى على العلماء القليل بما هو مفروض عليهم من الإخلاص والجهد ، وعلى طلبة العلم صرف أوقاتهم فى التحصيل والدرس والمذاكرة والفهم . وقد رأوا أنى ، ونحن نحتفل بملك عظيم ، لم أجد أفضل من التنا على العلم ، وسعة الاطلاع ، والدقة فيه .

وأتار جلالة الملك السادة على التعليم الدينى وعلى العلماء ظاهرة يحس بها كل واحد فى نفسه وفى بيته وفى أهله وولده . وهو الذى أنشأ لكم هذه الصروح لتكون دورا للعلم وماوى لطلابه . أمامكم معهد أسبوط ومعهد الرقايق ، وهذه المهارات الشاهقة بجوار الأزهر . وسترون إن شاء الله صرحا للمكتبة الأزهرية ، ودورا لكليات الأزهر والمعهد الأزهرى ، وقاعة للمحاضرات العامة . وسترون بعد تمام هذه المنشآت أن الأزهر اتسع مدلوله وتضخم معناه ، وبعد أن كان مسجدا أصبح حيا من أحياء القاهرة . وسترون أن ما بناه المعز لدين الله أصبح شيئا صغيرا بجوار ما بناه الناصر لدين الله جلالة الملك فؤاد الأول .

ولقد حافظ جلالة الملك على التقاليد الدينية والتقاليد القومية الصالحة . وأنا واثق أنهم الثقة من أنه لولا هذا الحرص الذى يبدو منه دائما على هذه التقاليد لتقطعت صلة الناس برسوم كثيرة ، ولطفت تقاليد العصر الجديد على مقومات حياتنا الاجتماعية أكثر مما طفت .

ويجب أن أنبه هذه الفرصة المباركة لأننى بانه أصبح حتما مفروضا أن توضع لهذا البلد النظم التى نحمى ولدانه وفتياناه ، ونحى هذا النشء الذى سيكون عمدة الجيل المقبل ،

وصربي الأجيال التي بعده ، فقد انحلت الأخلاق ، وكادت تنقطع الصلوات بالدين ، وكادت تزول الروح القومية . وإنى لأخشى أن يكون الآباء الذين لم يتقنهم العلم خيرا من الآباء الذين تعلموا وضلوا بالفلسفة .

ولا خير للأمة في حياة مترهلة هائثة وادعة لم يعود أفرادها خشونة العيش ، فهي حياة تجلب الذل ، وتوقع تحت الدين ، وتجري الإفلاس . ولا خير في حياة مادية لا يتذوق أهلها طعم الحياة الروحية . ونحن الآن في حياة مسرفة أشد الإسراف ، مادية ، بعيدة عن السمو الروحي .

فالإي مولانا جلالة الملك ، وإلى الحكومة ، وإلى الزعماء : أوجه رجائي طالباً أن يفكروا جدياً في الحياة الاجتماعية ، وأن توضع النظم الصالحة لخير هذا البلد الأمين ، إبقاء على دينه وقوميته .

وإن أمل في طلبة العلم والدين وطلبة الجامعة المصرية كبير . فهذا الشباب المثقف المستنير يجب أن ينبيه إلى الخير برفق ، وتقع مسئولية هذا على المرين والأساتذة .

ومتى تنبه هذا الشباب واعتقد الخير ، قام بالدعوة واضطلع بها ، واستطاع أن يحمل الحياة روحية ، وأن يملأها سعادة معنوية .

وإنى أيها السادة أرفع باسم العلم والعلماء ، وباسم الأزهر ، إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك خالص الولاء وأصدق التهنية بعيد ميلاده السعيد ، وأصدق الشكر على ما تفضل به من إصدار قانون الأزهر الجديد .

وهذه المناسبة أقدم شكر الأزهر لحضرة صاحب الدولة على ما هر باشا وأصحاب المعالي زملائه الوزراء ، على النظر في قانون الأزهر ، الذي كان الأزهريون يشعرون بشدة الحاجة إلى إصداره .

أسأل الله أن يديم للعلم وهذا البلد الطيب حياة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مشمولاً بعون الله ، مؤيداً بنصره ، ممتعاً بالعافية السابغة ، قرر المين بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد وإلى العهد المحبوب : والسلام عليكم ورحمة الله

مجلة الأهرام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها صحيفة الأهرام

في كل شهر عربي

الجزء الأول	المهرم سنة ١٣٥٥	المجلد السابع
-------------	-----------------	---------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد وزير الدين

الاشتراك	الإدارة
<p>داخل القطر المصري ٣٠</p> <p>خارج القطر المصري ٤٠</p> <p>للإهداء غير المدرسين وأئمة المساجد ولسادونين وعلمى المدارس الأول والطلاب ومصالح الحكومة وبجاس المدرسات ٢٠ داخل القطر</p> <p>للطلاب وأئمة المساجد ٣٠ خارج القطر</p>	<p>شارع محمد مظلوم بأشار رقم ١</p> <p>تليفون : ٨٤٣٣٢</p> <p>الرسائل تسكون باسم مدير المجلة</p>

تتم الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٩٣٥ - ١٩٣٦

فاتحة السنة السابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أسدى إلينا من معونة ، وأمدنا به من تأييد ، وأفاض علينا من فضل . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ، وعلى إخوانه الذين اصطفاهم الله لهداية خلفه ، وأيدم بروح من عنده ، وعلى آله وأتباعه الذين آمنوا به ونصروه ، وترسموا طريقته المثلى ، فأقاموا صرح هذا الدين على أرسنح القواعد وأقوى الدعائم ، وكانوا لمن جاء بعدهم أعلام رشاد ، ومنار هدى .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تستقبل بهذا العدد سنتها السابعة ، راجية أن تتابع خطواتها في لنماء والارتقاء ، فتبلغ الى ما يتناسب وخطورة الغرض الذى ترى اليه من خدمة الاسلام بالدلالة على أصالة أصوله ، وسمو مبادئه ، وصلاحيه تعالجه لكل زمان ومكان ، وعلى أنه يؤدى الى وجود إنسانى كريم ، ومدنية فاضلة خالصة من شوائب الرعونات النفسية ، والنفقات الشيطانية ، ماملة على مكافحة البدع التى تسربت الى بعض الضعفاء ، ومحقق كل ما يتنافى والدين الخالص .

هذه كلها من المهام التى يعنى بها الأزهر عناية خاصة ، ويعمل على إيصالها الى أسمى وأبعد ما يمكن أن تصل اليه بوساطة مجلته هذه .

لقد علم القراء أن هذه المجلة قد استبدلت اسم (مجلة الأزهر) باسم (مجلة نور الاسلام) منذ عدة أشهر ، وهو مهمل قد اعتبروه حسنا من كل وجه ، لأنه أبيض لعزوتها ، وأدل على صبغتها .

ومما يجدر بنا أن نبشر به أنصار هذا الدين أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأبرار الشيخ محمد مصطفى المراغي واضح أساس هذه المجلة، رأى أن ينشر إلى جانبها ملحق لها باللغة الانجليزية، عملاً على تعميق الفائدة لدينية من جهة، واستكمالاً لأدوات الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، فإنه يوجد شعوب إسلامية كثيرة لا يفهمون العربية، ويحذفون الانجليزية، وهؤلاء يطالبون الأحرار أن يمددوا في تلك اللغة بما يستعينون به على فهم حقائق الإسلام، ويشاركوا به الذين يعرفون العربية في الاستفادة من بحوث أعلامه.

وكما تنفع مجلة الأزهر الانجليزية عملة هؤلاء، يكون لها أثر كبير في وقف الذين يبحثون في الإسلام من الأجانب على طريقته الخسيسة، وعلى أدلته القاطعة، وفي نفي الشبه التي يثيرها أعداؤه عليه لزوم إليه أصولاً لا تمت إليه بصلة، وليست منه في شيء.

وقد كان جهدنا إلى اليوم أن نرد على تخرصات المتخربين باللغة العربية، وليس هنالك من يفهمها، فتسرى أقوالهم حرة مطلقة في العالم الغربي، وتروج فيه دون أن نجد مفنداً لها بلغة يفهمها الذين فروها، فترسخ في أذهانهم وتصبح عقائد لهم، يتناقلونها فيما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين. ولكن بوجود هذه المجلة يمكن دحض هذه الشبهات بلغة أوربية كثيرة الانتشار لا تقدم من يفهمها في كل بقعة من بقاع الأرض، فلا تلبث هذه الشبهات أن تضمحط وأن تزول، فيقف أولو العلم على حقيقة هذا الدين ومراميها المالية، ويكون من أثر ذلك أن يتناولها بعض الباحثين الإحصائيين ويكتبوا عنها كتابات نخدم في إعلاء كلمة الله هناك خدمة عظيمة الجليلة، بعيدة الأثر، جليلة المائدة.

ولا يفوتنا في هذا المعام أن نتوة بفضل حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول» ،
 فقد أغدق على لأزهر من فيض سخائه ما أفدره على تحقيق جميع رغباته السامية ،
 وجباه من رعايته بما وجهه هذه الوحبة المنتجة لأعظم الثمرات وأدومها . وسيتابع بفضل
 إمداده المتواصل الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه رقياً ونفعاً ، أبقاه الله ذخراً للعالم
 وأهله ، وأقر عينه بولى عهده المحبوب حضرة صاحب السمو الملكي «الأمير فاروق» ،
 أمير الصعيد بن الله وكرمه م
 مدير مجلة الأزهر
 محمد فريد وهدي

العام الهجرى الجديد

إن حلول كل عام هجرى جديد يشير فى أنفست ذكريات كريمة لحوادث عظام كان لها أكبر الآثار ، ليس فى العالم الاسلامى وحده ، ولكن فى العالم الانسانى كله .

كان الناس فيما سلف من الزمان يعتقدون أن الله يرسل رسلا منهم الى الناس يؤيدهم بالمعجزات ، ويعززهم بخوارق العادات . فلما بلغ العلم أشده افتتن الناس بتعليل حوادث التاريخ تعليلا حسيا ، منطبقا على قوانين الاجتماع ومنطلق الحوادث ، فإن قصر هذا الأسلوب فى تعليل بعض الحوادث ، أصغروا من شأنها وانهموا الأم فى تقديرها واستفادوا من غموض تاريخها فى التكذيب بها . كل ذلك ليرغموها على أن تقبل التلييلات التى يسوغها العلم المادى ولا يعول إلا عليها . وهذه النزعة من العلم كانت مبنية على أصل مقرر عنده ، وهو أن جميع ما فى الوجود تابع لنواميس محدودة لا تتخاف ، وأن هذه النواميس مليئة بتعليل كل ما يحدث فيه ، سواء أ كانت ظواهر مادية أم شئون اجتماعية .

وكان الباحثون لاسلاميون يسايرون هذه الطريقة العلمية ثقة منهم بأن الشئون الاسلامية لا تستصى على أى أسلوب من أساليب البحث ، وأن جلالها تظهر متلاثلة على أى وجه قلبت عليه هند الدرس .

ولكن العلم فى العهد الأخير قد شك فى السلطان المطلق للنواميس ، ولحق من وراثتها قدرة علوية تصرفها فيما تريد . قال الأستاذ ولیم کروكس الانجليزى فى خطبة له فى مجمع العلوم البريطانى وكان رئيسا له :

« أكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأس ما لهم العلمى لأنهم يرون أنه وهمى محض »

« إننا متى امتحنا من قرب بعض النتائج المادية للظواهر الطبيعية ندرك إلى أى حد هذه النتائج أو النواميس كما نسميها محصورة في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم »

« إننا نستطيع أن نكتشف جميع النواميس الطبيعية للحركة ، ولكننا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه إلى حل أهم مسألة وهي : أى ضرب من ضروب الإرادة والعكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات المادية مجيرا إياها على اتباع طريق رسمه لها من قبل ؟ وما هي العلة العاملة خلف هذه الظواهر ؟ وأى ازدواج من الإرادة والعكر يقود الحركة الآلية الصرفة للمادة خارجا عن نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها على تكوين هذا العالم المادي الذي نعيش فيه ؟ »

ثم قال :

« اسمحوا لي أن أستنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التي يحتويها الوجود والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » (راجع مجموعة خطب الأستاذ ولیم كروكس) .

وقال الفيلسوف (أدوار لوردوا) Edouard Leroy كما نقله عنه الرياضى الكبير (هنرى بواسكاربه) Henri Poincaré في كتابه قيمة العلم : La valeur de la Science « العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره الممرد من الثبوت والاستقرار ، فالقواعد الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وهذه حالته أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

من هنا يرى القارئ أن العلم قد بدأ يتحول عن المنهج المادي لذي اتبعه في مدى قرون ثلاثة ، وأخذ يلعب وراء الحوادث قدرة عالية ترسم لكل كائن الحد الذي ينتهي إليه ، وتدفع العوامل لتحقيق مرادها منه .

وعليه فقد جاء العهد الذي يستطيع فيه الباحث في الأديان عامة وفي الاسلام خاصة أن يشير الى التواحي الخارقة للعادة منها ، أى التى لا تكفى التواحي المعروفة أن تأتى لتعليل شاج عليه المصدر عنها . ولما كنا اليوم بسبيل الكلام عن الهجرة الهجرية المناسبة لحول السنة الجديدة ، فلما أن نستغل هذا الموقف العلمى لتتور عناية الله التى حفت بالنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الهجرة :

مما ثبت ثبوتنا فاطما أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث يدعو قريشا الى الاسلام سرا وعلنا نحو ثلاث عشرة سنة ، فلم يرفعوا بدعوته رأسا إلا عددا قليلا منهم اضطروا أن يهاجروا الى الحبشة مرتين من شدة ما لحقهم من اضطهاد للشركين لهم ، وقد قاطع هؤلاء المشركون من بقى منهم فى مكة سنين حتى اضطروهم لسكنى أحد الشعاب الجبلية يعانون فيه عنث الحصار والمقاطعة . فلما رأى المشركون أن هذا الإرهاق لم يخدم نفعا ، عادوا الى معاملتهم فى كثير من المشارة والمعاكسة .

فلما ينس النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أخذ يمرض نفسه على القبائل إبان الموسم داعيا إياها الى الاسلام ، وراغب إليها أن تقتدب لحياة الدعوة ، فكان منها من يرد به بالمعروف ومنها من يهزأ به . وذهب يدعو أهل الطائف فرجوه بالحجارة ! فاتفق أن قابل بضعة رجال من أهل يثرب (المدينة) ففأفهم بما فاتح به غيرهم ، فصادفت دعوته هوى من قلوبهم ، فأمنوا به ووعدوه بأن ينجحوا بأمره قومهم ، وضرروا له موعدا الموسم المقبل .

فلما كان ذلك الموسم أقبل من أهل يثرب اثنا عشر رجلا ، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة وأسلموا . وكان منهم عشرة من بنى الخزرج وثنان من بنى الأوس ، وهما القبيلتان اللتان يتألف منهما أهل يثرب .

فلما رجع هذا الوفد أخذ الأوسيان اللذان أسلما يدعو ان الناس الى الاسلام ، فقال سعد بن معاذ سيد قبيلتهما لابن عمه أسيد بن خضير : ألا تذهب الى هذين الرجلين

اللذين أتيا ينفهان ضغفانا فتزجرهما : فقام لهما أسيد وقال لهما : ما جاء بكما تنفهان ضغفانا ؟ اعتزلا إن كان لكما بنفسيكما حاجة .

فقال له أحدهما واسمه مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره .

فقرأ عليه مصعب ما تيسر من القرآن ، فأسلم . ورجع إلى سعد فقال له : والله ما رأيت بالرجلين بأسا .

فغضب سعد وذعب بنفسه ، ففعل معه مصعب مثل ما فعله مع أسيد ، وانتهى الأمر بإسلامه . فرجع لرجال من بني عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم : ما تعدونني فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا . قال : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا .

فلم يبق بيت فيهم إلا أجابه ، وانتشر أمر الاسلام في المدينة ، فلم يبق لهم كلام في غيره .

ولما كان العام الذي بعده وفد على مكة ثلاثة وسبعون رجلا وأمر أنان ليقابلوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فتواعدوا أن يتلاقوا في بعض الشعاب بعد مضي الثلث الأول من الليل لكي لا تشعر بهم قريش ، فلما جاء الموعد تسللوا وحدا إلى مكان الاجتماع . فلما تم عدد تم افتتاح العباس الكلام فقال لهم : إن محمدا في منعة من عشيرته لم يمكنوا منه أحدا مع ما رأوه في ذلك من الشدة ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعونهم إليه وما نسوه ممن خالفه ، فأثم وما تحملتم من ذلك ، وإلا فدعوه بين عشيرته فإنه لمكان عظيم .

فقال كبير الوفد البراء بن معرور : والله لو كان لنا في أنفسنا غير ما نتلق به لقلناه ، ولكننا نريد الوفاء والصدق .

وبعد هذا قال الوفد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فقال : « شترط لربى أن تمبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم .
فسألوه : وماذا لنا على ذلك ؟ قال : الجنة . قالوا قبلنا ، وأخذوا يبأيعونهم حتى انتهوا .
وتسمى هذه بيعة العقبة الثانية .

ثم تقدم الوفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم راجياً منه أن يهاجر إليهم ، فقبل دعوتهم داعياً لهم بخير . ثم تخير منهم اثني عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فلما بلغ قريشاً أن الإسلام انتشر في يثرب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد أهلها على أن يحموا دعوته بما يملكون من قوة ، وأنه أزمع أن يهاجر إليهم ، هالهم هذا الأمر ، فاجتمعوا في دار نذوتهم وتبادلوا الآراء فيما يعملونه لا تفاء هذا انخطر التوقع ، فاتفقوا على قتله بطريقة مبتكرة ، وهي أن ينتدب شاب من كل عشيرة منهم فيحاصروه في داره ثم يقتحموها عليه ويضربه كل منهم ضربة بسيفه ، فينفرق دمه في جميع عشارق فريش ، فيمذر الثأر من قاتله ، فترضى عشيرته بالدية ، وبذلك ينهى أمره ولا تقوم لمن اتبعه قائمة .

فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما أضمره علياً أن ينام على فراشه ، واستعصم هو أبابكر وخرجا من مكة سرا في الليل الدامس ، وجداً في السبر حتى بلغا غار ثور فأويا إليه .

أما شبان فريش الذين كلفوا بقتله ليلاً فقد اقتحموا داره لتنفيذ ما نذبوا له ، فلم يجدوا فيها إلا علياً ، فأوجموا ضرباً ، وعلمت فريش أنه خرج ليلاً مع صاحبه فأرسلت خلفهما شزيمة لتتقبهما ومعهم القافة ، فإذالوا يتقبعون أثرهما حتى انتهوا إلى غار ثور . هنالك قرر القافة أنهما أويا إلى الغار لاقطاع الأثر فيما بعده ، ولم يبق إلا اقتحامه عليهما لإخراجهما منه . فيقال إن المشركين استعبدوا أن يكونوا لجأً إليه لما كان عليه من

الظلمة والوحشة وثواء المروم فيه ، ولم يحسر أحد منهم أن يردده ليتحققوا من خلوهم من غريمهم ، فتركوه ومادوا أهرابهم .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليالٍ ، وكان بييت معهما فيه ولد لأبي بكر اسمه عبد الله ، يبكر فيحضر أندية قريش تهازأ ثم يوافيهما ليلاً فيخبرهما بما تقوله قريش وما تعزمه ضدهما ، ويحمل إليهما ما يتبلغان به من الطعام والماء .

فلما أمنا الطلب من قريش جاءهما الدليل الذي كانا قد أعدناه من قبل لهذه الناية ومعه راحلتان ، فامتطياهما وجداً في السير قاصدين للمدينة ، وما زالا جادين حتى وصلا إليها سالمين . وهنالك أصبح للإسلام دولة ، وأضحى له جيش وصوله ، والقراء يعرفون ما جدّ بعد ذلك من الأحداث .

هنا نرى أن لا بد لنا من وقفة لنلمح آثار الآيات الإلهية من خلال هذه الحوادث . فلمنه إذا كان معنى الآيات أنها الحوادث التي تقع ولا يمكن تعليلها بالتوافيق المعروفة ، ولا تنطبق على المنطق الذي تواضع عليه البشر ، فإن هذا المعنى يصح على ما نحن بصدد الان أن مما يتعلق بالهجرة النبوية .

ذلك أنه ليس ينطبق على أي ناموس معروف ، بل يشذ عن كل قاعدة منطقية ، ويخالف كل ما عرف من التقاليد العربية ، أن ترفض جميع القبائل الدخول في الإسلام والاضطلاع بأعباء حماية الدعوة إليه ، وتقبله فيميلتان لم تكونا أنبه قبائل العرب ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوفرها مالا ، على ما تقتضيه هذه الحماية من حرب وكفاح ، وخسائر فادحة في الأموال والأرواح .

وما كان يعقل قبولها له لو كان النبي صلى الله عليه وسلم متأها بالسيادة على بلاد العرب ، أو بالآغارة على لأم المهاورة والاستيلاء على مآلئها من أموال ونعم ، لأن تلك السيادة كانت مما لا يعقل في بلاد العرب ، إذ لم تكن لها سابقة هناك يقاس عليها ، ولا تقسامها إلى قبائل رحالة دائمة الحركة ، إن أصابها غفافة في ناحية رحلت إلى ناحية أخرى ، غير آسية على زواجة تركها أو مساكن تهجرها ، ألا ترى أنه لما تهدم سد

مأرب وأصاب اليمن سيل العرم ، هاجرت قبائلها الى كل وجه ، حتى وصل بعضها الى شمال بلاد العرب ، ومنها بنو غسان التي نزلت بمحدود سورية ، ووقعت تحت سلطان الرومانيين ونزل غيرهم في بقاع أخرى ؟

أما النخبة بالإغارة على الأمم المجاورة لبلاد العرب فكان مما لا يعقل أيضا ، لأن القبائل العربية التي كانت أرفع مكانا وأعز نفرا قد وقعت تحت أسر الدول التي جورتها شمالا وشرقا وجنوبا ، فكيف كان يطمع بنو الأوس والخزرج أن يتخطوا جميع هذه الحوائل القبلية ويفزوا الفرس والرومانيين ؟

ولم هذه الافتراضات كلها وقد نص في التعاقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأوس والخزرج على أن لهم الجنة ؟

هنا لا بد لنا من وقفة ثانية نتساءل فيها هل مما ينطبق على مجرى الحوادث العادية أن نرضى قبيلتان عربيتان لا عهد لهما بدين سماوي ولا كتاب ، يمثل هذا الجزاء النبوي على تجردهما لشردن عودى صاحبه من قومه بسببه الى حد أنه أصبح لا يطبق البقاء بين ظهرانيهم ؟

لا أنكر أن اللجنة تصلح أن تكون جز ، لأعظم ضروب التضحية ، ولكن عند من ؟ عند الذين يكونون قد وصلوا من الإيمان الى أقصى مداه ، لا عند قوم لم يقابلوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث مرات ، ولم يقرأ عليهم من القرآن إلا آيات ؟

حقا إن هذه لآية ، ومن أكبر الآيات شأنًا ، وإنها لتساوي في نظر المفكر تفجير الماء من الصغور ، وإحياء الموتى من القبور .

لننظر الآن في مسألة النار :

لا مشاحة في أن الفرشين كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، اتقاء لخطر يهددهم من اجتماع الجوع حوله خارج مكة ، ثم العود اليها بهم فأنج أو مما كسا . فلما تبين لهم أنه خرج مهاجرا مع صاحبه تمقبوها ومعهم الثقافة حتى انتهوا الى

غار ثور، فتوفرت الأدلة على نزولها فيه، فهل يعقل وقد انتهى أثرهم إليه أن يتركوه دون أن ينزلوا إليه؟

يقال إنهم تهيّبوا الدخول فيه. كيف يعقل ذلك ولم يهيبه الطفل عبد الله بن أبي بكر، وكان يتردد عليه كل مساء ليبيت فيه؟

هب أن قريشا على كثرة شجاعتها لم يجرؤ واحد منهم على اقتحامه، فهل يعقل وقد تحققت أن الأثر انتهى إليه أن لا ندع عنده جماعة لمحاصرته؟

وهل كانت تمجز أن تركم على فوهته الأحجار فتسده، أو تلقى فيه قشا وحطبا وتلهب فيه النار لإجبار من فيه على التسليم إليهم؟

وإن كان لا هذا ولا ذلك، فهل كانت تمجز أن ترسل خلفهما في طريق المدينة رجالا يصلون الليل بالثهار ليقطعا الطريق عليهما؟

اللهم إن هذه آية ثانية لا نقل عن سابقها شأنا.

فإذا كان الأدب الذي حصله العلم لأهله في هذا العصر يسمح بأن ينظر الإنسان في الحوادث على مدى أوسع مما كان ينظر فيه إليها، فإن النظر إلى هذين الأمرين خارجا عن المجال الضيق للتأويلات المعروفة بؤدبنا إلى تنور آيات من العناية الإلهية بخاتم رسله تزيد المؤمنين إيمانا، وتثير بصائر الذين لا يرالون يرون في البهوات أمورا حادية، أو كما يقولون ظواهر اجتماعية.

هذا ومن يعنى بدراسة كل ما أحاط بالنبى صلى الله عليه وسلم من شئون، وما نأدى إليه من فليح، في يثبته لم تعجب رجلا اجتماعيا قبله، بل رجلا عالميا، على هذا القسطاس من زنة الحوادث، وهذا الأسلوب من تقدير الأمور، يورأى العين أن الحق سبحانه وتعالى قد أيد خاتم رسله من الآيات الكبر، ليس بما لم ير له مثيل في تاريخ البشرية بحسب، ولكن بما يجعل العلم نفسه أداة في الكشف عن أسرار، والتنويه بحقائق آثاره: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد».

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٩ —

لم تصدق نظرية الفيلسوف الفرنسي الكبير جاك روسو في المقعد الاجتماعي على أمة غير الأمة الإسلامية^(١) فهي الأمة الوحيدة التي قامت على مبدأ التعاقد بين آحادها على احترام أصول إلهية مقررّة ، والعمل بدستور سهاوي مدوّن . فكانت هذه الأمة لهذه الملة بتجوة عن كل ما تلتاها به الجماعات في أول تكوّناتها : من رعونات النفوس ، وجمعات الفرائز ، وسطوات الأهواء التي تصحب دائماً دور النفوس للجماعات البشرية ، فنشأت فاضلة ، وشبت فاضلة ، وأكملت فاضلة ، ولم يزل روحها فاضلة فاضلة ، على الرغم مما لحق بالجماعات الممثلة لها من الضعف بسبب انحرافهم عن صراطها لعمل مازنة ليس هذا محلّ بينها .

نعم إن نظرية روسو لم تصدق إلا على الجماعة الإسلامية ، ويبان ذلك أن الجماعات العربية على عهد البعثة المحمدية كانت مستقرة على الحالة القبلية القائمة لديهم منذ أول نشوئهم في جزيرة العرب ؛ وكانت هذه القبائل تتعاضد وتتناحر ، ثم تتصالح وتتصافى على نحو ما كانت عليه الأمم المتخالفة أجناساً ولغات وديانات . وقد شوهد أن عدة قبائل كانت تمقد يدنها حنفاً ضد مجموعة أخرى من القبائل ،

(١) كان من رأى الفيلسوف جان جاك روسو أن الجماعات البشرية لم تكون إلا هطب تغام حدث بين آحادها على التآلف بينهم والحياة حياة مشتركة ، تحت قيادة حكومة ، محروبة بها من السكافة . وقد واجت هذه النظرية في القرن الثامن عشر ، ولكنها لم تلت أن سقطت لم يوت من أن الجماعات تتألف محفوزة بموامل قاهرة من البيئة وضرورات الحياة ، ويكون تألفها في أولها سادس ثم يترق يترق مدارك آحادها ، وانضماء سلامتها السامة لزيادة الترابط ، واستتد التماون بين جميع عناصرها .

ولكن مع حفظ كل منها لاستقلاله لذاتي ، وتغاليده الموروثة ، كما كان يحصل بين الأمم المختلفة لنفع عدو مشترك ، أو للإغارة على جماعات مجاورة ، يتطلب التغلب عليها قوى متضافرة . ثم قد تنقلب الحال فيصبح أعضاء الحلف الواحد ، أعضاء في حلف آخر ضد حلفائهم الأقدمين ، كما كان يحصل ولا يزال يحصل بين الأمم المتباينة الأصول والمصالح .

وكانت وحدة البيئة لا تأثير لها في إيجاد الوحدة الاجتماعية بينهم ومن يطلع على تاريخ حروب العرب يجد من ذلك عشرات من الأمثلة ، من أشهرها ما كان بين عبس وذبيان وبين الأوس والخزرج ، وكانت الحروب ندوم بينهم عشرات من السنين . وكانت الحالة القبلية متأصلة فيهم الى حد أن خصوبة اليمن وخفض العيش فيها لم يلطف من هذه الحالة فيهم ، فإنه لما تهدم سد مأرب باليمن واجتاح أرضها ، واضطر كثير من أهلها أن يهاجروا منها ، فملوا ذلك وهم قبائل متميزة كالأزد وقضاعة وجرم والأوس والخزرج وغسان وتثوخ الخ .

ومن أقوى الأدلة على أن حالتهم الاجتماعية لم تكن ماسة الى الوحدة ، أنه لم يظهر فيهم في كل أدوار تاريخهم الطويل داع يهيب بهم اليها ، كما يكون ذلك بين بدى كل انقلاب يطرأ على نبي الأمم .

دام الحال على هذا السمت حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الحق يدعو الأمم عامة لا العرب خاصة للدخول فيه ، فكان هو ومن أسرع للإيمان بما جاء به أول نواة لمجتمع يتألف على غير مثال سابق ، مجتمع يقرم على الأصول الانسانية الخالدة ، والمبادئ الخلقية القيمة ، والسمو الروحاني المطلق ، غير معتد بالجنسيات والقوميات ، ولا باختلاف البيئات واللغات ، راميا الى توحيد الانسانية جمعاء في دائرة الحق المحض ، والكمال البعث ، والمدينة الفاضلة .

هذا أول حادث من نوعه في تاريخ البشر، فلم تطف بخيال فيلسوف أو مصاح في أي عهد من العهود أن يدعو العالم كافة للدخول في وحدة عامة، وبخاصة إن لم يكن فومه قد وصلوا من سلم الاجتماع إلى درجة أمة، حتى يعقل أن يحدث واحد من آحادها نفسه أن يجمع البشرية جملة، وكان بحسبه أن يوحد الأمة التي هو فرد منها، فيخلد اسمه في سجل أكبر المصلحين في العالم كله.

فهذا النزوع من محمد صلى الله عليه وسلم إلى الوحدة الانسانية العامة، وهو في عرق بيثة في الفرقة، دليل قاطع على أنه كان يردد صوت الوحي السماوي، ويستمد من معدن الحكمة الإلهية.

هذه الدعوة مجردة كان مما لا يستحيل تعليلها لولا أنها اصطعبت بتعاليم ذات صبغة عالمية لم ندر بخلا أقطاب الفلاسفة والمصلحين، ولم يتسن لأشهر المباقرة أن يتخيلوها تخيلاً، بله أن باتوا بها بالبيان التفصيلي الذي جاءت به على لسان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وقد سردناها تباعاً في بحث مهمة الدين الاسلامي في هذه المجلة.

إن الباحث في جوهر الاسلام يشمر أنه حيال خضم متعجّر متلاطم الأمواج من وقف على ساحله تهيبه، وإن خوض فيه لعلم وحكمة لم يصل إلى ساحه، فيعجز في أي ضروب المعارف يلتقط، وإن جمع طائفة منها حار في ترتيبها، لا لأنها تستعصى على الترتيب، ولكن لبعد أغراضها، ولطف مسالكها. فذلك كان لابد للمعني بها أن يقسم الكلام فيها إلى بحوث متعددة بقدر ما يرى فيها من الوجوه الممكنة.

إن ما نشرناه في هذه المجلة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامي في العالم) وإن كان قد استوعب كثيراً من أصول الاسلام، إلا أنه لا يمكن أن يصور جميع وجوه تلك التعاليم، ويستوعب كل مواطن تأثيرها، في العقول والقلوب، ويكشف عن مكنون أسرارها، فلا مناص لنا من اللجأ إلى ما فردناه من وجوب أفراد بحث خاص لكل وجه من وجوه تلك التعاليم القيمة. وها نحن نشرع في ذلك جاهلين هذنا في هذه

المرّة دراسة عناصر الروح الاسلاميه ومدى تأثيرها في النفس البشرية، في أدوار الانقلابات الاجتماعيه، فنقول .

نحن من قيام المجتمع الاسلامي وظهوره على سائر المجتمعات التي كانت معاصرة له حيال حادث جليل لم يجر على السنن المروفة للعلم، لافي أدوار وجوده، ولا في عناصر كيانه، فهو بالأمر المخارقة للعادات أشبه . ونحن نيسط المسألة أولاً ثم نشرع في معالجة تفهمها وحلها، نوسلا الى دراسة ما نحن بصدد من عناصر الروح الاسلاميه :

كانت الحالة الاجتماعيه في جزيرة العرب في المهد الذي نُمث النبي صلى الله عليه وسلم فيه مستقرة على ما كانت عليه منذ قرون كثيرة . فأطرافها من الشمال والغرب والجنوب كانت مملوكة للرومانيين والفرس، والجزء الباق منها، وهو المحصور بين هذه الحدود الثلاثة والبحر الأحمر، كان موزعين مئات من القبائل على حالة من الحياة البدوية مزّوا عليها من لدن نشوتهم فيها . ولم يكن في مجموعة من هذه المجموعات البشرية قلق يتم عن شعور يوجب استبدال نظام اجتماعي جديد بهذا النظام الساذج المتيق . يدل على ذلك دلالة قاطمة عدم قيام دعوة صريحة الى إصلاح ديني أو اجتماعي من أي ضرب كان، ولا الى بث مبدأ سياسي يقصد به إلغاء نير السيادة الأجنبية عن الحدود الثلاثة لجزيرة العرب . فبينما كان السكون تاماً في ذلك الركن من العالم إذا بصيحة تنبعت من صميمه : « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فلم يأت به هذه الصيحة خارج البلاد العربية أحد لعلهم أن هذه البقعة من الأرض ليست مشار خطر على أية دولة من دول العالم، وبخاصة على الدولتين اللتين كانتا قد توزعتا ممالكها كلها وانفردتا بالسلطان فيه . وزادها أطمئناناً أن هذه الصيحة بعيدة عن البقاع التي دانت لحكمها من جزيرة العرب .

ومن الذى كان يمتل أن تتخطى هذه الصيغة مئات القبائل التى تحول بين مكة وتلك البقاع وتنتشر منها اليهم، وتصبح مشار خطر على كيانها ؟
قابل الناس هذه الصيغة بالامراض ، وقابل الملوك الكتب التى وصلتهم من صاحبها بالإهمال ؛ ومنهم من رأى فى دعوته للإيمان غضا من كرامته فزق الكتاب كل عزق وذراه فى الهواء .

فما مضت بعد ذلك سنون تعد على الأصابع حتى شهد الناس أمرا لم يكن يحظر بيال ، ولا يطوف بخيال ، رأوا العرب ينصلتون من بلادهم شمالا وشرقا ، ومع على حالة من الوحدة والترابط ونكران الذات لم تؤثر عن غيرهم ، منتدين لاجداث أكبر الانقلابات المالية التى لم تسجل فى تاريخ البشرية من لندن وجودها الى ذلك العهد ، انتزعوا من الرومانيين سوريه ومصر وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وضربوا الجزية على عاصمة عوامهم القسطنطينية ، وقضوا على دولة الفرس ، وأوغلوا شرقا حتى وصلوا الى أسوار الصين ، ولم يدعوها حتى فرضوا عليها إتاة سنوية ، ونزلوا الى شبه جزيرة ايريا فى غرب أوربا فامتلكوا الأندلس بعد أن دان لهم شمال القارة الأفريقية ، وما عادوا من جولاتهم هذه حتى كان لهم ملك لا تغرب عنه الشمس ، ولم ينبغ لامة كانت قبلهم أو جاءت بعدهم الى يومنا هذا .

كل هذا كان فى نحو خمسين سنة ، وهى طفرة لم تشاهد فى أية حركة اجتماعية ولا لأشهر الأمم الفاتحة للأرض ، وهى الامة الرومانية ، فانها لم تبلى غابة توسعها إلا فى ثمانمائة سنة ، ولم تصل الى مثل ما وصل اليه المسلمون فى تلك المدة .

والمعجب العاجب فى هذا الأمر أن المسلمين استطاعوا بفضل العدل الذى عاملوا به مقيورهم ، والمعطف الذى أنظروه نحوهم ، والنظام الذى أداروا به ممتلكاتهم ، أن يحفظوا وحدة هذه الأمبراطورية التى لم تشهد لأرض مثالا ، فلم تشق عصا الطاعة

عليهم ، ولم تحاول التمدت من سلطانهم ، فكانت العاريفة المثلى التى عاملوا بها الأمم التى خضعت لهم أحفظ لها من جنودهم ومعداتهم .

وم يجب لفت الأنظار اليه أن هذه الجماعة الاسلاميه لم يطرها ما نالته من تبسط فى الأرض ، فأخذت تستغل هذه الأقطار لتميش ماله عليها فى ترف وخفض وبذخ ، كما فعلت جميع الأمم الفاتحة قبلهم ، ولكنها شرعت تنظم وجودها ، وتضع أحكم القوانين لإراحة مقهوريهها ، وأخذ آحادها يبحثون عن حقائق العلوم من أفزر مناهلها ، وعن أسرار الصناعات والفنون من أخفى مظانها ، فلم يحض عليهم قرنان حتى جمعوا بين أطرافها ، ومزجوا بين عناصرها ، فأصبحوا تحفظه كنوزها ، وكشفة رموزها ، وصاروا للعالم كله أنمة فيها ، فنشروها حيث وطئت أقدامهم ، فكانت بسبيهم نهضة عالميه تولدت منها العلوم والفنون التى ابتنى عليها صرح الدينه الحاضرة .

هذه كلها حقائق معترف بها لا يختلف فيها مؤرخان فى الأرض ، حتى من الذين يتوردكون على الاسلام ومحاولون الغض منه . فنحن والحالة هذه إزاء حادث عالمي خطير قامت به أمة تألفت على غير السنن المعروفة فى قيام اجماعات البشرية . وكما كان لكل مجتمع روح قومه وتهيمن عليه ، وتعد بهما محتاج اليه من المواسل والبواعث ، ونهيمه للدخول فى الأطوار التى يقتضيها وجوده كسكان حتى نام ، كان لا بد للباحث فى حقيقه الاسلام من أن يحلل الروح الاسلاميه التى ألفت عناصر هذا المجتمع وتولته حتى قام بما قدر له أن يقوم به من الحوادث العالميه .

هذا هو موضوع بحثنا الجديد فى هذه اجلة سنقوم ، إن شاء الله ، بنشره فى مقالات متتامة ، كما نشرنا البحث الذى تقدمه ، مستمدين من الله التوفيق ، وهو يتولى المؤمنين

محمد فريد وجدي

التفسير

سورة الرعد

- ١٠ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا يَجِبُ) .

سبق لنا القول بأنه بعد أن سبقت تلك الآيات البينة تجلو تلك الحجج البالغة والبراهين الدامنة ، دالة على قدرة الحق جل جلاله ، وجالية لليبان الصدق الذي لا يمرض له شك ولا ريب ، ثم ضرب له للثل للوضح للفرق بين الحق والباطل وتجلي الأمر تماماً ، ولم يبق إلا أن توجد عين تبصر وأذن تسمع وقلب يعي ، جاء قوله تعالى : « أفن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق » كمن هو أعمى ، فكان بيننا تمام البيان أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وكذلك سبق لنا القول بأن ما تلاه الله علينا من هاتين المجموعتين التاليتين من الآيات السبعة تفصيل وتصريح وتوضيح لما تضمنته الحكم السابق من عدم الاستواء . فالمجموعة الأولى موضوعة لحال من علم أن ما أنزل إليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق ، وهو قوله تعالى : « الذين يفرقون بين الله ولا ينقضون لميثاق » الى قوله : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . والمجموعة الثانية موضوعة لحال من هو أعمى لم يبصر الحق ، وقد وضع وضوح الشمس ، وهو هذه الآيات ، أى قوله تعالى : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » الخ ، فتكون هذه المجموعة من الآيات مقابلة للمجموعة السابقة ، وهما معا موضحتان لعظم الفرق بين من يعلم أن ما أنزل إليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق ، وبين من هو أعمى .

والنقض فى البناء والحبل والنزل والمهد ونحوها : إبطال ما هو محكم منها . وعهد الله ما أقرمه عباده وكلفهم إياه ووصام به ، فمن المفسرين من حمله على عموم التكليف ، ومنهم من أرجعه الى ما أشير إليه فى قوله تعالى : « ألسنتُ بربكم » . وبين اللعينين تقارب ، فقد أشير فى « ألسنتُ بربكم » الى ما ركب فى نفس الانسان من آيات دالة على عبوديته ووجوب خضوعه لربه ، إذ كان لا وجود له من نفسه ، ولا يملك لها نفعا ولا ضرا ، وهو فى كل حالة فى شدة الحاجة الى من يمنعه الوجود ، ويعمه بالنعم التى لا يفقه من أين جاءت ولا كيف ركبت إلا بما وهبه موجد الأسمى . فهو متقلب فى نعمه ، خاضع لحكمه ، مقهور بقدرته . فادلة ربوبية الله له متجلية فى كل شأن من شئونه ، وقد وهبه قوة الإدراك التى متى استعملها ووجه نظره معها الى تعرف حاله ، نطق واعترف بربوبيته . فإذا سئل : ألسنتُ بربكم ، لم يسعه إلا أن يجيب ببلى . فإذا سئل : أليس من الواجب عليك أن تحتل أمر ربك وتبتغى مرضاته وتشكر نعمته وترجو رحمة وتخفف عذابه ؟ لم يسعه إلا أن يجيب ببلى ، فإذا سئل : هل يسعك أن تعمى أمره وتخالف عهده وتخالف عبدا اصطفاه لهدايتك وإرشادك ؟ لم يسعه إلا أن

يقول كلا . فاذا قيل له : فهو لا ، إلا نبياء عبيدى وصفوتى أرسلتهم إليك يعلمونك ما يجب عليك أن تفعله وما يجب عليك أن تجتنبه لتعوز مرضاتى ، فهل أنت على استعداد لتلقى رحمتى عن طريقهم باختيارك كما وهبتك رحمتى ونعمى من قبل تتوالى عليك بدون شعور منك ولا توسط اختيارك ، أفأنت مستعد لطاعتهم وقبول شرايعهم ؟ لم يسمه إلا أن يقول إى وربى :

هذا هو عهد الله الذى لا تجد نفس مها كبر عنادها وصعب قيادها مخلصا للتخلص منه . فهو عهد « ألت بركم » بالأصالة ، وهو عهد الايمان بالرسول الذين أيدم الله بالمعجزات شاهدة بصدقهم فى التبليغ عن ربهم ، وهو عهد ركب فى الفطرة ، وهو عهد أعطى بالاختيار بالايمان بالرسول ومبايعة المؤمنين لهم ، والذين يبايعون الأنبياء ، إنما يبايعون الله . أفنل هذا المهد كان يصح أن ينطرق اليه نقض أو نقص ؟ عهد ركب فى الفطرة ، ووثق بالاعتراف للأنبياء ، بل وثق قبل ذلك باعتراف النفوس قاطبة بتقتضاه ، إذ لا تكاد تجد نفسا مها عتت وتكبرت لإلاهى تشرف فى فرادتها بأن فوقها قوة مهيمنة عليها ، مملكة أسرها ، وهبتها هذا الوجود وهذه القوى ، وهى بمرصده أن تستردها منها . ولئن خفى هذا الاعتراف حينما من الدهرحين توافر النعم فلا بد أن يتحرك حين زوال بعضها . ومن لم تعطفه النعمة ردعته النعمة « وإذا مسَّ الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » هكذا شأن الانسان كاهرا كان أو مؤمنا . هذا عهد الله أشربته لئنفسوس ، واعترفت به فوقته باعترافها . وهذا عهد الله أبلته للناس على لسان الرسل فوثقوه بالايمان بهم .

والخلاصة أن عهد الله وصاياه وتكاليفه لعباده ، وميثاقه قبوله والاعتراف به . وهذا متحقق فى كل طائفة من حلوائف الناس مؤمنا كان أو كافرا ، عاصيا كان أو طائعا ، وهو واضح لدى كل امرئ متى نظر فى نفسه لا يخفيه عنه إلا أن يصاب بمعى فى بصيرته ، فيتردى فى الهاوية ، ويكون مأواه جهنم وبئس المهاد : « أفن يعمى أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ؟

وأصل الميثاق من وثق به إذ أمن جانبه ، يقال على الاعتراف والإقرار ، لأن من أقر بشئ ، فشأنه يكون قد أمن إنكاره وخروجه عما اعترف به .

وظاهر أن هذا من الآية الكريمة مقابل لما سبق في صفة المؤمنين من قوله تعالى : « الذين يوفون بعهدهم الله ولا ينقضون الميثاق » . وواضح أن في إضافة العهد الى لفظ الجلالة من التنويه به وتفخيم أمره ما فيه ، فالحمد أيا كان يجب الوفاء به ، فما بالك بعهدهم بين الله وبين عباده ، وما بالك به وقد تقوه بقبوله والاعتراف به ؟ فكيف يكون للوفاء به من عظيم المنزلة ، ولم يكن لتفضله من فطاعة وشناعة :

وقوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » مقابل لقوله جل شأنه : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » . وهو إشارة الى الأعمال نفسها التي كفوها ، بعد ما أشير اليها من حيث مصدرها الذي أوحى بها وعهد بها اليهم . فهذا نفي عليهم في مخالفة الأعمال نفسها ، والأول نفي عليهم من جهة مخالفة من عهد بها . ويصح أن يكون الأول إشارة الى اقتلاع نفس الإيمان ، وهذا إشارة الى العصيان بالأعمال . وقد استوفينا في تفسير الآية السابقة بيان ما أمر الله به أن يوصل ، فعساك ترجع اليه وهو قريب فتتمرف به ما هنا .

وقوله : « ويفسدون في الأرض » تشنيع ثالث عليهم في تقضيم العهد ، ولكن باعتبار الآثار السيئة المترتبة على تلك المخالفة ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل . وهذا يتضمن الإشارة الى أن ما أمر الله به أن يوصل ما كان إلا ما هو صلاح في الأرض ، واستفامة لمرية الكون : من تهذيب النفوس ، وردعها من غواياتها ، وتوجيهها الى ما فيه مصلحتها . فكل مخالفة تقع فهي نقيض لما قصد من الثمرات بذلك الأمر الرباني . فإذاً يكون هذا فسادا في الأرض . والفساد في الأرض لا بد أن يكون له الأثر السيئ . يحس الجميع عن قرب أو عن بعد . فهم بهذا القطع أعداء أنفسهم ، إذ هم يجرؤون اليها الفساد وهم لا يشعرون ، فجزاء من كانوا على هذا الخط السيئ ، هذا هو ما أفيد في قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

لقد يقول قائل : قد ذكر في صفة المؤمنين تسع صفات ، وذكر في صفة هؤلاء ثلاث ، وقد قوبل الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل بما يقابلها ، واقتصر بمد ذلك في المقابل على لإفساد في الأرض ، فهلا ذكر مقابل البراق كما ذكر مقابل الأولين ؟

والجواب أن الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل هما الأساسان الشاملان اللذان ينبني عليهما باقي التفصيلات ، ولهما ولما يقابلها المقام الأول في استحقاق الثناء أو الذم . وأما ما ذكر بعدهما في الصنف الأول فهو مما لا سبيل إلى حصوله إلا بعد تحققهما . وانظر إلى خشية الله ، والخوف من سوء الحساب ، والصبر ابتغاء وجه الله ، وإقامة الصلاة ، والإيفاء سرا وعلانية ، ودرء السيئة بالحسنة ، تجمدها كلها لا تكاد تجرى إلا لمن التصف بصفات الصفتين السابقتين : وفاء العهد ، وصلة ما أمر الله به أن يوصل ، وهو الإيمان بأنبيائه ورسله . وعلى فرض أن يجري شيء منها لمن لم يتصف بهاتين الصفتين فلا اعتداد به ، فيكون اقتلاع الصفتين الأوليين ، وحما وفاء العهد والصلة ، بمثابة الاقتلاع لهذه البقية ، حتى لو حصلت فلا اعتداد بها ، فهي أولاً كجالات إنما تنتظر من اقصاف بالأساس ، وثانياً أنها لو فرض حصولها بدونها فهو من البيان على غير أساس . ولقد جرى بدلها في بيان حال ذلك الصنف الأعمى بما هو أشد وأنكى ، وهو شرح الآثار المترتبة على ترك ذنبك الأساسين ، ألا وهو الفساد في الأرض ، وكفى به تشنيعاً عليهم ونعيماً على مصيرهم وآثارهم . ومن ناحية أخرى ترى بعض ما ذكر في الصنف الأول من باب الترقى في السكال ، وهذا لا تسكون مخالفته سبباً في العقاب ، فإن كونه المرء يستوفي حقه إذا أسيء ولا بدراً للبيئة بالحسنة فدأبأه الله ، فلا يحسن ذكره في باب موجبات العقوبة . وكذلك ليس ترك الإيفاء سرا وعلانية مما يوجب اللعنة ، ولكن الإيفاء ودرء السيئة بالحسنة والصبر ابتغاء وجه الله مما يستحق به صاحبه عقبي الدار : جنات عدن ، فحسن ذكره في الأول ، ولم يكن له محل في الثاني .

بقى أن يقال : قد ذكر الموصول مكررا في الأول ومرة واحدة في الثاني ولعل السرف في ذلك إبرار تلك الصفات الجليلة على وجه يحمل كل صفة منها عمل قصد بالتنويه ، وأنها حيث وجدت استحق صاحبها بها ما استحق ، ويبان أن الصفات في الثاني مما يحير بعضها الى بعض ، ففى ابتلى أحد بإحداها ارتكس في سائرها ، فنقض عهد الله فهو البتة قاطع لما أمر الله به أن يوصل ، وهو لا بد أن يكون من الفسدين في الأرض ، فهم ومن تعددت قبائحهم وهى مرتبطة يحير بعضها الى بعض ، فليحذر من بها لكي لا يقع في باقيها .

أما قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » فقد قلنا في مثله ، إن الايتان باسم الإشارة راجعا الى موصوف بصفات متعددة ، يفيد استحضار ما رجع اليه بكل صفاته ليبين أنه استحق الجزاء بسبب ما قام به من تلك الصفات ، فكأنه قيل هنا إنهم بسبب ما ذكرنا في شأنهم قد استحقوا اللعنة أى الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ولهم سوء الدار . والدار هى جهنم ، وسوءها عذابها ، أو الدنيا ، وللعنى سوء عاقبة الدار . ولم يصرح بلفظ عاقبة لأن عاقبة السوء لا تستحق أن تسمى عاقبة . كيف وقد قال تعالى : « والعاقبة للمتقين » . فكأنها عاقبة ياليتها لم تكن عاقبة . أو المراد الدنيا ، وسوءها ما استحقوه فيها من سخط وتعرض لغضب الله ومقته ، فهم ما أفادوا من دنياهم إلا ما أوجب صلب الغضب واللعنة عليهم ، وكفى بهذا سوءا من هذه الدار . والتعير بكلمة لهم دون عليهم وهى مقتضى الظاهر ، للإشارة الى أن هذا قد أصابهم استحقاقا بما كسبوا لا أنه أمر فرض عليهم فرضا بدون استحقاق .

لقد كانوا يعززون بما أوتوا في الدنيا من بسطة في الرزق ويحملونه كالبرهان على أنهم هم السعداء المستحقون للكرامة ، قائلين من ذا الذى يستحق التكريم ويضمن له الموز بكل خير إلا أهل الثراء ، وهم من أول أهل الثراء ؟ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . لا جرم رد الله عليهم ذمهم الباطل ، وبين الحقيقة الصحيحة

والحق الصريح ، وهو أن أمر الرزق أمر منوط بمشيئة الله يدبره بحكمته ، ويخضعه لنظام سنّه في هذه الحياة ، وذلك لا شأن له بأحكام الآخرة وإحراز سعادتها ، فلا ينبغي الاعتراض بما أوتوا من سعة رزق في الحياة الدنيا ، فيفهموا منه أنهم هم المقربون عند الله في الآخرة ، لا لاد الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع .

لعلك لمحت وجه اتصال هذه الآية بسابقاتها ، وأنها بسبب منها ، تنمى على الذين كفروا سوء تقديرهم وفاسد أوهامهم ، وتسدد عليهم طرق تعلاتهم ، فتحكي ما يجيش بصدورهم من فرح وأثر وبطر ، وتطوح في لأحكام والتقدير ، وزعمهم أنهم الخاصة للقربة المحبوبة التي وقف عليها وحدها سعادة الدارين ، منتزين بما أوتوا من بسطة في الرزق ، قائلين - وقد تسمعا حبارا من بعضهم : أفيظفر ذلك الصعلوك بالسعادة ومحرم منها هذا العظيم الجليل للقدر ، كيف هذا وكيف يفهم ؟ والجواب أن ما أتم فيه من رغد وبسط عيش هو فعل الرب القادر المختار الحكيم قبا يفعل ، وقد بسط لكم في الرزق ، والله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لمن يشاء ، وما فرحكم بما أوتيتهم إلا فرح بمتاع زائل وظل حائل ، وما أمر الآخرة وسعادتها إلا منوط بتقوى الله واتباع هداه ، وليس بين هذا اللذات الدنيوى وبين سعادة الآخرة رتباط ، إلا من شكر الله على نعمته وقام بحق العبودية « إن تكفروا فلإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم » . أما أن نعمة الرزق في الدنيا هي السبيل في الآخرة للسعادة ، وأن تقديره في الدنيا قاطع عن سعادة الآخرة ، فلا سبيل إليه ، فلتفرحوا بدنيا كم فدونكموها فافنعوا بها إن شئتم ، فقد ضيعتم على أنفسكم الحياة الحقيقية ، وإن الدار الآخرة هي الحيوان . وإذا فتحت أبصاركم ، وجعلتم الحياة الدنيا متاعا موصلا للآخرة ، فذلك ما ينبغي أن يتمره العقل الصحيح ، وهو لا تشبه بمن يزعم لنفسه الرأى والتفكير . فيكون قوله : « وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع » يحتمل

أن « ف » بمعنى المقايضة ، أى ما هي في جانبها وبالمقياس إليها إلا متاع حقير لا يؤبه له .
 ووجه هذا الاستعمال أن من يقيس شيئا بشئ ، يجعله غالبا في جانبه ، فهي كقولها :
 « ذنوب العبد في رحمة الله كقطرة في بحر » أى إذا فُيس هذا بهذا الخ . ومحمّل على
 بُد أن يكون معنى متاع أنها متاع للأخرة مقصودة على أن تكون وسيلة لها ،
 لا أنها هي عطف القصد الذاتي حتى يقصروا فرحهم عليها ويعرضوا عن النعيم المقيم
 والثواب العظيم . وهذا وكون معنى (يقدر) يضيق ، مأخوذ من قولهم : جعل كذا
 قدر كذا ، أى لم يزد عليه . فلمعنى جعل رزقه كفافا على قدر حاجته لم يعطه سعة من
 العيش ، بل أعطاه على قدر ما يستطيع أن يعيش به وكفى .

قال تعالى : « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن الله يضل
 من يشاء ويهدي إليه من أناب » .

لقد رأيت الآيات البينة تترى في هذه السورة من أولها ، وكلما انتهت آية نلتها آية ،
 وكلما حجج بائنة وبراهين قاطعة دالة على ما سيقف له أوضح دلالة ، وشاهدة بصدق
 ما ادعاه صلى الله عليه وسلم من قدرة ربه وسعة علمه وباهر حكمته ، الى غير ذلك
 مما سبق . ثم لم يكفهم هذا كله فيجئ منهم ذو الوجه الجامد من الكافرين ويقول :
 « لولا أنزل عليه آية » كأن هذه الآيات كلها ليس فيها آية « ولو فتحنا عليهم بابا من
 السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن مسحورون »
 « إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
 الآليم ، لا لا ، ليست المسألة إزال آية ، فقد أنزلت الآيات والنذر ، وأيد صلى الله عليه
 وسلم من ربه بما فيه مقنع لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولم يبق إلا أن يرى مبصر ويسمع
 واعى فليس الأمر أمر آية ، وإنما هو ما أمر به نبيه أن يقوله لهم بقوله عز من قائل :
 « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب » فن يضل الله فلا هادي له ومن يهده الله
 فلا مضل له . وكيف يطلبون إزال آية وهذا القرآن ينلى عليهم وكل جزء منه آية ؟ !

ولقد تنوعت وجوه الإعجاز فيه حتى لم يبق مذكر لم تذكر ولا علة للمعالم . لقد جاء فيه الإعجاز البلاغي مع تحدى القوم البلغاء ، الذين أفنوا عمرهم في تحيّر الأساليب البلاغية حتى يزوا فيها العالمين وبلغ من عنيتهم بها أن دونوا ما شهدوا له بالبلاغة في أقدم الأمكنة مكتوباً بأغلى مداد ، فالذين جعلوا البلاغة ديدنهم قد تحداهم القرآن فاجراً واحداً منهم أن يتصدى لمعارضته ، وما كان أقدرهم — لو أن الأمر عادى — على أن يقول بليغهم ما يقول ويشهد له بقيتهم بما يريد من الترجيح ، ولكن القوم كانوا أعقل من أن يتصدوا للافتضاح ، فرضوا بمقارعة السبوف ، تأكلهم الهزيمة ، ويفنهم السيف ، ويجلّون عن ديارهم ، ولم تحدّثهم نفسهم أن يتصدوا لمعارضته ، اللهم إلا ما أقروا فضح نفسه بنفسه ، فكان الأضحوكة والسخرية . ومن قهر مثل هؤلاء فهو لغيرهم أقهر .

وغير البلاغة تجسد فيه من وجوه الإعجاز شتى الأنواع . فن البراعة في التشريع الإلهي والاجتماعي والخلق ، إلى الأخبار بالمغيبات الماضية أو المستقبلية .

ولو لم يكن فيه من الأخبار المستقبلية سوى التعديت من كانوا ينازعونه من أهل الكتاب أنهم لن يحصل من أحدهم نفي الموت فلم يحصل ، لكنى ، ذلك قوله تعالى : « قل إن كانت لكم لدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً » ، أفترى لو كان الأمر عادياً كان يجوز أن يثور طاعن فيقول : إن آية صدق أنه لا يقول أحد منكم ليقنى أموت ؟ أفيؤمن أن يجي ، مكابر ويقول هذه الكلمة الخفيفة ، فيقيمها الدليل على أن ذلك التحدى لم يتحر الحقيقة ؟ وهل لو قالها كان يستطيع المدعى أن يقول أنت تقولها بلسانك ؟ إذا يقال له . فمن أين لك هذا ، لقد أخبرت أنا لن تمنى الموت ، وها أنذا أتمناه . ولم كان يكون لها من صدق ولا سيما عند قوم كانوا يتلمسون له هفوة يتمسكون بها ، حتى إنهم حينما قال قائلهم عند زول قوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال : أليس عيسى قد عبد ؟ ليست الملائكة قد عبدوا ؟ فقاموا يحيمسون فرحين بحجة أوتوها حتى

قال صلى الله عليه وسلم : « ما أحبه لك بلغة قومك : ما لما لا يعقل » ، فبهت وبهتوا .
 فقوم كان حرصهم على تلمس أوهى الحجة هذا المقدار هل كانوا يفوتون على أنفسهم
 هذه الفرصة لتملى لهم من قبل خصمهم ، يقول لهم : إني أحدث عن ربى أنكم لن تستطيع
 أحد منكم أن يقول ليتنى أموت ، فينظرون ، ليه واحد ولا يلفظ فم أحدهم هذه الكلمة
 الخفيفة وفيها نجاتهم من سبى نسايتهم وقتل دجالهم : اللهم إن لأمر أبين من أن
 يتوقف على آية ، ولكن الله يفضل من يشاء ويهدى إليه من أناب .

ولا تظن أن الآيات التي أيد بها المصطفى صلى الله عليه وسلم مقصورة على القرآن ،
 وإن كان هو أعظمها شأنًا ، وهو الباقي من بينها مسابرا للشريعة الباقية بقاء الدهر حتى
 لا يدخل فيها أحد على غير بينة ويقول : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
 مقتدون » ، لا لقد أيد صلى الله عليه وسلم بآيات حسية من نبع الماء من بين أصابعه
 وحنين الجذع ، ورد عین فتادة ، وشق القمر ، وكشف بيت المقدس له وهو فى مكة حتى
 وصفه لهم وصف من يشاهد ، ورؤية المير قادمة من الشام والتحديث عنها بأنها متصل
 وقت كذا ، وغير ذلك مما بلغ مجموعه حد التواتر حتى لو كان بعض تلك الآيات قد روى
 آحادا فلا شك أن المجموع متواتر ، وهذا ما يسمى بالتواتر المعنوى كجود حاتم ،
 وشجاعة علي . فالوقائع الجزئية فيهما تروى آحادا ولكن المعنى المشترك بينهما متواتر
 لا يقبل الشك ولا التشكيك .

هذا وكلمة « أناب » معناها رجع ، كأنها من التوبة ، أى رجع الى توبة الخير وازنياد
 الحق والصواب . والتعبير في جانب الهداية بقوله : « اليه » أى الى دينه وشريعته والتعرب
 منه ، وترك ذلك في جانب الإضلال لبيان أن الهداية لها وجهة معينة يتجه اليها المهتدى
 وهى الزلقى الى ربه ، بخلاف الضلال فإنه سير على غير هدى وكدح فى غير غاية ، فهو
 متغبط متردد متعير ، فلا وجهة له ولا غاية يرى اليها واختيار صينة المضارح فى يشاء
 لبيان أن ذلك بتجدد مشيئة الله حسبما يليق بكل شخص شاء إضلاله . واختيار

الإنسان في جانب الاهتداء ليبحث من نذات منه نفسه وشرده عقله على أن يكبح جماحه ويكفكف من غريبه ، ويرجع نفسه الى تلقى الهدى من ربه ، فإنه متى استعد لقبول هداية أسفنه مولاه ، فكأن الاستعداد لقبول سابق على منح السؤل .

نسأل المولى القدير أن يهينا هدايته ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه حتى نكون من التبيين اليه ، فتفيض علينا الهداية من لديه ، فهو نعم الولي ونعم النصير :
ابراهيم الجبالي

احتمال المشاق في سبيل الرغائب

قال امرؤ القيس :

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسمى لحد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤمل أمثالي

وقال أبو تمام الطائي :

أما ذلّي ما أخشن الليل مركبا وأخشن منه في الملمات راكبه
ذري وأهوال الزمان أقاسها فأهوالها العظمى ثلّيا رغائبه

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حظه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخفا أصبت حليا أو أصابك جاهل

وقال بلنخ :

من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ومن طلب العظام خاطر بعظيمه .

وقال حكيم :

لا ينبغي للعافل أن يكون إلا في إحدى منزلتين : إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية من تركها . ولا ينبغي له أن يرى إلا في مكانين : إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد منبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنا ، ولا النغم غنا إذا ساق غرما .

وقال عمر بن عبد العزيز الدكني : إن في نفسا توافقه ، وإن نفسي ناقت الى أشرف منازل الدنيا فما بلغت وجهتها تنشق الى أشرف منازل الآخرة .

ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعدل حلفاء بني أمية .

تشریح المیت

رد علی رد

کتبتنا فی العدد السابع والثامن من السنة الماضية من هذه المجلة كلمة عن تشریح المیت . وقد رأينا للشيخ العربي (بوعیاد الطنجی) ردنا علينا ببعض المجلات ، تفنك اليوم علی أم ما جاء فيه ، ثم نعلق علیه بما يحق الحق وببطل الباطل إن شاء الله ، فنقول : إن فتوانا فی تشریح المیت بمجلة كثيرا ، فإننا لم نمرض فيها لجزئية خاصة ولا لحادثة معينة ، ولم نطلق فيه الجواز إطلاقا بل قيدناه بالضرورة ، وجعلناها علة الحكم لذي بدور معها وجودا وعدما . وقد حذرنا فی آخر كلمتنا الأطباء ، وأولى الأمر من التوسع فی ذلك الموضوع ، وأمرناهم أن يقتصروا علی قدر الضرورة ، وقلنا لهم : « إن الناقد بصبر والمهين قدير » . وهذا صريح فی أننا نطالبهم بالاعتصار علی مقدار الضرورة ولا نبیح لهم أن يتجاوزوها بحال من الأحوال ، خصوصا فی كلمتنا الثانية التي بالعدد الثامن . ومن المعلوم الذي لا شك فيه أن هناك من الضرورات ما يجب أن نحكم به بجواز تشریح المیت ، كما إذا توفقت تبرئة ساحة متهم ظلما علی تشریح المیت الذي يظهر منه أنه غير محني علیه مثلا . ويقول صاحب الرد :

« معلوم أن شهادة هؤلاء المشرحين غير معتبرة شرعا ولا مقبولة فی مذهب من مذاهب الاسلام حتی تثبت عدالتهم »

ونقول له أولاً إن هذا حكم قاس جدا ، فإن كثيرا من الأطباء لا يشك فی صدقهم وعدالتهم . علی أن ذلك من باب الأخذ بالفرائض التي يعتبرها الشرع ، كما ينه ابن القيم فی السياسة الشرعية ، وصاحب معين الحكام وغيرهما من المحققين ، وتستسمع شيئا عن للفر في المالکی فی ذلك .

والدين لا يهمل الحقيقة متى ظهرت ، ولا يعدو الحق متى تبين . وهكذا يجب أن نفهم الدين ونزل الوقائع عليه . ونحن في زمان لما نصل فيه الى الاثبات الشرعى من طريق واحد ، فلا يجوز أن نهمل بقية الطرق التى تؤيدنا اليها ، بل قد تجعلها لمس اليد ورأى العين . وقد طبق العلماء كثير من تلك الجزئيات على ما جاء فى الشريعة من قواعدها العامة وكلياتها التى تسع ذلك كله على ما استسمع ، علما منهم أن الشريعة الاسلامية يمكن تطبيق أصولها الكلية وروحها التى لا تعرف إلا الحق ولا يزيد إلا جلب المصاحبة ودرء المفسدة على كل ما يمرض للناس من أحوال وأقضية بمقتضى نظرها السامى وحكمتها البالغة .

فروحها الذى هو تنزيل من حكيم حميد يبعث فى أحكامها العادلة كل معانى الحبوبة والنمو والصلاحية لكل ما يرق العمران ، ويعود بالخير على بنى الانسان فى كل زمان ومكان . فإذا أمكن أن نخلص مسلما من المسلمين يتهم ظلما بما هو يرى منه بأى طريق من الطرق دون أن نحتم على أنفسنا سلوك طريقة واحدة قد لا تصل بنا الى النجاة المنشودة من إحقاق الحق وإقراره فى نصابه ، وجب ذلك ونحتم علينا أن نخلص المسلم ونحقق دمه ما أمكن ، وأن نحافظ على حقوقه ما وجدنا الى ذلك سبيلا . وارتكاب أخف الضررين واجب بالاتفاق . وهى قاعدة من القواعد التى اتفق عليها العقل والنقل . وأرائى مسوقا لأن أنقل لك عبارة القر فى السالكى يعطوها فى كتاب لخيرة لما لها من المناسبة التامة لهذا المقام ، وما فيها من الفوائد الجلة التى تناسب حكمة الشريعة ونظرها البعيد ، قال رحمه الله :

واعلم أنت التوسعة على الحكام فى الأحكام السياسية ليس مخالفا للشرع بل تشهد له الأدلة المتقدمة ، وتشهد له أيضا القواعد الشرعية من وجوه .
(أحدها) أن الفساد قد كثرت وانتشر بخلاف العصر الأول ، ومقتضى ذلك اختلاف الأحكام بحيث لا نخرج عن الشرع بالكيفية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر

ولا ضرار ، وترك التوسعة التي تقتضيها السياسة الشرعية مؤد إلى الضرر لا محالة .
ويؤكد ذلك جميع النصوص الواردة بنفي الحرج .

و (نأيتها) أن المصاحبة للمرسلة قال بها جمع من العلماء ، - خصوصاً المالكية - وهي المصاحبة التي لم يشهد الشرع باعتبارها ولا بإلغائها . ويؤكد العمل بالمصالح للمرسلة أن المصاحبة رضى الله عنهم عملوا أموراً كثيرة لمطلق المصاحبة لا تتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ، ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير . وكذلك ترك الخلافه شورى بين ستة ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة للمسلمين ، واتخاذ السجن ، وغير ذلك مما فعله عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم ، كهم الأبنية التي يأزأ المسجد ، أعنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها في المسجد عند ضيقه ، وحرق المصاحف وجمعهم على مصحف واحد ، وتجديد أذان الجمعة بالسوق مما فعله عثمان رضى الله عنه ، وغير ذلك كثير جداً فعل لمطلق المصاحبة .

و (نأيتها) أن الشرع شدد في الشهادة أكثر من الرواية لتوهم العداوة ، فاشتراط العدد والحرية ، ووسع في كثير من العقود للضرورة ، كالمرأيا والمساواة والقراض وغيرها من العقود المستتناة ، وضيق في الشهادة في لزنا ، فلم يقبل فيه إلا أربعة يشهدون بالزنا كالمرود في المكحلة ، وقبل في القتل اثنين ، والدماء أعظم ، لكن المقصود الستر ، ولم يخرج لزوج اللاعن إلى بينة غير أيمانه ، ولم يوجه عليه حد القذف بخلاف سائر القذف لشدة الحاجة للذب عن الأنساب ، وصون العيال والفرش عن أسباب الارتباب . وهذه المبدئات واختلافات كثيرة في الشرع لاختلاف الأحوال ، فلذلك ينبغي أن يراعى اختلاف الأحوال والأزمان ، فتكون المناسبة الواقعة في هذه القوانين السياسية مما مهدت لها الفوائد بالاعتبار ، فلا تكون من المصالح المرسلة ، بل أعلى رتبة ، فتلتحق بالقواعد الأصلية .

و(دابہا) أن كل حکم فی هذه القوانين ورد دلیل یخمسه أو أصل یقاس علیه . الى أن قال .
 وإن لم یجد فی جهة إلا غیر المدول أثنا أصلهم وأفلهم لجورا للشهادة علیهم . ویلزم
 مثل ذلك فی القضاة وغیرهم ثلاثا نضیع المصالح وتمتعط الحقوق والأحكام (وما أظن
 أن أحدا یخالفه فی هذا ، فإن التکلیف مشروط بالامکان) . وإذا جاز نصب الشهود
 فسقة لأجل عموم الفساد ، حاز التوسع فی الأحكام السیاسیة لأجل كثرة فساد الزمان
 وأهله . وقد قال عمر بن عبد العزیز : سیحدث للناس أفضیة بفدر ما أحدثوا من الفجور .
 قال القرافي : ولان شک أن كثيرا من قضاة زماننا وشهودهم وولاتهم وأمنائهم لو كانوا
 فی العصر الأول ما ولوا ولا عرج علیهم ، وولاية هؤلاء فی مثل ذلك العصر فسوق ،
 فقد حسن ما كان قبیحا ، واتسع ما كان ضیقا ، واختلفت الأحكام باختلاف الأزمان .
 الى أن قال :

ولذلك قال الشافعی رضی الله عنه : ما ضاق شیء إلا تسع . یشیر الى هذا الموطن .
 فکذلك إذا ضاق علینا الحال فی درء المفاسد اتسع کما اتسع فی تلك المواطن .
 و(خامسها) وهو مما یستأنس به — أن أول بدء الإنسان من زمن آدم علیه السلام
 كان الحال ضیقا فأبیحت الأخت لأخیه ، وكذلك أشياء كثيرة وسع الله تعالى فیها .
 فلما تفرح الحال وکثرت الذریة حرم ذلك فی بنی اسرائیل ، وحرم السبت والشحوم
 والایبل وأمور كثيرة ، وجعل توبة أحدهم بالقتل لنفسه ، وإزالة النجاسة بقطمها .
 الى غیر ذلك من التشدیدات .

ثم جاء آخر الزمان وضعف الجسد وقيل الجلد ، فلطف الله بعباده ، فأحلت تلك
 المحرمات وقبلیت للشوبات . فظهر بذلك أن الأحكام والشرائع قد راعی فیها الله تعالى ،
 وهو الحکیم العليم ، اختلاف الزمان ، وذلك من لطف الله عز وجل وسنته الجارية
 فی خلقه ، وظهر أن هذه القرائن لا یتخرج عن أصول القواعد ، ولیست بدعا عما جاء به
 الشرع المکرم . الى أن قال :

ومن الناس من توهموا أن السياسة الشرعية قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة ، فتمدوا حدود الله ، وخرجوا من الشرع الى أنواع من الظلم والبدع في السياسة على وجه لا يجوز ، وسبب ذلك الجهل بالشرعية . وقد صحح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من تمسك بالكتاب والسنة لن يضل . انتهى كلام التفرافى ، وهو نقيض جدا ، إلا أننا نحذر الناظر فيه من توسع الجهلاء ومراعاة الأهواء ، ونحتم أن يكون ذلك من أهله العارفين بروح الشرعية المحتاطين فيما يقولون ويكتبون .
ولتراجع الى موضوعنا الأصلي فنقول :

إن من الواضح جدا قياس التشریح لا فساد حياة مسلم مثلا على المال الذي قال كثير من الفقهاء : إن المیت يشق بطنه لا إخراج ذلك المال الذي ابتلعه قبل موته .
وقد قال الشيخ العربي في قياس تشریح المیت على شق بطنه لا إخراج مال ابتلعه على ما قرره الفقهاء : « إن هذا الفرع باطل في نفسه ، فكيف باحق به ما هو أبطل منه » ؟

ونقول أولا : إن هذا ليس ردا علينا فقط ، بل هو أيضا في معنى الرد على جميع الفقهاء الذين قرروا هذا الفرع الباطل في دعمه . ولم يقتصر الشيخ العربي على إبطال هذا الفرع الذي قرره الفقهاء وهو شق بطن المیت لا إخراج مال ابتلعه ، بل أنكر أن يكون مرويا عن الأئمة والعلماء ، حيث يقول : « إذ معاذ الله أن يصدر من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى وتعميم حرمانه القول بإباحة هتك حرمة المیت المسلم التي أمر الشارع بمعظمها ، وجواز بقر بطنه من أجل مال مقدر بنصاب السرفة لا يسن ولا يثنى من جوع الخ » .

فأنت ترى أن الشيخ العربي يتوصل لا بإبطال القياس بأن ما قرره الفقهاء من جواز شق بطن المیت إذا ابتلع مالا باطلا في نفسه ، وأن الأئمة المجتهدين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى لم يصدر عنهم القول بهذا الفرع .

وسیمربك من النصوص، ورواية هذا الفرع عن ثمة المذهب الأربعة، ما تحکم
ممه على الشيخ المرنی بأنه یرى أن أولئك الأئمة القائلین بهذا الفرع غیر موسوفین
بالخشية والخوف من الله تعالى . وهذا الحكم عظیم صدوره من أمثال الشيخ المرنی .
ولا أدري كيف ينكره هذا الإنكار القاطع مع أنه مصوص في كتب الفقه ،
وثابت من الأئمة الأربعة، وإن اختلفت فيه الأنظار وتنوعت فيه العبارات ؟ على أنه
اعترف به بعد ذلك كما يعلم من مراجعة كلامه .

ولا أدري كيف لم يلتفت الى هذا التناقض الواضح مما يدل على أنه كان يكتب
بالعاطفة لا بالتحرى . (ولهذا أوصانا بالغرباء كأننا لم نكتب ما كتبناه إلا بقصد
الإضرار بهم) .

هذا ومسألة المال الذي ابتلعه وشق بطنه من أجله ، تكلم فيها العلماء المعطاحل
في كل المذاهب كما قلنا .

ولنسق للقارئ الكريم بعض تلك الأقوال ، ولنبدأ منها بكلام المالكية
في أشهر كتبهم التي بين أيدينا فضلا عن غيرها ، وسنقفى العجب العجيب عند ما ترى
تلك النصوص التي جهلها الشيخ العربي وهو من أفاضل علماء المالكية ، والنصوص
في أقرب الكتب وأشهرها . فسبحان من يتصرف فيمن يشاء كما يشاء . وهذه
هي النصوص :

قال خليل « وبقر عن مال كثير ولو بشاهد ويمين » :

قال الخرنسفي في شرحه : « البقر عبارة عن شق جوف المیت ، یعنی أن من ابتلع
مالاً له أو لغيره ثم مات فإنه يشق حوفه فيخرج منه إن كان له قدر وال بأن يكون
نصاباً ، وهل نصاب الزكاة أو السرقة ؟ قولان . وقال ابن حبيب بعدم البقر . قال
في التوضيح قال شيخنا : ينبغي أن يكون الخلاف إذا ابتلعه لقصد صحيح نخوف
عليه أو لمدواة ، وأما إن قصد قصدا مذموما كحرمان وارثه فلا ينبغي أن يختلف

فی وجوب البقر لأنه كالغاصب . وفیده ابن بشیر بما إذا كان للمیت مال یؤدی منه ، وإلا فلا ینبئ أن یختلف فی استخراجہ . ولا فرق بین أن یمیت الابتلاع بیئۃ أو بشاہد ، ویحلف المدعی لذلك معہ . والیہ أشار بقولہ : « ولو بشاہد ویمین » .

وقال فی الشرح الكبير للدردیر علی عبارة خليل السابقة (وبقر) : أى شق بطن میت (من مال) له أو لغيره ابتلعه حیا (کثر) بأن کان نصابا (ولو) ثبت (بشاہد ویمین) . وحمل التقييد بالكثير إذا ابتلعه خلوف علیہ أو لمدواة ، أما لقصد حرمان لوارث فیبقر ولو قل ۱۸

وقال الأمير فی المجموع وشرحه : (وشق بطنه) أى المیت (عن كثير) نصاب زكاة (ولو بشاہد ویمین) .

وقال الشيخ حجازی فی حاشيته علیہ عند قوله (نصاب الزكاة) : طاهره أنه لا یبقر عن الأقل ولو كدينار مثلا ، مع أن له بالا . ولو قيل یبقر صمالة بال كان أولى . وستظهر للشيخ الأمير فی حاشيته إحالة ذلك علی العرف وأنه یختلف باختلاف الأحرار .

ولو شئنا لنقلنا لك كثيرا من نصوص المالكية . فلنقتصر علی هذا . ولننقل لك نصوص المذاهب الأخرى حتى تعلم أن المسألة معروفة مشهورة لدى أرباب المذاهب الأربعة ، فنقول :

قال ابن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ۶۲۰ في شرح المغنى عند شق بطن الأم الميتة لإخراج الجنين منها . « ويحتمل أن يشق بطن لأم إن غلب علی الظن أن الجنين يحيا ، وهو مذهب الشافعي ، لأنه إن لاف جزء من الميت لا يبقاء حيا ، فجاء ، كما لو خرج بعضه حيا ولم یمكن خروج بقيته إلا بشق ، ولأنه يشق لإخراج المال منه فلا يبقاء . لحي أولى » . فأنت ترى أنه فی التعليل قاس مسألة الشق لإخراج الجنين علی مسألة الشق لإخراج المال فيسأ أولويا كما قلنا . لى أن قال ابن قدامة فی مسألة المال .

« يحتمل أنه إن كان يسيرا ترك ، وإن كثرت قيمته شق بطنه وأخرج ، لأن فيه

حفظ المال عن الضیاع ونفع الورثة الذین تملق حقهم بما له بمرضه . ومن جملة ما ذکره احتمالاً أنه یشق إن کان کثیراً للغير ، لأن فیہ دفع الضرر من المالک یرد ماله الیه ، وعن المیت بإبراء ذمته ، وعن الورثة بحفظ التركة لهم .

ولنتفلک عبارته فی فصل عقده فی بیان ما إذا کان المیت فی بئر فیہ بخار خائق بأن انعدم الاکسوجین الذی هو عنصر الهواء الصالح للتنفس (ج ۲ ص ۴۰۷) لما فیها من زیادة العائدة ویان أنظار العلماء فی أمثال تلك المسائل :

« وإذا شک فی روال بخاره (یرید البئر) أنزل الیه سراج أو نحوه ، فإن العطفاً بالبخار باق ، وإن لم یبطنی فقد زال ، فإن النار لا تبقی إلا بما یمیش فیہ الحيوان ، وإن لم یمكن إخراجہ إلا بمثلة ولم یکن الی البئر حاجة ، طست علیہ فكانت قبره ، وإن کان طمها یضر بالمرءة أخرج بالسکالیب ، سواء أفضی الی المثلة أو لم یفض ، لأن فیہ جمایین حقوق کثیرة . نفع المارة ، وغسل المیت . وربما كانت المثلة فی بقائه أعظم لأنه یقطع وینتن ؛ فإن نزل علی البئر قوم فاحتاجوا الی اللد وخافوا علی أنفسهم فلهم إخراجہ وجهاً واحداً وإن حصلت مثله ، لأن ذلک أسهل من تلف نفوس الأحياء . ولهذا لو لم یجد من السترة إلا کفن المیت واضطر الحی الیه ، قدم الحی ؛ ولأن حرمة الحی وحفظ نفسه أولى من حفظ المیت عن المثلة ، لأن زوال الدنیا أهون علی الله من قتل مسلم ، ولأن المیت لو بلع مال غیره شق بطنه لحفظ مال الحی ، وحفظ النفس أولى من حفظ المال اهـ . هذا کلام ابن قدامة ، وفيه من الفقه والعلم ما تقم معه أن للفقهاء راعوا حرمة المیت عملاً بالنصوص ما لم تتعارض مع مصالح حقیقیة للحی کالابقاء علی نفسه أو ماله ، ولم یقفوا بجامدین مند ظاهراً للنصوص التي تأمر بإکرام المیت وعدم إهائته دون أن ینظروا الی ما یعارضها من أدلة الشرع الأخری .

وقال فی المهدب ، وهو من أعظم کتب الشافعية : « وإن ابتلع المیت جوهرة لغيره ومطالب بها صاحبها ، شق جوفه وردت الیه ، وإن كانت الجوهرة له فنیه وجهان :

أحدهما يشق لأنها صارت للورثة فهي كجوهره الأجنبي . الثاني لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق الورثة . قال شارحه النووي في المجموع : « أما إذا بلغ جوهره لغيره أو غيرها ففقيه طريقان ، الصحيح منهما ، وبه قطع المصنف والأصحاب في معظم الطرق ، أنه إذا كان طلبها صاحبها شق جوفه وردت الى صاحبها . والطريق الثاني فيه وجهان من حكماء المتولي والبقوى والشاشي أصحهما هذا . والمشهور للأصحاب إطلاق الشق من غير تفصيل . أما إذا بلغ جوهره لنفسه فوجهان مشهوران ، ذكر المصنف دليلهما قل من يأت الأصح منهما مع شهرتهما ، فصحيح الجرجاني في الشافعي وأبيدري في الكفاية الشق » .

وقال أبو حنيفة وسحنون المالكي : يشق مطلقا . الى غير ذلك وهو كثير .
فسأله كهذه كثر فيها الخلاف لكونها محل اجتهاد لا ينبغي التنازع فيها ولا كثرة الجدل . ولكل رأي ووجهة نظره ، مع تأكدنا حسن النية من فضيلة الأستاذ الشيخ العربي .

أما قوله : إن هذا قياس في محل النص مستندا إلى الأحاديث التي تنهى عن إيذاء الميت ، فهو عجيب ، لأن ذلك لو خالف النص لم يكن لهذا الفرع وجود في كتب الفقهاء ، فإن شق البطن إهانة للميت ، وهو معصام لهذه النصوص على فهم الشيخ العربي . والحقيقة أن الأحاديث التي نهت عن إهانة الميت ليست نصا فيما يرد ، ولا هي واردة في محل النزاع ، فإن موردها فعل ذلك استهانة بابيت كما يفيد سبب ورود الحديث ، وهو أن حفارا أخرج عظاما (سان أو عضد) فذهب ليكسره فقل النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكسرها فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا ولكن دسه في جانب القبر » .

أما محل النزاع فهو ما تتعارض فيه المصاحمة والمعدسة ، ثم تكون المصاحمة فيه أرجح من المعدسة . وقد عرف العلم ذلك فقالوا ما قالوا في مسألة الجليين الذي في بطن الميت ،

ومسألة المال الذي ابتلعه الميت ، ولم يروا في ذلك مخالفة لهذه الأحاديث التي ظنها حضرة
نصوصاً في الموضوع وما هي منه في قليل ولا كثير .

أما تقدم علم الطب بالتشريح فلم يجعلها أساساً لذلك ، ولكن ذكرناها على سبيل
الملاحة والتكميل كما يعرف من مراجعة كلامنا .

هذا ودعوى أن تشريح حيوان مثل تشريح الإنسان ، كما قال بعض الكاتبيين ،
دعوى لا يقرها العلم كما هو معروف . وأبطل منها دعوى أن علم التشريح قد وصل
إلى غايته حتى أصبح وليس فيه زيادة لمستزبد . دعوى يضحك منها الباحثون
والمكتشفون . وناهيك ما يقررونه الآن في الغدد وآثارها العجيبة مما لم يحلم به
الأولون .

ولقد ذكر لك ما جاء في بعض أعداد مجلة الهلال إجابة لطلب بعض قراء المجلة
الذين ألقوا علينا أن نتوسع في ذلك الموضوع الذي بهمهم كثيراً (ولعل الشيخ العربي
يقول إن صاحب الهلال مسيحي ينقل عن المسيحيين ثم يقوم فيرد علينا بذلك) .
ولندع هذا وما يشبه هذا وننقل لك ما جاء في تلك المجلة ، قال ما خلاصته :

« إن في الإنسان ما يشبه الأضرار الكهربائية إذا ضغطت أثرت في جسمه نمواً
وسمناً وقصراً وطولاً وانتقالاً من طور إلى طور وهم جراثيم ، وهذه الأضرار هي الغدد
للمنطقة أي التي تفرز سوائها بدون قنوات . فالسائل يخرج مباشرة إلى الدم لا تحمله
إلى الأعضاء قنوات خاصة . فالكبد مثلاً غدة كبيرة بل هي أكبر غدة في جسم
الإنسان ولكنها ليست منفصلة ، إذ هي تفرز الصفراء في الأمعاء بواسطة المرارة .
والمرارة قناة تحمل الصفراء من الكبد إلى الأمعاء ، ولكن الغدة الدرقية التي تقع
في أسفل الحنجرة تفرز سائها في الدم مباشرة . فهي لذلك غدة منفصلة ، إلى أن قال :
« إننا نرى في الإنسان بعد أن يمدو طور الجنين أن تشبيه الغدد بالأضرار الكهربائية
ليس من المبالغات . فبعض الأطفال مثلاً تمرض فيهم الغدة الدرقية فيبقون أطفالاً

من حیث الذهن ونمو الجسم مدى حیاتهم ، ولا یمكن أن یبلغوا سن الرجولة العقلية والجسمية ما لم یغذ دمهـم بالغدة الدرقية للمستخرجة من الفرس . الى أن قال :

« فنحن الآن فی البیولوجیة كما كنا فی الكیمیاء قبل مائتی سنة . فإذا دخلنا فی دور التجارب فلم نأمر بالمعجائب من الغدد » الى أن قال :

« ولنا ندري الآن علی وجه التحقیق ما هی تلك الغدة التي تجعل الأوربي حديد المزاج قوى الطبع فی حین أن الصینی خامل الذهن عديم النشاط » الى أن قال :

« والخلاصة أنه انفتح للغدد میدان ، وهو كنز واسع لا یزال یعد بکرا أو کالبکر فی أیدینا مفاتیحه ، ولكننا لم نتبرن بعد علی فتح مغالینفه بها .

ومن ذا یستطیع أن یقول إن العلم له غابة ؟ ولعجبنی قول بعضهم : إن الغایة اسم بلا مسمى ، وما یرأى من وجودها فإنما هو بحسب العقل البشری وأخیال الانسانی . وهكذا یجب أن تكون سعة الرویة وتصرفاتها ، وآثار قدرتها التي لا نهاية لها ، والتي یربنا العلم کل یوم من آیاتها للعجائب والفرائب ، خصوصاً فی الانسان الذی لا تنتهی عجائبه : « فی أى صورة ما شاء ربک » « وفی أنفسکم أفلا تبصرون » « ذلك تقدیر العزیز العلیم » . « وما أوتیتهم من العلم إلا قلیلاً » .

فکیف بدعی مدع بعد ذلك کله أن ترکیب الانسان مثل ترکیب الحيوان ، أو أن علم التشریح بلغ غایته ، والغیة مفقودة المسمى فی هذا العالم ؟

أسأل الله أن یهدینا للصراط المستقیم ، وأن یحنبنا الإفراء والتفریط فی القول والمعمل بمنه وکرمه .

یوسف الدجوى
من هیئة کبار العلماء

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

في الميراث

رجل توفي عن بنتين ، وابن ابن ، وأولاد أخ شقيق ، فهل يُحَرِّمُ أحد من هؤلاء الميراث ، أو يرثون جميعا ؟ وإذا ورثوا جميعا ، فما نصيب كل ؟ على عيد محمد

الجواب :

الميراث لابنتي المتوفى ، وابن ابنه ، وليس لأولاد الأخ الشقيق شيء ، فإن أولاد الأخ الشقيق إن كانوا ذكورا ، فهم محجوبون بابن الابن ، وإن كن إناثا ، فهن من ذوات الأرحام .

أما البنتان فهما الثلثان فرضا ، وأما ابن الابن ، فله الثلث تمصيبا ، والله أعلم .

❦

امرأة توفيت عن زوج ، وعن أم ، وعن أخت من أبيها ، وأخت وأخ من أمها ، وعن أولاد أخيها ذكورا من أبيها ، وعن أولاد عمها ذكورا وإناثا ، فمن يرث ، ومن لا يرث ؟ محمد حمزة

الجواب :

لميراث الزوج والأم والأخت من الأب ، والأخ والأخت من الأم ، ولا شيء لأولاد الأخ من الأب الذكور ، وأولاد العم الذكور والإناث ، لاستغراق الفروض التركة .

أما الزوج ، ففرضه النصف ، وأما الأم ، ففرضها السدس ، وأما الأخت من

الأب، ففرضها النصف، وأما الأخ والأخت من الأم، ففرضهما الثلث، لكل منهما السدس.

فبعد أن كانت التركة تقسم إلى ستة أقسام، قسمت إلى تسعة، وصار النصف ثلثاً، والسدس تسعاً، والثلث تسعين، للزوج نصف عائل، هو ثلاثة من تسعة، وللأخت من الأب نصف عائل، هو ثلاثة من تسعة أيضاً، وللأم سدس عائل، هو واحد من تسعة، وللأخ والأخت من الأم، ثلث عائل، هو اثنان من تسعة، لكل منهما واحد، والله أعلم.



امرأة توفيت عن أخيها فقط، فانصيب لأخت إذا انفردت، ولمن يكون الباقي؟
فارسكور — إبراهيم أحمد النسوق

الجواب:

هذه الأخت ترث التركة كلها: ترث نصفها فرضاً، ونصفها الآخر رداً، والله أعلم.

الحلف بالمصحف

رجل حلف على المصحف ألا يشرب « العرقسوس » ثم شرب، فهل هذه يمين شرعية يلزمه أن يكفر عنها؟
حنفي محمد أحمد

الجواب:

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الحلف بالمصحف يمين شرعية إذا أراد الحالف كلام الله القديم، أو أطلق.

ومذهب الحنفية أن الحلف بالمصحف ليس يميناً شرعية. وقال العيني من الحنفية: « وعندي لو حلف بالمصحف، أو وضع يده عليه، وقال: وحق هذا، فهو يمين،

ولا سيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبت العوام فى الحلف بالمصحف ، وأقره على ذلك صاحب النهر .
فعلى أن الحلف بالمصحف يمين ، يلزم الحائث أن يكفّر ، وعلى أنه غير يمين لا يلزمه ذلك ، والله أعلم .

الطلاق

رجل حلف بالطلاق ثلاثاً : «كلما تحمل زوجته تحرم . ما يزوج ابنته بفلان» والبنت بالغ تريد التزوج به ، فهل هناك غلص من وقوع الطلاق ؟
عطية عبد العال
الجواب :

إذا تزوجت هذه البنت فلاناً المذكور فى السؤال بشير ولاية أيها أو وكاله ، فلا يقع الطلاق ، والله أعلم .

الرضاع

بنت رضعت ثلاث مّصات ، فهل يحل لأبناء الرضعة التزوج بها ؟
حسين محمد دربال

الجواب :

إذا كان الرضاع فى مدته الشرعية ، فلا يحل لأبناء الرضعة التزوج بهذه البنت عند الحنفية والمالكية ؛ لأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم عندم .
ويحس لهم التزوج بها عند الشافعية والحنابلة ، لأنه لا يحترّم عندم إلا خمس رضعات متفرقات ، والله أعلم .

القنوت بعد الركوع

ما الحكم في صلاة مالكي يؤم الناس في صلاة الصبح ، وقد اعتاد أن يقرأ القنوت بعد الرفع من الركوع الأخير ، ومن للمؤمنين من يتابعه في ذلك ، ومنهم من يخبر ساجدا ؟
أحمد حفي الحادي

الجواب :

صلاة هذا لا امام صحيحة عند المالكية ، إلا أن فيها عناية للأفضل ، وهو أن القنوت قبل الركوع الأخير على المشهور .

وأما للمؤمنين ، فن تابع الإمام منهم فأصره واضح ، ومن خر ساجدا وتركه ، فإنه يجب عليه أن يرجع الى الإمام ليخفض بخصفه ، وليسجد بسجوده . وإن لم يرجع واستمر ساجدا حتى أدركه الإمام ، وأخذ فرضه معه ، صحت صلاته . وإن رفع من السجود قبل أن يأخذ فرضه مع الإمام عامدا أو جهلا ، بطلت صلاته ، والله أعلم .

كتابة القرآن الكريم

بالحروف اللاتينية

ما قول سادتنا العلماء — أيدم الله — في كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟
عن الهيئة المركزية للرابطة الملوية

وكيل الكاتب الأول

الرئيس الثاني

السيد عبد الله بن أبي بكر بن سالم الحبشي العلوي

السيد أبو بكر بن محمد الحبشي العلوي

الجواب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد : فلا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة » خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية .

فلو كتبت القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى - كما يفهم من الاستفتاء -
لوقع الإخلال والتعريف فى لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده .
وقد قضت نصوص الشريعة بأن يمان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل
أو التعريف . وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم
يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ، ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً .
وقد ألزم الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم الى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم
بالحروف العربية .

ومن هذا يتبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة » لا تجوز ،
والله أعلم .

عبد الله بن
رئيس لجنة الفتوى

فضيلة الصمت

قال أبو الدرداء : أنصف أذنك من فمك ، فأنما جمل لك أذانان اثنان وفم واحد لتسمع
أكثر مما تقول .

وقال المهلب بن أبى صفرة . لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه ، أحب الى من أن أرى
لسانه فضلاً على عقله .

وقال سالم بن عبد الملك : فضل العنل على اللسان مروءة ، وفصل اللسان على العقل هجنة .
وقال سالم بن حيان : صاحب الكلام بين منرتين ، إن قصر فيه ختم ، وإن أفرق فيه أتم .
وقال أكرم بن صبيح : مقتل الرجل بين فكه .
وقال شاعر :

الحلم زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثار .

ما إن ندمت على سكوتى مرة إلا ندمت على الكلام مراراً

وقال بعض الحكماء :

حتى من الصمت لى وقعته مقصور على ، وحتى من الكلام لغبرى وواله راجع على .

الاسلام والطب الحديث

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » :
 هذه الآية تفسر ما قلناه سابقا في حمل السيدة مريم ، وهو أن الملك والتفويض الخ
 إنما هي ملطفات لوقع المعجزة فقط ، وأما الحقيقة فإنه ما دامت السنن الإلهية قد بدلت
 فلا ضرورة بطريقة مخصوصة ، فإن عموما لا نفهم إلا أن الله تعالى يقول : « كن فيكون » .
 وهنا وجه الشبه بين ولادة عيسى وخلق آدم ، وكلاهما من صنع الله مباشرة ، وعلى غير
 طريقة السنن الاعتيادية التي يبحث عنها الانسان ومجدها دائما لا تتبدل إذا تساوت
 ظروف التجربة ويمكن أن يكررها الانسان بنفسه مرارا ، وأما خلق عيسى وآدم فلا
 يمكن أن نفهم طريقتيه .



« إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يئذكم ربكم بثلاثة آلاف من الللائكة
 منزلين . بلى إن تصبروا وتنفقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
 الللائكة مسؤمين » :

قد سبق تفسير هذه الآيات ، والله تعالى يخاطب الانسان بالطريقة التي يفهمها .
 والحقيقة أن الله ما دام قدرهم النصر فلا ضرورة لأي عدد مخصوص يأتي لمساعدتهم .
 وكان الله تعالى يخاطبهم حسب عقولهم ويقول لهم : إن صبرتم فإن النصر يكون أكل
 وإن خمسة آلاف تقاتل معكم بدل ثلاثة آلاف .



« قل لو كنتم في ييوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » :
 هذه الآية تذكر الانسان بضعفه ، وأن موته ليس بيده ، وأنه لا يتحكم في مستقبله

كما أنه لا يتحكم في ولادته . ورب قائل يقول : ما دام الانسان في بيته ولا يخرج منه فكيف يبرز منه لينتقل ؟ والحقيقة هي أن عقل الانسان الذي يحكم به على الأشياء ، في حالانه الاعتيادية ، ويستعمله ليفر من الموت ، يجعله عرضة لتأثيرات عنيفة من الانفعالات العصبية التي تصيره في حالة جنون وقتي قد يؤدي به الى الموت الذي كان يفر منه .

وأضرب لذلك مثلاً شاهدته بنفسى ، وهو أن شيخاً يبلغ من العمر فوق الستين يحب حياته ويخشى الموت ، ولا يأمن أحداً على أن يعطيه الدواء حتى أقرب الناس اليه ، وكان يأخذ بنفسه حبة الدواء عند الحاجة الى النوم حتى يتأكد أنه لم يعطط أكثر مما يجب . وقد حصل له في ذات يوم انفعالات عصبية مع أرق اضطر معها الى أن يزيد كمية الحبوب المنومة ، ولكنه بدل أن يأخذ اثنتين أخذ أكثر من ذلك ، بل تناول كل ما كان في الأتوبه ، وكان سبب وفاته نفسه التي كان يفر بها من الموت .

وهذا معنى قوله تعالى « لبرز الذين كتب عليهم القتل » . أى أن الشخص الذى لا يخرج من منزله خوفاً من الموت قتلاً لا بد أن يموت قتيلاً ، لو كتب عليه القتل . « قل إن الموت الذى تترؤن منه فإنه ملائكم » .

وفي هذا إظهار لضعف الانسان وبلهله ، فإن عدم المعرفة الكاملة يعرضه لأن يقع فيما كان يريد أن يتعاشاه . وهذا معنى المثل الفاتل : « نصف المعرفة أضر من عدم المعرفة » . فهذا الشيخ الذى يحب حياته ويحتاط لها ، عرف بالتجارب أن يأمن نفسه على حياته أكثر مما يأمن الذين حوله ، ولكنه كان جاهلاً بعلم النفس ، ولم يعرف أن عقله ليس شيئاً ثابتاً ، وأنه يتقلب كثيراً بالموثرات ، وقد يكون أشد ضرراً على نفسه ممن حوله ، وهولوفر ذلك أيضاً فإنه يجهل أشياء أخرى . وهكذا يبقى الانسان طفلاً أمام الحوادث ولا يصيبه إلا ما كتب له .

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها :
تفسير هذه الآية ظهر بعد ما قيل فى السنن الطبيعية والمعجزات . فأول المخلوقات
سيدنا آدم ، ومنه زوجه . وقد خلق الاثنان بطريقة لا نعرفها ، وأما باقى المخلوقات فإنها
خلقت من هذه النفس الواحدة بطريقة التناسل ، وهى من السنن الطبيعية التى لا تقبل
إلا حيث يريد الخالق كما قلنا فى المعجزات . وهذا معنى الآية الكريمة « وهو الذى
يبدأ الخلق » .

فهناك فرق بين خلق سيدنا آدم وبين خلق أى إنسان : فالأول خلق كاملاً ، خلقه الله
الذى يستحيل عليه النقص ، وأما باقى المخلوقات البشرية فقد خلقت بالسنن الإلهية ،
وهذه السنن تتأثر بسنن إلهية أخرى ، ولذلك كان هناك تفاوت كبير فى كمالاتها بالنسبة
للجسم والعقل .

وسأضرب لذلك مثلاً : شخص يصاب بمرض الزهري فيكون أولاده مرضى
بدرجات مختلفة ، وقد يكون فى جسمهم جرثومة الزهري ، وقد يكون منهم الأعمى والأصم
والأبكم الخ ، أى أنهم يكونون غير كاملى الخلقة ، وقد يولد الطفل ميتاً أو يعيش مدة
قصيرة . وتفسير هذا النقص فى الخلقة هو أن خلق الإنسان كما أنه نتيجة سنن طبيعية
لا تتبدل ، كذلك حياة الجراثيم وحياة كل شئ - إنما هى نتيجة سنن طبيعية أخرى . وقد
اقتضت رادة الله أن تعيش هذه الجراثيم على جسم الإنسان ، فهى مضرّة بالإنسان ،
ومضرّة بنفسه الذى هو جزء منه ، ولكنها لا تعيش إلا على جسم الإنسان ، وتموت بعد
مدة قصيرة إن بقيت بعيدة عنه . فالنقص الذى يظهر فى النسل مثل النقص الذى
يحدث فى الجسم نتيجة حادثة طبيعية ، لأن الاثنين نتيجة سنن طبيعية .

وإذا سأل سائل : ألم يكن الله قادراً على أن يخلق كل فرد كاملاً ؟ فالجواب : نعم ،
إلا أن فى ذلك فائدة للنوع الإنسانى ، وسنشرحها فى مقال آخر . والنقص الظاهر الفردى
هو من كمالات السنن الإلهية وكمالات النوع الإنسانى . فالشخص الذى يسقط من مكان عال

وفقد رجليه مثلاً لا يقال إن خلقته ناقصة من أول تكوينه ، لأن ما طرأ عليه هوشى .
 فلهما من القواعد الطبيعية . وكذلك الشخص الذى يمرض نفسه للجراثيم ويمرض
 وتثقل الجراثيم الى نفسه ، لا يكون نفسه ناقصة من أول تكوينه ، ولكن المرض طرأ عليه
 حسب الناموس الطبيعى (الإلهى) وهذه الأمراض التى يتعرض لها الإنسان لا تخلو
 من فوائد جمة سأتكلم عنها فى تفسير كيات أخرى .



« إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً
 غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكيماً » :
 هذه الآية الكريمة تقول : إن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها .
 والسبب فى ذلك أن أعصاب الألم هى فى الطبقة الجلدية ، وأما الأنسجة والمصلات
 والأعضاء الداخية فلا إحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط
 الذى لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً ، بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد
 الى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً . فله تعالى يقول لنا : إن النار
 كلما أكلت الجلد الذى فيه الأعصاب نجده كى يستمر الألم بلا انقطاع ، ويزوقوا
 العذاب الأليم . وهنا نظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان ، وكان الله عزيزاً حكيماً .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

علامات الاذن بالانصراف

قال أصحاب معاوية له : إنارعبا جلسنا عندك فوق مقصدار شهرتك ، فأنت تذكره أن
 تستخف بنا فذسرتنا بالقيام ، ونحن نكره أن نثقل عليك بطون الجلوس ، فلوجعلت لنا علامة
 نعرف بها ذلك ا

فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شئتم .

وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية . فقال : إذا قلت ، على بركة الله .

وقيل مثل ذلك لعبد الملك ، فقال : إذا وضعت الخيزرانة .

الاسلام والفلسفة

— ٤ —

أشرنا في الفصول السابقة لى رحوبة صدر الدين الاسلامى وتقبله التفكير الحر بشرف باسم وعياطلق ، بل أثبتنا أن مصدره الأساسى ، وهو القرآن الكريم ، قد أمر بالنظر والتأمل أسرا صريحا لاسبيل الى الشك فيه ، وأوجبهما على معتنقى الاسلام من غير استثناء ، وقلنا إن هذا الأمر بالتأمل مبزة فى الاسلام قد اختص بها وفاق فيها جميع الديانات الموجودة الآن بين أيدينا ، وأعجبتنا باللائمة القاسية على أولئك المقلدين من المصريين الذين اندفعوا وراء علماء أوروبا فى إثباتهم العداء بين الدين والفلسفة ، وقلنا لهم : إن كلمة الدين فى كتب الغربيين — لو تعلمون — معناها المسيحية .

ذكرنا كل هذا ثم أزمعنا أن نحلل بقدر المستطاع أشهر مشاهير فلاسفة الاسلام ، وأن نرد عليهم فيما أخطؤوا فيه الصواب فى رأينا ، منتهجين نهج الاسلام نفسه فى التسامح ورحوبة الصدر ما ستعلمنا الى ذلك سبيلا . وقد بدأنا فى الكلمة الماضية بالسكندى ، واليوم نحدث القارئ الكريم عن ثانى مشاهير فلاسفة الشرق وهو أبو نصر الفارابى أشهر شعبية الفلاسفة المنطقيين الذين سلكوا فى الاستدلال على وجود الله سبيل النظر والفكر وإليك هذه الشخصية البارزة :

الفارابى — نسبه — مولده :

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلخ بن طرخان الفارابى نسبة الى فاراب الداخلية ، وهى إحدى مقاطعات فارس .

ولد للفارابى من أب كان قائد جيش . ولا يعرف أحد تاريخ مولده بالضبط ، وإنما يظن أنه ولد حوالى سنة ستين ومائتين للهجرة . وقد استنتج هذا من أنه توفى فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان عمره ثمانين عاما .

عبارة :

لا يعرف المؤرخون شيئا عن طفولة الفارابي ، وهم يختلفون كذلك في شبابه ، فتارة يروون لنا أنه كان ناطورا في أحد بسائين دمشق ، وكان فقيرا معدما الى حد أنه كان لا يجد في منزله مصباحا يقر على نوره ، فكان يخرج الى الحراس ليستضي بمصابيحهم أثناء مطالعته بالليل . وتارة أخرى يحدوثنا أنه كان قاضيا ثم مال الى المعرفة ، فتنحى عن القضاء وانغمس في بحار الفلسفة والتصوف العملي . ويذكر هؤلاء المؤرخون أن السبب في ميله الى الحكمة هو أن رجلا أودع عنده بعض كتب « أرسطو » فقرأها فمال اليها وشغف بها ولم يستطع أن يقاوم هذا الشغف ، فمكف على دراسة الفلسفة . وسواء أصححت الرواية لأولى أم الثانية ، فإن الفارابي بعد هذا الشباب المجهول كان أشهر من الكوكب اللامع في سماء الدولة العربية ، متقلدا بين بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ، وكان من المحبوبين للمقرئين لدى سيف الدولة ، حتى أنه كان يجري عليه نعا كثيرة لا يتناول الفارابي منها إلا أربعة دراهم في اليوم . وكان يعيش عبثة التفتش والزهد ، ويتغذى بماه قلوب الحملان ويشرب الخمر الريحاني . ولما مات صلى عليه سيف الدولة في نهر من خاصته ، ودفن بظاهر دمشق .

دراسة .

انتقل الفارابي من مسقط رأسه وتعددت أسفاره من بلد الى بلد حتى أتى عصا التسيار في بغداد التي وجد فيها ما ينقع غلته ويروي ظمأه الى العلم والمعرفة . وكان حين نزل « بدار السلام » يعرف العربية والفارسية والتركية ، وقيل : إنه كان يعرف كذلك اليونانية والسريانية . وكان بهذه المدينة إذ ذك عالم جليل قد علا كعبه وذاع صيته في النطق والفلسفة وهو : « أبو بشر متى بن يونس » الذي انفرد من بين علماء بغداد بحسن العبارة ورقة الأسلوب ووضوح الفكرة والخلوص من تلك الالتواءات التي تؤدي الى غموض المعنى وتقلل الفائدة من المؤلفات ، فال فارابي الى الأخذ عنه

والتلذذ عليه ، وتأثر في كتابته فيها بعد بأسلوبه الساحر حتى جاءت كل مؤلفاته غاية في البسط والوضوح . ولا أحسب أن هناك سببا حل القاضي صاعدا على مهاجمة الكندي - إذا لم يكن متروضا أو متأثرا بأعدائه - إلا مقارنة كتبه المعقدة بكتب الفارابي الواضحة التي دفعت أحد علماء عصره إلى أن يقول ما نصه : « ما أرى أبانصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزالة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر » . وكان من أساذته في بغداد أيضا « يوحنا بن حيلان » الذي تلقى عنه المنطق وبرع فيه حتى ما ق جميع أهل عصره .

مؤلفاته :

كتب الفارابي نحو مائة وثمانية وعشرين كتابا ، في المنطق ، وما وراء الطبيعة ، وفي السياسة والاجتماع ، وفي شرح أغراض « أرسطو » وبيان مقاصده من كتبه والتوفيق بينه وبين « أفلاطون » وفي الرد على من هاجموا العلم الأول . وقد ذكر الففطلى وابن أبي أصيبعة هذه الكتب بأسمائها ، ونخص منها هذ بالذكر كتابيه الجليلين اللذين كتب أحدهما في إحصاء العلوم والثاني في بيان فلسفة « أفلاطون » و « أرسطو » . وسنورد لك هذ ما أشار به ابن أبي أصيبعة إلى هذين الكتابين حيث قال في جزء ٢ صفحة ١٣٦ نقلا عن القاضي صاعد ما نصه في وصف الكتاب الأول : « ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، لا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه » . ويلحق أحد المعاصرين على وصف ابن أبي أصيبعة لهذا الكتاب بما يأتي :

« ولكن هذا الوصف مبالغ فيه ، لأن ما جاء في الكتاب لا ينطبق على ما يقصد في وقتنا هذا من دائرة المعارف ، أو المعلمة كوضع أحمد تيمور باشا »

ولو أن لدينا الآن نسخة من هذا الكتاب لا استطعنا أن نحكم على هذين الرأيين المختلفين ، ولكن أين منا هذا والكتاب قد فقد وليس له إلا ملخص بسيط

في مكتبة « الأسكوريال » بمدريد ؟ إلا أننا مع ذلك نستطيع أن نجزم بأن ذلك الكتاب الأول ضروري لمن أراد أن تكون عنده ثقافة عامة ، بل لعل هذا الكتاب كان أساس وضع دوائر المعارف الأوروبية ، خصوصاً إذا علمنا أن الفرنجة لم يبتدئوا في وضع دوائر المعارف إلا بعد اطلاعهم على الكتب الشرقية . أما الكتاب الثاني ، فلا بد منه لمن أراد دراسة فلسفة هذين الحكميين . « أفلاطون » و « أرسطو » ، لأنه لا بد أن يكون قد أبان فيه مشربيهما وغايتيهما وطريقتيهما في التأليف ، وهذا نور لا يستغنى عنه طالب الفلسفة ، ولكن مع الأسف الشديد أن هذا الكتاب قد اندثر ولم يبق منه إلا وصف يحلب الحسرة والآلم دونه لنا ابن أبي أصيبعة يفيد أن هذا الكتاب كان يحوى بياناً كافياً للعلوم التي يجب أن يبدأ بها طالب الفلسفة كعمدات في حياته الفكرية . وبمد ذلك البيان كان يجد فيه الطالب بسطاً مسهباً لمستغنى « أفلاطون » و « أرسطو » حتى لا يتخبط في فهم مذهبيهما ، ولا يضل السبيل في الحكم عليهما . واليك هذا الوصف :

« وله كتاب في أغراض فلسفة « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر ونعرف وجه الطلب ، اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علماً علماً ، وبين كيف التدرج من بعضها إلى بعض شيئاً فشيئاً ، ثم بدأ بفلسفة « أفلاطون » فعرف بها وسمى تأليفه فيها ، ثم أتبع ذلك بفلسفة « أرسطوطاليس » فقدم له مقدمة جليلة عرف فيها بدرجة إلى فلسفته ، ثم بدأ بوصف أغراضه في تأليفه للنطقية والطبيعية كتاباً كتاباً حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة إلينا إلى أول العلم الإلهي في الاستدلال بالعلم الطبيعي عليه . ولا أعلم كتاباً أجدى على طالب الفلسفة منه ، فإنه يُعرف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلوم منها . ولا سبيل إلى فهم معاني « قاطيغوريوس » « المقولات » وكيف هي الأوائل للوضوعة لجميع العلوم إلا منه . »

ما بقى من كتبه :

وضع أحد المؤلفين المصريين إحصاء للكتب الباقية من مؤلفات الفارابي ، وهي تبلغ نحو أربعة وأربعين كتابا ، منها :

١ - التوفيق بين رأيي الحكميين : أفلاطون وأرسطو (مطبوع في مصر مع غيره) .

٢ - فيما ينبغي للاطلاع عليه قبل قراءة أرسطو (مطبوع أيضا) .

٣ - فصوص للسائل (مطبوع) .

٤ - رسالة في المنطق (خطية) بأوربا .

٥ - رسالة في القياس ، وهي خمسة فصول يحتاج إليها في المنطق (خطية) .

٦ - رسالة في ماهية الروح (خطية) .

والكتب الباقية غير هذه الستة اثنا عشر كتابا في المنطق متفرقة في مكاتب أوربا .
وثمانية مؤلفات في السياسة والأدب ، منها :

١ - مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة (طبع ليدن سنة ١٨٩٥) .

٢ - إحصاء العلوم (خطية في الأسكوريال) ولها ترجمة لاتينية ، وأخرى عبرية .

٣ - السياسة المدنية (طبع بيروت سنة ١٩٠٢) وتسعة كتب أخرى في مواضيع

مختلفة

فلسفة :

من المعروف أنه لم يكبد ينتهي القرن التاسع المسيحي حتى كانت الفلسفة العربية قد انقسمت في وجهة نظرها وفي طريق استدلالها على وجود الله واكتشافها أسرار الكون العام الى شطرين : طبعي ومنطقي . فأما القسم الأول ، فقد اعتمد في براهينه على مظاهر الطبيعة وما تشتمل عليه من خفايا وأسرار . وأما القسم الثاني ، فقد سلك في تفلسفه سبيل المنطق . ولما كان الفارابي من هذا القسم الأخير ، فقد وجب علينا أن نبين طريقته في الوصول الى إثبات وجود الله . وهالك سلسلة براهينه :

إن كل المعلومات الحاصلة في الذهن مكونة من تصورات محضة، وتصورات مع نسب، وتسمى: تصديقات. فأما التصورات فهي بديهية بسيطة لا يحتاج في فهمها إلى تفكير كتصور النور والظلام والوجود والعدم وهلم جرا. وأما التصديقات فهي معقدة بعض الشيء حتى سائطها وأوليائها، لأنها تستلزم النظر في أكثر من مرتبة. وعلى أي الأحوال، فإن العلم الانساني لا يخرج عن ذلك، إذ كل معلوم سواء كان موجودا أم معدوما لا يحصل في الذهن إلا على سبيل التصور أو سبيل التصديق. ولما كان كل ما يتناوله التصديق إما واجبا أو ممكنا، فالوجود بعضه واجب الوجود وبعضه ممكن؛ والمعدوم بعضه واجب العدم وبعضه ممكن، ولا يخرج شيء من المقولات التصديقية عن هذه الأقسام الأربعة. ولما كان بدء البحث في الإله يحتم علينا أن نقرضه في القسم الوجودي فقد لزم أن نستخدم النظر العقلي، لنرى من أي قسم هو من أقسام الموجودات، ولا يتيسر ذلك إلا إذا عرفنا ماهية كل من الممكن والواجب على حدة. فالممكن الوجود هو الذي لا يلزم من عدمه محال ما دام هذا العدم يستوى مع الوجود في الإمكان. وأما الواجب الوجود فهو الذي يلزم المحال من عدمه بالضرورة، لأن المحال والواجب تقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان. ولا يمكن أن يكون الباري من القسم الأول، لأن وجوده حين ذاك يكون قد رجع على العدم المساوي له في النية، والرجوع لا يكون بدون مرجع، وإذا أنزلنا هذا الرجوع منزلة الأول المرجوح واعتبرناه ممكن الوجود، لزم أن يكون وجوده الفعلي قد رجع على عدمه بمرجع، والمرجع يحتاج بدوره إلى مرجع، وهكذا نهوى في حضيض التسلسل الذي لا يتناهى وهو باطل.

وإذا كان إمكان الوجود قد اتفق عن الباري، فإن وجوب هذا الوجود يكون قد ثبت، وهذا الوجوب إما أن يكون بالذات أو بالغير. وإذا كان الثاني محالا، لأنه يفقدنا إما إلى كائن واجب الوجود لذاته، وحينئذ يكون هو الباري المفصود؛ وإما إلى

واجبات الوجود لغيرها بلانهاية، وهو باصل كما أسلفنا، فلم يبق إلا أن نجزم بأن الله تعالى واجب الوجود لذاته، وواجب الوجود لذاته لا يمكن أن يكون معلولا لغيره ولا ناشئاً عنه، بل يجب أن يكون هو الوجود الأول. وإذا ثبت هذا تحتم أن يكون منزهاً عن كل شوائب النقص والافتقار التي لا يبرأ منها. لممكن المعلوم لغيره كالمتغير والمعجز والصورة ومثاله.

وإذا ثبت هذا، لزم ضرورة أن يكون كل ما عدا الله فيضاً عنه ومخلوقاً له. هذا، وسنعالج بقية النواحي الأخرى من فلسفة الفارابي في المجلد الآتي، ولا سيما نظرية العقول العشرة التي كانت منشأ شهرته في محيط الفلسفة العربية، فإلى الملتقى مع

المركن نور محمد غريب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أدب الاعتناق

روى أبو بكر بن محمد قال حدثنا سعيد بن إسحاق قال: كنت جالسا عند مالك فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب. فقال مالك: رجل صالح صاحب سنة أدخلوه. فدخل، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سلام خاص وطام عبيك يا أبا عبد الله ورحمة الله. فقال مالك: وعليك السلام يا أبا عبد الله. فصاحه مالك قائلاً: يا أبا عبد الله لولا أنها بدعة لعانتك.

فقال سفيان: قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال مالك: عانق جعفر؟ قال سفيان: نعم. فقال مالك ذلك حديث خاص يا أبا عبد الله ليس لعام. فقال سفيان ما هم جعفر؟ يعني، وما خصه بمننا إذا كنا صالحين. أفناذن في أن أحدث وبعيلك؟ قال مالك: نعم يا أبا عبد الله. فقال سفيان: حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل بين عبيته، وقال: جعفر أشبه الناس في خلقه وخلقه.

الاسلام والمباحث النفسية الحديثة

جذبت حركة سرية في الاتجاه العلمي ، ونشأت من جرائها مذهب شتى ، بعضها يمس لدين مساً عتيفاً زلزل أقدام مداره لدين وحماه في أوروبا ، وبعضها يعرض الدين ويؤيده ، ويسر بعض نظرياته تفسيراً علمياً . وقد طرب الماديون عباد العباث إلى المذاهب الإلحادية وجبوا لعظمتهم وعديتهم ، وارتاح المتدينون — بعد تردد كاد ينقلب إلى معركة بين العلم والدين — إلى المذاهب المؤيدة للدين ، وإن سلكت في البحث مسلكاً يختلف مع مسلك الدين ، لأن الدين وحى من الله تعالى إلى صفوة من خلقه اختارهم ليكونوا سفراء لتبليغ شرائعه ، وتلك المذهب تقوم على الوقائع المحسنة والشواهد الملموسة ، والدلائل النظامية على حسب ما تواضع عليه أصحاب المذهب .

أما موقف الاسلام من هذه المباحث باعتباره ديناً سماوياً وشريعة إلهية ختم الله به الأديان فهو موقف الرقيب الناقذ ، فإذا رأى حقاً أسرع إلى احتضانه بين طيات نصوصه وقواعده ، وإذا رأى باطلاً تجنى عنه ورد به بالحجة الصادقة والبرهان القويم وإذا كانت النظريات لا تزال في طريق البحث فدأب الاسلام ألا يهجم على تصديقها أو تكذيبها . والقانون العام للإسلام في هذا تأييد سنن الله الكونية ، وكثير منها لم يصل إليه لانه . وقد شعرنا القرآن الكريم بهذا المعجز فقال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » وقال : « ويخاف ما لا تعلمون » وقد أيد العلم هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن ، فكان ذلك آية من آيات الله في تصديق القرآن الحكيم ، وبياناً لعظمته العلمية .

تسعت دائرة البحث الروحي ، وتدرجت مدارج مختلفة حتى أصبح الشغل الشاغل لكثير من الجمعيات التي تصم بين جنباتها أساطين العلم وعطاردات العلماء في القارتين الأوروبية والأمريكية ، وذعر الماديون من شبح هذه البحوث لأنها ستقضي على ما في أيديهم من مزامم كاذبة ، وآمن كثير منهم بأن وراء عالم المادة عالماً آخر ، ووقف

بعضهم في سفح الحيرة والتردد رغم مشاهداتهم لتجارب المداواة الوافمية، وقد قام بها فريق كانوا يدينون بالمادية، ولهم مقام ممتاز في المعارف، ودفعهم الى البحث في هذه الفنون إنكارهم الشديد على المشتغلين بها، وتصريحهم بأن كل ما وصل اليه الروحيون نتيجة غش و وهم أو تأثير عصبي، ولكنهم رأوا صوت الروحيين مرفوعاً فأزع ذلك الفزيولوجيين ونأهبوا لبحث هذا الموضوع بحثاً دقيقاً. وحسبنا أن نعلم أنه قد تألفت في لندره جمعية كبيرة ^(١) سنة ١٨٦٩ لفحص ما يذويه الروحيون، وقد كان أعضاء هذه الجمعية من مشهورى الطبيعيين أمثال الفيلسوف جون ليوك الانكليزى والفريد رسل ولاس مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى قبل « داروين »، وقد استمرت في بحثها عاماً ونصف عام، وكتبت تقريراً أثبتت فيه صحة هذه المشاهدات الخارقة للعادة، واقتنعوا بها تمام الاقتناع.

فهل تقبل روح الاسلام هذه المباحث إذا قامت الحجة على صدقها عند المسلم لفكر؟ اتفقت كلمة الأنبياء عليهم السلام، والحكماء، إلا شرفة الماديين، على وجود الروح الانساني، غير أن حقيقة الروح ظلت لغزاً عسر على الفكر حله، ومن ثم اختلفت أقوال الفلاسفة والعلماء فيها حتى نيفت على المائة قول، وترجع في جلها الى قولين: (الأول) تجردها عن المادة، واتصالها بالبدن اتصال تدير وتصرف لا اتصال حلول وانحداد، وهو قول « أرسطو » من القدماء، وحجة الاسلام الغزالي، والإمام نضر الدين الرازى، والراغب الأصفهاني، وجمهور الصوفية من الاسلاميين. (الثاني) عدم تجردها عن المادة، وهؤلاء اختلفت كلهم في تحديدها، فقال « سقراط » : إنها جسم حال في هذا الهيكل حلول الدهن في السمس وماء الورد في الورد. وقال تلميذه « أفلاطون » : هي حيلة غير قابلة للفناء محصورة في سجن فلان هو الجسد. ويقول سقراط قال إمام الحرمين وجمهور المتكلمين من المسلمين.

والقرآن الكريم ردّد ذكر الروح كثيرا، وأصرح نص ورد فيه عن الروح الانساني قول الله تعالى: «ويسألونك عن الروح فل الروح من أمر ربى». قال الغزالى: وفى الآية جواب مقنع كاف لمن علم «الأمر» على ما هو عليه، وذلك حيث جعل الروح من عالم «الأمر». وقال فى آية أخرى: «ألا له الخلق والأمر» فجعل خلق غير الأمر، والخلق هو التقدير، ويكون فى الأشباح الظاهرة التى تقع عليها المساحة والتقدير، وهى الأجسام وعوارضها. وعالم الأمر هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتعيز، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير، لانتفاء الكمية عنه. الروح الانساني على أى معنى فهمته له آثار ظاهرة وخواص عجيبة، فهو مرءاة لجميع المعارف الكلية بذاته والجزئية بواسطة الحواس، وله فى الأشياء تأثير يجعلها تنفعل أمامه، سواء كان للتأثر به من جنسه أو من غير جنسه كالأجسام، ويختلف التأثير قوة وضعنا تبعا لجوهر الروح فى أصل وجودها، فإذا كانت الروح قوية كان لها تأثير ظاهر فى الأرواح التى هى أضعف منها، وهذا التأثير قد يكون بمساعدة بعض الحواس وأقربها الى الروح «البصر» لأنه أطف الحواس، ونتيجة هذا الأثر لها مظاهر متعددة، منها ما سماه الشرع «العين» ومنها ما سماه «الحسد» وقد يكون منها ما يسمى عليها «التنويم». وقد يكون التأثير بلا مساعدة شىء من الحواس، ولا مقابلة لبعض الأجسام بل بتوجه الروح مباشرة الى روح أخرى. وقد أشير الى النوع الأول فى القرآن الكريم بقوله تعالى: «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم» ولكنه فقد شرط التنفعل، لأن المخاطب فى الآية الروح الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولواجتمع الانس والجن على أن يؤثروا فى روحه الكريمة ما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ويذكر بعض المفسرين أن بنى أسد اشتهروا بالعين، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام، فلا يمر به شىء فيقول فيه: لم أركاليوم مثله إلا عاه.

وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « المين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته المين » . قال القسطلاني : وقد أجرى الله المعادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتمسه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر اليه ، وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالمين ، وليست هي المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائنها وكيفياتها وخواصها ، فبما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال ، ومنها ما يكون بتوجه الروح .

وقد روى الامام احمد والبيهقي : أن عامر بن ربيعة نظر الى سهل بن حنيف فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، أي صرع وسقط على الأرض . وفي قوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد » تلميح الى النوع الثاني ، لأن الحسد إنما يؤثر في المحسود بتوجه روحه الى المحسود دون مقابلة واتصال ، وكلما كانت الروح قوية كان تأثيرها أشد كما قدمنا ، وربما وصل الى جذب بعض النفوس المغارقة . قال الامام خنفر الدين الرزى : « النفوس إذا فارقت لأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشاهدة لهذه النفوس المرتاحة في قوتها وتأثيراتها ، فإذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها ما يشابهها من النفوس المغارقة ، ويحصل تلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قاطنة من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتتقوى بأنوار تلك الأرواح على أمور حارقة غريبة » . وقال أيضا : « النفس إذا كانت مستعيلة على البدن كانت قوية التأثير في مواد هذا العالم ، فإذا أراد إنسان إجله النفس الضعيفة بحيث يتعمد تأثيرها من بدنها الى بدن آخر ألزمها الرياضة فتقوى لتأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية » .

إذا تأمل الباحث في النصوص المتقدمة كلها أخذ المعجب كل مأخذ ، لأنها

تكشف الغطاء عن آئاد الروح وجلالها، وتظهر مرونة الاسلام، وعناية علماء الاسلام بالبحث في أعوص مسألة شغلت فلاسفة العالم ودخلت في طور جديد . وقد اتسعت عقول المسلمين لأكثر من هذا مما يدخل في غور الفلاسفة الروحية ، فقد روى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في بعض أحواله : « انسلخت من جسدي فرأيت من أنا » . فلو أن جماعة من رجالات للعلم في معاهد الاسلام وأمصاره أقدموا على درس المباحث النفسية الحديثة والتنويم من الوجهة العلمية لوجدوا من دينهم وسيرة سلفهم نصيراً ؛ ولأدركوا فائدة جليلة لهذه الدراسة . قال أحد الباحثين من علماء القرب « التنويم المختلط يسى يثبت وجود الروح وحلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى مكتسية بالمادة » . وقال : العلامة بركس الجيولوجي الانجليزي . « إنا لندرس الآن من استحضار الأرواح ما كان قبل ألقى عام الشغل الشاغل للفلاسفة » .

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

صادق ابراهيم هرجوزي

فضل الفصاحة

حكى الله تعالى عن رسوله موسى عليه السلام «استبحاشه لعدم الفصاحة إذ قال : « وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فارسله معي ردأً يصدني »

أما العيوب التي تنافي الفصاحة فهي ما أحصاه محمد بن يزيد النحوي بقوله : التثنية في المنطق التردد في البناء ، والتأقاة التردد في الفاء ، والعقلة هي التواء اللسان عند إرادة الكلام ، والحبسة تعذر الكلام عند إرادته ، والتلف إضغال حرف في حرف ، والطمطمة أن يكون الكلام مشبهاً لكلام المعجم ، واللكنة أن تعترض عند الكلام اللغة الأعجمية ، واللثغة أن يعدل بحرف إلى حرف . والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنة أشد منها ، والترخيم حذف الكلام .

والرثة قد تكون غريبة ، ويقال إنها تكثر في أشرف الناس .

فلسفة الاخلاق

أسلفنا شطرا من الكلام عن المرتبة القصوى للانسان في الكمال ، وكيف أن النفوس الخيرة إذ طيعت بطائع من الحكمة سميت بذلك الى أعلى الأجناس من الكمال ، ثم تطلعت الى المستوى القدسي الذي تصبو اليه النفوس الشيقة الى المعرفة . والآن نحاول أن نعرض لبسط آراء جبهة من الفلاسفة الذين عالجوا قضايا علم النفس في مختلف مناحيها وما يمرض لها من تفاعل وما يلابسها من غاشيات الطبيعة ثم اشتغلوا بعد ذلك بالدعوة الواضحة الى تركيز الخلق وإنشاء صروحه في النفوس .

قسم الفلاسفة علم النفس الى شطرين : أولهما نظري ، وثانيهما عملي ، فإذا كمل الانسان بهما كما لا يرقم الى مرتبة النسخ الأخلاقي ، استأهل لأعلى الأجناس من السعادة وهو الظاهر بالحياتين . ولكماله لأول لا بد هو محتاج بادئ ذي بدء الى قوتين متقابلتين ، إحداها العاملة ، والأخرى العاملة . فالقوة العاملة هي التي يشتاق بواسطتها الى العلوم والمعارف ، فإذا حصلها كان في أمن من الخلط في الحس والخطأ في النظر ، فيصدق نظره وتصيح دويته وتستقيم بصيرته ، ثم ينتهي في العلم بحقائق الموجودات مرتبة ترتيبا نظريا الى العلوم الإلهية التي هي آخر مراتب العلوم ، فينق بهذا الحد الذي بلغه ، ويسكن اليه قلبه وتطمئن له عزيمته .

فإذا كمل الانسان هذا الكمال المرموق فتممه بفعله للنظم له ورتب القوى والملكات الكامنة فيه ترتيبا علميا ، كان خليقا أن يسمى عالم صغيرا ، ضرورة أن صور الموجودات كلها قد كسنت في ذاته فصار ممثلا لها على نحو من الأنحاء . ومن العجب العاجب أن يذهب فريق من الناس الى أن كمال الانسان وغايته هما في الذات الحسية ، وأنها هي الخير المرجو والسعادة العليا . ثم ظنوا أن جميع قواه الأخر إنما ركبت فيه لتكون موصلة الى هذه الذات ، وأن النفس الناطقة إنما وهبت له لترتب بها الأفعال ويميزها على نحو خاص

ثم يوجه نحو هذه الذات لتكون تلك الذات بالقياس الى الاستمتاع بها هي غاية للغايات، ثم تدرجوا من ذلك الى القول بأن قوى النفس الناطقة، وهي الذكر والحفظ والروية، إنما تراد لتلك الغاية، وعللوا تلك النظرية بأن الانسان حين يتذكر الذات ويتجه اليها بتلك القوى الثلاث بواسطة ما يحصل فيه من الماء كل والمشارب وما إليها، شتى إليها وأحب معاودتها، وإذا تكون منقمة الحفظ والذكر هي الذات وتحصيلها ليس غير. ولأجل هذه الظنون جعلوا النفس الخيرة كالعبد الميّن، وكالآجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية لتخدمها تحت سلطان الماء كل والمشارب وما إليها.

ويدهى أن الذات كلها إنما تحصل لمن قامت به بعد آلام تلحقه، لأن اللذة هي راحة من ألم، وأن كل لذة حسية إنما هي خلاص من ألم أو أذى، وإذا يكون كل من قنع بتحصيل اللذات البدنية وجمعها غاية راضيا بأحسن أنواع العبودية لأخص اللواتي، لأنه حينئذ يصير نفسه الكريمة التي يضارعها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التي يحاكىها الحشرات والهوام للمشاركة له في هذا القدر من الاسفاف. وقد عجب غاية العجب جالينوس من هذا الرأي الفطير، وكثير تبرمه بأصحابه. غير أنه حكى بشأن هؤلاء أن سيرتهم في الوري أسوأ السير وأخطأها، فكلموا وجدوا إنسانا هذا رأيه فصرره ونوهوا بشأنه وشتتوا بالدعوة اليه ليوهوا الناس بأنهم غير متفردين بهذه الطريقة، وهؤلاء الذين يفسدون الأحداث وأغرار الناس بإيهامهم أن الفضيلة هي ما تدعوم اليه طبيعة البدن من الملاذ، إذا قامت عليهم الحاجة الدامغة بأن تلك الفضائل الملكية إما أن تكون باطلة ليست بشيء البتة وإما أن تكون غير ممكنة لأحد من الناس، والناس مأخوذون بالطبع الجسماني بالميل الى الشهوات، فتكثر أتباعهم وتقل النبلاء فيهم، وأن هذه اللذات إنما هي لضرورة الجسد، وأن بدنه مركب من الطبائع المتضادة أعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، وأنه إنما يعالج بالماء كل والمشراب أمراضا نحدث به عند الانحلال لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا وأن علاج المرض

ليس بسعادة تامة ، والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض ، وأن السعيد التام هو من لا يمرض له سر مرض نفساني البتة . وقد عرف مع ذلك أيضا أن لللائكة الأبرار لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون إلى مداواتها بالأكل والشرب . عارضوه بأن بعض خواص البشر أشرف من الملائكة ، وأن الله تعالى أجل من أن يذكر مع الخلق ، وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شبهة ماطلة حتى يشك في صحة ما قبله لا دراكه وهداه عقله اليه .

والمعجب الذي لا يتقاضى هو أنهم مع رأيهم هذا إذا وجدوا واحدا من الناس قد اجتوى طريقهم التي يميلون إليها ، واستهان باللذة والتمتع وسام وطوى واقتصر على ما أنبت الأرض ، عظموه وأهلوه المراتب العلية ، ثم يذلون له غاية الذل ويمدون أنفسهم أشقياء بالإضافة اليه . والسبب في ذلك هو أنهم وإن كانوا من أفن لرأى وسفاهته على ما ترى فإن فيهم من كرائم القوى الثريفة المديرة وإن كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون إلى إكرامهم وتعظيمهم ، وهذا موضع الحيرة في تفهم آرائهم المتناقضة . ثم إن النفس من حيث هي كذلك تعرض لها قوى ثلاث : القوة البهيمية وهي أدناها ، والقوة السبمية وهي أوسطها ، والقوة الملكية وهي النفس الناطقة التي ليس وراءها مطلب . والإنسان إنما استحال إنسانا بفضل هذه القوى وهي النفس الناطقة . فأقبل الناس من كان حظه من هذه القوة أوفر . وإن أخس الناس هو من كان قليل العقل قريبا من البهيمية كالذين يقيمون في بعض أقاصي المعمورة ، وكسكان البوادي الذين ظلوا في جهالة عمياء لا يتنازرون عن الفردة إلا بصورهم ، وبهذا القدر الضئيل يستحقون أن يخضع عليهم لقب الانسانية ، فإذا أمسكوا بأسباب الانسانية المهدبة واختلطوا بالناس قسموا منهم عبر الثغافات المختلفة استطاعوا أن يوجدوا فيهم العالم المستنير والذي المذهب ثم هم بمدى تفاضلون بتفاضل بدائعهم حتى يبلغوا غاية ما يبلغه أولو النبل والفضل ، وليس قمة حالة للإنسان أعلى من تلك الحالة ما دام إنسانا .

هباس ط

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر قرونا الكرام أننا أنينا في السنة الماضية على ملخص مقالة المسيو أندريه هرفيه الفرنسي، نشرها في فرنسا وأتى فيها على شبهات ضد الاسلام، فرددنا في أعداد تلك السنة على ثلاث شبهات منها، ورأينا اليوم أن نتابع ردودنا على ما تبقى منها.

الشبهة الرابعة : قال المسيو أندريه هرفيه : « إن العلم العربي لا يعدو ما ترجمه السوربون للعرب ترجمة مشوهة، اتخذ بها المؤرخون ونسبوها للعرب زورا »

نقول : إننا أول ما وقع بصرفنا على هذه الشبهة كدنا لا نصدق صدورها عن كاتب في القرن العشرين، ليس لأنها تفعط المسلمين حقهم في حفظ العلم غصب، ولكن لأنها تنسب لجمهرة المؤرخين الانخداع في أمر لا يمكن فيه الخدع والانخداع البتة .

ذلك لأن العرب لما اندفعوا في تحصيل العلم محافزون من الاسلام لم يكن أمامهم من سبيل اليه إلا سبيل الترجمة ، فاستمعوا عليها بالنساطرة واليعاقية واليهود ممن يحدفون اللغات اليونانية والسريانية والسكندانية وغيرها، فكانوا كلما تمت ترجمة كتاب كتبوا عليه اسم مؤلفه ومترجه ، وأخذوا في تدارسه وتفهمه ، فاجتمع لديهم من هذه الكتب المترجمة عدد كبير ، فلم يرو عن أحد من العرب أنه نسب إلى نفسه كتابا من هذه الكتب ، ولا أخطأ مؤرخ عربي أو أجنبي فعزا واحدا منها إلى غير واضعه .

فإذا يعني إذ ذاك المسيو أندريه بقوله : إن المؤرخين اتخذوا بهذه العلوم المترجمة فنسبوها للعرب ؟

ليسح لي أن أقول : إنها لا تمنى شيئا، وإنما لا تستحق الرد لهذا السبب .

ولكن العرب بعد أن أحسنوا العلم بها وضعوا تعليقات وشروحا عليها ، وتفنيدات لبعض مزاعمها ، وتصحيحات لكثير من أخطائها . وهذه الثرات الفكرية لا يمكن الخطأ في نسبتها ، لأن أصول تلك الكتب التي ترجمها العرب لا تزال محفوظة في مكتبات

أوروبا بلغاتها الأصلية ، وهي غالية من تلك التعليقات والشروح والتعديلات العربية الباحث في الأوربيين ، وليس المسيو أندريه منهم ، فلاسفة وقفوا حياتهم على النظر في تلك الأصول فلم يثر واحد منهم على شيء اتعنه العرب لأنفسهم . فالتفرقة بين ما كان للأمم المنقول عنها ، وبين ما هو من صميم العقول الإسلامية ، ميسورة في كل وقت ، ولا يمكن الانخداع في أمر يتعلق بها .

هنا يسوغ لنا أن نسأل : هل زاد المسلمون على المعارف القديمة علوما جديدة ؟ وهل أكسبوا ما كان موجودا منها تحسينا لم يكن فيها ؟

الجواب على هذين السؤالين ليس بصعب ، فإلى أين لا نقل ما أجمع عليه المؤرخون ، وما أجمعا عليه لا يمكن أن يقابل بالاستخفاف من فرد يرسل القول إرسالا ولا يأتي على ما يقول بسلطان بين .

فإليك ما قاله تاريخ العلم على لسان الأستاذ الكبير (دوبر) المدرس بجامعة نيويورك في كتابه (النازعة بين العلم والدين) (١) :

« إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهد احتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية أي بعد موت محمد بست سنين . ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح . إلى أن قال :

« ولما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ إلى ٧٧٥) ميلادية ، نقل عاصمة للملك إلى بغداد وجعلها عاصمة خفة ، فلم يأل جهدا في نشر العلوم الملكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة .

« ولما تولى حفيده هارون الرشيد سنة (٧٨٦) م اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة إلى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه .

« ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الآسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون

(1) Les conflit entre la Science et la religion, Par le professeur Draper

الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٣) م، فلما جمل بغداد العاصمة العلمية المظلمة، وجمع اليها كتباً لا تحصى، وقرب اليه العلماء، وبلغ في الحفاوة بهم.

هذه المكانة التى اكتسبها العرب، وهذا الذوق السليم فى العلم، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام، فإن العباسيين فى آسيا، والفاطميين فى مصر، والأمويين فى اسبانيا، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فقط، ولكن كانوا كذلك فى الآداب والعلوم أيضاً.

« ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد الفريضة ويصقل الذهن، وقد فتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأم كلها مجتمعة.

« أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الأسلوب الذى ترخوه فى المباحث، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لا يودى الى التقدم، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها، ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العلمى الحسى.

« وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق. وقد يلاحظ الطالع لكتبهم المعبدة على الميكانيكا والايديوستاتيكا (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أو عيها) ونظريات الضوء والابصار أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات.

« هذا (تأمل) هو الذى قاد العرب الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصفيد والإسالة (إسالة الجوامد والتصفية الح).

« وهذا بعينه هو الذى جعلهم يستعملون فى بحوثهم الفلكية آلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب).

« وهو أيضاً الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته.

« وهو الذى هدام لعمل الجداول عن لاً وزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (هى جداول تعرف بها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند وهو الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات .
 « وهو أيضا الذى لم بهم لا اكتشاف علم الجبر ، ودعام لاستعمال الأرقام الهندية
 « هذا هو ثمرة تفضيلهم أسلوب أرسطو الاستدلالي على مقالات أفلاطون
 الاستنتاجية » الى أن قال :

« لقد كتب العرب فى كل فن وفى كل علم ، كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وترجم الرجال وتراجم الخيول والإبل ، وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر ، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية ، فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت الكتب تزاخر بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة ، كثيرة جدا فى الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وفواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية أهمها محمد أبو عبد الله » الى أن قال :

« كان الملك الاسلامى ينص بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المنول وللتتار وصرا كش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها » الى أن قال :
 « ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم (تأمل) قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا (تأمل أيضا) علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » الى أن قال :

« وإتنا لندهش حين نرى فى مؤلفات العرب من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر ، من ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يمتسب مذهبا حديثا ، كان يدرس فى مدارسهم ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه ، وذلك بتطبيقه على الجائحات والعاذن أيضا .

وقال المؤرخ الانجليزى الكبير (جيبون) :

« كان من أثر تنشيط الأمراء لتسمين للعلم أن انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة الى بين سمرقند وبخارى الى فارس وقرطبة » .

نقول بعد هذا أين تذهب شبهة المسيو أندريه هرفيه في وسط هذه الأئمة المشرقة اليها من تأكيدات مؤرخي العلوم الانسانية ونقبائها المعروفين ببعد النظر وشدة التحصيل ؟ فهل كان بينهم وبين العرب رابطة جنسية أو دينية أو لغوية حتى يمزوا اليهم ما ليس لهم ، ويحيطوا اسمهم بهذه الفتوحات العلمية التي لم تسجل لأمة قبلهم في الأرض ؟

إن كل ما عمله للمسيو أندريه بشبهته أن أند من جديد تاريخاً حافلاً بالمعظائم لأمة لم يوجهها هذا التوجيه المدني الخطير إلا لدين الذي يصمه بما ليس فيه ليلفت اليه نظرات الإعجاب به من جديد ، وإن كان يريد هو عكس ذلك . « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم لويل مما تصفون » . محمد فرير ومجدي

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون الى تفضيل المنطق : إنما بعثت الأنبياء متكلمين ، ولم يبعثوا صامتين . وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت . وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر . والبيان من الكلام هو الذي من الله به على عباده ، فقال : خلق الإنسان علمه البيان . والعلم كله لا يؤديه الى أوعية القلوب إلا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائمه وسامعه ، ونفع الصمت خاص لقاعله .

قالوا . وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم : الكلام في الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرفي الإمام مالك بن أنس .

صوت إذا ما الصمت زين أهله وفتاق أبكار الكلام الخنم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ونبتت له الآداب بالعمم والدم

وقال عمر بن الخطاب : ترك الحركة غفلة . وقال بكر بن عبد الله المزني : الصمت حرسة وقالوا : الصمت نوم والكلام يقظة . وقالوا : ما معنى نبي لا قصر ، إلا الكلام فانه كلما نبي طال .

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

الفرائض

عنى الدين الاسلامي بأمر الأسرة أيما عناية ، وأعطاهما من نظره السامى وتشريعہ الحكيم أوفر قسط وأوفى نصيب ، جاءها في كل نواحي حياتها بما يكفل سعادتها ويمتصها بوجود كريم . وإن من غير ما جاء به الدين الاسلامي خاصا بالأسرة نظم الموارث ، فقد شرعه الله تعالى لتألف الأسر وتناصرها ، ولذلك فصل الكتاب العزيز أحكامه ، وبين سهامه ، على نحو لا يحتاج الى تعمق في الحساب ولا التماس علل وأسباب ، فعبّر بالنصف والثلث ، والرابع والسادس ، ونحو ذلك ، تيسيرا على جمهور المكلفين ، ومراعاة لسواد المخاطبين . كل ذلك قطعا للتزاع بين الأسر ، وصونا لملاقات أفرادها أن تنهن أو يتسرب اليها الانحلال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلم ثلاثة وما سواها فهو فضل : آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة » يريدها العدل في القسمة بحيث تكون على السهام والأنصباء المذكورة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فنظام التورث في الاسلام من أدق النظم وأمرحها ، وأكملها بالنصفة وتحقيق العدالة . وهو موافق للحيلة الانسانية التي مظهرها العطف والحنو بين الأقرباء وذوى الرحم . تشهد بذلك كله الشرعون في القديم والحديث ، وعدوه من مبار الدين الاسلامي وسمو حكمته . وحسبك أن تقارن بينه وبين ما كانت عليه الأم قبل الاسلام ، وما عليه الام الأخرى الآن ، لتدرك الى أى حد بلغ نظام التورث في الاسلام من الدقة والإحكام وإذا نظرنا الى أسباب التوارث التي ورد بها الشرع وجدناها قائمة على ما ذكرنا .

فالسبب الأول وهو الرحم قد بنى على المناصرة الجبلية ، وهي لا نكاد نتفارق ذويها في كل ما ينوب ، لذلك كان أصحاب هذا السبب أقوى الوارثين ، وكانت مرتبتهم

أول المراتب . والأصل فيه قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم ، الآية .

أما السبب الثاني وهو الفكاح ثبناه المصاحبة للطبيعة ، واعتبارات أخرى بعضها خاص بالزوج ، وبعضها خاص بالزوجة ، وبعضها مشترك بينهما . فأما الخاص بالزوج فقيامه عليها بالنفقة وتمكينه إياها من ماله ، وذلك يؤديه إلى اعتقاد أن مازكته لزوجة بعض ماله ، فتتطلع نفسه إليه ، ونسهل عليه الخصومة من أجله ، فإذا لم يجعل له فيه حظ ، حزنّت نفسه ، واشتد غضبه . وأما الخاص بالزوجة فهو أنها مكلفة بالسكث في منزله مدة العدة ، والنفقة عليها حيثئذ من ماله ، وبما أن تعيين قدر خاص لذلك غير ممكن ، لعدم التحقق من قدر التركة ودرجة الزوجة ، وجب أن يكون ذلك جزءاً شائعاً . وأيضاً ربما جاءت بمن ينسب إليه ويكون من قومه وعشيرته لا محالة . ولما كان انصال الابن بالأم لا ينجزم ، كانت الأم داخلة قطعاً في تضاعيف آل الزوج . وأما المشترك بينهما فتوكيد التعاون في تدير سياسة المنزل ، وشعور كل منهما بأن نفع الآخر وضرره راجع إليه . والأصل في قوله تعالى : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ،

ونظرة واحدة في كيفية تقسيم التركات ، وصراعة درجات الورثة ، تزيد مقدار بعد نظر الدين الاسلامي وحرصه على تحقيق العدالة في أكمل أحوالها ، ذلك أن درجات الورثة تتعد باتحاد المراتب كالبنوة والذكورة ولانثوة ، وتختلف باختلافها . فإذا كان الوارثون ذكورا أو إناثا في درجة واحدة نساوا ، لعدم الترتيب ، وإن كانوا ذكورا وإناثا في درجة واحدة فضل الذكر على الأنثى . فإذا تعددت لمراتب حجب الأقرب الأبدد حجب حرمان نارة ونقصان نارة أخرى ، لأن الأقرب مظنة النفع ولماؤارة النفوة .

هذ والكلام في الميراث وأسراره طويل الذبول ، قلنكتف الآن بهذا مرجئين الكلام عن أسرار هذه الشرعة الحكيمة إلى الأعداد المقبلة . عيسى ط

تصحيح خطأ

وقع نظري على ما نشرته مجلة الأزهر في الجزء الثامن من المجلد السادس في نعي المغفور له الشيخ محمد نجيب وأنه امتحن سنة ١٢٩٣ هـ وقد سبقها الأهرام فذكرت أنه امتحن سنة ١٢٩٢ هـ

والحقيقة أنه امتحن ونال شهادة العالمية من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ هـ وكان أحد ستة، منهم الإمام الشيخ محمد عبده، وقد توفوا جميعاً، وكان فقيدنا الأخير أطولهم عمراً. وقد امتاز رحمه الله من بني أثرابه بكثرة الاطلاع والبحث، وقد ورث عنه هذه النحلة حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، فانه حفظه الله من يوم أن غادر مجلس الامتحان في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ هـ وهو ما كف في أوقات فراغه على البحث والاطلاع، فالرائر لفضيلته في داره لا يصادفه بغير كتاب في يده يقرؤه. زاده الله نعمة على نعمة! هذا ما أردت تسطيره تبياناً للحقيقة م

محمد علي القاضي العطاوي

الحياة الأدبية عند العرب

يذكر قراؤنا أن فضيلة الأستاذ الشيخ صادق مرجون كتب بحثاً تحت هذا العنوان في العدد العاشر فمقبتنا عليه بما يخالف ما ذهب إليه، فأرسل الينا بمقالة ثانية في الموضوع نفسه يؤيد بها وجهة نظره في المقالة الأولى، فرأينا أن نغفل نشره لأن الموضوع قد وفي حقه على كلا المذهبين، وقد نشرنا لحضرته مقالة في موضوع آخر يجدها القراء في هذا العدد.

لجنة الفتوى بالأزهر

ورئيسها الراحل

كان مقرراً أن تتعقد لجنة الفتوى بالأزهر في الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ٦ من ذي الحجة سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سنة ١٩٣٦ برئاسة فضيلة رئيسها المغفور له الشيخ حسين والي ، وما كادت تيزغ شمس ذلك اليوم حتى فوجئ أعضاءها كما فوجئ الناس عامة بنعي رئيسها العظيم ، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة ، حتى كان شبحها الجليل يعبر الطريق من منزله الى الأزهر الشريف محملاً فوق الأعتاق ، مشيعاً بقلوب مكحومة ، وزفرات حارة ، ودموع منهرة .

وإن أعضاء لجنة الفتوى الذين خبروا التقيد عن كتب ، فعرفوا فيه العلم الغزير ، والخلق الكريم ، والعقل الراجح ، والمكر الثاقب ، والجلد على البحث ، والشغف بالاطلاع ، والدقة في تلمس الحق ، لينثون حزنهم العميق على هذا المصاب الجليل .

وهم جميعاً يتقدمون الى الأمم الإسلامية كافة والى رجال العلم والأدب في أقطار الأرض ، والى أسرة الفقيد ، بإصدق العزاء ، ويسألون الله الكريم أن يأجرهم على مصابهم ، وأن ينعمده بالرحمة والرضوان .

واللجنة تتقدم بحالص الدماء وحزيل الشكر الى حضرة صاحب الخلافة الملك على ما مضى به أسرة العلم والدين في شخص فقيدها الكبير من عطف ورعاية ، كما تشكر جميع الذين تعضلوا بمواساة الأزهر في مصابه ، ضروعة اليه سبحانه أن يجزيهم عن عواطفهم نحو الدين ورجاله أحسن الحراء !
لجنة الفتوى

سكرتير لجنة الفتوى : فكري يس

إن أسرة مجلة الأزهر تشاطر لجنة الفتوى أساها الجليل على فقد رئيسها الكريم ، وتصرح بأنها فقدت في شخصه ركناً من أقرى أركانها ، ومرجماً من أوثق مرجعها . وإن القراء طامة والمسلمين كافة ليشاركوا في الشعور بهذه الخسارة الفادحة ، فقد كان الفقيد رحمه الله متحلياً بجميع سمات الاقطاب من أهل العلم : سعة اطلاع في تواضع ، وعمرة نفس في بشرة ، ووقوف مع الحق في مقاربة ، وقوة طارضة في أدب . وإن الذين اشتغلوا معه سواء في مجلس الشيوخ أو في هيئة كبار العلماء ، أو في المجلس الأعلى ، ايشمرون أنهم فقدوا نفقده شخصية ممتازة ، وقوة فعالة ، وبصيرة نافذة ، وعقلية متلألئة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منزلة الصالحين الطيبين عنده !

نفسية الرسول العربي

السور من الأول العالمي

إن الذين يقرءون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتأملون في خلاله وشأنه ، ويدركون جلالة الأعمال التي قام بها بتأييد من الله له ، يشعرون أنهم أمام شخصية عالية يريدون أن يقولوا فيها فيعجزم البيان ، ويرجون أن يوفوها حقها من الوصف فتضيق لديهم العبارات ، فهؤلاء يجدون في كتاب الأستاذ الجليل لبیب النشاشيبي المسمى (نفسية الرسول العربي) متفاسلاً لهم ، فيقرءون فيه ما كان يخالف صدورهم ولا يستطيعون التعبير عنه من عبارات الإكبار والإعجاب ، فهو شعر منشور ولكن ليس معتمده الحيال بل الواقع ، ومن الواقع ما هو أبعد أثراً في لذهن من الخيال ، وأشد وقفاً في النفس منه .

وقد قرضه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بكلمات بليغة حكيمة ، وضعها المؤلف في أولى صفحاته . وإنا لنسجل منه هذه العبارة القليلة الألفاظ الجليظة المعاني ، قال فضيلته :

« إن إخلاصك للحق والمسلم ، وتجرّدك من كل موروث من التقاليد والتقاليد ، هو الذي جعلك تخلص الإخلاص كله للنبي العربي صلوات الله عليه ، تلك فضيلة العلماء ، وخاصة الحكماء ، ولو أن الناس حافظوا عليها ، وجروا في البعث على منجها لقل النزاع وضائق دائرة الخلاف » .

وإنا لنكتفي بهذا القدر اليوم واعدن أن نمود إلى هذا الكتاب في فر من نرجو أن تكون قريبة لنوفيه حقه ، وننقل للقراء بعض ما أورده من آيات البيان ، في أسلوبه الساحر الفتان .

لباب الآداب

للأمير أسامة بن منقذ كتاب في الأدب موسوم بلباب الآداب وهو من صميم الأدب العربي ، جدير بأن يكون في كل مكتبة يعنى صاحبها باللغة العربية والعصاحة . ومما زاد في قيمته أن فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر القاضي بالهاكم الشرعية قد ملى به ، فمضبط كلامه بالشكل ، ووضح عليه تعليقات قيمة . وقام بطبعه لويس أفندي سر كيس طبعا متقنا ، فجاء الكتاب من أحسن الكتب الأدبية .

جمعية رعاية اليتيم

تأسست في سنة ١٣٥٢ جمعية في مصر الجديدة باسم جمعية رعاية اليتيم ، وقد أرسل إلينا قانونها فطلعنا عليه ، وعلنا منه أن غرضها كما يدل عليه اسمها « مساعدة اليتيم وتربيته ، ومساعدة الفقراء والمعوزين ولأرامل من المسلمين بمصر الجديدة وضواحيها » الخ . وبلى ذلك تفصيل لوجوه تلك المساعدة .
فنشكر لحضرات الفائين بها عملهم البار ، ونرجو الله أن يثبت أقدامهم ، وأن يثيبهم ثواب الصالحين .

شرح البردة وتشطيرها

للأستاذ البرصيري رحمه الله قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، اشتهرت شهرة لم تشاركها فيها قصيدة غيرها ، وهي حرة بهذه الشهرة . وقد قام بشرحها وتشطيرها أخيرا حضرة محمد أفندي رضوان أحمد وأهدانا بلسغة منها . فنشكره ونثنى عليه .

CHAPTER 21.

Animal dung must not be used
for Abstersion.

We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Zuhair, through Abu Ishâq, who stated that it had not been related by Abu 'Uбайдah but by 'Abdu-r-Rahmân b. Al Aswad,¹ through his father, who heard 'Abdul-lâh say .

" The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went out to the open to relieve his necessity, and ordered me to bring him three stones. I found two stones, and looked for a third but could not find it. So I picked up a lump of dry dung and brought them all to him. He then took the two stones and threw away the lump of dung saying : " This is unclean. " (2)

بَابُ : لَا يُسْتَنْجَى بِرَوْثٍ :

حدثنا أبو نعم قال حدثنا زهير

عن أبي اسحق قال ليس أبو عبيدة

ذكره ولكن عبد الرحمن بن الأسود

عن أبيه أنه سمع عبد الله يقول :

أَيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الْقَائِمُ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ

أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَاتَّمَسْتُ

الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَأَحْدَثْتُ رَوْثَةً

فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَتَى الرِّوْثَةَ

وَقَالَ : هَذَا رِثْسٌ .

1 The narrator prefers the authority of 'Abdu-r-Rahmân to that of Abu 'Uбайдah, as the former supplies an unbroken isnâd. (Al 'Aini).

2. In other versions any doubt suggested against Abu Ishâq's veracity is dispelled by tracing the hadith through Yûsuf, a fellow witness of Zuhair, and by using the formal « ذكره » instead of the casual « حدثني » thus he says :

« وقال إبراهيم بن يوسف عن أبي اسحق حدثني عبد الرحمن »

" When any of you micturatesh, let him on no account take his member in his right hand, nor use his right hand for abstersion, nor breathe into his drinking-vessel "

CHAPTER 20.

On Abstersion with stones

We are informed by Ahmad b. Muhammad Al-Makki, who had it from Amr b. Yahya b. Sa'îd b. Amr Al Makki, through his grandfather, through Abu Hurairah, who said :

" I once followed the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when he went out to relieve his necessity. He went on without looking round. (1) When I approached him he said : 'Fetch me some stones for my abstersion (or some word to that effect) but do not bring me any bones or animal dung (2) I therefore brought him some stones in the fold of my gown and placing them beside him, I left him. When he had finished he made use of the stones. "

« إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَأْخُذَنَّ
ذَكَرَهُ يَمِينَهُ وَلَا يَسْتَنْجِ يَمِينَهُ وَلَا
يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ » :

باب الاستنجاء بالحجارة :

حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا

عمر بن يحيى بن سعيد بن عمرو المكي
عن جده عن أبي هريرة قال :

« اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم
وخرج لحاجته، فكان لا يلتفت،
فدنوت منه فقال : أئبني أحجاراً
أسندفئض بها (أو نحوه) ولا
تأني بعظم ولا روث، فأئبته
بأحجار بطواف ثيابي فومعتها
إلى جنبه وأعرضت عنه فلما قضى
أئبته بهن »

1 As was his habit

2 of horses, mules or asses, which the Arabs may have used when dry and which the Prophet hereby condemns as unclean

CHAPTER 18.

On the prohibition of Absterion with the right hand

We are informed by Mu'adh b. Fadlāh who had it from Hishām (Ad-Dastawā'i), through Yahyā b. Abu Kathīr, through 'Abdullāh b. Abu Qatādah, through his father, who stated that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said

" When any of you drinketh, let him not breathe in the vessel, and when he relieveth his necessities, let him not touch his member with his right hand, nor use his right hand for absterion "

CHAPTER 19.

The member must not be held in the right hand in micturating.

We are informed by Muhammad b. Yūsuf, who had it from Al-Auzā'i, through Yahyā b. Abu Kathīr, through 'Abdullāh b. Abu Qatādah, through his father, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said :

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْأَسْتِنْجَاءِ بِالْيَمِينِ :

حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا

هشام هو الدستوائي عن يحيى بن أبي

كثير ، عن عبد الله بن أبي قتادة عن

عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

« إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا

يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ، وَإِذَا أُنِيَ الْخَلَاءُ

فَلَا يَمْسُ ذَكَرَهُ يَمِينِهِ وَلَا يَمْسَحَ

يَمِينِهِ »

بَابُ لَا يُمْسِكُ ذَكَرَهُ يَمِينِهِ

إِذَا بَالَ :

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا

الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن

عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن

البي صلى الله عليه وسلم قال

CHAPTER 17.

On carrying the iron-tipped staff ⁽¹⁾ together with the water for purposes of absterion

We are informed by Muhammad b. Bashshār, who had it from Muhammad b. Ja'far, who received it from Shu'bah, through 'Atā' b. Abu Ma'mūnah, who heard Anas b. Mālīk say :

" When the Messenger of Allāh went out to relieve his necessities, he and a lad used to carry a small skin of water and an iron-tipped staff. The water was intended for absterion."

(Likewise An-Nadr and Shādhān as fellow-witnesses with Muhammad b. Ja'far confirm this narration through Shu'bah.)

In Kuraimah's version the explanation of ⁽²⁾ is given as an iron-tipped staff³.

بَابُ تَحْمِيلِ الْعِزَّةِ مَعَ الْمَاءِ

فِي الْاسْتِنْجَاءِ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

ابْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ

أَبِي مَيْمُونَةَ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَدْخُلُ الْخَلَاءَ فَأَتَحِمِلُ أَبَاوُ غَلَامٍ إِذَا أَوَّ

مِنْ مَاءٍ وَعِزَّةٍ - يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ » .

(ثَابِتَةُ النَّصْرُ وَشَاذَانُ عَنْ شُعْبَةَ)

الْعِزَّةُ عَصَا عَلَيْهِ زُجْجٌ .

1 It is related that this staff was presented to the Prophet by the Negus, and may have been used partly to drive away wild beasts, partly to loosen the soil for sanitary reasons partly to stick in the ground during prayer in open country to warn anyone from passing in front and partly to lean upon. It was handed down to the four Orthodox Califs and preserved by Ibn-uz-Zubair until his death.

" Whenever the Prophet (Allāh bless him and give him peace) went out to relieve his necessities, I and a lad came to him carrying a small skin of water "

Abu-l-Wa'd adds that Anas meant that the water was for the Prophet to perform his absterion. "

CHAPTER 16

On one in whose company water is carried for his use in purification, and on the words of Abu-d-Dardā : " Is there not amongst you one who was the bearer of the Prophet's sandals, purification-water, and cushion ? " (1)

We are informed by Sulaimān b. Harb who was told it by Shu bah through Abu Mur'ād b. Mas'ūd namely 'Alā b. Abu Maimūnah, who heard Anas say

" Whenever the Messenger of Allāh went out to relieve his necessities, I and a lad of our people⁽²⁾ followed him carrying a small skin of water."

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَجِيءَ أَنَا وَعَلَامٌ مَعَهُ إِذَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » - يَقْنِي بِسَقَتْنِي بِهِ .

بَابُ مَنْ مَحَلَّ مَعَهُ الْمَاءُ لِطَهْوِهِ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ الثَّمَلَيْنِ وَالطَّهْوَرِ وَالْوَسَادِ ؟

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ عَنْ أَبِي مَعَاذٍ هُوَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ .

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ تَبِعْتُهُ أَنَا وَعَلَامٌ مِنْ مَاءٍ إِذَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » .

1 Al-Bukhārī's purpose in citing this hadith was to give an answer to those who maintained that the Prophet did not use water for this purpose, but stones

2 Abu-d-Dardā was a prominent Shāfi' and a judge in Damascus during the Caliphate of 'Uthmān . When he was asked by the people of Irāq for decision he used to reply : "Why ask a man like me, when you have among you 'Abdullāh b. Mas'ūd who bore the Prophet's sandals etc ."

3, Namely 'Abdullāh b. Mas'ūd [Al-Qastallāni]

when I saw the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) relieving his necessities with his back to the qiblah and his face to Syria."¹⁰

2. We are informed by Yaqūb b. Ibrāhīm, who had it from Yazīd b. Hārūn, who received it from Yahyā, through Muhammad b. Yahyā b. Habbān that he was told by his paternal uncle Wāsi' b. Habbān that 'Abdulāh b. 'Umar informed him saying

" I remember clearly that I went up one day on to the roof of our house, when I saw the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks² with his face towards Jerusalem. "

CHAPTER 15

On Abstersion by means of water

We are informed by Abu-l-Walīd Hishām b. 'Abdul Malik, who had it from Shurbah, through Abu Murādh named 'Atā' b. Abu Maimūnah, who heard Anas b. Mālik say .

لَبِئْسَ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا يحيى بن محمد بن يحيى بن حبان أن همام بن حبان أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره قال :

وَلَقَدْ ظَهَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِنَا فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا عَلَى اِثْنَيْنِ مُسْتَقْبِلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

بَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ :

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال : حدثنا شعبة عن أبي معاذ وأسمه عطاء ابن أبي عيسى قال سمعت أنس بن مالك يقول .

¹ Presumably the Prophet was in the courtyard in an open privy. The purpose of his hadith is to show that after the introduction of privies into houses, it was no longer necessary for women to go out for sanitary reasons.

2. -to relieve his necessity

the veil verses ⁽¹⁾

2 We are informed by Zakariyyā, who had it from Abu Usāmah, through Hishām b. ‘Urwah, through his father, through ‘A’ishah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said to his wives :

“ It hath verily been permitted unto you to go out⁽²⁾ for your needs ”

(Hishām explained that by ‘needs’ is meant ‘natural necessities ’)

اِرْجَابٌ ۖ فَاَنْزَلَ اللّٰهُ آيَةَ الْاِحْجَابِ .

حدثنا زكرياء قال حدثنا أبو أسامة

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قد أُذِنَ أَنْ تَخْرُجْنَ فِي حَاجَتِكُنَّ »

قال هشام : يعني البراءة .

CHAPTER 14.

On relieving necessities in houses.

1. We are informed by Ibrāhīm b. Al-Mundhir who had it from Anas b. ‘Syād, through ‘Ubaidullāh, through Muhammad b. Yahyā b. Habbān, through Wāsi’ b. Habbān, through ‘Abdu llāh b. ‘Umar, who said :

“ I went up on to the roof of Hafsa’s house for a personal reason,

بَابُ التَّبَرُّزِ فِي الْبُيُوتِ :

حدثنا ابراهيم بن المذحر قال حدثنا

أنس بن عياض عن عبيد الله عن محمد

ابن يحيى بن حبان عن واسم بن حبان

عن عبد الله بن عمر قال :

« اِرْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ

1. There are three possible renderings of احجاب

a. Covering the face (Surah 33, v 59), b. Speaking to men from behind a screen (Surah 33, v 53) c. Confinement to the house except in the case of legal necessity, in which case the whole person must be veiled (Surah 24, v 31) This is one of the eleven cases where the revelations in the Qur’ān confirmed ‘Umar’s views (See Al-Qastallānī)

2 ‘Umar was in favour of complete seclusion of the Prophet’s wives, and even after the first revelation of covering the face, he was not satisfied. On another occasion when Saudah had gone out veiled, ‘Umar recognised her by her height and shouted out

« يا مودة ! أما والله ما لعنني منيب » O Saudah, say, by Allāh thou canst never disguise thyself from us. When she returned and told the Prophet about it, the revelation here referred to was sent down (Al-Qastallānī)

CHAPTER 13.

On women going out to relieve their necessities

1 We are informed by Yahyā b. Bukair, who received it from Al-Laith, who had it from 'Uqail, through Ibn Shihāb, through 'Urwah, through 'A'ishah that :

The wives of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to go out at night when they relieved their necessities, to Al-Manāsir which is an elevated open space. Umar had told the Prophet (Allāh bless him and give him peace) to keep his wives indoors, but the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) did not do so. Saudah bnt Zamrah, a wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) went out one evening in the dusk. She was a tall woman, and so Umar called out to her : " Ho there ! Saudah, we have recognised thee." He did this because he was eager for a revelation enjoining the seclusion of women; and in fact Allāh did subsequently send down

بَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْبَرَازِ :

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا

الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب

عن عروة عن عائشة .

أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا

تَرَزَّنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ صَعِيدٌ

أَفِيفٌ ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْبُثْ نِسَاءَكَ ، فَلَمْ

يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَفْعَلُ .

فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْرَةَ

زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً

مِنَ اللَّيْلِ عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً ،

فَنَادَاهَا عُمَرُ هَ أَلاَ قَدْ عَرَفْنَاكَ

يَا سَوْدَةَ هَ حَرِّصَا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ

" Some people⁽¹⁾ say that if thou relievest thy necessities squatting, face not the qiblah, nor Jerusalem, well, (added 'Abdullāh b. 'Umar) I once went up on to the roof of a house of ours, and I did see the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks to relieve his necessity whilst facing Jerusalem "

Ibn 'Umar then said to Wāsi' :
" Perchance thou art one of those that perform their prayers *resting* on their thighs ! " Wāsi' replied : " By Allāh, I am not conscious of it. " ⁽²⁾

Expounding

« مِنَ الَّذِينَ يَسْلُونَ عَلَى أَوْرَاحِهِمْ »

Malik said : It meant one that performeth his prayers without raising himself from the ground — making his prostrations *with the limbs touching the ground.*³

إِنْ نَاسًا يَقُولُونَ : إِذَا قَعَدْتَ
عَلَى حَاجَتِكَ فَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا
بَيْتَ الْمَقْدِسِ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرَّةٍ :
أَقْدَارُ تَقِيْتُ يَوْمًا عَلَى طَهْرٍ بَيْتَ لَنَا
فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى لَبَدَيْنِ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ
لِحَاجَتِهِ ،
وَقَالَ : لَمَّا لَكَ مِنَ الدِّينِ يُصَلُّونَ
عَلَى أَوْرَاحِهِمْ ، فَقُلْتُ : لَا أَذْرى وَاقِهِ
قَالَ مَا بَكَ : يَمْنَى الَّذِي يُصَلِّي
وَلَا يَرْفَعُ عَنِ الْأَرْضِ - بِسَجْدَةٍ
وَهُوَ لَا يَصِقُّ بِالْأَرْضِ .

1 Such as Abu Hurairah and Abu Ayyūb Al-Ansārī who held the principle of general prohibition

2 According to Muslim, Ibn 'Umar saw Wāsi' praying in the Mosque, and thought he was making his prostrations incorrectly. He appeared to be allowing his abdomen to touch his thighs and his forearms to lie along the ground, instead of keeping his trunk and arms clear from the ground, his elbows spread outwards and knees apart. The sunnah prescribes that only the hands, forehead, nose, knees and toes must be in contact with the ground.

It would appear that Ibn 'Umar was under the impression that Wāsi' had adopted that attitude in prostration in order to prevent the pudenda from obtruding in the direction of the qiblah, thinking that just as it was prohibited to face the qiblah while relieving necessities, so it would be to obtrude the parts in prostration. Hence Ibn 'Umar's remark, which was intended to convey to Wāsi' the principle that just as walls and buildings were an effective screen from the qiblah in the case of relieving necessities, so were clothes in the case of prostration in prayer (See Ibn Hajar Vol. I p. 175, Cairo, 1319 A. H.)

‘Atâ b. Yazîd A. Laithi, through Abu Ayyûb Al-Ansârî, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

“ When any of you goeth to the draught, let him not face the qiblah, nor turn his back to it ; turn ye ⁽³⁾ to the east or to the west . ”

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْعَائِطَ فَلَا

يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يُؤَلِّمُهَا ظَهْرَهُ »

شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا . »

CHAPTER 12

On him who when delegating is seated resting on his haunches upon two mud-bricks

We are informed by ‘Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Sa‘îd, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân, through his uncle Wasîr b. Habbân, through ‘Abdullâh b. ‘Umar that he used to state that :

بَابُ مَنْ تَوَرَّأَ عَلَى لَبَتَيْنِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا

مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :

3 Here the Prophet changes from the third person to the second as he is directing the last remark to the Madrites, which is naturally valid for all worshippers on the same longitude. The exception mentioned in the heading was not accepted by Abu Ayyûb the narrator of this hadith who takes the prohibition to be general. In the "Talwih" we find that Abu Ayyûb says :

« فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرِاحِيضَ قَدْ بُنِيَتْ بِحُجْرِ الْكُفَّةِ فَكُنَّا نَحْرُفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ »

"We came to Syria where we found the privies built facing Makkah, so we turned as do from them and asked forgiveness of Allâh." This is confirmed by Mâlik's hadith as well as by ‘Atâ's. Abu Hanîfah adopts this view while Ash Shâfi‘ and the others consider that it is mainly intended for the desert or open spaces. This principle has influenced the architectural disposition of mosques and houses in Muslim countries.

CHAPTER 10.

بَابُ وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ :

On placing water by the privy

We are informed by 'Abdullāh b. Muḥammad who had it from Ḥaṣḥam b. Al-Qāsim, who received it from Warqā', through 'Ubaldu āh b. Abu Yazīd, through Ibn Abbās that

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once entered the privy and I placed water by it for his wudū'. When he asked who had put it there and was told who it was he said : " O Allāh, grant him ⁽¹⁾ a deep knowledge of the Faith."

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا

هشام بن القاسم قال حدثنا ورقاء عن

عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأَخْبِرَ، فَقُلْتُ : « اللَّهُمَّ فَتِّهِ فِي الدِّينِ » .

CHAPTER 11.

بَابُ : لَا تُسْتَقْبَلُ الْقِيَمَةُ بِغَائِطٍ

أَوْ بَوْلٍ إِلَّا عِنْدَ الْبَيْتِ : جِدَارٍ أَوْ نَحْوِهِ :

حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب

قال حدثنا الزهري عن عطاء بن

يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري

The Qiblah⁽²⁾ must not be faced in defecating or micturating, unless there be an *intervening* building—a wall or the like. ⁽³⁾

We are informed by Adam who had it from Ibn Abu Dhikr, who received it from Az-Zuhri, through

1. Ibn Abbās was only a boy at the time, and the Prophet felt that his evident intelligence and consideration deserved that he should have the deepest instruction in the Faith. The prayer was answered as Ibn 'Abbās afterwards became one of the greatest faqīhs of Islam.

2. Any side of the Ka'bah which worshippers face all over the world.

3. Such as rocks, hills and mountains.

which thou mayest bestow upon us ,
and if it is foreordained that a child
be born to them, Satan cannot harm
it . "

وَجَنَّبَ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقَنَا - فَتَمَيَّ
بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ .

CHAPTER 9.

On what a person should say
when about to enter the privy

We are informed by Adam, who
had it from Shu'bah, through 'Abdul-
Aziz b. Suhaib, who heard Anas say

The Prophet (Allāh bless him
and give him peace) on entering the
privy used to say: " O Allāh, I take
refuge in thee from demons male and
female. " 1)

(Likewise Ibn 'Arrarah as fellow-
witness with Adam confirms this
narration through Shu'bah and while
Ghundar reports through Shu'bah " on
reaching the privy " Mûsa reports
through Hammād : " on entering ' ,
and Sa'd b. Zaid states that he was
informed by 'Abdul-'Aziz ; * when
about to enter ")

بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ الْخَلَاءِ .

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن
عبد العزيز بن صهيب قال سمعت أنسًا
يقول :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْغَبَائِثِ »
نَابِغَةُ ابْنِ عُمَرَ عَنْ شُعْبَةَ ، وَقَالَ
عُمَرُ عَنْ شُعْبَةَ « إِذَا أَتَى الْخَلَاءَ »
وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ « إِذَا دَخَلَ »
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ
« إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ » .

1 If the masdar خُبُث is read فَخُبُث plural of خُبٌّ the translation of the phrase will be
" abomination and iniquities. "

took another scoop of water and poured it out slowly over his right foot up to the ankle, until he had washed it; he did likewise for the other foot, that is, his left foot.

When he had done this he said " Thus have I seen the Messenger of Allāh perform his wudū' "

الْيَمْنَى يَمْنَى غَسَلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ غَرَفَةً
أُخْرَى فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، بِمَنْعَى
الْيَمْنَى.

ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ.

CHAPTER 8.

On uttering the basmalah (1) in all conditions, (2) even during copulation (3)

We are informed by 'Alī b 'Abdullāh, who had it from Jarir through Mansūr, through Sālim b 'Abu-Jar'd, through Kurāib through Ibn 'Abbās who traces (4) to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) the following saying :

" If each of you when he hath intercourse with his wife saith : ' In the Name of Allāh, O Lord, keep Satan away from us and from that

بَابُ التَّسْبِيحِ عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَعِنْدَ الْوُقُوعِ :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ
عَنْ مَنصُورٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ
عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَنْعٍ بِهِ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَى أَهْلَهُ
قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ أَلْهِمَّ جَنَّتْ لَشَيْطَانٍ

1. I.e. the formula (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) " In the Name of Allāh the All-Loving the Most Merciful "

2. I.e. whether in conditions of ritual purity, impurity or defilement by sexual intercourse.

3. A condition which would naturally be expected to be most remote from religious feeling, and which according to Muhammadian Tradition should be associated with silence.

4. Kurāib here is not certain whether Ibn 'Abbās had the hadith directly from the Prophet or from a contemporary Companion who received it from the Prophet.

CHAPTER 7

On washing the face with both hands *taking the water at one scoop.*

We are informed by Muhammad b. 'Abdu-r-Rahim, who had it from Abu Salamah Al Khuz'ari Mansûr b. Salamah, who received it from Ibn Bilâl—to wit Sulaimân—through Zaid b. Aslam, through 'Atâ b. Yasâr through Ibn 'Abbâs that the last-named performed his wudû' as follows :—

He *first* washed his face taking the water at one scoop with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils ; again taking up a scoop of water with one hand he acted thus , he joined it to the other hand and washed his *whole* face with both. He then took another scoop of water with which he washed his right hand *up to the elbow* , then taking up another scoop of water he did likewise with his left hand, he then stroked part of his head¹. After that he

بَابُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْيَدَيْنِ مِنْ عَرَفَةٍ وَاحِدَةٍ

حدثنا محمد بن عبيد الرحيم قال أخبرنا أنوسمة الحرأعي منصور بن سلمة قال أخبرنا ابن بلال يعني سليمان بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس : أنه نوصاً فغسل وجهه ، أخذ عرفة من ماء فغسل بها واستنشق ، ثم أخذ عرفة من ماء فجعل بها هكذا : أضافها إلى يده الأخرى فغسل بها وجهه ، ثم أخذ عرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ، ثم أخذ عرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ، ثم مسح برأسه ، ثم أخذ عرفة من ماء فرش على رجليه

* من روى قصة من الماء ثم غسل يده =
¹ After taking up a fresh scoop of water and shaking it off his hand. He also mentions the moistening of the ears

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was returning from Arafah, and when he reached Ash-Shub⁽¹⁾ he alighted, micturated and then performed his wudū, but without doing it thoroughly. ' Shall we pray, O Apostle of Allāh?' asked I. ' Prayer will be made further on',⁽²⁾ replied he. He then remounted, and when he came to Al-Muzdalifah⁽³⁾ he alighted and performed a thorough wudū. The prayer was then called⁽⁴⁾ and he performed the sunset prayer, after which each man made his camel kneel at the spot where he alighted. Then the iqāmah was called for the evening prayer, which the Prophet performed making no other prayer between these two.⁽⁵⁾

دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّعْبِ
زَلَّ قَبْلَ ثَمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسَيِّغِ
الْوُضُوءَ ، فَقَالَ : « الصَّلَاةُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » فَقَالَ : « الصَّلَاةُ
أَمَامَكَ » فَرَكِبَ فَلَمَّا حَانَ لِمُرْدَلِفَةٍ
زَلَّ فَتَوَضَّأَ فَأَسَيَّغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ
أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ
أَنَآخَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَبْرَةٍ فِي مَنَازِلِهِ ،
ثُمَّ أُقِيمَتِ الْعِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ
بَيْنَهُمَا .

(1) A mountain track familiar to the pilgrims

(2) This incident has formed the precedent for the pilgrims returning from Arafah making no prayers until they reach Al-Muzdalifah

(3) A place between Arafāt and Minā.

4. اِقَامَةٌ (iqāmah) the call to "rise" to prayer from the sitting posture in the mosque, as distinct from the اِدْهَان (adhān) which is the first general call made by the muezzin from the minaret, or an elevated place within the mosque

5 It is to be noted that here the sunset and the evening prayers were combined owing to the exigencies of travel, and in order that the proper sequence should be maintained, no supererogatory prayers were made in the interval. It is also evident that an 'iqāmah' was required for each prayer while a single "adhān" sufficed for both. As regards making the camels kneel in the interval, which was done to eliminate their noise, the continuity of the prayers was not held to be broken as the men did this in silence

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمستاد ابراهيم محمد اوجي

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION
(Continued)

CHAPTER 6

On the thorough performance of
the wudû.

And on the words of Ibn 'Umar:

" The thorough performance of the
wudû consisteth in perfect cleansing.

We are informed by 'Abdullâh
b. Maslamah, through Mâlik, through
Mûsa b. 'Uqbah, through kuraib, he
freedman of Ibn 'Abbâs through
Ushamah b. Zaid that he heard the
last named say :

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

بَابُ اسْتِغَاغِ الْوُضُوءِ ،

وقال ابنُ مَحْمَرٍ : « اسْتِغَاغُ

الْوُضُوءِ الْإِنْمَاءُ » :

حدثنا عبد الله بن مسامة عن مالك

عن موسى بن عقبة عن كريب مولى

ابن عباس عن مسامة بن ربيعة أنه

سمعه يقول :

كل نفس زائقة الموت

لو كان لنفس بشرية أن تخلد في هذا العالم بقوة إرادتها، ومضاء عزيمتها، وعزة سلطانها، لكان للملك فؤاد واحدا من أفراد خالدين. ولكن الله خلق هذا العالم لأرضى وجهه ممرا إلى عالم أصرع جنابا، وأوسع رحابة، وأقرب إلى حقائق القدس أسبابا، وأكرم لأهل الكمالات مستقرا وما آبا، وما مات من خلف وراءه دويا بملأ الجواء، وذكرا تخطيه الأرجاء، ونورا تستهدي به الأحياء، وسيرة ترسم خطواتها القادة والأعالياء، وشيلا يحيي آثاره وزيدتها لأفلاء.

فلم يمت الملك فؤاد، ولكنه ارتقى من عالم البقاء، إلى عالم البقاء، ومن مواطن العمل إلى مواطن الثواب والجزاء: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنصيبينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

إن للملك الرحل، جعل الله الرقيق الأعلى مثواه، من المآثر أميرا ومليكا، ما لا يستقصيه إحصاء، ولا يستوعبه تعداد، فلذا شيعته اليوم مصر إلى حيث من تقدمه من الملوك الأخيار، والعيال الأبرار، فلنما تشيع نفسا بعثت الحياة إلى نفوسها، وإرادة نفتت روح القوة في إرادتها، وعظمة أشعتها بسر عظمتها، فهي ليست مدينة له بما أحدث فيها من ضروب الإصلاح ما لا عهد لها به من قبل فحسب، لكنها مدينة له أيضا بما هو أرفع من ذلك: بالشعور بوجودها، وبكرامتها، وبحقها في الحياة العزيزة القوية. ولقد تأثرت كل طائفة من مصر بحظ من هذا الشعور، وهو قوام وجودها، وباعت ارتقائها، ولعل الأزهر من أكثرها حظا منه، فقد استوى الملك

الراحل على أريكة الملك وهذه الجامعة مفككة الأوصال ، منحلة الأواخي ،
تسير نارة الخبزلى ، وترتد تارات القهقري ، وقد أعيادواؤها نطس الأساة واستمعصى
قيادها على الهداة ، فأمدها من عنايته بنصيب موقور ، وما زال يواليها الرعاية حتى
تمائلت من علتها ، ولكن العلل المزمنة ، تخلف ضعفا لا يحيص من تركة للزمن ينفيه
يسير ايسيرا ، فلما آتس منها القوة على النوب الى غاياتها ، أسند رعايتها لإمام المجددين
فى هذا العصر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وما كاد الملك يدعى الى جوار ربه حتى رأى
بميينه هذه الجامعة تحت القيادة الحكيمة التى منحها إياها تنبوا مكانها من حظيرة
الجامعات الكبرى ، لا نقول بالغة الغاية من رقيها ، ولكننا نقول سائرة الى تلك الغاية
بخطى سرلعة لا نقول متزنة .



وبعد فلو أردنا أن نحصى ما للملك الراحل العظيم من الأثر البليغ فى جميع مرافق
الحياة الأدبية والسادية فى مصر لما استعلمنا الى ذلك سيلا .
وقد ختم ، أكرم الله وادنه ، ورفع مكانته ، أعماله الجليلة البارزة وفق اليه
من إهداء الأمة يورث خلاله العظيمة وسجاياه الكريمة ، صاحب الجلالة الملك
« فاروق الأول » ، جعل الله عهدهم مقرونا باليمن والإقبال ، وأيامه حافلة بيجلائل الأعمال ،
وأمد فى عمره حتى يرى أمته فى مصاف الأمم الكبرى ، نحقيقا لفرض آباءه العظام
من قبل وإن هذه الأمة التى أخلصت لهم الولاء ، لتعاهد الله على أن تخلص لجلالته ،
ونسترشد بهدايته ، ونقيم بطاغته .

نبذة من تاريخ الملك الراحل

ولد صاحب الجلالة أحمد فؤاد الأول في ٢٦ مارس سنة (١٨٦٨) فهو تاسع من تولى الأريكة المصرية من سلالة موجد مصر محمد علي الكبير. وهو بن اسماعيل خديو مصر العظيم، عني بتريسته وتثقيف عقليته، فألحقه بمعهد توديكوم بجنيف فنال منه حظا من الثقافة استعده به أن يعق بالمعهد العلمي ادولى بنورينو من إيطاليا. وفي سنة ١٨٨٥ أى لـ بلغ الثامنة عشرة أدخله والده الى الكلية الحربية في تلك المدينة، وتلقى بمد ذلك دروسا في مدرسة المدفعية. ولما تخرج عين ملازما في حامية روما. وفي سنة ١٨٩٥ نذبه سلطان تركيا ليكون ملحقا عسكريا في السفارة العثمانية في فيينا.

ولما حضر الى مصر، ونمت عليه ثقافته العالية، أخذ العاملون على النهضة الحديثة يسندون اليه رعاية المشروعات العلمية، ولؤسسات الخيرية، فأسند اليه القائمون بأمر الجامعة المصرية رعايتها، فكان روحها المدير، وعقلها المفكر، حتى أزهرت وأثمرت وضمت الى وزارة المعارف. وعهدت اليه رئاسة اللجنة المصرية التي ألفت لإسعاف منكوبي صقلية سنة ١٩٠٩ فكان عند ظن الناس به. وفي سنة ١٩١٠ ألفت مقاليد جمعية الإسعاف اليه، فكان لها مصدر يمن وإقبال. وفي سنة ١٩١٦ رجاء الجنرال مكسويل أن يأخذ جمعية الهلال الأحمر تحت رعايته، فكان أثره فيها أكبر الآثار. ومن أعماله الكثيرة لإصلاح المجتمع المصرى وهو لإزالة أميرا، لإنشاء مشغل الصناعات اليدوية في اسكندرية لتعليم بنات الطبقات الفقيرة صناعات يستمن بها على كسب القوت، فاثبت هذا المشغل أن نما وامتد حتى ضم المئتين من البشات.

أما أعماله في الدولة المصرية وهو ملك فلا يكنى فيها أقل من مجده ضخمة، فإن كل

ما يتجلى في مصر اليوم من تجديدات إدارية واقتصادية وعلمية وقضائية ودستورية تمت في عهده في وسط صعوبات من ضروب شتى كان يزيلها بسداد رأيه وحسن تديره .
وكان إسلامه روحه الكريمة يوم الثلاثاء السابع من صفر سنة ١٣٥٥ الثامن والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٣٦ واحتفل يوم الخميس بدفن جثمانه الطاهر في مقابر الأسرة المالكة بجوار مسجد الرفاعي . جعل الله متواه في عليين ، وأطال الله بقاء نجله العظيم صاحب الجلالة « فاروق الأول » وأمتع بوجوده شعبه الأمين .

محمد فريد وهدي

مَجْمُوعَةُ تَرْجُمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهَا

في مناسبة شروع مشيخة الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى أشهر اللغات الأوروبية حفظاً لتلك المعاني السامية من تفويه الترجمات لها ، رأينا أن ننشر بحثاً مستفيضاً جامعاً نشره حضرة صاحب الفضيلة الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في سنة (١٩٣٢) فإنه حفظه الله وفي هذا المقام حقّه من الإبانة والتدليل على مذهب أبي حنيفة ، فكان مورداً عدداً لطلاب الحقيقة من هذا الموضوع . قال أيده الله بروح من عنده :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونستعينه ، ونلجأ إليه ، ونطلب منه التوفيق في الرأي والعمل ، ونصلي على خاتم أنبيائه ورسله .

وبعد : فهذه فصول في ترجمة القرآن الكريم وأحكام قراءتها في الصلاة وغيرها ، أثبت فيها النصوص ، ووازن بعضها ببعض ، وبينت مداركها ، وأرجو أن أكون مؤيداً فيها بالتوفيق .

امطالع ترجمته الفراتي :

أثبت في صدر هذا البحث نصاً لأبي إسحاق الشاطبي من كتاب الموافقات ، وسرى أن ما قاله معروف لكل من درس علوم البلاغة ، وعرف وطائفتها وتحديد الفروق بينها وبين غيرها من علوم العربية . ولكن الناس كثيراً ما يذهب منهم المعروف إذا عرض لهم شيء يختص بأمر ديني ، وبخاصة إذا كان ذلك متعلقاً بكتاب الله سبحانه ، وبالعبادات . قال الشاطبي :

« لغة العرب من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران : أحدهما من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة ، وهي الدلالة الأصلية ، والثاني من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة ، وهي الدلالة التابعة . فالجهة الأولى يشترك فيها جميع الألسنة ، وإليها تنتهي مقاصد التكميلين ، ولا تختص بأمة دون أخرى ، فإنه إذا حصل في الوجود فعل يزيد مثلا كالتقيام ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام ، فأتى له ما أراد من غير كلمة . ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين ممن ليسوا من أهل اللغة العربية وحكاية كلامهم ، ويتأتى في لسان المعجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الجهة الثانية فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار ، فإن كل خبر يقتضى في هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار ، بحسب الخبر والخبر عنه والخبر به ، ونفس الإخبار في الحال والمساق ، ونوع لا سلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطباب ، وغير ذلك . فأنت تقول في انتهاء الإخبار : قام زيد ، إن لم تكن لك عناية بالخبر عنه بن بالخبر ، فإن كانت العناية بالخبر عنه قلت . زيد قائم ، وفي جواب السؤال أو ما هو بمنزلة السؤال إن زيدا قام ، وفي جواب المنكر لقيامه : وقد إن زيدا قام ، وفي إخبار من يتوقع قيامه والإخبار بقيامه . قد قام زيد أو زيد قد قام ، وفي التنكير على من ينكر : إنما قام زيد . ثم يتنوع أيضا بحسب تعظيمه وتخفيفه ، أعنى الخبر عنه ، وبحسب الكناية عنه وللتصريح به ، وبحسب ما يقصد في مساق الإخبار وما يعطيه مقتضى الحال ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها ، وجميع ذلك دائر حول الإخبار عن زيد بالقيام . فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود لأصلي ولكنها من مكملاته وامتثاله . وبهذا النوع اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القراءات ، لأنه يأتي مساق القصة في بعض السور على وجه ، وفي بعضها على وجه آخر ، وفي ثالثة على وجه ثالث ، وهكذا مما تكرر فيه

من الأختيار لا بحسب النوع الأول ، إلا إذا سكنت عن بعض التفاصيل في بعض ونص عليه في بعض ، وذلك يكون أيضا لوجه اقتضاء الحال والوقت ، وما كان ذلك نسيأ . وإذا ثبت هذا فلا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من العربي بكلام المعجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القرآن وينقله الى لسان غير عربي إلا إذا فرض استواء اللسانين في اعتبار المترجم ، كما إذا استوى اللسانان في استعمال ما تقدم تمثيله .

فإذا ثبت ذلك في اللسان المنقول اليه مع لسان العرب ، أمكن أن يترجم أحدهما الى الآخر ، وإثبات هذا بوجه يتنأسر عسير جدا ، وربما أشار الى ذلك أهل المنطق من القدماء ومن هذا حظهم من المتأخرين ، ولكنه غير كاف ولا مضم في هذا المقام .

وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن ، يمي على هذا الوجه الثاني . فأما على الوجه الأول فهو ممكن ، ومن جهته صرح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل مدانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلى .

أثبت الشاطبي في هذا الفصل جواز الترجمة وإمكانها ، وسأعقد فصلا خاصا لجواز الترجمة على مذهب فقهاء الحنفية ، ولكن الشاطبي أتى بما يرد كل شبهة في ترجمة القرآن ، حيث قال : إن أهل الاسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة ، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته .

وبيان هذا أن التفسير قد يطول وقد يقصر ، وهو تعبير بالفاظ تبين معاني القرآن وأغراضه ، وليست هي ألفاظ القرآن ، وقد يكون المفسر مخطئا في بيان معاني المفردات ، وقد يكون مخطئا في بيان لمعاني التي يدل عليها التركيب ، ولا يمكن أن تُدعى المصمة لمفسر أيا كان ، ومع هذا فقد احتمل جوار هذا الخطأ ، فيجب

أن يحتمل جواز الخطأ في الترجمة كما احتمل في التفسير ، إذ لا فرق بين المفسر والمترجم إلا أن هذا يضع في بيان معنى اللفظ لفظاً عربياً ، وذلك يضع لفظاً أعجمياً . وإذا وجد المترجم نفسه أمام لفظ مشترك يدل على معان مختلفة ، أو أمام لفظ متضاد يدل على معان متضادة كلفظ (القرء) الذي يدل على الحليض والطهر ، أو وجد نفسه أمام جملة يختلف معناها باختلاف ارتباط الظروف ، أو باختلاف أوجه الإعراب وجب عليه أن يختار معنى واحداً من معاني الأسماء المشتركة والمتضادة ومعنى من معاني التركيب ، ثم ينقل المعنى بمد فهم الآيات إلى اللغة التي يترجم بها ، وربما كان المعنى الذي اختاره هو المراد لله تعالى ، وربما كان غيره .

ولكن هذا لا يمنع جواز الترجمة ، فإنه قد أُجيز للمفسر أن يختار معنى من معاني الأسماء المشتركة ، وأن يختار معنى مما يحتمله التركيب ، فوجب أن يحاز هذا للمترجم . وقد يزعم أحد أنه بناء على هذا نجيز الترجمة فيما يمكن أن يوضع فيه لفظ يدل آخر يزدي في لغته ما يؤديه اللفظ العربي ، أما ما يحتاج إلى التفسير أولاً واختيار رأى فلا يجوز أن ينقل إلى اللغات الأخرى ، فنقول له : إن علماء الحنفية — كما سيأتي — لم يفرقوا بين آية وأخرى في جواز الترجمة ، ولكنهم أوجدوا هذا الفرق في الصلاة فقالوا : إنما يصلي بما يعلم أن معانيه هي معاني القرآن ، ولم يقولوا إنه لا يجوز الترجمة فيما يحتاج إلى التفسير . وستطلع على البحث بعد .

أما إمكان الترجمة فهو أمر يبيّن يدركه من لا يعرف إلا اللغة العربية على الطريقة التي يبينها الشاطبي ، ويدركه عن خبر من عرف لغات متعددة ، وقد تستطيع اللغة المنقول إليها أن تؤدي بعض الخصائص في اللغة العربية وتهض لأداء الدلالات التابعة . يعرف هذا من عانى نقل العلوم والفنون من لغة إلى أخرى ، ومن يدرك فقه اللغات وخواص استعمالها . ويتفاوت الفاس في هذا كما يتفاوتون في التعبير عن أغراضهم بلغة واحدة ، ولكن من المحال أن تهض لغة من اللغات لأداء كل ما في اللغة العربية

من خصائص ، فقد يكون المفرد في لغة العرب له فوق دلالاته الوضعية دلالة على حادثة خاصة ، وقد يكون المثل أو الاستعارة في لغة العرب لا نظير لها في لغة أخرى ، لأن تأثير المثل أو تأثير الاستعارة جاء من ناحية خاصة بالعرب وأحوالهم ، وليس لتلك الحالة شبيه في أمة أخرى . كذلك لغة العرب لا تهض لأداء الدلالات التابعة كلها في أية لغة من اللغات الراقية .

وكما كانت القطعة العربية التي يراد نقلها أكثر في حمل الدلالات التابعة من غيرها كان نقل تلك الدلالات أكثر تعسرا ، وهكذا يزيد الأمر صعوبة حتى يصل إلى الاستعالة المطلقة في نقل الآيات المعجزة من القراءات الكريم . فإن نقل الخصائص التي بها كان الإعجاز ، يقتضى أن الترجمة تحمل خصائص الإعجاز أيضا في اللغة المنقول إليها ، والإعجاز في أية لغة من اللغات ليس في استطاعة البشر .

وإذا كان الأمر هكذا كان ادعاء أن القراءات الكريم كله لا يمكن ترجمته لأنه معجز ، ادعاء خاطئا ، بل الحق أن يقال إنه يمكن ترجمته كله من ناحية الدلالات الأصلية ، ويستحيل ترجمته من ناحية الدلالات التابعة .

شبه الناس في الترجمة :

ومما قاله المانعون لترجمة القراءات الكريم :

- (١) أنه معجز فلا يمكن أن يترجم ؛ وأن فيه كلمات لا مقابل لها في اللغات الأخرى ، وذلك يضطر المترجم إلى أن يدل على معانيها بكلمات توجد شيئا من التغيير ، فإذا نقلت هذه الترجمة إلى لغة أخرى قد يحدث فيها تغيير آخر ، وهكذا ، فينتج على القراءات الكريم باب التحريف ؛ وأن كلمات الكتب السماوية تستخرج منها إشارات وأحكام بطريق الحساب ، ويستخرج منها أهل التصوف معارف ولطائف ، ويستخرج منها العلماء علوما طبيعية وعلوما رياضية ، والترجمة تضع على الناس هذا كله .
- (٢) أن ترجمة القراءات ترجمة حرفية غير مبسورة ، فيضطر المترجم إلى نقل المعاني

التي يفهمها أو يفهمها غيره من العلماء ، وهذا لا يسمى قرأنا ، ولا يمكن أن يسمى نصا شرعيا نستخرج منه الأحكام ، والذين يعتمدون على هذه التراجم لا يعلم لهم شيء من أصول الإسلام ، وهم يقلدون المترجمين في فهم المعنى ، والذين تهى عن التقليد ، وبهذا يُجرّمون نعمة استعمال العقل والفهم في كتاب الله تعالى ، ونعمة الأجر على الاجتهاد واستعمال العقل والفهم ، ذلك لأن مسلما لا يقول بأن التراجم مما يصح فيه الاجتهاد والاستنباط .

(٣) أن للنظم العربي من الروعة والطلاوة والذلة والتأثير في النفوس ما لا يمكن أن يوجد في التراجم ، فالاعتماد على التراجم يحرم من يقرؤها من ذلك كله ، كما يحرمه من ينبوع الصافي لمعارف الإلهية .

(٤) أن بعض الألفاظ العربية يجب أن يسلب عليها التأويل امتثالا لدلائل العقل ، وهذا لا يمكن في التراجم .

وقبل أن أعرض للرد على هذا وأشباهه ، أفسح للامام الشاطبي أن يتولى الرد على كثير منه ، قال رحمه الله :

« ما تقرر من أن الشريعة أمّية ، وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ، ينبغي عليه قواصد ، منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوة على اقراءن ، فأضافوا إليه كل علم يذكر لمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتماليم والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح . وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أن تكلم منهم أحد في شيء من هذا الدّعى سوى ما ثبت فيه من أحكام التكليف وأحكام الآخرة وما يلى ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغتنا منه ما يدل على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القراءن لم يقصد منه تقرير شيء ، مما زعموا . نعم

تضمن علومها هي من جنس علوم العرب وما ينشئ على مبادئها ، مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلفه إدراكات العقول الرجعة دون الاهتداء بأعلامه ، والاستئثار بتورته . أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا .

وقد عقد الشاطبي فصلاً آخر قال فيه : إن العلماء اتفقوا على أن الأحكام تستفاد من جهة المعاني الأصلية ، واختلفوا في استفادتها من جهة المعاني التابعة الخادمة ؛ ففريق منهم ذهب إلى أن الأحكام تستفاد أيضاً من جهة المعاني التابعة كما تستفاد من جهة المعاني الأصلية ؛ وفريق ذهب إلى أنها لا تستفاد من جهة المعاني التابعة ، وقد بين أدلة الفريقين ، ورجح أدلة النعم كما ترى :

« قد تبين تعارض الأدلة في المسألة ، وظهر أن الأقوى من الجهمتين جهة المانعين ، فانقضت الحال أن الجهة الثانية ، وهي الدلالة على المعنى لتبني ، لا دلالة لها على حكم شرعي زائد البتة ، لكن يبقى فيها نظر آخر ، وربما إخال أن لها دلالة على معان زائدة على المعنى الأصلي هي آداب شرعية ، وتخلقات حسنة ، يقرها كل ذي عقل سليم ، فيكون لها اعتبار في الشريعة ، ولا تكون خالية من الدلالة جملة . »

وقد أرجع الشاطبي رحمه الله جميع الأحكام التي زعم الناس أنها مستفادة من الدلالة التابعة إلى الجهة الأولى ، وهي الدلالة الأصلية ، التي لا تختلف فيها لغة عن لغة ، والتي باعتبارها أمكن أن يفسر القرآن وأن يترجم .

ونقول بعد هذا : إنه لا خلاف بين المسلمين في أن القرآن كلام الله المنزل على بيده محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي ؛ ولست أستطيع التصديق بأن أبا حنيفة ذهب يوماً ما إلى أن القرآن اسم للمعنى كما نقل عنه ، وقد علم من الدين ضرورة أن القرآن اسم لما نتلوه ، ولما هو نات بين ذفتي المصحف ؛ وإنكار هذا أو التشكيك فيه مخرج من الدين . ولكن أبا حنيفة رأى جواز قراءة القرآن بالفارسية للقادر على العربية والمأجز منها لسبب من الأسباب ؛ وقد يكون السبب ما قاله أصحابه من أنه اعتبر

النظم العربي غير لازم ، رخصة في الصلاة حال القدرة ، وخلفا في حالة العجز ؛ وقد يكون السبب غير ذلك . ولكن أصحابه ذهبوا يتلمسون له الأدلة ، ويتلصصونها في القرآن نفسه ، فوجدوا فيه : « وإنه لني زُبُر الأولين » ووجدوا فيه : « إن هذا لني الصحف الأولى » ، صحف إبراهيم وموسى ، والضمير للقرءان ، واسم الإشارة للقرءان ، فخرجوا بذلك النتيجة ، وهي أن القرءان اسم للمعنى .

والقرءان أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وله جهتان : جهة هي المقصودة وهي معانيه التي يشتمل عليها من توحيد وتنزيه ، وأدلة عليهما ، وجدال مع المخالفين ورد عليهم ، وأحكام شرعية لنواح متعددة في الحياة ، من زواج وطلاق ، وبيع وشراء ، وتدابير ورهن ، إلى غير ذلك ؛ ومكارم أخلاق وآداب ، وقصص سبقت للعبارة . وجهة أخرى هي دلائل صدق النبوة . وقد جاء هكذا ليكون دليل الصدق ملازما لما جاء به غير منفصل عنه ، كما كان الحال في معجزات سائر الأنبياء .

وتلك الجملة الدنية هي إعجاز الكتاب الموجود في أكثر آياته ، والإعجاز لازم من لوازم النظم لا من لوازم المعنى

وإذا استثنينا من قال إن الإعجاز إنما كان لا شتمال القرءان على الإخبار بالمغيبيات ، لا يرى أحدا من العلماء الذين يستدل بهم ذهب إلى أن الإعجاز من لوازم معناه ، بل ترم يقولون إنه معجز لا شتماله على النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعته ومقاملته وغواصله ، أو لحيثه على تلك الدرجة العالية من البلاغة واشتماله على جميع ضروبها ، أو معجز لهذا وذلك .

وإذا كان وجه الإعجاز من ناحية النظم فلا يمكن أن يذهب عاقل إلى إمكان ترجمة القدر المعجز إلى أية لغة من اللغات بحيث تحمل الترجمة المعنى ووجه الإعجاز ، ولكن عدم إمكان نقل دليل الإعجاز لا يستلزم عدم إمكان نقل المعنى نفسه . وأنت تعلم أن

نقل المعنى لا نستخدم دليل الإعجاز في النظم العربي ولا يفتره . فالترجمة لا تحدث ضعفا في الدليل ، ولا تقضا ولا هدماء .

وأريد الآن أن أقول : إن قراءة الأعاجم للنظم العربي نفسه لا يدغم على الإعجاز ، وليس في استطاعتهم فهمه ؛ والأهم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربي ؛ وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز من طريق الذوق ، وآمنوا بالقراء أن بسبب هذا الإجمالك .

ونحن الآن نقيم على الإعجاز أدلة عقلية فنقول . إن القراءان تحدى العرب ، وإنهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله .

فم : قد ندرك بالدرس والمناجاة على تفهم أساليب العرب وأساليب القراءان شيئا من جمال القراءان وبلاغته ، ولكن لا يمكن أن يصل بنا الحد إلى إدراك الإعجاز من طريق الذوق اللغوي إلا إذا أصبحت سلاتنا عربية .

وإذا كان الإعجاز من طريق الأخبار بما هو غيب فإن الترجمة نحمل معها هذا الدليل ، لأن ذلك مرتبط بالمعنى لا باللفظ . أما إذا ذهبنا إلى أن الإعجاز بالصفحة ، على معنى أن العرب صرفهم الله عن الإتيان بمثل هذا القراءان وكانوا قادرين على الإتيان بمثله ، أو على معنى أن الله سلبهم العلوم والمعارف التي كانوا يقدرون معها على الإتيان بمثله بعد أن كانت متوافرة لديهم ، قلنا نصبر إلى شيء آخر .

وليس هناك ريب في أن بعض كلمات القراءان لا مقابل لها يساويها في اللغات الأخرى بحيث يؤدي ذلك المفرد في لغته كل ما يؤديه للفرد العربي ؛ وفي أن في القراءان ألقاظا من الألقاظ المتضادة كلفظ القراء الذي يدل على الطهر والحيض ؛ وفي أن فيه ألقاظا يصعب تحديدها في اللغة العربية نفسها كلفظ الدهر والحزن ؛ وفي أن فيه جملا يختلف معناها باختلاف وجوه الإعراب . وما من شك في أن نقل هذا يحملته

بحيث يكون حاله في اللغة المنقول إليها كحاله في اللغة العربية ، أمر مستحيل ؛ والنزاع في هذا لا يليق بالعلماء .

ولكن النشاطي تولى الرد بعبارة وجيزة هي قوله :

« فأما على الوجه الأول فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الاسلام . فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي » .

وقد أشرت من قبل إلى تفسير عبارة النشاطي . وعلى ذلك لجميع المحذورات التي تختص من الترجمة فيما أشير إليه من قبل موجودة في التفسير باللفظ العربي نفسه ؛ وقد أجمعت الأمة على عدم التعاضل عن هذه المحذورات ؛ فيجب ألا يتعاضل عنها في الترجمة أيضا ، إذ لا فرق بين التعبير باللفظ العربي والتعبير باللفظ العجمي عن المراد بالآيات ، بعد أن يكون المعبر والمفسر والمترجم مستكملا للشروط والمؤهلات الواجبة لمن يمرض نفسه للتفسير والترجمة .

وقولهم : « إن في الكتب السماوية إشارات وأحكاما تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها أهل التصوف بالذوق ، وعلوما طبيعية ورياضية ، وإن ذلك يضيع بالترجمة » قد تولى رده النشاطي بقوله : ليس المقصود من القرآن إلا الهداية وأحكام الدنيا والآخرة ، وأن السلف الصالح لم يخض في القرآن على هذا النحو الذي فعلوه . على أنه إذا فالت هذه الأشياء في الترجمة فن تفوت في النص العربي ، وهي باقية فيه . وقد كنا نخاف لو أن الترجمة أذهبت من النص العربي علومه وأسراره وإعجازه ، ولكنها باقية معه للأمم العربية ، ولمن يريد من الأمم الأجنبية أن يقرأ النص العربي . وأيضا فإن العلوم الطبيعية والتاريخية والفلسفية غير مرتبطة باللفظ ، بل هي مرتبطة بمعانيه ؛ وقد أقما الدليل على أنه يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى .

على أني أرى واجبا على أن أذكر لهذه المناسبة كلمة فيها اغتراب العلماء : ذلك أنه

كلما جدت في العلم فكرة طريفة اجهدوا في تلسمها في القرآن ، وفرحوا إذا استطاعوا
الاهتداء الى إشارة بعيدة اليها .

يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون وأسراره ، وقواعد الاجتماع
والسياسة ؛ ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة ، وأنها
تتغير وتتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها ، وأنه ليس من الحكمة أن
نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه . ومن الخير أن ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع ، ويهدم الوثنية ويمتثها
من أصولها ؛ ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به ؛ وبأخذ بيد الانسان الى
المقام الأسنى اللائق بخلافته في الأرض ؛ ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين ؛
ويفرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والشفاعة ، والرضا والشجاعة ؛
ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بم أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله . خير
لنا أن نفعل ذلك ، ونذع للعلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ، ويحملون نتيجة
خطئهم إذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها .

نم إن في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم إلا بمعارف فلكية وطبيعية ،
ولكن تلك الآيات لم تُسَقْ لتقرر تلك المعارف ، وإنما أنزلت للهداية والعبرة ، فليس
القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة ، وإنما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة
الانسان بربه ، وعلاقة أفراد الانسان بعضهم ببعض .

ثم نعود فنقول : هب التراجم تغيرت واختلفت ، فإن ذلك التغير وهذا الاختلاف
لا يمكن أن ينسحب على القرآن ، وهو النظم العربي المعروف المحفوظ بوعد الله سبحانه .
وهذا النص هو كما يقال في الاصطلاح الحديث النص الرسمي الذي يجب الرجوع
اليه دائماً عند الاختلاف ؛ وهو الذي يرد كل شيء الى نصابه ؛ وهو الحاكم على كل ترجمة
توجد ؛ وهو الميزن العدل لكل شيء يقال ؛ والتراجم لا يصح أن تسمى القرآن ،

ولكن سلب هذه التسمية لا يستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الأحكام تستفاد من المعاني التي هي مدلولات الألفاظ العربية ، والمعاني يصح نقلها إلى اللغات الأخرى . وقد علمت من قبل أن العلماء على اتفاق في أن الأحكام تستفاد من الدلالة الأصلية التي لا تختلف فيها اللغات ؛ وعلمت أن المرجح عدم استفادة الأحكام من الدلالات التابعة . وإذا كان الأمر هكذا فكيف يدعى أن الذين يعتمدون على التراجم لا يسلم لهم شيء من أصول الإسلام ؟ وكيف يدعى أن مسلما لا يقول بأن الأحكام تؤخذ من التراجم ؟ ثم كيف يقال هذا والعالم الإسلامي أكثره غير عربي ، وأكثر الأمم الأعجمية لا تعرف اللغة العربية ولا تقرأ النص العربي ، وقد نقلت إليها أصول الإسلام كلها إلى لغاتها ، وحلت لغاتها تلك الأصول ، كما حلت إليهم الفروع أيضا ، وسلمت لهم تلك الأصول والفروع ؟

ثم تقول بعد هذا : إن بعض آيات القرآن يمكن أن تترجم ترجمة حرفية ، وبعضها لا يمكن أن يترجم ترجمة حرفية . فالقسم الأول لا يكون الناظر إلى الترجمة مقلداً فيه المترجم في فهم المعنى . والقسم الثاني يكون الناظر فيه مقلداً للمترجم ، وهذا لا شبهة فيه . ولكن التقليد في فهم النص العربي لا يحرم الناس الاجتهاد .

ألا ترى أن الغزالي رحمه الله نص في كتاب المستصفي على « أن الأحاديث التي اشتهر روايتها بالعدالة وقبلتها الأمة لا يلزم المجتهد أن يبحث عن أسانيدها ، وأن الأحاديث التي ليست كذلك يكفيه فيها تعديل الإمام العدل لروايتها » . وهذا دليل على أن وسائل الاجتهاد جميعها لا يجب أن تكون اجتهادية ، بل قد يكون بعضها بطريق التقليد . ثم ما لنا نذهب بعيدا والمجتهدون يعتمدون على معاجم اللغة ، وعلى الشعر يرويه العدل الواحد ، وأكثر المردات غير متواترة ، وتحديد معانيها في أغلب أحوالها لم ينقل بطريق التواتر ولا بطريق الشهرة ؟ والاعتماد في بيان اللفظ على المترجم

كالاتحاد في بيانه على داو من دواة اللغة ، وهذا فيما ينقل على طريق الترجمة الحرفية ؛ أما ما ينقل على طريق الترجمة للعنونة فلا يمكن أن يخرج قارئ الترجمة فيه عن التعليد بحال .

ونعد : فهذا كله سبع في أوها ، لأنه ليس هناك مجتهدون حرموا الاجتهاد بالترجمة ؛ وليس في الأمة العربية التي لازمت النص العربي مجتهدون . وقد حرمت الأمم العربية نفسها من نعم الاجتهاد واستعمال الفهم والمقل ، ورضيت بالتقليد ، ولم يكفها هذا الرضا حتى أقفلت باب الاجتهاد وحرمته . وفي اليوم الذي تنتشر فيه الأمم لاسلامية عربية وأعجمية ، وتذكر حق الإدراك دينها وما يوجبه عليها هذا الدين ، سيدشط العرب للاجتهاد ، وينشط المعجم لتعلم اللغة العربية ، وفهم النص العربي ، واستعمال المقل والفهم .

وفي الحق أننا ننظر الى الأمم بعين الخيال ، ولا نعتبر الواقع وطبيعة الناس . فهذه دولة الفرس دخلت الاسلام في عهد شبابه ، ولكنها لم تنسأ عن لغتها والأمة التركية كانت دولة الخلافة فيها ، وكانت حامية الاسلام ، واختلطت بالأمم العربية ، ومع ذلك فهي باقية على لغتها ، ولا يوجد فيها من يجيد العربية ، إلا أفراد يوجد مثلهم في الأمة الألمانية وغيرها من الأمم الغربية . وفي مركز أسوان في القطر المصري أجناس مختلفة لهم لغات مختلفة ، والمهاكم نحتاج الى مترجمين لأقوالهم عند النظر في خصوصاتهم ؛ وكذلك في بلاد السودان في وسط القبائل العربية أجناس مسلمة تحافظ على لغاتها المسحطة ولا تعرف إلا قليلا من العربية ؛ وهذا مع الخلطة في المرافق ، ومع الجور واتحاد الحكومة والحكام . كل هذا حاصل ، والناس طامعون بعد في تعريب الأمم المختلفة من هنود وجاويين ويابانيين وصينيين وأتراك وجراكمة ، وطامعون في أن يسمروهم علماء في اللغة العربية ، يصلون بعلمهم الى الاجتهاد والاستنباط

من نظم الكتاب العربي حتى ينالوا نعمة استعمال العقل والفهم والأجر على هذا الاستعمال .

ثم نفود فتقول : إنه لا ينكر أحد ممن يتذوق طعم العربية ، مسلماً كان أو نصرانياً أو يهودياً ، ما لنظم القراءات العربية من الطلاوة واللذة والتأثير في النفوس ؛ ولذلك نقول : إنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربي إلى قراءة إحدى التراجم ، فإن ذلك حيث واستهزاء . ولكن من لنا بأن نرب الأهم الأهمية الإسلامية لتعال هذه اللذة وتقع تحت هذا التأثير ؟ ولا يمكن الادعاء بأن النظم العربي يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوي أو فارسي أو تركي أو باباني أو سيني لا يفهم العربية . فالأهم الإسلامية التي لا تفقه العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربي حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير ؛ وعلى العكس فإن قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعاني ولذتها وتأثيرها . ومن الخير أن نوفر لهم الحصول على بعض هذه المقاصد إذا فاتتهم المقاصد كلها ؛ وليس يخفى على أحد من الناس أن بنبيوع المعارف الإلهية هو معاني القراءات للدلول عليها بنظمه العربي . وإذا ذهبنا إلى أن المعارف الإلهية مرتبطة بالألفاظ صرنا إلى شيء من اللغو لا يقوله قائل .

ثم نقول بعد هذا أيضاً : إن التراجم لا تحرم الناس من تأويل الألفاظ التي يجب أن تؤول بالدليل العقلي الذي قام على استحالة بقائها على ظاهرها ؛ وهذا التأويل يسلط على التراجم نفسها إذا أسكن المترجم أن يضع بدل اللفظ العربي مرادفاً له من لغة أخرى ؛ ويسلط على اللفظ العربي نفسه قبل أن ينقل معناه إلى لغة أخرى إذا ما يوجد في اللغة الأخرى مرادف ومقابل لذلك اللفظ العربي .

فلندع الآن هذه الشبهات ، وقد نفود إليها بعد ذلك مرة أخرى ؛ ولنتنظر في أحكام مذهب نقباء الحنفية في الترجمة وجواز الصلاة بها ، وما يتعلق بذلك من التفاصيل .

وإذا تبعت أمهات الكتب المدة لنقل مذهب الامام أبي حنيفة وأصحابه لا نجد فيها كلاماً عن الترجمة من حيث الجواز والحرمه ، ولكنك نجد الفروع الكثيرة والأدلة الطويلة على جواز الصلاة بها عند القدرة على العربية على رأى الامام ، وعلى جواز الصلاة بها عند العجز خاصة على رأى أصحابه .

ولا أظن أنه يدور بخلد أحد ممن تمذهب بمذهب أبي حنيفة ودرس فروعه وأصوله أن يشك في جواز الترجمة على مذهب أبي حنيفة وأصحابه . وقد رأيت رأى الشاطبي في الترجمة وكيف استدلل على جوازها بإجماع السليين على جواز التفسير

جواز الصلاة بالترجمة :

قال شمس الأئمة المرحضى في كتاب المبسوط : « وأصل هذه المسألة إذا قرأ في صلاته بالفارسية جاز عند أبي حنيفة رحمه الله ويكره ، وعندهما لا يجوز إذا كان يحسن العربية ، وإذا كان لا يحسنها يجوز . وأبو يوسف ومحمد رحمه الله قالا : القرآن محجز والإعجاز في النظم والمعنى ، فإذا قدر عليهما فلا يتأدى الواجب إلا بهما ، وإذا عجز عن النظم أتى بما قدر عليه ، كمن عجز عن الركوع والسجود يصلى بالإيماء . وأبو حنيفة رحمه الله استدلل بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه أن يكتب لهم فاتحة الفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية . ثم عند أبي حنيفة إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية . فأما إذا صلى بتفسير القرآن لا يجوز لأنه غير مقطوع .

وقال شرف الدين قاضىخان : « وعلى هذا الخلاف إذا قرأ القرآن في الصلاة بالفارسية عند أبي حنيفة رحمه الله يجوز وإن كان يحسن العربية ، وعندهما إذا كان يحسن العربية لا يجوز وتفسد صلاته . كذا ذكر شمس الأئمة الحلواني . »

وفى شرح الهداية . « فإن افتتح الصلاة بالفارسية أو قرأ فيها بالفارسية أو ذبح وسى بالفارسية وهو يحسن العربية ، أجزأه عند أبي حنيفة رحمه الله . وقالا لا يجوز »

إلا في الذبيحة ، وإن لم يحسن العربية أجزاء... وأما الكلام في القراءة فوجه قولها أن القراءان اسم لمنظوم عربي كما نطق به النص ، إلا أنه عند المعز يكتفى بالمعنى كالإيماء ، بخلاف التسمية ، لأن الذكر يحصل بكل لسان ولأبي حنيفة قوله : « وإنه لفي ذر الأولين ، ولم يكن فيها بهذه اللغة ، ولهذا يجوز عند المعز ، إلا أنه بصير مسيئاً (يعني حال القدرة على العربية) لخافته السنة للتوارث ، ويجوز بأي لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح لما تلونا ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات » .

وفي شرح غر الدين الربيعي على الكثر : « وأما القراءة بالفارسية فجائزة في قول أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا تجوز إذا كان يحسن العربية لأن القراءان اسم لمنظوم عربي لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرءاً أعرابياً » . وقال تعالى : « إنا أنزلناه قرءاً أعرابياً » والمراد نظمه . ولأبي حنيفة قوله تعالى : « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » وصحف إبراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية ، فدل على كون ذلك قرءاً أعرابياً ، وما تلوناه (يعني : إنا جعلناه قرءاً أعرابياً) ، (و : إنا أنزلناه قرءاً أعرابياً) لا ينبغي كون غير العربي قرءاً أعرابياً لأنه مسكوت عنه ، ويجوز بأي لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح ، لأن المنزل وهو المعنى عنده لا يختلف باختلاف اللغات . والصحيح أن القراءان هو النظم والمعنى جميعاً عنده ، لأنه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا عجز وقع بهما جميعاً ، إلا أنه لم يحمل النظم ركناً لازماً في حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة الإعجاز » .

وفي النفحة القدسية للشرنبلالي : « وروى أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان رضي الله عنه أن يكتب لهم العائجة بالفارسية ، فكتب لهم « بسم الله الرحمن الرحيم بقلم يزدان بخشائند » فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت أسننتهم ، وبعد ما كتب عرض على النبي صلى الله عليه وسلم . كذا في البسوط . قاله في النهاية والدرية » .

وفي النفحة القدسية أيضاً : « وفي فتاوى النسفي مثل عمر النسفي ممن لا يحسن

الفاتحة بالعربية ويقدر على التكلم بالفارسية أو لغة أخرى يتأدى بها معنى القرآن هل يكلف تعلم تلك اللغة غير العربية ؟ فقال : نعم لأن تعلم القرآن فرض لإقامة الصلاة . ومذهب أبي حنيفة أن القرآن لا يختص بالنظم العربي في قوله الأول الذي رجع عنه ، فيفرض عليه تحصيل ذلك كما يفرض عليه تعلم القرآن بالنظم العربي لمن قدر عليه . وعندها يجوز قراءة القرآن بغير العربية إذا كان لا يحسن العربية . فقد وافقاه في أنه يصير قراءتنا عند المعجز عن أدائه ، فيفرض ذلك عليه بالإجماع في هذه الحالة »

وفي شرح مسلم الثبوت « وقد صرح رجوع الامام أبي حنيفة رضي الله عنه عن القول يجوز الصلاة بغير مذر . . . وفيه إشارة الى أنه يجوز القرآن بالفارسية للمذرو وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ؛ وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء والأولياء الحبيب العجبي صاحب تاج المحدثين وإمام المجتهدين الحسن البصري قدس الله سرها كان يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي التحرير للسكال بن المهام « والوجه في العاجز عن النظم العربي أنه كالأعمى لأن قدرته على غير العربية كذا قدرة فكان أمياً حكماً فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه ، إذ في المجتبى : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلي بلا قراءة أو يصلي بغيرها ؟ فلو أدى العاجز بالفارسية قصة أو أمراً أو نهياً فسدت الصلاة بمجرد القراءة ، لأنه حينئذ متكلم بكلام الناس لا ذكراً أو نذرياً ، إلا إذا اختصر على ذلك قائلها فقد حينئذ بسبب إخلاء الصلاة عن القراءة » .

وقال بن أمير حج في شرح التحرير عند شرح النص السابق : « وهذا اختيار المصنف ، فلفظ الجامع الصغير محمد بن يعقوب عن أبي حنيفة في الرجل يفتتح الصلاة بالفارسية أو يقرأ بالفارسية أو يدبج ويسمى بالفارسية وهو يحسن العربية قال (الامام) : يجوز في ذلك كله . وقال أبو يوسف ومحمد : لا يجوز في ذلك كله إلا في الذبيحة ، وإن كان لا يحسن العربية أجزاء . قال الصدر الشهيد في شرحه (يعني كتاب الجامع

الصغير لمحمد بن الحسن) : وهذا تنصيب على أن من يقرأ القرآن بالفارسية لا تقصد الصلاة بالإجماع .

وفي معراج الهداية « قراءة غير العربي يسمى قرأنا مجازاً ، ألا يرى أنه يصح نفي القرآن عنه فيقال : ليس بقرآن وإنما هو ترجمة ؟ وإنما جوزناه للعاجز إذا لم يحل بالمعنى لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالإتيان به أولى من التارك ، إذ التكميل بحسب الوسع ، وهو نظير لا يناء . »

سترى في بيان هذه النصوص أنها مشتملة على الأقوال المختلفة في مذهب أبي حنيفة ، ولذلك أثبتنا جميعها ما كان منها صحيحاً وما كان غير صحيح ؛ وسأجهد في بيانها وبيان مداركها . وقبل أن أشرع في هذا أنبه إلى أن صاحب الهداية نبه على إمكان الترجمة بقوله : « والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات » . وكذلك ترى في قولهم : « إنما يجوز إذا كان يقطع بأنه معنى العربية » إشارة إلى أن الترجمة يمكن أن تحمل معنى النص العربي . وأول ما يخطر بالبال في هذه المسألة حكاية رجوع الإمام أبي حنيفة عن رأيه بجواز الصلاة للقادر على العربية ، فإن رواية الرجوع نسبت مرة إلى أبي بكر الرازي ، ونسبت مرة إلى نوح بن مريم وعلى بن الجعد ، وأغفلت مرة واحدة في كتب الإمام محمد ، وأغفلت في شرح المبسوط للسرخسي ، وفي كتب قاضيه خان ، أيمكن أن شق بهذه الرواية وثوقاً مطلقاً ، أم ينبغي أن نقابلها بشيء من التحفظ لأن المتقدمين من صدور الأشياخ لم يشيروا إليها ؟ ولا أقصد بهذا ترجيح بقاء الإمام على رأيه ، وإنما أرى ما رآه أصحابه من وجوب قراءة النص العربي للقادر عليه ، ولذلك سأبحث هذه المسألة على فرض رجوع الإمام ، وعلى أن في المذهب قولاً واحداً هو جواز الصلاة بالترجمة للمعجز عن العربية لا للقادر ، فاقول :

روى عن الإمام وصاحبيه جواز الصلاة بالفارسية للمعجز عن العربية ، وهذا قدر متفق عليه لا يصح النزاع فيه ، فها هو المراد بالجواز : أنه مقابل الوجوب والحرمة ،

أم هو مقابل الحرمة فقط ؟ وينبغي على هذا أنه على التفسير الأول تصح الصلاة بالفارسية للقادر عليها ، ويصح أن تترك ، ويعتبر القادر عليها أمياً يصلي بلا قراءة . وعلى التفسير الثاني يجب عليه أن يصلي بالفارسية ، ولا يجوز له أن يتركها ، وتبطل صلاته إذا تركها . ثم على التفسير الأول وهو الذي يجوز القراءة ويجوز تركها هل الأولى أن يقرأ ، أو الأولى أن يترك ؟ هذه الاحتمالات الثلاثة هي أقوال في مذهب أبي حنيفة ، ذهب إلى كل احتمال منها فقيه أو أكثر .

وهذه نصوص الذين يمثلون الاحتمال الثاني :

قال نضر الملة والدين قاضيخان : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرآن نحو الفاتحة وغيرها بالفارسية عند أبي حنيفة يخرج من أن يكون أمياً فلا تجوز صلاته إلا بقراءة ما يعلم . وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله ، لأن قولهما فيمن لا يحسن العربية كقول أبي حنيفة » .

وقال صاحب الخلاصة : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرآن بالفارسية يخرج من أن يكون أمياً » .

وقال عمر النسفي وقد تقدم نص فتواه : « إنه إذا لم يتدر على حفظ النظم العربي وقدر على حفظ ترجمته بلغة يتأدى بها المعنى أنه يفرض عليه تعلم تلك الترجمة بالإيجاع » فهذه النصوص صريحة كما ترى في أنه يجب على من يعرف ترجمة أن يصلي بها ، ويجب عليه إذا لم يحفظ ترجمة وهو يقدر على حفظها ويعجز عن العربية أن يحفظ الترجمة ويصلي بها .

وقال الكمال بن الهمام في التحرير : « والوجه في العاجز عن النظم العربي أنه يجوز كالأحرى ، لأن قدرته على غير العربية كذا قدرة فكان أمياً حكماً فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه ، إذ في المجتبي : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلي بلا قراءة أو يصلي بنبرها »

وفي معراج الدراية « وإنما جوازناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتغاله على المعنى ، فالأوليان به أولى من الترك ، إذ التكليف بحسب الوسع ، وهو نظير الإيماء » . فهذه هي نصوص الذين يمثلون الاحتمال الأول بشقيه .

فأنت ترى صاحب معراج الدراية يصرح بأن الأولى أن يقرأ لأنه هو الذي في وسعه ، وظاهر التعبير بكلمة الأولى لا يعمد الإلزام . وعبرة المجتبي تقيده رأيين ، وهما هل الأولى له أن يقرأ ، أو الأولى ألا يقرأ ؟ ومع هذه الآراء الثلاثة وهي القول بوجوب القراءة ، والقول بأنها أولى ، والقول بأن الأولى السكوت ، لم يشر أحد من أصحاب هذه الأقوال إلى بطلان الصلاة إذا كانت الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى . فأحداث الفرق الذي أبداه السكال بن المهام وتبنيه غيره فيه إحداث لرأى لم يسبقه إليه أحد من الفقهاء ، ولذلك ترى السكال لم يذكر رأيه هذا في فتح القدير في مسألة قراءة العاجز عن العربية ، ولكنه ذكره في مسألة ضم الترجمة إلى مقدار المفروض بالنظم العربي . وقد يصحح أن يبدي فرقا في هذه المسألة لأن فيها خلافا سابقا ، ولأن فيها رأيين : أحدهما أن الصلاة تفسد بالضم وهو الذي نقله عن النسفي ، والثاني أنها لا تفسد وهو الرأي الذي نقله صاحب الهداية وتزيلعي ، ولكنه لا يصحح أن يبدي رأيا في المسألة الأولى التي نتكلم فيها لأنه إحداث لرأى في مسألة نقل فيها لإجماع . ولذلك يجب ألا يعدّ رأيه في التحرير رأيا في مذهب أبي حنيفة ، بل هو رأى خاص به ، وقد أخذناه من مرجع ذكره الفقهاء في قراءة التوراة والإنجيل والزيور في الصلاة ، حيث قالوا : إن كان المفروض من مكان القصص أو الأمر أو النهي تفسد الصلاة ، وإن كان من مكان الذكر لا تفسد ، فسوى السكال بين ترجمة القرآن والتوراة في الحكم . ولكن الفقهاء الثلاثة نقل عنهم الاتفاق على جواز الصلاة بالترجمة عند العجز من غير فرق . ونشيبه التراجم بالتوراة والإنجيل وقد أخذنا حكما قاطعا في القرآن بالتحريف ، فيه مصادمة للإمام وصاحبيه وجميع فقهاء المذهب . وبعد أن طهر اتفاق أهل المذهب على

عدم الفساد بقراءة التراجم حال العجز سواء أ كانت التراجم تراجم قصص وأمر ونهى ، أم تراجم تنزيه ؛ وظهر أن لهم ثلاثة أقوال : أحدها النوحوب ؛ والثاني أن القراءة أولى ؛ والثالث أن السكوت أولى ، وجب أن تنظر في الملل وما نقل من عبارات الأقدمين . فإذا نظرنا إلى ذلك تراهم متفقين على أن التكليف بالوسع ، وأن الترجمة للعاجز هي التي في وسعه ، وأنها خلف عن النص العربي يقام مقامه عند العجز كما يقام الإيتاء عند العجز مقام الركوع والسجود ؛ ولم نعهد في التشريع أن المكلف غير في الخلف ، بل الذي عهدناه أن الخلف يأخذ حكم الأصل ويحمل محله .

وإذا تأملت قولهم : إن المعنى لا يختلف باختلاف اللغات ، تراهم يريدون أن لا نخلو الصلاة من القرآن ، إما بلفظه ومعناه ، وإما بمعناه فقط ؛ فهم حريصون على أن تكون المناجاة لله بكلامه أو بمعنى كلامه ؛ وهم حريصون على تحصيل المقاصد وجعل الصلاة صورة حياة مملوءة بالشعور بجلال الخالق وعظمته ؛ وفي معاني القرآن الكريم من العظات والعبر ما يملأ القلب روعة ودهية وخشية ، ويركها لا يمكن أن تذهب بنقلها إلى لغة أخرى ؛ والمناجاة بالمعاني خير وأبقى من وقوف المتكلم سامتا .

ولم يحرم المسلم من مناجاة ربه بمعنى قوله : « ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » .

أو من معنى قوله : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقننا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فافهم لنا ذنوبنا وكفرنا بسيئاتنا ووفئنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا نخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد » .

أو من معنى قوله تعالى : « وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

للقيامة والسموات مطوياتٌ يمينه سبحانه وتعالى مما يشركون . ونُفخ في الصور فصُيِق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فلم يذام قيام ينظرون . وأشرقَت لأرض بنورِها ووُضِع الكتاب وحى . بالنبيين والشهداء وقُضِيَ بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووُقيت كل نفس ما صملت وهو أعلم بما يفعلون .

وإني لا أتردد لحظة واحدة من القول بأن جلال معاني هذه الآيات لا يمكن أن يفارقها في اللغات الأخرى . نعم قد تضعيع روعة هذه الألفاظ ، ولكن تبقى روعة للمعاني ، والمنجاة محتاجة في هذه الروعة . ولا يسع منصفاً إلا الإعجاب بأراء فقهاء الحنفية في هذه المسألة . والله مع حيث قالوا . إن الصلاة حالة منجاة لا حالة إعجاز . وللعالم الإسلامي الحق في أن يفخر بأولئك العلماء الذين استنبطوا هذه القواعد وهذه المبادئ الدقيقة . وفي الحق أن فقهاء الحنفية هم الملجأ دائماً في حل المعضلات الاجتماعية ، ولا نستطيع أن نفهم حقهم من الثناء .

وأنهى من البحث في هذه المسألة في ترجيح رأي قاضخان ومن تابعه من الفقهاء ، وهو وجوب القراءة في الصلاة بترجمة القراء أن للعاجز عن قراءة النظم العربي . وقد علمت أن اختيار صاحب الفتح مبني على أن الترجمة ليست قراءة ، وما كان كذلك كان من كلام الناس ، وهو غير صحيح ، لأن الترجمة وإن كانت غير قراءة باتفاق تحمل معاني كلام الله ، ومعاني كلام الله ليست كلام الناس . وعجيب أن تسلب من معاني القراء أن صفاتها وجمالها وتوصف بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس نوبا آخر غير الثوب العربي ، كأن هذا الثوب هو كل شيء . وقد علمت مما سبق أن ابن أمير حاج رد ما احتواه السكال بنص المصدر الشهيد في شارح الجامع الصغير . وقد رده أيضا ابن عابدين في حاشيته على البحر .

ثم أتت ترى أن صاحب معراج الدراية يذهب إلى أن الأولى للعاجز أن يقرأ لأنه بالقرءة يأتي بما في وسعه ؛ وهذا التعليل يدل على الوجوب ، فالظاهر أنه أراد بالأولى

ما يشمل الواجب . وللمتقدمين هذا التعبير في مثل هذا ، حتى إنهم كانوا يقولون :
أكره للمعزم وأحب للواجب ، حيث لا يكون الدليل قطعياً .
أما القول بأن الأولى أن يترك فليس له مستند إلا أن الترجمة ليست قراءة ،
ومن الجائز أن تفسد الصلاة ، ومن الجائز ألا تفسدها ، فرجعوا جانب الترك من قبيل
الاحتياط . ولكن هذا عجيب منهم بعد أن قل الجواز عن الأئمة الثلاثة حالة العجز
إجماعاً ، وبعد أن صرح جميع علماء المذهب الذين يمتدبرأيهم بأن الترجمة أقيمت مقام
القراءة خلفاً عنه كالإيلاء ، وبأنها هي القدورة للمكاف وهي التي في وسعه ، ولا يكلف
الله نفساً إلا وسعها .

بعد هذا ننقل البحث الى مسألة أخرى ، وهي ما إذا قرأ شيئاً من تراجم القرآن
بعد أن قرأ الفرض من النص العربي . وأمانا خلاف في هذه المسألة أيضاً :
قال الصدر الشهيد في شرح الجامع الصغير : « وهذا تنصيص على أن من قرأ
القرآن بالفارسية لا تفسد صلاته بالإجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف
في الاعتداد ولا خلاف في أنه لا فساد » . وقال الزبلي في شرح الكنز : « ولا خلاف
في الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما يجوز به الصلاة جازت صلاته » . وقال
أبو اليسر : « والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القراءة بها لا تفسد الصلاة ،
إنما الشأن في جواز الصلاة بها . كذا في جامع قاضيخان » .

فهذه نصوص صريحة مطلقة لا تحتل التأويل تدل على جواز ضم قراءة الترجمة
الى النص العربي المفروض للقادر على القراءة باللغة العربية .

ويقابل هذه النصوص نصوص أخرى ، فقد نقل صاحب الفتح عن النسفي « أنها
تفسد عندهما » وما رجحه صاحب الفتح من أنه « إذا كان المقروء من مكان القصص
والأمر والهي تفسد بمجرد قراءته لأنه حينئذ متكلم بكلام غير قرآن ، بخلاف
ما إذا كان ذكراً أو تنزيهاً فانها تفسد إذا اقتصر على ذلك بسبب إخلاء الصلاة من

القراء، وقال الإِتقاني: «فولهم لا خلاف في أنه لا فساد مع القدرة على العربية، فيه نظر، لأن القراءة بالفارسية ليست قراءة القرآن عندهما، وإذا لم تكن قراءة القرآن كانت من كلام الناس وهو مفسد للصلاة»

فهذه التصوص يدل بعضها على أن القراءة بالترجمة مع قراءة الفرض بالنظم العربي يفسد الصلاة مطلقاً، وبديل بعضها على أن الترجمة إذا كانت ترجمة ذكر وتزبيح لا تُفسد قراءتها الصلاة، وإذا كانت ترجمة قصة تفسد قراءتها الصلاة. فهي مسألة خلافية في المذهب تقل الخلاف فيها من يعتد بصحة روايته؛ وقد رجح صاحب الفتح رأى القائلين بالفساد إذا كان المقروء من الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى؛ ورجح رأى القائلين بالصحة إذا كان المقروء ترجمة ذكر أو تزبيح.

وقد أصب صاحب الفتح في هذا، فإن جعلهم الترجمة خلفاً يقام مقام الأصل مع اتفاقهم على أنها ليست قرأناً، يقتضى الفساد إذا وجد الأصل، لأنه لا يجمع بين الأصل والخلف. ولكن إذا كان مترجماً ذكر لا تبطل قراءته الصلاة لأن الصلاة لا تبطل بالذكر. فالفرق الذي أبداه الكمال في هذا الباب بوافق قواعدهم وعلاهم.

ونحن نرى هذا رأى إذا لم يكن هناك عذر، أما إذا وجد العذر وهو عدم إحسان النطق بالعربية أو عدم فهمها فإنه يظهر في هذه الحالة عدم الفساد لتحقق المناجاة على الوجه الأكمل وهو المقصود في الصلاة. وقد أشير إلى هذا شارح مسلم الثبوت فيما نقلناه عنه من قصة الحبيب المعجمي صاحب الحسن البصري.

ونذكر هنا أن لامام الشافعي رضى الله عنه نص في كتاب الأم في الصفحة ١٤٧ من الجزء الأول على ما يأتي:

«وإذا اتمموا به فإن أقالما مما أمّ القرآن أو لحن أو نطق أحدهم بالأعجمية أو لسان عجمي في شيء من القرآن غير ما، أجزأته ومن خلفه صلاتهم إذا كان أراد القراءة لما نطق به من عجمة ولحن، فإن أراد به كلاماً غير القراءة فسدت صلاته»

وسمعه أن الامام والمؤتم إذا أحسنوا قراءة الفاتحة ثم لحنا أو نطق أحدهم بلهجة أعجمية أو لغة أعجمية في شيء من القرآن غير الفاتحة لا يبطل صلاتهم ، والمعاد من الأعجمية اللهجة ، ومن اللسان اللغة كما هو استعماله في هذه المواطن . فهذا النص يدل على أن اللسان الأعجمي بعد قراءة الفروض عنده وهو الفاتحة لا يبطل الصلاة ، وهو موافق للحنفية في هذا .

كتابة التروهم وقراءتها :

قل الشيخ الشرنبلالي في رسالته عن التجنيس ما يأتي : « ومنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع لأنه يؤدي إلى الإخلال بحفظ القرآن ، لأننا أمرنا بحفظ النظم ولمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه ربما يؤدي إلى التهاون بأمر القرآن » .
وفي كتاب فتح القدير « وفي الكافي إن اعتاد القراءة بالفارسية أو راد أن يكتب مصحفا بها يمنع ، فإن فعل في آية أو آيتين فلا ، فإن كتب القرآن وتفسير كل حرف وترجمته حاز » .

وفي النفعة القدسية « قال المحبوبي : واختلف — يعني على الرواية المرجوحة — فيمن لا ينهم شيء ، وقد قرأ في الصلاة كلمة بالفارسية أو أكثر فيها ، أما لو اعتاد قراءة القرآن أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع ، حتى قال الفضلي : من تعد ذلك يكون زنديقا أو مجنونا ، والمجنون يداوى ، والزنديق يقتل »

وفي النفعة القدسية : « وحاصل ما تقدم وملخصه حرمة كتابة القرآن بالفارسية إلا أن يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته » .

فلدينا في هذه المسألة خلاف أيضا ، ولكن المحبوبي رحمه الله كشف لنا وجه الحق ، وأثار لنا الطريق ، ذلك أنه على الرواية المرجوحة عند الامام كان يجوز للقادر على العربية أن يقرأ بالفارسية ، فنتبه المحبوبي إلى أن هذا الجواز عند الامام فيمن لا ينهم بشيء ، وقد قرأ بالفارسية كلمة أو أكثر . أما الرجل المنهم بالعبث بالقرآن والمنهم بالزندقة

والإلحاد فلا يترك على عبثه بقرأ الترجمة وهو قادر على العربية ؛ وكذلك الرجل الذي يفهم العربية ويعتاد القراءة بالفارسية يتمتع ، فإن حالته هذه تدل إما على الجنون أو الزندقة ، لأنه ليس من اللائق برجل يعرف العربية ومحترم النظم العربي وبمقتد إعجازه أن يتركه إلى التراجم ؛ فالذي يتركه وهو على هذه الحالة إما زنديق أو مجنون . أما الإجماع الذي في عبارة التحنيس فقد عرفت قيمته بنقل صاحب الفتوح عن الكافي . على أن عبارة التحنيس تشير أيضاً إلى ما في كلام المحبوبي ، فإن الذي أمر بحفظ للنظم والمعنى هو القادر على حفظ النظم والمعنى ، والذي يتهاون بأمر القراءان إذا كتب بالفارسية ، هو الذي يعرف الكتابة بالعربية ويقدر على القراءة بها . أما الأعجمي الذي لا يقدر على الكتابة بالعربية وعلى القراءة والفهم بها فإنه يتهاون بأمر القراءان إذا لم يبحث عما يستطيعه منه ، فإذا لم يستطع إلا معناه وتدير معناه ، وجب عليه أن يحرص على ما يقدر عليه .

وإني أرى أن يعمل برأي صاحب الكافي وتكتب التراجم مع النص العربي ؛ وفي العمل بهذا الرأي اتباع لآراء فقهاء المذهب ، فضلاً عن أنه يذكر دائماً بالنظم العربي ، ويشوق إلى تعلمه وتعلم اللغة العربية لإمكان الوصول إلى فهمه فيها . ولا أقول يكتب النص العربي ليعلم الناس أن الترجمة ليست قرأنا ، فإن الترجمة نفسها تنادي بأنها ليست قرأنا ، فهي تشتمل على الآيات الدالة على أن القراءان أنزل عريياً دحم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فُصِّلَتْ آياته قرأنا عريياً لقوم يلمنون ، وهنا ينبغي أن أنبه إلى شيء قد يغفل عنه الناس ، وهو أن كلمة تفسير ذكرت في عبارات الفقهاء مرة بمعنى البيان والشرح ، ومرة بمعنى الترجمة باعتبار أن الترجمة والتفسير شيء واحد في اللغة كما يعلم من مراجعة كتبها ؛ وكلمة التفسير في النص السابق المنقول من قاضيان معناها الترجمة ؛ وكذلك كلمة التفسير في عبارة الكافي معناها الترجمة ، وعطف الترجمة عليها بيان المراد . والدليل على أنها في عبارة قاضيان معناها الترجمة أنه أجرى الخلاف فيمن حفظ تفسير سورة ؛ وصاحب المبسوط وغيره صرحوا بعدم جواز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به .

وبهذا علمنا أن كلمة التفسير ذكرت مرة بمعنى الترجمة، ومرة بمعنى البيان.

ما هو المراد من الترجمة؟

قد علمنا من النصوص السابقة أن الفقهاء لا يجوزون الصلاة بالتفسير بالإجماع، وأهم ختفوا في جوازها بالترجمة على النحو السابق، وبذلك تعلم أنهم يريدون الترجمة الحرفية، وهي التي يوضع فيها بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له في اللغة الأخرى بقدر الاستطاعة، وبقدر ما تحتمله طبيعة تلك اللغة ولا شبهة في أن الترجمة الحرفية غير مستطاعة في كل آيات القرآن الكريم. نعم إن بعض الآيات يستطاع هذا فيها، وبناء على ذلك فلا تجوز الصلاة بأية آية مترجمة، بل بالآية التي تترجم ترجمة حرفية، وليس معنى هذا أن الترجمة المعنوية غير جائزة، كلا، بل هي جائزة، وهي بمنزلة التفسير كما تقدم، ولكنها لا تجوز الصلاة بها، وإنما تجوز الصلاة بالترجمة الحرفية. هذا هو الذي يقتضيه فقه مذهب الحنفية، وهو فقه ظاهر الوجه.

والعلماء يحرصون في تراجم العلوم والفنون أشد الحرص على الترجمة الحرفية حتى ولو كان المعنى يفهم أمره في الترجمة، وهذا دأب أكثرهم ومع الذين تملكهم الأمانة في النقل؛ وقد نقلت الفلسفة وغيرها في أول أمرها في الدولة العربية على هذه الطريقة.

القراءة:

علمنا أن الترجمة يصح بها العاجز من العربية وجوبا، ويجوز أن تضم إلى مقدار المفروض من العربية لمن لا يحسن النطق العربي. وإذا كان هذا هو الحال في الصلاة فقد بان أنه يصح لمن لا يحسن النظم العربي قراءة وفهما أن يتدبر معاني القرآن للعبارة والمعظة والهداية وفهم الدين من ينبوعه الأصلي مترجما. وقد استفاد من ذلك النبيون ولا بساوثيا غير نوبه العربي كثيرون من العلماء الذين لا يدينون بالدين الإسلامي؛ فبعضهم آمن به واهتدى بهديه، وخرج من الظلمات إلى النور ببركة تلك المعاني؛ وبعضهم لم يصل

إلى هذه الدرجة ولكنه غيّر رأيه في الدين الإسلامي وفي النبي صلى الله عليه وسلم ، ووضع الدين موضع لكرامة ، وبحث فيه البحث اللائق بجلاله . وأظنني أعبت إذا شرعت أبين الفوائد التي تعود على الإسلام نفسه من إظهاره ونشره على لأتم المنعصرة بناتها ، ولكن يجب أن تراقب تلك التراجم .

مرصة منه وقراءته لغير ظاهر :

في التجنيس « ولو كتب القراء أن بالفارسية يحرم منه على الجنب والحائض بالإجماع وهو الصحيح ؛ أما عند أبي حنيفة فظاهر لأن المبرة للمعنى ؛ وكذلك عندهما لأنه قرء أن عندهما حتى تعلق به جواز الصلاة في حق من لا يحسن العربية » .

وفي فتاوى قاضيخان « الثالثة : إذا كتب تفسير القراء أن بالفارسية عند أبي حنيفة رحمه الله يكره منه للحائض والجنب ، وعلى قول أهل المدينة لا يكره ، وقول صاحبيه في هذا مشتبّه ، والصحيح أنه كقوله لأنهما يأخذان بالاحتياط » .

وفي شرح لمجمع عند الاستدلال على رأي أبي حنيفة « يدل ذلك على أن القراء أن هو المسمى ، والفارسية تشتمل على معناه ، فيكون حذراً في حق الصلاة خاصة لأن النجاسة حالة دهشة ، وأما غيرها فالنظم لازم حتى حاز للجنب قراءته بالفارسية » .

وفي شرح الهداية عند تحليل رأي صاحبين « إن القراء أن اسم لمنظوم عربي كما نطق به النص إلا أنه عند المعجز يكتفى بالمعنى كالإيماء » .

وفي شرح الزيلعي « إلا أنه لم يحمل النظم وكنا لا زماً في حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة لا يجوز » . وفي فتاوى النسفي « فقد وافقناه على أنه يصير قرء أنا عند المعجز عن أدته بالعربية ، فيفرض ذلك عليه بالإجماع » .

فتجد في هذه المسألة أيضاً خلافاً ونصوصاً متضاربة ، فصاحب التجنيس يرى حرمة المس بالإجماع ، وكذلك قاضيخان والنسفي في فتاواه ، لأنه متى صار قرء أنا يأخذ

حكمه وهو حرمة المس وحرمة القراءة أيضا ؛ وشارح لمجمع لا يرى حرمة المس وحرمة القراءة .

وإذ نحن رجعنا الى أصل النزاع ولى الأدلة أمكننا أن نقول : إن حرمة القراءة والمس يجب أن ترتبط برأى الامام أبي حنيفة الذي رجع عنه ، وهو أن القرآن اسم للمعنى . أما على ما هو الصحيح عنده وعند صاحبيه من أن القرآن اسم للنظم والمعنى ، وأن الترجمة جعلت خلعا عن النظم العربي في الصلاة كما جعل الإيلاء خلعا عن الركوع والسجود ، وأنه لا يصار إليها إلا عند المحذور ، أو أنها جعلت رخصة في الصلاة حال القدرة عنده ، فلا يمكن أن تعطى الترجمة في حالة القراءة والمس حكم النظم العربي . وقول النسفي : إنها حال المعجز قرآن عندهما ، معناه أنها تعطى حكم القرآن في وجوب الصلاة بها ، لأنها تسمى قرآنا وتعطى حكم القرآن .

وبعد : فإن الترجمة لا تسمى قرآنا على أى وجه كانت ، وأنها أجزأت الصلاة بها للقادر عند أبي حنيفة على رأيه المرجوح رخصة ، وأجزأت الصلاة بها (وبعبارة أدق : ووجبت الصلاة بها عند المعجز عن العربية) لأنها اعتبرت خلعا عن النظم العربي دفع شبهة أخرى :

علم من الفصول السابقة أن الخلاف جرى في أمور كثيرة : في تسمية الترجمة قرآنا ، وفي جواز الصلاة بها عند القدرة على قراءة النظم العربي ، وفي أنها تصح فرضا في الصلاة عند المحذور من النظم العربي أولا ، وفي أنه يصح ضمها الى المقروء من النظم العربي بمقدار الفرض أو لا يصح ، وفي أنه يكتب بها مصحف أولا . كل هذا جرى الخلاف فيه ، ولم يجر في جواز الترجمة وعدم جوازها حرفية كانت أو معنوية مع اتفاقهم على أن الترجمة المعنوية لا تجوز بها الصلاة . وقد ظن بعض العلماء أن خلاف الحنفية يختص بالصلاة ، على معنى أنهم لم يميزوها في غير الصلاة ولم يميزوا القراءة بها في غير الصلاة . وسبب هذا أنه وقع في بعض العلل وفي بعض العبارات شيء أمكنهم أن يأخذوا

هذا منه ، فقد علمت أن العلماء رجحوا أن القرآن اسم للصنى والنظم عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأنهم مع هذا أجزوا الخلاف في جواز الصلاة بالترجمة حال القدرة على أداء النظم العربي . وهذا غريب لأنه مع الاعتراف بأن الترجمة ليست قراءانا ، والله تعالى طلب قراءة القرآن بصيغة الأمر الدالة على الرجوب بقوله : « فافروا ما تيسر منه » كيف تجوز الصلاة بما ليس قراءانا ، وإحازة الصلاة بها دليل على أنها قراءان ؟ فقال العلماء : إن الخلاف إنما هو في الصلاة ، ومعناه أن أب حنيفة لا يسمى الترجمة قراءانا في غير الصلاة ، ولكنه يمتثلها قراءانا في الصلاة رخصة ، لأن حالة الصلاة حالة مناجاة لا حالة إعجاز . فعبارة : أن الخلاف في الصلاة خاصة ، وكلة : رخصة في الصلاة ، هي التي جعلت بعض أفاضل العلماء يقول إن خلاف الحنفية إنما هو في الصلاة . ولكن الواقع أن المراد منها ما أسلفته ، وإلا فكيف يُعقل أن يميز الإمام الصلاة بها للقادر على رأيه المرجوع عنه ، وأن يميز هو وأصحابه باتفاق الصلاة بالترجمة حال العجز ، وأن يميزوا ضمها إلى المقدار العربي المفروض ، وأن يجعلوها فرضا عند العجز على أصح الأقوال ، وأن يميزوا كتابة الآية والآيتين بالاتفاق ، وأن يميزوا على الراجح كتابة المصحف بها بعد أن يقرن بالنص العربي . كيف يُعقل أن يكون هذا كله ثم لا تكون الترجمة جائزة ؟ هم يميزون الترجمة بلا نزاع ، وهم يميزون كتابة المصحف بها مع النص العربي . أما القراءة حال القدرة لمن ينهم بشيء في دينه ، وأما كتابة المصحف بها حال القدرة دون أن يكون معه النص العربي ، فيمنع منه أشد المنع ، لأنه من القادر تهاون في أمر القرآن . وأما كتابة المصحف بها مع النص العربي للعاجزين عن قراءة النص العربي فلا يمكن أن يدعى حرمتها على قواعد مذهب أبي حنيفة ، ولا يمكن أن تطرد فيها الملل وهي التهاون بأمر القرآن والإخلال بالنظم العربي .

ولا شبهة في أن الفتوى بالحل والحرمة لشخص من الأشخاص يتبع حاله ويتبع دينه ويتبع الأمارات القائمة عنده .

وعلى هذا فكل مسلم عاجز عن أداء القراءة بالعربية ، وعن النطق بالعربية ، وعن الفهم بالعربية ، يستطيع أن يقرأ ترجمة القرآن للعظة والهداية والتدبر ويصلي بها وجوباً إن لم يعرف شيئاً من النظم العربي ، وله أن يضمها الى النظم العربي إذا كان حسن القصد يريد مناجاة الله بمعنى كلامه . أما إذا كان عابثاً سيئ القصد فيحرم عليه هذا .
خاتمة البحث :

ونقول في خاتمة هذا البحث : إننا إذا تتبعنا كلام اللامعين رأيناه ينقسم الى قسمين : قسم لا يستحق العناية والتقدير ، وقسم يستحق العناية والتقدير .

فن القسم الأول قولهم إن للحروف العربية مزية وحرمة ، ولل كلمات العربية مزية وحرمة ، وللنظم العربي مزية وحرمة ، والترجمة تغير هذا كله ، وتقدم المضاف إليه على المضاف ، وتحرم الناس من الاشارات الحسائية والمعارف واللغات الصوفية ؛ فاننا مع اعترافنا بهذا كله (إلا الاشارات الحسائية وما أشبه ذلك) واعترافنا بأنه لا يجوز أن تغير الحروف والكلمات والترتيب في النظم العربي كي لا يقع فيه التحريف ، نرى أن التراجم لا يمكن أن تؤثر في شيء من هذا مطلقاً ، لأن ذلك كله باق في النظم العربي لا تفتح التراجم عليه باب الفساد ؛ ونحن إنما أمرنا بحفظ هذا في اللسان العربي الذي أنزل به القرآن ، وكيف نكلفه إذا أريدت الترجمة ، ويصح أن يقال إنما أمرنا به في القرآن ، والتراجم ليست قرأنا ولا يصح أن تسمى قرأنا وإنما هي معاني القرآن .

وأما القسم الثاني فهو أن الترجمة الحرفية متعذرة ، والترجمة المعنوية قد تغير المعنى ، والأثم الأعجمية ينبغي أن تعرب وتعلم العربية وفهم القرآن في نظمها العربي .

ونحن نعتز بأن الترجمة الحرفية متعذرة في كل القرآن ، ويمكن في آيات كثيرة أو في أكثر آيات القرآن ، ونعتز بأن الترجمة المعنوية قد يتغير بها المعنى المراد لله سبحانه وتعالى ، لأنها موقوفة على الفهم أولاً ، وبعد الفهم ينقل المعنى المفهوم الى اللغة الأخرى ؛ ولكن الحنفية مع هذا أجازوا الترجمة الحرفية فيما يمكن أن يترجم حرفياً ،

ولم يجوزوا الصلاة بغيره ، وأجازوا الترجمة المعنوية ، ولكنهم لم يجوزوا الصلاة بها ؛ ولو أنهم كانوا يمتنون الترجمة للمعنوية لقالوا ، إنها لا تجوز الصلاة بها لأنها غير جائزة ، ولكنهم قالوا لا تجوز الصلاة بها لأنه لا يتيقن أنها معنى كلام الله . وقد أيت الشاطبي رحمه الله كيف أجاز الترجمة للمعنوية وسوى بينها وبين التفسير .

أما تعريب الأسم الإسلامية الأعجمية فهو أمل حلو ، وكل مسلم يود لو أن اللغة العربية غمت العالم الإسلامي جميعه أو العالم كله ، وأصبحت لغة التفاهم والتخاطب ، ولغة التأليف والتراسل ، ولغة العلم ولغة الفنون ؛ ويود كل مسلم أن يصبح كل المسلمين قادرين على فهم القرآن الكريم بنظمه العربي ، وقادرين على البطق به ، وقادرين على استنباط الأحكام منه .

ولكن الى أن يتحقق هذا الأمل ماذا تفعل الأسم الأعجمية ؟ وهل الأفضل لها أن تبقى كما هي قائمة بقراءة الفانحة في الصلاة ، ثم هي بعد ذلك لا تستطيع النظر في ألفاظ القرآن العربية ، ولا النظر في معانيه مترجمة ؛ أو الأفضل أن تنقل إليها معاني القرآن وتنقل ما يمكن نقله بالترجمة الحرفية لتستطيع إحاطة الصلاة وللانجاة بقراءة الترجمة الحرفية ، وتستطيع للنظر والفهم والتدبر في المعاني ؛ هذه في الحقيقة هي المسألة بقطع النظر عن الجواز والحرمه ، فإن أمر الجواز والحرمه فرغ منه الفقهاء منذ اثنتي عشر قرناً ، ونحن لا نحدث جديداً من الفقه في هذه المسألة .

ثم هل الأفضل أن يبقى القرآن محجوباً عن الأسم لرافية السميكية ، أو الأفضل أن ينقل إليها نقلاً صحيحاً ليعتد العلماء نُظمه الاجتماعية وما فيه من توحيد وتنزيه ومكارم أخلاق ؟

وهذه المسألة تدل على ظاهرة غريبة في الفقه ، فكل ذهبت بعيداً تطلب الأولين من الفقهاء ، وأقوالهم تجرد روح التسامح بإديان الصور ، وروح النظر الى المعاني وثاباً طامعاً ؛

وقد أدت من عصرنا الذي نميش فيه وجدت الأمر على العكس . وهذه الظاهرة تمتد أقوى تمثيل حياة الأمم الإسلامية في الماضي والحاضر ، وتبين الفرق بين المصريين . والحمد لله أولاً وآخراً ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فصل :

كتبت هذه الرسالة منذ أربع سنوات ، وأثبتت فيها نصوص علماء الخنفة . والآن أريد إثبات بعض النصوص لعلماء المذاهب الأخرى :

جاء في صفحة ٣٠٨ من الجزء الأول من كتاب تصحيح الفروع للمفتي الحنبلي « قال شيخنا : يحسن للحاجة ترجمته لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة ، وذكر غيره هذا للمعنى ، وحصل الإنذار بالقراء أن دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ .

وفي كتاب الإقناع « ونحسن للحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهمه إياه بالترجمة ، وحصل الإنذار بالقراء أن دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ .

وقال الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري نقلاً عن ابن بطال المالكي في الصفحة الثامنة من الجزء التاسع : « باب : نزل القراء أن بلسان قريش والعرب قرأنا عربياً بلسان عربي مبين » شرح حديث يعلى بن أمية : مناسبة الحديث للترجمة أن الوحي كله متلوا أو غير متلوا إنما نزل بلسان العرب ، ولا يرد على هذا كون النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لتفهم العرب بألسنتهم » اهـ . وقد أقر ابن حجر هذا وهو شافعي .

ومن السهل أن يظن الباحث بعد هذه النصوص التي نقلناها إلى أن الخنفة لم ينفردوا بالقول يجوز الترجمة ، بل وافقهم على هذا الحكم الشافعية لما علمت من إقرار ابن حجر لما نقله عن ابن بطال ، والحنابلة ما سمعت من نص كتاب تصحيح الفروع

وكتاب الإقناع، والسالكية لما رآه ابن بصال في شرح الحديث السالف . وقد عرفت من قبل رأى الشاطبي، وهو أن الترجمة جائزة بإجماع المسلمين .

ويمكن أن نذكر في هذا الفصل عبارة لجار الله الثمغشري في الكشف عند تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليدين لهم فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم » :

قال . « فمن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وخدم وإنما بعث الى الناس جميعا » قل يأبها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم حجة ، وإن لم تكن لغيرهم حجة فلوزل بالمعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا ، قلت : لا يخو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها ، فلا حاجة الى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه وتثوقل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهمه كما ترى الحل وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم المعجم . ثم قال : « ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوهم عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من لا يلجاء » اهـ وقد فصل العلامة الألويسي عبارة صاحب الكشف ثم علق عليها بقوله : « كذا قرره شيخ الاسلام والمسلمين وهو من الحسن بمكان » . وبعد هذا يمكن القول بأن المسألة من الوضوح بحيث لا تقبل الجدل ، فإن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم رسالة عامة ولا سبيل الى تبليغ الرسالة وتبليغ ما أنزل اليه ليتدبره الناس إلا عن طريق الترجمة .

ولا أرى خطرا ما في هذا ، لأنه متى علم الناس علما لا لبس فيه أن الترجمة ليست قرءان وليس لها خصائص القرآن ، وأنها لا تحمل الإعجاز الموجود في النظم العربي ،

بل ولا نحمل معاني النظم العربي جميعها ، وإنما نحمل المعاني التي فهمها المفسرون ، ووجد الأمن العام ، وحصلت الطمانينة التامة الى أن التراجم لا تأخذ قدسية القرآن العربي ، والى أنه لا يمكن أن يخطر بالبال يوما ما أن التراجم هي القرآن المنزل على رسوله لا كرم صلوات الله عليه .

هذا ، وقد أكثر الناس من الكلام على الترجمة الحرفية ، وظنوا أن الغرض منها نقل خصائص النظم العربي . وهم راحمون في هذا الفهم ، لأن نقل خصائص النظم العربي مستحيل ، بل المراد منها ما يفصح عنه النص الآتي في مذهب الحنفية :
في الزيلعي : « ولا تجوز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به » قال الشلبي في حاشيته : « لجواز أن يكون مراده تعالى غير ذلك التفسير ، ولأنه كلام الناس ؛ والاختلاف فيما إذا أبدل لفظا عربيا بلفظ عجمي بمثاله » .

ومن هذه النصوص التي سلفت يعلم أن الآيات التي يختلف المفسرون في تفسير معناها ، والتي لا يمكن أن تترجم إلا على وجه من الوجوه ، لا تصح الصلاة بها عند الحنفية لأنه لا يقطع أن معناها كلام الله .

أما الآيات التي يصح أن يصلى بها فهي التي لا يوجد فيها خلاف في معانيها . ومثل هذه الآيات تسمى ترجمتها ترجمة لفظية أو ترجمة حرفية ، على معنى أن هذه الترجمة تنقل المعنى نقلا تاما .

وقد يقول قائل : إنه عند تمدد المعاني لا تصح الترجمة لأن المعنى المنقول حينئذ لا يقطع أنه معنى كلام الله .

والجواب عن هذا : أن المسلمين في هذه الحالة قد أجمعوا على جواز التفسير باللفظ العربي ، وعلى أن الفقيه يأخذ الأحكام بناء على ما يفهمه من النظم العربي باعتباره أن ما فهمه هو معنى كلام الله ، فكما صح هذا يصح أيضا أن تنقل هذا المعنى الى اللغة الأخرى على أنه المعنى المفهوم للناقل والمترجم ، ولا ضير في هذا .

والمحذور هو أن تُفهم العربي الذي نحكي له التفسير أن هذا المعنى هو مراد الله تعالى قطعا .

ولعل هذه الفصول ، وفيها من النصوص ما فيه بلاغ ، وفيها من توضيح الآراء ما اشتجرت فيه وجوه الفهم ، تتلج صدر المتخوفين من أن يُسلم الناس بهذه الترجمة ما أورثوه وما استحفظوا من كتاب الله ، فلا يزال القرآن الكريم بصحاه باقيا يهتدى به الناس ويتمبدون بتلاوته ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله منه . وقد غبرت قرون من لدن اختلف العلماء في جواز الصلاة بغير العربية ، وترجم القرآن الكريم مرارا في شتى لغات العالم ، وما وجدنا معقل العربية قد أسلمه حماه . وخير أن يوحد للناس بالقدر الممكن ما تستقر عليه آراء أشياخ العربية والدين من فهم معاني كتاب الله ، ليعمد عن هذا الكتاب المطهر زرع الزائفين وإلحاد الملحدين .

وقد اختلف العلماء قديما في الوجه الذي أعجز به القرآن ، وتقل اختلافهم في كتب الحديث وعلوم القرآن . ودرء نظمه المعجز صنوف من الإعجاز ، وألوان من معاني حكم الله وأسراره الباهرة ، وما سرد من قصص ، وما أخبر عنه من منيب . حرام أن تبقى هذه المعاني عجيوبة عن أعين الناس فرارا من أوهام الخائفين ، وحذارا من إشفاق الموقنين .

وسيجد المخلصون في هذه الترجمة أكبر خدمة لدين الله الذي ارتضاه ، وخير معونة تسدى للراغبين في تفهم حقائق هذا الوحي الصبوي . والله متم نوره .
«سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد» .

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

٢

مقابل هذه الروح من الشخصية الانسانية

نحن باطلافتنا كلمة روح على هذه المباحث إنما نسميها بما سمى به الحق سبحانه وتعالى تماليه ووصايه التي أوامها الى رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله جل شأنه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمن ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإليك نتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا الى الله نصير الامور » قال المفسرون : وإنما سمى الله ما أوحاه الى رسوله روحا لأن به حياة القلوب كما بالروح الاساسية حياة الأجساد .

ولما كان الخالق الحكيم لا يكلف عباده إلا بما يستطيعون القيام عليه ، وما كن في جبلتهم من القوى الحافظة اليه ، فقد سمى الدين الجامع لجميع خصال الخير بدين الفطرة ، إذنا بانه موافق لها كل الموافقة .

فالروح الاسلامية تعتمد على الفطرة الاساسية ، وتستمد منها سلطانها على العقول ، وحقها على الخلود . ولما كان هذا الموضوع يحس أساس الدين وعليه يتوقف استيلاؤه على النفوس ، وبه تبلغ أدلة هذا الدين أقصى ما قدر لها من قوة ، وجبت علينا زيادة بيان له فنقول :

خلق الله الانسان مطبوعا على تحايز تحفزه الى الخير ، وحرائر تدفعه من السوء الى مدى لا يبلغ اليه العقل ، ولا يصل الى غايته حيال ، بهيك بكاش علمه مبدعه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته . فهذه إشارة الى أنه يمكن من قبول الترقى بحيث يصل الى مقاوم روحانية يفضله بها الكائنات العلوية . وهذا التقدير الاسلامي للانسان قد انتهى اليه مذهب العلم المادى في القرن العشرين . فكتب العلامة الكبير (هارل ريشيه) (١) مدرس التفيزيو لوجيا في كلية الطب الباريزية وأحد أعضاء المجمع العلمي الفرنسي ، في مقدمة كتبها لكتاب (الظواهر النفسية) (٢) ليدكتور ما كسويل ، النائب العام في حكومة الجمهورية الفرنسية ، لطبعته الخامسة الصادرة في سنة (١٩١٤) قال :

« إذا سألنا رجلا متوحشا ، بل لو سألنا ملاحا مصرية أو قرويا روسيا عما يعلمه عن قوى الطبيعة ، وجدناه لا يدري منها عشر ما نسرده منها السكتب الأولية لهذا العلم في سنة ١٩٠٣

(هي السنة التي كتب فيها هذه المقدمة) ، ويظهر لي أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة في مثل حال قروى اليوم إزاء أساتذة جامعة فرنسا ، انتهى .

وقد دفع هذا التقدير الاسلامي للانسان الى اعتقاد المسلمين بأنه بما أودع صميمه من روح الله يعتبر به علما وحده ، بل ذهب بعضهم الى لقطع بابه العالم الأكبر فقال شاعر :

أزعم أنك شيء صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وبذا كان اعتقاد المسلمين هو هذا ، فأى كمال يرون الانسان دونه ، وأى مرتقى من السمور يظنون أنه لا يبلغه ويجوزه الى حيث لا تصل الظنون والآوهام ؟

وما دام هذا مسلما به فأى تسكيف مهما كان شاقا عنيفا لا يستسهله الانسان ليبلغ هذا الملك الذي لا يلى ، وأى رياضة نفسية لا يتعمها ليصل الى هذا المستوى الذى دونه كل مستوى ؟ « إنا عرضنا الأمانة (أى التكاليف المناسبة لكرامة الانسانية) على السموات والأرض والجبال ، فابتن أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا » أى كان ظلوما لعدم القيام « دائما جبالا منه بشعرائها » .

والنظر المحرد فى كل ما أدركه عقل الانسان من أسرار العلوم ، وما سخره من قوى الكون ، وما هم على يديه من الصنائع والاختراعات ، يدل من طريق محسوس على أن القطرة الانسانية ثرية فى القوى المعنوية ، ثروة لا يمكن تقديرها بهذا العقل العادى فى أى دور من أدوار رقيه ، لأن ما حكم هذا العقل عليه بالاستحالة فى عصر من العصور ، وصل اليه هذا العقل نفسه بعد عهد قريب أو بعيد . أما رأيت أن شيخ الفلاسفة الحسين (أجوست كومت) أراد أن يصع حدودا للممكن وغير الممكن ، وعد من غير الممكن معرفة تركيب مادة الكواكب ، فلم يرض على كتابه الذى قرر فيه هذا الرأى بضع سنين حتى اكتشف أحد المخترعين آلة السكترسكوب المؤسسة على تحليل ألوان الأشعة الشمسية ، فمرفت مادة الكواكب بطريقة محسوسة لا يمكن التراجع فيها ؟

وإذا لم يكن الانسان معطورا على بلوغ أقصى ما هو أهل له دفعة واحدة ، فانه مطبوع على أصول أولية يستطيع أن يقوم عليها ، بدون هاد يهديه اليها ، وهى ماسمى بالمعارف الضرورية . فيستطيع أن يميز بها بين الحسن والقبيح ، وبين النافع والضار ، وبين الخير والشر ، وغرز فيه من البواعث على التكميل ما يحفزه الى الخروج الى أرفع مكانات الارتقاء .

ولما كان الغرض الأول من الدين الحق هو إيهال الانسان الى كماله ، من طريق تنبيه غرائز التكميل الكامنة فى طبيعته ، وإيقاظ عواطف السموات الثاوية فى روحه ، فقد اتفق الدين الحق والفطرة الانسانية كل الاتفاق ، فإذا كان بينهما طرق فهو فى أن القطرة قوى معنوية مبنوة فى كيان الانسان ، والدين ترجمة طبق الأصل لهذه القوى . وقد ورد التنزيل مقريدا

لهذه الحقيقة الفلسفية ، فقال تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .
 فإذا قلنا إن الاسلام دين عالمي عام يسع الخلق كله ، وهو خالد خلود الحقائق الكلية ، ساع لنا ذلك ، بل عد من باب تقرير الواقع ، لأن الفطرة الانسانية عالمية عامة ، وغايتها ومبناها مستقرة خالدة ، وكل ما وافق المثل العليا التي تنبج هذه الفطرة الى تحقيقها فهو دينها الحق الذي لا نجد عنه معذرا . ولكن الأمر يحتاج الى أدوار كثيرة من التطور تدخل فيها النفوس البشرية لتتهذب وتخلص من رعوناتها الحيوانية ، وتقوم على صراطها الذي نهجه الخالق لها ، وتعرف الإعلام التي نصبها في السكون لتستشدها ، وإلى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى بقوله . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

وكل دين لا يعتمد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها لمحكوم عليه بالزوال متى وصلت عقول أهله الى الرشد ، ومتى ضعف فيهم تأثير التقليد الأعمى لأبائهم . وهذه النتيجة تعتبر طبيعية من كل وجه ، لأن كل ما لا يتطابق على العقل يضعف أثره على النفس على نسبة الاستمارة التي يصل إليها هذا العقل ، وكل ما كان لا معتمدا له غير داعية التقليد الأعمى يضمحل باضمحلال الداعية التي يقوم عليها بتقدم العلم والفلسفة ، والعالم من هذه الناحية في تطور مستمر ، وإن شوهذ أن سيره وتبدل ، فذلك لأن الأديان البشرية قد أصبحت عنصرا من عناصر القوميات ، فهي باقية بفصل هذا الامتزاج ، ولكن تطور أصول الاجتماع سينتهى باخراج هذا العنصر من كيان القوميات ، كما أخرجت عناصر أخرى أصبحت فيها عدلا للضعف ، ولعل ما طرأ من هذا القبيل في علاقات الأمم بالأديان من الترخي ، يشير الى أن سنة التمهيع تعمل على عزل كل ما هو باطل من كيان الأمم ، ليتم التلاؤم بين ما وصلت اليه عقولها ، وما يجب أن تكون عليه مقوماتها .

وكل هذه التفاعلات الأدبية والاجتماعية بين الأمم تعتبر في الواقع تعبئا نحو مقتضيات الفطرة الانسانية السليمة ، وكل ما يعمل لمصلحة الفطرة هو في الواقع ، بناء على ما علمت ، عمل لمصلحة الاسلام ، وجهد مبدول لتعميم دولته في الأرض ، فالمستقبل للاسلام وإن جهل ذلك الجاهلون ، أو تجاهله المتصبون .

فانظر على أي أساس تقوم الروح الاسلامية من الطبيعة الانسانية ، وعلى أي الشرائع الفطرية تعتمد لتحقيق مقاصدها العالمية ؟ إن دينا يقوم على مثل هذا الأساس المتيقن لا يمكن أن يبلغ منه المخلصون ، فكل سهم يوجهه اليه منازع يرتد اليه فيصميه ، وكل كيد يديره له كائد يموذ عليه فيرده : « يريدون أن يطفئوا نور الله ، فوهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

التفسير

سورة الرعد

- ١١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُ) .

قد سمعت في الآية السابقة ما حكاه عز وجل عن الكفار المكابرين من تمادهم في المكابرة والطفيان ، وتعاميهم عما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم من الآيات اليبينات ، فهم يقولون بعد كل ما رأوا : « لولا أنزل عليه آية من ربه » ، وسمعت ما أمر عز وجل أن يرد به عليهم في قوله : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب » ، ويبت أن معنى ذلك : أن المسألة ليست مسألة طلب آية يتبين بها الحق ، فقد أنزل من الآيات ما فيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإنما الأمر أمر التوفيق والحدلان ، أمر من أراد الله أن يهديه أو أراد أن يضلّه ، أمر من شاء الله أن يشرح صدره للإسلام أرشاً ، أن يركه في مهاوى الضلال والبهتان ، والله فمال لما يريد ، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ؛ وإلا فكيف لا يعتد ما ذكر من أول السورة برهاناً أقوى برهان على صدق ما دعاهم إليه من الاعتراف بوحده وإيمته وعظيم قدرته وباهر حكمته وواسع علمه ، وأنه وحده هو المهيمن على العالم علويه وسفليّه ، هو الموجود له

على هذا النظام الحكيم والترتيب المعيب ؟ لالا ، ليست المسألة مسألة آية ، وإنما الأمر أمر الضلال والهداية : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب » .
والسر في التعبير في الشق الثاني بكلمة « من أناب » بدل أن يسير بكلمة « من يشاء » كما في الشق الأول ، هو قطع ما عسى أن يعملوا به من المحاولات التي كانوا يتصيدونها كلما بدت لها بارقة شبهة ، فربما قال قائلهم : إذا كان الأمر راجعاً لمشيئته كما ذكرت في الضلال والهداية ، فما وجه مطالبتك لنا ، فلو شاء الله لهدانا جميعين ؟ أجل : لو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، ولكن ليس معنى ذلك بطلان الاختيار من العبد وعدم مدخلية إرادته بالمرّة ، فالتمسك بهذا ليفر من المسئولية مكابر لنفسه مكابر لعقله مكابر لوجدانه ، منكر لما أنعم الله به عليه من عقل وتمييز وإرادة واختيار يتوجه بها إلى ما راق في نظره وحسن في عقله . تشهد بذلك بديهة الصبيان في أول درجات التمييز . أليست ترى الطفل حين هم بتأديبه لأمر فرط منه تجده تارة ياجأ إلى قوله : « هذا جرى قهراً عى » وتارة إلى قوله « ثبت أن أعود » ؟ أليس معنى هذا في عقله أنى في الأول لا أستحق الأذى لأنى لا يصح أن أؤاخذ بما لا اختياري فيه ، وفي الثاني أنى أستحق العقوبة لأنى فعلته باختياري ، ولكنى أستسمحك وأستغفرك مما فرط منى واستوجب عقوبتى ، وأعدك بأن أقلم ولا أعود ؟ اللهم إن هذا في فطر الأطفال بله العقلاء .
فالتمسك بالمشيئة الإلهية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً إلا بعد أن يقع منه الفعل إجابة لداعية نفسه ، مستمسك بما يعلم في نفسه أنه كاذب فيه ، وإنما يريد المكابرة والمراوغة ، وهو لا يراوغ إلا في مصلحة نفسه ، وإلا فالحقيقة أن من أناب إلى الله وثاب إلى رشده ، وجعل لعقله نوبات يراجع فيها أمره على بصيرة ، مطرحاً اللناد واللجاج في الفساد ، واستلهم من الله الرشاد ، فقد أعدّ نفسه لإضافة نعمة الله وهدايته عليه ، والله كريم جواد ، ورءوف بالعباد ، فهو يضل من يشاء ممن انصرفت نفسه بالمرّة من مراجعة الحق والصواب ، ويهدي من يشاء ممن أناب إلى ربه ورجع إلى التفكير

فيما نصبه له من أدلة، وساقه له من آيات . وبعبارة أوضح : جعل من نفسه لنفسه نوبة يرجع فيها الى التفكير الهادئ الخالص ، فهو بذلك محل لإفاضة الهدى عليه من الله . وهؤلاء هم « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » . وعلى ذلك يكون قوله : « الذين آمنوا » الخ ، من تمام الكلام السابق ، ويُربّ بدلا من « من أناب » أو عطف بيان عليه ، أو خبر مبتدأ محذوف كما قدرناه آنفا .

وقد يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله : « من أناب » وقوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم » كلام مسوق لبيان شأن الفئة المتقابلة للذين كفروا القائلين : « لولا أنزل عليه آية من ربه » . فكأنه بعد ما ذكر حال أولئك الكافرين ، وأهمهم إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وكلما نزلت عليهم آية طلبوا غيرها ، ذكر حال المؤمنين الذين طمأن قلوبهم وسكنت الى ما أنزل عليه من الذكر الحكيم والفرعان العظيم ، وهو الجدير بأن تطمئن اليه القلوب : ألا يذكر الله تطمئن القلوب . ويكون قوله : « ألا يذكر الله تطمئن القلوب » جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر الآتي في قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » وقوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » بدلا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ، وهو وجه لا بأس به ، وإن كان الأول أظهر منه وأقرب .

وإذا قيل على الأول : ما معنى يهدي الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم والهداية قد حصلت بالإيمان وطمأنينة القلوب ، فكيف يحملان سببا للهداية ؟ قلنا : إن هذا على نسق قوله تعالى : « هدى للمتقين » وقد قالوا فيها : إن معنى المتقين من أعدوا أنفسهم لإفاضة التقوى على قلوبهم يرجوعهم الى طلب الحق والبحث عنه ، فإن الله يهديهم سر طه المستقيم ، فكذلك هنا معنى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الذين لأنت قلوبهم ، وانجهم الى طلب الحق الذي شعروا به من نفوسهم ، وأصاخو الى ما صدر عن فطرتهم من الإجابة بعقولهم : أن نؤيوا الى رشدكم ، وتعرفوا مصدر نعمكم ، وافهموا ما ركب في فطرتكم ، فعملوا ما ينجيكم من عذاب ربكم ، وما يديم ما أنعم به

عليكم . هذه بارقة الايمان تلبث من صدور المؤمنين ، فيتلقفونها ، ويتدبرون ما احتوت عليه ، ويتأملون فيما دُعا اليه ، فيجدون ذلك كله يدعو بعضه الى تصديق بعض ، فإذا اطحوا العزة النفسية والحمية الجاهلية ، وعدلوا عن اللعب في موضع الجسد ، ونظروا النظر الصحيح ، فقد تفتحت عيونهم لمشاهدة ما عرض عليهم من آيات ، فاستمسكوا بها ، فحسوها وأخلصوا النظر فيها ، فزادوا اليها ركوناً ، فامثروا طمأننت قلوبهم بذكر الله وآياته ، وأى شئ أوجب طمأنينة القلوب من ذكر الله وذكر آياته ؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

والطمأنينة : السكون والاستقرار ، ويقال للمكان المنخفض مطمئن ومطمأن ، لأن ما يحمل فيه يسكن ويستقر عادة . وطمأنينة القلوب : سكونها الى ما حل فيها من عقيدة راسخة . وذكر الله هنا : القرآن الكريم . يعرف ذلك من مقابلته لقوله : « لولا أنزل عليه آية » . وإطلاق الذكر على القرآن مستفيض « إنا نحن نزلنا الذكر » وهذا ذكر مبارك أنزلناه . وسبب طمأنينة قلوبهم بذكر الله ما يشهدون فيه من آيات بينات دالة على صدق من أنزل عليه دلالة لا ليس فيها ولا ريب ، فهي تدفع عن قلوبهم قلق الحيرة والتردد .

وقوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » تقرير وتثبيت لما كان منهم ، ويان أنه هو الذى ينتظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فأما من مرّ عليه فلم يلق له بالاً ولم ينتفع بالهدى الذى احتواه ، فلا يصح أن يكون من قوى القلوب ، بل ممن قال الله فيهم . « وأغندتهم هواء » أى فارغة خالية عن القلب . والخصر المستفاد من تهديم « بذكر الله » على « تصمئن » لبيان عظم منزلة العلمانية الحاصلة منه ، فهي طمأنينة منشؤها العقل ، وليست من المحسوسات التى ربما لحقت النفوس معها نوحات تقلق راحتها ، كأن يقولوا : « إنما سُكِّرَتْ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » أو كما حكاه مز وجل عنهم في قوله : « وإن يروا آية يُعْرِضُون » ويقولوا

سحر مستمر . فيكون الحكم بحصر اطمئنان القلوب في ذكر الله ، لأنه بماى عن أن يدعى فيه السحر أو نحوه ، فضلا عما فيه من الدوام والبقاء ، ليكون معجزة خالدة بذاتها خلود الدعوى الى قامت هذه الآية لتأيدها ، فليس الموجود نبأ هذه الآية والإختيار عنها ، بل الموجود الخالد هو الآية نفسها ، فلا سبيل الى تطرق الرب إليها ، ولا يعترى القلق قلوبا نظرت فيها وتعرفت وجوه إعجازها .

وبعد : فهذا لا يمنع أن يستفاد من الآية معنى آخر إذا نُظر إليها في ذاتها بقطع النظر عن السياق الذى سيق له ، وهو أن تذكر جلال الله وعظمته ، وباهر قدرته وحكمته ، مما يغرس في القلوب طمأنينة وسكينة ، كما قال تعالى : « ثم تأين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » . ويكون وجه مناسبته لما سبق : أن شأن الكافرين أنهم إذا ذكروا الله وحده اشمأزت قلوبهم . ولكن المعنى الذى قررناه أولا أقرب للنظر ، وأوجه في المناسبة ، وهو أن المراد بالذكر القرءان الحكيم .

وعلى المعنى الثانى قد يقال : ما وجه الجمع بين ما هنا وبين ما جاء في قوله تعالى : « إذا ذكر الله وَجِبَتْ قلوبهم » ؟ والجواب أن ذكر الله يتجلى في عدة صور : فتارة يكون ذكر الأُنس والتبثل إليه سبحانه ، ومشاهدة ما فى صنعه من جمال باهر ، فتطمئن القلوب من حيرتها ، وتسكن من قلقها ، مدعنة أنه الواحد لا شريك له ، ولا يستحق أن يعبد غيره ؛ وتارة يكون بذكر عظمته وهيبته ، وما يجب على الرء ليقوم براجب شكره ، وأنه مهما فعل فهو مقصر ، فيدرك الذكرك من أسباب الهابة ما يجعله وجلا خائفا من عذاب ربه ، حذرا من غضبه ؛ ولكل مقام مقال .

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » :

قد بينا آنفا أن قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » الأظهر فيه أنه مرتبط بقوله : « من ناب » على أنه يدل منه أو عطف بيان ، أو خبر لمحدوف عائده . وعلى هذا يكون قوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » مبتدأ ، وطوبى لهم خبرا عنه .

ويصح أن يكون من تنمة الكلام السابق ، وكأنه ذكر « من أناب » بصفتين تنوهان بعظم مقداره وتعرف إنابته : (الأولى) إيمانه وطأ نيتة قلبه بذكر الله . و (الثانية) إيمانه وعمله الصالحات ، ويكون وجه ذلك إظهار أن الإنابة إلى الله والرجوع إلى طلب الحق ينشأ عنها ثمرتان طيبتان : (الأولى) الإيمان الراسخ الذي أطمانت إليه النفوس وسكنت عنده القلوب خالصة من كل قلق وريبة . و (الثانية) الإيمان الثمر للمل الصالح والسيرة الطيبة .

وتكرار الإيمان لبيان أنه من حقه أن يعتبر ثمرة مستقلة من كل جهة من الجهتين . فهو باعتبار اطمئنان النفس وسكون القلب وسلامته من الخيرة والشك والريب ، ثمرة قائمة بذاتها ، وباعتبار ما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والسيرة المستقيمة ثمرة أخرى ، وإن كان هو في ذاته شيئاً واحداً . وعلى ذلك يكون قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » دعاء لهم بأن يعطيهم عيشهم ، ونهاياً حياتهم في الدنيا والآخرة ، وأن يحسن مآبهم وصرحهم إلى ربهم .

وسبق أن الآية نمتل وجهاً آخر ، وهو أن الكلام تم عند قوله : « من أناب » ، وأن الذين آمنوا وقطعتن مبتدأ والذين آمنوا الثانية بدل منه وطوبى لهم خبر عن المبتدأ ، ويكون الكلام في الأول لبيان حال الكافرين ، وأنهم لا يزالون قلقين مضطربين لا تطمئن قلوبهم لحال يسكنون لها ، لأنهم لم يتجهوا إلى طلب الحق لذاته ، بل يريدون أن يتبع الحق أهواءهم ، فيعيبهم هذا الطلب ، فلا يزالون يطلبون آية يشعرون بها أنفسهم ، ويتمنون الأمان ، ويقترحون الخزعبلات ، حتى إنهم يقترحون أن ينزل السماء عليهم كسفاً . فهو لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم . وبعد أن شرح حالهم ذكر في مقابلتهم حال من أناب إلى ربه ، فقال : « الذين آمنوا » إلى قوله : « وحسن مآب » ، وهو وجه لا بأس به كما سبق .

وطوبى : فُعلِي ، من الطيب كبشرى وزلني ، قلبت ياؤها واوا لسكونها وضم

ما قبها كوقن وموسر مأخوذ من اليقين واليسار . فإذا جعلت الذين آمنوا مبتدأ تكون طوبى لهم خبراً ؛ وإذا جعلتها بدلاً من «من أناب» تكون طوبى لهم دعاء مستقلاً ، ومعناها أصابوا حبيب عيش وصلاح حال ، كقولك : سلام عليك وسلاماً عليك . وهي إما مرفوعة على معنى لهم طيب عيش ، أو منصوبة على معنى أصابوا طيباً . ويبين أنها مرفوعة أو منصوبة قوله بعدها : «وحسن ما آب» فقد قرئ بالرفع والنصب . واللب : ارجع ، من آب المسافر الى بلده رجع . والمعنى أن مرجعهم الى الله سيكون مرجعاً حسناً ساراً ، فقد أصابوا حسن مرجع ؛ أولهم حسن مرجع ، على حسب قراءة الرفع والنصب . وقد قرئ حسن ما آب ، برفع ما آب وفتح النون من حسن . ووجهها أن حسن فعل ماضٍ أصله حسنٌ بفتح الحاء وضم السين فنقمت ضمة السين الى الحاء بعد حذف حركتها ؛ ومثل هذا جائز في فعل المدح والذم ، يقولون : حسنَ ذا أدباً ، كقولهم : نعم ذا م ؟

إبراهيم الجبالي

فضل الرفق والناة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أوتي حقه من الرفق فقد أوتي حظاً من خير الدنيا والآخرة .

وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينة يقطع الحجر على شدته ؟

وقال أشجع السلمي الجعفي بن يحيى بن خالد : ما كاد يدرك بالرجل ولا بالمال ما أدركت بالرفق . وقال النافعة .

الرفق يمن والأناة سعادة فاستأن في رفق تلاقى نجاحاً

وقالوا : المعجل يريد الزلل .

أخذ القطارى هذا المعنى فقال :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ترجمة القرآن

ولعمري العلماء فيها

بِشْرِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والملاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي ، أرسله الله بالحق بشيرا ونذيرا ، وأزل عليه كتابا عربيا ليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .

وبعد . فان المسلمين قد بدءوا يشعرون بتقهقر حالتهم بين الأمم الناهضة ، وقد حفزهم هذا الشعور الى التفكير في الوسائل التي تنهض بهم في جميع نواحي الحياة ، وكان من ذلك أن رأى المصلحون الديليون منهم أن أساس النهوض للأمة الاسلامية هو العمل بمجد وإخلاص لنشر هداية الاسلام ، وإداعة تعاليمه العالية ، وبث مبادئه القويمة ، وآدايه الفاضلة ، وإعطاء صورة صادقة عنه للأمم التي نشطت في مضمار الحياة ، وجدت في دراسة الثقافات الدينية المختلفة ، ومحاولة الوقوف على حقائقها من منابعها الأولى .

وكان من ذلك أيضا أن رأى هؤلاء المصلحون أن يد الطموح العلمى المتغلغلة في العالم امتدت الى القراء ان الكريم ، فوضعت له تراجم بلغات مختلفة لم تسلم من أخطاء كان لها أثر سيئ في فهم معاني القراءان .

وإراء هذا وذاك لم ير أولئك المصلحون بدا من أن يفكروا في وضع ترجمة تحتوي على معاني القراءان الكريم احتواء دقيقا تاما ، وأن تذاع تلك الترجمة في أنحاء العالم ، فتشعر هداية الاسلام ، ومبادئه الحققة من جهة ، وتقضى على تلك التراجم الخاطئة من جهة أخرى .

ولا يرتاب مسلم في أن هذين الأمرين من أزم ما يحتمه الدين على أهله ، وأشد ما يؤثمهم على تركه ، وإن ترك هذه التراجم يتغافم شرها ، ويستشري ضررها ، لمن أشد أنواع المنكر الذي يوجب الدين محاربهه ، والقصد عليه بما يستطاع من الوسائل .

وما كادت فكرة هؤلاء المصلحين تنزع في أفق الاسعداد للعمل حتى صاب بها صدور بعض الناس ، وأخذ يحاول التأثير على العامة بأساليب لا يعرفها العلم ، ولا يألها البحث ، وينكرها الاخلاص للحق والدين ، وقد أوقعه موقفه هذا في سوق بعض آيات من القراءان الكريم في غير موضعها ، وسلخها عن روحها ومعناها ، وكان بذلك من المترجمين الخاطئين !

وقدرأت من واجبي أن أكشف الموضوع من جهته الديلية ، وأن أعرض لنصوص العلماء المتقدمين في مسألة الترجمة ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ، وحتى لا يكون لتلك السهام الطائفة أثر إلا فيما لا يرضى به أصحابها .

وهذا بنيت بحسب هذا من فصلين ومقدمة ، فإن وفقت فيما أردت ، فله الحمد على ما وفق ، وإن تجاوزت التوفيق ، فلست بأول من يخطئ ، وما أريد إلا الخير ما استطعت ، وما توفيق إلا بالله العلي العظيم .

المقدمة :

الترجمة : نقل المعنى من لغة إلى أخرى ، والترجمة التفسير مطلقا ، ومنه ترجمان القرآن ، وفق القاموس — الترجمان : المفسر للكلام .

والترجمة التي يمكن أن يفترضها العقل للقرآن ثلاثة أنواع .

أولها — نقله من أسلوبه إلى أسلوب آخر يضاهيه تمام المضاهاة في خصائصه ومزاياه ، ويقوم بوظيفته : الإعجاز ، والتبليغ . وهذا النوع لا تتناوله قدرة البشر ، ولا يدخل تحت حكم شرعي ، وقد أخبر الله سبحانه عن الاتيان بمثل القرآن ، والمثلية المطلقة لا تتحقق إلا بقيام أحد الشئتين مقام الآخر في جميع وظائفه ، وهذا الغرض ليس موضع تنكير لأحد من العقلاء ، فضلا عن المسلمين ، وليس هناك عاقل تحدّثه نفسه بأن يترجم القرآن بهذا النوع من الترجمة ، كما أنه ليس هناك مسلم عاقل يزعم على أحد من المسلمين العقلاء أنه يريد هذا النوع من الترجمة !

لذا يجب أن يستبعد هذا النوع من موضع النزاع ، ويقتصر على النوعين : الثاني — وهو أن يوضع بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له من اللغة المنقول إليها بقدر استطاعة المترجم ، واستطاعة تلك اللغة ؛ وعلى النوع الثالث — وهو أن يفهم معنى الآية فهما تاما دقيقا ، ويؤدى بعبارة اللغة المنقول إليها .



هذان النوعان هما موضع البحث ، ومحل النزاع . ومن المسلم به بادي ذي بدء أن هذين النوعين سواء كانا بلسان القرآن أم بغيره ، ممكنان وواقعان ، وما هما عند إيمان النظر الذي يطلب الحق لذاته إلا تفسير وبيان ، ونحن جميعا نعلم أن البيان أو التفسير بقصر تارة ، ويحاذي بقرينيه حسب الامكان ترتيب الأصل ، فيكون الأول منهما ؛ ويطول أخرى ، ولا يحاذي به ترتيب الأصل ، فيكون الثاني .

ومن المسلم به أن الترجمة باحدهما لا يمكن — مهما علا كعب صاحبها في البلاغة — أن تحمل

وحوء الالهياز التي يحملها القراء ان ، فلا تكون القراء ان المنعبد بتلاوته ، المنحدي باقصر سورة منه ، ولا تكون مثله ، كيف والقراء ان في وجوده الدائى ، وعند الله ، وعند المسلمين ، هو اللفظ العربى المعجز المنقول الى المسلمين بالنواثر ؟

ومن المسلم به أيضا أن وجود الترجمة باحد هذين الوعين بجانب الاصل القراء الى المعجز لا يتصور ماقل أنها تطغى على ما يحمله من وجوه الاعجاز ، أو أنها تقضى غناه فيما قصد منه من إعجاز وتبلغ .

على أنه من المسلم به أيضا أن جهات الاعجاز في القراء ان لا تنحصر في بلاغته التي لا يتذوق الوجه المعجز فيها إلا من كان ذ سليقة عربية خالصة ، بل من وجوه إعجازه احتواؤه على أخبار غيبية لا يدركها الانسان إلا عن طريق الوحي الالهى ، واحتواؤه على أسس شرعية ، ومبادئ أخلاقية واجتماعية ، لم يعمد في تاريخ البشر أن ميا نشأ في جاهلية يستطيع أن يضعها أو يضع شيئاً منها .

ولا ريب أن الترجمة إذا لم تحتفظ بالوجه البلاغى المعجز ، فإنها تحتفظ بجهات الاعجاز المستقرة في صلب المعانى الأصلية ، وهى جهات عظيمة القدر ، جليلة النفع ، لها أثرها في امتلاك القلوب ، فلا ينبغي أن تحجب عن نفوس متطلعة ، ولا أن تحرم منها الانساب .



على هذه الأسس المسلمة عند جميع العقلاء ترجم القراء ان بلغته ، وبغير لغته ، وفسر في جميع الأجيال والعصور ، وظل الأصل القراء الى المعجز في نظمها ومعناها قائماً محفوظاً لا يعثره تغيير ولا تبدل ، يؤدى وتليفتيه : الاعجاز ، والتلخيص ، لم يستطيع أن يتذوقه ويفهمه ، وتفاسيره قصرت أم طالأت قائمة حوله تنغير وتبدل ، وترقع وتنقص ، وتقل وتكثر ، ولا يتجاوز حملها في كل أطوارها وحالاتها عمل الخدم ، يقومون حول سيدهم بأذلين جهدم في خدمته ، ونشر آرائه وأوامره لم يستطيع أن يقترب منه ، وهو عند الجميع المرجع عند الاختلاف ، والحكم عند الخصومة «فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول» . ولقد ظل المسلمون منذ نهضتهم العلمية يفسرون القراء ان قياما بواجب التبليغ والبيان بهذين النوعين من التفسير ، حتى وصلت التفاسير طويلة وقصيرة الى حد لا يمكن حصره ؛ والقراء ان بين تلك التفاسير قائم بإعجازه ومزايده ، لا تقضى عجائبه ، ولا تبلى جدته ، ولا تفرغ نعمة العلماء منه ، وما دار بخلف إنسان في يوم ما أن هذه التفاسير «هدم لما بنى الله ، أو تغيير لرسم ما فصل الله ١١» .

الفصل الأول :

قد كان في هذه الأسس المسلمة ما يدفع أحد المتخصصين للحق أن يصفاح صاحبه ، ولكن

المقصومة في موضوعنا لم تكن فاشئة عن حب الحق ، فوجب أن نعرض لنصوص العلماء المتقدمين في المسألة ، راجعين أن يكون لها من السلطان ما يطف من حجة الناظرين ، ولنبدأ برأي الحافظ المجتهد الامام الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ :

بين الشاطبي في كتابه « الموافقات في أصول الأحكام » أن للكلام العربي دالتين : إحداهما — أصلية ، وهي الدلالة على المعاني الأولية ، وقال : هذه تشترك في أدائها جميع الألسنة ، ولا تختص بأمة دون أخرى .

ثانيتهما — ثانوية ، وهي التي تفيد معاني وراء النسب الأصلية ، وقال : ويختص هذه بلسان العرب ومزايده . ثم استأنف فصلا آخر قال فيه : « وإذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبار هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربي بكلام المعجم على أي حال ، فضلا عن أن يترجم القراءان ، وينقله الى لسان غير عربي . وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القراءان ، ويعني على هذا الوجه الثاني . فلما على الوجه الأول (الدلالة الأصلية) فهو ممكن ، ومن جهة صحح تفسير القسرهان ، وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك جائز باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي . »

فالامام الشاطبي يقرر بصراحة وقوة في كتابه الذي مر عليه وهو في أيدي المسلمين وعلمائهم سنة قرون كاملة — أن ترجمة القراءان باعتبار معانيه الأصلية بائزة ، وأن الأصل في جوازها هو إجماع المسلمين على ترجمته وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، ويرى بذلك أن البيان والترجمة والتفسير كلها ألفاظ تتقارض معنى واحد ، سواء أكان الأصل والبيان من لغة واحدة ، أم من لغات متعددة ، وسواء أكانا متساويين ، أم كان البيان والتفسير أطول من المبين والمفسر .



وجاء في « فتح الباري » للامام ابن حجر في « باب زل القراءان بلسان قريش والعرب » : « ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربيا وعجميا وغيرهم ، لأن اللسان الذي زل عليه به الوحي عربي ، وهو سلغ الى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لفهم العرب بألسنتهم . »

وجاء في الكتاب نفسه في « باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب ، ويعلمهم الكتاب » : « أما إرشادهم فظاهر ، وأما تعليمهم الكتاب (القراءان) فكأن البخاري استنبطه من كونه صلى الله عليه وسلم كتب إليهم بعض القسرهان بالعربية ، وكأنه عليه السلام سلطهم على تعلمه إذ لا يقرءونه حتى يترجم لهم ، ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجهم . »

وجاء في تفسير الكشاف للإمام الرعشي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وهو يسرقوله تعالى :
« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ما يأتي :

« فإن قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث إلى الناس
أجمعين ، بل إلى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة على الله لهمهم
القرآن بلغتهم ، فليقيم من الأحاجم الحجة ، قلت : لا يتخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ،
أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفي
التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ، لأنهم
أقرب إليه ، فإذا فهموا عنه وتبينوه ، وتبرقل عنهم وانتشر ، قامت الترجمة ببيدته وتبيينه ،
كما ترى الحال ، ونشاهدنا في كل أمة من أمم المعجم » اهـ

وقد نقل عنه هذا المعنى بعبارة طلية جليلة الإمام أبو السعود في تفسيره لهذه الآية ،
والعلامة الألوسي ، وقال الألوسي : وهو من الحسن بمكان .



وجاء في حواشي المنار ، وهو يصدد الكلام على نقل الحديث بالمعنى ، ما هو صريح في أنه
لا تختص ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها ، وإنما الممنوع الترجمة على أن المترجم هو القرآن
المجيد ، والكتاب الحكيم ، فإنه يورث تضليلا ، فإن المروي له يقع في ذهنه أنه الكلام الإلهي
خفيئذ يقرؤه في الصلاة فمصل . ثم قال : كذا في الصحيح الصادق .

وقال القرطبي في الموضوع نفسه . « ويدل على جوازه (نقل الحديث بالمعنى) للعالم ، الإجماع
على جواز شرح الشرع للمعجم بلسانهم ، فإذا جاز إبدال العربية بمعجمية ترادفها فلا أن يجوز
عربية بعربية ترادفها وتساويها أولى ، وكذلك كانت سقراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
في البلاد ، يبلغونهم وأمره بلغتهم . وهذا لأننا نعلم أنه لا تعبد في اللفظ ، وإنما المقصود
فهم المعنى ، وإيصاله إلى الخلق ، وليس ذلك كالتشهد والتكبير ، وما تعبد فيه باللفظ ، اهـ
وهذه العبارة بعمومها تتناول القرآن والسنة لأنهما أساس الشرع .

هذه بعض نصوص الأصوليين والمفسرين والمحدثين في المسألة ، وهي واضحة في حواز
تقل معاني القرآن بشير لغته . ونحن إذا نظرنا إلى أن هذا النقل وسيلة لتبليغ الأحكام ،
والإرشاد لهدى القرآن ، لا تتردد لحظة واحدة في أنه واجب لا جائز ، وعظم لا مباح .
وما أنزل الله القرآن شغل معانيه محجوبة عن غير العرب من الناس ، وإنما أنزل عربيا بلسان
الرسول ، وأمره أن يبينه لسكافة من نعت إليهم ، قال الله تعالى : « وأترنا إليك الذكر لتبين
لنناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » . ولا ريب أن بيان « ما نزل إليهم » يتناول ما كان
بلغته وما كان بغير لغته . فالترجمة بهذه الآية وأمثالها ، وهي كثيرة في القرآن ، واجبة وأصل

من أصول الدين ، ولكن التواء مرقى البحث يدفع بالإنسان الى هوة صميقة ومكان سحيق .
وصدق الله العظيم حيث يقول : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير ، ثأنى عطفه يبضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ،
ذلك بما قدمت يدك ، وأنى الله ليس بظلام للعبيد » .

نصوص الفقهاء فى المسألة :

جاء فى كتاب « مسلم الثبوت » وشرحه « اعلم أن القراءان عندنا وعند سائر الأئمة اسم
لكل من النظم المعجز ، والمعنى المستفاد ، أما المعنى المستفاد فقط ، فليس اقراءان ، وقد صح
رجوع أبى حنيفة عن القول بجواز الصلاة بالفارسية بغير عذر ، وفيه إشارة الى أنه يجوز القراءان
بالفارسية للعذر ، وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم اطلاق اللسان بها ، وهو الصحيح ، وعليه
الصاحبان ، إقامة للمعنى مقام النظم لأجل العذر » .

وجاء فى شرح الكثر للزبلى « وأما القراءة بالفارسية فى الصلاة ، لجأزة فى قول
أبى حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا يجوز إذا كان يحسن العربية » .

وجاء فى الهداية وشرحها : « ويجوز بآى لسان كان سوى الفارسية ، وهو الصحيح ،
لأن الاعتماد على المعنى عند النقل ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات ، وقال الكرخى :
والصحيح النقل الى أى لغة » .

وهكذا تجد تلك النصوص فى كتب الحنفية من شرح « نور الايضاح » الى كتاب
« المبسوط » وهى كلها صريحة فى أن الحنفية يجمعون على حواز القراءة فى الصلاة بالفارسية
وغيرها من اللغات الأجنبية عند العجز عن العربية ، وعلى أن ذلك لم يكن باعتبار أن الترجمة
قراءان ، وإنما هو باعتبار أن المعنى قائم مقام اللفظ لأجل العذر .

ومما ينبغى أن يعلم فى هذا المقام أن الحنفية صرحوا بأن الصلاة بالتفسير غير جائزة
بالاجماع ، ولو فى حالة العجز ، ومنه يتبين أن ما أجمعوا على صحة الصلاة به إنما هو النوع الأول
من نوعى الترجمة الممكنة ، وهو المشهور فى لسان الباحثين اليوم باسم « الترجمة الحرفية »
أو « المساوية » وقد صرح بذلك العلامة شبلى فى حاشيته على الزينى حيث قال : إن الاختلاف
بين الحنفية وغيرهم إنما هو فيما إذا أبدل لفظاً عربياً بلفظ مجسمى مماثله .

ومن هذا يعلم أن الحنفية يميزون بالاجماع ترجمة القراءان ترجمة مساوية ، ويميزون الصلاة
بتلك الترجمة ، وإذا كانوا يميزون الصلاة بتلك الترجمة ، وقد اشترط فيها قراءة القراءان ،
وهو اسم فنظم والمعنى عند الجميع ، فلا يتصور أن يمنعوها فى التبليغ والارشاد ، ولم يشترط
فيهما أن يكونا بلسان عربى ، ولا أن يكونا بلفظ القراءان ، فهم بلا ريب يميزون الترجمة

المساوية ، فضلا عن غيرها ، كما يميزون كثافة القرآن بغير العربية ، بشرط أن يكتب القراءان معها .

قال الثعلبى فى النسخة لقسدية بعد ان أورد عبارات العلماء المتقدمين فى ترجمة القراءان وكتابته بغير العربية : « وحاصل ما تقدم حرمة كتابة القراءان بالفارسية ، إلا أن يكتب بالعربية ، ويكتب تفسير كل حرف وترجمته » . وهو بذلك يحنار رأى صاحب لكافى ، وقد نقله عنه صاحب الفتح ، وأقره عليه ، حيث قال : « وفى لكافى إن اعتاد القراءة بالفارسية ، وأراد أن يكتب بها مصحفا يمنع ، فإن فعل ذلك فى آية أو آيتين فلا ، فإن كتب القراءان وتفسير كل حرف وترجمته جاز » .



أما غير الحنفية ، فقد خالفوم فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة ، لا لأن الترجمة فى ذاتها غير جائزة ، بل لأنهم يرون أن المطلوب فى الصلاة قراءة القراءان ، والذي يكون بالفارسية ليس قراءانا بالاجماع ، فلا يكون الآتى به محققا للأمر بقراءة القراءان فى الصلاة ، قال إمام الحرمين ، وهو يرد على الحنفية فى جواز القراءة فى الصلاة بالفارسية ، وقد نقله النووى فى مجموعته : « ترجمة القراءان ليست قراءانا باجماع المسلمين ، ومحاولة لدليل لها تكلف ، فليس أحد يخالف فى أن التكلم بمعنى القراءان بالهندية ليس قراءانا ، وليس ما لفظ به قراءانا ، ومن خالف فى هذا كان مراحما جاحدا ، وتفسير شعر امرئ القيس ليس شعره ، فكيف تفسير القراءان يكون قراءانا ، ولا خلاف أن القراءان معبر ، وليست الترجمة معبرة ، والقراءان هو الذى تمحى به السجى صلى الله عليه وسلم العرب ، ووصفه الله بكونه عربيا . ثم قال : وإذا علم أن الترجمة ليست قراءانا ، وقد ثبت أنه لا تصح صلاة إلا بقراءان ، حصل أن الصلاة لا تصح إلا بالترجمة » .

هذا إمام الحرمين يرد فى فصله هذا على ترجمة القراءان كما مر مسلم مفروغ من لبحث فيه ، ويرد على الحنفية فيما هو موضع الخلاف بينه وبينهم بأن المطلوب فى الصلاة هو قراءة القراءان ، والترجمة ليست قراءانا ، ولو كانت الترجمة محظورة لكتماء ، وكان أبلغ فى الرد عليهم ، أن يقول لهم : إن مذهبكم باطل ، لأنه يقتضى جواز ترجمة القراءان ، وترجمة القراءان « هدم لما بنى الله ، وتغيير لرسام ما فصل الله » .

فإمام الحرمين يميز الترجمة من غير تكبير ، وهو بذلك يتبع سنبل المؤمنين . وقد صرح صاحب المجموع قبل عبارة إمام الحرمين بأن الانذار بالقراءان يتحقق بتفسيره .

وجاء فى كتاب « المنهى » لشيخ الاسلام موفق الدين الحنبلى بعد أن رد على الحنفية فى موضع الخلاف السابق : أما الانذار فانه إذا قسر لهم كان الانذار بالمفسر دون التفسير .

وجاء في كتاب الاقناع للحنبالة « ونحس الحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهيمه إياه بالترجمة ، وحصل الانذار بالقراءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ

وجاء في كتاب « تصحيح الفروع » للمقدمي في باب صفة الصلاة « قال شيخنا : يحسن الحاجة ترجمته لمن يحتاج الى تفهيمه إياه بالترجمة ، قال : وذكر غيره هذا المعنى ، وحصل الانذار بالقراءان دون تلك اللغة » اهـ .



وكان من نتيجة الاطلاع على هذه النصوص الواضحة أن أفتى فضيلة المغفور له المفتي الأسبق شيخ الجميع توحيد ترجمة القراءان ، وجاء في كنبه سنة ١٩٢٥ « أن ترجمة القراءان للعلم والتعليم والتفهم والتفهم ، والامداد والتبليغ ، قد أجازها الحنفية والحنبالة والشافعية في قول بلا مصطلح ، واستحسنها الحنبالة ، وقد علمت ما يشهد للجوار من الكتاب والسنة . الى أن قال : ولا يجوز مصادرة مصحف كتب فيه القراءان بالعربية وترجمته معه إلا بعد التحقق من خلل الترجمة ، وتغييرها لمعنى القراءان . ثم قال : والذي أراه أن الترجمة على الوجه الذي بين في كتب الحنفية أصبحت الآن واجبا على الكفاية حفظا للقراءان من تحريف معناه ، وترجمته على غير الصحيح ، وبغير المراد منه ، ويحفظ القراءان ، يحفظ أحاسن الدين المتين ... وقال في سنة ١٩٣٢ بعد أن بين أن القراءان لا يمكن نقله بخصائصه وسراياه : وأن الترجمة لا يمكن أن تكون قراءا ، وحينئذ لا يمكن فهم القراءان لغير العرب إلا بالترجمة التفسيرية مع المحافظة على اللفظ المعجز العربي ، إبقاء للمعجز الى أن تنتهي هذه الدار ، وحيث كان التبليغ فرض كفاية كانت الترجمة والتفسير مطلقا فرض كفاية ، لأن لترجمة معناها التفسير لغة ... وقال في موضع آخر ومما لا شك فيه أن تفسير القراءان بألفاظ عربية هي عبارة عن ترجمة لمعناه ، غاية الأمر أنها باللفظ العربي ، وهي بلا شك ليست بقراءان ، كذلك تبليغ القراءان لغير العرب إنما يكون ببيان معناه بلغتهم ، وهي ليست من القراءان في شيء أيضا ، وبذلك كان التفسير فرضا ، لأنه من باب التبليغ ، قال في الاتفاق بعد ذكر نحو ما تقدم قد أجمع لعلماء على أن التفسير من فروض الكفاية ، وأجل الفروض الشرعية ، وقد علمت أن الترجمة بمعنى التفسير لغة اهـ

ومثل هذا بعبه جاء أيضا في رسالة المغفور له الشيخ محمد حسين العدوي ، ومن هذا يتبين أن رأى الشيخ نجحت ، والشيخ حسين ، ليس كما زعم عليهما بعض السكاكين من غير اطلاع ولا رجوع إلى ما كتبوا ، وبذا صبح للباحث فيما يجتهد فيه بنفسه ألا يرجع الى قول غيره ، فإنه لا يصح للمافل إذا كان ثميئا صادقا أن ينسب الى غيره ما لم يقله ، وأن يقول عليه زورا ومهتا ، فهذان الشيخان الجليلان يقرران اتفاق المسلمين كافة على نقل معاني القراءان بغير لغة

العرب ، ويصرح الأول منهما ، وينادى بأعلى صوته بأن ذلك العمل من الفروض الكفائية ، تبليغا للقرآن ، وحفظا له من عبث العابثين .

الفصل الثاني :

لقد كان في هذه النصوص الواضحة في هذه المسألة ، وهذا الاجماع الذي نقفه غير واحد من العلماء ، ما يغيننا عن عرض تلك الشبه الواهية التي يسم بها بعض الناس جور الدعوة الى الله ، ويشدون بها أزر جماعة وقفوا أنفسهم لاطقاء نور الاسلام ، والحيلولة بين الناس وبين تعرف أحكام القرآن وهدية ، ولكن المسألة أخطر من الاكتفاء بهذه النصوص ، والواجب يحتم علينا أن نقضي على جميع مسالك هذه الفتنة العمياء التي يوقظها بعض الناس باسم الدين ، وباسم المحافظة على كيان الاسلام من أصله الى ذراه ، خصوصا أنت هذه انشبه التي زورها أصحابها قد تدولوا فيها ببعض آيات القرآن بالتحريف عن مواضعها ، إسرافا في طمس الحق ، وإمعانا في التلبيس ... قالوا :

أولا - القرآن معجز ، وليس في قدرة البشر أن يأتي بمثله ، فمن حاول لترجمة فهو عاجز وابن عاجز . ونحن نقول : نعم هو كذلك ، وأكثر من ذلك ، غير أن من يزعم أن الترجمة إتيان بمثل القرآن المعجز ، وزعم أن من يريد الترجمة يحاول الاتيان بمثل القرآن يحل محله ، ويقضى غنامه ، لم يوجد له الآن في دائرة العقلاء ، وإجماعهم في دائرة المفسرين الملبسين .

ثانيا - لو شاء الله نقله الى اللغات التي يراد ترجمته إليها لآتله بتلك اللغات ، أو لآتله على رسل من عنده ، كل رسول بلسان قومه ، ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتابا عربيا مع عموم الشعة ، فدل ذلك على أنه سبحانه يريد تعريب العالم كله .

ونحن نقول :

أولا - إن هذا النوع من الحاجة يذكرنا بحجاج المشركين لرسول الله ، وهو يدعوهم الى التوحيد ، إذ قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباءنا ، ولا حرمنا من شيء .

وتقول :

ثانيا - إنه يفتح باب الاحتجاج لطوائف تنكروهم بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنه رسول العرب خاصة ، وما كان لعافل أن يفهم ، أو يقول : إن الله يبعث الرسل وينزل الكتب لقصد توحيد العالم في اللغات والألسن ، وقد جعل الله الاختلاف في الألسن من آياته في خلقه ، وإنما أزل الله لغة العرب لأنها كما قال الرخشمي : لغة الرسول المسموث ، ولغة قومه ، وهم يتولون الترجمة والبيان بعد النبي وأئمة ، وما علما لأحد من علماء المسلمين أنه يجب على من يريد لاسلام ، وتعرف أحكام القرآن أن يتعلم اللغة العربية ،

ولو ذهب إليه ذاهب لكان غير معقول ، وما كان لله في عليائه ان يخلق الناس مختلفين في الألس واللغات ، وبجمل ذلك من آياته التي بلغت نظر خلقه إليها ، ثم يعود فيرسل حامم الأنبياء بشرى تفضي على هذا الاختلاف ، وتطلب توحيد العالم في اللغات .
إني لكل تقدير هذه العقلية لأهل العقل والتقدير .

ثالثا - إن أصحاب اللغات الثلاثي يراود ترجمة القرآن إلى لغاتهم موجودون من قبل أن يتزل القرآن ، ويأبون إلى يومنا هذا ، لماذا جد منهم حتى أوجب ترجمة القرآن ؟

ونحن نقول : جد منهم أن أطلقوا لعقولهم ، بعد الأسر والتقييد في عبورهم المظلمة ، صان البحث في الأديان ، وأخذوا يرجون القراءان بغاتهم حسب قدرتهم ، فوقعوا في أخطاء يجب على المؤمنين تلاشيها ، والقضاء على وسائلها . جد فيهم أن الحياة المادية أرقهم ، فاخذ كثير من عقلائهم يتلصسون الهداية من منبعها الأول الذي لم تلوثره شهوة الرؤساء الدينيين ، فنحن نريد ، وهو واجب علينا ، أن نحفظ القرآن من تلاعب الأولين ، وأن تقدمه جليا قويا للأحرار ، وأنهم يريدون غير هذا وذلك ، فأى الفريقين أحق بالأس إن كنتم تعملون ؟

رابعا - إن القراءان موجود من وقت الرسالة ، وقرؤه ويفهمه العرب والمتمربون من أهل الكتاب ، كما قرؤه نحن ونفهمه ، فعل آمنوا به ؟ لا ، فأذا ما الداعي لترجته لمن لم يقرأه منهم ، ولا يفهمه بلغته ؟ ليسوا كاخوانهم الذين يقرءونه ويفهمونه بلغته في تمسكهم بدينهم ، وعدم الايمان به ؟ .

فياض جلي واضح !! يتقدم إلى القاصي الشرعي ، زيد من الناس ، ويبسط دعواه ، ويتبين انه مبطل في الدعوى ، فيرفض القاضي ، فيأتي أخ له صاحب حق ، ويتقدم بدعواه إلى قضية القاصي ، فيعلم القاصي أنه أخو المدعى بالأس ، فيقول : هذا أخو داك ، وقد ثبت بالأس أن ذلك مزور ، فليكن هذا مثله ، فيرفض دعواه ، ويخرج صاحب الحق طامعا بنان الأسف على القضاء وأهله ، أليس هذا هو مقتضى قياسهم ؟

خامسا - إن أسلافنا كانوا يصرون القراءان قبل ظهور الواور والسيارة والراديو والطيارة غير ما تفسره نحن به على ضوء العلم الحديث ، والاكتشاف المخترع ، فهل ختم العلم أبوابه ، وأصبح لا يأتي الناس بجديد ، حتى يفسروه (رسميا) بما لا يضمن ألا يجد ما يقتضى تغيير التفسير ؟

ونحن نقول : يا هؤلاء إن محتويات القرآن لا تتجاوز اصول الايمان ومعاني الهداية العامة ، وقد جاءت فيه محدودة ، ولا مدخل للعلم الحديث فيها ، وأصول الأحكام ، ومنها النص الذي لا يحتمل ، والظاهر الذي كان محلا لاجتهاد الفقهاء ولا مدخل للعلم الحديث فيه أيضا ، والقصص ، وهو ان حدث عن الماضين بما فيه العظة والاعتبار ، ولا مدخل للعلم الحديث فيه

أيضا ؛ وتنبية العقول الى ما أودع في الكون من مظاهر الاتقان والابداع ، وقد جاء القرآن في هذا القسم بأساليب مختلفة ، وعبارات شتى ، وكلها لا تتجاوز ما يقع عليه الحس ، وتذكره العقول العامة بمجرد التأمل والنظر ، ولم يكن من وظائف القرآن تحديد طبائع الأشياء ولا الكشف عن الحقائق العلمية الدقيقة التي يشغل بالبحث عنها فلاسفة البشر وأخصائهم ، وكل ما ورد في القرآن مما قد يحس شيئا من تلك الدقائق ، فهو من قبيل العبارات العامة الصالحة للانطباق على كل ما يكشفه العلم الحديث . وقد كتب الشاطبي فصلا فيمن يحاولون توجيه القرآن الى غير طريق هداية ، ويوظفونه بالحقائق العلمية الطبيعية .

على أنه إذا كنا نحن نفسر القرآن على ضوء العلم الحديث بغير ما كان يفسره أسلافنا قبل ظهور الواور والراديو ، ثم الذي يمنع خلفنا أن يفسره في عصره بغير ما نحن نفسره به الآن ؟ وهل تقتضى « رسمية الترجمة » ألا نعدل نحن أو من ياتى بعدنا عند تبين الخطأ عن التفسير الخاطئ الى الصواب ؟ ليس معنى « رسمية الترجمة » يا هذا أنها كالورقة الرسمية لا يدخلها تفسير ولا تبديل ، وإنما معناها أن الحكومة هي التي تتولى الترجمة ، وتشرف عليها ، وليس من مقتضياتها أنها تسجيل في الارض بقبمته التسجيل في السماء ، ولكن الشهوة تدفع بصاحبها الى ما لا يحمد له ، ولا يجب أن ينسب اليه !

سادس — إن ترجمة القرآن تسليم بأخر حصن من حصون العزة الاسلامية ، وإقرار بالتخلي عن مكانة هذا الدين السماوى ، وعن عز أبنائه الى أصحاب اللغات الاجنبية !!

ونستخلصهم : أم جادون في هذا ؟ أم يقلون له معنى ؟ أم يقررون له مغزى يصح أن يوجه اليه نظر من يريدون الترجمة ؟ انا لا أشك في أنهم بهذا القول ملبسون ، وأنهم يسترون الحق بنوب مهمل ، وهم يعلمون ، ومع هذا أليس من العزة أن يشر المسلمون تعاليم دينهم السامية ، ومعاني كتابهم التي تاخذ بالأسباب ؟ وهل يصح في عقل أن يكون هذا من التخلي عن مكانة هذا الدين السماوى ؟ اللهم إنى هي إلا فتنتك . والحق أن هذه العبهة ونحوها من نوع الشبه الى اعتد خصوم الدين أن يصدوا بمثلها عن سبيل الله باسم الدين ، وباسم المحافظة على عزة المسلمين .

سابعا — إن ترجمة القرآن ليست أول محاولة معسولة يتعمى بها البشر عليه ، فقد سبق أن قيل لنبيه عليه السلام . « آلت بقرآن غير هذا أو بدله » وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن حجة واحدة « الى آخر الأمثال في هذا مما كان الظن معه إيمان المتعدين لو أجيوا . ونحن نقول : إن كنتم جادين فيما تقولون ، وهانت عليكم عقليتكم أن تنزلوها الى هذا الحد ، وتماوهوا بزغ الشيطان فيكم ، فاصبروا هذه الآيات ومماها حتى يتبين لكم أن أمنية الذين لم يؤمنوا في عهد الرسول غير أمية الذين يريدون الترجمة !

إن القوم كانوا يطعنون على نبوة محمد ، ويتلسسون وسائل إخطامه ، وكان من ذلك أن قالوا له ، أئت بقرآن غير هذا ، لا يشتمل على ذم الهتنا ولطمن في طرائقها ، وبديل آيات الطعن بآيات ثناء ، وآيات الانذار بآيات تبشير ، فأجابهم الله بقوله : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، فأخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » . وأين هذا من بيان ما نزل الله ، ونشره على العالمين ، والمحافظة عليه من التغير والتبديل ؟ وكيف تقاس فكرة الترجمة بفكرة تغيير القرآن وتبديله ؟

إني في الحق لمشفق على هذه العقيلة التي ذابت ، وانحطت أعصابها في سبيل الشهوة والهوى ، وإن ظلم هؤلاء الذين كانوا يلتمسون من الرسول تغيير القرآن ، أو تبديله بما يريدون — لأنفسهم وللحق ، لأخف وطأة من ظلم هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب ، ويحرفون كلمه عن مواضعها — وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم — ويقولون : إن القرآن فيه ذكر الرد على السببين اللذين يذكرهما سرهيدو الترجمة ، وكان الأجدد هؤلاء أن يجعلوا أقلامهم إثر عقولهم حتى لا يتورطوا فيما وقعوا فيه ، وهم من أهل العلم والمكانة ، وكان جديرا بهم أن يتنبهوا إلى أن (أخلاق العلماء) تأتي عليهم تلك المواقف !

لم يبق بعد ما نعدوا من شبه مبله سوى كلمات ظاهرة التلبس ، ونحس كثيرا من الاسراف في الاتهام ، والادعاء المريض بالغيرة على الاسلام ، والتخوف على كتبه ، مما كان جديرا به أن يصدر من غيرهم .



والى هنا نعتقد أن المسألة قد انكشف عنها غطاء التمويه ، ووضع الصبح فيها لذي عينين ، و « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » .

محمود شلتوت

المدرس بكلية الشريعة

الاصابة بالظن

قيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال الشاعر :

وفلما يفتجأ المكروه صاحبه حتى يرى لوجه الشر أسبابا

وإنما ركب الله العقل في الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ، ويضهم الكثير بالقليل .

بَابُ الْأَسْبَاطِ وَالْفَتَاوَى

في الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

توفي رجل عن جد وأخت شقيقة ، وأخت لأب ، وإخوة لأم ، فما نصيب كل منهم على مذهب لا إمام الشافعي إذا كانت التركة ستمائة جنيه ؟ محمد مطر الجواب :

إذا كان الجسد هو أبا لأب ، كانت التركة بينه وبين الأخت الشقيقة ، لكل منهما النصف ، ولا شيء للأخت لأب في هذه المسألة ، ولا للأخوة لأم ، وهذا عند لا إمام الشافعي ، والإمام أبي يوسف ، والإمام محمد من أصحاب أبي حنيفة . أما الإمام أبو حنيفة ، فيرى أن التركة كلها للجد ، ولا شيء للأختين ، ولا للأخوة من لأم ، والله أعلم .

• •

توفي رجل عن ولد ذكر وزوجة هي أم الولد ، ثم توفي الولد عن أمه المذكورة ، وزوجته وابنته ، وأولاد أولاد عمه ذكورا وإناثا ، ثم توفيت ابنة الولد عن أمها وجدتها ، وأولاد أولاد عم الأب .

فما مقدار ما يرث كل من المذكورين مما ترك الولد وابنته ؟ وهل لأولاد الميراث في تركه لولد ، وتركه ابنته ؟

وأصل التركة التي تركها الولد : فدان ، وثمانية عشر قيراطا وعشرة أسهم .

مسعد فضل الله

الجواب :

تركة الولد المذكور لأمه وزوجته وبنته ، والدكور من أولاد أولاد عمه الشقيق أو لأب ، دون الإناث ، لأنهن من ذوات الأرحام .

فلأم السدس ، وللزوجة ثلث ، وللبنت النصف ، والباقي للذكور من أولاد أولاد العم .

وتركة البنت لأمها والدكور من أولاد أولاد عم الأب .

فلأم الثلث ، وللذكور من أولاد أولاد عم الأب الباقي ، يقسم بينهم بالسوية ، ولا شيء للجدة لأنها محجوبة بالأم . والله أعلم .

امرأة توفيت عن ثلاثة إخوة ذكور من أبيها ، وثلاث أخوات إناث ، هن شقيقات للإخوة الذكور ، وعن أخت من أبيها ، أمها غير أم هؤلاء الستة ، وليس للمتوفاة وارث غير المذكورين ، فما استحقاق كل ؟ احمد عثمان بدير

الجواب :

المفهوم من السؤال أن أخوات المتوفاة الأربع كلهن من أبيها ، كإخوتها الذكور ، وإذا تكون التركة للجميع بطريق العصوبة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، والله أعلم .

الزكاة والخراج

أخرج الزكاة عن الروع في أرض مصر على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، أم لا يخرج عنها شيء . اكتفاء بالأموال الأميرية التي تدفع للحكومة ؟

وهل هذه الأموال هي المقصودة في القول بأنه « لا زكاة مع خراج » ؟ وإذا كانت كذلك ، فهل يخرج عن الأطنان المستأجرة مع أنه ربما استغرق الإيجار كل الزرع ؟

عبد الفتاح حومه

الجواب :

إن ما يدفع من الأموال الأميرية عن أرض مصر خراج ، ومن المقرر عند الحنفية أنه لا يجتمع على الأرض عشر وخراج .

وعلى هذا لا تجب فيها زكاة الزروع ، لا على المالك ولا على المستأجر عندهم .

أما المالكية والشافعية والحنابلة ، فيرون أن زكاة الزروع تجب مع الخراج في الأرض الخراجية ، وأن الخراج يجب على مالك الأرض ، والزكاة تجب على زارعها المسلم ، مستأجرا كان أم مالكا ، ولا تمنع الأجرة وجوب الزكاة ، ولو استغرقت كل الثمن من الأرض ، والله أعلم .

الدية

رجل توجه الى بلدة ليصلي بها الجمعة ، ومعه ولده للبالغ من العمر ثلاث سنوات ، وأمهاء لشخص يعرفه ، وقال له : احفظ ولدى هذا عندك حتى أصلي الجمعة ، وبعد أن صلى طلب منه ولده ، فقال له : إن الولد موجود وأت معي لتأخذه ، فتبين بعد ذلك أن الرجل أودعه في بيت خلاف بيته ، فسأل صاحبة البيت عن الولد ، فقالت : إنه كان يلعب مع الأولاد في البيت ، ولم نعلم عنه شيئا ، وبعد البحث وجد الولد غريقا في ترعة .

فهل تجب الدية على الرجل الذي أخذ الولد من أبيه ليحفظه في بيته ، وحفظه في بيت غيره ، أو لا تجب ؟ محمد مالك السنوسي

الجواب :

إن لرجل الذي سلم إليه الولد ليحفظه عنده ، قوضه في منزل غيره ، لم يتسبب في غرقه ، ووضه إياه في ذلك المنزل الذي خرج منه غرق ، لا يجعله متسببا شرعا في ذلك الغرق . وعلى هذا لا تجب دية في هذه الحادثة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف النمام

كلمة مع مقدسى النواميس الطبيعية

وبيان عظمة العلم وضعف الانسا

تكلم معى بعض الناس فى النواميس الطبيعية ، وقال : إنه يستحيل خرقها وأن
يوجد شىء على خلافها . يريد بذلك أن ما ينسب الى الأنبياء من المعجزات وللقديسين
من الكرامات لا يمكنه التسليم به لأنه غير صحيح ولا ممكن . قرأيت أن أجعل
مقال اليوم مع أولئك الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق
فى الأشياء حتى فى علم الطبيعة نفسه الذى يدعون أنهم علماءه ويديم لواءه ، مع أن
أساطين علم الطبيعة بأوربا لا يقدسون النواميس الطسية هذا التقديس . وتستمع
شيئا من كلامهم بعد ، فسكنا عائشون فى القرن السابع عشر لالقرن العشرين . وهكذا
الحركات كلها عندنا فى الشرق ، تأخذ شكلا غربيا نستوحيه من الطيش والجهل . فهى
معكوسة عكسا سار بنا الى الاضمحلال الذى إذا لم نستأصله فسيجعلنا فى أخريات
الأم أو على حافة الندم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن فريق الماديين لذين حمدوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شىء ووصلوا
الى كل شىء ، قد أنكروا المعجزات الحسية للأنبياء ، والكرامات المتواترة للأولياء ،
لأنها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التى لا يجوز خرقها ، وهى أزلية أبدية على
ما يزعمون .

دعارى خيالية لم يعضدها الحس ولا قام عليها البرهان ، ولكنها زعمت نفوس
حقاء ، وأوهام رهوس طائشة ، لم تستمد من الوحد ، ولا استندت الى البرهان ،
وإنما استمدت من عقول أربابها المنحرفة ، واستندت الى ما فى نفوسهم الطفافية
من خيالات وجهالات :

وإنا نقول لهم : أولاً هل أحاطتم بكل النواميس ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحملوا بها ؟ ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبحرون تبجحكم ويدعون دعاويكم ؟ بل نقول : ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة ، وأن الأجسام مركبة من اجواهر الفردة ، وكانوا يحلون بذلك كل شيء فى لوجود ، وما كان يدور بخلد أن العناصر تصل الى السبعين أو الثمانين (ومن بدرى ما يحى به المستقبل فلعلها تصل الى المئات أو الألوف) . وما كانوا يظنون أن نظرية الجواهر الفردة ستصبح فى حيز الهزء واسفريه ، وأن ستحل محالها نظرية الأكترونات الجديده ؟ وعلى كل حال من ذا يستطيع أن يدعى أنه أحاط علماً بكل نواميس الكون وما فيه ، ولو كان كذلك لوقف الاكتشاف والبحث ، ولم يتقدم العلم الذى يبدى لنا كل يوم جديداً ، ويبرهن على أنه لا آخر له ؟ ومن ذا الذى يدريهم أن قدرة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتعداه مع أنهم يمتقدون أن فى الطبيعة قوى لا تحد ولا تمد ؟

فبلى أى شيء ، يمتدنون فى ، نكار معجزات الأنبياء ؟ وهب أنهم عرفوا شيئاً مما شاهدوه فى تلك الأرض التى هى من أصغر العوالم : ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير الذى لا نهاية له ؟ فإن العوالم لا يدرون لها نهاية (باعترافهم) . وقد ذكروا فى سير النور وسرعته ، وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل اليها من بعض الكواكب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين ، ما يوجب لدهش الكلى والقبوع التام فى إحدى زوايا تلك الأرض الصغيرة التى هى أقل من جحور الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذى لا يعلمه غير خالقه . ولماذا لا يقولون ما يقول (اسحق نيوتن) الانكليزى مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العالم فى الفلك . « لسنا إلا كأطفال فى جزيرة على شاطئ بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من القواقع على حين أن الجواهر النفيسة فى قعر ذلك البحر » . ولكن الأمر على ما يقول الفيلسوف شوبنهاور : « كلما

أنحط الانسان في القوة العقلية . قلت مسانير الوجود في نظره ، فكل شيء عنده يحمل معه تفسيراً لكيفية وجوده وسبب حدوثه .

وقد قال الميسو لوسيان بونكاريه : « إنه لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولاً تاماً ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً ، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى » . وقال الفيلسوف الشهير جوستاف لبون : « الوجود مفهم بمجهرات لا نراها ، والحجاب الذي يحجب عنه منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التي توجبها عثيث تقاليد العلم الرسمي » .

وقال الفيلسوف ادوارد لودوا : « العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهر الثبوت . فالحوادث الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وحالته هذه أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

وقال الفيلسوف الكبير وليم كروكس في خطبة له : « إن عدم اعتمادى على رأس مالى العلمى قد بلغ حداً بعيداً جداً ، فقد تقبض هذا النسيج المنكبوتى للعلم كما عبر عنه بعض المؤلفين حتى لم يبق منه إلا كرية حقيرة تكاد لا تدرك »

وقال الفيلسوف الطائر الصيت هنرى بوانكاريه العضو بالمجمع العلمى الفرنسى فى كتابه (قيمة العلم) : « إذا نظرنا فى ناموس خاص أيا كان فإننا نستطيع أن نتأكد من أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبياً » . وقال أيضاً : « كثيراً ما يقال من ذا الذى يدرى ما إذا كانت النواميس لا تتطور ، وأنهم تكن فى العهد الفصحى على ما هم عليه اليوم ؟ » ولهذا كله قال بعضهم : « إن الفرق بيننا وبين آبائنا أنهم كانوا يعتقدون أنهم علماء أما نحن فنعتقد أننا جهلاء » الى آخر ما اعترف به المنصفون من أكابر علماء الطبيعة

برسب المرجوى

المخلصين الذين ليسوا فيه زمانف ولا مقلدين

من هيئة كبار العلماء

الحياة الأدبية عند العرب^(١)

تختلف الحياة الأدبية عن الحياة الاجتماعية اختلافا كبيرا ، لأن الحياة الاجتماعية وليدة البيئة الحاضرة ، أو هي صورة البيئة التي تحيا فيها الأمة ونعيش بأسبابها ، والنظم التي تسير في حاضرها على مقتضاها ، وليس لماضى الأمة أثر كبير في حياتها الاجتماعية ، ولا سيما إذا تنقلت في مراحل تاريخية بعيدة الشبه ببعضها كالذى كان عليه الحجازيون من العرب ، فإن قرب الشبه بين الحياتين ، واتصلت أسباب الحاضر بالماضى ، كان هذا الماضى منبعا يمد الحاضر مع ما يجدد له من وسائل حيوية كما حصل للنخبة والفلاسفة ، فإن اتصالها بالفرس والرومان ، وأخذها بأسباب الحضارة مكنتها من الاحتفاظ بتراث آباءهم الأولين من سمات الملك والحضارة ، وقعدت طبيعة الحجاز بأهلها عن مجازاة إخوانهم في الحياة الاجتماعية ، وصرفتهم الى مقتضيات حياتهم الجديدة ، فكانوا بدوا معاندين أميين ، ألفوا الطعن والارتحال ، جفاة لا يتفادون الى الحق من قريب ، وهذه افوضى الاجتماعية هي التي نعاها عليهم القرآن الكريم ، وعابهم بها في بعض آياته .

أما الحياة الأدبية فهي صورة الماضى الذي صرت به الأمة في جميع مراحلها التاريخية ، وإن كانت هذه الصورة تتجلى في مرآة الحاضر ، فإن الأدب أثر العاطفة الكاملة ، وثمر العقل الناضج ، وإكمال العاطفة ونضج العقل يحتاجان الى زمن طويل ، ومؤثرات متكررة ، وتلك المؤثرات قد تكون مستمدة من الحياة الاجتماعية والعقلية في صورها الكاملة ، وفي هذا ما بشرح وجود حياة أدبية زاخرة فياضة الى جانب الفوضى الاجتماعية وحياة البداوة عند العرب قبيل مجيء الاسلام . وإلا

(١) بقية البحث المنشور في المجلد السادس .

فكيف نفهم صدور هذا الأدب عن العرب لو لم تربط حاضرهم بماضيهم ، ونعلم أن العقل العربي ، والمحافظة العربية قد استوفيا حضائتهما وبلغنا رشدنا في ذلك للماضى البعيد ، ذلك الأدب من الشعر والنثر الذى قامت عليه الثقافة الاسلامية والنهضة الفكرية فى القرن الأول الى جانب القرآن الحكيم ، والذى صاحب العلوم الحكيمية والمعارف الأجنبية وتبوأ بينها مكانا عليا ، والذى لا يزال على كثرة البحث والنقد والتحليل دعامة من أقوى دعائم المعارف الاسلامية صامدا أمام الأعداء العاصفة ، والذى خلد لغة العرب ومجدهم ، والذى لا يزال فى أسلوبه ومثاقه عباراته ونصائجه ديباجته مثلاً أعلى للبلاغة البشرية .

فى نواحي الأرض أم كثيرة هى أربى عددا من العرب ، وأطول بقاء منهم ، عمروا أحقابا وعاشوا دهرا دهورا ، ولم يتقل عنهم حرف واحد دخل فى ساحة الأدب الرفيع ، ولم لا يزالون على حالهم تلك من الجهالة والبلادة الفكرية والوحشية الاجتماعية ، فكيف يمكن فهم هذا الوضع فهما علميا ؟ لأنهم ليسوا أناس مثل العرب وغيرهم من الأمم التى تركت فى سفر التاريخ آثارا أدبية خالدة ؟ كلا ، إنما كان ذلك كذلك لأن أولئك الناس أشبه حاضرتهم ماضيهم فى حياة جاهلة جرت على وتيرة واحدة من البعد حتى عن أوليات المعارف الفكرية منذ خلقهم الله ، فهم لم يكن لديهم أنارة من علم نجلو عقولهم ، وتفصل عواطفهم ، وتعدم لإنتاج أدبي ، وحياة راقية ، فإذا وجدنا لأمة من الأمم ترانا من الأدب الحى الذى يستطيع أن يغذى الفكر البشرى فى طور ارتقائه كان باطلا من الرأى ولنؤا من القول أن يقال عن تلك الأمة إنها عاشت مدى تاريخها كله عيشة أولية جاهلة لانهم لها حياة أدبية ونهضة فكرية .

بين أدينا ثروة عظيمة من الأدب يمزوها ثقافات الرواة الى العرب قبل الاسلام ، والذى ذهب عنا ولم يصل الى أدينا ، وعينت به تيارات الحياة أضعاف ما وصلنا .

قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : « وإن شيئا الذى فى أدينا جزء منه لم يقدر

الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب، وهو الله لذي محيط بما كان والعالم بما سيكون». وروى محمد بن سلام في طبقات الشعراء: «قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب، ونشغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، وطميت عن الشعر وروايته، فلما كثرت الاسلام وجاءت الفتوح، واطمأن العرب بالأمن، راجعوا رواية الشعر فلم يثلوا الى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، فألقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره». وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: «ما نهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاكم علم وشعر وكثير». ويحدثنا ابن قتيبة عن الأصمعي قال: جاء فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء، فقال: ما جاء بكم يا خبيثاء؟ قالوا: جئناك نتحدث، قال: كذبتم، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى أن نأخذ عليه سقطلة، فأشدهم لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو، فقال الأصمعي: فعدت أنا وحلف الأحمر فلم تقدر على أكثر من ثلاثين. قال ابن قتيبة: هذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن بأروى الناس.

وقال عبيد الصمد بن الفضل الرقاشي: ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشرة ولا ضاع من الموزون عشرة. ويروى لنا لا إمام عبيد الفاهر الجرجاني عن الجاحظ: أن قيس بن خزيمة أتاه الحاملان في شأن حمالة داحس والغبراء فضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتيهما وقال: مالى فيها أيها العسمتان؟ قالوا: بل ما عندك، قال عندي قرى كل نازل، ورضا كل ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب، أسر فيها بالتواصل، وأنهى عن التقاطع. قالوا: غطب يوما الى الليل، فما أعاد كلمة ولا معنى. وهذه الخطبة ومحوها من كلام مصافح خطباء العرب ضاعت فيما ضاع من أدبهم.

يحدثنا ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء: كان ثلاثة إخوة من بني سعد لم يأتوا

الأمصاذهب رجزهم ، يقال لهم نذير ، ومُنذِر ، ومُنذَر ، ويقال إن قصيدة رؤبة التي أولها : وتاتم لأعماق ، لنذير ، ويقول ابن سلام : ومما يدل على ذهاب العلم وستوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المسححين لطرفة وعبيد ، والذي صبح لها قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لها غيرهن فليس موضعها حيث وضعا من الشهرة والتقدمة .

هذه حقائق وأسانيد تبعث في نفس الباحث النصف الطامئينة الى الإيمان بأنه كان للعرب حياة قبل الاسلام حياة أدبية تعتمد في متزها على العقل والعاطفة جميعا ، وتبدو في مظهر عليه سياه الطبيعة التي تكتف ذلك العقل وتلك العاطفة في حاضرها ، أما هذا الغموض الذي يسود تفاصيل تلك الحياة الأدبية فاهو إلا أثر من آثار الغموض الشامل للتاريخ القديم كله عند جميع الأمم التي عاصرت العرب في عصورها الجاهلية .

واذا حاول الباحث أن يتعرف هذه الطبيعة التي جلت الحياة الأدبية في مرآتها عن طريق ما بين أيدينا من نصوص أدبية ، رأى مظاهر البداوة بأخيلتها وآثارها ومساكنها وأعراضها ماثلة في صفحة ذلك الأدب ، فهو أدب بدوي في ديباجته ومساكنه وروحه ، لا يمثل الحياة العربية كاملة ، حضارتها ويداوتها كما حدثنا عنها التاريخ .

ومن حق البحث أن نتساءل عن شأن الحضارة العربية التي حدثنا عنها ابن خلدون وكشف عن وجهها النقاب البحث الأثرى الحديث ، تلك الحضارة هل كان لها أدب يمثلها ؟ وإذا كان فآين هو ذلك الأدب ؟ والتاريخ لا يتظن في أن آثارا من بقايا تلك الحضارة ظلت قائمة في مواطنها من العراق والشام والمجن ، حتى جاء الاسلام .

أما أنه كان للحضارة العربية أدب يصورها فهذا ما نرجحه ترجيحاً قويا ، لأن الأدب صورة الحياة ومرسستها ، وقد كانت الحياة هناك زاخرة فياضة ، وبميد من طبيعة الوجود أن تذهب تلك الحياة دون تصوير في قالب أدبي من الشعر أو النثر نجيش به النفوس الحساسة لإجابة لداعي الطبيعة نفسها ، وهي أنطق ما تكون في هذا الجانب

للتحرك الحساس من الحياة ، وهي أخرى أن يكون لها أدب أروع وأحسب وأمتع من حياة البداوة التي يفتقر إليها الأدب الجاهلي المعروف .

وأما أين هو ذلك الأدب ؟ فهذا ما اختلفت فيه أنظار الباحثين . فقد عرض بعض المعاصرين لهذا النحو من البحث ورأى أن الذي أضاع تلك الآداب وذهب بها إنما هو اختلاف لغات العرب في الشمال والجنوب والشرق والغرب اختلافا جوهريا جعل الصلة بينها كالصلة بين اللغة العربية الميمنية التي نزل بها القرآن الكريم وبين أية لغة أخرى من اللغات السامية ، وقد كان لأهل الحضارة من العرب في اليمن ، والحيرة وغيسان أدب بلغة خاصة بهم تخالف لغة هذا الأدب الروى المحفوظ في أساس وضعها وفي نحوها ، وتصريفها وحركات إعرابها ، ومن ثمة عرض الشك في صحة هذا الأدب النأثور معزو إلى العرب قبل الاسلام ، لأنه « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي تزعم الرواة أنه قيل فيه » .

ونظرية تعدد لغات العرب لا تقوى بأي حال من الأحوال على حل مشكلة فقدان الأدب العربي في بيئات الحضارة ، فلا بد من تحليل آخر يتمشى مع المطلق وطبيعة الحياة حتى يستقر البحث وتظهر الحقيقة . وسنفرد مقالا لبحث تعدد اللغات وتوحيدها ، ثم نقف بذكر الأسباب التي تراها من عوامل فقدان ذلك الأدب .

صالح إبراهيم عربيه

فضيلة الحلم

قال معاوية بن أبي سفيان : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فإذا ذكر ذكر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر عفا ، وإذا أساء استغنى ، وإذا وعد أنجز .

وقيل لبعض الصالحين : إن فلانا يقع عليك . فقال : لا أغيبن من أمره ، ينقر الله لي وله . فقال محدثه : ومن الذي أمره ؟ فقال : أمره الشيطان !

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام عود الى بدء

مضيفنا بالفكر في شطر غير قليل من الكلام على تعريف الوقف ولزومه عند بعض الأئمة وعدم لزومه عند آخرين ، وعن عروض الأحكام الشرعية الخمس له ، ثم عن تفاريع كل حكم من هذه الأحكام ومستلزماته في عدد سابق . والآن نتحدث في تبسط عن شروط الوقف التي لا ينعقد بدونها . فالشروط التي تتوقف عليها صحة لوقف أربعة أنواع ، لأنه في وجوده يفتنر الى أربعة أمور : واقف ، وموقوف ، وموقوف عليه ، وصيغة يتأدى بها المعنى المراد . فالشروط التي يجب تحققها في الواقف كثيرة ، منها أن يكون أهلا للتبرع بأن يكون حرا ، عاقلا ، بالغاً ، غير محجور عليه لسفه أو غفلة .

مباشرة تحقق الحرية بعلم أن وقف الرقيق غير صحيح إلا إذا أذنه مولاه في هذا التصرف ، وكان غير مستغرق بالدين ، فيصح منه في هذه الحالة وقف ما زاد عن الدين فإذا كان مستغرقا لا يصح وقفه ، على ما ذهب اليه صاحب البدائع .

وباشتراط العقل يعلم أن المجنون لا يقع الوقف منه صحيحا ، لأن الوقف تصرف من التصرفات ، وهي إنما تمتد التمييز ولا تميز عند المجنون ، فلو كان المجنون متفطما ثم وقف في حالة إفاقته وقع نصرف الوقف منه صحيحا لتوفر شرط تحقق العقل حين الوقف . ويقاس المعتوه على المجنون جنونا مطبقا في عدم وقوع الوقف صحيحا . والفرق بين العته والمجنون أن المجنون خلل في العقل تجري معه الأقوال والأفعال على خلاف مقتضى العقل ، والعته نقص في العقل يختلط معه الكلام فبعضه يشبه كلام العقلاء ، وبعضه يشبه كلام المجانين ، وكذلك باقي أموره وأفعاله . وقد اعترض بعض العلماء على النظرية القائلة بوقوع نصرف الوقف من صاحب الجنون المتقطع صحيحا اعتراضا قويا لأنه

غير مأمون العاقبة فيما يصدر عنه من أفعال ، فينبغي أن يعتبر الوقف منه تصرفاً غير صحيح . من أجل ذلك حكى صاحب المحيط أن تصرف ذى الجنون المتقطع في الوقف لا يقع صحيحاً ، وعلى ذلك بأن حالة الإفاقة لذى الجنون المتقطع تشبه في أكثر أحوالها للمتنوء ، والمتنوء محكوم بعدم صحة تصرفه ، وذو الجنون المتقطع قد يرى في فترة الإفاقة عاقلاً بالقياس الى بعض مظاهره الدالة عليه ، وقد تكون هذه المظاهر خداعة فيكون هو في واقع أمره مجنوناً ، فالأحوط فقهاً وديانةً ألا يؤخذ بتصرف من تصرفاته .

وباشتراط البلوغ يعلم أن وقف الصبي لا يقع صحيحاً إطلاقاً ، سواء كان مميزاً أم غير مميز ، وسواء أذن له وليه بهذا التصرف أم لا ، لأنه في جميع صور ما يصدر منه ليس أهلاً للتبرع كما أسلفنا في صدر البحث ، والوقف من التبرعات الصادرة ممن كل رشده ، وولي الصبي لا يملك للتبرع بشئ ، من ماله فلا يملك الإذن به . وروى صاحب الفتاوى الهندية نقلاً عن الامام تركشي في المحيط — حالة صبي مجبور عليه وقف عيناله ، قال الفقيه أبو بكر : وقعه باطل إلا بإذن من القاضي ، وقال الفقيه أبو العاسم هو كذلك وإن أذن له القاضي ، لأنه تبرع وهو لا يملك الإذن به ، وليس أهلاً لهذا التبرع . وجمهور فقهاء مذهب أبي حنيفة على أن وقف الصبي غير جائز مطلقاً .

وباشتراط عدم الحجر للسففة ينبغي أن يعلم أن السففة ، وهو البذر لملكه وليلد له على خلاف مقتضى العقل أو ناموس للشرع ، إذا حجر عليه كان وقفه بحد الحجر غير صحيح على ما رواه الامام الخصاص ، ثم وجهه بأن الوقف من التبرعات والسففة ليس من أهلها . فإن الحجر عليه للمحافظة على ماله فلا يملك للتبرع بشئ ، منه في هذه الحالة .

وذهب السكال بن الهمام في الفتح القدير الى أنه ينبغي إذا وقف المجبور عليه لسففة عيناً على نفسه ثم على جهة ير لا تنقطع أن يقع هذا التصرف صحيحاً أخذاً من مذهب الامام أبي يوسف وهو القائل بصحة الوقف الصادر من السففة على النفس ، وهذا الرأي صحيح عند المحققين من علماء الفروع . كما أنه يقع صحيحاً عند الكل

لو صدر به حكم من القاضي لأن حكم القاضي يرفع كل خلاف . وعلى أصحاب هذا الرأي انجاههم بأن الوقف على النفس لا يعتبر تبرعا . بل فوق ذلك فيه مبالغة في حفظ الموقوف والتوافر عليه ، وستمحاق النير له إنما يحمل بمد موته ، وهذا لا ضرر فيه البته . وزاد الفقهاء الوقف شرطا آخر وهو عدم الحجز على الواقف لدين أحاط به أو لزم العين الموقوفة ، وقرعوا على هذا الشرط أن وقف المحجور عليه لدين لا يقع صحيحا وقد تعلق به حق الغرماء . ومعنى عدم صحة الوقف من هذا النوع فيما شغل بالدين من ماله جواز زوال هذا التصرف ، فللغرماء حق طلب نقض هذا الوقف والحكم بعدم نفاذه ، وليس معناه أنه يقع باطلا ، لأن الحجز على المدين إنما هو لحق الغرماء ، ولأجل المحافظة على ما لهم ، فإذا جازوا الوقف نفذ ولزم ، ضرورة أنهم بهذه الإجازة قد أسقطوا حقهم في الاعتراض على ما وقع من تصرفهم . فلو وقع الوقف في هذه الحالة باطلا لما كان لهم أن يجزوه أو يمتضوا عليه ، إذ الإجازة لا تلحق الباطل وإنما تلحق للوقوف على ما هو معروف .

عباس ط
الحامى

المروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة ؟ قالوا : العفاف ، وإصلاح المعيشة . وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة ، والخفة . وقال : لا مروءة لكتوب ، ولا سرود لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق . وقال العنبي عن أبيه : لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالما ، صادقا ، مافلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس . وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه في صالح الأعمال تفسك فاجعل

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة

لا مشاحة في أن النفس الناطقة متى روضت على خير الوسائل بلغت أشرف المقاصد وأنبأ الغليات .

وقد قال علماء الأخلاق : إن مما لا يقبل جدلاً ولا حواراً أن من اتفق له في كن الصيا وخدر الفرارة أن يربي على أدب الشريعة البيضاء ، ويؤخذ بشرائطها وأحكامها حتى يتعود وتصبح له ملكة وسليقة ، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق الإسلامية لتتأكد تلك الأخلاق والآداب والمعاملات في نفسه بالبراهين والأقضية ، ثم ينظر في علم الحساب وعلم الهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان بما زاول من عمليات وممارس من أرقام ، ثم يتدرج رويداً رويداً حتى يبلغ أسنى المراتب ، كان هو السعيد الكامل ، وإدأ فعله أن يكثر من حمد الله على تلك الموهبة العظيمة والمنة الجليلة . فإذا لم يتفق ذلك للإنسان في فاتحة عمره ، فبطل بأن يريه القوامون عليه على رواية الشعر الفاحش والحديث اللغو وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبايح ونيل اللذات كيفما كان السبيل إليها ، كما يوجد مثلاً في شعراء مصرى الفيس والبابعة الديباني وشعر أبي نوس وعمر بن أبي ربيعة والبها زهير ومن إليهم ، من التشبيب والغزل ، وذم ما يجب حمده ، وحمد ما يجب ذمه ، وبسط الألسنة في الاتراء من الناس بغية الوصول إلى الهبات والعطايا ، ثم صار بعد ذلك إلى محبذين له يشجعونه أينما انتحى ، فليعتبر ذلك له شقاء لا نصيباً ، ومقتناً من الله وخسراً تاميناً .

ومما لا حربة فيه أن النفوس الثلاث التي أسلفنا عنها شيئاً من الكلام غير قليل وهي النفس السبعية والنفس البهيمية والنفس الملكية على ما توضع عليه الأقدمون من علماء الأخلاق ، إذا اتصلت وتمسكت بعضها ببعض أضحت شيئاً واحداً ، ولكن ليس معنى اتحادها أن تتصل نهايتها أو تتلاقى سطوحها على نحو ما يكون في الأجسام ،

بل تصير في بعض الحالات شيئاً واحداً وفي بعضها الآخر أشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوة بعضها وتسكن . ومعنى ذلك أن تلك النفوس الثلاث من حيث تركّز بعضها في بني الإنسان دون البعض الآخر ، وغلبة بعضها على بعض ، وتدافع بعضها على بعض قوة وضعفاً ، مختلفة الأثر في نتائجها وما يترتب عليها . ويذهب بعض الفلاسفة إلى أن كل نفس من هذه الأنفس الثلاث مستقل عن صاحبه غاية الاستقلال . وهذا لا ينفي اجتماعها في بني الإنسان ، وسكن ليس جملة واحدة بل على التوزع . من أجل ذلك قال قوم : إن النفس واحدة ولها قوى كثيرة . وقال آخرون : بل هي وحدة بالذات كثيرة بالعرض .

ونريد أن يعلم الباحث في هذا الفن الجليل الأثر أن بعض هذه النفوس نفس كريمة أديبة بالمعطرة والطبع ، وبعضها مهينة فاقدة للأدب بالطبع ، وليس فيها استعداد لقبول التأديب ، وبعضها فاقدة للأدب غير أنها مستعدة لقبول التأديب مهيئة للأخذ بأسبابه . فالكرامة الأديبة بالطبع هي النفس الناطقة ، العاقدة للأدب غير المهيئة لقبوله هي النفس البهيمية . والنفس التي فقدت الأدب ولكنها تتناوله وتعلمه إلى ثلثي تسليمه هي النفس الغضبية .

فإذا عرفت النفس العاقلة شرف غايتها وجليل فوزها وأحسنت عورتبتها من الله عز وجل ، أحسنت خلافته في تربية هذه القوى والقيام على سياستها ، ونهضت بهذه القوة إلى مكائنها الأسنى ، فبيلفته على أكمل وجه ، وفي هذا المقام لا يمكن أن نخضع البتة للسمعية ولا للبهيمية ، وبالتالي للغضبية ولا للشهوية ، لأن النفس الشهوية والغضبية في هذه الحالة تكون بمنأى عن النفس الناطقة بعد أن نهياً لها أسباب الفوز ، وخلصت من المادة وعلاقتها إلى واد من النور والعرفان ، يتنكر فيه عالم الشهوة وعالم المادة ، ويتمحض في ساحته الشرف الرفيع والجاه النيع .

وستأتي في العدد القادم على بحث تحليل لا رستطاليس ، ورأى المعلم الأول الفارابي ، تعقيباً على بعض النظريات الحديثة الشائعة ، ووضعاً للحق في نصابه ، إن شاء الله .

الاسلام والطب الحديث

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .
 هذه الآية الكريمة هي التي دعيت الى تفسير بعض الآيات لآني وجدتها يفسر
 بعضها بعضا بلا اختلاف ، وإذا ظهر مثل هذا أو كان ما لا يتفق مع الآراء العلمية فيما
 مضى فإنه كلك تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن ، وظهر أن كل شيء لا يتفق مع
 القرآن باطل ، والأمثلة كثيرة فيما قلنا وفيما سيأتي :

« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق
 وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » الآية ٦ سورة المائدة .

حركة الوضوء يقصد منها : حركة استعداد للصلاة ، لأن الصلاة معناها أن
 يتصور الشخص أنه أمام الخالق ، وأن يكون خاشعا ، وأنه يقوم بإظهار عبوديته ، فلا يـ
 يتهيا ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة ، فرص عليه الوضوء ، قبل القيام
 بالعبادة . وفي اعتقادي أنه يحسن بمن يريد أن يحصر عقله كله في عبادة ربه ، دون أن
 تشغله الحياة التي نراها في هذا العصر ، يحسن أن يستريح زمنا قبل الصلاة ليستجمع
 قواه العقلية ، ويهيئ نفسه للخشوع ، ويترك شواغل الدنيا .

وإذا كان الإنسان مشغولا بتفكير عميق فإنه لا يرى ما يقع أمامه ، ولا يسمع
 بما يدق حوله ، وهو والحالة هذه يحتاج الى تنبيه ليرى ويسمع ، وهذه نظرية فيسيولوجية
 لكل الحواس التي لا تؤدي وظيفتها إلا إذا كان المخ غير مشغول بشيء آخر ، وحتى
 يكون على استعداد لاستعمال الحاسة الخاصة . وكذلك الشأن في حركة التفكير ،
 فالذي يفكر في شيء ، مهم لا يمكنه أن يفكر في شيء آخر إلا إذا تنبه اليه بانفعالات
 عصبية ، وهنا يترك التفكير لأول فجأة وعلى عجل ، وأما إذا أريد تنبيهه ليفكر في شيء ،

آخر تفكيراً هادئاً فإنه يحتاج الى وقت ما، فإن الذى يفكر فى التجارة والزراعة ثم يقال له : قم للعبادة ، يجد صعوبة فى تأديتها .

وهنا كانت حكمة الوضوء ، لأنه يساعده على ترك التفكير الأول ، ويعطيه الوقت الكافى ليعيد فى تفكير عميق من نوع آخر . ومما لا شك فيه أن الشخص إذا كان كثير الاشتغال بأمور الدنيا يصعب عليه حتى بعد الوضوء أن يترك تفكيره الأول تركاً تاماً ، ولذلك كانت الحكمة فى الذهاب الى المسجد قبل موعد الصلاة ، كما كانت الحكمة فى الحث على عدم الإفراط فى حب الدنيا . « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً » وفى لحن كذلك على عدم الاهتمام بالفشل والنجاح « لئلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . وكل ذلك حتى لا يشتغل عقل الانسان بأمور الدنيا اشتغالا يصعب معه أو يستحيل أن يكون مطمئن البال ، وأن يكون خاشعاً وقت الوقوف بين يدي الله حتى بعد حركة التنبيه التى يحدثها الوضوء .

وقد شبه الدكتور محمد عبد الحميد الوضوء بفترة الاستراحة بين محاضرتين ، فهى تعطى الطالب الوقت لترك التفكير فى المحاضرة الأولى ، وأخذ الأهمية للمحاضرة الثانية . أما الفوائد الأخرى للوضوء فكثيرة من الوجهة الطبية .

فنظافة الفم مرات متعددة فى اليوم ، من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة . كذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر ، وكأنها مثل الحقن بالفاكسين ، وقد كتب أخيراً فى هذا الشأن أطباء اختصاصيون فى الأنف . وفوائد غسل الوجه والأذنين والأيدى طاهرة ، من كثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المعرضة عادة للأمراض الجلدية ، وللآلتهابات ، فإن غسلها عدة مرات كل يوم أحسن وقاية لها من ذلك . وقد تضح أخيراً أن كثيراً من الميكروبات (الجراثيم) بل الأغلبية منها تصيب الانسان بطريق اختراقها الجلد ، كما اتضح أن طفيليات

الدبدان ندخل الجسم بطريق اختراق الجلد أيضا ، ولا شك في أن الفسل التكرار من الوقيات البسيطة الفعالة ، لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع كل الميكروبات من الوصول الى داخل الجسم ، إلا إذا حصل فيها « تسليخ » abrasion ولو بسيطا ، فهي حينئذ تفقد وظيفتها وتتمكن الجراثيم من الدخول الى الجسم . وأهم سبب لوجود التسليخات البسيطة هو (الهرش) وهو نتيجة عدم النظافة .

وأما الجراثيم التي تدخل من الفم فلا تدخل إلا من طريق تلويث الأيدي ، فإذا كانت الأيدي مغسولة نظيفة على الدوام ، كانت أحسن وقاية .

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

سبق الكلام على ضرر الخمر من الوجهة الطبية .

« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون صيرا بإذني ، وتبرئ »

الآنكه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتي بإذني » ١١٠

سبق أن تكلمنا في تفسير هذه المعجزات ، ووضحنا المرق بينها وبين الخفريات ، ثم بينها وبين ما يمكن أن يأتيه الانسان مهما تقدم علمه . وما يلاحظ أن المعجزات مرتبة بحسب تأثيرها في الانسان ، فاحياء الطير المصنوع من الطين أقل صدمة من إبراء الآنكه ، وأشد صدمة هو إحياء الموتي ، ولكن السكل كما قلنا من صنع الله مباشرة ، وقوله تعالى : « تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني » : هذه الكلمة الأخيرة من الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن صنع الطين كهيئة الطير إنما هو لتلطيف لوقع المعجزة ، لأن الآية الكريمة تنص على أن الله أمر سيدنا عيسى بصنع الطير من الطين لغرض خاص ، وأما إذا صنعه شخص آخر أو صنعه سيدنا عيسى من نفسه في ظروف أخرى ، فإنه لا يفيد في إدخال الروح الى الطين . وكذلك قوله تعالى : « بإذني » بعد قوله : « فتنفخ فيها فتكون طيرا » لأن المهم هو إرادة الله لاحتكاك النفخ . وهكذا يفسر القرآن بعضه

بعضها ، ويفسر ما قلناه سابقا في المعجزات والمخترعات ، وهو أن المعجزات ليست لها طريقة يتعلمها الانسان ، وأنه مهما تشابهت ظروف التجربة فإنها لا تكرر بل هي من صنع الله مباشرة . وأما المخترعات فهي كشف سنة طبيعية ، ويمكن الانسان أن يكررها مرارا على يديه ما دامت ظروف التجربة متشابهة ، حتى لو لم يفهم الانسان حقيقة السنن الطبيعية فإنه لا يعرف ما هي الكهرباء ولا الحرارة الخ ، ولكنه يعرف ويستفيد من كثير من السنن التي تتعلق بها ما دامت لا تتبدل — ولن نجد لسنة الله تبديلا .

وقد أظهرنا في الكلام على المعجزات أنه فيما يتعلق بالروح والحياة ، يمكن الانسان أن يستفيد من السنن الطبيعية التي تختص بها ، فالطبيب يمكنه أن يعطى دواء يقوى به القلب وبذلك يستمر على الحياة ، ولكنه لا يمكنه أن يوجد الحياة في الجناد أو في جسم ميت موتا تاما . وكلما تقدمت العلوم ارتقى الانسان في معرفة السنن الطبيعية ، ولكنه لن يبدؤ خلقا جديدا لأن هذا من اختصاص الله ، وقد سبق البرهان على ذلك منطقيا : « قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به » .
المركتور عبد العزيز اسماعيل

فضيلة الصداقة

روى أن داود قال لابنه سليمان عليها السلام : يا بني لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل باخ قديم أخا مستجده ما استقام لك .
وقال شبيب بن شبة : يخوان الصفا حسير من مكاسب الدنيا ، هم رينة في لرغاء ، وعدة في البلاء ، ومعوثة على الأعداء
وأشد ابن الأعرابي :

لعمر ما مال الفنى بذحيرة ولكن يخوان الصفاء الذخائر

الفتح الى بانى

ظهر القسم الثالث من الجزء الرابع من كتاب (الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد) وبمه كتاب (بلوغ الأمان من أسرار الفتح الربانى) كلاهما تاليف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ احمد عبد الرحمن البنا ، وهو عمل جليل نرجو ان ينال ما يستحقه من الانتشار .
يطلب الاشتراك من فضيلة المؤلف بمكتبه بمطبعة الرسم رقم ٩ بالقاهرة بمصر

باب القمر

إن تاريخ البعثة الحمديد وما سبقها وما يليها من الحوادث تعبر من أهم ما يجب أن يعنى بتدارسه المسلمون ، لأن منه انبثقت أول نواة لوجودهم الدينى والمدنى . ولكن الغفوس على عادة الاطلاع ، وتضعف عن المتابعة ، لذلك بقيت هذه الحوادث مجهولة لدى الأكثرين . فرأى حضرة اللوذعى الأديب ، والبعثة الاجتماعى الضليح الأستاذ ابراهيم رمزي وكيل قسم الادارة الأوربية بوزارة المعارف أن يتدارك هذا الانصراف بوضع هذه الحوادث فى صورة روايات خيالية ، وهو جدير بأن يسلك هذه الطريقة ، فقد مارس صناعة وضع الروايات سين كثيرة ، وله فيها مكان معلوم ، فأتى على هذه السلسلة التاريخية على أسوب لم يسبق اليه ، فقد نقل ذات الأقوال والمحدثات التى عراها رواة السير الى أولئك الذين حدثت تلك الحوادث منهم ، وهذا وحده فصلا عن أنه يجعل الرواية مثلا فى البلاغة العربية ، يعتبر عملا شافا مصليا . وقد أحبنى المؤلف العاضل أنه أتق فى سبيل جمع هذه الأقوال وضبط تلك الوقائع نحو عشرين سنة .

وقد أصدر أول حلقة من سلسلة هذه الروايات فى كتب أعيان باب القمر يقع فى ٥٦٤ صفحة ، وإنه لكتاب يستحق أن يمدح محله من كل مكتبة .

اللغة والدين والتقاليد

فى حياة الاستقلال

هذه مجلة فياحة الشذى من نمرات قريحة الأديب المشهور الدكتور زكى مبارك ، وقد أهدها الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراعى ، وإنها جديرة

أن تهدي الى هذا الامام لجدد ، فقد أتى المؤلف في هذه الرسالة بعروب شتى من البحوث تختص باللغة والدين والتقاليد في علاقتها بالاستقلال ، فكان له ما أريد من إبداع وسداد رأي وحكم صحيح .

التبصرة والتذكرة

هي شرح لألفية الامام احمد بن حنبل العراقي المتوفى سنة (٨٠٦ هـ) ويليه (فتح الناقى على ألفية العراقي) لقاضى القضاة زين الدين زكرياء الأزهرى المتوفى سنة (٩٢٥ هـ) فنحت طلاب الحديث وعلماءه على اقتناء هذه النخبة العلمية .

دعوة الرسل

إن تاريخ الرسل هو تاريخ الدين نفسه ، وقد عني به المؤلفون قديما وحديثا ، وفي بعض تلك الكتب خلط بين الاسلاميات والاسرائيليات ، وفي بعضها تجريد خرج بها عن حدود الموضوع .

ولكن أماننا كنايا سلك طريقة لم يرق عليها ما سبقه من الكتب ، وهي استمداد تواريخ الرسل والحوادث التي وقعت لهم ، ووجوه الإصلاح التي أتوا بها للأمة من القرآن الكريم نفسه ، مع شرحها شرحا وافيا من مقررات التاريخ العام نفسه . وواد على ذلك ان جعل هذا الشرح منصلا بالحياة الحاضرة وصل به الماضي من التاريخ بالحاضر . وقد عني بتحليل كلمات كل رسول ووازن بينها وبين كلمات خصومه . وكذلك عني بتحليل نفسيات الرسل وبين ما في كياناتهم من رحمة وحزم ، وما ملأ قلوبهم من حب المصلحة العامة ، وما شحنت به قواهم المعنوية من الصبر على الأذى والعطف على الجاهلين ، والثبات على الحق ، والثقة بالأيدي الخالصة من امهات الفضائل .

فإن هذا الكتاب نسيج وحده ، يشهد لمؤلفه حضرة صاحب لمضية العالم الجليل الشيخ محمد احمد العدوى المدرس بكلية الشريعة بالاطلاع الواسع والعلم الغرير ، والفهم الصحيح لنفسيات الناس في أطوارهم المختلفة . وهذا السفر الجليل الذي يقع في ٥٣٢ صفحة يعتبر عمدا جديدا في وضع التواريخ لسير الأنبياء والمرسلين . فترجو أن يثيب الله مؤلفه الجليل بـ يثيب به أوليائه الصالحين .

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم بن موسى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 22.

On the Wudû' being performed once for each several part.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufiân, through Zaid b. Aslam through 'Alâ' b. Yasâr through Ibn 'Abbâs who said

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) hath been known to perform the wudû' once for each several part"

CHAPTER 23.

On the wudû' being performed twice for each several part.

We are informed by Husain b. 'Isâ, who had it from Yûnus b. Muhammad, who received it from Fulaih b. Sulaimân, through 'Abdullâh b. Abu Bakr b. 'Amr b. Hazm, through 'Abhâd b. Tamîm through 'Abdullâh b. Zaid that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) hath been known to perform the wudû' twice for each several part

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

بَابُ الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً:

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا

سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال:

«تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً مَرَّةً»

بَابُ الْوُضُوءِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ

حدثنا حسين بن عيسى قال حدثنا

يونس بن محمد قال حدثنا فليح بن سليمان عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم

عن عباد بن ثميم عن عبد الله بن زيد

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ»

CHAPTER 24.

On the wudu' being performed thrice for each several part.

1 We are informed by 'Abdul-'Aziz b. 'Abdulāh Al-Uwaisi, who had it from Ibrāhīm b. Sa'd, through Ibn Shihāb, who was told it by 'Alā' b. Yazid, who was informed by Humrān, the freedman of 'Uthmān, that the last-named had seen 'Uthmān b. 'Affān act thus :

He called for a vessel of water out of which he poured some on his hands three times and washed them. He then immersed his right hand in the vessel and took a scoop of water with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils. After that he washed his face thrice, and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head with his wet hands, after which he washed his feet three times as far as the ankles.

He then stated : "The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said : 'Whoever performeth his wudu' after the manner of this wudu' of mine, and then performeth a two-rak'ah⁽¹⁾ prayer without having his soul distracted therein, shall have his past sins forgiven him.' "

2. It is also related through Ibrāhīm⁽²⁾ who said that Sālih b. Kaysān stated that Ibn Shihāb said that 'Urwaḥ, however, narrated this version through Humrān :

بَابُ الْوُضُوءِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا :

١ - حَدَّثَنَا هُدَّ الْعَزِيزِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ مُهْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بَنَ عَفْفَانَ :

دَعَا بِمِائِدَةٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَيْتَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَذْجَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَتَضَمَّضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ :

ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَوَضَّأَ تَحْزَنَ وَوَضَّأَ هَيَّأَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ فِيهَا نَفْسَهُ عَصْرَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ .

٢ - وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ قَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَلَكِنَّ عُرْوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ جِهْرَانَ :

(1) A rak'ah is composed of various forms of bowing, kneeling and prostration performed in the prayer ritual. The five daily prayers comprise different numbers of rak'ahs. In addition to these obligatory sa'awāt, two-rak'ah prayers can also be made as works of supererogation.

(2) I.e. the Ibrāhīm b. Sa'd mentioned at the beginning of this chapter.

'Uthmān having performed the wudū' said: "Verily I shall relate unto you a hadith, which I should not have done but for a verse in the Qur'ān. I heard the Prophet (Allāh bless him and give him peace) say: 'No man performeth his wudū' thoroughly, and then the appointed prayer, but shall be pardoned the sins he may commit between this prayer and the next.'"

'Urwah added that the verse in question was: "Verily they that conceal the evident proofs and the Guidance that we have sent down" (1)

CHAPTER 25.

On the cleansing of the nostrils in wudū', which 'Uthmān, 'Abdullāh b. Zaid, and Ibn 'Abbās (Allāh be well-pleased with them) mentioned as being commanded by the Prophet (Allāh bless him and give him peace)

We are informed by 'Abdān who had it from 'Abdulāh, who received it from Yūnus, through Az-Zu'ari, who was told it by Abu Idrīs, who heard it from Abu Hurairah, who had it from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said:

"Let him who performeth his wudū' cleanse (2) his nostrils, and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. (3)"

CHAPTER 26.

On abstersion with an uneven number of stones

وَقُلْنَا تَوَضَّأُ عُثْمَانُ قَالَ : أَلَا
أَحَدْتُكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةُ مَا
حَدَّثْتُكُمْوه : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ
بِحُسْنٍ وَصُوءَةٍ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ
إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ
حَتَّى يُمَاطِيَهَا .

قَالَ عُرْوَةُ الْآيَةُ : وَإِنَّ الدِّينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَزَكَّيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

بَابُ الْإِسْتِنْشَاقِ فِي الْوُضُوءِ .
ذَكَرَهُ عُثْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ
وَابْنُ عَبَّاسٍ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ
أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو
إِدْرِيسَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَكَفَّيَسْتِغْسِرُ
وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيَبُورْ »

بَابُ الْاسْتِجْمَارِ وَثَرَاهُ :

(1) Sūrah 2, Verse 159.

(2) سَفَا = literally, spat out water which has been snuffed up into the nostrils in order to remove phlegm from the nasal cavity

(3) i.e. three or five stones

We are informed by 'Abdullah b Yūsuf, who had it from Mālik, through Abu-z-Znād, through Al-A'raj, through Abu Hurairah that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said:

"Whenever any one of you performeth his wudū', let him snuff water up his nostrils and then spurt it out; and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. When any one of you awaketh from his sleep, let him wash his hand before immersing it into the ablution-water, for no one of you knoweth where his hand hath been during the night."

CHAPTER 27.

On washing the feet and not merely wiping them

We are informed by Mūsā, who had it from Abu 'Awānah, through Abu Bishr through Yūsuf b. Mālik, through 'Abdullāh b 'Amr, who said:

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) fell behind us while we were on a journey together. He then caught us up when we were taken unawares by the afternoon-prayer. We therefore proceeded to perform our wudū', barely wiping our feet, when the Prophet called out at the top of his voice: 'Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.'" This he said two or three times.

CHAPTER 28

On rinsing the mouth in the wudū' — related by Ibn 'Abbās and

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
وَإِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ
فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَنْثُرْ. وَمَنْ
اسْتَجَمَرَ لِيُتَوَضَّأَ وَإِذَا اسْتَبَقِظَ
أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ
قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنْ
أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاسَتْ يَدُهُ.

بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ وَلَا
يَمْسَحُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة
عن أبي بشر عن يوسف بن مالك عن
عبد الله بن عمرو قال:

تَخَلَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنَّا فِي سَفَرَةٍ سَأَلْتُمَا فَأَذَرَ كُنُيَا
وَقَدْ أَرْقَقْنَا الْعَصْرَ، فَجَعَلْنَا
كَوْضًا وَنَمَسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا،
فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَيْلٌ
لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ - ثَلَاثِينَ
أَوْ ثَلَاثًا..

بَابُ الْمَضْمَاةِ فِي الْوُضُوءِ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ

'Abdullāh b. Zaid (Allāh be well-pleased with them) from the Prophet (Allāh bless him and give him peace)

We are informed by Abu-l-Yamān, who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, who was told it by 'Atā' b. Yazid, through Humrān, 'Uthmān b. 'Affān's freedman, who stated that :

He saw 'Uthmān call for ablution-water. He poured some water out of the vessel on his hands, which he washed three times, he then immersed his right hand in the ablution-water, rinsed his mouth, snuffed the water up his nostrils and ejected it. Afterwards he washed his face thrice and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head *with his wet hands*, after which he washed each foot thrice.

'Uthmān then said - "I have seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudū' in much the same way as I have just done. He also said: Whosoever performeth his wudū' after the manner of this wudū' of mine, and then performeth a two-rakah prayer without having his soul distracted therein, Allāh shall pardon him the sins he hath committed heretofore."

CHAPTER 29

On the washing of the heels ;

and on the fact that Ibn Sirin used to wash the place covered by his ring whenever he performed his wudū'

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ

الرَّمْهَرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَرِيدٍ عَنْ حُمُرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَمَانَ أَنَّهُ :

رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِوَضُوئِهِ فَأَمْرَخَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِبَائِهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوئِ ثُمَّ كَسَمَ مَخَصَّ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَتْ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا

ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوئِي هَذَا، وَقَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ عَصَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . .

بَابُ غَسْلِ الْأَعْقَبِ .

وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَغْسِلُ مَوْضِعَ خَاتَمِهِ إِذَا تَوَضَّأَ

We are informed by Adam b. Abulyās, who had it from Shu'bah, who received it from Muhammad b. Ziad, who said:

I heard Abu Hurairah say while he was passing us as the Faithful were performing their wudu* from the ablution-vessel: "Perform ye a thorough wudu*, for Abu-l-Qasim (1) (Allāh bless him and give him peace) said: 'Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.'"

CHAPTER 30

On the washing of the feet with sandals on, and not merely wiping over the sandals *with the wet hands*

We are informed by 'Abdulāh b. Yūsuf, who had it from Malik through Sa'id Al-Maqburi through 'Ubaid b. Juraj that he said to 'Abdullāh b. 'Umar:

"O Abu 'Abdu-r-Rahmān, I have seen thee practising four things, which I have not seen practised by any of thy companions."

"What are they Ibn Juraj?"
replied he

"I have seen thee touch only the two Yamanite (2) corners of the Ka'bah further I perceive that thou wearest tanned (3) sandals; again that thou usest a yellow dye; (4) and

حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا
شعبة قال حدثنا محمد بن زياد قال:

سمعتُ أنا هريره وكانَ يَمُرُّ
بِنَا وَالسَّائِرُ يَتَوَضَّؤْنَ مِنْ
الْمَطْهَرَةِ قَالَ

وَأَسْبَغُوا الْوُضُوءَ قَالَتْ أُمُّ
الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَيْلٌ
لِلْأَعْقَابِ بْنِ السَّرِيِّ

بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ فِي
الْعُغْلَيْنِ وَلَا يَمْسَحُ عَلَى اسْتَعْلَيْنِ:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
مالك عن سعيد المقبري عن عبد بن
جريج أنه قال لعبد الله بن عمر:

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ
تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ
أُمَّتِكَ يَصْنَعُهَا

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا بَنَ جُرَيْجٍ؟
قَالَ: رَأَيْتُكَ لَا تَمْسَحُ مِنَ
الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَيْنِ، وَرَأَيْتُكَ
تَلْبَسُ السَّعَالِ السَّيْتِيَّةَ، وَرَأَيْتُكَ
تَصْبِغُ بِالصُّفْرِ، وَرَأَيْتُكَ إِذَا

(1) The Prophet's agnomen.

(2) i.e. the two southerly corners of the Ka'bah facing A. Yaman and Al-'Iraq, the Black Stone being in the latter, the Yaman Corner predominating gives the name to both.

(3) سَت - a plant used in tanning. Tanned shoes were considered a luxury and Ibn 'Umar was criticised for wearing them, while most of the Faithful wore shoes of raw hide.

(4) Either for the hair or clothes.

lastly when thou comest to Makkah, all the Faithful call the ihlāl⁽¹⁾ as soon as they see the new moor, while thou dost not call the ihlāl until the day of tarwiyah. (2) ”

To this ‘Abdullāh replied: “Regarding the corner-stones, I have seen the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) touch only the two Yamanite ones, regarding the lanned sandals, I have seen the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) wear hairless ones and perform his wudū’ with them on, (3) that is why I like to wear such also; regarding the yellow dye, I have seen the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) use it himself, and therefore I like to do the same; as touching the ihlāl, I have never heard the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) utter this formula until his mount stood ready to start on the procession. (4) ”

CHAPTER 31.

On giving priority to the right side of the body in the performance of the wudū’ and the ghusl.

1. We are informed by Musaddad, who had it from Ismā‘īl, who received it from Khālid, through Hafsa bint Sirin, through Umm ‘Atiyyah, who stated that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said

كُنْتَ بِمَكَّةَ أَقْبَلَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا
إِهْلَالَكَ وَلَمْ يَهْلُ أَنْتَ حَتَّى كَانَ
يَوْمُ التَّرْوِيَةِ .

قال عبد الله: أما الإلّا فكان قاتني
لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمس إلا اليمينيتين، وأما النعل
الطيبية فأتاني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس النعل
التي ليس فيها شعر ويتوضأ
فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما
الصفرة فأتاني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصبغ بها، فأنا
أحب أن أصنع بها، وأما الإهلال
فأتاني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهل حتى تسمع بك به وأحسبه .

بَابُ التَّبَسُّمِ فِي التَّوَضُّؤِ
وَالْغُسْلِ :

١ - حدثنا مسدد قال حدثنا اسماعيل
قال حدثنا خالد عن حفصة بنت سيرين

(1) i.e. raise their voices with the talbiyah formula upon assuming the state of ihram for the pilgrimage.

(2) يوم التروية = the eighth of Dhu'l-Hijjah - the month of pilgrimage

(3) The feet are washed last, after the wudū’ has been performed for all the other members, the sandals being then removed for the washing of the feet and put on again (See Tuhfat-ul-Ba‘i)

(4) — towards Makkah

to them (1) when they were washing his dead daughter's (2) body.

"First wash the parts on the right side of her body, beginning with the members to which the wudû' applies. (3)"

2. We are informed by Hafe b. 'Umar, who had it from Shu'bah, who received it from Ash'ath b. Sulaim, who heard it from his father, through Mas'ûq, through 'A'ishah, who said:

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) always preferred to give priority to the right side, whether in putting on his shoes, dressing his hair, performing his ablutions, or any other act."

CHAPTER 32.

On seeking ablution-water when the hour of prayer is at hand;

and on the words of 'A'ishah, "Once when the hour of the morning prayer was due, water was sought for but could not be found, consequently the dry ablution (4) verse was sent down."

We are informed by 'Abdullah b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Ishâq b. 'Abu'llâh b. Abu Talhah, through Anas b. Mâlik that he said:

"I once saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) as the hour of the afternoon-prayer was at hand, when the Faithful sought for wudû'-water without

عن أم عطية قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم كُنْ فِي غَسَلِ ابْنَتَيْهِ : اِبْدَأْ بِيَمِينِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا .

٢ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة قال أخبرني أشعث بن سليم قال سمعت أبي عن مسروق عن عائشة قالت :

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعِدُ الْيَمِينَ فِي تَغَسُّلِهِ وَتَرْجِيلِهِ وَطُحُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ .

كَانَتْ السَّيَّاسُ الْوُضُوءُ إِذَا حَاطَتْ الصَّلَاةُ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ فَالْتَمَسَ الْمَاءَ فَلَمْ يَوْجَدْ . فَكَرَزَ التَّيْمُمُ :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال :

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَاطَتْ صَلَاةَ الْغَضْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ

(1) i.e. Umm 'Atiyah and the women with her.

(2) Za'ab according to Muslim, though Umm Kulthûm has been suggested.

(3) This is the meaning of this hadith according to Ibn Sirîn quoted by Al-Azai.

(4) تيمم (Tayammum) = purification by dust or sand in the absence of water, or in the case of sickness when use of water might be injurious. (Surah 6, Verse 6)

finding any. The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was however brought some for his wudū'. Immersing his hand in the vessel containing it, he commanded the Faithful to perform their wudū' from it. Then I saw (continued Anas) the water springing up from beneath his fingers, until all the Faithful performed their wudū' from the first unto the last."

CHAPTER 33.

On the water which hath been used for washing the hair of a man; (1) since 'Atā' did not see anything wrong in human hair being used for making thread and ropes;

and on the remains of water from which dogs have drunk, and their passing through the mosque; since Az-Zuhri said: "When a dog hath lapped out of a vessel, and a person hath no other wudū'-water, he may use it for his wudū'; and Sufiān said: "This is the very teaching according to the word of Allāh (be He exalted): 'and if ye fail to find water, then perform a dry wudū';' (2) for this is water which, although there may be scruples about it, (3) may be used for wudū', which must be followed by dry ablution."

1. We are informed by Ma'lik b. Ismā'il, who had it from Isrā'il, through 'Asim, through Ibn Sirin, who said to 'Abdāh :

يَجِدُوهُ ، كَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْضُوهُ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ السَّائِرَ أَنْ يَتَوَضَّأُوا مِنْهُ ، قَالَ قُرَائِبُهُ الْمَاءَ يَنْتَعِ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوْضُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ .

- ٢٣ -

بَابُ الْمَاءِ الَّذِي يُنْسَلُ بِهِ شَعْرُ الْإِنْسَانِ ، وَكَانَ عَطَاءٌ لَا يَرَى بِهِ بَأْسًا أَنْ يُتَّخَذَ مِنْهُ الْخِيوطُ وَالْحَبَالُ ،

وَسُورِ الْكَلَابِ وَمَرَّهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ : إِذَا وَلَّغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ لَيْسَ لَهُ وَضُو' غَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ بِهِ ، وَقَالَ سُفْيَانٌ هَذَا الصِّحَّةُ بِتَيَسُّبِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَجِدْ وَأَمَّا فَتَيَسُّبُوا ، وَهَذَا مَا رَوَى الشُّعْرُ مِنْهُ نَحْنُ ، يَتَوَضَّأُ بِهِ وَيَتَيَسَّمُ .

١ - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ سَرِينٍ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ

(1) i.e. on the question of its purity for purposes of ablution. Al Bukhārī wishes here to reply to those who deny this purity.

(2) Su. ah 5, Verse 6.

(3) These scruples are due to the divergence of opinion among the doctors as to the ritual purity of such water, hence the necessity for a dry ablution being performed also.

"We possess some hairs of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), which have reached us through Anas or his family." 'Abīdah replied: "I had rather possess one hair of his than the world and all that it containeth" (1)

2. We are informed by Muhammad b. 'Abdu-r-Rahīm, who had it from Sa'īd b. Su'aimān who received it from 'Abbād, through Ibn 'Aun, through Ibn Sirīn, through Anas that :

"When the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had his head shaved, (2) 'Abu Talbah was the first to take some of his hair." (3)

3. We are informed by 'Abdullāh b. Yūnuf, through Mālik, through 'Abu-z-Zinād, through Al-'A'raj, through 'Abu Hurairah, who stated that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

"If a dog drink out of the vessel of any one of you, let him wash it seven times."

4. We are informed by Ishāq, who had it from 'Abdu-s-Samad, who received it from 'Abdu-r-Rahmān b. 'Abdullāh b. Dīnār, who heard it from his father, through 'Abu Sālih, through 'Abu Hurairah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that :

وَعِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ نَبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَتْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْسَ -
أَوْ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ أَنْسَ، فَقَالَ: «لَأَنْ
تَكُونُ عِنْدِي شَعْرَةً مِنْهُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ
أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبَّادُ
عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَنَسٍ :

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا
حَاقِقَ رَأْسِهِ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ
مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ».

٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ عَنْ مَالِكٍ
عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
«إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ
فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا».

٤ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ
سَمِعْتُ أَبِي عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(1) Al-Bukhārī has selected this hadīth to controvert the idea that hair may be نجس (unclean).

(2) on the occasion of the Farewell Pilgrimage.

(3) According to Muslim the right side of the Prophet's head was shaved first, and the hair given to 'Abu Talbah. 'Abu Talbah kept this for himself and his wife after which he was given the hair of the left side, which he distributed among the Faithful, one or two hairs each.

"A man once saw a dog licking the earth for thirst, so he took his shoe and kept on scooping water with it for the dog, until he had quenched its thirst. Allāh rewarded him for this and caused him to enter Paradise " (1)

5. It was stated by Ahmad b. Shabīb, who had it from his father, through Yūnus, through Ibn Shihāb, who received it from Hamzah b. 'Abdullāh, through his father, who said

"Dogs used to make water and run to and fro in the Mosque (2) in the time of the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and water was not even sprinkled (3) over the places."

6. We are informed by Hafs b. 'Umar, who had it from Shur'bah, through Ibn Abu-s-Safar, through Ash-Sha'bi, through 'Adiyy b. Hātim who said .

"Once in answer to my question the Prophet said: 'When thou sendest forth thy trained dog, and he killeth the game, thou mayest eat of it; but if he hath eaten of it, then eat it not, for he hath appor tioned it unto him-

وَأَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ
الشَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَأَخَذَ الرَّجُلُ
خَمْرَهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ مِنْهَا حَتَّى
أَرَوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ ."

5 - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبِي
عَنْ يُونُسَ عَنْ أَبِي شَهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمْرَةُ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَتْ الْكِلَابُ تَتَوَلَّى
وَتَقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي الْمَسْجِدِ فِي
زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ
يَكُونُوا يُرْمَوْنَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

6 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا
شُعْبَةُ عَنْ أَبِي أَبِي السَّفَرِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ
عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ :

سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُتَمَلِّمَ
فَقَتَلَ فَكُلْ ، وَإِذَا أَكَلَ فَلَا

(1) This hadith is written in red in Ibn 'Asākh's version, but appears in the margin of Yūnus. Some Mālikīs infer from Al-Bukhārī's citation of this hadith that the dog is not unclean except in a ritual sense, and therefore the washing of the vessel referred to in the preceding hadith is not obligatory but a commendable practice. (See Ibn Hajar & Qasabānī).

(2) i.e. the Prophet's Mosque at Madīnah.

(3) The use of the word رَشَّ shows even an inferior degree of cleanliness was not considered necessary. This hadith is taken by some to support the general cleanliness of dogs, but it is pointed out that the Prophet and his Companions were unaware of these conditions, since urine is universally admitted to be unclean, the Hanafī School, however, hold that the soil is purified when the sun and air dry up the defiling moisture.

self.' 'But, replied I, 'what if I send forth my dog and then find another dog with him?' The Prophet replied: 'Then eat not, because thou hast invoked the name of Allāh upon thine own dog, but hast not done so upon another.' " (1).

CHAPTER 34.

On him who doth not see the necessity for a *fresh wudū* (2) except in the case of excretion from the anterior and posterior orifices. based on the word of Allāh (be He exalted): "Or if one of you cometh from the draught;" (3)

and on 'Alā's statement concerning one from whose posterior orifice there cometh worms, or from whose member there cometh any kind of vermin such as a louse, that he must repeat the *wudū*,

and on Jābir b. 'Abdullāh's statement, "If anyone laugheth during his prayer, he must repeat it, but need not repeat the *wudū*,"

and on Al-Hasar's statement, "If anyone cutteth his hair or his nails, or taketh off his boots (4) there is no *fresh wudū* incumbent upon him."

مَا كُنْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى
نَفْسِهِ، قُلْتُ
أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ
كَلْبًا آخَرَ، قَالَ: فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا
سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ
عَلَى كَلْبِ آخَرَ.

— ٣٤ —

بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الْوُضُوءَ إِلَّا
مِنَ الْمَخْرَجَيْنِ مِنَ الْقُسْلِ وَالذُّرِّ،
يَقُولُ: تَعَالَى، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
مِنَ الْغَائِطِ،

وَقَالَ عَطَاءٌ: يَمَسُّ مَخْرُجٌ مِنْ
ذُبُرِهِ الدُّودُ أَوْ مِنْ دَكْرِهِ نَحْوُ
الْقَمَلَةِ يُعِيدُ الْوُضُوءَ.

وَقَالَ جَابِرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا
صَحِكَ فِي الصَّلَاةِ أَعَادَ الصَّلَاةَ وَلَمْ
يُعِيدِ الْوُضُوءَ،

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَحَدٍ مِنْ
شَعْبِهِ وَأُظْفَارِهِ أَوْ حَلَعَ خَفَّتَيْهِ
فَلَا وَضُوءَ عَلَيْهِ،

(1) The fact that game touched by the saliva of a dog may be eaten without any washing of the place being ordained, is considered by Al-Bukhārī as sufficient proof that a dog is not unclean. In this connection Mālik said: "كيف يؤكل سيده ويكون له بها؟" (1)
"How could game touched by a dog be eaten, if his saliva is unclean?"

(2) i.e. does not consider the *wudū* nullified

(3) Sūrah 4: 43

(4) الخفيران (boots) are properly speaking footwear made of soft leather and protected from contact with the ground by soles or sandals worn over them. The Arabs often used to wear them without any outer shoes and performed their prayers in them even when they had come in contact with the ground, provided no dirt had clung to them.

and on Abu Hurairah's statement : "No *fresh* wudû' is necessary except in the case of accidental defilement ; (1)

and it is related through Jâbir that when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was at the battle of Dhât-ur-Riqâ' (2), a man was struck by an arrow and bled profusely ; but he performed the rak'ah and the prostration and continued his prayer nevertheless ; (3)

and on Al-Hasan's statement that the Faithful have always performed their prayers while wounded ;

and on the statement of Tâwûs, Muhammad b. 'Alî, 'A.â' and the Hijâzîs that no *fresh* wudû' is obligatory in the case of bleeding ; (4)

and on the fact that when Ibn 'Umar burst a boil and it bled, he did not perform a *fresh* wudû' ,

and on the fact that when Ibn Abu Awfâ spat blood, he continued his prayer ;

and on the statement of Ibn 'Umar and Al-Hasan concerning one who is wetcupped, (5) that he need only wash the places scarified by the cupping

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَا وُضُوءَ إِلَّا مِنْ حَدَثٍ .

وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي عَزْوَةٍ دَاتِ الرِّقَاعِ فَرُمِيَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَسَرَفَهُ الدَّمُ فَوَكَعَ وَسَجَدَ وَمَضَى فِي صَلَاتِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : مَا زَالَ الْمُتَسَلِّمُونَ يُصَلُّونَ فِي جِرَاحَاتِهِمْ .

وَقَالَ طَاوُسٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَعِطَاءُ وَأَهْلُ الْحِجَازِ : . كَيْفَ فِي الدَّمِ وَضُوءٌ .

وَعَصْرَانُ مَحْمَرٌ نَشْرَةٌ فَخَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

وَبَزَّاقُ بْنُ أَبِي أَوْفَى تَمَّاقَتْنَسَى فِي صَلَاتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ مَحْمَرٍ وَالْحَسَنُ : مِمَّنْ يَحْتَجِمُ كَيْفَ عَلَيْهِ إِلَّا غَسَلَ مُحَاجِمَهُ .

(1) -- Including such accidents as falling asleep, fainting or going mad (Al 'Aini).

(2) The Battle of Dhât-ur-Riqâ' was fought at a place two days' journey from Madinah. Historians are not agreed as to the date, but it is probable that it took place in the year 5 A.H. after the Battle of the Khandaq and before that of Khibar. It was so called because the Faithful tied up their legs with rags, or patched up their banners or because the soil was patchy or because there was a mountain with various patchy colours. (Ibn Hajar).

(3) Al-Bukhârî here wishes to refute the Hanafî teaching that profuse bleeding invalidates the wudû'. (Ibn Hajar).

(4) i.e. whether the bleeding be profuse or not. (A. Qastallânî).

(5) -- the flesh being first scarified and the blood being drawn out by the cup

1. We are informed by Adam b. Abu Iyās, who had it from Ibn Abu Dhī'b, through Sa'īd Al-Maqburī, through Abu Hurairah, who stated that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said :

"The worshipper continueth to be in a fit state for prayer so long as he is in the mosque awaiting the prayer, unless he suffer an accidental impurity." A foreigner asked Abu Hurairah what an accidental impurity was, and he said "A noise, that is to say — breaking wind".

2. We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Ibn 'Uyainan, through Az-Zahri, through 'Abbād b. Tamim, through his paternal uncle, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

"Let the worshipper not interrupt his prayer so long as he hath not heard any sound or perceived any smell."

3. We are informed by Qutabāh b. Sa'īd, who had it from Ja'ir, through Al-A'mash, through Mundhir Abu Ya' Jā Ath-Thawri, through Muhammad b. Al-Hanafiyyah, who stated that 'Alī said :

"I was subject to prostatic secretion, and as I was too ashamed to question the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace), I charged Al-Miqdād b. Al-Aswad to do so. When he asked him, he replied 'This calleth for wudu'."

(This hadith is also related by Shu'bah through Al-A'mash.)

4. We are informed by Sa'īd b. Hafs, who had it from Shaibān, through Yabyā, through Abu Salamah, who was told it by 'Atā' b. Yasār, who received it from Zaid b. Khālid, who stated that he asked

١ - حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لَا تَزَالُ الْعَسَدُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ مَا لَمْ يُجْدِثْ » ، قَالَ رَجُلٌ أَغْنَيْتَنِي مَا الْحَدَّثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : « الصَّوْتُ - يَنْشِي أَنْفَرَةً » .

٢ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عباد بن عويم عن حمته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا » .

٣ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير عن الأعمش عن منقر أبي يَمْلَى الثوري عن محمد بن الحنفية قال قال علي :

« كُنْتُ رَجُلًا مَدَانًا فَلَسْتُ تُخْبِئُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرْتُ الْمُقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : « فِيهِ الْوُضُوءُ » .

(ورواه شعبة عن الأعمش)

٤ - حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيان عن يحيى عن أبي سلمة أن عطام بن يسار أخبره أن زيد بن خالد أخبره أنه

‘Uthmān b. ‘Affān (Allāh be well-pleased with him) saying:

“Tell me the decision concerning a man who cohabiteth *with his wife* without ejaculating.” ‘Uthmān replied: “He must perform the same wudū‘ as for prayer, and wash his member. That is what I heard from the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace).”

I(1) then asked the same question of ‘Alī, Az-Zubair, Taḥab and Ubayy b. Ka‘b (Allāh be well-pleased with them), and they prescribed him likewise

5. We are informed by Ishaq, who was told it by An-Nadr, who had it from Shu‘bah, through Al-Hakam, through Dhakwān Abū Saīḥ, through Abū Sa‘īd Al-Khudrī that:

The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once sent for a certain Ansārī,(2) who came with his head dripping (3). Then the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said: “Perchance we have hurried thee!” (4) “Yes”, replied the man. “If thou art hurried, or hast failed to ejaculate, then *only* the wudū‘ is incumbent upon thee.”

(This hadith is confirmed by Wāḥb — as fellow-witness with An-Nadr — who had it from Shu‘bah etc. Al-Bukhārī states that Ghundar and Yahyā, through Shu‘bah etc. omit the word *والرطوبة*.)

سَأَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ
وَأَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُكْمَرْ،
قَالَ عُثْمَانُ، وَ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ
لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ، قَالَ عُثْمَانُ،
سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ
وطلحَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ كَتَبَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ

5 - حدثنا اسحق قال أخبرنا النضر
قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن ذكوان
ابن صالح عن أبي سعيد الخدري

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أُرْسِلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ لَانَسَارِ بَقَاءَ
وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَسَا أَعْجَلْنَاكَ، فَقَالَ
وَنَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، إِذَا أَعْجَلْتَ أَوْ قُحِصْتَ
فَلَئِكَ الْوُضُوءُ.

(تَأْتِيهِ وَهْمَةٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ،
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ غُنْدَرٌ
وَيَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ وَالْوُضُوءُ.)

(1) i.e. Zaid b. Khālid the narrator of the hadith

(2) — according to Muslim — ‘Ībān b. Malik al-Ansārī.

(3) — with water from a ghusl (a bath)

(4) In fact the man had been engaged in intercourse with his wife

CHAPTER 35.

On him who helpeth his companion in his wudû'.

1. We are informed by Mahammad b. Salâm, who had it from Yazid b. Harûn, through Yahyâ, through Mûsa b. 'Uqbah through Kura b. the freedman of Ibn 'Abbâs, through Usâmah b. Zaid that:

When the Messenger of Allâh (Allâh bless and give him peace) was returning from 'Arafah, he turned aside towards Asa-Shu'b⁽¹⁾ to relieve his necessity. "Then I proceeded," said Usâmah b. Zaid, "to pour out water for him while he performed his wudû'. After that I asked him saying: 'O Messenger of Allâh, wilt thou pray now?' 'The place of prayer is ahead of thee', said he."

2. We are informed by 'Amr b. 'Alî, who had it from 'Abdul-Wahhâb, who heard it from Yahyâ b. Sa'd, who received it from Sa'd b. Ibrâhîm, who was told it by Nafi' b. Jubair b. Muf'im that he heard 'Urwah b. Al-Mughirah b. Shu'bah relate through his father Al-Mughirah b. Shu'bah that:

Al-Mughirah was once together with the Messenger of Allâh on a Journey when the latter retired for a natural purpose. Al-Mughirah then proceeded to pour out water for him while he performed his wudû', washing his face and hands, stroking his head with his wet hands, and passing them over his boots. ⁽²⁾

— ٢٥ —

بَابُ الرَّجُلِ يُوضِيْ صَاحِبَهُ:

١ - حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا

يريد بن هرون عن يحيى عن موسى بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَفْضَرَ مِنْ عَرَفَةَ عَدَلَ إِلَى الشَّعْبِ فَطَسَّيْ حَاجَتَهُ، قَالَ أَسَمَةُ بْنُ زَيْدٍ: وَفَجَعَلْتُ أَحْبُ عَلَيْهِ وَيَتَوَضَّأُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي؟ قَالَ: الْمُصَلَّى أَمَّا مَكَ، .

٢ - حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا

عبد الوهاب قال سمعتُ يحيى بن سعيد قال أخبرني سعد بن إبراهيم أن نافع بن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع عروة بن المغيرة بن شعبة يحدث عن المغيرة بن شعبة:

أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَأَنَّهُ كَتَبَ لِلْحَاجَةِ لَهُ، وَأَنْ يُعِيرَهُ جَدَلٌ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَمَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَمَسَحَ عَلَى الْخَفَيْنِ

(1) A mountain track used by the pilgrims.

(2) According to the three Imâms, Akmal, Hanafl, and Shâfi'i there is no need to wash the feet more than once in twenty-four hours if the boots (khuffain) have not been removed, when passing the wet hands over the upper part is considered sufficient. This is the case for those staying at home, but for travellers, washing the feet once every three days is sufficient. Mâlik, however, does not stipulate any special period.

احتفال مسيخة الازهر بالمولد النبوي

ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ
محمد مصطفى المراغي خطبة جليلة القدر، ببلينة الأزهر، في الجامع
الأزهر المعمور، ليلة المولد النبوي الكريم، على ألواف
كثيرة من المسلمين، يتقدمهم صاحب الدولة رئيس الوزراء،
وأصحاب المعالي الوزراء، وعدد كبير من رجال الدولة والعلماء،
ونقلها المنذاج إلى جميع البلاد التي تصل إليها تياراته الأثرية .
وقد رأينا أن نقلها في هذه المجلة نيمنا بها في هذا العيد
النبوي الكريم . قال حفظه الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يحتفل المسلمون بإحياء ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتفل غيرهم
إحياء، ذكرى عظماء الرجال .

ولهذه الذكريات آثارها الصالحة عند من يفهم الغرض منها، ويدرك السر في المحافظة
عليها . فليست هذه الأيام أعياد صرح وطرب، يستمتع فيها الناس بالذات، ويدركون
نصيباً من الشهوات، بل هي أيام عظة واعتبار، وتذكر واستبصار، تحفز النفوس
إلى القدوة، ونشوقها إلى التشبه بالأسوة .

لو كان العالم ينظر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم نظر النصف المتعبد عن الهوى
والغرض، الذي لم ينجس بصيرته ظلمات التقليد، ومتابعة الآباء، وتصديق ذوى الأغراض
والآهواء، لو كان العالم ينظر إليه صلى الله عليه وسلم نظر المتدبر لقيمة أعماله، وآثار
أخلاقه، وقيمة شخصيته لفدة، وقيمة ما أفاضت الإنسانية والمدنية مما جاء به من خير،

لن كان يوم مولده السعيد يوما مشاعا بين الأمم ، يحتفل به المسلمون وغيرهم من أهل
للل والمذاهب والنحل ؛ فإن بركة الإصلاح الاسلامي لم يختص بها المسلمون ، بل شملتهم
وقاصت على غيرهم من الأمم للمشاركة لهم في الوطن وفي الحكم ، والأم التي اقتبست
عن قصد أو عن غير قصد ما في النظام الاسلامي من خير وجمال .

أفلا نرون أن عمر بن الخطاب يقول بهدي لاسلام لاني بكر أول خليفة : « أنت
أجبر المسلمين لك عليهم نفقتك ونفقة أهلك بما حبست نفسك لخيرهم » ، ويقول لابن
عمر : « بم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » هذان أصلان من أصول
الحكم والاجتماع ، جاء بهما لاسلام ولم يصل الى الأمم الأخرى إلا بعد عناد
وكفاح ، ومقارعة بالسيوف والرمح .

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة من نظم الحكم العامة ونظم الأسر وعلاج
المتجمع ما هو شفاء للناس . وقد وضع العلماء في سيرة رسول الأكرم كتباً ضخمة
ومجندات كثيرة ، ولا يزال مجال البحث واسعا والميدان فسيحا لمن يريد بيان شخصية
لرسول الأعظم وبيان هديه فليس من السهل على مثلي أن يضع صورة لهذا الجلال
وهذه العظمة في هذا الوقت ، وأن يرسم ذنا خلقت لتسكون المرشدة للعالم لي أن
يأذن الله بنهايته ، والداعية الى الحق الى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات .
ذات صنعها لله على عينه ، وأدبها فأحسن تأديبها ، بمشت لتتقن مكارم الأخلاق ، وتوضح
السييل الى الله وتنبهه ، وتضع نظم الحياة كاملة ، وتتلقى أسرار الوجود عن وهب الوحد ،
وتتلقى كلمات الله عن الله . ذات فرض الله على الخلق طاعتها واجتباها لرسالته .

وقد اخترت أن أتم بشيء من صفاته التي لازمت في شبابه وكهولته وشيخوخته ،
والتي كانت سر عظمته وسر اختيار الله إياه للهداية والرسالة ، فقد قال عن نفسه
صلوات الله عليه : « لم نشأت بقضت الى الآوان ، ونقض الى الشعر ، ولم أتم شيء .
مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك بحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ،

ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسائه : قلت لعلام كان يرعى معي :
لو أنصرت لي غمي حتى أدخل مكة فأشهر كما يشهر الشباب ، فخرجت الى ذلك
حتى جئت أول دار من مكة ، سمعت عزفا بالدفوف والزامير لمرس بعضهم ، فجلست
لذلك ، فغضب الله علي أذن فتمت فإني أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت ولم أقض
شيئا ، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أعم بعد ذلك بسوء .

ولم يشرب خمرًا قط علي ما كان ذلك شائعا في البيعة التي عاش فيها ، ولم يأكل ماذبح
علي النصب . وقد قال أبو صالب في خطبة زواجه صلى الله عليه وسلم بمحمدية : إن ابن أخي
هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا ، وإن كان في المال فلإن
المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مستردة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم
وخطر جليل !

ولما اختفت فريش وتحازبت فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من شاء الكعبة
حكّموا أول داخل يدخل عليهم ، فكان ذلك الداخل محمد بن عبد الله ، فاطمان الجميع الى
حكمه ، وقالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . وكانوا يتماكرون اليه قبل ذلك
لعلمهم بعدله وأنه لا يمارى في الحكم ولا بجور ، ولا يحكم ابتغاء مدح أو خوفا من ذم .
وقد قال النضر بن الحارث . قد كان محمد فيكم غلاما حذوا أرضاكم يبتكم وأصدقكم
حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وقد جاءكم بما جاءكم فلتنم ساعرا ،
لا والله ما هو بساحر !

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان : هل كنتم تهمنونه بالكذب قبل أن يقول
ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل . ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .
ومن ذلك إسراع أني بكر رضى الله عنه الى استجابة دعونه ولا يمان برسائه ، وقوله
على النور : بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول
الله . وقد كان أبو بكر صدرا معظما من صدور فريش وصدديدها ، وكان على سعة

من المل وكرم الخلق عن سعيه، محبباً في قومه، وكان من أعلامهم بالعرب وأنسابهم وتاريخهم وروايتهم وعاداتهم وأدبهم .

ولقد تزعجت نفسه الطاهرة صلى الله عليه وسلم عن الدنيا، واشتاق الى الحياة الروحية والمهدى الإلهي، وحبيت اليه العزلة والتحنث، فكان يعتمد عن ظلمات هذه الحياة، وينقطع عن الخلق ابتغاء النور وابتغاء الأنس بالخلق، آثر جلال الحق، وابتهج بالوحدة ونور الواحد، وأصنى بأذنيه الى حفيف أجنحة الملائكة والأرواح العالوية، وصفي قلبه الطاهر بهذا التحنث، ليكون مرآة صافية تنطبع فيها أسرار أسماء الله وأسرار الوجود، وليكون قرطاساً تقيا تنقش فيه آي الله وكلماته، وليستمد للوساطة بين الحق والخلق في حمل أوامره، وحمل نظمه وهدايته للبشر .

هذه النفس التي لم تصب في الحداثة الى السر إلا مرتين، ولم تصل الى غرضها في المرتين، نفس صاغها الله من العالم الروحاني، وصبغها بصيغته، ونفخ فيها من روحه، ولم يكن صاحبها من البشر إلا بقدر ما يؤدي الرسالة للبشر . شاب حدث، أمي، يقيم، ينال من احترام قومه ما يحمل قروم قرينش على الرضا بحكمه والاطمئنان اليه، وما يجعلهم يصفونه بالأمين، ويحيون عليه الكذب على الله لأنه لم يعتد الكذب على الناس، ليس هذا للقيام بين البشر بالقيام الذي يحظى به إلا الواحد بعد الواحد . وهذا أبو طالب على ما كان له من راحة العقل وإباء النفس يقول : هذا محمد لا يوزن به رجل وسيكون له قدر وخطر، لا يمكن أن يصدر هذا إلا عن دلائل في ذاته وصفاته تقوم برهاناً تاماً على ما يرجي له من هذا للقيام الخطير .

وبعد أن تم له الاستعداد جاءه الوحي، فكان رسولا، وشرح الله صدره، ورفع قدره، وأعلى ذكره، ولم يترك في الحيرة التي كان فيها يتلصص الحق، بل آواه ونصره، وأكمل له النعمة، وأكمل به النعمة، وجعله رحمة العالمين .

قد كان صلى الله عليه وسلم عبداً لله، فني في الله فأدى حقه كاملاً . وقالت عائشة

رضى الله عنه : كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق ؟
وعن المغيرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له :
أنتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون
عبدا شكورا ؟

وقد كان شديد المرافقة والخشية . وفي جوابه لجبريل عن لاجسائي ما فيه الفناء ،
فقد أجابه بقوله :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وأسس بهذا قاعدة
للمسلمين هي عمدة الصديقين ، وبغية السالكين ، وكثر العارفين ، وأدب الصالحين ،
هي مشاهدة الحق بالقلب حتى كأنه يراه بيمينه .

وبهذه العبودية والفناء في ذات الله كان صوتا موقوما ، خائفا خائشا ، ينزعج سره
إذا لاحظ جلال الله ، ويمتلئ قلبه بهجة وأنسا إذا أطلع على جماله ورحمته . وبهذه العبودية
أدى للخلق حقهم كاملا ، فأنجبه إلى إصلاحهم ، وكانت نفسه تفيض حزنا وأسى إذا
وجد عنادهم . قد اعتبر نفسه جزءا من الكون ، وجوده بوجوده وصلاحه بصلاحه ،
فهم يتصور لنفسه وجودا مستقلا . ولم يحفل بما في الحياة من خير وشر ومال وجاه
وولد وعصبة ، بل استهان بحياته في مواقف كثيرة ، وعرضها للخطر ، واحتمل ألوانا
من الإيذاء لا يصبر على مثلها إلا من كان عبدا لله مثله ، وطرح العداوات والصفائن
والأحقاد ، وسار لا يأوى على شيء حتى اطمأن آخر الأمر إلى أنه أدى الأمانة
لله والناس .

ولقد نظر إلى الإنسانية باعتبارها وحدة لا تمايز بين أفرادها إلا بالتقوى ، وجعل
للمؤمنين إخوة : لا فضل لأحدكم على الآخر إلا بالتقوى .

لذلك اختار الله له في التشهد وصفين لاغير ، هما : أنه عبد الله ، ورسوله . فالعبودية
التي انصف بها قبل الرسالة وبعد الرسالة ، والتي صدرت أعماله جميعها عنها ، هي أساس

الفضائل ، وجماع الخير ، ودعامة التقوى ، وينبوع الإصلاح ، وليست إلا الفناء في الله ، وفي إصلاح الجماعه تنفيذا لإرادة الله . والشعور بهذه الحقيقة هو لدى سمي له المصلحون ، ودعا اليه الداعون ، وعمل له المؤمنون ، وجاء لأجله الأنبياء والرسلون . وقد رتب الله على العبودية في كتابه الكريم آثارا جليلة القدر لمن يعتبر ، فليس للهوى والشيطان سبيل على العباد « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا مشرف منا عذب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق » « ولعد سبقت كلمتا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون » « وسلام على عباده الذين اصطفى » . الى عبودية النبي صلى الله عليه وسلم وفناءه في الله وفي خلق الله تنفيذا لإرادة الله بر كل شيء ، من شئنا الله صلى الله عليه وسلم ، وهي معروفة في السيرة مشهورة في الكتب ، سم منها الآن بقطرات من بحر لا ينعد . فقد كان كثير الضراعة والانتهاه ، دائم السؤال أن يزينه الله بمحاسن الأدب ومكارم الأخلاق . ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم حسن خلقي وخلق ، اللهم جنبني منكرات الأخلاق » .

قالت عائشة : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » . « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . « والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » الى غير ذلك مما لا يحصى العدة من مكارم الأخلاق المنثورة في القرآن .

ولما أتى بسبأياطى وقعت جارية في السبي فمالت : يا محمد إن رأيت أن تخل عني

ولا تشمت في أحياء العرب، فإنني بنت سيد قومي، وإن أتي كان يحمي الذمار، ويملك
العاني، ويشبع الجائع، ويعطى الطعام، وبغشى السلام، ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة
حاتم الطائي؛

فقال صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب
مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق، ولا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق.
وقال معاذ: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقراء الله، وصدق الحديث،
والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام،
ومثل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتعفف في القرآن،
وحب الآخرة ولجزع من الحساب، وخفض الجناح. وقال: أمهاك أن تسب حكيمًا،
أو تكذب صدقًا، أو تطيع أنما، أو تمص إمامًا عادلاً، أو تفسد أرضًا. وأوصيك بتقاة
الله عند كل شجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب نوبة، السر بأسر والعانية بالعانية.
وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعف الناس. وكان أسخى
الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء، ولم يجد من يعطيه فاحأه الليل
لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه. وكان أشد الناس حمية، لا يثبت بصره
في وجه أحد. يوجب دعوة الحر والعبد، ولا يستكبر عن إجابة الأمانة والمساكين،
ينصف لربه ولا ينصف لنفسه، وينفذ الحق ولو عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه.
ياكل ما حضر ولا يبرد ما وجد، يعود المريض ويشهد الجنائز، ومشي وحده بين أعدائه.
يكرم أهل الفضل في أحلافهم، ويتأفف أهل الشرف بالبر لهم. لا يخفو على أحد،
ويقبل معذرة المعتذر، ويمزح ولا يقول إلا حقا. لا يحتقر مسكينًا لفقره، ولا بهاب
ملكًا لملكه. يدعو هذا وذلك دعاء مستويا إلى الله. جمعت له السيرة الفاضلة،
والسياسة الكاملة التامة، فسبحان من أدبه وسبحان من صانعه؛

هذه بعض صفاته الخلقية التي حلاه الله بها وفطره عليها، أما ما جاء به من هدى ووحى

متلو وغير متلو ، فمواكبات الله وهدى الله ، اختاره لتبليغها وشرفه بحملها . والحديث عنه حديث الدهر . وسوف يقضى الزمان قبل أن تدرك أسرارها الباهرة وحكمه البالغة . أسأل الله أن يهب المسلمين ما وهب أسلافهم من رشاد ، ويصّرم طريق السداد ، وأن يعيد عليهم هذه الأعياد محفوفة بالبركات محملة بالخيرات :

وأن يرعى حضرة صاحب الجلالة الملك « فاروق الأول » برعايته ، ويؤيده بتوقيفه ، وأن يوفق الحكومة الى تحقيق آمال البلاد وإسماعها بالعدل والرفق والبر والخير . وأنهنز هذه الفرصة المباركة لأقدم لحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء شكر الأثر على ما أعلنه من نصريحه القيم ، الدال على جميل تقديره لرسالة الأثر ، ورعايته لصالحه وحقوقه ، وعلى شدة عنايته بالدين وأهله .

والله أكرم مسئول وأقرب مدعو ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
والحمد لله أولاً وآخراً .

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

٣

المقومات الروحية للذات الانسانية

الانسان جسد وروح ، فهو بهذا الجسد المادي يتدرج في جملة الكائنات الأرضية وقسرى عليه نوااميسها ، وهو بروحه يتصل بالعالم الروحاني ويتناسب وكائناته العلوية ، في عالم أرفع من هذا العالم . وكما هو في حاجة الى مدد يستبقى به وجوده المادي من طريق التغذية والتنفس ، كذلك هو في حاجة الى مدد نوراني يستديم به صلته بالعالم الروحاني . وكما أن الانسان يحل جثمانه ويزول بحرماته من المدد المادي ، كذلك هو يخرج عن إنسانيته ويتبدل الى عالم الحيوانية إن حرم من المدد المناسب لروحه .

والانسان مدفوع بفراغ طبيعته فيه الى التكمل في هاتين الناحيتين ، فمحاولاته لحفظ ذاته دفعت الاجتماع على أمثاله ، والتكامل لأدبي والمادي الناتج من هذا الاجتماع كشف له من مسانير الكون ومكتفونات العلم ما يمكنه من تسخير قوى طبيعية كان قد ألهمها في أزمنة جاهليته وعبيدها . وهذا الترقى العلمي فتح له باب لا بداع الصناعي ، فبلغ منه الى مستوى ما كان يتخيل أن يبلغه ، وهو يحاول أن يرتقي فيه الى ما هو أرفع شأنًا منه .

وأما محاولاته لاستنباط الصلة بينه وبين العالم الروحاني فلم يقصر فيها الانسان في عهد من عهوده ، فقد أثبت عم الاجتماع أنه قد كان يدين بدين حتى في أقدم أدياره ، بحيث لا يمكن أن تصادف جماعة من جماعته الأولية محرومة من صلة روحانية .

نعم إن هذه الصلة كثيرا ما صادفت عقبات في طريقها ، نارة من ملهيان سذاجة الجاهلية عليها ، وطورا من تدخل الوسطاء فيها ، ولكن أشد ما أصيبت به كان من ناحية

سطوة العلم المادى عليها ، بإثارة الشبهات ضدها ، راميا بذلك الى تجريد العقيدة الانسانية من آثار التعاليم الدينية ، زعما منه أنها بقية من بقايا الجاهلية ، وأن العلم يقوم مقامها من ناحيته الفلسفية .

ولكن المدبر الحكيم تدارك الروح الانسانية بأن كشف لها من عالم الروح ، بطريق البحث العلمى ، ما كان العلم يظنه من الخيالات الوهمية ، فعاد الدين الخالص سلطانه الأول ، ولكن مؤيدا في هذه الدفعة بالعالم نفسه ، فكان انتصاره آية من آيات الله في خلقه ، ومصدقا لقوله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .
ويحسن بنا في هذا المقام أن نستشهد الفيلسوف الأوربية نفسها بعد حدوث هذا التطور العظيم فيها ، فإليك :

قال الفيلسوف الفرنسى الكبير (أرست رينان) في كتابه (تاريخ لأديان)^(١) :
« من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شئ ونحبه ، وكل شئ نعدده من ملاذ الحياة ونعيمها ، ومن الممكن أن يبطل استعمال القوة العقلية والعلم والفن ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى ، فسيبقى أبد الأديان حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يرى الى حصر الفكر الانسانى في المضائق الدنيئة للحياة الترابية » .

وقال الفيلسوف الفرنسى الساب (أجوست سباتييه) في كتابه (فلسفة الدين)^(٢) :
« لماذا أنا متدين ؟ »

« إننى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة إلا وأرأى مسوقا للإجابة عليه بهذا الجواب وهو : أنا متدين لأننى لا أستطيع أن أكون خلاف ذلك ، لأن التدين لازم معنوى من لوازم ذاتى . »

« يقولون ذلك أثر من آثار لورثة أو التريفة أو المزاج . »

(1) Ernest Renan , Histoire des Religions .

(2) Auguste Sabatier , Philosophie de la religion .

« فأقول لهم قد اعترضت على نفسي كثيرا بهذا الاعتراض حينه ولكنى وجدته يعقد للسألة ولا يحلها . وأن ضرورة الدين أشاهدها بأكثر قوة في الحياة الاجتماعية البشرية ، فمى ليست أقل تشبها منى بأهداب الدين .
الى أن قال :

« إذ ذل فالدین باق وغير قابل للزوال ، وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن ، نرى ذلك ينبوع يزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزودج من الفكر الفلسفى والتجارب الحیویة المؤلمة » انتهى .

هذا لسان الفلاسفة لأوردیة المصرية ، ولا بد لنا من التنبيه هنا على أنها إذا ذكرت الدين فإنما تقصد به الدين بمعناه المطلق ، لا شكلا متحجرا من أشكاله التى لا تدخل تحت حصر .

وقد تبين لنا مما تسجله الفلاسفة على نفسها أن الدين باق لا تعدو عليه العوادی ، لأنه لازم معنوى من لوازم الفطرة الانسانية (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ، ولأن ينبوعه من غرائز النفس ، لا يفتأ يزداد اتساعا وعمقا على مدى الأيام تحت تأثير الفكر الفلسفى والتجارب الحیویة .

ولكن الذى يراه الناقدون بأعينهم ، أن الدين يلاقى من الناس عنقا اليوم ، فهم يتهاقنون على لشهوات ، ويطرحون وصاياهم وتعاليمهم ظهريا ، بل يتجاهرون بمناهضته ، ومناهضة حفظته الى أبعد الحدود الممكنة .

نم : لا نكران لهذه الظواهر ، ولكننا لا نناقى الحكم الفلسفى بأن الدين مطلوب الفطرة الانسانية ، وأنه يزداد سلطانا وصولة عليها يوما بعد يوم . فمى سألت مستمرا فى إباحته هل نكره الدين ؟ لأجيبك بقوله : معاذ الله ، ولكن أين هو ؟ أنا أتوقعه جمالا ممنوبا باهرا ، وروحا علويا فاتنا ، يخلمنى بقوة القاهرة من خسة الشئون الأرضية خلعاً ، وينقلنى ولوبرهة الى عام الكمال الأقدس ، لأشعر بلذة السمو على هذه المادة ،

والخلاص من نيرها . وإن صحبته عقائد فأريد أن تكون حقائق أولية مطلقة ، لا تتناقض وما أحصله من ثمرات التفكير الحر ، والنظر المستقل ، وما يفتح على به من أسرار اعلم ، وما أكتشفه من مسابير الوجود ، لا أستطيع أن أمضي تحت نورها قدما إلى تحقيق أسمي أغراض الحياة الانسانية ، والوصول الى أبعد غايات الدينية .

هذا ما تسمعه من كل مفكر في هذا العصر ، فإن ألفيته شاكا ، فليس هو بشاك في سمو الدين الذي يتطلبه ، وفي ضرورته له ، ولكنه شك في وجوده ، بل وفي إمكان وجوده على الأرض .

لست بسبيل الإفاضة في هذه المواطن ، ولا في التوفيق بين ما يبدو متناقضا في سيرة الانسان المعاصر ، وإنما نحن بسبيل التدليل على أن الذات الانسانية في حاجة ماسة الى مقومات روحانية ، تجعل الصلة بينها وبين عالم ارواح مستمرة ، باعتبار أن هذه الصلة من ضرورياتها الأولية ، وإن أعني العقول في هذا العصر لتعترف بسلطان هذه الحاجة عليها ، فهل الاسلام وهو خاتمة لوحى الإلهي هو المثل الأعلى الذي تتطلبه النفوس البشرية ، وحاصل على المقومات الروحانية ؟

قد تم لنا التدليل على كل ما مر من هذه المسائل إلا المسألة الأخيرة الخاصة بالاسلام ، وإنما الموضوع هذه المقالة .

ألا يكون أوقع في النفس ، وأثلج للمصدر ، وأبعد عن العطن ، أن نستهجد بعالم أجنبي في صحة نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية ؟

نعم ، فإليك :

كتب الأستاذ الجليل سينكس في المجلة الروحية التي تصدر بباريس^(١) مقالات متتامة عن لأديان ، فقد كلا منها نقداً صريحاً ، فلما انتهى الى الاسلام كتب عنه مقالا قيا ختمه بقوله :

(1) Sénex, La Revue Spirite .

« لاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعلى ما يمكن أن يعرف من الصلات التي يجب أن توجد بين الإنسان وخالفه ، وأكثرها انطباقاً على الطبيعة والمنطق » .

هذه أصح وأعدل شهادة قلها عالم عارف بالنفسية الانسانية ، فإن الاسلام الخالص يمثل أرفع صلة يمكن أن توجد بين الإنسان وقيوم السموات والأرض ، بمدسحق جميع الفواطم بينها وبينه ، بحيث يكون معها متعرضاً لإشراقها بدون حجاب من عقيدة تقليدية ، أو حالة نفسية وراثية . فقال الله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفاً (أى مائلاً عن العقائد الباطلة) ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعطرة فقال : « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . أى أن المراد بإقامة دين الفطرة أن يكون الإنسان على الحالة التي ولدته أمه عليها ، خالصاً من كل صورة ذهنية ، ومن كل شائبة نفسية .

فالاسلام تحت ضوء هذه النصوص الصريحة يقتضيك أن تبرأ الى الله قبل الدخول فيه من علمك وحولك وموروثاتك ، وما علمت ، وما تخيلت ، وما أمت ، مسلماً نفسك اليه ، مجرداً وروحك له ، تاركاً العلوم ومعاصلها ، والفلسفة ومسائنها ، والعادات وتناقضها ، والأديان وتخالفها ، والأهم وتناحرها ، والأهواء ومواطنها ، والوجود الداني وما فيه ، ثم تتوجه بقلب خالص من الشوائب ، وضئير خال من لادناس ، ونفس صافية من الرعونات ، الى قيوم السموات والأرض ، فاراً اليه من الأخيـار ، لاجئاً اليه من دعوى الأنانية والاستقلال ، معتصماً به من التلونات البشرية ، راغباً اليه أن يهديك لمراسده في هذه الحياة وما بعد هذه الحياة .

هذا ما يقتضيه منك الاسلام أول ما تدخل فيه ، فلو نظرت فيه نظراً علمياً

لرأيت أنه لمطلب الذي رمت اليه جهود جميع الفلاسفة والمصلحين ، وسائر فرق الصوفية الأولين والمحدثين ، وعجزت مجتمعة عن تدعيمه هذا التدعيم العلمي العملي على العطرة الانسانية ، وعن إقامة أصولها الأولية للدين ، وتعميمه بين الناس أجمعين .

فلو اعتبرت كل ما كان يتوأسى به العباقرة والعلماء من أصول لتحصيص ، وقواعد التحليل ، لإقامة الدستور العلمي على قرار ثابت دكين ، وما كان يقتضيه المتصوفون من أسرار تصفية النفس من الأغيار ، ونخلة القلب من جميع الآثار ، للوصول الى الحق من وراء كل ستار ، لو اعتبرت كل هذا ونظرت الى معنى الاسلام الذي قدمناه لم تعد تحار في تحليل حدوث ذلك الأثر المدهش بواسطته من انتقال أمة برمتها من دور الجاهلية الجهلاء ، الى دور الحياة الصالحة التي بلغت بالسير عليها الى الزعامة العالمية في أقل من قرن من الزمان .

نعم : لم تعد العقول تحار في تحليل الأثر العالمي الضخم للاسلام بعد ما تبين لها أني أساس الاسلام هو الإيملاص من كل ما ران على صفحة القلب من الأضاليل والأوهام ، والوراثات والتقاليد ، وتعريضه خالصا نقيا للحق يطع فيه من صور اخلال الكريمة والأصول القويمة ، وللبادى السليمة ، ما يجعله إنسانا جديدا متحليا بكل القوى المعنوية التي ترفعه الى المرتبة التي يستحقها على قدر استعداد جسد وروحا .

وهل نال الأخذاذ من كرام هذا النوع ما وصلوا اليه من المراتب الروحية العالية ، إلا بواسطة ما هدوا اليه من هذه التخلية ، فلما جاء الاسلام جعل هذه التخلية التي أفنى العباقرة قوام في الوصول إليها أساسا أوليا للدخول فيه . فإن تعجب من انقلاب وحوش الجاهلية الضارية الى أنقياء زهدة ، ومصحين بررة ، ومن تطور حشبا للسندة الى هم منومين^(١) يتصيدون كل علم ، ويتلمسون كل حكمة ، ويقتبسون كل فضيلة ويتطلبون كل خير ؛ ويتحرون كل حق ، ويكافون كل باطل ، حتى وصلوا

(١) هم اى عطاش جهم هائم . والمهرمين أى المائين بالنهم وهو بلوغ شهوة الطعام الى أقصى حدودها

الى أعلى ما يمكن أن تصل إليه أمة من جلال وعظمة وسيادة في سنين معدودة . إن تعجب من هذا فإن أعجب منه أن يُفني الباحثون عن هذا السر العظيم ، وهو الشرط الأول للإسلام عند المسلمين

فالإسلام بأخص معانيه يحقق لروح الإنسان حاجتها من المسد الروحاني ، وإذا أقامه الآخذ به حق إقامته ولو لحظات في صلواته ، قال : من الغيظ الإلهي ما يأخذ بيده إلى مكائات الفاضلين ، ومراتب الأقداد للمتقين ، وليس بعد الحوادث برهان ، ولا فوق العيان سلطات

محمد نوري ومجدي

تقبيل اليد وغيرها في الإسلام

روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كما تقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سميان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب .

ومن حديث الشعبي قال : لقي النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه .

وقال إياس بن حنظل : رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين .

وروى الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلاً دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه .

وقال العنبي : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده وقال : يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل لعلها في المسكرم وطهرها من المأثم ، وإليك تقبل الترتيب ، وتعفج عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءاً جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك .

ودخل جعفر بن يحيى في زى العامة وكتان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه عمارة بن أشرس . فقال ثمامة : هذا أبو النضر . فنهض إليه سليمان فقبل يده . وقال له : يا بني أنت ما دماك لي أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكافئ عليها ؟

التفسير

سورة الرعد

- ١٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ:

لقد نجحت في الآتى السابقة لآيات والنذر، وانضحت الدلائل والحجج، وتبين الطريق من ابتغى الهدى من ربه، وتميز الخبيث من الطيب لمن استعمل عقله ورجع الى لبه، فلم يبق لتأخر تملل ولا لمسكار وجه، وليس بعد هذا إلا العناد يصدر من عدو نفسه فيحرمه سعادة لا شك فيها ولا ريب ولا بعد ولا حجاب. فعلى هذا الوجه المتبر، وبهذا المسلك المضي، أرسلتك الى أمك، وقد خلت من قبلها أم كانوا أشد شكية وأقوى عنادا، فما كنت بدعا في رسل، ولا كان قومك أول من عادى مصلحته ورفض الخير يهدي اليه صريحا، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فما أنت إلا رسول جئتكم بالوحي من ربك تتلوه عليهم، شاهدنا أنفسه بنمسه أنه الحق من العلى الأعلى، فما عليك أن يرفضوه، ويكفئك أنك قت بما كلمت القيام به، فدعهم يكفرون بنعمة الرحمن أنزلها اليهم وأدناها منهم، فإبل الحرمان إلا على من يكفر بالرحمن.

فاسم الإشارة في كذلك عائد على إرساله صلى الله عليه وسلم الذي تحلى في الآيات السابقة بآياته وحججه ، ونماحيه الواضحة لذوى العقول ، وإرشاده السامع في نظر أولى الألباب . أعاد عليه اسم الإشارة ليرزه بمصورته التي ظهرت ناصبة جميلة فيما تقدم من الآيات ، وشبهه به إرساله تعالى له صلى الله عليه وسلم تنوعها بشأن ذلك الإرسال ، وكأنه لم يوجد ما يشبهه به إلا نفسه . وبعبارة أوضح : إنه شبه بالإرسال العام بهذه الصورة التي تجلت في هذا المقام .

ونظير هذا في محرى التغاطب العادى أن تؤدى موضوعا على وجه يوفقك وتصير معجبا به ، فتقول مفتخرا بما كان منك : « على هذا الوجه أؤدى عملي دائما » أو « هكذا أصنع فيما عهد به لى » وأمثال ذلك ، تريد من جهة التنويه بشأن ما صدر منك ، ومن جهة أخرى إثبات أن هذه عادتك وهذا شأنك .

وقوله : « في أمة قد خلت من قبلها أم » من باب تهوين أمرها عليه صلى الله عليه وسلم حتى لا يشدد عليه عنادهم ، فهي بمثابة أن يقال . ومادا يضيرك من خلافهم عليك ، وهل هي إلا أمة وكم تقدمها من أم كانوا أشد منها قوة وأكبر عنادا غفلوا وخلت منهم ديارهم ؟ فلا يهولك أمرهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن أنت إلا نذير تنلو عليهم الذى أوحينا اليك ، وم يكفرون بالرحمن الذى ما أرسلك إلا رحمة للعالمين ، فدعهم في غيهم يعمهون ، وامض لسيدك لا تكلف إلا نفسك ، وبشر المؤمنين الذى قبلوا رحمة الرحمن المهداة اليهم .

هذا هو ما أستحسنه في توجيه قوله : « في أمة قد خلت من قبلها أم » .
وبعض المفسرين يرى أن المقصود من الوصف بأنها خلت من قبلها أم أنها مرتت تعارب من قبلها وأحرزت علومها مضمومة الى نتائج تكبيرها ، فكانت أمة مكنة العفل راجعة الميزان بتأخرها فى الزمن عن الأمم الخالية . فيكون الغرض شد أزره صلى الله عليه وسلم وتقوية اتجاهه واهتمامه بما عهد اليه به ، فقد أرسل الى أمة هي

نتيجة الأُم قبلها، مرت بها أدوار الأزمنة، ونجالت لها العبر، وقويت منها المدارك، فحقها أن يسند قصارى الجهد في دعوتها وتربيتها وإرشادها حسبما يابق بهزنها. ويكون قوله بعد ذلك: «وم يكفرون بالرحمن» من باب تعظيم أمر موقفهم بإبراز شناعته بعد ما أُرز منزلتهم العقلية على وجه يفيد النضوج. وكان حاصل المعنى: قد أرسلناك إلى أمة خطيرة الشأن ضمت إلى علومها ومعقولاتها نتائج علوم من سبق من الأُم قبلها، ثم أنت تدعوم إلى أمر خطير جد الخطر هو أن يقلعوا عما انغمسوا فيه من الكفر بنعمة المسعم، ورقض رحمة الرحمن، فثمّر عن سافك، فما أخطر شأن المدعوين، وما أخطر شأن ما ندعو إليه، والآية لا تأتي هذا ولا الوجه الأول. ويلوح في أن الوجه الأول أقرب. والله أعلم.

وبعضهم يرى أن اسم الإشارة في قوله «كذلك» راجع إلى رسال الرسل السابقين للاستفاد من قوله بعد: «قد خلقت من قبلها أُم» وبعضهم يرى رجوعه لما سبق في قوله تعالى: «قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب» أي مثل نفاذ أمره في الإضلال والهداية أرسلناك في أمة الخ، فهو الفعل لما يشاء، لا يخضع لاقتراح للمقترحين من الماندين والمتمتين.

وقوله: «في أمة، أي إلى أمة. ووجه اختيار «في» على «إلى» لإشارة إلى أن الرسل إليهم هم من نشأت بينهم وعرفوك وخبروك، فلا تخفى عليهم شمالك التي اختارها الله لك، فالحجة عليهم بذلك أقوى «لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك» أي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الشأن. ويستفاد عظمه من ذكر صفته بدل ذكر اسمه، فكان أُم شيء يسترعى النظر فيه هو أنه وحينما إليك، وكفى به عظاما وإسنادا وحينما إلى ضمير المتكلم المعظم يُقوى ذلك؛ ثم تقديم الجار في قوله «عليهم» لبدء بالمقصود لأهم من هذا الإيجاز، وهو تحصيل مصاحبتهم، فمن حقهم أن يكونوا أحرص الناس عليها، ولتشوف النفس إلى ذكر التلو، فإذا صرح به تلففته النفس عن شوق، فكان أوسع في العقل.

ومن جماله التعبير في الآية السكينة أنه في جانب الإرسال لاحظ أنها أمة تمثل كتلة واحدة ، وكذلك في خلو الأم قبلها أفرد الضمير المائد عليها لأنه يحضرها جملة واحدة ، فلما ذكر التلاوة عليها أتى بضمير الجمع « عليهم » وهو يحضر المرجع على وجه التفصيل ، فكان التلاوة كانت على الأفراد كل واحد منهم قصداً قصداً ، وهذا هو الشأن في التبليغ : أن يكون قد وُجّه إلى كل مكاف ليبلغه ولتقوم عليه الحجة . وكذلك في قوله . « وم يكفرون بالرحمن » فإن كفر كل كافر لاحقاً بخوطة نفسه ، لا يلحق الأمة منه مجتمعة إلا ما يكون من تفریطها في نهي ، أو من باب شؤم المصيبة تنفسي فلا تصيب الذين ظلموا خاصة . ولكن الأصل فيها أن لا تزد وازدة وزر أخرى . وحمة وم يكفرون بالرحمن حال من « أمة » . وسوخ الحال منها وصفها بجملة قد خلت من قبلها أم ، أي أرسلناك إليهم حال كفرهم بالرحمن ؛ أو حال من الضمير في عليهم . وقد كان يتلو عليهم ما أوحى إليه حتى في حال كفرهم ، فقد كان لهم من المقول ومعرفة وجوه الإيجاز ما يُعَدُّم لقبوله وفهمه ؛ وكثير منهم آمن لجرد سماع تلاوته ؛ ومنهم من كان يشارف الإيمان بل يعترف بقلبه ويثني عليه بلسانه ثم تنفخ فيه العزة القومية والحمية الجاهلية بكبرياتها فإذا هو ناكص على عقبيه ، أرايت ذلك الذي قال . « والله إن له لحلاوة ، وإن عليه ملاوة ، وما هو من كلام البشر » ثم لم قالو له : صبوت إلى محمد قال : أمهلوني ، ورجع إلى غيه وضلاله : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب » . فيكون المعنى أرسلناك في أمة كافرة بالرحمن لتسلو عليهم الذي أوحينا إليك حال كفرهم ، فلعلهم يقلعون عن كفرهم ، ويتبعون ما تلوته عليهم .

« قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » :

أمر له صلى الله عليه وسلم من قبل ربه بأن يقابل كفرهم بنعمة الرحمن عليهم وبرحمته وتوحيته ، بما يدل على الاعتراف بربوبيته تعالى له ، وأنه الفيض عليه من نعم الإيجاد والتربية والتكميل ما يطلق لسانه بالإقرار ، وبملا قلبه من الإذعان والإيمان ، ثم يلغهم

الحجر بإثبات أنه الإله الواحد ، لا إله إلا هو ، فليس لهم من يستصرون به فينصروهم ، أو يستجبرون به فيجبرهم ، فهو وحده الله الذي لا إله إلا هو . ثم فت من عضدهم ، وأوقع الرعب في قلوبهم بإعلانهم أنه توكل عليه واعتمد عليه ، وهو القوي الغالب لا إله إلا هو ، أي فهو ناصرهم ومؤيده عليهم ، وخافهم ومنتقم له منهم .

وقوله : « واليه متاب » أي رجوعي في كل أمورى ، أو أتوب اليه وأستغفره مما عسى أن يكون قد فرط منى . فعلى الأول يكون « واليه متاب » من تقرير الغرض السابق وهو اعتنازه بربه القوي الغالب . وأما على الثانى وهو أن للراد أنى أتوب اليه وأرجع عما فرط منى من تمصير فأستغفره منه ، فإن موقفها يكون من باب نهضة الفرصة وفتح الطريق لمن شارفت الهداية قلبه ، ولعريض بهم ليشيروا الى رشحهم فيقبلوا على ربههم ، أى أنى مع قياى بما أمرنى به جهد استطاعى أرجع وأتوب اليه وأستغفره من ذنبى ، فكم يكون حرياً بكم وهو ربكم الذى خلقكم ووهبكم الانعم الى ترفلون فيها ، وقد عصيتموه وتعرضتم لنضبه ، أن تتوبوا اليه وتستغفروه ، فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

اللهم إنا نتوب اليك ونستغفرك ، فاقبل توبتنا ، واغفر زللتنا ، إنك غفور رحيم .
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ابراهيم الجبالي

فضل الصداقة على القرابة

قيل لبرجرهر (وهو حكيم فارسي) : من أحب اليك : أخوك أم صديقك ؟ فقال : ما أحب أخى إلا إذا كان لي صديقاً .

وقال أكرم بن صبي : القرابة تحتاج الى مودة ، والمودة لا تحتاج الى قرابة .
وقال عبد الله بن عباس : القرابة تقطع ، والمعروف يكفر ، وما رأيت كتنقارب القلوب .
وقالت لحكام : رب أخ لك لم تلده أمك . وقالوا : القريب من قرب نفعه . وقالوا : رب بعيد أقرب من قريب .

سوانح ونصائح

- ١ - المجادلات لا توصل الى الحق، والكلام لا ينتهى ولا يفرغ مهما كان الحق واضحا لمن أراد أن يشاغب . وإنك تعلم أن إبليس لم يخضع للأمر الإلهى ، بن جادل كل المجادلة في سجوده لآدم ، ولم يقتنع بشىء مع كون خصمه هو الله . وقد قال تعالى في حق قوم من العائدين : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيلا الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيلا النى يتخذوه سبيلا » . وقال : « ولو نتعنا عليهم بأبامن السماء فظفوا فيه يعرّجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » . وقال في المنعنتين أيضا : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا » الى آخر ما جاء في القرآن وهو كثير . ومن درس استعداد الانسان عرف أنه يجمع العجائب والنرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات .
- ٢ - المحبة ، أو نقول العواطف والأفئال ، تجعلك عميا عن كل شىء إلا ما يوافق هواك وتزعماتك . وقد قال الله في حق قوم : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا » . فإذا كان هذا في حق القرآن الذى هو آيات بينات فكيف بغيره !
- ٣ - عرفتنا احوادث السياسية بعد احوادث التاريخية كيف تضل الأمم في الواضحات ولا تدرك الجليات . وهذا عرفنا مقدار الأنبياء وقوة استشعارهم بالحق حتى لم يؤثر فيهم الوسط الذى هم فيه ، ولم يرعهم إجماع البيئة التى نشئوا فيها ، ولم تشكهم مخالفة جميع الناس لهم ، ولا أوحشهم انفرادهم فى طريق الهدى ، والناس مطبقون على الضلال يسرون على غير هدى ولا بصيرة كأنهم لا يبصرون ولا يعقلون . فانظر كيف تم تتسرب الوسوس الى نفوسهم عليهم السلام مع كونهم يرون إطباق الناس على الباطل ، بل اعتقدوا بقوة نور بصيرتهم أن الناس سارون فى الظلمات ،

فهم مساكين يرثى لهم ، وجهلة يسكنى عليهم ، حيث إنهم يجهلون ولا يعلمون أنهم يجهلون .

فليت شعري ما مقدار ذلك النور الذي لم تؤثر فيه تلك الظلمات ، ولا أطفائه عواصف الشكوك والشبهات ، ولا قوة المحاصيات والمجادلات ، ولا كثرة الوجدانات والاعتقادات . وكأنهم يرون النيب شهادة ، وما وراء الطبيعة محسوساً ، حتى قبل الرسالة والوحي ، بفضل ما أوتوا من استعداد رفيع وطهارة ذاتية : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) . فحاذر أن يغرك إجماع ذوى الجهالات وإطباق ذوى الظلمات ، واعرف استعداد الانسان واعتقد أنه قابل لكل شيء من الحق والباطل والضلال والهدى الخ ، فلا تختزمهم في السياسات ولا في الطبيعيات ، ولا في شيء من الأشياء إلا بالبرهان الساطع ، وسل الله التأييد والتسديد .

٤ - يمكنك أن تعيش في عصر السلف لأول بل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك بقصرك نفسك على كتب الدين وسيرة الصالحين . ويمكنك أن تعيش في أي عصر من العصور بتلك الوسيلة . فإن الانسان ليس إلا عبارة عما ينقش في نفسه ، وما يصدر منه إنمّا هو مقتضى تلك النقوش .

٥ - لا عبرة بغير الأشياء العملية واكتساب العلم الصحيح ، وتكوين ملكته في النفوس لا يكون بغير العمل . ولا قيمة لتلك النظريات وإن تبعها كثير من النشوق والثرثرة . وما الانسان إلا صورة مما يحيط به وينقشه في نفسه . فن الغلط البين اغترار كثير من الناس بالعلوم النظرية حتى يظن ذووها أنهم انصفوا بها وازوا بشرتها . مع أن هذا الصنف من الناس في علمه هو بمنزلة من قال الله فيهم : « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » . وقد قالوا : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجاب وإلا رنحل . نذوق العلم وتكيف النفس به لا يكون إلا بالعمل ، وإلا كان شقشقة في المراء شبه النفاق في المؤمنين ، وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

وقد أذكرني هذا لماسبه ما يحكى من أن الشيخ يحيى لدين بن العربي رأى جنازة الفيلسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه ، فسأل عنه فقيل إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه ، فقال .

هذا الامام وهذه أعماله ياليت شعري هل أنت آماله
يريد بذلك أن هناك فرقا كبيرا بين العلم العملي الذي يسيطر على العلوب وتكيف به
لأذواق وتنصبغ به النفوس ، وبين العلم النظري الذي تؤديه الألسنة ويرع فيه
المتشدقون . « ومن الناس من يجيبك قوله في الحياة الدنيا وبشهادة الله على ما في قلبه
وهو الله الخالص » .

ومن ذلك الوادي ما يزرعه كثير من الجملة أو من ذوى الأغراض الخبيثة
من تحبيذ السفور والاختلاط ، خصوصا في التعاملات ، اعتمادا على ما تلقفه في تعليمهم
من تلك النظريات التي لا تسمن ولا تفي .

وهؤلاء الغرورون كأنهم ليسوا في الوجود ، فلم يعتبروا بالتجربة والمشاهدة
والنتائج البينة التي تراها كل يوم من جراء ذلك الاختلاط ، فقد جهلوا الفلسفة والدين ،
فإن الأمر طبعى شديد له أكبر سلطان على النفوس بمقتضى الغريزة ، والنظريات
لا تقاوم الطبعيات . ولكن ما لهم ولتلك التحليلات الفلسفية وحـم أرباب شهوات وأهواء
لادين وفلسفة ، ولهذا لم يكتف الله تعالى بالعظات النيرات والزواجر البالغات ، بل شرع
الحدود والتعذيرات ، علما منه بما جبات عليه النفوس البشرية ، ألا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير . وقد كان عندنا وظيفة تسمى وظيفة الحسبة . ولعلنا نكتب فيها بعد .
أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، وألا يكلنا

الى أنفسنا طرفة عين عنه وكرمه يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

حد الرشد

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

رحل مات عن أولاد ذكور وإناث ، ويرد إقامة وصى عليهم ، فما رأى علماء الشافعية والمالكية فيما يعتبر به الشخص ذكراً كان أو أنثى ، بالغاً رشده ، مالكا التصرف في ماله ؟
محمد عمر دمرdash

الجواب :

يعتبر الشخص عند لشافعية ذكر كان أو أنثى رشيداً مالكا أن ينصرف كل التصرفات المالية ، إذا كانت سنه خمس عشرة سنة ، وأظهرت عليه علامة من العلامات الطبيعية للبلوغ ، بعد أن تكون سنه تسع سنين فأكثر ، ويجب أن يكون في كل من الحائذين حسن التصرف في ماله .

أما المالكية فالذي جرى عليه العمل عندهم أن الولد ذكراً كان أو أنثى تكون تصرفاته المالية ماضية ، إذا كان بالغاً حسن التصرف في ماله .
ويعتبر بالغ إذا ظهرت عليه علامة من علامات البلوغ الطبيعية ، أو كانت سنه ست عشرة سنة .
والله أعلم

التيمم

سيدة مسلمة شافعية المذهب مريضة بمرض مزمن « دوسنطاريا » وينتجك هذا المرض كلما اغتسلت في الغالب الأعظم بنسبة ٨٥ ٪ فيعاودها المرض بحالة تختلف شدة وحدة ، حتى تستمر في العلاج مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة

فما رأيكم في جنابة مثل هذه السيدة ، وكيف تتوصا ، وهل لها أن تيمم للطهر من الجنابة ، أو تغتسل بعد كل جنابة ، وإذا تيممت للطهر من الجنابة ، فهل تكرر هذا التيمم عند كل صلاة ، ثم تتوضأ بالماء ولو لم ينفق وضوء الصلاة السابقة ؟

مشتركة بالمجلة

الجواب :

مذهب الشافعية أن هذه السيدة إذا عرفت بنجاسة من نفسها أن المرض يعاودها إذا هي اغتسلت بالماء ، كان لها أن تتيمم للنجاسة ، وعليها أن تغسل مع التيمم ما لا يضرها غسله من بدنها ، ولا تصلي بهذا التيمم أكثر من فرض واحد ، ولها أن تصلي به ما شاءت من الوافل ، فإذا أرادت أن تصلي فرضاً آخر ، وجب عليها إعادة التيمم ، وهي كالأصحاح في الوضوء متى قدرت عليه .

وعند المالكية لا يجب عليها أن تتوضأ في هذه الحالة ، ولا أن تغسل ما تستطيع غسله ، بل يكفيها التيمم متى كانت غير قادرة على الاغتسال ، وعليها أن تكرر التيمم لكل صلاة مفروضة .

ولهذه السيدة أن تعمل بمذهب المالكية ، والله أعلم ؟

الرضاع

رجل يريد التزوج بأبنة عمته ، وأمه تدعى أنه رضع من حمته ، وحمته تنكر ذلك ، وكل منهما يصّر على قوله ، ولا شاهد هناك سوى ذلك ، فهل يجوز لهذا الرجل التزوج بأبنة حمته المذكورة ؟

محمد السعيد صقر

الجواب :

لا تنبى حرمه الرضاع بين الرجل والمرأة عند الحنفية والشافعية والمالكية بقول امرأة واحدة .

وعلى ذلك يحل لهذا الرجل أن يتزوج بأبنة حمته المذكورة ، والله أعلم ؟

الطريق

رجل غضب مع زوجته ، فذهبت إلى بيت أبيها ، ثم دخلت عليه جارتها ، وقالت له : « مالك زعلان مع زوجتك » فقال لها : « ما هي زوجتي ولا أمأثرها ولا تدخل على البيت ولا هي على ذمتي » فقتل مما يقصده من هذه الألفاظ ، فقال : « والطلاق » . وقبل أن تنقضى عدتها خوطب في مراجعة زوجته ، فجاب : « تكون حرما زى أمي وأختي لا أروحها إلى يوم

القيامه » . وبعد ستة أشهر انقضت فيها عدتها واجع الخمين بغير عقد ، وماثرها مدة ست سنوات رزق منها خلالها بولد وبنت ، وبعد وفاة الولد والبنت ، حصل نزاع بين الزوجين فأخرجها الزوج من بينه ، وأحضر المأذون وقال أمامه : « تروح وهى خالصة » وكانت ارجوة فى ذلك الوقت غائبة عن المجلس ، وبعد مضى أربعين يوماً ، أحضر المأذون ثانية لآخذ حقتها والبراءة ، ولأثبات الطلاق ، فأرسل المأذون للزوجة هاهدين للتبرئة ، فأبرأته أمامهما ، وأحبرا المأذون بذلك ، فقال للزوج هل لها « روحى بمثل ماقلت » فقال الزوج ذلك ، وبعد ثمانية أشهر تقريباً أراد الزوج أن يراجع زوجته ، فهل يحل له ذلك أو لا يحل ؟

محمد عبد الحافظ السيد

الجواب :

يجوز لهذا الرجل أن يرجع زوجته إلى عصمته بمقد ومهر جديدين ، ويملك عليها بعد ذلك أن يطلقها مرتين عند الحنفية ، ولا يملك عليها بالإمرة واحدة عند الشافعية . والله أعلم ؟

فى الميراث

أخت توفيت عن بنتين شقيقتين ، وأخت شقيقة ، وثلاثة ذكور أولاد ابن . فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

زينب احمد يوسف

الجواب :

المفهوم من السؤال أن المرأة توفيت عن ستيها ، وعن أختها الشقيقة ، وعن ثلاثة ذكور ، هم أولاد ابنها ، والميراث فى هذه الحالة للبنتين ، ولأولاد الابن الذكور ، فللبنتين الثلثان ، ولأولاد الابن الباقي ، ولا شيء لأختها الشقيقة ، لأنها محجوبة بأولاد الابن ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفهمام

اللغة الأدبية

واختلاف اللهجات العربية قبل الاسلام

يتمسك بعض الباحثين بنظرية اختلاف اللغات عند العرب قبل الاسلام في حدود البحث عن صحة الأدب الجاهلي المنقول إلينا على ألسنة الرواة معزوا إلى العرب السابقين . وحديث اختلاف لغات العرب قديم ، تكلم فيه علماء اللغة وأئمة الأدب منذ فجر النهضة الاسلامية دون أن يفضى بهم البحث إلى عدم التسليم بصحة الكثرة المطلقة من هذا الأدب ، ولكنهم عرفوا أن منه مصنوعا ممنوعا ، فبهرجوء وأرجعوا ذلك إلى أسبابه العلمية بمقاييس من النقد والتحقيق

قال محمد بن سلام : لمجي في كتاب طبقات الشعراء : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غناء ، محمد بن إسحاق مولى آل خزيمة بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يمتدح منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتي به فأحله . ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء ، فضلا عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، أفلا يرجع لي نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن آداه منذ ألوف من السنين والله يقول : « وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فمأبقي » وقال في عاد : « فهل ترى لهم من باقية » وقال : « وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » قال يونس بن حبيب : أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم ، وأخبرني مسمع بن عبد الملك أنه سمع محمد بن علي يقول : قال أبو عبد الله — وأظنه قد رفعه : « أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم » وأخبرني يونس عن أبي عمرو قال : العرب كلها ولد اسماعيل ، لا حمير وبقايا جرم . وكذلك يروى أن ابراهيم جاورم وأصهر إليهم ، ولكن العربية التي عنى محمد بن علي هو اللسان الذي نزل به القرآن .

وقال أبو عمرو بن العلاء: « ما سان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عريتهم بعريتنا » هذا كلام ابن سلام، ومنه ترى أن العلماء الأعلام تنبهوا إلى نظرية اختلاف اللغات وأنرها في تمييز الأدب الصحيح من الزيف، حتى جعلوها أسما من أسس نقد الأدب وتصحيح عزوه لقائله .

وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته: « وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته، تشهد بذلك الأفعال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة، ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضربة وقوانينها، ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها . »

هذا الاختلاف الواسع الذي تُصوره عبارة ابن خلدون يجعل لغة قبيل من العرب مستقلة تمام الاستقلال عن لغة القبيل الآخر، مغايرة لها في قواعد نصريفها وحركات إعرابها حتى تكون منها بمنزلة لغة أخرى أجنبية عنها، لا يصدق إلا على عهود العرب السحيقة واستقرار شعوبهم في مواطنهم الأولى قبل حوادث الهجرة التي مزجت بينهم مزجاً سوخاً ليجاحظ أن يقول عنهم في كتاب البيان والتبيين: « فأما الخواص اخلص فإنهم قالوا: العرب كلهم شيء واحد، لأن لدار والجزيرة والأخلاق والشيم واحدة، وبينهم من التماهر والتشابه والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراف من جهة الخوالة المرددة والعمومة المشتبكة، ثم المناسبة التي بذبت على غريزة التربية، وطبيعة الهواء والماء، فهم في ذلك شيء واحد، فالطبيعة والهمة والشمايل واللغة كلها واحدة . لكن بعد هذا المزج والاختلاط بين الشعوب العربية في الشمال والجنوب، قد أخذ هذا الاختلاف اللغوي ينفذ ويتضائل شيئاً فشيئاً، حتى أشفى على الزوال، وتوحدت اللغة العربية عند جميع القبائل في ظل اللغة المضربة، ولم يبق إلا هذا « الاختلاف في لهجات القبائل اختلافاً لا يخرجها عن أن تعد لساناً واحداً، وأن يكون هذا اللسان

ذاقوا نين تجرى في هذه الملهجات بأسرها». وقد نبه العلماء على مواطن هذا الاختلاف وسموه اختلاف لغة. قال ابن فارس في كتاب فقه اللغة: «باب. القول في اختلاف لغات العرب: اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها الاختلاف في الحركات، كقولنا نَسْنَعين، ونِسْتَمين - بفتح النون وكسرها». ثم ذكر ابن فارس على هذا النحو قرابة ثمانية عشر وجها، إلى أن قال: «وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، وهي وإن كانت تقوم دون قوم فإنها لما انتشرت لعمروها كل» ويسميه ابن جني في كتاب الخصائص «بُعْدًا» وثبت مع هذا البعد أنها لغة عربية فقال: «ويكفي من هذا ما فعله من بُعْد لغة حبر من لغة نزار... غير أنها لغة عربية قديمة». وقول أبي عمرو بن العلاء: ما لسان حبر وأقصى اليمن بلساننا ولا عريتهم بعريتنا، يحمل في أعطافه فأبيد ما ذهبنا إليه.

على أن قوله: وأقصى اليمن، يشير إلى أن هذا الاختلاف لذى عناء أبو عمرو إنما كان في الأصقاع النائية قبل اختلاط العرب اختلاطًا تامًا برحلة اليمانيين لإحداث السيل إلى الشمال، وتوطن كثير منهم الحجاز، ورحلة بعض الحجازيين إلى اليمن. فقد روى أبو الفرج في الأغاني أن ربيعة - وهي قبيلة عظيمة العدد، حجازية المنشأ، عدنانية الأصل - استوطنت اليمن حينما من الدهر ثم خرجت منه. قال في ترجمة «المرفش الأكبر»: وكان من خير المرفش الأكبر أنه عشق ابنة عمه «أسماء» بنت عوف بن مالك - وهو البرك - عشقها وهو غلام، فخطبها إلى أبيها، فقال لا أزوجك حتى تعرف بالباس. وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن.

وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا في ثناياه ما يحقق نظرية توحد اللغة العربية قبل الإسلام بقرون كثيرة، ولا سيما اللغة الأدبية، أي لغة الشعر والخطبة، وأحاديث المجتمعات في الأسواق وغيرها، فإن خلدون يقول: إن العرب العاربة هم الفاعلون للمروية والمبتدعون لها. ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه يعرف كنه تلك اللغة التي ابتدعها

العرب العاربة أول نشأتهم ، إذ لا يوجد أثر أدبي صحيح من الوجهة التاريخية يدل على حقيقةها ، ولا قيمة لهذا الشعر الذي يرويه محمد بن إسحاق في سيرته معزوا إلى عاد وثمود ، وقد عرفت شأنه في كلام محمد بن سلام المتقدم ، ولكننا نجد ابن الأثير يقول في الجزء الأول من تاريخه عن هؤلاء العرب العاربة : « وكانوا عربا ، لسانهم عربى ... ويتكلمون بهذا اللسان المضرى » وهو أيضا ليس في يده دليل على هذه الدعوى إلا ذلك الشعر المزور .

يبد أن مؤرخى العرب يجمعون على أن الفصحانيين كانوا معصرين لا إخوانهم من العرب العاربة ، ومظاهرين لهم على أمورهم . وهنا يجدر بالباحث أن يتساءل أمام هذه الحقيقة التاريخية : أكانت المعاصرة والمظاهرة تتم دون لفه عامة سود الشعيين جميعا يقع بها التفام الذى تفضى به الحياة الاجتماعية في قوم متعاصرين متظاهرين بضمهم وطن واحد ؟ وهل كانت تلك اللغة شيئا غير العربية التى صار إليها الفصحانيون فاستحقوا التسمية بالعرب المستعربة فى رأى كثير من المؤرخين ؟

أما العدنانيون فهم فى حقيقة أسرم قحطانيون يرجعون فى أرومتهم الى جرم الثانية التى جاءت الى الحجاز وعمرته حتى هاجر اليه ابراهيم عليه السلام ، وأسكن من ذريته اسماعيل بين هؤلاء العرب اخلص الذين هاجروا من أوطانهم ، ولهم جميع خصائص العروبية من أخلاق وعادات وآداب ، ولا سيما اللغة التى هى المظهر الطبيعى لأية أمة من الناس ، ولم يقل أحد من المؤرخين إن جرهما هذه كانت ترفض عجة ، أو أن لسانها انفلتت عن العربية الى غيرها بعد أن حلت بالحجاز واتخذته نزلها ، وليس فى وجود اسماعيل بينهم ما ينزع عربيتهم ويحولهم الى حال أخرى ، لأن اسماعيل أتى به أبوه الى الحجاز رضيما كما هو صريح حديث البخارى ، ولم يكن منه من غير العرب سوى أمه هاجر ، فالمقول أن يكون وجود اسماعيل صغيرا فى حضن تلك الكثرة الجرهمية الغامرة من العرب الصرحاء الأفحاح يجعل منه عربيا فى أخص صفاته ، وهو

اللغة التي عليها مدار التفاهم العام، بل التفاهم الخاص الذي يقضى به مقام اسماعيل بينهم. وليس في الحديث الذي رواه ابن سلام «أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم» متمسك للمخالفين، لأنه — على تقدير صحته — «لا يدل إلا على أن اسماعيل نسي لغة أبيه ابراهيم، ومقتضاه أن العدنانية الذين هم من ذريته قد خلقوا ينطقون بالعربية، وليسوا هم الذين سميت لغتهم الأولى من صدورهم، وثبتت فيها هذه اللغة المستمارة». على أن السهيلي روى في كتاب (التعريف والأعلام) من طريق ابن عبيد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن أول من كتب بالعربية أبوهم اسماعيل» قال ابن عبد البر: هذا أصح من رواية أول من تكلم بالعربية اسماعيل.

وقد علمت فيما سبق أن ابن سلام قال: إن العربية في هذا الخبر هو اللسان الذي نزل به القرآن، وهذا يتفق مع ما رواه الطبراني وذكره الجاحظ في البيان والتبيين «أول من فتن لسانه بالعربية المبينة اسماعيل» لأن المراد بالعربية المبينة هذه اللهجة الفصحى، وهي لغة القرآن الحكيم.

صادق ابراهيم حرمه

الاستدلال باللاحظ على الضمير

قالت الحكماء: العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين. وروى أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس عن ابن مصيب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد أنه قال: «إني لأعرف في العين إذا عرفت، وأعرف فيها إذا أنكرت، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر. أما إذا عرفت فبحوض، وأما إذا أنكرت فبحفظ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فبسجور». تقول: (الحوض) فتحتين: ضيق مؤخر العين. و (الجحظ) فتحتين أيضا: انساع المقلة وبرزها. و (السجور) بفتح فسكون: مسكون العين.

وقال محمود الوراق:

إن العيون على القلوب شواهد	ففيضها لك بين وحيتها
وإذا تلاحت العيون تفاوضت	وتحدثت صامتة فلوها
ينطقن والأفواه صامتة فـ	يخفي عليك برئها ومرورها

سفر بعثة «فؤاد الاول» للآزهر

كلية جامعة الحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

سافرت أول بعثة أزهرية الى البلاد الأوربية المخصص
في بعض العلوم العالية ، وهي من أجل ما أثر حضرة صاحب
الفضيلة الامام الشيخ المراغي ، لأن الأزهر بعد اليوم سيحل
مكانه بين الجامعات العالمية اكبرى نفوس ما يجمع أهله بين
الثقافتين . وقد شيع فضيلته أول بعثة ناثرا عليهم من نصائحه
دورا غوالي ، فقال حفظه الله :

أبناء الأزهر :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » .

أما الذين فكروا في هذه الهجرة فإله سبحانه هو العليم بنياتهم ، وأسأله أن
يوغرلهم أجرهم ، وأما أنتم فأرجو أن تكون هذه نياتكم ، وأن تشمروا بمقدار العبد
الذي حملتموه . أريد منكم وأريد من الأزهر الشعور بالواجبات الانسانية العامة للجماعة
البشرية ، فقد أدى العلم واجبه نحو هذه الجماعة ، وفكر في الكون وقدر ، واهتدى الى
السنن الإلهية وانتفع بها ، فأفاد الناس منه خيرا عظيما ، وقد صعب هذا الخير ضرور طغت
عليه وأربت ، ذلك أن تقدم العلم لم يساير تقدم التأثير الديني والروحي ، فجاءت آثار العلم
والقلوب مقفرة من خشية الله ورهيته ، والمقول تنظر الى الأديان نظرها الى شيء تاريخي
خال من الحياة والبهجة والأنس والسرور . ولو أن حملة الدين سايروا حماة العلم وتقدموا بقوة
اليقين ، بحببونه للناس ، ويرغبونهم في الفضيلة من حيث هي ، ويدعمون الحياة الروحية
بالأساليب الجذابة ، ويؤاخون بين العلم والفضيلة ، لكان الناس اليوم في سعادة وهناء .

وجد شيء من الاستقرار في نظام العالم، وضعفت هذه العداوات التي تخلفها المادة وتثيرها شهوات الاستمتاع. وإذا كان رجال السياسة لا يحجمون عن قمع البلدان وسفك الدماء بدعوى تمدن هذه البلدان، فكيف يتراعى رجال الدين عن فتح سبلى لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه برح، وما هو إلا موعظة حسنة، ونصح لله ولرسوله، وإرشاد إلى الفضائل والخير، وإلى بيان حقوق الفرد وحقوق الجماعة، بحيث لا يظلم الفرد على الجماعة والجماعة على الفرد. وقد كان أسلافكم خير الدعاة، وخير الهداة، وأفضل من ضحى بنفسه في سبيل إسعاد الجماعة.

أنتم أيها الأبناء نواة هؤلاء الهداة، وسيكون لكم إن شاء الله إخوان يلحقون بكم يسعدكم وبهم الأزهري أولاً، ثم تسعد بهم الأم الإسلامية، ثم تسعد بهم الجماعة البشرية. أرسلكم الأزهري وهو ينتظر وقلبه يخفق، وأنا وثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقولكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريجى الأزهري الشريف، وستكونون يجدكم في تحصيل العلم وفهم الأساليب ومعرفة طرق البحث ودراسة العقليات الغربية من المجاهدين الصابرين، ولا تنفلوا عن أنكم ستجدون من العلماء وطلبة العلم وطلبة الحقيقة من محتاج منكم إلى تصحيح رأيه في الإسلام، وإلى عرض الإسلام عليه ونشر فضائله وبيان خصائصه، ففي هذه الحلة يكون واجبكم واجب الرشد، وواجب المعلم الناصح لا واجب التلميذ. أنتم في البلاد التي ستقيمون فيها مرشدون أولاً وتلاميذ ثانياً، ولا يعفيكم واجبكم الثاني من واجبكم الأول الذي هو في الحق المقصد الأسمى من هجرنكم. وفقكم الله، والعصر إن الإنسان إن خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، صدق الله العظيم

ترجمة القرآن الكريم

فتى «عصرة صاحب الفصيلة الامتداد الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الادب» بحثاً طلياً مستقيماً فى ترجمة «مناقب القرآن الكريم»
من مؤلف الفضية السيد محمد بن حسن الحجيرى وزير المعارف فى حكومة
المغرب الاقصى ، تفكره لحضرات القراء لما فيه من الفوائد العلمية .

سأل سائل : هل تجوز ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الأخرى غير العربية ؟ وهل
ترجمته تسمى قرآناً ؟ وهل تنزل منزلته فى أحكامه كالصلاة به ، والوعظ ، وأخذ الأحكام
الفقهية الشرعية والأصولية ، وعدم مسه للجانب والمخاض ، الى غير ذلك من الأحكام . ؟
وحواها : أن ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الغير العربية للعارف الماهر فى العربية وفى
لغة الأخرى التى يريد الترجمة اليها بحيث يكون عادفاً بالنحو والصرف والبيان بفهمه ،
والأصول مع أسباب النزول ، وكل الآلة التى توصله لذلك ، ويكون عادفاً بما يماسب ذلك من
لغة التى يترجمه اليها ، أمر جائز لا بأس به كما تقتضيه الأدلة الشرعية .

وقد استدلل الامام الشاطبى فى الموافقات على جواز ترجمة لقرآن بلجميع الأمة على حواز
تفسيره للعامة ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على إدراك كل معانيه الدقيقة . كذلك الامام
البخارى استدلل فى صحيحه على جواز ترجمة القرآن الى لغات الأعاجم بعكسه ، وهو ترجمة
للتوراة الى العربية بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأتى لنا نصه قريباً .

بناء عليه : تجوز ترجمته ولو كانت الترجمة مقصورة على بيان أصل المعنى المدلول بالصراحة
أو بالظاهر للجملة المترجمة ، ولو حلت عن بيان الدقائق والمعاني التى لا يتفطن لها إلا مهرة
العلماء وتتمذد ترجمتها الى اللغة الدأوجة العامية أو غيرها من اللغات ، بن ترجمته من الأمور
المرغ فيها ، بل يصح لنا أن نقول إنها من فروض الكفاية التى يجب على الأمة القيام بها ،
إذا قام بها البعض سقط عن الباقيين القيام بها ، ومن لم يقم بها أحد أهم شكل .

برهان ذلك : أن القرآن تبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فى خطبته
المشهوره غداة فتح مكة ، وفى خطبته فى حجة الوداع : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » كافى صح
الصحيح ، وقال : « بلغوا عني ولو آية » ، وقد أوجب الله على رسوله التبليغ فقال : « يا أيها الرسول
بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، فألبي صلى الله عليه وسلم بلغ

العرب بلسانهم كما قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، ويجب على العرب أن يبلغوا نبيهم من الأمم نبيا عنه ، ولذا قال لهم : بلغوا عني ولو آية . ومن المجمع عليه أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم ، ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم حادة إلا بالترجمة لسانهم . فالواجب لا ينادى إلا بترجمة القرآن العظيم لجميع اللغات ترجمة مدققة بقدر الامكان ، فقامت أمة من الأمم لم يترجم القرآن الى لغتها ففرض الكفاية لم يؤد ، ولم يحصل القيام بالتبليغ من الأمة كما ينبغي .

فالواجب على أمة الاسلام تأليف لجنة من خول العلماء والمترجمين لترجمة القرآن الى سائر اللغات ، وتقد الترجحات الموجودة منه ، والفحص عنها وإصلاح أغلاطها . وتكون هذه اللجنة أحد فروع جمعية الدعاية الاسلامية التي يرى بعض علماء الأزهر وجوب القيام بها لتقوم الأمة بالواجب الذي فرضه القرآن عليها ، وهو التبليغ ، والدعوة الى مسلك الدين الحنيف ، والكشف للعموم الأمم عن حقائقه ونشأته ، وما فيها من خير للبشر عامة .

ولا يزيد بالترجمة إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه في اللغة الأخرى ، فهذا غير ممكن في كل آياته ، وإذا أمكن في البعض كان في الغالب غير مصيب روح المعنى ، فهو إذن تبديل ، وربما يقل عنه تحريف ، إذ ما يظن من الترادف أو التقارب قد لا يكون كذلك ، وما نحن نرى كثيرا من الألفاظ في لغتنا يظن ظاهرون أنها مترادفة فإذا هي متخالفة . وإنما يزيد ترجمة المعنى الأصلي الظاهر من كل جملة مع ما ينبع من المعاني التي تقتضيها دقائق العربية وبلاغتها بقدر الامكان ، ومتبعا في ذلك رأي الجمهور من المفسرين ، وإن لم تمكن الاحاطة بكل المعاني العظيمة التي احتوى عليها النسخ المنزل من حكيم حميد كما أنه لا يمكن لاتباع بكل ما يستعمل عليه من طرق لعجز الراجعة لمصاحته وطلاوة لفظه ومسانة أسلوبه ولطائف إشاراته وغير ذلك مما هو مقرر في وجوه إعجازه ، لأن ذلك لا تنفي به أي ترجمة كانت ، ولا مطمع في الوفاء به لمكان إعجازه الذي ينقض الدهر ولا تستقصى عمائمه وغرائب ، إذ هو تنزيل من حكيم حميد . هذا هو المراد من الترجمة التي تكلمنا عنها على حكاها

إذا تبين ذلك فهذه الترجمة لا نسميها قرآنا ، ولا كلام الله ، ولا نعطيها أحكامه اللغوية وحرمة الشريعة ، وإنما هي بمنزلة التفسير والشرح لبعض المعاني بقدر الامكان . وسنورد أدلة هذه الأحكام بعد .

أجوبة ملاحظات : فإن ادعى منع أن تبليغ يحمل ما جاء في الدين لاسلامى كالإيمان والاسلام ووجوب الأركان الخمسة من صلاة وصوم وزكاة الى آخرها ، كان ، وأنه لا يتعين إبلاغ القرآن كله لكل الأمم ، فعليه بيان دليل ذلك التخصيص ، وإلا فظاهر قوله تعالى : « بلغ ما أنزل اليك من ربك » هو العموم للقرآن ، بل السنة أيضا ، ونحن ناثبون عنه ، فأثمون مقامه بعده في التبليغ لسائر الأمم ، وذلك يكون بلسانها .

وإن ادعى مدع إزام تلك الأمم تعلم العربية حتى تتمكن نحن من تبليغها إليها بالعربية فغير خفى أن هذه الدعوى أيضا لا دليل عليها، بل حمله عليه الصلاة والسلام وحمل الصحابة والتابعين مع الأمم يردّها. فثبت قط أنه أزم أحداً ممن أسلم بتعلم لغة القرآن، ولا فعل ذلك أحد من بعده، بل ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كلم أهل اليمن بلغتهم كما في شفاء عياض وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام كما في أصح الصحيح: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه». كل ذلك تسهيس على الناس كي لا يلزموا بلغة خاصة، فإذا كان ليبنى والهوراني والتيمي لا يلزمون بتعلم لغة قريش التي نزل بها مع سهولة انتقاله من عربية إلى عربية فغير العربي أولى وأحرى. وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بتعلم اللغات ليلبغوا عنه، فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ولغة السريان، فكان يطلع عنه اليهم، وعنه اليه عليه الصلاة والسلام. وهكذا كان مربي الخطباء: حكم فتح من أقطار أفروا لهم لغاتهم كمدارس والروم وأرض السودان المصري والبربر بركة وعرابلس وما كان يأمر قواد جيوشه باتخاذ الترجمة مع من لم يعرف العربية من هاتيك الأمم. وكان أبو حمزة ترجمانا لابن عباس حين كان واليا على البصرة ليترجم بينه وبين الناس، بل كانت دفاتر الخراج والمالية تكتب في كل أرض بلغتها ويتولاها كتاب الفرس والروم والقبط وغيرهم إلى زمن عبد الملك بن مروان الذي فيه نقلت الدواوين للعربية، وكل ذلك مقرر عند فقهاءنا ومؤرخينا، فلا نطيل فيه.

وهل ما يفعله المفسرون في تفسيرهم كابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن جرير إلا ترجمة للقرآن في المعنى؟ ولذلك سمى ابن عباس ترجمان القرآن. وهذا اسماعيل حتى في روح البيان يفسر لنا القرآن بالفارسية، وغيره نمره بغيره، وقرم علماء أعلام، وارتصوه منهم ومنسوخهم عليه. وكل أولئك ترجمان للقرآن العظيم.

لعمري كيف يتصور الزاعم لمنع الترجمة إسلام أهل الهند والصين والترك والمغزذ والسريان والروم والبربر والنوذج وغيرهم من الأمم الأجنبية والتي ما زالت متمسكة بلسانها؟ وكيف وصل الإسلام لأعماق قلوبها؟ أمع فهمها معنى القرآن ومبادئه ومكارمه، أم مع جعلها به؟ بل لا نشك أنها فهمت ذلك بقلوبها ووعته في ره وسها، وذلك بعد ترجمة القرآن إلى لغتها بقدر الامكان، إذ لا يشك مسلم أن الدين إنما انتشر بالبرهان والافصح لا بالسيف ولا بالعنف. وأعظم برهانه هو لقرآن ومكارمه وعجائبه. قال الله تعالى: «وجاهدكم به جهادا كبيرا». وقد لقيت بعض الطلبة الذين يعفون القرآن للبربر بلادفاً حكى لي أنهم يترجمون معناه أولاً لمن يريد أن يفهمه، حتى إذا فهم معناه بقدر الامكان يسهل عليه حفظه وإلا فلا، قال: وهكذا هو عملهم منذ أزمان، وعليه وجدوا من قبلهم.

فقولنا يجوز ترجمة القرآن ليس احتراع حكم لمساواة لم تكن وقعت، نريد حدوث وقوعها،

بل هو حكم مسألة واقعة ثابتة منذ أزمان . فالتدنى يقول بعدم الترجمة أو بمنعها لا أعلن إلا أنه غلب عليه الخيال ، إذ مسيح في بحره المحيط لجرفه . ولأنه حقق ماضي الاسلام وحقائق التاريخ ومشاهدات الواقع ، ما خالف في هذا الأمر الضروري ، ولا تردد ولا احتياج الى استفتاء .

إن رسالة النبي عليه السلام عامة لجميع الأمم مباحة للمسلمين . قال عليه السلام : « أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي . اثنى ان قال : وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة » الحديث . وقال تعالى : « قم فأنذر » وقال : « لا تذكركم به ومن بلغ » ويلزم من عموم الرسالة وجوب ترجمة القرآن لسائر الأمم . هذا ما لا يمتري فيه أحد فيها أعلن .

ورينا في البخاري في كتاب التوحيد : باب ما يجوز من تفسير التوراة وكسب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى : « قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان بن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل « يا أهل الكتاب نالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الآية . ثم أورد بسنده الى أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويقرءونها بالعربية لا أهل الاسلام فقل صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل - الآية . وأورد بسنده أيضا حديث ابن عمر في يهودى ويهودية زينا وآتى النبي صلى الله عليه وسلم بهما فقل : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فحاهوا (الحديث) . يقول البخاري : وغيرها ، يدخل فيه ترجمة القرآن الى لغة الأماجم أخذا بالقياس على ترجمة التوراة . فهو نص في عين المسألة من إمام مجتهد عظيم محتج بالقياس على ترجمة التوراة من العبرانية الى العربية . وقال في فتح الباري : قول البخاري بالعربية وغيرها : والخاصل أن الله بالعربية مثلا يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس ، وهل ينقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أو لا ؟ الأول قول الأكثر .

وقال أيضا قوله : لقوله تعالى : « قل فاتوا بالتوراة » الآية ، وجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية ، فقصبة ذلك الأذن في التعبير عنها بالعربية . قال بضده عفا الله عنه : وعكس ذلك يجوز أيضا بحكم قياس المساوي ، فيجوز التعبير عن القرآن العربي بالعبرانية وغيرها ، إذ لا فرق ، بل قد يقال إن القرآن أولى لأن الرسالة عامة ، فالضرورة قضية بترجمته ، بخلاف التوراة فترجمتها للحاجة أو للكمال لا للضرورة لعدم عموم رسالة موسى عليه السلام .

وقال في فتح الباري أيضا على حديث ابن عباس السابق : ووجه الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل باللسان العربي ولسان هرقل رومى ، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبحوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان وكذا وقع ، بل الحديث واضح الدلالة في جواز ترجمة القرآن لغير العربية حيث

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مشتمل على آية قرآنية ، وهي : « يا أهل الكتاب تعالوا » الآية ، وقد كتب بها النجاشي ملك الحبشة أيضاً وملك الفرس وهرقل وكلهم أعجبي لا يعرف العربية . فهو إذن منه عليه السلام في ترجمتها للغات المذكورة كلها . وقد جاء في الصحيح عن أبي سفيان بن حرب أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه . وما جاء في آية واحدة حاز مثله في بقية القرآن العظيم .

وقال في فتح لباري أيضاً على حديث أبي هريرة قال ابن بطال : استدل بهذا الحديث من قال بجوار قراءة القرآن بالفارسية . وأيد ذلك بأن الله حكى قول الانساء كنوح عليه السلام من ليس إمرئى بلسان القرآن وهو عربي مبين ، وبقوله تعالى : « لا تذركم به ومن بلغ » . والاذار إنما يكون بما يفهموه من لسانهم . فقرءه أهل كل لغة بلغاتهم حتى يقع لهم الادار به . ثم تقل جواب من مع فلا يطيل به لما فيه من التكلف .

قال ابن جري في القوانين الفقهية : ومن لم يحسن القراءة إن كان لم يتعلمها وجب عليه تعلمها أو الصلاة وراء من يحسنها ، فإن لم يجد لغيره يذكر الله ، وقبل يسكت ، ولا يجوز ترجمتها خلافاً لأنني حليفة . فيظهر منه أن أبا حنيفة يقول بجواز ترجمتها ومحنة الصلاة تلك الترجمة وهذه مسألة فرعية لا ينبغي لنا أن نطيل فيها هنا ، فلها موضعها من كتب الفروع لا سيما الحنمية ، وهم قاطبة متفقون في المعنى على جواز ترجمة القرآن العظيم للعارف . ثم إذا ترجم فمن كان عاجزاً عن الفهم العربي وجب عليه القراءة بالترجمة في القول الأقوى عندهم ، وإن كان قادراً في المسألة خلاف ، هل يجوز له أن يقرأ بغير العربية أم لا ؟ والحنفية في المسألة تفصيل وفروع مبنية على جواز ترجمة القرآن العظيم لا داعي لجلها . ولا يحصل بالفتية أن يحكم بمذهبه على مذاهب أخرى ، ولأن أن يتجاهل بقية المذهب مع أن مراعاة الخلاف هي من أصول الفقه لا سيما في المذهب المالكي ، وليس من المفيد مناقشة المذاهب ، بل الأولى احترام آراء المذاهب الأخرى وإعطاؤها حقها من الاعتبار .

والذي يخلص لنا من كل ما سبق جواز ترجمة القرآن للعارف إلى اللغات الأخرى ، بل نديه بل فرضيه كفاية للضرورة التصوي لذلك ، لعموم الرسالة . وهذه مسألة وإن حكى الحافظ فيها خلافاً كما سبق وهي من المسائل التي لا ينبغي الخلاف فيها إلا لو كان عموم الرسالة مختلفاً فيه . أما حيث وقع الاجماع على عموم ارسالة ثابت الأمم كلها لها حق مشاع في القرآن ، وهم متمسكون به ، فلمهم الحق في ترجمته ليفهموه ويأتمروا بأوامره ويتقوا بنواهيها ، ويتحسبوا بأخلاقه ويلتفتوا بكل ما فيه من المعاني العظيمة . وكذلك قراءة هذه الترجمة خارج الصلاة مما لا يفسد الاختلاف فيه ، كالوعظ به والنذير والخطابة ، إلى غير ذلك . أما في الصلاة فهل تجزئ الترجمة أم لا . . ؟ محل نظر .

ويؤخذ من كلام الحافظ أن من لم يحسن النطق باللفظ لم يزل العربي تحزته الترجمة على قول ، بل يجب عند كثير من الحنفية . والقول لقوى عند غيرهم هو عدم الاجراء حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل من لا يحسن انراءه فأمره بذكر مخصوص ، فمن قال بعموم هذا فيمن لا يحفظ وهو عربي ومن لا يحسن وهو عجمي ، قال بعدم الاجزاء . ومن خصه بالأول قال بالأجزاء .

أجوبة ملاحظات أخرى : قد تورد تفكيكات ، فيزعم زاعم أننا إن أجبنا ترجمة القرآن ترتبت على ذلك مفصلة عظيمة وهي ترك الناس تعلم العربية واقتصرهم على ترجمة القرآن ، ويلزم على ذلك الاختلاف فيه . فإن الترجمات قد لا تنفق فيقع لها كما وقع لبنى إسرائيل من اختلاف نسخ لتوراة السامرية والعبرانية واليونانية . وقد يقول أيضاً : إن معاني القرآن كثيرة وهو تربل من حكيمة حميد فلا يمكن مخلوق أن يحيط بها في ترجمتها ، وأن هذا شيء ، لم يفعله الصحابة ولا أهل الصدر الأول ، وبسبب تركهم له انتشرت اللغة العربية وعمت الأقطار وحصل منها مصالح كثيرة اجتماعية وسياسية ، فأنهت ممالك إسلامية كثيرة لغة وديناً ، فنشأ من ذلك اتحادها في المصنع وزال تنافرها . ولو أن الممالك الداخلة في الاسلام اشتغلت بترجمة القرآن الى لغاتها ورأت أن ذلك جائز أو واجب كما قلت ، ما كانت مصر والعراق والشام وموس والحجاز والمغرب الأقصى مهد العروبة في تاريخها هذا ، وانقيت على عجمتها متفرقة ساء وتفكيراً وأدباً وثقافة ، وآل ذلك الى الافتراق في الدين أيضاً ، لكن تركهم هذا الأمر المتيسر وارتكابهم اشاق الذي هو إبدال اللغة كان ذلك دليل عدم جواز ترجمة القرآن .

ونحن نقول في جواب هذه الشبهات : إننا تكلمنا عن المسألة من حيث الحكم الشرعي وما يظهر من الأدلة القرآنية والحديثية ، ومن فعله عليه الصلاة والسلام وفعل الخلفاء المقتدي بهم بعده ، لا من حيث علم الاجتماع والسياسة فذلك باب آخر لا نذكره ، ولكنه شيء لم يعتبره الشرع في هذا الحكم بالخصوص ، فانه لو كلف الأمم بإبدال لغاتها لكان مائة في العسر ، والدين يسر كله والحمد لله ، ودره المماسد وسد الذرائع معلوم أنه من أصول اشرع الاسلامي على رأي مالك وابن حنبل . وقد بسطنا القول على هذا الأصل في الجزء الأول ثم الثالث من الفكر السامي ، وقررنا أنه يعمل به ما لم نعارضه المصوم ، أما حيث عارضته المصوم علم يبق محل لاعتبار تلك الذرائع . على أن تلك الذرائع عارضتها ذرائع أخرى أقوى منها ، فان ذريعة نهر الاسلام وتبليغه أقوى في نظر الشرع من ذريعة نشر اللغة . والتبليغ واجب كتاباً وسنة وإجماعاً . أما نشر اللغة فلم يبلغ درجة الواجب ، كما أنه ليس في درجة الحاجة فصلاً من الضرورة . وإما هو في رتبة السكالك ، فكيف تقدم السكالك على الحاجي أو الضروري ، أم كيف تقدم المندوب على الواجب ؟

على ان ترك ترجمة القرآن لا تتيقن منها حصول نشر اللغة وإنما هو موهوم ، بل ربما كانت ترجمة القرآن وتبليغ معانيه معوقة لتعليم العربية ، فترجمة القرآن هي التي يتسبب عنها نشر اللغة في الواقع .

هذا وقد كانت في ذلك الزمن الذي كانت الأمم تترك فيه لغتها وتمسك بلغة القراءان ، عوارض قد ساعدت انتشار اللغة بسبب النشاط الذي كانت يبيده العرب الحضريون والبنديون فهم بانتشارهم في الأرض مع ما كانوا عليه من لطف الطماع ولطف لغتهم المصحى ودقة ذوقهم في التعبير والأدب الجم الذي حواه اللسان العربي المبين ، والامتزاج بالأمم والسآخى معها ونشر المدل والانصاف بالورع والزهدي مع ما كان لهم من الدولة والقوة والعدة ، ذلك كله هو الذي ساعد اللغة في تقدمها وانتشارها الى أن صمت هذه الأقطار وغيرها ، وانتشرت الانتشار المدهش في الهند الى اسبانيا والبرتغال حتى صارت هي لغة هذه البلاد العامة . وقد ذهب ذلك النشاط من العرب ، ووقف الانتشار عما كان عليه ، وظهر الآن بدله وهو عدة تمسك الأمم بلغاتها وقوميتها أكثر من تمسكها بدينها ، كالترك والفرس المعاصرين الذين ترام من أشد الأمم تمسكها في حب لغتهم وبند العربية . فلا شك أن الحكم يتغير بتغير الاحول لو فرضنا أن هناك حكما لزوم تعلم العربية وأن يفرض عين على كل من أسلم أو يسلم . ولكن الحقيقة أن هذا الحكم لا قائل به ، ولم ترس أئمة الاسلام من تقوم به ، كما أنه لا دليل عليه ولا على حرمة ترجمة القرآن أو كراهتها فيما نعلم . فان قلت : ان بعض علماء الكلام على أن معرفة الله بالبرهان واجبة ولا يتوصل اليها إلا بتعلم العربية إذ القرآن واللسان عربيان وبهما تعرف الأدلة ومالا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب ، كما قال أحمد بابا السوداني وغيره ، قلت : هذه مغالطة مبنيّة على مقدمة فاسدة وهي قوكة . لا يتوصل لمعرفة برهان المعرفة إلا بالعربية . فكيف من نبي لم يعرف العربية هو ولا أمته كنوح وكان يعرف الله عن برهان . وإنما الدليل المتعين على كل أحد هو الاجمال على ما هو الحق ، كالأستدلال بالأثر على الثور وهو موجود في كل لغة . أما الدليل المنطقي فاما هو مرض كفاية على قول . والمنطق إنما وضعه اليونان ومن لغتهم نقل اليها ، فكيف تستقيم هذه الدعوى من بابا السوداني ؟

نعم : معرفة السنة والكتاب معرفة تامة ليتوصل بهما الى علوم الفتوى ونحوها فرض كماتى ، والعربية التي توصل اليها غايتها تكون فرض كفاية لاعتين ، وكلاما في فرض العين . فسقط الاشكال وثبت ما قلناه . وعلى كل حال حيث فائنا تعميم اللغة لا يعوتنا تعميم نشر الدين وبذعة مكازمه بين من لا يعرفها ، وتبليغه والتشهير به . وذلك غير منات إلا نحو از الترجمة . أما أن ينسأ من تعدد الترجمة الاحتلاب في القرآن كما وقع في النوراة فذلك مفسدة أمناها والحمد لله . إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . فالقرآن العربي المتزل انتشار بين الأمم الاسلامية في أصقاع الأرض ، وهو الأصل الذي يرجع اليه عند اختلاف الترجمات على فرض

وقوع هذا الاختلاف . وتلك الترجمات إنما تعتبر تفسيراً لا قرآناً متزلاً ، فتقابل على الأصل المنزل ، فما وافق قبل ، وما خالف أصلح أو نبذ ، ولوا اعتبرنا خرف الاختلاف ذريعة لسد ما نأمن من الترجمة لكان تعدد التفسير كذلك ، حيث نشأ عنه ختلاف كثير في معانيه ، لكن عموم الأمة لم يعتبر هذه الذريعة ، فهي ملغاة .

إذا كانت الترجمة تعتبر تفسيراً فقط ولا نفتعها عين القرآن فلا يضرنا إذا أخلت بشيء من معانيه الكثيرة التي ليس في طوق غير العربي أن يدركها ويعبر عنها ، وعليه نحن نعتبر كل ترجمة تفسيراً فقط لبعض معانيه ، وشرحا من جملة الشروح ، وليست عينه . وذلك مما لا يمتري أحد في حوزة ، ولا يبرم عليه شيء من تلك المحذورات كلها ، ولا نسميها قرآناً كما لا نسميها كلام الله خلافاً للهيق (١) لأنها وإن كانت مشتملة على كثير من معانيه والماداني هي المفصودة بالذات والألفاظ قوالب عتلة الثباب لا يسلب الأصل بذهابها ، لكننا وجدنا الحق سبحانه وصف اللفظ المنزل المسمى قرآناً عربياً بأوصاف لا توجد إلا في اللفظ العربي . قال تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وإنه في أم لكتاب لدينا لعل حكيم . وقال : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » . وقال : « وتزل من القرآن ما هو غفاه ورحمة للمؤمنين » ، وقال : « فأما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتنذر به قوماً لدا » .

ولا شك أن لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي . قال تعالى : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » . واللفظ العربي هو المعجز بلا إشكال ، لا يمتري في ذلك أحد ، ولذا قال الله في حقه : « قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات » الآية ، وقال : « فاتوا بسورة من مثله » . وقال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . وقال : « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن » ، وقال : « ولا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » . وقال : « فاسمك بالذي أوحى إليك إلك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك » ، وقال : « قرآناً عربياً غير ذي عوج » . وكل هذه الترجمات ليست عربية ولا فامن وقوع الموح فيها إذ هي حمل مخلوق غير معصوم ، ولم يتم بها وصف من هذه الأوصاف التي وصف بها القرآن في الآيات السابقة . وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » . وقال : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » وليس شيء من تلك الترجمات متزلاً في تلك الليلة . وقال فيه أيضاً : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنّاه لحافظون » . وقال : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » . ولا شيء من تلك الترجمات معصون الحفظ ، ومعلوم أن التباين في اللوازم موجب للتباين في المترجمات . فكل هذه الأدلة الساقطة تنفي عن الترجمات التسمية بالقرآن وبكلام الله ، إذ كل منها يطلق بأزاء معنيين : الأول المعنى القديم القائم بذاته تعالى على قول الأشعرية القائلين بقيام سمات المعاني

(١) نقل ذلك عن البيهقي الحافظ والفطاني في كتاب التوحيد .

بألفاظ الأقدس . الثاني اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الموصوف بالصفات المتقدمة في القرآن ، ولا يطلق واحد مشهما على الترجمات بحال .

وإدالم تكن هذه الترجمات قرآنًا ولا كلام الله فلا تصح الصلاة بها على لقول الراجح ، لأن الصلاة لا يقر فيها إلا ما ينسب من القرآن . وأيضا لا نسميها كلام الله لأننا لا نأمن وقوع التلظ فيها للترجم ، كما لا نأمن خطأ المفسر وخطأ المجتهد الذي يأخذ منها الأحكام فكما لا نطلق على ما أسبغته المجتهد كلام الله ، كذلك لا نطلق على الترجمة كلام الله ، ولا نجريء على ذلك ، كما أقن لا نعتبرها معجزة ولا هي بمعجزة .

أما قوله: « وإنه لفي زبر الأولين » ، وقوله: « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » فهو حكم على بعض آيات تولى الله ترجمتها ولم يكلفها لأحد غير معصوم ، بخلاف قوله تعالى: « ما جعلناه قرآنًا عربياً » وغيرها من الآيات السابقة ، فهو حكم على جميعه أو مجموعه . هذا ما ينمق بالحق الأول من الأسئلة . وأما الشق الثاني وهو أخذ الأحكام الشرعية والأصلية من لترجمة واحكامها بحرمته فهو محل تفصيل . وذلك أن أخذ الأحكام الظاهرة نحو وجوب الصلاة والصوم والزكاة الخ ، التي يستوى في معرفتها العامى وغيره ، فهذا لا إشكال فيه وهى من فائدة الترجمة ، وأما الأحكام الدقيقة المأخوذة بطرق الاحتياط التي لا يصل إليها إلا اجتهدون بالأحكام المأخوذة بطريق عموم أو تقديم لفظ أو تأخير أو من صيغة مبالة أو صفة مشبهة أو بلازم أو مزوم أو نحو ذلك مما ربما لا تنى به الترجمة ويحتاج فيه إلى بلوع درجة عالية فى علوم اللسان وغيرها ، فشكل ذلك المرجح فيه الى اللفظ العربى المنزل .

وأما الترجمات فانما هى للأمر الواضحة المأخوذة من صراحة اللفظ أو ظاهره ، فينتفع بها فى نحو اوعظ والآذار والتبشير وتبليغ الأحكام التى تستوى فيها اللغات ، وليست هى اللفظ الذى ينسب ويتعمد تلاوته . كلا ، معاذ الله أن يقول أحد بذلك . وعليه فلا ثواب فى قراءتها من حيث التلظ بها ، نعم قد يقال إن الثواب على التدبر فى المعانى وتفهم المبادئ الأخلاقية والدقيقة والتفصيص وأحوال الأمم والبعث والشور وغير ذلك مما يكون فى الترجمة ولا يميزها شرط البنية ، فالترجمة حكمها حكم التفسير والبيان لبعض ما تضمنه اللفظ العربى المنزل المتعمد تلاوته ، فتفاس عليه فى أحكامه . وبعبارة أخرى : الترجمة كالنسيم عند عدم الماء أو عدم القدرة عليه .

وأما احترام الترجمة كاحترام اللفظ العربى بحيث لا يعمها جنب ، ولا حائض ، فهو قول عند الحنفية لا يتابعهم المالكية ولا غيرهم عليه . فالترجمة عند غيرهم تفسير والتفسير يعمه الجنب والحائض كما هو مصوص فى كتب الفقه . هذا ما ظهر لى فى المسألة ، وبالله التوفيق

الرباط — محمد بن الحسن المحموى النعالي .

الجواب الجامع لمسألة الرضاع

وما يحرم به من المصاهرة

آتت صاحب الفضيلة الأستاذ الباه الشيخ محمد عبد السلام القباني المدرس بكلية الشريعة أن الناس يسكتون من السؤال في مسألة الرضاع ، فرأى أن يضع لجميع صروبه جوابا جامعاً يحفظ ويرجع إليه عند الحاجة دون أن يضطر لتحديد السؤال فيه . قال فضيلته :

الحكم الشرعي : أنه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، فكما لا يجوز أن يتزوج 'أخته من النسب لا يجوز أن يتزوج 'أخته من الرضاع .

وأخوة الرضاع تثبت من ناحية المرأة ومن ناحية الرجل . وذلك أن كل إنسان له أم من النسب وهي التي ولدته وله أب من النسب وهو الذي خلعه ، فإذا رضع لطفل من امرأة أخرى غير أمه صارت تلك المرأة أما له من الرضاع ، وصار زوج تلك المرأة أباً له من الرضاع لأنه صاحب اللبن الذي رضعه الطفل ، وإذا تحرم أصول هذه المرأة وفروعها ، وأصول هذا الرجل وفروعه على هذا الطفل وعلى فروعه فقط دون بقية أقاربه .

وأفانواع الرضاع ستة لا غير :

- ١ — كل من أرضعتهم أمه النسبية قبله أو بعده أو معه .
- ٢ — كل من رضعوا لبن أبيه النسبي من أي زوجة أخرى قبله أو بعده أو معه .
- ٣ — كل من ولدتهم أمه من الرضاع .
- ٤ — كل من حلمهم أبوه من الرضاع .
- ٥ — كل من أرضعتهم أمه من الرضاع .
- ٦ — كل من رضعوا لبن أبيه من الرضاع .

هذا والرضاع الموجب لتحريم المصاهرة هو رضاع الطفل أو الطفلة قبل تمام السنتين .

ومقدار الرضاع المحرم عند الشافعي وأحمد خمس رضعات متفرقات ما كثر ، وعند مالك وأبي حنيفة رضعة فأكثر ، والله أعلم ؟

محمد عبد السلام القباني

المدرس بكلية الشريعة

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » سورة الأنعام الآية (٥٩) .
 هذه الآية لا علاقة لها بالطب مباشرة ، ولكن الطبيب أحيانا يتنبأ بموت المريض بعد زمن معين ويصدق في نبوءته ، فهل هذا معناه أنه يعلم شيئا من الغيب ؟ كذلك يتنبأ الفلكي بحادث فيحدث كما أنبأ به تماما ، والحقيقة أن معرفة الغيب عند الانسان تختلف اختلافا جوهريا عن علم الغيب عند الله ، والفرق بينهما كالفرق بين الاختراع والمعجزة .

وعلم الغيب على أنواع :

١ - العلم من طريق السنن الإلهية ، فالانسان يعرف ما سيأتي في الغيب بطريق معرفة السنن الطبيعية ، ولذلك كان علمه ناقصا ، فاذا علم قانونا وحكم به على الأشياء ، وما سيحدث لها فهو كثيرا ما يخطئ ، لأن هناك سننا أخرى طبيعية لم يعرفها تؤدي الى نتيجة مخالفة لما ينتظره ، وهكذا يستمر في درس هذه السنن ويعرف شيئا ويبقى جاهلا أشياء الى النهاية . وأما علم الله فهو من نوع آخر ، لأنه وضع السنن كلها ولا يخفى عليه أى قانون من القوانين الطبيعية التي وضعها ، ولذلك كان علمه جل وعلا وإرادته لا ينفصلان أبدا ، فعلمه بالشئ معناه حدوث هذا الشئ . لا محالة ، بخلاف علم الانسان الناقص الذي ليس له علاقة بحدوث الشئ مطلقا ، والفلكي الذي يتنبأ بالحادث لا علاقة له به ولا تأثير له في إيجاد الحادث مطلقا ، والطبيب الذي يتنبأ بالموت لا علاقة له بموت المريض . وقد بين الله لنا مقدار علمه بكل السنن الطبيعية كما قلنا قوله : « ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » لأن لكل هذا سننا لم يتعلم الانسان إلا ما ندر منها ،

وكل ما مرفه ناقص أبدا « وفوق كل ذى علم عليم » « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وهذا النوع من العلم هو الذى حثت الأديان على الاستزادة منه ، لأنه يفيد الانسان ، ولأنه فى متناول إدراكه الذى منحه الله إياه ، ومعناه المعلوم القديعة والحديثة كلها ومعناه كل معرفة (Knowledge) .

٢ - علم الغيب الذى لا يتناوله إدراكنا لأنه ليس من السنن الطبيعية التى يحتاج لها الانسان فى نموه من النطفة الى أن يصير شخصا كاملا ، وهذا هو المقصود من الآية الكريمة « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من أوتى من رسول » والرسول يعرف الغيب بما يوحى اليه الخالق ، لأن ذلك يشبه المعجزة ، وليس له قانون يدرس ، ولذلك لا يمكن للإنسان معرفته بجده واجتهده ، والرسول لا يعلمه إلا بالقدر الذى يعلمه الله إياه ، والذى بهيئته الله له ، وهذا هو معنى الآية « واصطنعتك لنفسى » مخاطبا به نبيه موسى عليه السلام ، أى أنه أعطاه من الإدراك ما يمكنه من فهم ما يوحى اليه « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وعلم الغيب يشمل كل ما أمرنا القرآن بأن نؤمن به « لذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »

فنؤمن بالآخرة وما فيها ، وبيده الخلق وإحياء الموتى ، وبالمعجزات الخ ، وكل ذلك بدون أن نجد له قانونا يرشدنا كما نجد قوانين السنن الطبيعية ، ويجب مع هذا التصديق به إذ التصديق به شرط أساسى للإيمان الصحيح . والحقيقة أن هذا النوع من المعلوم هو ما يقال له « Nelaphysis » أو ما فوق المادة أو ما وراء الطبيعة ، وقد كثرت عنه مؤلفات فى كل الأجيال ، وكثرت التعاريف الفلسفية فيه ، وأخيرا تقدمت العلوم الحقيقية (علوم السنن الطبيعية) ، وقد اقتنعت بعد الفحص والتدقيق فى كل ما كُتب عنه بأن عقل الانسان لم يخلق لفهمه ، وأن السبب فى ذلك ظاهر هو أن عقل الانسان نتيجة نمو النطفة بالسنن الطبيعية ، كما ينمو النبات من البذور تماما ، فأنه لم يهيء

الانسان إلا بالقدر الذى يفهم به القوانين التى تهديه الى طريقه « الذى خلق فسوّى ،
والذى قدر فهدى » وقد خلق الله للانسان من الخواص ما يكفيه فقط ، والله لا يخلق
شيئاً عبثاً وزئداً عن حاجة أبداً ، « إنا كلّ شئ خلقناه بقدر » وهذا هو معنى
آية « إنا خلصنا الانسان من نطفة أمشاج ببتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » فالانسان
يبعث ويعلم كل ماله علاقة بالقوانين الإلهية التى تؤثر فيه فى النوع الأول من علوم
الغيب ، وإذا حاول فهم ما فوق ذلك من قبل خلق النطفة مثل بدء الخلق وطريقة إحياء
الموتى وأخبار الآخرة فإنه يحاول فهم المجهول مع أنه ليس له من الخواص ما يساعده
على فهمه ، فعليه أن يمثل ويصدق ما أنزله الله ، وإن لم يصدق فسبب ضيع وقته فى البحث
عنه عبثاً ، والله يخاطب الانسان مظهره له ضمنه ، وأنه لا يقدر على فهم أشياء كثيرة
بقوله تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » . وقوله :
« ألم يك نطفة من منى بمنى » أى أنه مثل بذرة النبات فى دور من أدوار حياته ونقطة
فى إنرازات شخص آخر ، وهذه النطفة التى لا حول لها ولا قوة إذا تهديتها اسنن
الإلهية (الطبيعية) تصير إنساناً . فهل ينسى ضعفه للتناهى ويبدأ بالبحث عن أشياء
لم يخلق لأجلها ؟

والانسان لا يشذ عن باقى الحيوانات التى ليس فيها من الخواص والإدراك
بالقدر الذى يمكن النطفة من النمو الى النهاية ، وهذه قاعدة علمية عامة لا استثناء لها .
ولا يوضح الفرق بين النوعين من علوم الغيب تقول : إن الله تعالى وصف الانسان
فى النوع الأول بأنه عالم ببعض العلم : « وفوق كل ذى علم عليم » وبين له مقدار علم الله
بما معناه أنه يعلم كل صغيرة وكبيرة فى الأرض والسماء .

فإذا كان الانسان يعترف بأشياء من الغيب بمعرفة بعض قوانين طبيعية أفلا
يكون عند الله مفاتيح الغيب كلها ، وهو الذى وضع كل السنن ؟ فالله الذى خلق آدم
وخلق منه زوجه علم مقدار ذنبيهما من ذكر وأنثى ، وعلم ما سيقع لهؤلاء جميعاً بعلمه

بما في نطفهم قبل ظهورهم في الحياة، وهو يعلم كذلك كل الظروف المحيطة بهم حتى النهاية، فهو الذي بدأ خلق وعلم منذ البدء كل ما سيكون، وكما أن النطفة التي لا يزيد قدرها عن عشر المليمتر تنمو بالسنن حتى تصبح إنساناً، كذلك كل ميزات الانسان عن الحيوانات الأخرى، ومميزاته عن غيره حتى في أصغر الأشياء موجودة ومثلة في هذه النطفة. وكذلك نطف بنى آدم جميعاً فإنها ممثلة في آدم وحواء، ولكنها لا تحتاج إلا إلى السنن الإلهية لتظهر أمام أعيننا، وذلك لأن كل فرد منا يمثل في عالم الذرة من يوم بدأ الله الخلق، ولو أعطى الله الانسان علماً لعرب الأ ولاد وهم أقل من النطفة في أرحام أمهاتهم، وعرف أولاد أولادهم في هذا الجسم الذي هو أقل من النطفة، وهكذا. فلنخلق يعلم جميع بنى آدم ممثلين في آدم وحواء. وسأضرب لذلك مثلاً: صندوق فيه ملايين من الصور الصغيرة للسينما (فلم) فهذا الصندوق الغلق يعرف كل ما فيه الصانع الذي صنعه، ولكن الانسان العاقل لا يعرف ما فيه إلا إذا عرض بشريط سينمائي، فالتفرجون يعرفون ما يظهر منه أولاً فثلاً، ويظهر لهم كأنه شيء جديد ولكنه في الحقيقة قديم، وكذلك عقل الانسان فإنه يقسم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل، ويدفعه لأن يسمى ما يظهر له بمرور الزمن «مستقبلاً وغييباً» والحقيقة أنه غيب بالنسبة له، ولكن الله الذي خلقه وحلق السنن الطبيعية غنى عن عرض سينمائي، لأنه هو الصانع الأكبر الذي يعلم كل ما فيه «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها».

وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضاً. وأما النوع الثاني من الغيب فالانسان في ظلمة نائمة بالنسبة له، وهنا يخاطبه الخلق بقوله: «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» ومعناه أنه لم يكن نطفة فقط ولكنه كان ممثلاً في نطفة آدم وحواء بشيء صغير جداً أقل من النطفة، وإذا كان الخلق كله ممثلاً في نطفة آدم وزوجه فيكون كل فرد ممثلاً في جزء من أقل من آلاف الملايين من النطفة، وهذا ما يسميه

اخلاق سببائه وتعالى شيئاً غير مذكور (infinitesimal) ويستعمل العلماء هذه اللفظة في العلوم الحديثة لكل شيء متناه في الصغر ، أو ثلثي شيء للصغر أو عدم الوجود . ورب سائل يقول : إن كل شيء يبدأ صغيراً كالنزل ، فانه يبنى من أجزاء صغيرة حتى يملأ ويأخذ شكله ، وليس في ذلك غرابة ، والنزل الكامل شيء آخر غير الأجزاء المكون منها ، ولكن الانسان ليس كذلك ، فهو يتكون من النطفة لا بإضافة شيء . حتى جديد مطلقاً ، ولكن بتحويل الأجسام الميتة (الغذاء الخ) الى شيء حي كما قلنا في تفسير « يخرج الحي من الميت » . فحسب الانسان عند نموه ليس إلا النطفة مكبرة بإضافة أشياء ميتة اليها ، والنطفة تمثل الانسان بدقة مدهشة ، ومثلها مثل صورة صغيرة جداً إذا كبر حجمها بدون تغيير ، وهكذا يقول الله للانسان : « إنك في زمن من الأزمان كنت شيئاً غير مذكور نافعاً ، ولم يطرأ عليك إلا زيادة الحجم » وليس هناك فرق بين الصورة المصغرة والصورة المكبرة إلا الحجم ، وفي هذا إظهار لقدرة الله وشدة ضعف الانسان ، وأنه لا يدرك إلا ما خلق لأجله .

وصفوة القول في هذا النوع من الغيب هو أنه يشبه المعجزات ، فكما أنه لا حول لنا ولا قوة أمام المعجزات ، كذلك نجد جهلنا كاملاً بالنسبة لمعالم الغيب ، فلا نعرف منها إلا ما يخبرنا الله به على لسان الأنبياء ، ومثل ذلك من يولد أعمى ، إذ لا يمكنه إدراك ما يقصده البصير عند الكلام على الألوان المختلفة .

« وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقتضى أجل مسمى : » سبق الكلام عن النوم وأنه أقرب شيء للموت ، ولكنه يؤدي الى الحركة بالنهار ، وحركة النهار تؤدي الى النوم ، وهكذا فالنوم مثال مصغر لموت الانسان ، كما أن حركة النهار مثال لحياته .
 ذكره عبد العزيز اسماعيل

اثبات وجود الروح

بالأدلة العلمية الجديدة

كانت الفلسفة وحدها عدة الناس في التدايل على وجود الروح، ولكن لما اشتد كلب الملحدن في القرون المتأخرة على نفي الروح والعالم الروحاني من طريق الأسلوب العلمى المعروف، الذى مؤداه أن كل معقول لا يستند دليل محسوس لا يفيد اليقين، شرع العلماء الذبن يقدرون على الحقائق في جمع الحوادث والملاحظات النفسية الدالة على وجود الروح دلالة قاطعة، وكان الحق جل وعلا قد فتح على الباحثين كثيرا من تلك الحوادث، فلم يجد الماديون سبيلا الى دحضها، لأنها مشاهدات علمية مقيمة، فرجع أكثرهم الى حظيرة الفلسفة الروحانية، وجد فريق لا يبدى ولا يعيد، لذلك أصبحت المادية مقصورة على آحاد يأخذون بها تقليدا، لا على بصيرة، ولا بعد بحث وتحقيق. من المشاهدات العلمية التى يستند اليها العلماء المعاصرون لإثبات الروح عمل الإرادة الانسانية عن بعد بدون أى اتصال مادي. وبملا مشاحة فيه أن الإرادة خاصة روحية غير مادية، فإذا ثبت أن لها تأثيرا فى الخارج ثبت أن للروح الانسانية استقلالاً عن الجسد، وأنه هو نفسه أداة لها لا أكثر من ذلك.

قال الأستاذ كاميل فلاسريون : « لقد وضعت مؤلفات خاصة فى مسألة التأثير بالإرادة أو الأيحاء العقلى، والأدلة التى تجت صحتها لا تدخل تحت حصر. وقد شاهدت أنا بنفسى منها عدة مشاهدات فى الأيام السالفة، من تجارب الأستاذ (شاركو) ^(١) فى مستشفى (السالبيريير) ^(٢) والدكتور (لويس) ^(٣) فى مستشفى (لاشاريتيه) ^(٤) فى باريس. ولكن أعجب ما رأيته منها تجارب الأستاذ (بيير جانييه) ^(٥) فى مدينة

(1) Charcot (2) La Salpêtrière (3) Lewis (4) Hopital de la charité
(5) Pierre Janet .

(المخافر) بفرنسا، أجراها على امرأة فلاحه قوية، هي ربة أسرة وليست مصابة فقط في أعصابها. فكانت تتلقى ما يوحى اليها بمقله وهو بعيد عنها عدة كيلو مترات، فتطبعه بضبط مطلق دون أن تعرف ما سيلقيه اليها بأى وجه من الوجوه « انتهى.

ونحن نقول: إن الذى فتح باب هذه المسألة هو التنويم المغناطيسى الذى أصبح اليوم حقيقة علمية تدرس في الجامعات الطبية كوسيلة من وسائل معالجة الأمراض للشمسية. وينحصر هذا العلم في إمكان تنويم أى إنسان تنويما حاسما بالتأثير فيه تأثيرا إراديا بواسطة من مارسوا هذه الصناعة، فيصير قابلا للإيحاء اليه عقليا بدون الاستماع بالكلام والإشارة، وخاصما لإرادة منومه حتى لو أعطاه قطعة من الفحم وقال له هذه قطعة من الكبر فكله، أو كلفها مثلثا، ولو ناوله وردة وقال له هذه وردة (ماها متقززا. ولو رسم على بعض جسمه دائرة وقال له إن هذا الجزء من جسمك متهيب وسيعقب التهابه دمل، لالتهب لوقتته واحتقن وتكون فيه دمل.

وقد ذهب الجربون الى أبعد من هذا، فقد ثبت لديهم أنهم لو أنعموا شخصا وقالوا له إنا سنخلع ضرسا حثرا (أى مسوسا) في فكك، فلن تشعر بألم قط، ولن تنزل من لثائك قطرة دم. ثم أوقف وسحب ضرسه، فإنه لا يتألم ولا يبدى مكان الضرس. وقد استفاد العلماء من هذه الخاصية للتنويم المغناطيسى فطبّقوها على علم الجراحة. فإذا اضطّر الجراحون لفتح بطن إنسان لا تحتمل صحته الكلوروفورم، ثم قبل العمل نوما مغناطيسيا، وأوعز اليه بأن لا يشعر بأقل ألم من فتح بطنه، ولا ينزف ولا قطرة من دم، ثم يتولون فتح بطنه وقطع ما يريدون قطعه من أحشائه وهو حافظ لقواه العقلية يكلم من حوله.

هذه كلها أصبحت مقررات علمية جاء بها اكتشاف الدكتور الألماني (مسر) للتنويم المغناطيسى في سنة (١٧٢٠)، فظل ينافع منه خصومه هو وخلفاؤه نحو مائة سنة حتى أدمج في العلم الرسمي نهائيا. ثم ثبت للمنقبين في العاديات أن هذا التنويم كان مبروفا لدى قدماء المصريين والهنود والصينيين، وكانوا يمارسونه في هياكلهم.

فالمستمدون منه أدلة الروح إنما يتمددون على علم ثابت مقرر ، لا على أوهام خرافية ، ولا أوهانيل عقلية .

ولما كنا بصدد إثبات تأثير الإرادة الانسانية في الخارج فلم نأورد أمثلة على ذلك من أصدق المصادر العلمية . فذكر الدكتور أو كورويكز (Ochorowicz) في كتابه المسمى (بالإنحاء العقلي) « De la suggestion Mentale » قال :

« كنت أعالج سيدة عمرها ٢٧ سنة مصابة بهستيريا صرعية مزمنة ، ثم زاد عليها طروء نوب من الكرب والليل للالتحار . حدث ذات ليلة بعد انتهاء التوبة أن تأملت للريضة يهود ، ثم استيقظت فجأة ، فلما رأيتني أنا وصديقتها التي كانت معهما رجعتا أن نذهب فلا نتعجب نفسيئنا من أجلبا على غير طائل ، وألحت في ذلك إلحاحا حلما على إعطائنا تقاديا من أن يسبب لها إياؤنا نوبة جديدة ، فترلت أنا السلم يبط ، وكانت هي تسكن الطيفة الثالثة من الدار ، فوقفت أثناء النزول صرات متسما ما يأتي من قبلها ، وأنا متوقع حدوث حادث سيء . فلما انتهيت الى الحوش وقفت مترددا بين البقاء أو الانصراف ، وبينما أنا أفكر في ذلك إذا بالنافذة قد انفتحت بعنف ، فريميت ببصري اليها ، وإذا بجسم المريضة يميل الى الخارج بحركة مسرعة ، فأسرعت الى النقطة التي أتوقع سقوطها منها وأخذت أذكر إرادتي بقصد منعها من السقوط مدفوعا الى ذلك بحركة آلية ، دون أن أعلق عليه أية قيمة لأنه جهد غير معقول . ومع هذا فإن المريضة التي كانت تكاد تهوى وقفت فجأة ، ثم تهمقرت يبط ، وبصدمات متوالية .

« ثم كررت هذا العمل خمس مرات متوالية ، فبدت على المريضة علامات الإعياء فوقفت جامدة . وكنت في أثناء هذه الأعمال واقفا في الظلام بحيث لا تروني لأن الوقت كان ليلا ، وكانت صاحبيتها قد أسرعت اليها وقبضت على ذراعها ، وقد سمعتهما يتدفعان ، فأسرعت في الصمود لأساعدها فوجدت المريضة في حالة جنون فلم نعرفنا وحسبنا لموصا ، فجدبتها بعد جهد جهيد من ناحية النافذة وأضجعتها في سريرها وأتمتها نوما مضططسيا ، فكان أول ما فاهت به هاتان الكلمتان : شكرا وعفوا .

« ثم حدثتني بأنها كانت قد صممت على إلقاء نفسها من النافذة ولكنها كانت نحس في كل دفعة بأنها كانت تتمتع بقوة من جهة الدور الأسفل .
« فقلت لها : كيف كان ذلك ؟
« فقالت : لا أدري .

« فقلت لها : أكنت تتخيلين وجودي هناك ؟
« فقالت : لا ، وإني ما أردت أن أفذ إرادتي إلا لاعتقادي بذهابك . ومع هذا فقد كان يخيل إلي من وقت لآخر بأنك كنت إلي جانبي أو خلفي ، وأنت لم ترد أن أقع . اه
وقد سرد الأستاذ أو كور ويكز المذكور إحدى وأربعين تجربة من هذا النوع ، وكلها تدل دلالة قاطعة على تأثير الإرادة عن بعد .

قال الأستاذ (كاميل فلامريون) العالم الفرنسي المشهور : « وقد رأيت صديق للأسفوف عليه الكولونيل (دروشاس) يحدث هذه التجارب في مدرسة الهندسة بباريز وكان مدبرا لها . ورأيت كذلك الدكتور (بارتى) يسبدها في مدينة نيس ، وشهدت مجربين غيرهما . فالتأثير بالإرادة عن بعد ليس بالأمر المشكوك فيه كما يعلم الذين درسوا هذا الموضوع . »

وكتب العالم الألماني الدكتور (فان هيلسونت) في كتابه (أوبرا أومنيا : Operaomnia)
« إن في الإنسان قوة نستطيع أن تؤثر ببعض إرادته على ما هو خارج عنه ، وأن نطبع أثرها الثابت على شيء بعيد عنه جدا . وإن هذا المر ليفسر تفسيراً واضحاً عدة حوادث يصعب فهمها تتعلق بالقوة المغناطيسية الموجودة في جميع الأجسام ، والقوة العنوية التي يختص بها الإنسان وصلاحياتها لتسخير الكون . »

نقول : وقد دفع المجربون تجاربهم في هذا الموضوع إلى أبعد من هذا لدى ، فروى العالم الروسي الكبير (أ كزاكوف) في كتابه الذي رد به على إنكارات الفيلسوف الألماني (هارتمان) : أن فريضة العالم الإنجليزي (دومرهان) كانت اعتادت تنويم

امرأة وإرسال قوى من روحها الى المكان الذى تمينه لها ، فقالت لها يوما وهي تحت تأثير النوم المغناطيسى : « اذهبي الى دارى الذى كنت أسكنه قديما » ، فقالت للنومة : « قد فعلت وطرقت الباب بشدة » . فذهبت امرأة الأستاذ الى تلك الدار وسألت أهله عما حدث لهم ، فأخبروها بأنهم سمعوا قرعا شديدا على الباب ففتحوه فلم يجدوا خفيه أحدا فعزوا هذا القرع الى أشقياء الأطفال .

وروى السالم المذكور هذه الحادثة وهي : « ن للنوم المشهور (لويس) أنام مرة امرأة أمام جماعة وأمرها أن تذهب الى دارها فتتظر ماذا يعمل من فيه . فقالت النومة : قد فعلت فوجدت فيه شخصين يشتغلان بأعمال منزلية . فقال لها (لويس) المسى أحدهما بيدك . عند ذاك أخذت النومة تضحك قائلة : قد فعلت ما أمرتني به تخافتا خوفا شديدا . فطلب (لويس) الى الحاضرين أن يذهب بعضهم الى دارها ليتحققوا من صدق قولها ، تخف جماعة منهم للتقيام بهذا التحقيق ، فلما انتهوا الى الدار وجدوا أهلها في حالة ذعر شديد ، وبسؤالهم عن سببه أجابوا بأنهم رأوا شبحا فى المطبخ ، وأنه لمس إحدى اللتين كانتا فيه .

فعلق الأستاذ (اكزاكوف) على هاتين الحادثتين بقوله : « إنها تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجودا مستقلا عن المادة ، وأنها تستطيع بمواها أن تعمل ما يمين لها عمله خارج جسدها »

هذه الفتوحات العلمية التى من الله بها على الناس من طريق الأسلوب العلمى التجريبي قد وضعت حدا لإنكار الملحدين ، وصدمت فلسفتهم الظلمانية صدمة عنيفة أفقدتها غاسكها ، وقضت على وجودها فضاء نهائيا . وسيرى القراء فيما يلى من التجارب العلمية فى هذا الضرب من البعث أن ابراهيم على وجود الروح لم تعد من اختصاص للنطق وحده ، ولكنها دخلت فى دائرة العلم أيضا ، فليس لقائل بعد اليوم أن يتبجح بأن لا يؤمن إلا بما يقره العلم ، فما هو العلم بقرره فى هذا المجال ما لا سيبل الى دحضه : « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » محمد فريد ومجدي

تاريخ العلوم اللغوية (١)

في الأدب العربي

لم يكند يطلع خر القرن الثاني من الهجرة حتى بدأ علماء العرب بالاهتمام بشئون اللغة، وكانت البصرة حاضرة العراق وقتئذ محط رجال الأدب ومركز الثقافة العربية. وأول ما اشتغل به علماء اللغة في هذا العهد هو تفسير القرآن، فجمعوا لذلك كثيراً من الألفاظ القديمة والمستحدثة وصنفوا المعاجم والموسوعات اللغوية، ثم انتقلوا إلى المحاولات النظرية في البحث وراء أصوات أحرف المعجاء، وتمذّبوا إلى قواعد تركيب الجمل، ولم يتمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر من كشف الغموض الذي ما فتئ يحيا على مبدأ نشأة هذه الدراسات اللغوية. وأما ما ذهب إليه بعض علماء العرب للتأخرين ومن نماذجهم من أن عرب البدو القدماء هم أول من بدأ الأبحاث اللغوية، فإنه رأى لا يمكن الأخذ به، إذ أن علماء البدو المسيطرين على اللغة العربية القديمة، لم يتعدوا بعملهم الرقابة على دور التعلم في المدن حيث انتشرت لهجات العامة المتعددة، لملاحظة استعمال اللغة العربية على الوجه الصحيح. وأقوى دليل على عدم اهتمام البدو بأمر قواعد اللغة من نحو وصرف حتى بدء القرن الثالث من الهجرة، ما روى عن الجاحظ في صدد الاشتقاق وأصول الألفاظ، فإن مثل هذه الاشتقاقات مما يسهل نسبتها إلى البدو؛ ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نغزو إليهم أي محاولات نظرية في العلوم اللغوية على وجه العموم، أو في قواعد اللغة على وجه الخصوص.

وأول دافع لنشأة الدراسات اللغوية هو ظهور طبقتين مختلفتين في اللغة، مثل الاختلاف بين القرآن والشعر القديم وبين الأدب الحديث على العموم، هذا إلى

(١) مترجمة من الألمانية خلا عن كتاب « تاريخ الأدب العربي » المستشرق الألماني الكبير الأستاذ الدكتور « بروكلمان » .

ضرورة تعلم المسلمين من غير العرب لكتبتا اللامبجيتين . وأول ما اهتم به علماء العرب اللغويون من الدراسات في القرن الثاني من الهجرة ، هو ما وضعه أرسطو من أصول المنطق ، ونقل الى الثقافة الفارسية والسورية ، فجعل منها عماء العرب أساساً لصياغة الجلة العربية بمد أن تناولوها بالتوسيع والتهديب على نحو يستدعي الإعجاب الكبير . ولقد كانت الصعوبات التي يلاقيها المسلمون من غير العرب في المنطق العربي الصحيح من أهم الأسباب التي دفعت علماء اللغة الى البحث عن نشأة الأصوات اللغوية ، خصوصاً لحرصهم الزائد في المحافظة على قراءة القرآن على الوجه الصحيح ، كما فعل ذلك الهنود من قبل ، محافظة على القراءة الصحيحة لكتب « الفيدا » المفدسة . ولربما كانت أوجه الشبه التي بين طريقتي العرب والهنود في دراساتهم الصوتية مما يحتملنا على الاعتقاد بأنها لم تأت عرضاً وبطريق الصدفة ، بل إن هناك علاقة قوية تربط هذه بتلك ، خصوصاً أننا نعلم تمام العلم أن كثيراً من كتب القصص الهندية وغيرها من كتب الرياضة والطب كانت قد نقلت الى علماء العرب في العراق بطريق الفرس في القرن الثاني من الهجرة ، فلا يبعد كذلك أن يكون للشبه المذكور في العلوم اللغوية قد جاء أيضاً بطريق الاستعارة .

ولقد اهتم علماء العرب كذلك كثيراً بجمع الألفاظ العربية ، مما حملهم على التعمق في الدراسات القديمة الخاصة بأحوال معيشة البدو وطبيعة بلادهم ، وذلك لعلمهم أن هذه الدراسات القديمة لا غنى عنها في تفهم الشعر العربي وما يوحى به أو يشير اليه ، فنشطت على أثر ذلك الحياة الفكرية الخيالية التي هي أصدق شاهد على علو حضارة هذا العصر . وفي هذه الناحية كانت تلتقي أعمال اللغويين بمجهودات المؤرخين في الأدب العربي ، كما نرى اليوم اتحاد هذين العلمين غالباً في الأبحاث العلمية الحديثة . اهتم جليل الأول من علماء العرب اللغويين كما أسلفنا يجمع المبررات اللغوية وتفسيرها . وأشهر علماء هذه الطبقة ثلاثة هم : عيسى الثقفي المتوفى عام ١٤٩ هـ وأبو عمرو

ابن العملاء المتوفى عام ١٥٤ هـ وتلميذه يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ هـ، ولم يبق من أعمالهم شيء مذكور، إلا أننا يمكننا أن نستخلص مجهودهم العلمي من أعمال من أتى بعدهم من العلماء. ولم يقتصر أولهم عيسى النقي على جمع الألفاظ وتفسيرها كمعاصريه السابقين، بل إنه ترك ثراظا هرا في الأبحاث العلمية اللغوية والمحاولات النظرية.

نوجت أعمال هذا الجيل الأول بمؤلفات الخليل وتلميذه سيبويه، وأولها هو أول من أتم جمع الألفاظ العربية في معجم صغيم لم يبق منه إلا الآن سوى جزء يسير، وقد راعى في وضعه قواعد النطق الفيسيولوجية دون الترتيب المجاني المصطلح عليه للحروف الأبجدية، ووضع طريقته المترية (القياسية) المعروفة التي بها تمكن من تحديد حلاقة العلوم اللغوية. وله في علمي النحو والصرف جولات صادقة، فكان سيبويه يرجع إليه في كثير من أبحاثه اللغوية في كتابه المروف، وسيبويه، كما يتضح من اسمه فارسي الأصل والنشأة، قدم إلى البصرة وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وذهب إلى بغداد بعد أن أتم عومه، ولكنه ترك بلاط الخليفة على أثر خلاف وقع بينه وبين منافسه للغوى الكبير الكسائي، أدى فبا بعد إلى جدل علمي بعيد المدى، فماد إلى موطنه، وتوفى عقب ذلك بزمان قصير بجوار شيراز سنة ١٨١ هـ. ولقد وضع هذا المؤلف للغوى في كتابه المروف بناء قواعد اللغة العربية تماما لا ينقصه شيء، وم يجد من جاء بعده من العلماء اللغويين عناء كبير في زيادة شيء هام عليه، بل كادت تنحصر جهوداتهم في تحسين وضعه وتنسيق موضوعاته، أوفى تفسير جملة وزاداتها إنضاحا.

اكتفى علماء اللغة العربية في الجيل التالي بجمع مفرداتها وما أثرها القديمة، فبدلوا في ذلك مجهودا كبيرا، وأتوا بمصنوع وافر في هذه الناحية، دون أن يكون لهم أثر كبير في الأبحاث العلمية أو الدراسات اللغوية. وأول علماء هذا العهد هو الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ فقد جمع مفردات اللغة في عدة رسائل مرتبة حسب موضوعاتها، كما اهتم تلميذه أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٢٣ هـ بجمع الأمثال والحكم

العربية ، وتمتد مجموعته أقدم ما عرف حتى الوقت الحاضر ، ووضع حاتم السجستاني المتوفى حوالي عام ٢٥٠هـ مؤلفاً في أخبار العمرين من المصور القديمة ، مع ذكر الأشعار التي عزاهما المتأخرون اليهم ، وهم تلميذه نلبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ بجمع الأخبار التاريخية ونماذج من الشعر والنثر القديم في كتابه الكامل ، وعاقى على كل منها بتعلقات لغوية . وآخر علماء هذه المدرسة المعروفين هو محمد بن دريد ، وكان أول ظهوره في بلاط كل من الحاكم الفارسي عبد الله بن ميكال وابنه اسماعيل ، ولم يلقأ الى الخليفة المقتدر ببغداد إلا بعد زوال دولتهما سنة ٣٠٨هـ . وتوفى ببغداد عام ٣٢١هـ ، ووضع في أول عهده معجماً كبيراً للغة العربية ، لم يأت نفذة عمالية تذكر لعدم تنسيقه الوضعي . ووضع مؤلفاً في الأنساب العربية ، بقصد إثبات اشتقاق أسماء القبائل العربية للدفاع عن اللغة ضد محاولات فرق الشعبية من الخلط من قدرها .

بدأت الدراسات اللغوية بالكوفة بعد بدءها بالبصرة بزمان قصير ، ولكننا للأسف لم يصلنا من مؤلفاتهم إلا النزر اليسير عن نشأة هذه الأبحاث وتطورها . ولقد كان لكتاب سيدييه من المنزلة العالية ما جعل آراء مدرسة البصرة المرجع الوحيد لعلماء العرب المتأخرين ، كما كان سبباً في وضع علماء الكوفة في المقام الأخير والتعقير بأبحاثهم اللغوية ونظرياتهم النحوية الى الوداء ، حيث إننا لا نعرف منها اليوم إلا ما جاء ذكره في الرسائل التي وضعا علماء البصرة في الرد على نظرياتهم .

ويتضح لنا من هذا الجدل العلمي أن علماء الكوفة كانوا يركنون في نظرياتهم الى ما يملسونه في الحياة العامة من مطالب لغوية أكثر من منافعهم من علماء البصرة الذين أحكموا بناء قواعد اللغة في النحو والصرف دون أن يكون لمشاعر الحياة اليومية أي أثر في تعاليمهم ، ولذلك نجد أقدم رسائل علماء الكوفة تبحث في الغلطات اللغوية التي تقع فيها عامة الشعب . ومؤلف هذه الرسالة زعيمهم الكسائي ، وهو فارسي الأصل ، وطلب العلم في الكوفة على الرؤاسي ، وفي البصرة على الخليل ، ثم تولى تربية أولاد هارون ، وتوفى في « ربيعويه » بالري عام ١٨٩هـ .

وحذا حذوه من بعد ابن السكيت المتوفى سنة ٢٣٤ هـ في كتابه في تحسين اللغة،
وثلعب المتوفى سنة ٢٩١ هـ في كتابه في تعليم الكلام الجيد. واشتهر ثعلب كذلك بإخراجه
بعض الأشعار العربية القديمة، ووضع أقدم رسالة لنا في نقد الشعر لم تخرج عن آراء
عامّة، وملاحظات على الشعر القديم. واهتم من بعده تلميذه محمد الأنباري للمتوفى
سنة ٣٣٧ هـ بجمع الألفاظ العربية المتضادة المعاني؛ وهذه كثيرة في اللغة العربية بقدر
غناها في الألفاظ. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تركيبها من لهجات مختلفة، خصوصا
أن علماء العرب كثيرا ما كانوا يستخدمون مثل هذه الألفاظ في عباراتهم.

بدأ النزاع بين المدرستين: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، يختلف في القرن
الثالث من الهجرة، وكان قد بلغ شدة في القرن الثاني، حيث أخذ شكل الحزبات
والعداء الشخصي بين المتنافسين، وأخذت بغداد تحل محل البصرة والكوفة من ناحية
تركيز الدراسات والأبحاث العلمية، فقد اجتمع حول بلاط الخليفة نفر غير قليل
من العلماء الذين اهتموا بتوحيد كلهم والأخذ بالأصلح من نظريات المدرستين
السابقتين، نابذين كل الأفكار العدائية التي قامت زمنا طويلا بينهما. ولقد كان
لمدرسة البصرة النصيب الأكبر في هذا الاتحاد، لا اعتدال آرائها ودقة تعليمها،
ولو أن معظم علماء هذا المهد كانوا يبدلون غاية جهدهم في جعل أبحاث العلماء الأولين
تتفق مع أغراض الحياة العملية ومطالبها، فلم يقتصر اهتمامهم على التسيطر على أساليب
اللغة العربية الدقيقة، بل كانوا يدرسون أهم الأشعار العربية وتفسيرها بما يطابق
لأحوال العربية القديمة، ويجهدون في جعل ذلك كله في متناول رجال البلاط،
والإدارة الحكومية، مما أدخل على الأسلوب الدواويني الفاتر (العقيم) كثيرا من
تحسينات البلاغة اللفظية.

وأول من هم بوضع المؤلفات الخاصة بتحسين لغة رجال الإدارة الحكومية
من علماء هذا المهد هو عبد الله بن قتيبة، ويرجع أصله إلى مدينة (مرو) وأسندت

اليه وظيفة قاض بمدينة (دينور) ثم اشتغل بالتدريس ببغداد الى أن توفي بها سنة ٢٧٦هـ. وأهم مؤلفاته موسوعة في الأدبيات تقع في عشرة أجزاء، وتشمل موضوعات قيمة في سياسة الدولة وأنساب الأشراف، وفي الأخلاق والعلوم والتبطل والصداقة والرجاء والأطمعة والنساء، وكان يعلق على هذه الموضوعات بكثير من الأحاديث النبوية وأمثلة من التاريخ والأشعار القديمة، وإحاطا بهذا السفر الكبير وضع كتابا في التاريخ استهله بيده الخليفة، ثم أتى على قصص البطارقة الى أن تدرج في أنساب العرب، ثم تبع ذلك بالسيرة النبوية وتاريخ آل النبي والصحابة، وختمه ببيان عن الخلفاء حتى عصره وعن مشاهير رجال الاسلام، وتاريخ ملوك جنوب بلاد العرب وبلاد العرس، ولم يقصد المؤلف بوضعه هذا الكتاب تدوين التاريخ لذاته وإنما قصد وضع توفيت يفتنح به رجال الأدب على اختلاف اتجاهاتهم في أعمالهم العارضة، كما عالج فيه الناحية اللغوية بأسلوب خاص لأعمال الإدارة الحكومية، ووضع كذلك كتابا آخر في دراسة الشعر، يبحث في طبقات الشعراء مراعيًا فيه الترتيب حسب الموضوعات الشعرية، مع تفسير جميع العوامل المؤثرة في الشعر القديم، ووضع علاوة على مؤلفاته اللغوية رسالتين همتين في العلوم الدينية، يفند فيهما نقد الفلاسفة الموجه لى ما زعموا من تناقض في القرآن والحديث الشريف، وقد كان موفقا كل التوفيق في آرائه التفسيرية التي جاءت في هذين الكتابين.

وأما معاصره أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ فإنه لم يقل عنه في غزارة المادة وتعدد الموضوعات التي طرقها بحثا وتمحيصا، وأهم مؤلفاته كتاب في علم النبات، عالج فيه تربة بلاد العرب، وامتاز هذا الكتاب بالأسلوب الجليل، وبما به من أبحاث لغوية هامة، علاوة على الملاحظات الطليعية. وإنه لما يؤسف له حفا ضياع هذا الكتاب الذي لم يصلنا منه إلا بعض فقرات جاء ذكرها في مؤلفات المتأخرين، وبلى هذا الكتاب في الأهمية من مؤلفاته المتعددة كتاب القصص الطويلة، وهو كتاب

في التاريخ لم يقصد المؤلف أن يتمشى فيه مع الحوادث العلمية الهامة ، وإنما أراد تفصيل بعض المواضيع التاريخية وسردها بأسهاب ، ويبتدىء هذا الكتاب بالتاريخ القديم ، وما يدور حول الاسكندر والفرس من أحاديث وروايات ، ذاكرة أخبار الساسانيين على الأخص بالتفصيل ، وخص موقعة القادسية من تاريخ الغزوات العربية بالذكر . ثم يلي ذلك تاريخ المنازعات التي قامت بين علي ومعاوية والخوارج ، كما فصل واقعة مقتل الحسين تفصيلاً ، وكذلك ثورات الأزرقيين والختماء في عصر الأمويين ، وختم كتابه بتاريخ مقتضب للخلفاء من عبد الملك إلى الخليفة المعتصم ، مع الوصف الدقيق لروال دولة الأمويين وفتن العلويين في خراسان . « يتبع »

صفات الأخوان

كتب العباس بن جرير إلى الحسن بن علي :

اربع الاخاء أبا محم	سد الذي يصفو ومنه
وإذا رأيت منافسا	في نيل مكرمة فكنه
إني الصديق هو الذي	يرعاك حيث تغيب عنه
فإذا كشفت إخاءه	أحدث ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا	« ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسمى له	كحرما وإن لم تمنعه

وقال عمر أمير المؤمنين : يثبت لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

وقال رجل لطيم بن إياس : جئتك حائبا مودتك ، فقال له . قد زوجتك على شرط أن تحمل صداقها أن لا أسمع في مقالة الناس .

وقال شاعر :

إن كنت تبغى المرء أو أصله	وشاهدا يخبر عن غالب
فاعتبر الأرض باسمائها	واعتبر الصاحب بالصاحب

اسرار التشريع الاسلامي

نحدثنا فيما سبق الى القراء عن شروط الوقف ، فعمود الى إيضاح ذلك بما يتسع له المقام :

من المسلم به فقهيا وقضاء أن العين للموقوفة حين تستغرقها ديون الغرماء لا يقع وقفها صحيحا إلا إذا أجازها الغرماء . فإذا انطلقوا الى مسحة التقاضى وطلبوا من قاضى الموضوع نقض هذا الوقف كان على القاضى أن ينقضه .

ومعلوم أن مذهب الامام أبي حنيفة لا يرى صحة الوقف ولا لزومه ، وأن مذهب الصاحبين هو الذى يرى الصحة وال لزوم . فالسلاطين والحكام حين منعوا القضاة فى عصر المولى أبى السمود من الحكم بلزوم الوقف وصحته إنما عدلوا عن مذهب الصاحبين الى مذهب الامام أبى حنيفة الذى لا يرى انتقاد الوقف على تلك الصورة جريا على قاعدة تخصص القضاة ومنهم من الحكم فى حادثة معينة برأى ولو كان راجعا ، وأمرهم بالحكم فيها برأى آخر ولو كان مرجوحا مسابرة لمقتضيات المصلحة العامة .

لكن هذا التخصص الذى سبق به السمل فى بعض الأزمان الخوالى لم يرد عنه نص فى قوانين مما كتبت الشرعية الراهنة منذ تأسست المحاكم . فالقضاة مقيدون بالقول الراجع فى مذهب أبى حنيفة حين يقف مدبى غير مريض وغير مجبور عليه . فهم ممنوعون من الحكم بعدم لزوم الوقف إذا صدر من مدبى غير مجبور عليه . من أجل ذلك قامت قىامة القضاة الشرعيين فى أنحاء الدوائر المختلفة حين كثرت الشكايات من جانب الغرماء وتجاءبت شكايتهم أصداء القضاء من هرب للدينين من أداء دينهم حين ينشئون وقفا فيصبح الوقف لازما و نافذ ، فطالبوا فى مذكرة وقفوها الى أولياء الكلمة فى وزارة الحفانية يقترحون فيها أن يصدر قانون بمنع لزوم

الوقف من الواقف المدين إذا اتضح أنه لا يملك عينا أخرى غير العين الموقوفة سدا للذرائع وأخذ للمسألة من أقرب وجوها وقضاء على فكرة التحايل التي تظهر عند الواقف في معرض الخير، وهي في واقع أمرها ظلم صارخ واعتداء شنيع .
وجلة القول في وقف المدين أنه إما أن يكون مجورا عليه أم لا، وفي هاتين الحالتين إما أن يقف في حال صحته أو يقف في حال مرضه مرض الموت، فالأحوال أربعة : ثلاث منها للفرما، فيها حق طلب نقض الوقف فيما شغل بالدين، وهي وقف المحجور عليه سواء كان في حال صحته أو مرضه، ووقف المدين غير المحجور عليه في مرض موته، والحالة الرابعة وهي وقف المدين غير المحجور عليه في حال صحته، وحكمها أنه ليس للفرما حق الاعتراض وطلب نقض الوقف لتعلق حقهم بدمية الواقف لا بماله، وهذا هو صريح للذهب .

وأفتى أبو السعود بنقض الوقف في هذه الحالة إذا طلب الفرما، محملا برأى أبي حنيفة الذي يرى عدم لزوم الوقف، وإن كان مرجوحا لضرورة المحافظة على مال الدين .

ورجح ابن عابدين أيضا هذا الرأي للضرورة .
عباس طه
الحامي الشرعي

سهمو الفطرة

قال كسرى أنوشروان ملك الفرس للميد وهو العالم عندهم : ما كان أفضل الأشياء ؟ فقال الميد : الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالأمثلة ، ومن العلم بالإشارة ، وكما يموت البذر في السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة .

فقال له كسرى : صدقت ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .

وقيل لاردشير : الأدب أغلب أم لطبيعة ؟ فقال : لا بد زيادة في العقل ، ومنبهة للرأي ، ومكبسة للصواب . والطبيعة ملك لأن بها الاعتقاد ، وبها الدراسة ، وتعام الغذاء .

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

في القرن السادس عشر كتب أحد المسلمين في بولونيا رسالة عنوانها «الاسلام في بولونيا» قدمها الى رستم باشا صهر السلطان سليمان ، والى كبار العلماء في تركيا ، وجه فيها اللوم واستحث المهم أن يتمهدوا جذوة الاسلام التي أخذ ستاها يضيء في تلك الأصفاع الثانية المتعطشة لقبول مبادئ الاسلام وتعاليمه القويمة ، ونبه الى أن عاقبة إهمال المسلمين البولونيين وانقطاع الصلة بينهم وبين العالم الاسلامي ستفضي عليهم وتذهب بريحهم ، واقترح لذلك أن يقدم المسلمون على بناء المساجد ، وإرسال البعثات التبشيرية لتعليم مسلمي بولونيا أصول الدين ، ومدتهم بالمؤلفات الدينية .

ومما شجعه على كتابة تلك الرسالة وإذعتها خصوصاً في الوقت الذي اشتد فيه عداؤه أغلب الدول الأوربية نحو الاسلام ، تسامح الحكومة البولونية وكرم رجالها ، لأنها لم تتدخل في شئون المسلمين ، بل كانت تكفل لهم الحرية الدينية والمدنية وتعاملهم كمعاملتها لأبناء الوطن الأصليين .

وقد بدأت الدعوة عن المسلمين البولونيين في الانتشار في جميع أنحاء العالم ، ولكن سوء الطالع قصى أن تقع بولونيا في أواخر القرن الثامن عشر في حروب عديدة قضت على استقلالها ، وانتهت بتقسيمها بين روسيا والنمسا والمانيا ، وكان من سوء الحظ أن تقع المنطقة التي يكثر فيها المسلمون تحت الحكم الروسي الذي اشتهر بعدائه للاسلام ، فأذاق المسلمين سوء العذاب ، وأضاع حقوقهم ، وازداد اضطهاد الروس للمسلمين ، فتناقص عددهم كثيراً وانقطعت صلتهم بالخارج ، واستمرت حالتهم تتطور من سيء الى أسوأ حتى سنة ١٩١٨ حين استقلت بولونيا ، فكان هذا التاريخ بداية عهد جديد للاسلام

في تلك البلاد عادت فيه الطمأنينة الى النفوس، وتحسنت حال المسلمين، وبدأت صلتهم بالخارج تزداد، فأرسلت بعثة دينية من خيرة شباب المسلمين في بولونيا الى الأزهر الشريف، وتبوءت الزيارات، فأناحت هذه الفرصة كتابة هذا الموضوع لتسجل فيه حالة الاسلام والمسلمين منذ بدأ الاسلام أن ينفذ الى بولونيا حتى العصر الحاضر.

انتشرت المبادئ الاسلامية في طول الأرض وعرضها بهمة رجال الاسلام العاملين، فوصلت الصين وأسبانيا والروسيا وأفريقيا، وما زالت تتسع وتنتشر حتى صمت دولاً كثيرة، ودخل الناس في الاسلام أفواجا، وصادفت الدعوة رواجاً عظيماً بين الشعوب التركية والتتارية التي عرفت فيما بعد بغيرتها على الاسلام ودفاعها عنه. وقد لعبت هذه الشعوب دوراً كبيراً في تاريخ الاسلام في بولونيا والروسيا.

كانت هذه الشعوب التركية والتتارية تميل بطبيعتها الى الفتح والغزو، فلما دخلت في الاسلام بقيت على نزعتها الحربية مضطرة بما تتوقعه من غارات جيرانها وتهديداتها إياها في أرضها، فاشتبكت في حروب كثيرة مع جيرانها من الدول الروسية والبولونية وغيرها، وكانت تنصر تارة وتهزم تارة أخرى، ولكن هذا الاحتكاك بين الأتراك والشعوب الشمالية أدى الى نقذ بعض المسلمين الى بولونيا واستوطنوا بها. هذا وفي عام ١٣٩٧ ميلادية انتصر الملك فيتولت (أحد ملوك مقاطعات شمال شرق بولونيا) على بعض لدول التتارية، وأسر بعض المسلمين الذين سقروا في البلاد محتفظين بمبادئهم الدينية وتقاليدهم الاسلامية، فكفوا بذلك حالية إسلامية صغيرة بالقرب من مدينة فيلنو أصبحت نواة الاسلام في بولونيا. وقد امتازت الشعوب التتارية بشجاعة أفرادهم ومهارتهم الحربية، إذ كان من عاداتهم التغنى بالفروسية والغفر بالانصراف أو الموت في ساحات القتال دفاعاً عن الدين ولوطن. هذه الطبيعة متأصلة في نفوسهم من القدم، ولم يشنوا غارة إلا انتصروا، وإذا انضمت القبائل التتارية الى فريق من المتحاربين فقد رجعت كفة القتال في صفهم. لهذا كثيراً ما كانت بولونيا تلجأ الى التحالف مع بعض

ملوكهم ليمدوها بالمال والرجال أثناء حروبها مع الدول المعادية . وقد حدث في عام ١٤١٠ ميلادية أن قامت فرقة تنارية مكونة من بضعة آلاف من المسلمين تحت قيادة الأمير جلال الدين (أمير أحد الولايات الاسلامية الواقعة على ضفاف نهر العليجا) لمساعدة بولونيا ضد بروسيا ، واستطاعت بولونيا بذلك أن تحوز النصر في موقعة جرونوالد ، ثم رجع الأمير الى بلاده . وفي عام ١٤٣٢ ميلادية عقدت معاهدة بين بولونيا والأمير أحمد والى كيدشاك (الواقعة في شمال بحر القزوين) على أن يقوم هذا الأخير بمساعدة بولونيا ومدها بالرجال الفرسان نظير ما تقدم له من مال واميازات لرعاية المسلمين في بلاده .

استقر عدد كبير من الجنود والمهاجرين من التتار في بولونيا ، ولم تكن الحكومة تعارض في ذلك ، بل كانت تعمل دائماً على تشجيع إقامتهم في البلاد ، فسماحت لهم سبل الإقامة ، وسوّت بينهم وبين أهل البلاد في الحقوق والواجبات ، ولم تتدخل في مسائلهم الدينية ، كما أنها سمحت لهم بالزواج من البولونيات غير المسلمات ، وتركزت لذويتهم الحرية في اختيار ما يشاءون من الأديان ، ولم تكن عنايتهم بهم تقل عن عنايتها ببناء الوطن الأصليين ، ومنحتهم فوق ذلك أراضي كثيرة صالحة للزراعة في الشمال الشرقي من بولونيا أصبحت فيما بعد مقر الاسلام والمسلمين ، ولما كانت مدينة فيلنو أهم مدن هذه المقاطعة أو قل إنها عاصمة تلك الجهة ، أصبحت هذه المدينة عاصمة الاسلام ومقر المسلمين ، ولم ينقد هؤلاء القوم شجاعتهم وإقدامهم وحبهم للحرب والقتال ، واستفادت بولونيا من هذه الصفات ، فهيأت لهم أن يكونوا فرقاً خاصة في الجيش ، وتمتاز هذه الفرق بزي خاص وإشارات خاصة ، أخص ما فيها هذا الهلال الذي يعلن عن الاسلام ، وقد بلغ عدد هذه الفرق في عام ١٤٣٢ من أربع إلى ست فرق ، بينما بلغ عددها في عام ١٦٥٤ سبع فرق ، وقد لعبت هذه الفرق دوراً هاماً مجيداً في الدفاع عن حدود بولونيا الشرقية ضد غارات الروس ، وقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً في هذه الحروب لاسيما الحرب التي وقعت بين عام ١٥٠٨ وعام ١٥١١

أشار المسلم البولوني في رسالته إلى رستم باشا أن حالة المسلمين طيبة، وأن ما بها من المساجد كذلك، وأنه يوجد عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وأن معظم الكتب الدينية والتفاسير مكتوبة بأحرف عربية ولكن ألفاظها بولونية. وفي وصفه لحالة المسلمين لاجتماعية قال: إن مستوى معيشتهم مرتفع إذا قيس بمستوى معيشة المسلمين في روسيا وغيرها من الدول المسيحية. هذا من الوجهة المادية، أما من الوجهة العلمية والثقافية فيندر بينهم من لا يجيد الكتابة والقراءة. ثم إن كفاءتهم في فن الترجمة ودراسة اللغات الأجنبية أصبحت لهم مجالاً للاشتغال في السفارات خصوصاً في البلاد الشرقية. واختتمت الرسالة بدعوة عامة لجميع المسلمين المحافظة على تلك الجدوة من نور الاسلام، والعمل على إذكائها وتنميتها.

أثرت هذه الرسالة في نفس رستم باشا، وأوجدت في لجو التركي ميلاً شديداً وانعطافاً نحو مسلمي بولونيا، ومن ثم بدأت صلتهم بالتطويع، وكثرت البادلات والمراسلات، وانتهالت عنهم الرسائل والمؤلفات الدينية من كل حذب وصوب، فحسنت حالهم كثيراً، وكثر عددهم حتى تراوح ما بين ١٣ و ١٤ ألف نفس في القرن السابع عشر، ولم يكن الاتصال قاصر على الأمم لاسلامية المجاورة مثل تركيا والقرم، بل تعداها إلى الشام والعراق ومصر، وزادت معرفتهم بالاسلام.

بقيت الرسالة المقدمة الى رستم باشا المصدر الوحيد عن حالة الاسلام في بولونيا الى أن جمع الله بين موسى كاد هودي أحد المسلمين البولونيين وبيتشي المؤرخ التركي الشهير، فوجه هذا الأخير عدة أسئلة الى موسى كاد هودي يستفسر فيها عن حالة الاسلام في بولونيا، وأبدى رغبته الشديدة في الكتابة عن هذا الموضوع فلم يتأخر موسى كاد هودي عن مده بالمعلومات الكافية، وقد خصص هذا المؤرخ التركي لهذا الموضوع بعض الفصول في الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ » وقد تناول بحمته وصفاً مسهباً عن حالة الاسلام والمسلمين في بولونيا ومستواهم الخلق والعلم والأدب،

وعن طهارة روحهم الاسلامية وتمسكهم بأصول الدين واتباعهم لمذهب أبي حنيفة ،
ورجعهم في حال خلافاتهم الدينية الى علماء كرماء وغيرها من البلاد الاسلامية
المجاورة

تلك هي حالة مسلمي بولونيا حتى القرن الثامن عشر عند ما انقسمت بولونيا الى
ثلاثة أقسام بين روسيا والنمسا والمانيا . « يتبع »
على اسماعيل فوروفتش ، محمد سيد الخوى

ضم الغيبة

قال الله تعالى : « ولا يغتب بمصك بعضا أيح أحكم أن يا كل لم أخيه ميتا » ؟
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قلت في الرجل ما فيه فقد اغتبته ، وإذا قلت
ما ليس فيه فقد بهته » في هذا رد عن الذين يقولون : لنا لا نذكر فلانا إلا بما فيه فلا إثم علينا .
مر محمد بن سيرين المحدث المشهور بقوم فقام اليه رجل منهم فقال : أبا بكر إنا قد لنا
ملك خلقت . فقال إني لأحل ما حرم الله .

وكان رقية بن مصقلة جالس مع أصحابه فذكروا رجلا بشيء ، فطلع ذلك الرجل ، فقال
بعض أصحاب مصقلة : ألا أخبره بما قلنا فيه لتلا يكون غيبة . قال أخبره حتى يكون بحيمة .
واغتتاب رجل رجلا عند فتية بن مسلم ، فقال له : أمسك عليك أيها الرجل فوالله لقد تعطلت
بمصفة طالما لفظتها الكرام .

قال محمد بن مسلم الطائفي : جاء رجل الى ابن سيرين فقال له : بلغني أنك قلت مني . فقال
له : تقسى أعز من ذلك .

وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغني أنك تقع في حال أنت إذن على أكرم من تقسى .
وعاب رجل رجلا عند بعض الفضلاء فقال له : قد استندت على كثرة عيوبك بما تكثر
من عيوب الناس ، لأن طالب العيوب إنما يطالبها بقدر ما فيه منها .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس البشرية

أسلفنا في بحوثنا السابقة أن أولى القوى التي تظهر في الإنسان وتكون من مقوماته هي القوة التي يشتاق بها إلى الغذاء ، وهي تعرض له في أولى مراحل الحياة لا تفتأ تستحدث من الحوافز والدوافع لديه ما ينهض بالآلاته وأسبابه أن يهمل إلى ما في متناوله ، إبقاء على نفسه وحرصا عليها من الضياع ، فيتحرك مثلا بطبيعته إلى اللبن بتمسه من ثدي أمه الذي ألهم به من غير تعليم ولا توقيف ، فيحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت المتهدج الذي يدل به على اللذة أحيانا وعلى لأذى أحيانا . ثم تزايد فيه هذه القوة وينشوق بها أبدا إلى الازدياد والتصرف بها في أنواع الشهوات . ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له الشوق إلى الأفعال التي تحصل له هذه . ثم يحدث له من الحواس قدرة على تحمیل الأمور ورسم معانيها . فيرسم في قوته الخيالية صورا ومقادير وكمادا بتشوق إليها ويسمو إلى التزود منها . ثم تبرز فيه القوة الغضبية التي يشتاق بها إلى اتقاء ما يؤذي ومقاومة ما يصده عن انتفاعه بها ، فإن أطلق بنفسه أن ينتقم بواسطة شهوته الغضبية من مؤذياته تغلب عليها وإلا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء . ثم يحدث له في خاتمة مراحل الشوق إلى تمييز الأفعال الانسانية بنوع خاص أولا فأولا حتى يصير في كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا .

وتلك القوى كثيرة متآخدة الأسباب والعلل بعضها ضروري في وجود الأخرى وبعضها متصل ببعض الآخر إلى أن ينتهي إلى الغاية الأخيرة وهي التي لا تتراد لغاية أخرى وهي الخير المطلق الذي يتطلبه الإنسان من حيث كونه إنسانا .

وتلك المراتب التي حددناها بتلك الرسوم إنما هي خاصة من خواص الأحداث الصبية . والأحداث الصبية كما قال جالينوس : نواة هذا المجتمع الذي تقوم عليه نواميس

الوجود. فالإناس في أدوار وجودهم لا بد أن يجتازوا أول دور من أدواره وهو عهد الحداثة والصبا. فذلك العهد هو مغرس الفضائل أو عش الرذائل، وهو مثبت السوء أو منبع الحكمة والنور، وهو الشيء. أو يقيضه بالقياس إلى ما بذل في سبيل تأديبه من تعاليم، وما ركز فيه من خلق كريم.

فأول ما يحدث في الصبي من هذه القوة الحياء، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح من جانبه. ولذلك يقول أرسطو: إن أول ما ينبغي أن ينفرس في الصبي ويستدل به على عقله حياء، فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح، وهو مع إحساسه بالقبيح يفرق منه ويتجنبه ويحذر أن يظهر عليه أو يبدو له فيه أثر. فإذا نظر إلى الصبي فوجد مستحميا مطرقا بطرفه إلى الأرض غير وقح الوجه ولا يحرق إلى محاذيه، كان من أبرز الأدلة على نجابته وسلامة ذوقه وسعة عقله. وكان شاهد عدل على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح، وعرفت الفرق بينهما، فرضيت أن تمتدق الجميل مذهباً، وأن تتنكب القبيح لها مسلماً، وأيقنت بالفرق العظيم بينهما وأيهما يجب أن يفعل وأيهما يجب أن يهمل، وتلك النفس التي يحملها بالمرء، دليل على صلاحيته للتأديب وتبقى مبادئ التهذيب، فالأخلق بمنزل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب للكرامة، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال وبزوم سننه ووظائفه. هذه النفس التي يحملها الأحداث والعصبة بين جوانبهم يجب أن تمرن في أولى مراحلها على الحذر من الأثرار وغالصة الأختيار، وتجنب ما من شأنه أن يورث في النفوس زهواً أو يحدث غروراً ومرحاً، أو ينشئ إمعاناً في اللتاع وأثرة فيما يضر وفيما يتفع، حتى تنساق سنن الوجود وتلاق أسبابه وتنعدم تلك الفوارق التي ما بقيت في أمة إلا كانت سبيل حنفيها.

أما آراء الأخلاقيين فيما يجب أن يكون عليه العصبية والأحداث من أخلاق وما تنأثر به نفوسهم من أعراض هذه الحياة، وما جد من خلاف بين بعض الأخلاقيين من المتأخرين وبين المتقدمين منهم، فوعدنا بالكشف عن ذلك العدد التالي إن شاء الله.

عيسى ط

التربية في المدارس الألمانية والانجليزية

توجد أحوال يعرفها الأكفاء والمربون لا تغنى عنها جميع وسائل التربية من زجر وتأنيب وحبس وحرمان من الدرس أياما وأسابيع الخ ، بل قد يزداد التنفيذ قحة وبلادة ويكون مثل سوء لغيره . هذه المشكلة قد حلها الانجليز والألمان فابقوا على عقوبة الضرب في المدارس . أمانا الآن كتاب لحضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى الذى كان مستشارا بحكمة الاستئناف ، دناه (الترييب) ألم فى بعض محوثة بهذه المسألة . ونحن بلخص ما جاء به منها : من النظام المدرسى استعمال عصية من الخيزران فى عقاب التلاميذ ، ولكن توضع هذه العقوبة مقيد بتوافر أحوال تحوز للعمم الحق فى التجاراة بها ، وهذه الأحوال هى : الكذب ، والاصرار على التمرد ، والسكسل ، والفاحشة ، والحرب .

وليس المعلم مطلق اليد فى اختيار العصية التى يصرب بها ، ولا فى عدد الضربات ، ولكن المدرسة هى التى تعطى للمعلم تلك العصية وتحدد له عدد الضربات من ثلاث الى ست . ولا يوقع العقاب أمام التلاميذ حفظا لكرامة المذهب . ويحضر هذا العقاب مدرس ثان ومدير المدرسة .

والضرب مستعمل فى مدرس انجلترا . ولا يثير الضرب سخط التلاميذ لأنهم يعتبرونه جزاء وفاقا لبعض الذنوب . ومتى تم توقيع الجزاء تصافح التلميذ والمؤدب وقد يكون الطالب موضع هزؤ وسخرية عند بقية الطلبة بل مرعبا بالجنين وقلة الحياء إن هو وحده على مؤدبه ، ويصيح جميع إخوانه ماغرين منه إن أبى العقوبة أو تحملها مكرها .

وقد حيد صاحب كتاب اعراق باريس مذهب الانجليز فى استخدام العصا لمتحدى التلاميذ ، واستدل على نفعها بخصب انجلترا فى اتباع الرجال الأقوياء الأحرار . فالرجال الكبار (بت) و (فكس) و (اكسيل) و (غلادستون) ذاقوا طعم هذه العقوبة . قال : ولا يكر أحد أن انجلترا كانت فى كل أدوارها بعيدة عن نقيصة العبودية للأقوياء . ولا ينكر أنها أنجحت رجالا عظاما .

الترييب

هذا الكتاب الذى لخصنا منه الكلمات المتقدمة يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة ، مطبوع أجمل طبع على أجود ورق ، أما موضوعه فاحص المواضع بالحياة الاجتماعية وهى التربية . وقد سلك فيها مؤلفه حضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى مسلك رب الأسرة اليقظ الحصيف ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بتقويم الأخلاق وتربية الملاكات ، وتربيته

العائز الكريمة في الأطفال إلا أحصاها على ما تنص عليه أقوم مذاهب التربية ، ولكن الصفة المميزة لهذا الكتاب هي أنه موضوع للحياة المصرية ومراعى فيه عاداتها وتقاليدها ، وما طرأ على تلك التقاليد والعادات من التغير . فدور أطوار هذا التجول دراسة الخبير بنفسية الناس ، وعالجها علاج المطلع على وسع النفوس ولما قتها كل ذلك في لهجة عربية صحيحة وبين حلا

فان لاحظنا عليه شيئاً فهو استعماله لألفاظ غريبة أحياناً ولكنها ألفاظ عربية فصيحة ، وهو يتدرك القارئ بشرحها في أذيال الصحف . وقد ختمه بفهرس للأعلام هو وحده جامع لثراهم أشهر الرجال والمؤلفين والحكام . وفق الله مؤلفه الكريم لا تحاف أبناء هذه اللغة بأمثاله ، وحزاه عن عمله خير ما يجزى به المصنفين .

أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم

هذا اسم كتاب يقع في نحو ٣٦٠ صفحة نشره الأستاذ (ح هبورث . دن) المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن . ساعده على نشره أوصياء ذكرى (١ . ج . و . جب) وهو مقتبس من كتاب الأوراق لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي .

إن مجرد ذكر مؤلف هذا الكتاب وهو الصولي ينشئ عن تقريظه ، فهو صفحة من الأدب العربي كانت مطوية فنشرت ، سيجد مطالعوها من مكونات الشعر الأرسطو قراطي ما لا يمكن العثور عليه مجموا في غير هذا الكتاب . وهي عناية عظيمة من حضرة الأستاذ (ح هبورث دن) لشكره عليها كل الشكر ، ونرجو لكتابه ما هو خلاق به من الذبوع والانتشار . وقد أهداه لصاحب العرة طه حسين بك أستاذ الأدب بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

الفتح الرباني

تم طبع الجزء الرابع من كتاب (الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني) تأليف حضرة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن الساعاتي . وعنوانه عطفة الرسام رقم ٩ بالقرية بالقاهرة .

حياة الخليل إبراهيم

هي سلسلة محاضرات ألقاها حضرة الروجيه مصطفى افندي محمد الراعي تتضمن ترجمة حياة رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام يقع في مائة وسنين صفحة لم يترك شارده من تاريخ

أبي الأنبياء إلا أوردناه، فهو أحمر رسالة لسيرة هذا النبي الكريم . جزى الله مؤلفه خير الجزاء ،
وأثابه على ضلعه بما هو به خليق .

منهج الادب العربي الحديث

هو كتيب يقع في مائة صفحة لحضرة مؤلفه الفاضل الاستاذ المربي محمد رزق الدهشان
المدرس بالمدارس الثانوية . وضعه طباقاً لآخر مقررته وزارة المعارف للسنة الثالثة الثانوية
من منهج الادب العربي ، وهو يتناول تعريف الادب وتاريخه في المصور المختلفة : العصر
الجاهلي والعصر الاسلامي . والعصر العباسي . وعصر المائليك . وعصر الدولة العثمانية .
والنهضة الحديثة . أتى المؤلف على تاريخ الادب في هذه المصور بإيجاز غير مخل بحيث يلم قارئه
في جلسة واحدة يطالع فيها هذا الكتيب بذلك عن الادب يعجز أن يخرج بمنهها
بعد دراسات طويلة ، ومكابدات شاقة . فنشكره على هذا العمل الجليل راجين له دوام التوفيق .

جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة

بشارع المسكة نازلي بدار جمعية الشبان المسلمين

ستمعد الجمعية الامتحان السنوي في حفظ القرآن الكريم وتجويده في يوم السبت
١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ (١٥ أغسطس سنة ١٩٣٦) وآخر موعد للطابات ٢٠ يولييه
بجمعية الشبان المسلمين — بالشروط الآتية :

- ١ — لا يجوز أن تكون من الطالب زائدة عن ١٤ سنة لغاية أول أغسطس بموجب شهادة رسمية
 - ٢ — لا يجوز أن يكون من أخذوا مكافآت مالية في مسابقات السنين الماضية .
 - ٣ — سيعطى للعشرين الاول من الفائزين مكافآت مالية أرقاها ستة جنيهات .
- رئيس الجمعية : علي حسن احمد

الى حضرات المشترين

نرجو كل مشترك أن يتفضل بذكر رقم اشتراكه الموجود فوق عنوانه في كل كتاب
يرسله الينا حتى يسوغ لقم الكتاب أن يوافوه بمطابقه يوم وصول كتابه . أما إغفال هذا الرقم
فيقتضى الى تأخير جوابه تأخيراً غير مقصود . لأن البحث عن اسمه بالسجلات يقتضى إنفاق
وقت ليس بالقليل ثم أحوج اليه لانجاز أعمال أخرى .

man in whose face the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) sprayed water from his mouth, Mahmūd was then a boy, and the water was taken from a well belonging to his family."

"Urwāh related through Al-Miswar and another witness (1), who confirmed each other's narration "...and when the Prophet (Allāh bless him and give him peace) performed his wudu', the Faithful, nearly fought one another for the water left over from his wudu'."

3. We are informed by Abdu-r-Rahmān b. Yūnus, who had it from Hātim b. Ismā'il, through Al-Ja'd, who heard As-Sā'ib b. Yazid say:

"My maternal aunt once took me to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and said: 'O Messenger of Allāh, my nephew is a ling' (2). The prophet then stroked my head, and cald down a blessing upon me. After that he performed his wudu', and I drank of the water left over. I then stood up behind him, and observed the seal of prophethood between his shoulders, like a partridge's egg. (3)"

اللى نَحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وجهه وهو غلام من شيم
وقال عروة عن المستور وغيره
بصدق كل واحد منهما صاحبه
وأذا توضأ النبي صلى الله عليه
وسلم كبداوا يقتلون على وضوئه.

٣ - حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال
حدثنا حاتم بن إسماعيل عن الجعد قال
سمعت السائب بن يزيد يقول:

ذهبَت في خالتي إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن
ابن أختي وجميع. فسَحَّ رأسِي
وَدَعَا لي بالبركة، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ
مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ حَلَفَ
ظَهْرِهِ فَظَرَنْتُ إِلَى حَاظِرِ الشَّوْءِ
بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِشَلٌ زُرَّ الْحَبْلَةُ.

(1) Marwān b. A-Hakan

(2) Or وَقْع having sore feet from walking barefoot on rough ground.

(3) Or — like a button used in upholstery, since *حبل* may have the meaning of an upholstered bower. The rendering "partridge's egg" is borne out by the parallel version in Muslim, where بَيْضَةُ الحمامة (pigeon's egg) is given. Other versions give فُلَّاحَة (apple) and بندق (nut).

As regards "the seal of prophethood", according to Abu Nu'aim's "Ad Dalā'il", when the Prophet was born, he was immersed by the Angel three times in a miraculous spring, whereupon there appeared a seal wrapped in white silk, with which the Angel stamped his shoulder, the shape of the mark left being similar to that of an egg, apple, nut or fig. It is also stated that the Prophet was born with it. The seal was a visible proof of the Prophet's mission as foretold in the sacred books. Also he is spoken of in the Qur'ān as the "Seal of the Prophets", there being no prophet after him.

and on Jarir b. 'Abdullāh's injunction to his wife to use for her wudū' the water left over after he had dipped his tooth-stick in it.

1. We are informed by Adam, who had it from Shurbah, who received it from Al-Hakam, who heard Abu Jubaifah say :

"The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once came out to us in the noonday heat. He was brought water and performed his wudū'. Then the Faithful proceeded to take some of the water left over from his wudū', and to rub themselves with it. Afterwards the Prophet (Allāh bless him and give him peace) performed the noon-prayer and the afternoon-prayer with two rak'ahs each, having an iron-tipped staff stuck in the ground in front of him."

Abu Mūsa said : "The Prophet (Allāh bless him and give him peace) sent for a bowl of water, in which he washed his hands and face, and then rinsing his mouth and ejecting the water into the bowl, he said to his two companions (1) : 'Drink from this water and pour it over your faces and throats.'"

2. We are informed by 'Alī b. 'Abdullāh, who had it from Yaqūb b. Ibrāhīm b. Sa'ad, who received it from his father through Sāhib, through Ibn Shihāb, who said :

"I was told a hadīth (2) by Mah-mūd b. Ar-Rabi' - who was the very

وَأَمَرَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ
يَتَوَضَّعُوا بِمَاءٍ صَلَّيَ سِوَاكَهِ .

١ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال :
حدثنا النخعي قال سمعت أبا جوفيه
يقول .

« خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّهَارِ حَرًّا ، فَأَتَى بِوَضُوءٍ
فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ
مِنْ قُضْبِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ
بِهِ ، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الطَّهْرَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ
رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عِزَّةٌ » .

وقال أبو موسى : « The Prophet
عليه وسلم بَقَّحَ فِيهِ مَاءً ، وَفَعَلَ
بِيَدَيْهِ وَوَجْهِهِ فِيهِ تَوَجَّجَ فِيهِ ثُمَّ
قَالَ لَهُمَا اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَنِّي
وَجْوهُكُمَا وَخُذُوا كُنْهَ » .

٢ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا
يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثنا أبي
عن صالح عن ابن شهاب قال :

أخبرني محمود بن الربيع قال وهو

(1) i.e. Abu Mūsa and Bilāl.

(2) Namely, the hadīth cited in the Book of Knowledge "I remember of the Prophet how he sprayed my face through his mouth with water taken from a bucket, when I was five years old."

We are informed by Mûsa, who had it from Wubaih, through 'Amr, through his father, who said

"I was present when 'Amr b. Abu Hasan asked 'Abdullâh b. Zaid about the wudû' as performed by the Prophet (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water and performed the wudû' for them just as the prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform it. He poured some water out of the vessel on to his hand and washed both hands three times. (1) After that he immersed his hand in the vessel, and with three scoops he rinsed his mouth, snuffed water up his nostrils and ejected it. (2) He further immersed his hand and washed his face three times, after which he washed his hands twice as far as the elbows. Next he immersed his hand and stroked his head with both wet hands, passing them from front to back and from back to front once only. Finally he washed his feet as far as the ankles."

حدثنا موسى قال حدثنا وهيب عن عمرو عن أبيه

شهدت عمرو بن أبي حنيفة يسأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم. فدعانا بشور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، فأكفأ على يده من الشور فغسل يديه ثلاثاً، ثم أدخل يده في الشور فغسل واستنشق واستنثر ثلاث عراقيات، ثم أدخل يده فغسل وجهه ثلاثاً، ثم غمس يديه مرتين إلى المرفقين، ثم أدخل يده ومسح رأسه فأقبل بيها وأدبر مرة واحدة، ثم غسل رجلينه إلى الكعبين.

— ٤٠ —

CHAPTER 40

On the use of water left over (3) from other people's wudû' ;

بَابُ اسْتِعْمَالِ قُضَايِ وَضُوءِ النَّاسِ.

(1) i.e. he poured water in to the hollow of one hand with which he washed both hands, repeating the process three times. This made sure the ritual cleanness of the hand before its subsequent immersion into the vessel (Ibn Hajar).

(2) Al-Ash'ari states that Ash-Shâfi'i used to take three scoops for each process, while some doctors interpret the hadith as indicating three scoops for so b. Ash-Shâfi'i's practice, however, has become general.

(3) غسل الوضوء is not the water expended on the wudû' but the clean water left in the vessel after the completion of the wudû', with which washed hands have come in contact.

head, (1) and on the fact that when Mālik was asked whether it was sufficient to stroke a part of the head, he appealed to the hadith transmitted by 'Abdallāh b. Zaid. (2)

We are informed by 'Abdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through 'Amar b. Yahyā Al-Māzinī, through his father that -

A man once said to 'Abdullāh b. Zaid the grandfather of 'Amar b. Yahyā: "Canst thou show me how the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) used to perform his wudu?" 'Abdullāh b. Zaid replied in the affirmative and called for water, some of which he poured upon his hands washing them twice. He then rinsed his mouth and cleansed his nostrils, three times. After that he washed his face three times, and next each hand twice as far as the elbows. He then stroked his head with his wet hands, passing them from front to back and from back to front - that is to say, beginning at the front of his head and passing them as far as the nape of his neck, and then bringing them back to the place where he had started. Finally he washed his feet.

CHAPTER 39.

On the washing of the feet as far as the ankles

وَسُئِلَ مَالِكٌ أَيْخُزِي، أَنْ
يَمَسَّحَ نَحْصَ الرَّأْسِ؟ فَاحْتَجَّ
بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ
حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ بْنِ يَوْسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا
مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ
أَنْ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ
وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى أَتَسْتَطِيعُ
أَنْ تُرَبِّينِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ زَيْدٍ بَعْدَ مَا أَفْرَغَ عَلَى
يَدَيْهِ قَبَعَ سَلَّ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
مَضْمَضَ وَشَتَّ شَرَّ ثَلَاثًا ثُمَّ
غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ
مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ -
ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَفْسَلَ بِهِمَا
وَأَذْبَرَ - ثُمَّ بَعَضَ رَأْسَهُ حَتَّى
دَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَعْلِهِ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى
النَّسَكَمَانِ الَّتِي نَسَأَ مِنْهُ، ثُمَّ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ

— ٢٩ —

بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى
النَّكَعَيْنِ

(1) Al-Karmānī, commenting on Al-Bukhārī, considers that it is a woman's duty to pass her wet hands over the entire head, but Al-ʿazmī considers that this athar (نثر) does not bear out Al-Bukhārī's heading, but rather shows that a woman's equal duty with a man does not comprise more than the mere stroking of the head, and not necessarily the whole head.

(2) The controversy as to the whole or partial stroking of the head depends on the interpretation of the (ب) (ب) which some doctors take to be redundant and so to imply the whole of the head, while others take it to be partial (سهم) and so to imply partial stroking. (See Ibn Hajar)

same way - or nearly - (I (?) do not know which expression Asmā' used) as ye shall be tried in the days of the Antichrist.

They (?) shall come unto each one of you and say: 'What dost thou know of this man (?)?' As for the true believer - or the faithful man - (I do not know which expression Asmā' used), he shall say: 'It is Muhammad the Messenger of Allāh who came unto us with the proofs of his mission and with the true Guidance. We accepted his message and believed him and followed him.' It shall be said unto him: 'Sleep in peace, for we know that thou art indeed a true believer'. As for the hypocrite - or the doubter (I do not know which word Asmā' used) he shall say: 'I do not know what I say, I heard people say something and I repeated it' "

CHAPTER 38

On stroking the whole head with the wet hands, - based on the word of Allāh { be He exalted } : " and stroke your heads (4) with your wet hands ;" (5)

and on Ibn Al-Musayyab's statement: "A woman equally with a man must pass her wet hands over her

أَوْ قَرِيبٌ - مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ (لَا
أَذْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)

يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا
عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ
أَوْ الْمُؤْمِنَةُ - (لَا أَذْرِي أَيْ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَهُدًى
مَّا جِئْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَاهَا، فَيَقَالُ
لَهُ: صَلِّحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنَّكَ كُنْتَ
مُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُنَافِقَةُ -
(لَا أَذْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ ..

— ٣٨ —

يَا بَ مُسْنَحُ الرَّأْسِ كُنْهُ لِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ»
وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: «الْمَرْأَةُ
بِمَسْحِ الرَّجُلِ تَمْسَحُ عَلَى رَأْسِهِ»

(1) Fātimah - the narra or of the hadith

(2) i. e. the Angels of death, Munkar and Nakir

(3) i. e. the Prophet - the Angels do not refer to him as such, because they do not wish to prompt the dead man.

(4) Al-Bukhārī, like Mālik, holds that the (ب) is redundant.

(5) Surah 5: 6.

CHAPTER 37.

On one who doth not perform a *fresh wudu* except after a deep swoon (1)

We are informed by Ismâ'il, who had i. from Mâlik, through Hishâm b. 'Urwab, through his wife Fâtimah, through her grandmother Asmâ', Abu Bakr's daughter, who said

"I once went to 'A'ishah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when the sun was being eclipsed, and for the Faithful were standing in prayer, while she was also standing in prayer. 'What is the matter with the people?' said I. She pointed with her hand to the sky and muttered: 'Allâh be praised.' (2) 'Is it a sign of Allâh's wrath?' said I. She made a sign in the affirmative. I then stood up in prayer behind the Faithful until I felt faint, and I began to pour water on my head.

When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had finished the prayer, he praised and extolled Allâh, and then said 'There is nothing that I have not seen hitherto, but I have seen here and now, even Paradise and Hell! It hath verily been revealed to me that ye shall be tried in your graves in the

— ٣٧ —

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ
الْعَشِيِّ الْمُنْقَبِلِ

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن امرأة عن فاطمة عن جدتها أسماء بنت أبي بكر أنها قالت .

«أتيت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين خسفت الشمس فإذا السراييم يصليون، وإذا هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت يدها نحو السماء وقالت: سبحان الله! فقلت: آية؟ فأشارت أي نعم، فقممت حتى تجلاني العشي، وجعلت أصب فوق رأسي ماء.

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حمدا لله وأنسى عليه نعم قال: ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامى هذا حتى الجنة والنار، ولقد أوحى إلى ألكم فتكون في القصور مثل-

(1) i. e. one who does not consider a *fresh wudu* necessary after a swoon, unless he be a deep one

(2) *سبحان الله* is not used here with any reference to the eclipse, but is a formula muttered by one praying if his prayer is interrupted. It is intended to show that he cannot reply until his prayer is completed.

He lay crosswise on the mattress, (1) while the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and his wife lay on it lengthwise. The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) went to sleep until shortly before or after midnight, when he awoke. Sitting up, he rubbed sleep from his eyes with his hand, and then recited the ten concluding verses of the Surah entitled "The Family of 'Imrān." Next he rose and took an old water-skin that was hanging there and performed a thorough wudh' from it, after which he stood up to prayer.

Ibn 'Abbās added, "I then rose and did as the Prophet had done. After that I went and stood by his side, when he placed his right hand on my head, and took me by the right ear which he twisted. (2) He performed a two-rak'ah prayer six times in succession, followed by a witr prayer. (3) He then lay down until the muezzin came to him, when he rose and performed a light two-rak'ah prayer, after which he went out and performed the morning prayer."

حَالَتُهُ . فَاصْطَلَجْتُ فِي عَرْضِ
الرَّسُولِ وَاصْطَلَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طَوْلِهَا . قَتَامُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا
انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ
أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ
النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَسِيرُ ، ثُمَّ قَرَأَ
الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ
آلِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَيْءٍ مُعَلَّقَةٍ
فَتَرَوَّضًا مِنْهَا فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ
ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي

قَالَ أَبُو عَيسَى . فَقُمْتُ
فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ
كَهَنْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ
فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي
وَأَخَذَ بَأُذُنِي الْيُمْنَى يَهْتِفُهَا ،
مُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ
ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ
رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ،
ثُمَّ اصْطَلَجَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ
فَمَا كَانَ هَلِي رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ
ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ ،

(1) Or = "p.lhow" Abu-l-Wa'ad prefers "maress" on which the child 'Abdul Ah
may have him at the head or the foot.
(2) I.e. rubbing it gently — either playfully, or in order to lead him to his other
side. Since prayer must be performed on the right side of the Imān if he is alone.
(3) Witr = an odd number. A prayer containing an odd number of rak'ahs, either
one or three, is usually performed after the last prayer at night.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

المؤلف: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي خزيمة

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 3b

On reciting the Qur'an and performing other religious acts (1) after accidental pollution,

and on Mansûr's statement through Ibrahim that there is no harm in reciting the Qur'an in the bath or in writing a letter without a previous wudû',

and on Hammad's statement through Ibrahim: "If those in the bath are wrapped up, greet them, and if not, greet them not".

We are informed by Isma'îl, who had it from Mâlik, through Makhramah b. Sulaimân, through Kuraib the freedman of Ibn 'Abbas, that 'Abdullah b. 'Abbas informed him that:

'Abdullah once spent the night in the house of his maternal aunt Marmûrah, the wife of the Prophet (Allah bless him and give him peace).

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

٣٦ -

بَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْحَدَثِ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ مَصُورٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : لَا نَأْسُ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْحَمَّامِ وَكَتَبْتُ الرِّسَالَةَ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ .
وَقَالَ حَمَّادٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ إِذَارَةٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَلَا تُسَلِّمْ . . .

حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن عروة بن سلمان عن كريب بن أبي عن أنس بن عبد الله بن عباس أخبره :

أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي

(1) e.g. reciting the Qur'an, or a letter containing the Basmala, or other religious formulas.

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٤ —

المقررات النفسية للفرد والجماعة

الروح والنفس لفظان مترادفان يدلان على شيء واحد، وهو النفعة الإلهية التي تحمل بالجسم الحى وتظهر فيه بمظاهر الحركة والحس والتعقل والإرادة، ولكن الفلسفة فرقت بينهما تفرقة صناعية، فجعلت الروح خاصة بتلك النفعة الإلهية في سمو جوهرها وصفاتها من كدور الطبيعة المادية، وترهبها عن التلونات العرضية؛ وجعلت النفس اسماً للشخصية التي تنشأ من تعلق الروح بالجسد، حيث تكون فيها محجوبة به ولا تتصل بالوجود إلا من طريق حواسه الخمس. وفي هذه الحالة تكون تلك الشخصية التي تنشأ عنها ملتانة بأقذاء الطبيعة المادية، تشبه من جميع الوجوه الشخصية الحيوانية^(١) بل تكون بما نستمد منه من حيل العقل، أشد تطرفاً منها في الشهوات البهيمية والميول الوحشية.

وفد أعجز ترويض هذه النفس الهداة والمربين في كل زمان ومكان، واستعصى علاجها حتى على العلم نفسه مع ما أوتيته من وسائل التأديب، وذرائع التأثير، وما كشفه في سويداتها من مواطن الاقتناع، وعوامل الرُّعْوى. فذهبت كل هذه المحاولات سدى، وبقيت النفس وهي في أزهر البيئات المدنية، أشد ما تكون تهاقناً على ما يفسد كيانها، وتعطل إصلاحها، ضاربة عرض الحائط بكل ما يقيم من أودها، ويرد من جماعها، حتى كأن العلم يزيد بها كلباً على السفاسف، وشققاً بالخشائس.

(١) ويقول أصحاب البياحت النفسية من علماء أوروبا إن الروح قنعة إلهية لا يدرك أحد كنهها، حلة في جسم اتيرى يشبه جسد ساحتها. وهذا الجنان اللطيف هو النفس وهو قاب للتعطير تحت تأثير الروح، وهما متاخران في الجسد الانساني ولا ينفصلان عنه إلا بعد الموت، فإذا أودع الجسد لقبر استحال فيه إلى تراب، وصعد الروح وطرفها لا تيرى لتبيت مع الأرواح في عالم أرق من هذا العالم وتسكبه فيه تطورات جديدة ترقق بها إلى آفاق أعلى.

لو كان كمال الإنسانية ، حتى من الناحية المادية ، يقوم والنفس على ما هي عليه من تماد في النى ، وإمعان في البنى ، لكان لدعاة الأهواء عذر في معصاة حكمة الحكماء ، وأدب الفضلاء ، ولكن الكمال الانساني ، حتى من تلك الناحية ، يتوقف بقدر ما على الكمال النفساني . ولذلك أجمع أهل العلم ، حتى الملحدون منهم ، على النعى على الإباحة ، والتشنيع على أهلها .

فاذا قال معترض : إذا كان ما تقوله حقا فكيف بلغت الإنسانية الى هذه الدرجة من الرقى المادى ولا دنى ، وكيف يدع المتمدنون بوجود حافل بالمتع الحسية والعقلية ، على حين أن النفوس لا تزال ملئنة بالصفات الحيوانية ، ومستنة بسنة الجاهلية ؟

نقول : إن الذين يضعون أصول هذا الرقى ويبنون صرحه ، رجال أفذاذ ليسوا من ذوى النفوس المريضة الذين تذكرهم ، فهم أفراد ممتازون وقفوا وجودهم على ترقية العلوم والفنون ، وانصرفوا إليها حتى أصبحوا كأنهم أجانب عن مواطنهم ، وكان أكثرهم مرضى بأعصابهم وفي عزلة من الناس ، كما هو حال المياقرة في كل زمان ومكان ، حتى قيل إن الاضطراب العصبي والعبقرية توأمان متلازمان . ومن دون هؤلاء طبقة وسطى تأخذ عنهم وتستفيد منهم ، لم تستغفد الشهوات قواها اللعنوية ، وهي التي تقوم بنشر هذه الثمرات وتطبيقها على العمل

فلو حذفت من العالم هذه الطبقة الممتازة من الناس ومن يلها ممن ذكرنا ، بنى الدهماء الذين فعينهم منصرفين في إشباع شهواتهم ، وهؤلاء لو تركوا وشأنهم لما أوجدوا علما ، ولا أحدثوا عملا ، ولبادوا كما يبيد امحاطلون ، أو لبقوا على ما عليه للتوحشون . ولو تأملت في أسباب تدهور المدييات التي كانت قائمة في الأرض لرأيتها تنحصر في العقم الذي يصيب الجماعات عن توليد الأفذاذ المميزين ، ومن يلهم من الذين يأخذون عنهم ، وفي خلو الجو لذوى النفوس الجائعة تجرى الى حيث تدفعها اليه مبولها الخسيسة دون رادع يردعها ، أو مدد صالح يمنع تحللها .

ألم تنصوح زهرة لمدينة اليونانية وقد ملأت طباق الأرض ، قبل نحو ألفين وخمسة مئة سنة ، علما وحكمة ؟ وادت المدينة الرومانية التي خلفتها وكانت من قوة السلطان ، وتوفر وسائل البقاء ، بحيث كانت تلقب نفسها بالدولة الخالدة ؟
لا ألفت نظرك لتير هاتين ، فإن آثار مدينتيهما لا تزال ماثلة أمام أعيننا ، بل لا تزال أصولها العلمية ، ومبادئها الفنية أصولا ومبادئ للمدينة الراهنة . فانظر كيف لم تغر هذه الأصول والمبادئ عن ذوبها شيئا حين طغت نفوس أهلهما ، ولم تصادف شكية ترددها عن غيها ؟

وأمانا اليوم شكل من المدينة افتتن به الشرقيون ، وعدوه غاية ليس وراءها مذهب ، واعتبره كثير منهم حجة على الذين لا يزالون منا يذكرون أمراض النفوس وعلاجها ، والآداب والوسائل الموصلة لها ، على حين أنهم يرون بأعينهم أن كثيرا من أهل تلك المدينة لا يزالون بأمثال هذه البحوث ، ولا يقيمون لها وزنا . وهذه من أولئك نظرة خاطئة تصور لهم الأحوال على غير حقيقتها . ففي المدينة الراهنة كما كان في كل مدينة رجال يحاولون تقويم أود النفوس ، ويعملون على إصلاحها ، ويبذلون غاية التشاؤم من تماديها في غيها ، بل يندرون بتلاشي هذه المدينة إن لم ترعو هذه النفوس عن بغيها .

قال العلامة الكبير كاميل فلاماريون في كتابه (تعرف قدرة الله في الطبيعة)^(١) :
« لا يجوز لك أن نخجل من الاعتراف بما انتهينا إليه من الانحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا المنشعبة بالآثرة لا هم لها إلا أغراضها الذاتية . أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال إلى جمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ، وإلى الحصول على المجد من طريق النصب لا الكسب ، وإلى الجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات ؟

(١) هذا الكتاب «-» بالفرنسية (الله في الطبيعة) وهو عبارة موجزة لعرض منها تعرف قدرة الله

في الطبيعة (Dieu dans la nature, Par Camille Flammarion) .

« إن من التناقض البين المألوم للنفس أن ترى أن لرقى الباهر الذي حدث في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة، بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية، أهبطت إنسانيتنا الى أخس الدركات؛ ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر ببناء قوتنا يوما بعد يوم، تنطفيء حرارة قلوبنا، وتتصوح زهرة نفوسنا، بتأثير غلبة الطامع المادية، والشهوات الجسدية علينا، اه وقال الأستاذ (فيرنس جيافرت) في كتابه (الغمة الحاضرة) ^(١):

« إن التعاقد والتعادي يزدادان يوما فيوما في نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة المؤبدة. وإن جنون البذخ والكبر لينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والترف. وهذا الاتحاد الآخذ في التمر يسوق جماعاتنا بعاطفة حب المساواة الى حالة ثورة دائمة. الى أن قال :

« لقد رجونا أن نداوى مصائب النوع الانساني باسكنوز المادية التي ألقيت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان، كما نكاف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متع الحياة لدينا زيادة عظيمة. ولكن لم يكن من ثمرة كل تلك المكتشفات إلا نشرحى حب المال في الطبقات السحيقة جدا.

« فأى قانون أدبي يكتفى لكبح جماح أهوائنا وإدخالها في مجاريها الطبيعية المعتدلة؛ لقد نزع عنا الكمال المعنوي، ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شيء غير مدرك، لأن العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس، فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من ولاء ما وقعنا فيه من الظلمات، وترى العقول المستتيرة بالعلم المحرومة من الدين تعدرهم في ارتكاب الجرائم. وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد، انتهى.

ن الذي يتأمل في هذين القولين اللذين سقناهما، ونستطيع أن تأتي على عشرات من مثلهما، بدلا من أن مسألة إصلاح النفس البشرية لا تزال في المقام الأول من عنايه

(1) La tristesse contemporaine, par Fierens Geavert.

قادة العقول في الأمم المتقدمة ، وأن الإباحة الشهوانية لا تزال تعتبر العملة الرئيسية في تدهور الجماعات وانحلالها ، فما يظنه السطحيون من أن الكلام في إصلاح النفوس خاص بالشرفيين ، وأن الاشتغال به مظهر من مظاهر إخلالهم لى القديم ، ضلال محض لا يصح الإبقاء عليه ، وبخاصة في هذا العصر الذى فيه يحاط الناس بين الإباحة الحيوانية وبين الحرية .

فساد النفوس ، بناء على ما تقدم ، هو مشار كل خطر على حياة الجماعات الانسانية ، ومصدر كل انقلاب يهدد كيانها بالانحلال والتلاشى .

هنا نظهر حكمة الاسلام في جعل أساس الأمة العالمية التى دعا لنا لبنها ، إصلاح النفوس وتخليصها من أمراضها ، وفى التحتم بأن يكون هذا الأساس من السمو العلمى بحيث لا تقوى أية فلسفة على توهينه ، بل بحيث يظهر كل دستور علمى ناقصا إذا قيس به ، مهما ارتقت المعارف ، وقويت العقول ، وبعدت غايات الفلسفة .

لقد أوصلت للذنية الأوروبية أهالها الى غايات من الارتقاء الصناعى ما كان يحلم بها أعلى الخياليين كمبا فى القرنين الماضيين ، وهى على وشك أن تفتح للعقول آفاقا جديدة من العلوم والعنون ، ولكنها مع حصولها على هذه الدرجة تشكو الفاقة فى الناحية الأدبية ، فيصبح مثل الفيلسوف (فيرنس جيافرت) بقوله : « أى قانون أدنى يكفى لسكبج جماع أهوائنا وإدخالها الى مجاربها الطبيعية المعتدلة ؟ » .

ويشكو زميله العلامة (كامييل فلامريون) قائلا : « إن الفتوحات المتوالية التى تمت للانسان فى الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى الدركات العالية أهبطت إنسانيتنا الى أخس الدركات » .

وقد أعلن جمهور كبير من الفلاسفة والاجتماعيين بأن ما هو حادث من التناقض بين العلم والعمل فى المدنية الحديثة ، إنذار بفرب انحلالها ، وفى انحلالها قيام عهد من الوحشية لا يعلم إلا الله ما ل الانسان فيه . لقد ارتكست مدنات كثيرة

الى وحشيات منكورة ، فلعبت أدوات الفتك أشنع ما ينتظر أن تلعبه في مثل هذه الأدوار ، فلا ندري إذا انقلبت هذه المدينة الى وحشية أى دور تقوم به الهالكات الراهنة بين غازات سامة ، وقنابل محرقة ، وألغام ناسفة ، وشادق رشاشة تقذف في الدقيقة ألف قذيفة فتحلق الصفوف المتراسة حلقا .

وهنا أيضا ظهرت خفة عقول الذين كانوا ينتقدون الاسلام قائلين إنه لم يصب في جمل أساس الاجتماع في أمته دينيا وقد سحرت هذه الشبهة عقولا من التي تعلمت على الطراز الغربي من أهل هذا الدين نفسه فجفت إليها ، فإذا يقولون الآن وهؤلاء أهل المدينة انما لا يخشون على تحطم مدينتهم إلا من قبل تجرد النفوس من قاعدة أدبية تردها عن تمجها ، وتدخلها الى دائرة الاعتدال في مطالبها المادية ؟ وهل يتخيل وجود قوة في الأرض تستطيع إبتاءها بهذه القاعدة الأدبية غير دين يقوم على دستور أقوى مما تقوم عليه معارفها الكونية ، ومبادئها الفلسفية ؟ وهل تجد فيما بين يديك من الأديان ما هو حاصل على هذه اللمزة غير الاسلام ، وعلى حال لا تدع لصاحب شك شبهة ؟

كان بعض المتعلمين من المسلمين يقرءون قوله تعالى : « وكان من قرية عمت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرانا » ، كانوا يقرءون هذه الآية ويتساءلون : ما للدين ولأصول الاجتماع ، وما دخل القيام بأوامر الله في شئون الحياة الدنيوية ؟ ولكنهم اليوم يرون بأعينهم أن المدنية الحاضرة على ما بنيت عليه من علم وفن يخشى عقلاؤها من مجيء يوم تطفئ فيه جاهلية النفوس على حكمة الحكماء فتصبح كأن لم تكن بالأمس .

ذلك لأن الاجتماع كما يحتاج في قيامه الى الشهور بالحاجة للمعيشة للمسة اليه ، كذلك يحتاج في بقاءه واستمراره قويا متماسكا الى قوى أدبية تحمظ للنفوس مكانتها المعنوية ، وتريدها ارتقاء في خصائصها الذاتية .

فإذا قنضت أحوال الوجود، وتقلبات الحوادث، أن تنفى الجماعات ذات الأساس الدينى الحق، بتهكير لا تقوى على نلافيه، فلا ترتكس من حالتها المدنية الى حالة وحشية، فنقع فى التناحر لئلا لا يتفق وكرامة لانسانية، ولكن يمتد بها فتور قد ينقلب الى جود، ولكنك تجدها وهي فى ثبور من ندهورها، لا تنفى بالصفات الوحشية، ولا تحطم بيدها ما شيدته من صروح المدنية. ولكن نصبر على ما متيت به مع نفس المخرج منه، ولا نزل تنعس منه حتى تجده، فتعود سيرتها الأولى.

هذه حكمة الاسلام فى جعل أساس الاجتماع سلامة النفوس من أمراضها، ليكون قيامه رحمة للانسانية ولها، بدل أن يكون وبالاً عليهما. ولذلك كان أثر قيام الاجتماع الاسلامى خيراً وبركة على جميع شعوب الأرض، خلافا لقيام غيره من الجماعات، فقد كانت تنساح فى الأرض فتشحن فى الأمم قتلاً، وتوسعها نهباً، ونجوس خلال اديار فتأتى عليها حرقاً وهدماً، فتدعها قائماً صفيصفاً، مائة ذلك من علامات بطولتها، غير مبالية بما يكتبه التاريخ من سيرتها، غير مؤمنة بأن ثمة عدوانها عدوان مثله أو أشد منه، يقع عليها من جماعة أقوى منها.

فالروح الاسلامية أجمع روح للعقومات الاجتماعية، فهي تنفى بمصاحبة الفرد والاجتماع من كل النواحي عناية عادلة. وما دام الانسان جسماً وروحاً فمن العيب أن يهمل المصلحون واحداً منهما، ويتغفون عنايتهم كلها على الثانى. فالأسم لا تصلح أجساد لارواح فيها، ولا أرواحاً لأجساد لها. فإن طغت إحدى طبيعتى الانسان على الأخرى تخضنته لها، فلا يستطيع البقاء على الأرض، ولا القيام بخلافة الله فيها. ومن الصعب التوفيق بين هاتين الطبيعتين فى حد يجعل التبادل بينهما ممكناً، والقيام بحقهما مما مستطاعاً. وقد حل لاسلام بتعاليمه هذه العقدة، وقد درسنا كل ذلك درساً دقيقاً فى مقالنا السابقة تحت عنوان مهمة الدين الاسلامى فى اعالم فليراجعها من أراد

أسئلة متنوعة

وردت على حصرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف
الدجوى حصة فاجاب عنها ، ونحن بشرها تكميلاً لفائدتها

١ - إذا بنيت دار في أرض غير مملوكة وأراد آخر أن يبني بجوارها، أو بنيت
في أرض مملوكة بإذن صاحبها، أو كانت في وسط القرية، أو حفرت بئر كذلك، أو غرست
شجرة كذلك، فاحريم كل من الدار والبئر والشجرة المستحق من الجهات الأربعة
في الصور الثلاثة ؟

٢ - إذا وهبت هبة الثواب لأحد وأراد الموهوب له أن يثيب عليها، فهل يجوز
أن يثيب عليها من جنسها أو يتعين أن يثيب عليها من غير جنسها ؟ وهل هبة العرس
كذلك إذا جرى العرف بالمعاوضة عليها ؟

نرجوكم كل الرجاء الفئوى فيما ذكر لأن أهل السودان يختصمون كثيراً
في العرصة التي بين الدور ونحوها . أحمد أبو بكر مدني الأنصاري
بالبحرية بالسودان

الجواب :

وبعد : فالجواب عما سألت عنه أيديك الله :

١ - أن هذه الأرض إن كانت مملوكة وقد اشتراها صاحب الدار من مالكها،
فالنشأن فيها للمالك ، فإن شرط أن يكون لها حريم كان لصاحب الدار ما شرط ، وإن
لم يشترط فلا شيء له ، ولكن لا بد أن يكون له بقدر ما فقت به الضرورة من طريق يوصل
إلى الدار وفي مسألة الشجرة والبئر لا بد أن يكون له ما يملكه من سقي الشجرة وأخذ ثمرها
واستخراج الماء من البئر . وإن لم تكن الأرض مملوكة فإن كان لأهل القرية انتفاع

بها كأن كانت ناديا جالوس القوم وحديثهم ، أو ماعبا لاهبييان أو مناحا للإبل ، أو صراحا للغنم ، أو نحو ذلك ، فهي من مرافق البلد ومنافعه ، ولا يجوز لأحد أن يحدث فيها شيئا مما ذكر ، سواء أكانت هذه الأرض وسط القرية أم حولها أم بعيدة عنها .

وإن لم يكن لأهل القرية منافع بها أصلا وكانت غير مملوكة لأحد ، فهي الموات . فمن أحدث في ذلك الموات شيئا مما ذكر ، ماله وملك حرمة . وحریم النار ما ينتفع به صاحبها من طريق يوصل إليها وحمل لرمي الأتربة والكساسة ونحو ذلك ولا حریم لدار مخوفة بملك الغير من كل جانب . وحریم الشجرة قدر مد أغصانها ولو كانت قريبة من البلد على الصحيح وقال بعضهم : لا بد أن تكون بعيدة من القرية ، ولا يجوز إحياء القريب منها وحریم البئر أربعون ذراعا من كل جانب على ما راجحه بعضهم

٢ - أما هبة الثواب فيصح أن يكون الثواب من جنسها ، لا فرق في ذلك بين هبة العرس وغيرها . لكن إذا كان الثواب ربويا وشرط صحيبها في عقد الهبة بأن قل : وهبتك هذا على أن تمضني ذاك ، وجب حينئذ تساوى الموضين في متعدد الجنس ، والتناقض في المجلس ، لأن الهبة إذا شرط فيها العوض صارت بيعا ، فتجری فيها أحكام البيع كلها : من الرد بالميب ، وأخذها بالشفعة ، والنسأوى في الموضين ، والتناقض قبل التفرق في الربوى للتعهد الجنسى . أما إذا لم يشترط العوض ولم يجز بذلك عرف فيما بينهم ، فلموهوب له أن يثيب عليها بما شاء من غير وجوب عليه . هذا هو الظاهر الذى ينبغى التعويل عليه ، خلافا لمن لا يعتبر جريان العرف ويقول لا بد من الاشتراط الصحيح . هذا ما استخلصناه من أقول العلماء ورأينا أن نسطره في هذا الموضوع . والله يتولى هدى الجميع .

٣ - ما حكم صلاة الشفع والوتر جماعة عقب صلاة تراويح رمضان عند السادة المالكية ؟

الجواب :

الحكم في مذهب مالك أنه نكروه الجمعة في النفل إذا كانت كثيرة أو بمكان مشتهر

قال نخرشي « يكره اجتماع الجمع الكثير في النافلة خشية الرياء ولو في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهذا في غير التراويح والعيدين والاستسقاء والكسوف وكذلك يكره اجتماع الجمع القليل كالثلاثة لكن بمكان مشتهر . أما بمكان غير مشتهر فلا كراهة ، لأن يكون من الأوقات التي صرح العلماء ببعدية الجمع فيها كليلة النصف من شعبان وليلة عاشوراء . والمراد بالنفل في عبارة الفقهاء ما عدا العريض بدليل استثناء نخرشي للعيدين والكسوف والاستسقاء ، فالشفع والوتر داخلان في هذه الأحكام الثلاثة ، فتكره صلاتهما جماعة عقب التراويح إذا اشتهر المكان ولو قل العدد ، كما تكره لجماعة فهمما أيضا إذا أكثر الجمع ولو لم يشتهر المكان . أما إذا قل العدد ولم يشتهر المكان فلا كراهة كما إذا صلاهما ثلاثة في البيت جماعة والله أعلم .

٤ - نرجو أن تفيّدونا عن حكم علو الإمام على المأمومين والعكس ، أو علو بعض المأمومين على بعض ، وإذا أمكن أن تكون الفتوى على المذاهب الأربعة كان لكم منا الثناء المستطاب ، ومن الله الأجر والثواب أحد أساتذة المدرس

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فن صلى مع آخرين خلف إمام واضطره ازدحام المكان بالمصلين إلى أن يصلي محاذيا لهم مرتفعا عن غيره بقليل ، فصلاته صحيحة ولا كراهة فيها . ولتذكر لك بعض نصوص المذاهب في ذلك إجابة لتعليك ، فتقول :

قالت الحنمية : يكره ارتفاع مكان الإمام عن سائر المعتدين بعدد ذراع فأكثر ، فإن

كان أقل من ذلك فلا كراهة ، كما يكره ارتفاع المعتدين عن مكانه بهذا القدر . والكراهة مقيدة بأن لا يكون مع الإمام أحد منهم ، فإن كان معه بعضهم ولو واحدا فلا كراهة وقالت الشافعية : يكره ارتفاع مكان الإمام عن مكان المأموم وعكسه من غير حاجة كأن كان وضع المسجد يقتضى ذلك ، فإنه لا يكره الارتفاع حينئذ .

وقالت المالكية : يميز علو المأموم على إمامه ولو كان المأموم بسطح المسجد . (وهذا في غير الجمعة) وأما علو الإمام على مأمومه فهو مكروه إلا أن يكون بشيء يسير كالشبر والذراع ، أو كان لضرورة كتعليم أناس كيفية الصلاة أو ضيق المكان .

وقالت الحنابلة : يكره ارتفاع مكان الإمام عن المأموم ذراعاً فأكثر ، أما المأموم فلا كراهة في ارتفاع مكانه .

والخلاصة : أنه لا شيء في ارتفاع بعض المأمومين دون بعض عند الحنفية ، ولا في ارتفاع المأمومين ولو جميعاً عند المالكية والحنابلة ، وأن لحكم الكراهة عند عدم العذر في مذهب الشافعية . فقد اتفقت المذاهب على كراهة ارتفاع مكان الإمام ، واختلفت في كراهة ارتفاع المأموم ، وذلك لأن الأول ثابت بالنص ، وأما الثاني فكان محل نظر . فالشافعية قالوا فيه بالقياس دون فقهاء المذاهب الأخرى .

والنص هو ما ورد أن حذيفة رضي الله عنه صلى على دكان والناس أسفل منه فغذبه أبو مسعود البدرى الأنصارى رضي الله عنه حتى أقامه فلما نصرف قال : أما علمت أن أصحابك يكرهون أن يصلى الإمام على شيء . ومع أسفل منه ؟ قال حذيفة : بلى قد ذكرت حين جدبتي .

قال لإمام النووى رضى الله عنه في شرح اللمبذ : هكذا رواه الشافعى وأبو داود والبيهقى ومن لا يحصى من كبار المحدثين ومصنفهم وإسناده صحيح ، والله أعلم .

يوسف الرمبوى

من جماعة كبار العلماء

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

حدث في أواخر القرن الثامن عشر أن انقسمت بولونيا بين النمسا والمانيا والروسيا، وكان من شر الحوادث أن تقع المناطق التي يكثر فيها المسلمون تحت حكم الروسيين، فسامروهم سوء المذاب، وسلبوهم حقوقهم الدينية وغير الدينية، وتدخلوا في شئونهم الدينية الى درجة أن أجبروهم على الخروج عن دين الاسلام والدخول في الدين المسيحي. بقي للمسلمون على هذه الحالة حتى سنة ١٩٠٥ حين سمح قيصر روسيا لهم بالعودة الى دينهم ورد اليهم بعض الحقوق الدينية القديمة.

ويرجع السبب في اضطهاد روسيا للمسلمين خصوصاً البولونيين الى عدة عوامل، أهمها تعصبهم دائماً ضدها للعمل على الإضرار بها. ومن أشهر الثورات التي قام بها مسلمو بولونيا ضد روسيا ثورة سنة ١٧٩٤ تحت قيادة القائد البولوني كوستوشكو، وثورة سنة ١٨١٣ حين انضم كثير من المسلمين البولونيين الى جيش نابليون وساعدوه في حروبه ضد روسيا، وتلا ذلك ثورات أخرى في سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٦٣ وسنة ١٩٠٥ عند ما ثارت بولونيا بأجمعها مطالبة بالاستقلال التام.

ولم تكن مؤامرات المسلمين ضد روسيا تنحصر في بولونيا فقط، بل كثيراً ما امتدت الى روسيا نفسها والى البلاد الواقعة تحت الحكم الروسي، وذلك بتحريض المسلمين في تلك الجهات على لثورة ضد نظام الحكم القائم، ولذلك ما كانت الحكومة تشك في أى حركة بسيطة من جانبهم حتى تعمل على إخمادها بسرعة، فقتلت زعماءها أو قنفيهم وأولادهم ونساءهم الى سيبريا حيث يموتون من شدة البرد والجوع.

لما ضاقت الحالة بالمسلمين سنة ١٨٦٣ عند ما كان عداء روسيا للبولونيين جميعاً

بأننا أشده، هاجر كثير منهم الى الخارج، وكذلك فعل بعض المسيحيين، وأغلب هؤلاء الذين هاجروا توجهوا الى تركيا التي كانت تفتح لهم أبوابها، وتسمل علمهم سبل لاقامة في بلادها، فاستقر المسيحيون منهم في أدمبول بجوار استامبول، بينما نزل المسلمون أناضوليا، وقد هاجر بعض منهم الى الشام وفلسطين ومصر، وقد وظفت حكومة تركيا كثيرا منهم في أعمال الجيش، واشتهر من بين هؤلاء الجنرال بم، والجنرال تشيكوفسكى، وقد خدم بعضهم في جيش إسماعيل باشا، وقد كان منهم المهندس وأارع، ونذكر بهذه المناسبة المهندس المسيحي الشهير زابوتسكى الذى اشترك في بناء سكة حديد المدينة للنورة، وهو من أبحال أحد المهاجرين البولونيين الذين قدموا مصر. وعند ما شبت الثورة في روسيا سنة ١٩١٧ انهمز كثير من المسلمين البولونيين هذه الفرصة واتصلوا مع البولونيين، وانتهت الثورة البولونية بخروج الجزء البولوني من تحت الحكم الروسى وانضمامه الى حكم كل من ألمانيا والنمسا، إلا أنه ماكدت تهمل سنة ١٩١٨ حتى انفجرت الثورة في كل من هاتين الأخيرتين، وظهر رجل بولونيا العظيم المرحوم المارشال بلسودسكى فنادى باستقلالها، وجاهد في ذلك جهادا عظيما هو وأعوانه الذين اشتهر من بينهم مصطفى بيلك وسكندر سولكيفتش، وهؤلاء من المسلمين البولونيين، وقد تكملت جهودهم بالنصر والتوفيق وحقق الله أمانهم. وقيل انها عام ١٩١٨ أعلن استقلال بولونيا، واعترفت به جميع الدول، واسترجعت حدودها القديمة التي كانت لها قبل تقسيمها بين روسيا والنمسا وألمانيا، وباستقلالها استقل لاسلام فيها.

لما استقلت بولونيا سنة ١٩١٨ هاجمها البلاشفة في عدة مواقع، وحاولو الاستيلاء عليها، إلا أن دفاع البولونيين تحت زعامة رئيسهم العظيم المارشال بلسودسكى خيب آمل المعتدين وردم خسرن، ومن ثم بدأت بولونيا تحس بالخطر الذى يهددها من كل جانب، فقامت تمعد الجيوش وتزودها بأحدث الأسلحة وأقوى آلات الدفاع، ونشأت فرقا من فرسان المسلمين لترابط على الحدود الشرقية، كذلك سافر بعض الضباط المسلمين

الى البلاد الاسلامية البولونية للدعوة الى الجهاد والدفاع عن البلاد ، فأصدروا نداء الى المسلمين ، نأقې بترجمته عن اللغة البولونية :

«الى مسلمي بولونيا جميعا : إن تاريخ وجودكم في بولونيا يرجع الى عهد بعيد وقرون عديدة ، مما كان له أثر كبير في طباعكم وأخلاقكم وذريرتكم الذين أصبحوا بولونيين بالطبع لحما ودماء ، فالיום لا فارق بينكم وبين غيركم ، فأنتم بولونيون حسباً ونسباً ، لكم من الحقوق وعليكم من الالتزامات مثل غيركم من الوطنيين لأصلين ، وقد اعترفت الحكومة بهذا الحق الشرعي منذ سنين ، فكفلت لكم حرييتكم الدينية كما تفعل للمسيحيين ، وأقطعتكم الأراضى ، واستخدمت الكثير منكم في وظائفها ، وقد كانت غير نكم على الوطن والدود عن حقوقه لا نقل عن غيركم ، فأنتم الذين دافعتن عن حدود البلاد ضد غارات الروسيا والسويد ، وعاونتم كل من انتصر لكم ضد أعدائكم ، عاونتم الملك سويسكى والأمبراطور نابليون ، واشتهر من بينكم أزوليمش وباراتوفسكى وبيلاك وقورسكى وغيرهم ممن كانوا غر بولونيا وحمل تقديرها ، فالיום الوطن يناديكم ، فلهوا جميعا الى السلام ، ووحدا صفوفكم ، واذهبوا المحاربة البلاشفة ، واستعينوا بالله والرسول صلى الله عليه وسلم ، بارك الله في جهادكم وسعيكم » .

كان لهذا النداء أثره في قلوب المسلمين البولونيين ، فوحده صفوفهم ، وكوتوا فرقتهم من الفرسان ، وشروا أعلامهم التي كانت تمتاز بلونها الأخضر ويتوسعها الهلال ، وظالوا رهن إشارة مركز القيادة العليا حتى أعطيت لهم الأوامر ، فاشتركوا في عدة موافع حربية في أطراف مدينة ميديسك وفي مقاطعة بوليسيا سنة ١٩٢٠ تحت قيادة النمورله للرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش ، وقد اشتهرت هذه الفرقة بشجاعة رجائها ومهارتهم الحربية التي ظهرت في موقعة كييوف وعند دعامهم عن مدينة بلوسك .

في ٢٣ يوليه سنة ١٩٢٣ وقمت كل من بولونيا وتركيا على معاهدة الصداقة الدائمة التي فرح لها المسلمون البولونيون جميعاً ، وظهراً لذلك الشعور أرسلوا الى رئيس الجمهورية

رسالة عبرت عن مقدار ولائهم له وحبهم للوطن وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣ تلا هذه الرسالة أمام مجلس النواب أحد الأعضاء المسمى دمبسكى من المسيحيين ، فكان لتلاوتها تأثير حسن في الدوائر الرسمية البولونية راد عطف الحكومة على المسلمين ، فقدمت لهم مساعدات مالية وغير مالية ، واعترفت بالاسلام ديناً محترماً في البلاد ، وسمحت بتكوين الجمعية الاسلامية البولونية التي دعت للمؤتمر الاسلامي سنة ١٩٢٥ في مدينة فيلنو حيث أجرى انتخاب الدكتور يعقوب شينكيتش مفتياً أكبر للمسلمين في بولونيا ، وأقرت الحكومة انتخابه ، وقررت مجلس نواب بولونيا اعتماد المبالغ اللازمة للاتفاق على إدارة الفتى وإصلاح المساجد وصرف الزواجب لأئمة المساجد والمؤذنين .

انقطعت صلة المسلمين البولونيين بالخارج على أثر وقوعهم تحت الحكم الروسي كما سبق أن قدمنا ، وعند ما استقلت بولونيا استقل المسلمون فيها ، ومن ثم أخذوا في العناية لإعادة مجد الاسلام في البلاد ، وإعادة صلتهم بالأمة الاسلامية . وفي سنة ١٩٢٥ نذبت الحكومة من بينهم أولجرت أكريتشيسكى ليمثل بولونيا في المؤتمر الجغرافي المنعقد في القاهرة ، وقد كانت هذه فرصة سانحة للتعرف ببعض المسلمين في مصر ، وعند مقابلته لمصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر أنعم عليه بتيشان النيل ، وقد زار في طريقه الى بولونيا فلسطين وسوريا وتركيا ، ونزل ضيفاً على سماحة أمين الحسيني مفتي فلسطين ، ولقد قام مفتي بولونيا نفسه بزيارات عديدة للأقطار الاسلامية المختلفة ، ففي سنة ١٩٢٦ قدم مصر واشترك في المؤتمر العالمي الاسلامي المنعقد في القاهرة ، وحظي هو أيضاً حينئذ بمقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، وكان من عطف جلالة على مسلمي بولونيا أن أكرم وفادة المفتي ومنحه أحد نياشين الشرف ومساعدة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه مصري لإصلاح بعض المساجد البولونية التي كانت قد خربت بها الحرب العظمى ، فكان لهذه البيرة أثر طيب في نفوس المسلمين البولونيين ، وازداد حبهم

لمصر وللمسكها المعظم، وإظهارا لذلك لشعور الكامن في نفوسهم كلّفوا المفتي الحاج دكتور يعقوب شينكبيفيتش بالقيام نيابة عنهم لتبليغ جلالة ملك مصر عظيم شكرهم، فحضر سماحته مصر في أغسطس سنة ١٩٣٢ وقدم لصاحب الجلالة لملك فؤاد الأول مجموعة من الصور لجميع مساجد بولونيا، وخطب شكر مكتوبا باللغة الفرنسية نأني بترجمته :

« يا صاحب الجلالة ! إن عطفكم السامي ومرتكم الغالية الى مسلمي بولونيا تلك الفتنة من الناس الذين يسكنون بقاعا نائية في شمال أوروبا بعيداً عن العالم الاسلامي، ولذين ظلوا طول هذه العصور محافظين على القواعد الدينية والتقاليد الاسلامية في وسط المدينة الغربية البحتة، هذه المبرة لم تساعد فقط على إصلاح ستة عشر مسجداً، بل أثرت تأثيرا عميقا سيبقى أمد الدهر في أعماق قلوبهم يذكركم بأن هناك ملكا كريما وشعبا إسلاميا ينظران اليهم بعين ملؤها العطف والحنان، وفي عام ١٩٣٠ كلفوني أن أقوم بتبليغ جلالتم عظيم شكرهم وشديد ولائهم لشخصكم الكريم وشعبكم المخلص الأمين، وإنا ندعو الله جميعا أن يجعلكم لنا ذخرا وللإسلام سرا حاميرا » إمضاءات ...

ولقد قام المفتي بزيارات أخرى في يوجوسلافيا وتركيا وفلسطين والشام. وفي عام ١٩٢٨ توجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولما أرادت بولونيا أن تعترف باستقلال المملكة السعودية سنة ١٩٣٠ أوفدت العميكونت رانشينسكي الى الحجاز للقيام بهذه المهمة، وكان بعض المسلمين البولونيين كل سُنحت لهم الفرصة توجهوا الى بعض الأقطار الاسلامية لزيارتها والتعرف بأهلها.

كان من أثر هذه الدعوة أن عرف الناس خصوصا في الأمم الشرقية الشيء الكثير عن بلاد بولونيا وعن حالة المسلمين فيها، كما أن مسلمي بولونيا أنفسهم زادت معرفتهم بالعالم الاسلامي وببعض الشؤون الدينية التي كانوا يجهلون بها تماما، فقويت فيهم

الروح الاسلامية، وأرسلوا يطلبون الكتب الدينية من كل مكان، وبدءوا في ترجمتها من جديد الى اللغة البولونية. وفي سنة ١٩٣٣ أرسلت أول بعثة بولونية الى مصر لتلقي العلوم الدينية في جامعة الأزهر الشريف، وجل أعضاء تلك البعثة من حملة الشهادات العالية، وتقوم الحكومة البولونية بمساعدة عضوين منهم، ويلاقى أفراد هذه البعثة لدى صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر وحضرات الأساتذة وجميع طلبة الأزهر الشريف كل عطف وتمتعيد، وتمنحهم إدارة الأزهر جنهين مصريين شهريا، وهذا بجانب المساكن المجانية الخاصة بالطلبة الأجانب، وقد خصصت لهم فصولا تتناسب مع معارفهم اللغوية والدينية، وذلك تشجيعاً لهم على تعلم العلم ونشر الدعوة الاسلامية في بلادهم.

كان من أثر هذه الدعوة أيضاً أن رغب بعض المصريين في زيارة تلك البلاد، ولقد أُناحت الفرصة الى ممثلي المملكة المصرية في المؤتمر الجغرافي الدولي المنعقد في وارسو سنة ١٩٣٤ أن يزوروا بعض المدن الاسلامية البولونية والتعرف بأهلها، وفي نفس العام طلب اتحاد الطلبة في مدينة وارسو عن طريق السفارة البولونية في القاهرة تحقيق تبادل الطلبة بين أبناء البلدين لتدعيم الصداقة بين مصر وبولونية، وتحقيقاً لهذا الغرض سافرت أول بعثة مصرية من طلبة الدبلوم في مدرسة التجارة العليا، وعند قدومهم مدينة وارسو احتفل بهم أعضاء اتحاد الطلبة البولونيين والجمعية الاسلامية في وارسو، وعند ما عادوا الى مصر احتفلت السفارة البولونية بقدومهم ودفعهم لتناول الشاي في دارها بالزمالك، وهناك تم تعارفهم بطلبة البعثة البولونية في الأزهر الشريف.

وقد اتفق كل من محمد سيد الخوي عضو البعثة المصرية وعلى اسماعيل فورونوفتش عضو البعثة البولونية على أن يتعاونوا في وضع هذا الموضوع مفصلاً عن تاريخ المسلمين في بولونيا وحالتهم الدينية والاجتماعية.

يبلغ عدد المسلمين في بولونيا ١٢٠٠٠ نفس، وليس هذا المدد بالليل إذا نحن وازنا

بينه وبين عدد المسلمين في دول غرب وشمال أوروبا، وسألتهم الميشية على جانب عظيم من التحسن، وهذا التحسن أخذ في الزيادة لاهتمام لدولة بهم، ومحافظتهم على مصالحهم الدينية وغير الدينية، وهم يعترفون بفضل الحكومة القائمة وكرمها، ويعتبرون هذه الأيام العصر الذهبي للإسلام في تلك البلاد، وهم ينعمون في بحبوحة من العيش، وقد توطدت صلاتهم بالخارج، وزادت معارفهم الدينية، وسافر بعضهم لطلب العلم في الخارج وخصوصاً العلوم الدينية وحج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة.

يقم المسلمون البولونيون في البلاد الواقعة في الجهة الشرقية الشمالية من بولونيا خصوصاً في ولايات فيلنو، ونوفاجرودك، وبياالوصتك، وفولين، وفي غيرها من المدن والقرى المختلفة مثل أسلونيم ووارسو، ولاخوفيجي، وأكلاسك، وأسمولو، ومورافتشنا الخ. ويبلغ مجموع البلاد التي يسكنها مسلمون نحو ثلاثين بلدة وقربة يحتوي أغلبها على مساجد تكفي حاجتهم، وتعتبر مدينة فيلنو مركزاً للمسلمين بولونيا، وبها توجد دار الإفتاء، ويلبها في الأهمية نوفاجرودك وأسلونيم ووارسو حيث يوجد مجلس الشورى المركزي للجمعية الإسلامية البولونية.

صلة المسلمين بالمسيحيين في بولونيا طيبة، وليس أدل على هذا من أن يسام بعض المسيحيين بقسط وافر في بناء المساجد للمسلمين، فقد وهب الفيكونت زامويسكي في منتصف القرن التاسع عشر أموال اللازمة لبناء مسجد للمسلمين في مورافتشنا، وقام الفيكونت بوسوفسكي بتوريد الخشب مجاناً لبناء مسجد جديد في أسلونيم بدل الذي كان قد احترق سنة ١٨٨١ ولم ينس المسلمون هذه البهرة فقام المغفور له المرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش المسلم البولوني بتوريد الخشب مجاناً لبناء الكنيسة المسيحية في قرية نكرا شونساً سنة ١٩٣٠ ولا يزال تتألف بين اللتين شديداً، وتتمتع الحكومة بإعانة مالية لإدارة الأوقاف ولتنشآت الإسلامية في بولونيا

يعد المسلمون البولونيون أسعد حالاً من المسلمين في البلاد الأوربية الأخرى من عدة

وجوه، إذ يندر فيهم العاطلون، ويشغل معظمهم زراعة الأرض وفلاحة البساتين والأعمال الحربية، فمنهم رؤساء الجيش، ومنهم القضاة وكبار الموظفين الحكوميين في مختلف الوزارات والمكاتب الأهلية وغيرها من المحاصيل الزراعية. أما من الناحية العلمية والأدبية فيندر أن تجد بينهم من لا يجيد القراءة والكتابة، كما أن منهم المهندسين والأطباء والمحامين والمدرسين في الجوامع.

وتشبه عاداتهم عادات الأهالي من المسيحيين خصوصاً في الشئون الدينية، أما في الشئون الدينية فهم شديدو الاحتفاظ بتقاليدهم الإسلامية لا يرضون عنها بديلاً. وتتماز المرأة البولونية المسلمة عن غيرها في البلاد الإسلامية الشرقية بحريتها التي تستمتع بها، وهي عماد الأسرة، لأنها تقوم بتربية الأطفال وإدارة البيت، كما أنها تساعد زوجها إذا اقتضت الحال، مثلاً في ذلك مثل المرأة الأوروبية المتمدينة، والحجاب بالمعنى المفهوم في أكثر البلاد الإسلامية الشرقية غير مفهوم لها، إذ تعتقد أن ما نزل في الكتاب بخصوصه بقصده منع اختلاط المرأة بالرجل اختلاطاً يشجع على الفساد. ويمتنع المسلمون هناك تربية أبنائهم، فيرسلونهم في طفولتهم إلى مدارس الروضة، ثم المدارس الابتدائية ثم الثانوية، وحينئذ يصبح الابن حراً، إما استئناف دراسة العالية أو الاشتغال بما يروق له، وكما تقتضيه الظروف من الفن والوظائف. ويكره المسلمون البولونيون تعدد الزوجات. وبالرغم من أن دستور بولونيا لا يمنحهم من ذلك إلا أنه لا يوجد من يرغب في زواج من أكثر من واحدة.

على اسماعيل قورونوفتش، محمد سيد الحموي

« يتبع »

فضل التحبب إلى الناس

في الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أحب الناس إلى الله أكثرهم محبة إلى الناس ».

وفيه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا أحب الله عبداً حبه إلى الناس ».

التفسير

سورة الرعد

- ١٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْقُرْآنُ
بَلِّغْ لِلَّهِ الْأَمْرَ جَمِيعًا . أَفَلَمْ يَتَأَسَّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ وَشَّكَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا .
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَبَّهُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى
يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) .

سبب النزول : روى أن المشركين اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
آيات ، فقالوا له : سير لنا جبال مكة حتى ينفصح للكان عايينا ، واجعل لنا فيها أنهارا
تزرع فيها ، وأوحى لنا بعض أمواتنا للنساء لهم أحق ما نقول أم باطل ؟ فقد كان عيسى يحيى
الموتى ، وسخر لنا الريح حتى نركبها ونسير عليها ، فقد كانت الريح مسخرة لسلیمان ،
ولست بأهون على ربك من سليمان ؛ وأن جماعة من المؤمنين ودوا لوتجلب هذه المطالب
حتى تنقطع نمللائهم ولا يبقى لهم متعلل ، فنزلت هذه الآية .

لقد رأيت كيف بنيت هذه السورة الشريفة من أولها على محاجة الذين يجادلون
في الله وهو شديد المحال ، فبيّنت الآيات واضحة ، وقررت لحجج شاهدة بمظنة قدرة

الله ، وشارحة آثارها المتنوعة حتى تكاد تلمسها اليد ، بعد أن ملأت العيون نورا ، والقلوب اقتناعا ، والنفوس المستعدة لقبول الهدى اطمئنانا ، فلم يبق إلا تلك الماعذين ، وتمحل المشاغبين ، وتعت السكارين ، أولئك الذين وضعوا أنفسهم في موضع من يستجدي منه أمر لا صلاح للعالم بدونه وهو عنه حد غنى ، فقام أولئك الحق يتعمقون ويتدللون ويقترحون ، وما هم بمؤمنين ولو جاءهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

ولقد حكى القرآن الكريم عنهم تلك التعمقات والمقترحات في غير ما آية ، كقوله عز وجل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، بل كان منهم ما هو أدخل في باب الحق والجحالة لطفة والغباء التي ما يبدوها غباوة كما حكاه عز وجل عنهم في قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، هكذا كان شأن أولئك المشركين الذي تغفل الشرك في عقائدهم ، وجددوا على ما كان عليه آباؤهم من إخضاع عقولهم لحجارة نحتوها بأيديهم ، وتغميض عيونهم خشية أن يأخذ نور الهدى بأبصارهم فيحولهم عما يبدون ، ووضع أصابعهم في آذانهم رعبا من صيحة الحق أن تدخل من آذانهم إلى ذهانهم فلا يستطيعوا الحرب من سلطان الحجة ولا التحول عن واضح المحجة . إذ كان شأن القوم التصميم على الشرك والكفر ، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

لا جرم كان من مقتضى الحكمة في جواب هؤلاء هو تبين شأن ما نزل إليهم ، وأنه قد احتوى على آيات بينات كافيات شافيات لمن ابتغى الهدى حقا ، وأراد أن يعلم الأمر على وجهه ، فبين يديكم من الآيات التي جلاها عليكم القرآن من أول السورة إلى الآن ما لو قسمتموه بتسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى ما نزل عنها دلالة

ووضوحاً، بل زاد عليها قوة وإقناعاً. ذلك أنه يخاطب العقول الثابتة التي ليست عرضة لتأثير السحر الذي يمرض ساعة ثم ينقطع، فليست تلك الآيات قابلة لأن يقال فيها كما يقال في غيرها: إنما سكرت أبصارنا بل يحزن قوم مسحورون، لا بل هي آيات راسخة ثابتة تعطى ما سألتهم وتريد عليه، فلو أن قراءنا وكلما يتلى سيرت به الجبال عن أماكنها أو قطعت به الأرض سيرا، أو ألمعى أو قطعت به الأرض أنهاراً، أو كلم به الموقى بإحيائهم لكان هو هذا القرآن الذي يتلى عليكم وأنتم عنه ممرضون مع اشتغاله على الكفاية في كل ما تطلبون، ألم يتل عليكم من آياته ما لا يستطيع أحد منكم إنكار أنه أثر من آثاره وحده؟ وإن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله، فهل دعاكم إلى شيء أكثر من الاعتراف بأنه هو وحده الذي يجب أن يتوجه إليه بالعبادة، وأن يطاع أمره وتبغى مرضاته؟ فهل بقى في هذه الدعوة خفاء بعد هذا الجلاء؟ وعلى هذا ترى للمعنى هكذا: لقد طلبتم تلك الآيات فعتنا وأوهمت أنكم طيستموها استرشاداً، ولو أنكم كنتم تطلبون الهدى حقاً لكفاكم ما يتلى عليكم، فلو أن قراءنا تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو تكلم به الموقى لكان هو هذا القرآن الذي تسمعون، فأعملوا عقولكم في الاهتداء بنوره إن كنتم تعقلون.

ورأى بعض المفسرين وجهاً آخر في تقدير جواب لو محذوف، وهو أن المعنى: ولو أن قرآنا نزل اليكم فسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموقى ما آمنتم به ولا فتنتم، فالمعاند المصر على ضلاله مهما قامت في وجهه الحجة لا ينتظر منه إذعان ولا إيمان. أما على الوجه الأول لجواب لو المقدر هو: لكان هو هذا القرآن، لما احتوى عليه من واضح البيان وساطع البرهان.

وعلى كل جواب لو محذوف، وحكمة حذفه أنه يدعو النفس للتفكير في تقديره، فتذهب كل مذهب ممكن، فيتجلى من المعاني المستفادة من الآية ما لا يستفاد منها إذا صرح بالجواب.

«بل الله الأمر جميعاً» فهو المليم الحكيم، لا يصدر عنه إلا ما يريد مما يعلم فيه المصاحبة والهداية، لا يخضع لرأى متعنت ولا لاقتراح مكابر، والله غنى عن العالمين، فليس به حاجة إلى أن يؤمن هذا أو يكفر ذلك، فمن اعتدى فلإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فلإنما يضل عليها، وإنما رحمته في أن يرسل إليهم رسلاً بالبينات التي يعلمها كافية وإفنية، فلا نأية لما يقولون ولا تكثرت بمن يتعنتون، بل امض في سبيلك، فقد أيدت بما فيه المقنع. ثم التفت إلى ما كان من بعض المؤمنين من تعلق نفوسهم بإجابة مقترحات أولئك المشركين، فوجه نظرهم إلى ما علموه واستيقنوه من أن قدرة الله شاملة لكل ما يشاء، مبرزة لكل ما أراد، وأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، ولكن إرادته وفق الحكمة اقتضت أن يكون منهم الكافر ومنهم المؤمن، اقتضت أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، فهما أدتوا من آية ومهما أجيئوا إلى اقتراح فلا يزال الذين قضى عليهم بالكفر في غيهم معه، وعن الصراط السوى يعدلون. هكذا اقتضت إرادة الله، فامعنى طاعية أولئك المؤمنين في إجابتهم وقطع حججهم؟ أغيثون حكم الله في عالمه ومشيبته في خلقه؟ أفلم يعلموا ويتبينوا تبيناً حاسماً أن هذه إرادة الله فيبأسوا من أن يفيدم إجابة مقترحات أو الإنيان بآيات ملجئات؟ وعلى هذا يكون يباس بمعنى يعلم، إما على أنه لغة لبعض العرب فيكون استعمالاً حقيقياً، وإما على وجه التجوز لأن من علم شيئاً علماً يقينياً فتدبث من أن يحصل خلافه. وليس يبعد أن يقال أن الحكمة اقتضت عدم إجابتهم لمقترحاتهم لأن العادة الإلهية أن الآية إذا كانت مبنية على اقتراح المدعوب وكانت من الوضوح بحيث لا تتحمل مفراً ثم كذبوا بها، أخذهم العذاب فاستأسلمهم، فكان من رحمة الله بهم أن يوجه نظرهم لما أتى عليهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكل جزاؤه الذي أعده الله له. ولعل في الإيماء لهم تمكيناً لبعضهم ليرجع النظر، أو لعله يحى، من ذريته من يؤمن بالله. وعلى كل حال ففي الإيماء توسيع للفرصة، وتمكين للمقول من إعادة النظر، وجادة التفكير.

« ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » :

لقد كان لأولئك المشركين المكابرين صولة تجعل أمرهم في نظر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خطيرا، وكان لديهم من العز والنفعة ما لا يصحح أن يستهان به، ووراءهم من المستضعفين الخاضعين لنفوذهم بحكم الجوار أو الخلطة في الميمنة خلق كثير حيل بينهم وبين الاهتداء بنور الاسلام، فكان أمرهم من كل ناحية جللا، وكان مثلهم مما يشغل بال المصلحين، فهو المولى عز وجل على رسوله وعلى المؤمنين أمرهم، ووعدهم بأن هذه الشكيمة وهذه العزة القعساء متداعية للفناء، ولا يزالون معرضين للمصائب تفرغ قلوبهم وتفشى رؤوسهم متتالية عليهم، بما صنعوا من عتو وعناد، وبما عثوا في الأرض من افساد، وبما حجبوا رحمة الله وهدايته أن تصل الى العباد، وبما كذبوا من آيات الله بعد وضوح الهدى والرشاد. نعم لا تزال القوارع تغشاهم في بلادهم أو تحل قريبا من دارهم فتملوهم رعبا وفزعاً وهما، فيفت ذلك من عضدهم، ويخضع من شكوتهم، فيرون بنيانهم ينهار شيئا فشيئا، وينجلي الحق للناس رويداً رويداً حتى يأتي وعد الله الذي وعده . من النصر عليهم، ودخول بلدكم الذي أخرجوك منه ظالماً وعتواً، فتزول بهم الأرض زلزلها، وتقطع عزتهم من أساسها، وتصدق الله رسوله وعده، وترى الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وتذهب ريحهم لا الى رجعة، إن الله لا يخلف الميعاد. والقارعة : المصيبة تفرغ قلب للصاب أى تصطدمه صدمة عتينا، ومنه قول الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيادته أن تكسرا

والمراد بها هنا ما كان يصيب المشركين من السرايا التي كان يوجهها صلى الله عليه وسلم اليهم، ويبان ما كان يلحق القوم من الهلع من جرائها، تنبيها لقلب المصطفى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، حتى تشتد عزيمتهم ولا يكبروا من شأن أولئك الطغاة. وقوله : « أو تحل قريبا من دارهم » ليان ما كان يلحقهم من الهلع والحزن للسرايا التي كانت توجه الى مجاورهم

فيرتقبوا أن ينزل بهم مثلاً . وقوله : « حتى يأتي وعد الله » هو ما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في قوله عز وجل : « لتدخلن المسجد الحرام »
« إن الله لا يخلف الميعاد » :

كلمة عامة لوعده الخبير ووعد النمر ، ولكن خصص صومها في الوعيد بآيات المغفرة لمن شاء ، ابن شاء ، فلا يتكان امرؤ عليها فيعتز بربه الكريم « إن بطش ربك لشديد »
هذا وقد رأى بعض للفسرين أن ضمير (تحن) راجع للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، أى أو نحل أنت قريبا من دارم ، إشارة الى وقعة الحديبية حيث جاء صلى الله عليه وسلم معتمرا مع بعض الصحابة ، فخشيب قريش أنه إذا دخل تسامعت العرب بدخول المسلمين مكة فتقل هيبتهن ، فعروضوه صلى الله عليه وسلم أن يحمى في عام آخر ، وانتهى الأمر بصلحها المعروف . وما كان ذلك إلا خشية من استفحال تلك القوة التى رأوها كل يوم فى ازدياد ، فرهبوا ما يلحقهم منها فتفاوضوا حتى تم الصلح على تلك الشروط المعروفة فى الحديبية ، والتى كان من ورائها إعزاز للإسلام وأهله . وهو وجه لا بأس به . وكذلك قسر بعضهم « حتى يأتي وعد الله » أى موتهم ، أو القيامة . ولعل ما سبق أظهر . والله أعلم .
« ولقد استهزئ برسلى من قبلك فأملت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب » :

هذا تثبيت إرتثيت لقلب النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أن هذا دائم شأن الحق والباطل : صراع وغلاب ، ومكابرة وعناد ، وسهزاء واستعطالة ، وعلى الله للذين كفروا أى يملهم ويعطيهم ملاوة من الزمن ، ومنه الموان الليل والنهار ، لتقوم الحجة عليهم ، وليتمكن من يريد منهم من مراجعة نفسه ومعاودة النظر ، حتى إذا لم يبق إلا المكابرة والعناد ، أخذتهم الصبيحة فأهلكتهم ، ولقد قصصنا عليك من نيا عاد وثمود وفرعون وغيرهم ، فكيف كان عقاب ، فهل قومك أعظم شكيمة وأعز نفرا ؟ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتأس بمن سبقك منهم ، وثق بوعد ربك إنه ناصر لك عليهم ، ويحق الله الحق ، والله متم نوره . والله أعلم .
ابراهيم الحيالى

الادب بين الحضارة والبداءة

أثر البيئة في الأدب

كنت أريد أن أجمل كلمة هذا العدد بحثاً في عوامل فقدان أدب الحضارة العربية قبل الاسلام ، في موطنها من اليمن ، والحيرة ، والشام ، ولكن بدا لي أن أقدم على ذلك بحث في أثر البيئة على الأدب ، وأسلوبه ، ومعانيه ، وأخيلته ، وروحه ، وقالبه حتى تبين لنا الخصائص المميزة لأدب البداءة عن أدب الحضارة ، ولنعرف إن كانت تلك الخصائص تنطبق على ما وصلنا من أدب العرب باعتباره أدب بداءة ، أو أدب حضارة .

وسأحاول عرض صور من الأدبين ، وأتناولها بالتحليل ، لتقف مع القارئ على تحديد الخصائص ، ثم نعبّر إلى الكلام على العوامل التي يمكن أن تكون ذات أثر قوي في ضياع الأدب الحضري وعدم وصوله إلينا كما وصلنا الأدب البدوي .

الأدب — كما قلنا : صورة صادقة لحياة الأمة في بداوتها وحضارتها ، وهو أصدق تعبيراً عنها ، وأوضح منراً لتصوير حالتها الفكرية والاجتماعية . فأدب البداءة صورة لحياة أمة تعيش مع الطبيعة التي لم تستحوذ عليها يد الإنسان ، بل ظلت كما خلقها الله تعالى بين الأودية والجبال ، والمفاوز والقفار ، تظلم سماء يصفو أديمها وتستوى النفوس بمجالها ، قد ازدانت بلوامع النجوم تألق في صفحتها ، ويسطع فيها البدر فزيدها جلالاً ، ثم تشرق فيها الشمس بأشعتها للتلتهبة المضيئة ، فكانت كسيت السماء ثوباً وهاجاً ، وكانما حصيب ، البادية جبار يلعب انتقاداً .

جمال طبيعي لا يكدره إلا ما تتعزله الطبيعة من الثورات في البوادي ، فالبدوي الذي يشهد هذا الجمال الهادي ، لا يلبث أن يرى جو صحرائه قد تلبد بالغيوم ، ودوي

في أفقها الرعد، وومض البرق، وهبت الريح إعصاراً تستك أصرورها الأسباع، وجرت زعزعا لا نذر من شيء، أتت عليه إلا جعلته كالريم، وهي الغيث مدراراً فأفهم الأودية، وناضت به الغدران، وإذا بالصمت قد خيم على تلك الطبيعة الهاججة حتى لا نسمع لها ركزا. هذه الطبيعة الناسية المتقلبة التي يعيش البدوي بين أحضانها لها أثر قوى بالغ في تكوين الأمة التي تنشأ فيها خلقيا واجتماعيا، فكما أن الطبيعة تآثرة، مابسة، كزة جافية، واجمة، فاضية، منيرة مظلمة، ضاحكة باكية، فلائمة تكون حادة الطبع، يستخفها الطيش، وتقلب عليها الجفوة والكزارة، وتستفزها الصيحة، وتتهاجها أنفه الأسباب، لا تألف الرزانة طبيعة وخفا، وإن اعتزت بها تخلقا وكسيا، تحركها الكلمة إلى الشر فتجري من ورثها الدماء.

لأنظام لها ولا قانون، ولا دين ولا عقيدة، اللهم إلا عادات وتقاليد موروثية، تجرى مع العرف في ذرى الرغبة والرغبة، مع حرية لا غاية لها، بل تتسع بالتسع الفضاء الذي تعيش فيه، وهي من أعظم مظاهر البداءة وأقدس مقدساتها.

للبداءة جمال، ولكنه جمال الطبيعة الساذجة التي لم تبيت بها يد الإنسان، جمال السماء في صفاء أديمها، والنجوم في تلالها، والشمس في وهجها، والريح في قصفها والأطياف في شدوها، والأشعار في حفيفها، والأزهار في نضارتها، والصحراء في سكونها، والجبال الشم في جلالها، والقمر في بهائه، والليل في رهبته.

جمال عميق في حقيقته، بسيط في ظاهره، لا يذبك إليه إلا إذا فقتشته، ونقبت في زواياه، وأنى للبدوي أن يكشف عن هذا الجمال وقد ألهمه الطرد ليأكل، وشغلته الحروب والغارات ليعيش ١٢

فهو إذا تحدث عن مظاهر الكون جاء حديثه وليد النظرة المجلى واللمعة المائمة على سطح الحياة، فلا يحاول التعمق ليكشف من أسرار الوجود التي تمثلت أمامه في مجالى الطبيعة وهي سافرة، وإن هو أراد التعقق فنن يستلهم شيئا غير ما نأثى به

طبيعته البادية المحدودة ، لأنه ليس في استعدادده ، وهو في بيئته البدوية ، النزوع الى مثل أعلى وراء تلك المظهر التي تأخذ عليه مسارب الإحساس والشعور .
يصف السحاب والأقطار ويفتن في هذا الوصف ، لأنه يرى فيها الوسيلة لبثائه في باديته بمرح ويرتج .

يهتز سرورا إذا شام في السماء السحاب حفلا ، ويتقبض إذا عرضت له جهاما ،
لأنه يريد الماء الذي تقوم عليه حياته وحياة ماشيته ، وهي عمده معيشته ، ولا يعنيه ما في تلك المناظر الطبيعية من صور وراء اللمدة ، هي ملاعب الخيال لخصب لو صادفت مصورا ماهرا ، حبه الحضارة بذوق أدبي ، وفكر عبقرى ، يعنى فيتقصى ويذهب مذاهب التفصيل والتحليل والتزويد والابتكار في تشبيهاته بما يجد عنده في أفق الخيال ومسارح العقول . ألا تسمع الى ابن الرومي الشاعر الحضري المصور وهو يصف السحاب فيقول :

من حُبْزِيهِ وتَسْطِيرِ بَروق	مَنهالٌ رَجُلٌ تَحْمِلُ رِواءَ
لَمْ يَدْرِ سَائِقَهُنَّ كَيْفَ يَسوق	سَدَّتْ أَوَائِلَهُ سَبِيلَ أَوْخَرِ
مَنْهُ سِوَا عِدَّةِ ثَرَةٍ وَعِروِق	فَسَحَا وَأَسْعَدَ حَالِيهِ بَدْرَةٌ
مَنْهُ الكَلْبُ فَأَدْبَمَهُ مَعْقُوق	وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ الصَّبَا فَتَبَجَّسَتْ
عَنْهُ حَقُوقٌ بِعَدْنٍ حَقُوق	حَتَّى إِذَا قُضِيَتْ لَقِيَعَانِ لِلْمَلَا
فَوْقَ الرُّبَى وَمِنْ دَهَا مَشْقُوق	طَفَقَتْ رِوَايَاهُ تَجَرُّ مَزَادَهَا
حَتَّى تَفْتَقَ نَوْرَهُ الْمُرْتُوق	وَتَضَاحِكُ الرُّوضُ الْكَثِيبَ بِصُوبِهِ
مَسَكَ نَضُوجَ فَأَرَهُ مَقْتُوق	وَتَبَسَّمتْ نَفْعَانُهُ فَكَأَنَّهُ
مَلَبَّ قَمَلِيلٍ بِالنَّفْسِ مَشُوق	وَتَقَرَّدَ الْمَكَاءَ فِيهِ كَأَنَّهُ

فانظر الى هذا لافتنان في التشبيه البديع ، والجري مع الخيال الضافي ، والفكر العميق ، وما فيه من براعة التصوير ، ودقة الوصف . وأنت إذا تأملت قوله : منهال

زجل ، واجتثك منه صورة حية متحركة ، فيها بشاشة وبهجة ، لأن هذين الوصفين من خصائص الحياة المزوجة بالحب والشعور ، ولكن الشاعر المصور لا يريد أن يدمي لموصوفه حياة تصرفك عنه ، بل هو يريدك على أن تفهم أن هذه الحياة مع ما فيها من حب وشعور هي حياة الطبيعة في مظاهرها ، فهو يقول : وتنفست فيه الصبا ، وتضاحك الروض الكئيب ، ليقربك ما كنت تسنعه لو وقف بك عند الصورة الأولى . ثم انظر الى تلك الصورة البديعة التي تصور طائر المسك غردا طروبا ، فقد ترى أنها صورة قريبة يستطيع كثير من الشعراء رسمها ، ولكن لا تغفل عن قوله طرب لعل بالغناء مشوق ، فان فيه إحساسا إنسانيا جاوز به الشاعر الطائر الى نفسه ، وهذا شيء يبعده كل إنسان ، ويحس به بين جوانحه ، وأي مشوق لا يتعلل بالغناء والتطريب ؟

ثم وازن بين هذا التصوير ، وتصوير البدوي الذي يستمد فنيته ألوانه من مظاهر البداءة واقما عند سفح الحياة يلتقط منها صورا طائفة قصارا كالدمعة الخاطفة يتناولها الحبس الناحي المحدود .

هذه ديشة امرئ القيس ترسم منظرا لا يختلف في وقائمه عن منظر ابن الرومي كثيرا ، وهو مختلف في تخريجه عنه أشد الاختلاف ، وامرؤ القيس أبرع شعراء البداءة وأميرهم ، يقول في مذهبته :

أصاح نرى برقاً أودك وميضه	كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه أو مصابيح راهب	أمال السليط بالذبال المفتل
قدمت وأصحابي له بين ضارج	ويبين العذيب بعدما متأمل
على قطن بالشيم أيمت صوبه	وأيسره على الستار فيمذبل
فأضحى يسبح الماء حول كتيفة	يكب على الأذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نقيانه	فأزول منه العصم في كل منزل

وتباه لم يترك بها جنح نخلة ولا أطما إلا مشيدا ينفدل
 كأن ثيرا في صرائين وبله كبير أناس في يجاد مزمل
 كأن ذرى رأس المجير غدوة من السيل والغناء فلكة مغزل
 وألقى بصحراء الغبيط بعاءه نزول الثماني فدى العياب المحمل
 كأن مساكن الجواء غدية صبحن سلا من رحيق مففل
 كأن السباع فيه غرق عشية بأرجائه القصوى أنايش عنصل

فهذا الشاعر المصور البدوي لم يقصر في تصوير مناظره ، بل سما الى السكالم وأبدع في إخراج صوره إبداع العبقرى الخاذق ، ولكنها عبقرية البداءة التي لا تجاوز المحس للشهود ، ففي تصوير وميض البرق بلع اليدى ، وحركتهما السريعة في الحى السكل ، أى السحاب المستدير المنفل بالماء ، براعة في لتصوير لا تبلغ الدقة الفائصة الى الأماق . بل هى صورة مما تأخذه العين لأول نظرة ، وتنف بك عند هذه النظرة الخاطفة الى امتاز بها ذكاء البدوى . وفي تصوير سنا البرق وضوئه بمصاييح الراهب التى مال ريتها بالنبال المحكم القتل ليكون أروى له وأضوأ ، جمال خافت لا يدركه إلا من عرف وحشة الديورة وساكنيها ، تلك الوحشة التى لا تشابهها إلا وحشة خيبة البدوى في جوف الصحراء .

لنتحط هذه الأسماء التى يكثر منها الشاعر ، فهى وإن لم تقع منا موقع اللذة والامتناع لكنها عند الشاعر ترمز الى معان فى نفسه يحسها ويلتذ بذكرها ، ولنتابع سيرنا مع الشاعر ، فإذا به ينتقل بنا من صورة الى صورة أخرى مسرعا فى حركته ، فهو يقول : إن هذا السيل شديد عنيف يكتسح أمامه كل شىء حتى الدوح للتعاظم الذى يسميه الشاعر باسمه الغريب (السكتهيل) المتفلفل فى البداءة ، يكبه على الأذقان ، وكلة الأذقان هنا جميلة جدا ، لما فيها من الاستعارة اللطيفة ، وهذا السيل أيدى يستنزل العصم من قنن الشامحات ويهدم الحصون المشيدة ، وهو مستبحر أغرق ثيرا ذلك الجبل

المعظم ، فصار فيه أشبه بزعم قبيلة تلفف في عيائه ، وصارت ذرى رأس المجيمر كأنها فلسكة مغزل ، وهذا السيل يذهب في طريقه جادا حيث يلقي أنفاله كما يلقي التاجر البماني عيابه وينشر سلعه ، ومن شأن التجار أن يجمعوا في عيابهم مختلف الأشكال والألوان ، فكذلك هذا المطر كما سمراء الغبيص نباتا وزهورا مختلفة الألوان والأشكال .

هكذا يستوحى الشاعر البدوي بيئته في مرائبها ومشاهدها حتى يقف عند تلك الصورة التي رسمها ابن الرومي أيضا :

كأن مكاني الجواء غمدية صبعن سلافا من رحيق مفصل
فامرؤ القيس ينصرف عن نفسه الى مكانيه ، فيصور فرحها بهذه الناضر ، ويكتفي أن يقول كأنها تربت في الصباح سلافا من رحيق مفصل ، فهي متفجرة ثملة سريعة الحركة ، لا تفر ولا تسكن . وقد عرفت أن أنباء ابن الرومي أنباء مركب ، فيه عمق ، وفيه إحساس إنساني ، وشاعر البداءة لا يجب أن يقف عند هذا اللون في تصويره الذي قد تشاركه فيه شعراء الحضارة ، فهو يرجع سريع الى باديته مكتملا متفردا فيصف السباع وهي غرق في هذا السيل الطافي :

كأن السباع فيه غرق عشية بأرجائه القصوى أبايش عنصل
فهو تشبيه غريب ساذج ، فيه حلاوة البداءة ، وصدق تصويرها ، انتهى اليه الشاعر ليدل به على مكانه من بيئته .
صالح إبراهيم عربيه

الوصايا النبوية

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أوصاني ربي بتسع أوصي بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والنصب ، والقصد في النفي والتمتر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطي من حرمي ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

إسعاف المريض بالخمر

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

هل يجوز شرعاً تعاطي الخمر بكمية بسيطة كمنجان قهوة مثلاً كعلاج وقتي سريع في حالات الإغماء والإصابات الشديدة ، لما لها من السرعة في إسعاف المريض ، وحسن الأثر الى أن يتمكن الطبيب من القيم بالإسعافات الأخرى الواجبة التي هي في طبيعتها أبطأ في الفائدة من الخمر لدرجة قد تؤثر على حالة بعض المرضى تأثيراً قد يسيء اليهم ؟
دكتور محمد عبد العظيم سرور

الجواب :

إذا قرر الطبيب الحاذق الثقة أن الخمر تعيّنت طريقاً لا نفاذ المريض في حالات الإغماء أو الإصابات الشديدة بحيث لا يقوم غيرها مقامها في هذا ، جاز إعطاؤه مقدار ما يدفع الخطر عنه ، والله أعلم .

في الميراث

توفيت سيدة عن زوجها ، وبنتين من أخيها الشقيق المتوفى ، وولدين من أختها الشقيقة للمتوفاة ، فن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟
حسين الشيال

الجواب :

كل هؤلاء المذكورين وارثون ، وتقسم التركة ثلثي عشر جزءاً ، ستة منها للزوج ،

وأربعة لبنى الأخ : لكل واحدة منهما جزءان ، والجزءان الباقيان لابنى الأخت ، لكل واحد منهما جزء . والله أعلم .



رجل مات عن أم ، وأخت شقيقة ، وإخوة لأب ، وإخوة لأم ، فن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟ والفتوى تكون على مذهب الحنفية .
أحمد الصباغ

الجواب :

الوارث من المذكورين الأم والأخت الشقيقة وإخوة لأم .
فلا أم سدس التركة ، وللأخت الشقيقة نصفها ، ولإخوة لأم ثلثها ، يقسم بينهم على السوية .
أما الإخوة لأب ، فلا يستحقون شيئاً من هذه التركة ، لأنهم عصبة ، ولم يبق بعد توزيع التركة على أصحاب الفرائض شيء يأخذونه ، والله أعلم .



رجل مات عن زوجته ، ووالدته ، وبنيتين ، وأخ شقيق ، وثلاث أخوات شقيقات ، ثم مانت إحدى بنتيه عن والدتها وأختها الشقيقة ، وصمها وعماتها الثلاث ، وجدتها من أيها .

فن يرث ، ومن لا يرث في اللسألتين ، وما نصيب كل ؟

عبد الله عبد عرابي

الجواب :

الميراث في المسألة الأولى لجميع من ذكرناها ، فللزوجة الثمن ، وللوالدة السدس ، وللبنتين الثلكن ، والباقي للأخ والأخوات ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

والميراث في المسألة الثانية للوالدة والأخت الشقيقة ، والعلم ، ولا شيء للعمات ، ولا للجدّة . أما الوالدة ، فلها الثلث ، وأما الأخت فلها النصف ، وأما العلم فله الباقي ، والله أعلم .

صلاة الجمعة

يوجد ببلدنا مسجد قديم مؤسس من نحو خمسين سنة ، وتقام به صلاة الجمعة ، وقد أنشئ بهذا البلد مسجد جديد في جهة أخرى ، وقد أفتانا بعض أهل العلم بعدم جواز إقامة الجمعة في المسجد الجديد ، فهل يجوز إقامة الجمعة به على مذهب الامام مالك ، مع العلم بأن هذا المسجد غير تابع لوزارة الأوقاف ، وينفق عليه الأهالي كالأول ؟

مرسى خليل

الجواب :

الذي جرى عليه العمل من مذهب المالكية أنه إذا أقام أهل هذا البلد صلاة الجمعة في القديم والجديد معا ، صحت في القديم دون الجديد ، إلا إذا كان القديم لا يتسع صلاة من يغاب حضورهم ، أو يخشى حدوث فتنة من اجتماع أهل البلد في القديم ، فإنه حينئذ تصح الصلاة فبهما معا ، فإن صلّوا في الجديد وحده وتركوا القديم ، صحت جمعهم .

وتوسّع علماء المالكية في الأسباب المبيحة لتمدّد الجمعة في البلد الواحد ، فجعل منها تعد ما بين طرفي البلد ، ومشقة الانتقال إلى المسجد العتيق بحيث يخشى من تكليفهم بالانتقال إليه ترك الجمعة ، وأبّد هذا بأنه المناسب لئسر الدين الاسلامي ، ولترواحه العامة ، كتمديد درء المفاسد على جلب المصالح .

ودعب بعض لأئمة لى أن صلاة الجمعة كبقية الصلوات تصح في كل مسجد . والله أعلم .

الرضاع

بنت أجنبية رضعت مع أختي الصغيرة من والدتي ، فهل يصح أن أتزوجها ؟

محمد محمد سليمان

الجواب :

حرمة الرضاع ليس من شرطها أن توضع البنت مع الولد ، بل يكفي في تحريم الرضاع أن يكون الولد والبنت قد أرضعتهما أم واحدة ، سواء أ كان رضاع البنت مع الولد أو مع أحد إخوته أو أخواته . وهذا باتفاق الأئمة الأربعة . والله أعلم

رجل تزوج ابنة عمه ، وبعد عامين من هذا الزواج اتضح أن أخت زوجته أرضعته ، وبسؤالها عن ذلك أجابت بأنها أرضعته ، ولكنها لم تفكر كم مرة أرضعته . فهل هذا الزواج صحيح ؟

عجربى أحمد

الجواب :

مذهب الشافعية والحنابلة أن تحريم الرضاع لا يثبت إلا بخمس رضعات متفرقات ، وأن يعلم ذلك من طريق اليقين . وعلى هذا فمقد الزواج المشكوك عنه صحيح عند الشافعية والحنابلة . والله أعلم

ذلة الصيد

ما الحكم في الصيد بالبنديقية في جميع المذاهب إذا لم يدرك حيا ؟

العزب سليمان هيبه

الجواب :

الأصل عند الحنفية أن الصيد إذا قتل بألة حادة يقطع بها عادة كالسهم ونصل

الريح والمدينة وما الى ذلك ، يحمل 'كله' . وما قتل بآلة مثقلة لا يقطع بها عادة كالخحر والزلط والخشبة الغليظة لا يحمل 'أكله' . وبني بعضهم على هذا الأصل أن الصيد بالبندقية لا يحمل للصيد به ، لأن الرصاصة الى تخرج من البندقية ليست عمدة ، ولا مما يقطع به عادة ، وثبت القتل بها ناتج من ضغطها على الصيد بواسطة قوة الدفع . فهي من هذه الناحية كالخحر والمصا الغليظة في أن موت المصيد كان بسبب ثقل ما ألقي عليه ، إما ثقلاً ذاتياً كما في الحجر ، وإما ثقلاً آتياً من قوة الدفع كما في رصاصة البندقية ، وإذاً يكون المصطاد بها من قبيل الموفوذة التي حرّمها القرآن بنص صريح . وقالوا : إذا حددت الرصاصة بحيث تصبح كنصل لرمح واصطيد بها حل المصيد . ولكن بعض محققى الحنفية كالسندى وغيره ، رأوا أن الرصاصة وإن كانت لا يقطع بها عادة إذا أمرت على الجسد إمراً عادياً فهي بقوة الدفع التي في البندقية تقطع وتفرى الجسم ، وتظهر الدم . فقتل المصيد في الواقع ليس مضافاً الى الضغط الناشئ من قوة الدفع كما في الحجر ، وإنما هو ناشئ من الجرح الذي أحدثه تمزيق الرصاصة للجسد ، ويستوى في ذلك الرصاصة المحددة وغيرها من الرصاص المعتاد ، فإنها على كل حال تمزق الجسد ، وتنفذ الى ما وراء الجلد ، وتسبب النزيف ، وعند ذلك يكون الموت . وليس صحيحاً أن الموت بها آت من ثقلها بقوة الدفع ، وإنما هو آت من الجرح الذي أحدثته . وهذا معلوم من طريق للشاهدات التي لا يستطيع أحد إنكارها . وعليه فالمصيد بالبندقية حلال 'أكله' إذا لم يدركه الصائد حياً ، فإن أدركه حياً وجب ذبحه بالطريقة الاعتيادية .

وكذلك ذهب المالكية الى حل المصيد بالبندقية . وكلا المذهبين يشترط أن يكون الصائد مميزاً ، غير تارك التسمية عمداً عند إطلاق الرصاصة ، وأن يضاف القتل الى الرمي دون سبب آخر كالفرق . وزادت المالكية شرطين آخرين ، هما أن يكون الصائد مسلماً ، وأن ينوى التذكية . والحنفية يرون حل المصيد من السلم والكتاني سواء .

أما الشافعية والحنابلة فلا يرون حل المصيد في هذه الحادثة المستثناة عنها .
والله أعلم .

تصرف الابن

رجل ملك ابنه التصرف في منزله ، وعاهده على الصدق والإخلاص في السير ، ومشاورته في كل شيء ، قبل فعله ، سواء كان بيعاً أو شراء أو أى معاملة ، ثم سكنت الولد العهد ، واشترى أشياء لنفسه خاصة ، ولم يشرك فيما اشتراه أباه ولا إخوته ، وادعى أن هذا سعيه وحده . فهل هذا حلال أم حرام خصوصاً إذا لم يرض عنه الأب ؟
مصطفى عوده

الجواب :

المفهوم من السؤال أن الرجل فوض إلى ابنه التصرف في أمواله بالبيع والشراء وغيرهما ، واشترط عليه أن يطلعه على كل تصرف يريد أن يفعله ، ولكن الولد لم يعمل بما تعهد به ، بل استبد بالتصرف دون أن يطلع والده عليه ، واشترى أشياء اختص بها نفسه وادعى أنها من سعيه وعمله . فإذا كان السؤال هكذا فالجواب أن عمل هذا لولد حرام .

الرهن

هل يكون شيء من الإثم في رهن الأتليان الحيازي بشرط أن ينتفع الراهن بالعين المرهونة ؟
بكر سعد أبو شوشه

الجواب :

يقع بين الناس معاملات تتعلق بالرهن ، فقد يفترض الرجل من آخر ما لا ، ويسلم إليه أرضه رهناً في دينه ، على أن يكون لصاحب الدين الانتفاع بالعين المرهونة

ذراعة وتأجيراً أو غيرهما . فإذا كان السائل يشير بسؤاله إلى مثل هذه الحادثة ، ويطلب حكم انتفاع صاحب الدين بالعين المرهونة في يده ، فالحكم أنه حرام ، لأنه قرض جر نفعاً . وهناك تعامل آخر بين الناس ، أساسه عقد إيجار أو عقد بيع ، فقد يشتري الرجل أحياناً عفاً أو غيره ، ويبقى من ثمن المبيع في ذمته مفداً ، فيرهن المشتري للبائع بما بقي في ذمته من ثمن المبيع أرضاً زراعية ، ويذكر في صلب العقد أن هذه العين دهن في باقي الثمن ، وأن للبائع حق الانتفاع بها مدة معينة . فانتفاع صاحب الدين في هذه الحادثة حرم عند الحنفية ، حلال عند المالكية والشافعية . وكذلك حلال في رواية عند الحنابلة . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد اللطيف الصمام

من طرائف الحكمة

فيل لقسن بن ساعدة : ما أفضل المعرفة ؟ قال معرفة الرجل نفسه . فقيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف الإنسان عند علمه . فقيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه .

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

وقالوا : لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غنى كرضا عن الله ، وأحق ما جبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .

وقالوا : أفضل البر الرحمة ، ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقوق مكاتبة الأذنين ، ورأس العقل الإصابة بالظن .

وقالوا : التفكير نور ، والنفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلم حياة ، والأول سابق ، والآخر لاحق ، والسعيد من وعظ بغيره .

وقالوا : ظن العالم كهانة .

وقال الحسن البصري : لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا .

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر القراء أننا لخصنا بحثنا للكاتب الفرنسي المسيو أندريه هرفيه حول فيه على الاسلام، وحصرنا شبهاته التي أوردتها في اثنتي عشرة شبهة. وقد دحضنا أربعة منها وبقيت ثمان شبهات، فتأتي اليوم على دحض خامستها ومؤداها:

«إن الحضارة التي يزعم المؤرخون أنها عربية هي في الحقيقة حضارة الشعوب التي وقعت تحت نير العرب، فتأبعت سيرها على الرغم من العقائد الاسلامية الجامدة»

دحض هذه الشبهة:

يلوح لي أن المسيو أندريه هرفيه لا يكتب ليصل الى حقائق تاريخية، ولكنه يكتب ليظن في الاسلام. وتراه لأجل الوصول الى هذه الغاية يسير على أسلوب لم يسر عليه كاتب قبله، فهو لا يحترم المقررات التاريخية حتى التي دونها أبناء جلدته، ويخالف الإجماع بغير دليل يقيمه غير رأيه الشخصي. مع أن مخالفة الإجماع على مقتضى الدستور العلمي لا يجوز إلا إذا وجدت أدلة محسوسة تنقضه، ولا يجوز الاعتماد على تلك الأدلة إلا إذا اشترك في تقديرها عدد من أهل البصر يعنون بأنها كف. لذلك النقض.

أجمع المؤرخون على أنه كانت للمسلمين حضارة زاهرة كشفت كل ما سبقها من الحضارات العالية، ونها بلغت حدا لم يبلغه نظائرها في أقدم الأمم علما ومدنية، وعلى أن هذه الحضارة دعا إليها الاسلام نفسه وساعد زعمائؤه على إبلاغها الى كمالها بما بذلوه من جاههم وجهودهم وأمواهم، وبما نشطوا العاملين عليها على المتابعة بكل ضروب التنشيط والتحفيز، ففرق المسيو أندريه هرفيه هذا الإجماع، وقرر بأن ماتميلة المؤرخون من أمر الحضارة الاسلامية، هو ما كانت عليه الشعوب التي دوخها

المسلمون وأخضعوها لسلطانهم من آثار الحضارة الخاصة بهم ، أما الاسلام نفسه فلا يعرف الحضارة ولا يدعو اليها ، ولكنه بقتاها حيث صادقها ، ويقضى على أهلها وأهلها بالجمود والاستكانة .

هذا عجيب وأكبر من عجيب : فإن مدينة تقوم في أمة من الأمم وبدوى أخبارها في العالم كله دويًا قاصفاً ، وتصبح بلادها كعبة تخرج اليها الشعوب من أقصى الأرض لتقتبس من نورها ، ويجمع على إكبار شأنها مؤرخو العالم أجمع ، ولا تزال آثارها ظاهرة في أربعة أرجاء المعمورة ، تشهد لأهلها بالنبوغ الخارق للعادة ، والعبقريّة البالغة ، يجرؤ على إنكارها كاتب بنير دليل ولا شبه دليل ، ولكن بحجة قلم ، كأن هذا القلم يستطيع أن يحو ما انتقش في لوح الوجود نفسه ، غير حاسب أن هذه الجراءة تكفي وحدها لدحض كل ما قاله ولو لم يتعرض له أحد ينقد .

لا ندري كيف يغيب عن مثل المسيو أندريه هرفيه أنه لو كان للمسلمون الأولون من الطراز الذي يتوهمه من الجمود والتوحش ، لبادت تحت نيرهم الثقيل تلك الحضارة من المدينة التي كانت للشعوب التي أخضعوها لسلطانهم ، ولم تمش إلا ريتاً تودع الوجود ذابلاً متداعية ، كما كان شأن المدينة الرومانية العظيمة تحت نير الفانحين من قبائل الفنداليين والهونيين وقدماء البلغاريين ، لا أن تنتعش تلك المدينة وتردهر تحت حكم المسلمين حتى تظهر على سائر مدييات العالم ، وتبقى قروناً طويلة نافذة العام كله من الظلمات إلى النور في تلك القرون الخالكة .

إذا كان الأمر كما يدعى للمسيو أندريه هرفيه من أن المسلمين كانوا أهل جمود وجاهلية ، وأنهم لم يعبأوا بالعلوم ولم يكثرثوا لها ، وأن ما حموه للعالم من أصول دينهم يغطي نور كل مدينة في العالم ، وأن الحضارة التي يصادفها المؤرخون تحت سلطانهم لم تكن إلا حضارة الأمم التي أخضعوها لسلطانهم ، إذا كان الأمر كما يدعيه من هذا الخطب فهل يستطيع أن ينكر أن المسلمين نقلوا العلوم إلى لغتهم العربية ، وأن أئمتهم وزعماءهم بذلوا في نقلها مالا حياء ، وجهداً جيدها ؟

فلم يعقل أن يتكلف هدم الحضارة هذه المشاق والتكاليف كلها في نقل العلوم الى لغتهم ماداموا هم مغطورين على كرهتها ، وعلى تثبيط همة أهلها ، وما دامت المدينة كما يقول كانت مقصورة على الأقوام المتوابعين لهم ؟

إن كان لما قاله السيوطي من أن ندره هرفيه حظ من الصحة لا يبق المسلمون العلوم بلغاتها الأجنبية ، ولما نجشموها المتاعب في الحصول على كتبها للمهمة في زوايا المكتبات الأوربية ، ولما بذلوا ملايين الدنانير لنقلها الى لغتهم ، ولما عُنوا بأن يجعلوا كتبها في أرفع مكان من مكتباتهم وجامعاتهم فهل تشييل شيئا بالمقول أشد من هذا البعث ؟ وإني لمتعجب كيف تقبل الجريدة التي نشرت هذه المباحث أن تنشرها مع هذا الخلط ؟ هذه الملاحظات تكفي الرد على شبهة السيوطي من هرفيه ، ولكننا نأتي هنا بفدلكة عن تاريخ العلم في الاسلام لنثبت بدليل محسوس أن أول من كتب فيه بالعربية وأمر نقل ما يوجد منه في البلاد الأجنبية هم المسلمون أنفسهم فنقول :

اشتغل المسلمون بطلب العلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يحفظون القرآن كله أو بعضه ، ويتتبعون الأحاديث النبوية ويتداكرونها فلما خلق رسول الله بالرفيق الأعلى انقطع منهم قوم لدراسة التفسير والحديث ، وآخرون لتحرير اللغة وضبط قواعدها ، وجماعة لجمع التاريخ ، وأخرى للتبسط في الفقه ، فكان هذا أول مادتهم الضرورة اليه .

فلما نالوا حظا من هذا كله ، مدوا بأبصارهم الى ما بعده من المعارف التي تقتضيها حالة التعرض التي دخلوا فيها ، ولم يرض عنهم في الاسلام أكثر من خمسين سنة .

فكان أول من اشتغل بنقل العلوم الكونية الى الأمة الإسلامية هو خالد بن يزيد بن معاوية أحد أمراء بني أمية المرشحين للخلافة ، فقد استقدم جماعة من علماء جامعة الاسكندرية اليونانيين وأخذ عنهم علم الكيمياء ، ثم أمر بنقله الى اللغة العربية ، فترجمه له رجل اسمه اصطفان القديم ، فكان هذا أول ما نقل الى هذه اللغة من العلوم الطبيعية .

واشتغل هذا الأمير أيضا بالعلوم الفلكية على علماء من اليونانيين ، منفقا في هذا السبيل مالا جبا ، وحصل على الآلات الضرورية له ، ويرجع أنه قد ترجم له منه . وقد جاء في كتاب تراجم الحكماء أنه قد وجدت في نحو منتصف القرن الرابع الهجري في مكتبة القاهرة كرة أرضية من النحاس عمها الملك الشهور بطليموس اليوناني ، وكان عائشا قبل للمسيح بنحو مائة وخمسين سنة ، وجدت مكتوبا عليها هذه العبارة : « تحملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية » .

فانظر كيف انبعث المسلمون من أنفسهم بداعية لدين نفسه ، وضرورة العمران ، لأن يستكملوا وجودهم الدني بالعلوم التي تؤيده وتبلغه الى أبعد ما يصل اليه عما وعملوا . توفي الأمير خالد بن يزيد في سنة (٨٥) للهجرة ، وتولى عبد الملك بن مروان ، وكانت الآراء قد اختلفت فيمن هو أحق بالخلافة من المرشحين لها ، وانقسمت الأقطار الاسلامية مشايعة لهم ، فكان هوى مكة والمدينة والعراق ومصر مع عبد الله بن الزبير ، وكان قد تولى الخلافة ونفذ كلمته في هذه الأقطار الشاسعة . فلما تولى عبد الملك بالشام رأى أن أول ما يجب عليه لتثبيت خلافته ، أن يقاس عبد الله بن الزبير ، فأرسل اليه الحاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش ، فأخذ يقاتله ، وفي الوقت نفسه بعث بجيش الى العراق لطرد عامله منها ، فاتفق أن القاتلين الأمويين تمكنوا من القضاء على خصميهما ، فخلص الملك لعبد الملك ، ثم لبني الأربعة حتى نهاية القرن الأول ، فحدثت فتنة كان الغرض منها إسقاط الأمويين واستبدال العباسيين بهم ، فكانت حروب وقلاقل حتى استقرت الأميرة العباسية في الملك ، فلم تطل أيام عييدها أبي العباس السفاح غير سنتين ، ثم خلفه أخوه المنصور سنة (١٣٦) ، وكانت نيران الفتن قد تهمت ، فدفعته هدية القرن وضرورات العمران الى البحث عن خزانة العلوم الكونية . فأول ما اتجه اليه بصره منها علم الفلك فاستحضر جهورا من أعلامه الفرس ، منهم نوبخت ، وكان ذا براعة في العلم باقتراعات الكواكب وحواشيها . ولم

كبير خلفه ولده أبو سهل بن نوبخت ، ثم توالى أعقابها في خدمة العباسيين وترجموا لهم كتباً كثيرة .

وقد اشتهر أمر اهتمام المنصور بعلم الفلك ، فقصده أعلامه من البلاد الأجنبية كبلاد الهند واليونان .

وفي عهد المنصور ترجم الى العربية أشهر كتاب للهند في الفلك ، ونشرت تحت اسم السندهند الكبير ، وجعل أصلاً يرجع اليه في علم حركات الكواكب .

ولما كان علم الفلك يحتاج الى العلوم ارياضية كتب للمنصور الى ملك الروم أن يبعث اليه بكتبها ليترجمها ، فبعث اليه بكتب أفقليدس وبعض الكتب الطبيعية فأمر بترجمتها .

واهتم أمير المؤمنين المنصور أيضاً بالطب ، واشتد كلفه بنشره ، وذلك أنه كان قد أصابه مرض ، فلما أعجز أمره الأطباء جميعهم وسألهم : هل يعرفون طبيباً ماهراً في بعض الأقطار ؟ غدوه على جورجيس بن بختيشوع ، فاستقدمه ، ولما سر من علمه وخبرته ونجاح معالجته أمره بالاقامة في بغداد ونقل كتب الطب الى العربية ، وكان ملماً باليونانية والسريانية والفارسية ، فنقل له كتباً قيمة منها .

فلما أفضت الخلافة الى حفيده هرون الرشيد من سنة (١٧٠ - ١٩٣) كانت ضرورة الحياة المدنية قد أعدت النفوس للاستكثار من العلوم الكونية ، وشعر العلماء في الأقطار البعيدة بشغف المسلمين بها ، فأهرعوا الى بلادهم يتلصسون بشر تقائهم فيها . فناء عدد كبير منهم الى بغداد من سريان وفارس وهنود واستقبلوا فيها بالترحاب ، وقربهم الخليفة وأغدق عليهم المعطيات ، وأمرهم بترجمة أمهات الكتب اليونانية ، فشرعوا في العمل تحت رعايتهم ورعاية الأمراء .

ولما أفضت الخلافة الى المأمون بن هرون الرشيد ، نشطت حركة الترجمة والتأليف نشاطاً عظيماً ، وجارى الوزراء والأعيان الخلفاء والأمراء ، فكان لكثير منهم محلات

خاصة المترجمين يجرون عليهم الأرزاق من أموالهم الخاصة، لينقلوا لهم عيون الكتب الأجنبية التي حصلوا عليها من بلادها لأصلية.

هنا أمر يجب أن لا يفوت القارئ، وهو أن العلوم الكونية والمذاهب الفلسفية كانت قد كسدت كساد تاما في أوطانها من البلاد الأوروبية. وكان رجال الدين هنالك يماقبون بالقتل كل من يشتغل بها، وقاموا بجمع كتبها وحشروها في خزائن مؤصدة لا يصل إليها إنسان. فكانت الحشرات تعيش بها عبثا شنيعا، حتى إن الذي يقترب منها كان يسمع صرير أسنانها تعمل في قرض صحائفها:

فلما نهض المسلمون نهضتهم التي حيرت العقول في سرعتها وضخامتها، وبُعد آثارها، لم يقتصروا على ما كان محفوظا منها لدى العلماء الذين هاجروا من تلك البلاد هربا من الاضطهاد، وتأفوا لأن يحصلوا على ما في تلك الخزائن من الذخائر العلمية. فكتب المأمون إلى ملك الرومان يطلب إليه أن يسمح له بإرسال بعثة علمية إلى بلاده للبحث في الكتب القديمة المجهورة، وأخذ ما يقع عليه اختيارهم منها لقله إلى العربية. فتردد الملك أولا ثم سمح بذلك، فأوفد المأمون جماعة من علماء النسطرة إلى تلك البلاد، فاقتاروا طائفة من تلك الكتب وأحضروها إلى بغداد وشرعوا في ترجمتها.

فكانت اللغات المؤلفة به الكتب التي شرع المسلمون في نقلها هي اليونانية والفارسية والسريانية والسكسكريتية الهندية والنبطية واللاتينية وغيرها.

وإنما أراد المسلمون من الاستكثار من اللغات التي تترجم الكتب عنها، أن يجمعوا بين محاسنها كلها، وأن يعرضوا جميع ما فتح الله به على الناس من العلوم، استخلاصا لأحقها بالعناية، وأولاهها بالدراسة. لذلك جاءت معارف المسلمين أرفع المعارف كلها، وفلسفتهم أجمع الملسفات للحقائق. ولا يوجد في تاريخ الأمم نهضة فكرية تشبه هذه النهضة أو تقرب منها. ولهذا السبب لم يعض على المسلمين قرنان حتى كانوا زعماء العالم في كل مجال من مجالات العلوم والفنون والصنائع، وكان من آثار زعامتهم أن انتشر العلم

بواسطتهم في أوروبا على رغم الاضطهادات التي كانت تنال علماءهم ، ولم ينتصر العلم على الجهل فيها إلا في القرن السادس عشر .

فهل يرى المسيو أندريه هرفيه أن هذه الحركة الاسلامية في سبيل الحضارة ، وترجمة العلوم وحفظها يمكن إنكارها ؟ إن من الميث محاولة ذلك ، فالتسليم بالأمر الواقع أولى ، ولكن التسليم به يعلى من قيمة لاسلام ، ويفرى الناس بتعرف أصوله الحبية ، وهو ما يريد المسيو أندريه هرفيه صده ، وهيهات !

يقول المسيو أندريه هرفيه : إن الحضارة التي يدمونها عربية هي في الواقع حضارة الأمم التي دوخها المسلمون ، أما هم فكانوا في حالة جمود وتوحش خفقوا معهم كل حضارة وكل مدينة . فإذا رضى لنفسه أن يحرق الإجماع التاريخي وأن يرمى عرض الحائط بكل رأى مخالف لرأيه ، أفيستطيع أن ينكر الواقع الذي لا يقبل الطمس ؟ أيستطيع أن ينكر أن بغداد مدينة عربية ، بناها أبوالعباس السفاح لتكون مقرا للامامة الاسلامية ؟

لا يمكن إنكار ذلك ، كما لا يمكن إنكار أن مقر الملك في كل أمة يكون مرآة صادقة لنفسية الأمة التي تمثلها .

كذلك لا يمكن إنكار أن بغداد هذه كانت موطن المدينة الاسلامية ، ومركزها الذي أشعت منه على العالم كله .

فكيف يمكن التوفيق بين هذه المحسوسات وبين ما يدعيه المسيو أندريه هرفيه أن مدينة المسلمين لم تكن مدينتهم ، لأنهم غير أهل لتوليد مدينة ولا المحافظة عليها ، ولكنها مدينة الذين كانوا خاضعين لهم من الأمم الأجنبية ؟ فهل كان لسان تلك الأمم عربيا ؟ وهل كانوا هم الذين سكنوا بغداد وعمروها ؟ وهل هم الذين قاموا بترجمة كتب العلم بأموالهم وأسسوا منها مئات من المكتبات العمومية ، في جميع الأمصار الاسلامية ؟ اللهم إن الصمت حيال أمثال هذه المغتربات أبلغ من التكلم فيها :

محمد فريد وهدي

جعفر بن أبي طالب

إسلام نجاشي الحبشة على يديه

نشأته - اسراره :

ولقد رضى الله عنه بمكة المكرمة في أشرف بيت وأكرم عشيرة ، وكان أسن من على أخيه بمشرسنيين ، وأسلم بمدته بقليل .

روى أن أبا طالب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعلى عن يمينه فقال لجعفر : صل جناح ابن عمك وصل على يساره .

وناهيك بموقف واحد من موافقه للشرفه تثبين منه مقدار شجاعته ودرسوخ إيمانه - روى أنه لما تولى إمارة الجيش في غزوة مؤتة بعد قتل زيد كان أول ما بدأ به ، وهو أول شيء فعل في الاسلام ، أن نزل عن فرسه واقتحم صفوف القوم ، فحمل عليهم حملة شديدة ، وظل يقاتل حتى قتل ، فوجد به بضع وسبعون جرحا كلها من القدم ، وكان ذلك سنة ثمان من الهجرة .

هجرته الى الحبشة :

هاجر رضى الله عنه مع من هاجروا في الدفعة الثانية الى بلاد الحبشة سنة خمس من البعثة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فنزلنا على خير دار ودار آمنين على ديننا وأنفسنا ، ولما بلغ المشركين من قريش ذلك بعثوا وراءه رجلين جليدين : محرو بن الماص وعمار بن الوليد ، وبعثوا معهما هدايا غنية الى النجاشي أصحمة سنة ست من البعثة ، فلما دخلا عليه قالاه : أهدى الملك إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك راغبين عنا وعن آلهتنا ، وم يدخلوا في دينك بل دخلوا في دين آخر مبتدع ، جاء به رجل كذاب يزعم أنه رسول الله ، أتباعه جميعا من الفقراء والسفهاء ، وقد بعثت اليكم

أشراف قومنا لتردع إليهم . فقال النجاشي وقد غضب : وكيف أسلمكم قوما جاوروني واستجاروا بي ؟ لا يكون هذا حتى أسألكم
موقفين يرى النجاشي :

وقبل أن يبعث النجاشي إلى جعفر ومن معه ، أمر بضرب الناقوس لإحضار جميع القس ، ثم أرسل إلى جعفر ومن معه ، فلما وقفوا بين يديه قال جعفر : فليأتني في الكلام عني وعن جماعتي ، ثم قلت : أيها الملك : سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيدا فارددنا إليهم . فقالوا له : إنهم أحرار كرام . فقلت : سلهما هل أخذنا مالا بغير حق أو قتلنا نفسا بغير حق ؟ فقالوا له : لا . فقال النجاشي عند ذلك : فما تطيبان منكم بعد هذا ؟ فقالوا له : إنا كنا جميعا على دين واحد فالتفونا إلى دين مبتدع ، فنريد أن نردم إليه ، وقد بعثنا قومنا لذلك لما يفتنا وبينك من المودة . فقال جعفر : أيها الملك قد كنا نحن وحم على دين الشيطان ، وكنا أهل جاهلية تقطع الأرحام وتعبد الأصنام ، وأما الدين الذي تحولنا إليه فهو دين الرحمن ، بعث الله به نبيا منا نعرف نسبه وأمانته ، وأنزل عليه كتابا مثل الذي أنزل على نبيكم فصدقناه وآمنا به ، وقد أمرنا لعبادة الله وحده ، وبصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر . وذلك قبل فرض الصلوات الخمس وصيام رمضان . وأمرنا بصدق الحديث وصلة الرحم وحسن الجوار وكف الأذى فبني علينا قومنا وأبوا إلا أن نرجع إلى دينهم ، ولما اشتد أذاهم وتكرر ، هاجرنا إلى بلادك بعد أن اخترناك على من سواك . قال ابن دحلان في كتابه السيرة النبوية : « وكان النجاشي أحصاه أعلم النصارى في وقته بكل ما أنزل على عيسى ، حتى إن قيصر ملك الروم كان يبعث إليه علماء الروم ليأخذوا عنه العلم . من أجل ذلك فكفر فيما قاله جعفر وصحبه بعقل كبير وفهم عميق ، ثم قال للقس وقد سمعوا ما سمع : أنشدكم بالله هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا هذه صفته ؟ فقالوا : اللهم نعم وقد بشر به عيسى في الإنجيل فقال : « من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به

فقد كفر بي ، فقال النجاشي عند ذلك : أشهد بالله إنه هو النبي المنتظر . ثم إنه طلب من جعفر أن يقرأ عليهم شيئا من كتاب الله . قال جعفر : فقرأت عليهم سورتي العنكبوت والروم ، فاستزادوني فقرأت عليهم سورتي الكهف ومريم حتى بكوا وابتلت لحام . ثم التفت اليه وقال : ما أحب أن لي جبلا من ذهب على أن أؤذي واحدا منكم ، أنزلوا حيث شئتم من بلادى وأجرى لنا من لوزق ما يصلح شأننا . ثم أمر برد هدايا الكفار ، وقال : إنها رشوة لأقبلها ، وإن الله لم يأخذ مني الرشوة حين رد إلى ملك أبي حتى أخذ الرشوة فيه ، وم يطع الناس في حتى أطيعهم فيه .

روى أن أحمدة كان وحيدا يبيع السمى (أبهر) وكان أبهر ملكا على الأحباش فقتلوه وولوا أخاه ، وكان ابنه أحمدة يتها في حجر عمه ، وكان كلما كبر في السن كبر في العقل حتى خاف قتله أبيه أن ينتقم منهم في المستقبل ، فخيروا عمه بين قتله أو نفيه ، فاختار نفيه مكرها ، فباعوه إلى رجل من بني ضمرة بين مكة والمدينة ، فكان أحمدة يرعى له لابل والغنم هناك ، فلما مات عمه ولم يجدوا في بنيه على كثرتهم من يصلح للملك ، اضطروا إلى إعادة أحمدة ، فجاءوا به وأجلسوه على عرش أبيه ، فشكر النعمة وتعرف إلى الله في الرخاء كما تعرف إليه في الشدة .

على أن كفار العرب ما فتئوا يكيدون للمسلمين ويتربصون بهم الدوائر ، حتى دارت الدائرة عنهم ، ودال الله منهم ، ومكن لمسلمين من رقاهم يوم بدر ، فعمدوا إلى أخذ النار من مهاجرة الحبشة ، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا إلى النجاشي أحمدة ، فلما وقفوا بين يديه وطلبوا منه أن يسلم القوم إليهم لقتلهم عن قتلوا من عظمائهم يوم بدر ، غضب النجاشي عليهما وردهما خائبين ، ثم بعث إلى جعفر ومن معه ، فلما جاءوا إليه وجدوه جالسا على التراب ولا بسا ثيابا خلفة بالية ، فسألوه في ذلك ، فقال : شكرا لله على نعمة انتصار محمد صلى الله عليه وسلم في غزو بدر ، لأننا نجد فيما أنزل على عيسى : « إن حقا على عباد الله أن يتحدثوا تواضعا عند ما يحدث الله لهم

نعمة، وإنا نبشركم بالتيقن على أعدائه . فانصرفوا من عنده شاكرين له
هذا البر العظيم والعطف الكريم .

اسلام النجاشي على جبر :

قال صاحب كتاب الطراز النفوس إن النبي صلى الله عليه وسلم بمث سنة ست
من الهجرة عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي أسحمة بكتاب يدعو فيه إلى لاسلام،
فلما وصل إليه الكتاب وقرأ عليه نزل عن سريره وكان جالسا عليه ، تواضعا وأدبا مع
كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أحذه وقبلة ووضع فوق عنقه وقال : لا تزال
الحبشة بخير ما بقى فيهم هذا الكتاب الكريم . ثم إنه كتب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا ردا على كتابه وفي آخره يقول . « قد عرفنا ما بعثت به إلينا وشهدنا
بأنك رسول الله حقا وصدقا ، وقد بايعتك بواسطة ابن عمك جعفر وأسلمت على يديه
لله رب العالمين » .

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا النجاشي غير النجاشي الذي كتب إليه
الرسول سنة تسع من الهجرة . قال العلامة القسطلاني في الموهب اللدنية : « وقد خلط
بعض العلماء فلم يميز بين النجاشيين » اهـ

عودته إلى بلاده :

عاد رضى الله عنه إلى بلاده بعد أن مكث في الحبشة ما لا يقل عن أربع عشرة سنة ،
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري سنة سبع من الهجرة
بكتاب إلى النجاشي أسحمة يطلب منه أن يرسل من عنده من المهاجرين ، فجهزم النجاشي
في سفينتين ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ورأى جعفرا ، قام إليه وعانقه وقبله
بين عينيه ، ثم قال : ما أدري أبا أيهما أشد سرورا : بقدم جعفر أم بفتح خيبر ، وكان

الرسول هذا اليوم في خير لفتحها، ولما تم لهم النصر كلم لرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرضوا لجعفر ومن معه في الغنيمة .

الخلاصة :

إنك لتلمح نور الفطرة السليمة يتألق في وجهي هذين السيدين : أحمة وجعفر، فقد جمعت بينهما عاطفة ربانية أسفرت عن لطف الحبيب وأمن المستجير، وألفت بين قلوبهما فجعلتهما سيان في الحق الذي تحاكما إليه واصطالحا عليه، على بعد ما كان بينهما من ابينة واللغة والجنس . وهكذا يؤلف الاسلام بين الناس على الهدى، ويجمع بينهم على الرشد . « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

سيد محمد متولى الشيخ

من علماء الأزهر برصيد

أحسن ما قيل في ثلاث خصال

قال عمرو بن العاص : ثلاث لا أناة فيهن : المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكف .

وقالوا : ثلاثة لا يتدم على ما أسلف اليهم . الله في عمل له، والمولى الشكر في أسدى إليه، والأرض الكريمة فيا بذر فيها .

وقالوا : ثلاثة لا لقاء لها ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب .

وقالوا : ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة : الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى .

وقالوا : ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة : ذو الباس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الامانة لا يعرف إلا عند الأحذ والمضاء، والاخوان لا يعرفون إلا عند النوائب .

وقالوا : من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة : من طلب المال لا لكيمياء لم يسلم من الافلاس، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة، ومن طلب العقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

الاسلام والطب الحديث

بحوث ديفية علمية

« وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » :
 هذه الآية تفسر ما سبق تفسيره « وجعلنا من الماء كل شيء حي » الخ ، ومعناه أن الحياة لا توجد في شيء إلا إذا كان فيه نسبة مخصوصة من الماء تختلف بحسب أجزاء الأجسام ، ولا يمكن الحياة أن توجد في شيء جاف مطلقا ، لأن الجفاف يوقف التغيرات السكباوية التي هي الشرط الاساسي لتغيرات الجسم الحي وقوعا تالما ، وذلك يؤدي الى الموت حتما . والله تعالى يضرب لنا مثلا ويقول إن لا أرض الميته تحيا بالماء ، أو ليس الله قادرا على أن يحيي الموتى بطريقة مثل هذه الطريقة ولو أننا لا نعرفها ولا تدخل في متناول إدراكنا ؟

« ولو طأ إذا قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . يسم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون » :

والمهم في هذه الآية من الوجهة العلمية قوله تعالى : « ما سبقكم بها من أحد من العالمين » ، لأن الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن الله خلق آدم كاملا ، وما يطرأ من النقص في ذريته جسما وعقلا هو نتيجة السنن الالهية ، وهذه الفاحشة المشار اليها في الآية هي نتيجة تغيرات في إفرازات الغدد الصماء ، وهذه الأمراض لم تصب الانسان لأول مرة إلا في مدة لوط . وهذا يعسر لنا التدقيق الطبي للأمراض من أن لكل مرض بداية لم يعرف قبلها ، وإذا عرفنا أن الغدد الصماء تؤثر في أخلاق الشخص وعقله ، ن هي أساس كل ما هو مهم في شخصيته ، جاز لنا أن نقول إن اختلاف الامم في أخلاقها وعاداتها هو نتيجة تغيرات في الغدد ، وذلك تابع لما يصيبها من جرائم أو حوادث طبيعية ، والجرائم أم أمثالا تصيب الانسان في أزمان مختلفة . ولهذا كان الفرق بين كمال اول المخلوقات وبين النقص الشديد في بعض الأفراد هو نتيجة للسنن الطبيعية ، والله الذي لا يخفى عليه شيء ، قدرها من أول خلقه آدم وخلق الجرائم الخ ، وهم تأثير التغيرات في عقول الأفراد وأخلاقهم ، وعلم ابتداء ظهور الأمراض الاجتماعية « ولو شاء لهذا كم أجمعين » . والله في ذلك حكمة نرجو أن نوفق للكلام عليها في المستقبل .

والمهم أن الانسان الأول خلق كاملا طاهرا من كل عيب ، وكل ما ظهر من عيوب

في ذريته هو نتيجة تصادم بين مخلوقات وعوامل مختلفة، وفي هذا رد مقبول على الذين يقولون :
« كيف يخلق الله الانسان مع أن فيه عيوب كثيرة والمخلوق منسوب للصانع ؟ » .



« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرى أنظر اليك قال لى ترونى ولكن نظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترائى بها نحلى ربه للحل جعله دكا وخر موسى صعقا
فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » .

هذه الآية تفسير ما قلناه سابقا من أن الانسان تنفصه الحواس التي بها يرى الله جل وعلا،
ولذلك أمر الله سيدنا موسى بن يرى تأثير القدرة الإلهية في ذلك الجبل، وهذا طريق للإيمان
أقرب لمقول بى آدم من رؤية الخالق، ولولاء الله لأعطاه من الحواس ما يمكنه من رؤيته،
ولكن الله يقول له : إني أعطيتك من الحواس أكثر مما أعطيت باقى المخلوقات مما يمكنك به
أن تكلمنى لا أن ترائى . وهذا هو معنى قوله تعالى : « قال يا موسى إني اصطفتك على الناس
برسالتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » . وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضا
ويفسر ما قلناه عن علوم الغيب . فالإنسان الذى لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من
سنة طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ، لأن قرائن السنة الطبيعية لا أحد لها . كذلك الأنبياء
عليهم السلام بالنسبة لعلوم الغيب ، فهم من النوع الثانى الخارج عن السنة الطبيعية وعن إدراك
الإنسان ، لأن الله يصطفيهم ويعطيهم من الحواس والادراك ما يؤهلهم لما يريد من المعجزات
على أيديهم فقط ، وأما باقى علم الله الذى لا أحد له فلا يعلمه إلا الله . وهذا هو معنى قوله تعالى
لسيدنا موسى ما معناه : إياك لا يمكنك أن ترائى وإياك مستكلمى بما أعطيتك من مميزات
لم أعطاها لغيرك . وهذا هو معنى الآية الكريمة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم . « ولا أقول
لكم عندي خرائث الله ولا أعلم الغيب » ، وقوله تعالى : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسئى السوء » ولفرق بين وجود دراهم معدودات عند النبي وبين خزائن الله مثل الفرق
بين معرفة النبي لبعض الغيب وبين مفاتيح الغيب كلها التي لا يعلمها إلا الله .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

إذا سألت فاسأل الله

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ليأخذن أحدكم أحبه فيحسب بها على ظهره أهون عليه
من أن ياتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه .

تاريخ العلوم اللغوية (١)

تقدمت بعد ذلك العلوم اللغوية خطوة جريئة الى الأمام على يد عثمان بن جني ، وهو ابن أحد اللواتي الاغريق ، ولد بالموصل عام ٣٣٠ هـ وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بها الى أن توفى سنة ٣٩٢ هـ ، وقد ظهر في مؤلفاته أثر الدراسات الفلسفية وكانت قد بلغت في هذا العصر ذروة مجدها ، ولقد كان موقفا الى أبعد حد في الانتفاع منها وتطبيقها في أبحاثه اللغوية .

وقد كانت ختام المجهودات اللغوية التي بذلها علماء العرب في هذا العصر ، في جمع المفردات وتفسير الألفاظ العربية في المعجم الكبير الذي هتم بتصنيفه اسماعيل الجوهري ، وهو فارسي الأصل ، طلب العلم في أول الأمر بمسقط رأسه « فاراب » ثم ببغداد ، وجاب بلاد العرب وزار قبائل البدو في الصحراء العربية إتماما لدراساته اللغوية ، ثم عاد الى موطنه وأقام في بيسابور حاضرة خراسان الى أن توفى عام ٣٩٢ هـ ، ويعتبر معجم اللغة الذي وضعه من أهم المؤلفات العربية التي تتخذ المؤلفون من بعده قاعدة لأبحاثهم ومرجعا لأدبهم .

وكما نقلت العلوم اللغوية الى أقاصى شرق البلاد الاسلامية بواسطة تلاميذ علماء البصرة ، فإنها انتقلت كذلك بواسطتهم الى ممتلكات العرب في الغرب ، وكان أول من اهتم بأمرها وتعمد نشأتها في بلاد الأندلس هو اسماعيل الغالي ، ولد بأرمينية وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بقرطبة منذ عام ٣٣٠ هـ ، وقام بإملاء كتابه في العلوم اللغوية على تلاميذه بجامعة الزهراء ، وتوفى عام ٣٥٦ هـ .

بقيت العلوم اللغوية في العصر الغالي حافظة لسكانها الأولى من الذيوع والانتشار ، إلا أن هذا العصر لم يأت بجديد في أبواب النحو والصرف بالرغم من المؤلفات الجديدة

(١) بقية المنشور في العدد السابق بهذا العنوان .

التي وضعت في هذه العلوم، فإنها كانت لا يختلف بعضها عن البعض الآخر إلا بتقدير التفصيل أو الإيجاز، أما من ناحية الدراسات العامة في أدبيات اللغة، فإن هذا العصر كان يمتاز عما سبقه بكثرة الاطلاع ودقة البحث ووفرة المؤلفات. ولقد تمكن علماء الأدب من التغلب على الاعتقاد السائد بتموق شعراء العصر الجاهلي الوثني في جميع نواحي الشعر، وكشفوا عن ناحية الجلال في اللغة والمعنى في الشعر الجديد.

وبابتداء هذا العصر الجديد، أخذت مكانة البصرة والكوفة كمركز للأبحاث اللغوية في الزوال، واحتلت بغداد محلها، فأصبحت المدرسة النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك لدراسة العلوم الدينية متوى يلجأ إليه علماء اللغة أيضاً، فأبنت علومها في ظلال هذه المدرسة، وأول من ظهر من علماء اللغة في هذه المدرسة يحيى التبريزي، وهو أشهر العلماء اللغويين في القرن الخامس الهجري، ولقد اشتهر بما وضعه من التفسيرات الموقفة لأغلب الشعراء، فهو واضع تفسير ديوان الحماسة والمعلقات وديوان أبي تمام، كما وضع تفسيراً لأشعار أبي العلاء المعري الأولى، وولد يحيى التبريزي بمدينة تبرز سنة ٤٢٩ هـ وسها كانت أيضاً أول نشأته العلمية، ورحل إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية المذكورة، وتوفي عام ٥٠٢ هـ.

وطهر بعده موهوب الجواليقي المتوفى ببغداد سنة ٥٣٩ هـ، وهو أشهر من تخرج على التبريزي، ووضع كتاباً في قواعد اللغة العربية من نحو وصرف، كما أكمل كتاب الحريري في الغلطات اللغوية، ووضع أول معجم في اللغة العربية للألفاظ الأجنبية فصل فيه الكلمات للاستعارة من اللغات الآرامية والفارسية.

وجاء بعده تلميذه عبد الرحمن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فوضع كتاباً في قواعد اللغة، وآخر في تاريخ العلوم اللغوية منذ نشأتها الأولى، ووضع رسالة خاصة بالجدل

العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة في بعض مواضع النحو والصرف ، وذلك بناء على الرغبة التي أداها كثيرون من تلاميذه بالمدرسة النظامية .

وفي شرق البلاد الاسلامية كانت مدينتا نيسابور وخوارزم مركز الأبحاث اللغوية وعط رجال العلم ، فكانت الأولى موطن العالم الكبير عبد الملك الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، وكان كاتباً مثقفاً موهوباً ، له مؤلفات عديدة في نواح أدبية مختلفة ، فوضع معجماً لغوياً كبيراً ، كما ألف كتاباً في التاريخ العام ، ووضع رسائل عمية متعددة كان الغرض الأول منها خدمة أدبيات اللغة العربية ، وأهم مؤلفاته السفر الضخم الذي وضعه عن الشعراء المعاصرين وشعراء الجيل المتقدم ، وراعى في ترتيبهم أن يكون بحسب موطنهم ، جاء فيه باختصار على ترجمهم وتاريخ أعمالهم ، كما سرد لكل منهم منتخبات من مقطوعاتهم الشعرية ، وواصل عمله هذا كل من مواطنه البخارزي أبو الحسن المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ومحمد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وأما خوارزم فكانت موطناً لأكثر علماء اللغة في هذا العصر وهو محمود الزمخشري ، ولد عام ٤٦٧ هـ وقام برحلات دراسية واسعة النطاق ، وأقام طويلاً بمكة المكرمة ، ومات بالبحرانية سنة ٥٣٨ هـ ، وأهم مؤلفاته السفر العظيم الذي وضعه في تفسير القرآن ، الذي يعد من أهم المراجع الدينية حتى الوقت الحاضر ، ولو أن الزمخشري لم يبحار تعاليم علماء لسنة ، بل كان يتبع المعتزلة في آرائهم . ولقد قام بعض العلماء بعد ذلك بما يقرب من مائة عام بتقريب هذا التفسير وجعله متفقاً وتعاليم السنية ، واشتهر كذلك من مؤلفاته كتابه في قواعد اللغة العربية الذي اعتاز مما سبقه من المؤلفات اللغوية بدقة عبارته ، ولو أنه لم يصادف ذيو عاً واسعاً في الشرق كغيره من الكتّاب النحويين الأخرى السهلة الفهم ، وقام كذلك بوضع رسائل قيمة جمع فيها كثيراً من المفردات والألفاظ العربية مع التعليقات على الغريب منها بتفسيرات هامة ،

كما وضع ستة مؤلفات تجمع الكثير من الحكم والأمثال لاقت ذيوها واسما في الشرق والغرب ، ونقلت الى لغات أوروبية عديدة ، حيث حازت إحداها إعجابا زائدا .

وكانت خوارزم أيضا موطن يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو مؤلف كتاب الصرف وقواعد تركيب الجمل والبلاغة ، وقد لاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا واتخذته كثير من العلماء لمتأخرين قاعدة لأعمالهم ومرجعا لأبحاثهم .

وأما في بلاد الشام فقد اشتهر من عمائها في اللغة في هذا العصر محمد بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وهو صاحب الألفية الشعرية المشهورة ، وقد وضع فيها كل قواعد النحو والصرف في شمار سهلة الحفظ ، وله رسائل لغوية أخرى عديدة لم يكن لها نصيب كبير في الانتشار .

وفي جنوب بلاد العرب نشأ كثير من عماء لغة العربية ، إلا أن أبحاثهم كانت تنحصر على الأخص حول نقط وطنية محلية ، للزود عن الشعوب القديمة التي عرفت في الماضي بمحضارة عالية ، وأشهر علمائهم محمد الهمداني المتوفى بصنعاء عام ٣٣٤ هـ . (وقد جاء ذكره في الحديث عن تاريخ العلوم الجغرافية في الأدب العربي) ^(١) ، والعام اللغوي الكبير نشوان بن سعيد الحيري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وقد وضع معجما ضخما في تفسير الألفاظ العربية ، وكتب قصيدة شعرية عمياء في التمدح بمحضارة اخيريين ، وعلق عليها بتفسير طويل .

وأما علماء اللغة العربية من المصريين ، فإن أشهرهم في هذا العصر هو عثمان بن الحاجب المتوفى بالاسكندرية عام ٦٤٦ هـ ، وانتشرت كتبه في علوم الصرف وتركيب الجمل انة اشارا كبيرا حتى عمت المدارس في جميع الممالك الاسلامية .

وفي شمال أفريقية اشتهر حسن بن رشيق ، وهو ابن أحد الموالى الاغريق وكان يمشى بالقيروان في بلاط الأمير معز بن باديس ، وفر هاربا الى صقاية عندما اشتبك

(١) راجع المقالة المنشورة في شهر شعبان سنة ١٣٥٣ في الجزء الثامن من المجلد الخامس من هذه المجلة

سيده في حرب مع الخليفة الفاطمي بمصر، ومات بها سنة ٤٦٣ هـ وله كتاب في نقد الشعر يرجع إليه الفضل في كشف جمال العبارة عند الشعراء الحديثين، كما أنه ساعد على القضاء على الفكرة القديمة السائدة بأفضلية الشعراء الجاهليين على الشعراء المحدثين. وأما في الأندلس فإن العلوم اللغوية كانت زاهية في هذا العصر بقدر زهاء الشعر، وأعم ما اشتغل به علماء هذه البلاد دراسة الشعر القديم، فبرز في هذه الباحة الأدبية كلام من أبي الحجاج يوسف الملم السنندري المتوفى بأشبيلية عام ٤٧٦ هـ، وأبو بكر البطيطوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ. وأما ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، فإنه اهتم على الأخص بجمع الألفاظ العربية وتفسيرها، فوضع لذلك معجما هاما لم يبق منه إلا أن سوى جزء يسير، وقد أخذ منه كثيرا من المعلومات ابن منظور في موسوعته المعروفة التي وضعها في القرن الثامن الهجري، وجمع فيها كل أعمال العلماء اللغويين الماضين من

الامثال الحكيمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى حنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخية، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تموجوا. فالصراط الاسلام، والستور حدود الله، والأبواب محارم الله، والداعي القرآن. وقال صلى الله عليه وسلم حين ذكر المغلو في العبادة: إن الميت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. يعني أن المغذ في السير إذا أفرط في الغد سطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته، ويتقضى سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا.

وذكر الربا في آخر الزمان، واقتتان الناس به فقال: من لم يأكله أصابه غباره. أراد بذلك أن المصالح تتهايك حتى لا يسلم إنسان من أن يصيبه الربا ببعض آثاره كما هو الحال في هذا الزمان.

فلسفة الاخلاق

أو ذلك في المجتمع الانساني

تحدثنا الى القارىء مما يجب أن يكون عليه الصبي في حداثة سنه ، وأنه في نشأته الأولى ودور طفولته ينبغي أن يؤخذ بالتدريب على المضائل حتى يسمو الى مستوى رفيع من الرشاد . ونقصد الآن أن نوفي هذا البحث بما يتسع له المقام :

من المشاهد أن الصبي كثير ما يصدر عنه القبيح من الأفعال ، فقد يكون كذوباً محترماً الأفاضل لما لم يسمعه ولم يره ، وقد يكون نهماذا فضولاً في القول وما الى ذلك . وعلى الجلة قد يكون أضر نفسه من أى شيء آخر . هذا النوع من مجموعة الطفولة هو بمعنى للأخلاقين بالهداية والارشاء والتأديب والتدريب . من أجل ذلك كان ضرورياً أن يؤخذ الطفل مادام طفلاً بأصلح النظم الاجتماعية لتكوين نفسه وحلقه ، وأمكنها في تركيز الفضيلة

ولا بأس أن يذهب ملقن الطفل مذهبا جديدا في تلقينه وتدريبه على فهم المبادئ الأخلاقية دون أن يتقحم به الملحن سيديلا وعورة يضل في متعرجاتها ، فتصاخر له الحكم والموعظة الحسنة في قالب طريف مشوق يجذب الطفل اليها ويرغبه فيها . فإذا بلغ به الملحن منزلة من الخلق حميدة فليس عليه بأس أن يوجه اليه من الثناء ما يشجعه على المثابرة على المنهج الحسن ، فيقبل له مثلاً : أحسنت نحو ذلك . فإن حاد الطفل عما وجه اليه الملحن من الفضائل فلا يبالغ في تأديبه ، بل من الحساسة أن ينهبه الى خطئه ، ويوجه اليه النقد برفق حتى ينفى الى رشده ويتبين أنه كان فيما سلك على غير هدى . فإن عاد ، قرعه ولكن في غير علانية . ثم ما يزال به بهمه رويدا رويدا حتى يرد الى مصدر من الخير منيع لا يستباح فيه حتى الأخلاق ، ولا تطفئ فيه عوامل الشر .

ومما يجب أن يتنبه اليه الطفل نظام التغذية وآداب الطعام ، فيبين له ملقنه أن الأظعمة إنما تزداد للصحة والاستمرار والمجتمع ، وأن الأظعمة إنما أعدت لتقويم

لأنه إذا عرف الصبي ذلك ، هان عليه أمر الطعام وأدرك أنه لا يراد إلا ليحفظ مادة الوجود ، فيحقر قدر الأطعمة لذى يستعظمه أهل الشره ويطلبون منه الزيد ككل لاحت لهم الفرصة ، فلا يرغب في الألوان الكثيرة مبالغة في حسن القصد ، لأن متابعة الألوان الكثيرة تهيج في نفسه شهوات مختلفة بقدرها ، وذلك يؤديه الى البطئنة التي هي شر من المسغبة .

وينبئ الطفل الى أنه إذا جلس مع غيره لا يسبقه الى الطعام ، ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه دون أن يسرع في المضغ ، ولا يعظم اللقمة ، ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يدخل عليها مثلها حتى لا يتعذر عليه ازديادها . ولا يطلع ثوبه ولا يده ، ولا يلحظ من يؤاكله أو يسارقه النظرة بعد النظرة ، ولا يتبع بنظره موقع يده من الطعام . ويعود الصبي على أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده ، لأن في ذلك قضاء على الأثرة وشهوة البطن المذلة . ثم يعود أكل ما خشن من الطعام حتى لا يضطرب نظامه حين يفقد الأدم وحين لا يجد الى خفض الميش سبيلا .

وغنى عن البيان أن الاستمسك بآداب الطعام من معاون الكمال وأبل الخصال ، وأهدى السبل الى حياة صحيحة راقية نافعة للفرد والمجتمع .

نخلق بالآباء والربين أن يعمدوا أولادهم في هذه الناحية التي تتنازع فيها العاطفة والواجب ، وكثيرا ما تتلاشى فيها المصلحة أمام عاطفة الأمومة الجاهلة ، وتتلاشى شجاعة الرجل أمام عطف الأمومة ورغبة الولد البهيمية .

وخليق بأولئك أن ينشئوا أولادهم على الآداب الروحية كما نشئهم على الآداب لمادية ، فذلك هو الأجدر بالعقل والأليق برحمة الآباء .

وسنضع إن شاء الله بين يدي القارئ نماذج صالحة من آداب عامة متفرقة في الأعداد المقبلة .

الأسطورة الداروينية^(١)

كان لمذهب دارون أول ظهوره روعة انخلعت لها قلوب وارتاحت لها أخرى ، وقوبل من جمهور العلماء بعاصفة هوجاء من الردود ، ولكنه ما عثم أن أثر في العقول تأثير السحر ، فكلف الناس به كلفا عظيما ، لأنه يتصدى لتفسير خالق الأنواع الحية بعلم ميكانيكية محضة . وقد أسس ذلك التفسير على مقدمات يدهية ، فأخذ الناس في تطبيقها حتى حل الشئون الأدبية والاشتراعية ، ووقر في عقول الكافة أن مسألة خلق الأنواع قد حلت حلاناهايا . ولكن لم يهل القرن العشرون حتى اكتشمت أمور طبيعية أثبتت أن مذهب دارون كسائر المذاهب التي تقدمته لا يفسر وجود لأنواع الحية . وقد قلنا بعض تلك المكشفات في المجلد الخامس من هذه المجلة . واليوم ننشر بحنا طريفا كتبه الدكتور فان هوفنسفلت عن الألمانية في تفنيد مذهب داروين ، قال :

كان بعض فلاسفة العصور الأولى يعتقدون أن أنواعا من النبات والحيوان ليست من صنع الله ، فكان أرسطو يرى أن الضفادع تنشأ شتاء من وحل المقابر ، وجاء في « الفاموس العام للمحافير البسيطة » طبعة سنة ١٧٥٩ من تأليف لباري أن الناس كانوا في العصور القديمة يعتقدون أن النمل ينشأ من جثث الثيران والسباع ، ويقول المؤلف : إنه تحقق بواسطة تجارب قام بها من فساد هذا الاعتقاد ، وأن لا وجود له ، لا في خيال الشعراء .

وأول من عالج هذا الموضوع من الكتاب الحديثين « بوفون » ولكنه كثيرا

(١) مترجمة من الألمانية تنقل عن كتاب العالم الجليل الأستاذ « س . فل هوفنسفلت » في نقد وتفنيد

ما كان يغير ويبدل من آرائه ، ولم يقطع برأى في العلة الأولى لنشأة الأجناس ، ولذا لم يبرز اسمه في تاريخ مذهب التطور .

وأما «لامارك» فإنه يعد بحق أول من نشر أفكاره عن نظرية التطور في رسائله في فلسفة علم الحيوان ، وفي مقدمته في التاريخ الطبيعي للحيوانات اللاقارية ، وكان ذلك سببا في ثورة فكرية كبيرة ، فهو أول من جرؤ على القول بأن جميع الأجناس ومنها الجنس البشري مشتقة من أجناس أخرى سابقة لها ، زاعما أن الأسباب التي يرجع إليها التغيرات بين الأجناس المختلفة هي : إما تأثير مقتضيات الحياة ، وإما التزاوج بين الأجناس الموجودة ، ويذهب في دعواه إلى أن بعض أسباب التغيرات المذكورة مرجعها استعمال أو إهمال بعض الأعضاء ، وكذلك بسبب قوة العادة . وإلى هذه القوة التي تتمكن في المخلوقات بسبب العادة يريد لامارك أن يعزو أمورا لا يسوغها العقل السليم ، يراها في أمثلة كثيرة ، منها طول رقبة الظرافة التي تمكنها من الحصول على غذائها من أطراف الأشجار ، وبني على معتقداته هذه قوانين للنشوء والتطور بعيدة المدى ، واعتقد بمذهب التطور الذاتي (Generatio spontanea) .

وعلى ذلك تكون كل خصائص الحيوانات الجديدة إنما نشأت للضرورة التي تقتضيها ، وكل تطور إنما ينشأ من تكون خصائص أكثر ملاءمة لمقتضيات الحياة .

وهذا كله ذهب مع الافتراضات إلى حد بعيد ، ولا يحتمل تحققها جميعها .
وقع لامارك في نفس الخطأ الذي وقع فيه داروين من بعده ، وذلك أنه حسب أن وجود أنواع متوسطة دليل على قيام التسلسل بين الأنواع المختلفة .

م يظهر كتاب لامارك في فلسفة علم الحيوان إلا في عام ١٨٠١ ، وكان قد سبقه «جوته» بتدوين آرائه في التطور في سنة ١٧٩٤ - ١٧٩٥ ، ولكنها لم تظهر إلا عند نشر رسائله في المعلوم الطبيعية بعد هذا التاريخ بمشر سنوات .

وجاء من بعد لامارك من الكتاب وعلماء الطبيعة أمثل سانت هيلير ووتر وفون بوخ ودوماليوس ودي هالري وسبنسر وفان بير وغيرهم ممن كتبوا في نظرية التطور ، الى أن جاء داروين وألقى بأقوى قنبلة في هذا الموضوع بنشر كتابه « نشأة الأنجناس » في سنة ١٨٥٩ فأحدث رجة عنيفة في الأوساط العلمية ، وذهب بنظرية التطور الى أبعد مدى .

أطلق داروين على كتابه اسم « نشأة الأنجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصح في تنازع البقاء » . فإن صحت هذه التسمية من لوجه اللغوية فإن خطأها واضح بعدم معابقتها لعدول ، لأنه كان يحق له أن يطلق على كتابه هذا الاسم لو أنه تمكن من إقامة دليل واحد على أن الانتخاب الطبيعي أوجد أجساما جديدة ، إلا أنه كما هو معلوم لنا لم يستطع أن يأتي بمثله واحد يؤيد هذا الزعم .

لا تمنى مزاعم داروين مجرد الافتراض بأن أنواعا جديدة من النبات والحيوان تنشأ بواسطة الانتخاب الطبيعي ، والافتراضات وحدها لا تكفي لأن تعطى كتابا جديدا قيمة علمية ، ولا تخضع مثل هذه التسمية سوى البسطاء من الناس .

إن الانتخاب الطبيعي يحدث تغييرا في النوع ، ولكن هذا التغيير بين أنواع لنبات أو الحيوان لا يقوى على إحداث نوع جديد .

ويلاحظ في اسم الكتاب أن النصف الأخير منه لا يتفق في المعنى مع النصف الأول ، إذ ما من أحد يشك اليوم في حقيقة بقاء المخلوقات القوية للياقة في معترك الحياة وتنازع البقاء بالنسبة الى المخلوقات التي هي أقل منها صلاحية وتلاؤما لمقتضيات الحياة وضرورة المعيشة ؛ فلأن المؤلف أراد الاحتفاظ بالنصف الأول من اسم كتابه رغم الشكوك القوية التي تترض تفسيره لكان الأولى به أن يعطف النصف الأول بالأخير بأن كان يطلق عليه مثلا « نشأة الأنجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصح في تنازع البقاء » . فإن لفظة (أو) لا محل لإطلاقها هنا محل العطف بالواو لعدم وجود تسلسل بالمرّة .

نصدي للرد على هذه الزاعم الكاذبة حين ظهورها كثير من الكتاب والعلماء ورجال الدين من معاصري داروين ، أخص منهم بالذكر الدكتور كويرر أستاذ علم فلسفة الأديان وعميد الجامعة الحرة بهولندية ، وهو الذي ناقش آراء داروين ومذاهبه في نظرية الانتخاب الطبيعي في كتابه المسمى « التطور » حيث قال :

« لم يكن داروين أول من فكر في حل مشكلة التطور ، بل قد سبقه من العلماء لامارك وجوته ، ولو أن داروين كان أسبقهم إلى الاستناد على التجربة Emperialism لم يقتصر على مجرد التأمل والنظر Speculation ذا كرا أمثلة لذلك في عالمي النبات والحيوان بقصد الاهتداء بها للخوض في ظلمات هذا الموضوع الخفي ، وكان يتجنب بادئ ذي بدء أن يجعل الإنسان ضمن دائرة أبحاثه ، مظهرا دائما احترامه للأديان . وقد بدأ أول تفكيره في التطور عندما لاحظ التغيرات التي تنشأ في النبات أو الحيوان بسبب التلاطم الصناعي ، خصوصا في الحمام .

« ولكن هذا التغير لم يتعد كونه تغيرا أو تحسنا في الظواهر من حيث اللون أو الشكل الخارجى ، دون أن يكون له أى مساس في جوهر النوع أو الجنس أو الرتبة ... وحتى إذا سلمنا بحدوث هذا التغير بواسطة التلقيح الصناعي فإننا لا زلنا نقصر عن إدراك القوة الخفية التي تقوم به في الطبيعة الحرة الطليقة بدون حاجة إلى مساعدة يد الإنسان ؛

« فإذا أراد الداروينيون تفسير هذه الظاهرة بأنها ترجع إلى الأصل الحيوى الذى يتجده من نفسه دائما أبدا نحو الكمال ، فانهم يرجعون بذلك إلى نظرية الأنسبية و تنهار عليهم دعواهم واقتراضاتهم ، أو أنهم يعترفون بأن هناك قوة خفية تسيطر على نظام هذا التغير ، وذلك ما لا يريدون الأخذ به . وهنا فقط ظهر داروين على إخوانه باكتشافه للزعم بأنه تمكن من استنباط أنواع مناسبة من أنواع لا طاعة لها على الاستمرار في الوجود لعدم ملائمتها .

« استند داروين في أقواله الى ما افترضه « روبرت مالتوس » من أن مضاعفات أسباب المعيشة لا تتناسب مع تكاثر النسل ، ولذلك فإن تنازع البقاء ينتهي حتماً بانقراض الأضعف وبقاء الأقوى بعد تزويده بما يجعله أكثر صلاحية للحياة وأهلية بها بواسطة توارث العناصر القوية وملاءمتها للزمان والمكان الى غير ذلك . وذهب داروين بقانون تنازع البقاء الى حد بعيد جعله يعتقد أنه وحده هو الدافع الوحيد الذي يبنى عليه نظام الوجود .

« صادف هذا البيان الذي وضعه داروين في النصف الأخير من القرن التاسع عشر إعجاباً بالغاً من جاهير العامة الذين ملوا تصف رجال الدين في السنين السابقة ، وتعلمتهم في تفسير بعض الحقائق العلمية ، واسترسلهم في الغموض الكهنسي ، فأخذتهم سلامة الحجة في قانون تنازع البقاء ، وبهرم جمال تنسيقه كما وضعه داروين ، واعتقدوا ضمن بصحة ما أدخله عليه من مزاعم واهية عن نشأة الأجناس .

« ومن المعلوم لنا أن داروين نفسه جاء أخيراً واقتنع بفساد بعبه في نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي حيث ذكر في الفصل العاشر من كتابه أن نظرية نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي ، ما بنيت على مجرد الظن بأن كل نوع جديد وأخيراً كل جنس جديد إنما ينشأ ويبقى بسبب ماله من الزايا بالنسبة الى مزاحمه ، وينتج عن ذلك تبعا انقراض الأنواع والأجناس لقليلة الزايا » .

« ومن ذلك يرى أن العالم في القرن التاسع عشر اعتقد بصحة مذهب التطور ونشأة الأجناس لمجرد أن داروين بنى أسطورة الانتخاب الطبيعي على مجرد الظن . والظاهر أن الظن والنقطة لحسنة كانا يلعبان دور هاماً في علوم القرن الماضي .

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام أيضا

أسلفنا في بحثنا السابقة ما يجب توافره في الواقف من شروط وشطر من الكلام عن محترزات تلك الشروط ، والآن نحاول أن نعرض لما يجب أن يتوافر في الموقوف من شروط ، فنيا لكل جهالة وليس ، ونعفي على آثر من الخلط والمباية وقع فيها كثير من الواقفين في كتب وقهم .

فبشترط في الموقوف أربعة شروط على ما ذهب اليه صاحب الفتح .
أولها — أن يكون مالا متقوما عقارا كان أو موقولا ، وإن اشترط الفقهاء في وقف المنقول استقلالا أن يكون متعارفا مميزا . والعقار يشمل الأرض القائمة عليها أبنية ، والخالية منها .

ثانيها — أن يكون لموقوف معلوما للواقف وقت وقفه ، فلو وقف شيئا من أرضه دون أن يميزه وقت الوقف ، أو قال : وقفت هذه الأرض أو تلك الأرض على الساكن لا يقع الوقف صحيحا لجهالة ما وقف . فلو تبين ما وقفه مجهولا بعد إنشاء صيغة الوقف فإن كانت العبارة اللاحقة التي يتأدى بها المعنى المراد صالحة لإنشاء وقف بها ، واقعة للبس ، محددة لمقاصد الواقف ، كأن قال : إن العقار الذي جعلته موقوفا من أرضي مجبة كذا هو ثلثها ، صح الوقف بالعبارة الأخيرة . وإن كانت غير صالحة لذلك لم يقع صحيحا ، إذ لا بد في الوقف من بيان المعنى المراد ، ليتمكن الموقوف عليهم من الانتفاع به . ولا يستمر على وجه الزمن يؤدي إلى الانسانية نوعا من أنواع البر بها ولا يقاء عليها ، من أجل ذلك قالوا : لو وقف الواقف أرضا فيها أشجار ثم استثنى منها من وقفه ، لا يصح ذلك ، لأنه استثنى الأشجار من مواضعها ، وهي مجهولة ، فيكون

الداخل في الوقف مجهولا . ولوقال . وقفت جميع حصتي من هذه الأرض من غير أن يبين سهامه ، صح استحصانا ، لأنها معلومة في الواقع وإن كان قد أطلق في صيغة وقفه ، فلو زاد بعد ذلك عبارة وهي الثالث ، فتبين أنها النصف ، وقع النصف كله وقفا ، لأن قوله : وهي الثالث لخالفته للواقع صار لغوا ، فكان الوقف لم يشطق به .

ولا يشترط لوقف العقار ذكر معالمه وحدوده ، ولا كونه مشهورا ، وإن كان صاحب الفتح قد انتفى في ذلك ناحية أخرى . فلو قال الوقف : وقفت أرضي الكائنة بجهة كذا ، وقع وقفه صحيحا ، لأنه وإن لم يبين الحدود وللعالم لأرضه الموقوفة ، فهي معلومة حين يتبين صدقه في أن له أرضا بجهة كذا .

ثالثها — أن يكون المراد وقفه عقارا كان أم منقولا ، مملوكا للواقف ملكا خالصا لا شية فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، فقد صحح علماء الفروع وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، وضربوا لتلك الصورة مثلا فيما لو اشترى دارا بثمن معين على أن يدفع المشتري الثمن متى وجد عنده ثم وقفه بعد قبض المبيع ، فإن هذا الوقف يكون صحيحا ضرورة أن المبيع يباع فاسدا يملك بمجرد القبض . وفي هذه الحالة المعارضة يجب على المشتري دفع قيمة المبيع للبائع لا دفع الثمن بعينه . ومثل ذلك ما إذا وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تنفيذ الملك بالقبض كما يفيدها البيع ، فلو كان الوقف قبل القبض فيها ، لم يقع صحيحا لانتهاء ثبوت الملكية فيها قبله ، وينبني على ذلك أن البيع لو وقع صحيحا فوقف للمشتري العقار للبيع مثلا قبل قبضه وقع لوقف صحيحا بالأولى ، وإن كان قبل دفع الثمن في حالة ما إذا لم يدفع الثمن وانضح أنه لا يوجد لديه مال آخر يمكن استيفاء الثمن منه كان للبائع في هذه الحالة طلب نقض . شهد الوقف واستيفاء الثمن من البيع الذي في يده فإن وفي البيع ثمنه فيها وإلا ضاع عليه ما زاد عن الثمن وإن كان لديه ما يفي بالثمن من غير المبيع كأن يكون له عقار آخر لم يجز عليه حكم الوقف فليس للبائع حق طلب

نقض الوقف البتة ، وفي هذه الحالة يرجع عليه بالثمن في ماله الآخر إذا شاء ، وتكون هذه الحالة مشابهة كل المشابهة لوقف الموهون ، فإن للبائع في حالة ما إذا كان البيع مرهونا حق حبس البيع في يده وتحت خياره حتى يستوفي ثمنه الذي حل أجله .

وإذا فيكون من تقاريع هذا الشرط عدم صحة الوقف في حالة ما إذا وقف واقف منصوباً لم يصل الى يده من طريق عقد من العقود الصحيحة شرعاً ثم اشتراه من صاحبه أو صالحه على مقابله ، وعدم صحته أيضاً في حالة ما إذا وقف الموصى له عقاراً موصى به قبل موت الموصى وقبل نفاذ وصيته ، ضرورة أن الوصية لا تنفذ إلا بعد موت الموصى ، وفي حالة ما إذا وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ودخوله تحت خياره ، وما إذا وقف المشتري المبيع وكان الخيار في هذه الصفقة للبائع ، فلو كان الخيار للمشتري فوقف المبيع أو كان الخيار للبائع فوقفه فلو وقف صحيح في الحالتين ويكون إسقاطاً للخيار في الحالة الأولى وإبطالاً للبيع في الحالة الثانية .

ويكون من تقاريع هذا الشرط نقض للوقوف حتى ولو شيد مسجداً أو مدرسة أو معهداً للعلم إذا استحق بالملك أو أخذ شفعة وقد تبين أنه لم يكن مملوكاً للواقف وقت وقفه ، فلو ضمن الوقف لمستحق العين قيمتها ببيع وقفه لاستناد الملكية الى زمن الاستيلاء والخيازة .

فإذا بطل الوقف في هذه الصورة فليس الواقف ملزماً بالثمن مقدارا الذي يرجع به على بائعه أو يأخذه من الشفيع عقاراً ليجمعه وقفاً في محل الأول كما ذهب اليه صاحب الاسعاف وحققه الشيخ الزيلعي خلافاً لما زعمه صاحب الحميدية .

الآثرة والايثار^(١)

وهمل هماضدان ؟

هناك نوع من الآثرة لا يكون من الشطط أن يبحث الناس على العمل به هو الايثار .

ولما كان هذا اللفظ « الايثار » العريب لحد ما يستعمل كثيرا لإفادة معنى البر والإحسان فقد قال أحد رعاة البر ونسائت في معرض التهمك القاسى على أصحاب مذهب العقلیات : « إن الايثار هو الآثرة على أكل معانيها » ، ولم يكن ذلك الراعى يظن أنه يقول حقا أو يرى الى أى حد يبلغ قوله من الصدق وانطباق ذلك التعريف على البر نفسه ، إذ أننا فى الواقع لا نستطيع أن نتجرد من نفوسنا ، حيث إن كل شىء يرجع فى النهاية الى إنيائنا . فهم المرء الأكبر هو نفسه ، ويجدد فى اهتمامه هذا لذة حقيقية تؤدى به الى التضحية .

وهناك القول الذائع : « إن العطاء أشهى الى النفس من الأخذ » وما أكثر ما يدل هذا القول على مبلغ فهم العامة لفكرة اللذة فى فعل الخير .

ولقد قال أحد الفلاسفة : « إنه لجليل جدا أن يكون المرء أميناً حقا لأنه لجليل ، ومن أجل هذا لا يزال يوجد فى جميع الطبقات أناس أمناء ولا سيما فى طبقة الشعب العاملة المحبة . ولم يخل مقام من تمجيد فكرة الاحسان حتى مقام المزح إذ يعزى الى يجيل قوله : « إن الإحسان لذة يجب العمل على التخلص منها » لا لا يجوز التخلص منها ، بل يجب التمتع بها ، ويلزمنا أن نشرب كأسها حتى آخرها ، تلك الكأس التى لا تمالة لها .

ومن الخلط العريب أن يعتبر معنى الآثرة منافضا لمعنى الايثار . لقد سلق أحد كبار المحسنين الآثرة بلسان ساد ، ولكنه بالغ كثيرا بأن عزاه الى أصلح الأعمال

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب تربية النفس بالنفس للدكتور بول دوپوا الاسعد بجامعة بوسيرا .

وخبرها ، حقاً إنه من السهل أن تصادف شدة اهتمام المرء بنفسه والمعتية بملاذتها في جميع بقاع الأرض فمن الخطأ أن نرى في هذا حباً للذات من نوع زائف بغيض . إن حب النفس بالمعنى المبتذل هو أن لا يحب المرء سوى نفسه ، أما الإيثار فيدفعنا الى التفكير في غيرنا ، في جميع بني الانسان ونحن من بينهم ، فنحن لا نستطيع أن نسمى الخير جميع الناس دون أن نهيب أسباب السعادة لأنفسنا ، نعم قد يخالط هذا السعي بعض الآلام ، ولكن هذه الآلام تكون هناء وراحة لأناتنا .

وبصافنا في حياتنا اليومية كثير من الظروف نستطيع أن نستسلم فيها بدون أدنى تردد للآثرة الى أبعد حد ، وذلك عند ما يكون العمل الذي نقوم به مقصوداً علينا ولا يخص سوانا وليس له أى شأن ولا أى أثر في هناءة الغير هناءة مادية كانت أم معنوية . ولكننا عند ما نتكلم عن الآثرة المسموحة غير المحظورة يضطربنا الأمر أن نتخلى عن بعض ملاذاتنا لأنها تموق حرية بني جنسنا . ففي الأسرة يرامى كل فرد منها جانب الآخر ويميل له حسابه ، ومن هنا تنقسم دائرة مشاغلنا ونشمل عدداً ما ممن نعطف عليهم ونحبهم ، في هذا الشعور إيثار ، لكنه في الغالب يكون إيثاراً متبادلاً بين اثنين . أو ببساطة أخرى هي آثرة الأسرة التي لا تنكاد تمتاز عن حب النفس . فالآثرة مع ذلك مازالت صغيرة ، وإننا إذا سرنا على تهذيب أفكارنا ومداركنا فصل الى الاهتمام بشئون أقرب الأبعدين ثم بأصدقائنا ثم بطبقتنا الاجتماعية ثم بالمدينة التي نسكنها ثم ببلادنا جميعاً ، وبواسطة هذه الدوائر ذات المركز الواحد تمتد فكرة الإيثار شيئاً فشيئاً فينشأ عن روح التكافل بين جميع بني الانسان ، فهذه الفكرة تبقى محسوسة ملموسة بالرغم من امتدادها ، وتطبق على العالم للادى نعرفه ونلمسه ، وفي النهاية ترتقى الى عالم التجريد ، وتنتهى الى فكرة الخير والى فكرة الشر .

فالخير هو ما يفعله كل الناس فيؤدى الى هناءة الجميع ، والشر هو ما يدمره الكل فيؤدى الى هدم تلك السعادة .

ويجئ الى أن لهذا التعريف قيمته مهما كانت الفكرة التي يكوّنها المرء لمعنى هذه السعادة ، سواء أبجئنا عنها في عالمنا الدنيوي أم في الحياة الأخرى .

فعواطفنا مهما كانت طبيعية وعادلة ليست دائماً نبيلة كما يجئ الى إلينا ، والحب الذي يتغنى به الشعراء هو أبعد ما يكون عن المثل الأعلى ، واقصد صدق أحد شعراء الألمان إذ قال : « إن الحب إن هو إلا شعر الآثرة » . وإنه ليعيد من ذهني الطعن في هذا الشعور ، ولكن لا ينبغي أن يخطئ المرء في أصله الحيواني ولا في صفة الفجع التي تنم عنها تدللاته ، ولا يجب أن نجعل منه فضيلة ، فالحب بعيد عن الفضيلة حتى إننا نراه في حالات الإفراط ، وهي حالات مرضية ، يؤدي الى الإجرام وقتل الم محبوب . والحب الأموي هو أخلص حب تنم عنه التضحية ونسيان النفس سيما تاما ، ولا يقلل من أهميته أن يكون غريزيا وآليا ، وأن يكون ناشئا من شعور مشترك بين الحيوانات والانسان ، وكذلك نراه عند أناس مجردين من كل شعور الإيثار ، ولكن هذا الحب الأموي الآخذ بالقلوب لم يكف لتحسين خالق الانسان ، وكذلك قد بقي الحب البنوي الذي يعادله دون أن ينشأ عنه فكرة التكافل التي نستطيع وحدها أن ننشر السعادة بين الناس .

ومن المعيب أن نرى كثيرا من الناس يخطئون في إدراك كنهه العواطف الى يشعرون بها نحو غيرهم ويجهلون تماما الآثرة التي هي منشأ تلك العواطف . ومن الناس من يفاخرون بالدموع التي يذرفونها ، وبالبكاء والنحيب عند وفاة عزيز لديهم ، إنهم يتباهون بأحزانهم ، أما لا أقول إنه يجب أن تبقى عيونهم جامدة ، ولكن لا بد لهم من أن يعترفوا بأن هذا الألم منشؤه الآثرة البهتة ، إذ أنه ليس على الأموات نشفق وتوجع ، ولكن على أنفسنا ، على الوحشة التي تقع فيها إنه من الطبيعي ومن المعقول أن نتأوه عند ما نشعر بألم ، ولكن ليس لنا أن نجعل من هذا الشعور فضيلة ، ذلك الشعور الذي ليس فيه أي جلد ولا شجاعة ولا إيثار ولا إحسان .

والأمر كذلك في الشفقة، إذ لا تكون صادقة إلا إذا كانت نافعة، بأن تسمر بنا وتوحى إلينا الوسائل السريعة لإغاثة المهوغبين، أما الشفقة التي تنور معها عزائمنا وتفرقنا في بحر صميق من الاضطراب الباطل وتصدنا عن العمل، فهي ليست شفقة بل هي ضعف وخور، إنها هي الصغار المحزن الذي كثيرا ما شاهده عند ضعف الأعصاب الذين لا يكادون يقرءون قصة حادثة حتى يأخذهم الذعر بشكل صبياني، ومن الناس من يحدون في هذه العاطفة فخارا لهم كما لو كانت ثم عن حبهم للغير.

وإننا إذا سبرنا غور عراطف الشفقة التي تظهرها بمسبار العقل والتفكير وجدنا الآثورة الشديدة في وسط آلامنا التي تظهر لنا بمظهر الايثار، وليس معنى هذا أننا نستطيع دائما مقاومة تلك الإزجاجات مهما كانت في حد ذاتها مبتذلة، إنه من حقنا أن نبكى من نفقدهم من أعزائنا وأن نتألم لأنهم الغير، ولا نستطيع دائما أن نمنع الرعب من أن يستحوذ على نفوسنا، ولكن لا بد لنا من الاعتراف بأن ليس في هذا الانزعاج أي تخفيف للآلم، وأنه ما دامت انقضت ساعة المفاجأة فلا بد لنا من الاهتمام بالعرض الوحيد الواجب الوصول إليه ألا وهو تخفيف آلام المصابين بدلا عن أن نعرض عليهم منظر انزعاجنا واضطرابنا.

ويقع نفس هذا الخلط في فهم معنى الواجب، ففي أغلب الأحيان تؤدي هذه الواجب مع كثير من اللل والنضاضة كالطفل الذي يؤدي واجباته المدرسية كرها لكن إذا أدرك المرء المعنى الصحيح للواجب الأسمى، أداه عن طيب خاطر، فهو يبعث في نفسنا السرور والنبطة، وهذه اللذة هي التي ندهننا إلى تأديته بالرغم عما قد ينالنا في سبيل ذلك من التضحيات.

وتأدية الواجب مهما كانت مؤلة، والتضحية مهما كانت قاسية في سبيل القيام به، فإنه لا بد من تأديته طيبة به أنفسنا، فبجرد الشعور بالقيام به يزول كل ألم وينقشع، كالطفل الذي تأخذ منه العوية كان يفرح بها لنعطيه أخرى تبعث في نفسه

فرحاً أعظم وسروراً أدهم ، ولا شك أننا نرى في مدى حياة المرء الذي راض نفسه وهياتها للقيم دائماً بالواجب ، نرى أن بعض التردد يحصل ويستوقف المرء من تأدية الواجب ويوظف في نفسه ما قد يصادفه من آلام التضحية ، وهنا يقوم في النفس عراك بين الإقدام على أداء الواجب وبين الإحجام عن تأديته ، ولكن متى وقع الخيار وانتصر الإقدام على الإحجام ، فلا بد للنفس من أن تبدأ وتنهأ من تأدية الواجب .

ففكرة الواجب ليست محققة تماماً ولا مفهومة فهما صحيحا ما دامت ممزوجة بفكرة السخرة ، فنحن لا نستطيع أن نلذ بتضحية تقوم بها لأنفسنا مادامنا نشعر أننا لم نؤدها عن طيب نفس .

وإنه من الغريب حقاً أن تكون فكرة « الواجب السار » قليلة الانتشار ، وأن معظم الناس يؤدون الواجب مع شيء عظيم من الملل الظاهر وبدرجة من الفضاضة نجمل الذي تعمل له التضحية أن يتنازل عن هذا المظهر من العطف والإشفاق ومن هنا نرى قصر نظر المرء الذي لا يشفق في تفكيره ويدفعه إلى حدود الملل الأعلى ، فهو يقف في اعتياداته عند حد ذاته ، وأحياناً عند حبه فقط إلى الأقربين منه ، ولا يعرف أن يسمو بعقله المفكر الذي ينشأ عنه الشعور والرغبة الشديدة إلى ذروة الإيثار الذي يشمل جميع المخلوقات الحية بحب عام .

فالشعور الدائم بالسعادة والهناء لا يكون مبعثه الإيثار إلا إذا كان المرء يسعى لتحقيق أمانيه في حبه الأكبر لغيره حتى تشمل دائرة حبه جميع بني الإنسان ، وهو لا يمكن أن يخرج عن هذه الدائرة إذ أنه بطبيعة الحال جزء منها ، وليس في هذا أية أثر .

فالإيثار المحبوب لا بد أن يكون ذا فائدة ، وهذا ما يجعله مرغوباً فيه ، ولكن هذه الفائدة ليست خاصة بفرد على حدته أو مجموعة صغيرة من ذوى الأثر ، وإنما تشمل جميع الناس وتصبح فضيلة التكافل وتستحيل إلى المبدأين المعقولين القائلين : « لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به » و « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » .

CHAPTER 48.

On passing the wet hands over the boots.

1. We are informed by Asbagh b. Al-Faraj Al-Misri, through Ibn Wahb, who had it from 'Amr, who was told it by Abu-r-Nadr, through Abu-Salamah b. 'Abdu-r-Rahmān, through 'Abdullāh b. 'Umar, through Sa'd b. Abu Waqqās, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that :

The Prophet passed his wet hands over his boots. When 'Abdullāh b. 'Umar questioned his father about this, he replied : "Yes, it is true ; for if Sa'd relateth to thee any tradition about the Prophet (Allāh bless him and give him peace), do not question any other man about it."

Mūsa b. 'Uqbah stated that he was informed by Abu-r-Nadr, who had it from Abu Salamah, who told him that Sa'd related the tradition to him, and that 'Umar said words to that effect to 'Abdullāh.

2. We are informed by 'Amr b. Khālid Al-Harrānī, who had it from Al-Lath, through Yahyā b. Sa'id b. Ibrāhīm, through Nāfi' b. Jubar, through 'Urwaḥ b. Al-Mughīrah, through his father Al-Mughīrah b. Shur'bah, from the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) that :

The Prophet once went out for a natural necessity, and Al-Mughīrah, followed him with a small skin of water. When the Prophet had finished relieving his necessity, he poured out water for him while he performed his wuddū', passing his wet hands over his boots.

- 48 -

بَابُ التَّمْسِخِ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

١ - حدثنا أصبغ بن العرج المصري عن ابن وهب قال حدثني عمرو حدثني أبو النضر عن أبي سلفة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم :

أَنَّهُ تَمَسَّحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : تَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعِدُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُسْأَلُ عَنْهُ غَيْرُهُ .

وقال موسى بن عقبة أخبرني أبو النضر أن أبا سلفة أخبره أن سعداً حدثه فقال عُمَرُ لِعَبْدِ اللَّهِ تَسَحُّوهُ

٢ - حدثنا عمرو بن خالد الحراي قال حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن سعد بن إبراهيم عن نافع بن جبير عن عروة بن المغيرة عن أبيه المغيرة بن سعدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَاتَّبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ صَلَاتَهُ حِينَ قَرَعَ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَوَضَّأَ وَتَمَسَّحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

stroked his head from back to front and from front to back. (1) Lastly he washed his feet

'This is the way', said 'Abdullāh, 'I have seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudū'

2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammād, through Thābil, through Aas that

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once called for a vessel of water, and was brought a shallow bowl containing a little water into which he dipped his fingers.

'Immediately,' added Aas 'I watched the water spouting out from between his fingers, and have estimated the number of those performing their wudū' at between seventy and eighty'

CHAPTER 47.

On wudū' with a mudd (2) of water.

We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Mis'ar, who received it from Ibn Jabr, who heard Anassay

'The Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform his ghūsl (3) with a sâ' (4) up to five mudds of water, while he performed his wudū' with a single mudd'

فَنَسَحَ رَأْسَهُ كَأَذَنِهِ وَأَفْسَلَ،
ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ

هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ

٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ
ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ:

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَابًا مِنْ مَاءٍ فَأَبَى يَصْدَحُ زَخْرَاحٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ، قَالَ أَنَسٌ جُمِعَتْ أَنْطُرٌ إِلَى الْمَاءِ يَنْبَسُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قَالَ أَنَسٌ فَحَرَزْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّعْبَيْنِ إِلَى السَّمَاءَيْنِ »

— ٤٧ —

بَابُ الْوُضُوءِ بِالْمُدِّ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ قَالَ
حَدَّثَنِي ابْنُ جَبْرِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ:

« كُنْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْسِلُ - أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ - بِالصَّنَاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ »

(1) Thus reversing the usual order, with the object of showing that either is permissible

(2) is a measure of capacity equal to two rotls.

(3) and غسل in the text are given as alternatives, and merely express narrators' doubt as to the actual word used - either giving the required meaning of ritual bathing

(4) is a measure of capacity equal to four mudds or eight rotls.

ings have not been loosed, so that I may give the Faithful my last exhortations.' He was then placed in a basin belonging to Hafsa the wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), and we proceeded to pour water from the waterskins over him, until he began to make signs to us that we had done enough. He then went out to the Faithful "(1)

CHAPTER 46.

On wudū' from a ewer (2)

1. We are informed by Khālid b. Maḥlād, who had it from Sulaimān, who received it from 'Amr b. Yahyā, through his father, who said :

" My paternal uncle used to be very assiduous in his wudū'. Once he said to 'Abdullāh b. Zaid, 'Tell me how thou hast seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudū'. 'Abdullāh called for a ewer of water, and pouring out some on his hands, he washed them three times. Then immersing his *right* hand in the ewer, he rinsed his mouth and cleansed his nostrils three times with one scoop. Again immersing his *right* hand, he took another scoop and washed his face three times. After that he washed his hands as far as the elbows twice severally. He next took some water in his hand and

أَعْتَدَ إِلَى النَّاسِ، وَأَجْلَسَ فِي
مِغْصَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِئَتْ نَارُ نَصْبٍ عَلَيْهِ
مِنْ تِلْكَ الْقِرْبِ حَتَّى طَفِئَ
يُسْبِرُ إِلَّا أَنْ قَدْ فَعَلْنَا ثُمَّ
خَرَجَ إِلَى النَّاسِ،

- ٤٦ -

بَابُ الْوُضُوءِ مِنَ التَّوَرُّدِ

١ - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا
سُلَيْمَانُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ:
كَانَ عَجَبِي يُكْثِرُ مِنَ الْوُضُوءِ.
قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَخْبِرْنِي
كَيْفَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ، فَلَمَّا عَايَشْتُوهُ مِنْ قَدَمِهِ
فَكَفَّ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَهُمَا
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَذْجَلَ يَدَهُ فِي التَّوَرُّدِ
فَقَضَّ مِصْرَ وَاسْتَنْثَرُ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مِنْ عَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ أَذْجَلَ
يَدَهُ فَاعْتَرَفَ بِهَا فَعَسَلَ وَجْهَهُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ عَسَلَ يَدَيْهِ
إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ
مَرَّتَيْنِ . ثُمَّ أَحْدَا يَدَهُ مَرَّةً

(1) He went to the Mosque, led the prayers, and preached a sermon to the Faithful.
(2) A.-Bukhārī's object here is to show that the Prophet did not object to the use of copper or brass vessels in spite of the prevailing prejudice against them, based perhaps on the danger from corrosion, or perhaps their resemblance to gold which is condemned as luxurious (A. 'Amr).

"Once when the Prophet (Allāh bless him and give him peace) came to us, we brought out to him water in a brass (1) vessel. He performed his wudū', washing his face three times and his hands twice severally, and then stroking his head with his wet hands from front to back and from back to front, and finally washing his feet."

4. We are informed by Abu-I-Yamān, who had it from Shu'arib through Az-Zuhri, who received it from 'Ubaidullāh b. 'Abdullāh b. 'Uthbah that 'A'ishah said :

"When the Prophet (Allāh bless him and give him peace) was sinking, and his agony became more intense, he asked permission of his wives to be nursed in my apartments. When they gave him permission, the Prophet (Allāh bless him and give him peace) went out (2) to my quarters with his feet dragging along the ground supported between two men — 'Abbās and another."

"When", added 'Ubaidullāh, "I told this to 'Abdullāh b. 'Abbās, he asked me if I knew who the other man was, I replied that I did not — "It was 'Abi," said he.

'A'ishah (Allāh be well pleased with her) used to relate that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) after he had entered the house and his agony became still more intense, said : 'Drench me with water from seven skins whose fasten-

ه. أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَتْهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَبَدَنَهُ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْمَرَ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ هـ

٤ - حدثنا أبو الياس قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن عائشة قالت

هـ لما نُقِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَرْوَاجَهُ فِي أَنْ يُسْرَعَ فِي يَلْبَسِي، فَأُذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْرَ رَجُلَيْنِ تَحْتَ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، نِسْرَ عَسَاوٍ وَرَحْلٍ آخِرٍ.

قال عبيد الله فأخبرت عبيد الله بن عباس فقال : أتدري من الرجل الآخر ؟ قلت لا ، قال هو علي

وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ما دخل بيته واشتد وجعه هريقموا علي من سبع قير لم تحال أو كسهن لعل

(1) Or — a kind of stone. (Al-Aini).

(2) Probably from Mamūnah's apartments

CHAPTER 45

On ghusl⁽¹⁾ and wudu' in basins, bowls, and vessels of wood or stone

1. We are informed by 'Abdullah b. Munir, who heard it from 'Abdullah b. Bakr, who had it from Humaid, through Anas, who said :

"Once when the hour of prayer had come, those *Companions* whose houses were near went home, while a certain number remained. Then the Messenger of Allah (Allah bless him and give him peace) was brought a stone basin containing water, the basin being too small for him to extend his hand in it. The company of the Faithful all performed their wudu'." When Humaid asked Anas how many there were, he said : "Eight and more."

2. We are informed by Mahammad b. Al-'Ala', who had it from Abu Usamah, through Buraid, through Abu Burdah, through Abu Musa that.

The Prophet (Allah bless him and give him peace) called for a bowl containing water, in which he washed his hands and face, and into which he ejected water from his mouth

3. We are informed by Ahmad b. Yunus, who had it from 'Abd-ul-'Aziz b. Abu Salamah who received it from 'Amr b. Yahya, through his father, through 'Abdullah b. Zaid, who said .

— ٤٥ —

بَابُ الْغُسْلِ وَالْوُضُو' فِي
الْمُخَضَّبِ وَالْفَدَحِ وَالْحِجَارَةِ
وَالْحِجَارَةِ

١ - حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر قال حدثنا حميد عن أنس قال :
وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَدَامَ مَنْ
كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ وَبَقِيَ
قَوْمٌ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمُخَضَّبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ
مَاءٌ فَصَفَّرَ الْمُخَضَّبُ أَنْ يَنْسُطَ
فِيهِ كَفَّهُ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ،
فَقُلْنَا كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ ثَمَانِينَ
وَزَيْدَةً .

٢ - حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا
أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي
موسى :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا
بِمَدْحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ
فِيهِ وَمَضَى فِيهِ .

٣ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا
عبد العزيز بن أبي سلمة قال حدثنا عمرو
ابن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد قال

(1) Or simple ablution (الجل)

and on the water left over after a woman's wudû',

and on 'Umar having performed his wudû' with hot water from the house of a Christian woman (1)

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who was told it by Mâlik, through Nâfi', through 'Abdullah b. 'Umar, who said .

"In the time of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) men and women used to perform their wudû' together. (2)"

CHAPTER 44.

On the Prophet (Allâh bless him and give him peace) having poured some of his wudû' - water on a man who had fainted.

We are informed by Abu-.-Walid, who had it from Shu'bah, through Muhammad b. al-Munkadir, who heard Jâbir say

"The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) came to visit me while I was sick and unconscious. He performed his wudû' and then poured upon me some of the water he had left unused. (3) Thereupon I regained consciousness and then said, 'O Messenger of Allâh, to whom doth my inheritance fall, since I have neither father nor child, and my heirs are other relatives?' It was then that the verse on inheritances was sent down. (4)

وَتَوَضَّأَ عُمَرُ بِالْحَمِيمِ مِنْ
يَمِينِ تَضَرَّائِيَّةٍ .

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
مالك عن النعمان عن عبد الله بن عمر أنه قال :

كَانَ الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ
يَتَوَضَّؤْنَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْمِيمًا ،

- ٤٤ -

جَابُ تَضَرَّأَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَضَوْءُهُ عَلَى التَّخْمِيَّةِ عَلَيْهِ .

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن
محمد بن المنكدر قال سمعت جابرًا يقول :

« جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَعُودُنِي وَأَنَا كَرِيضٌ لَا أَغْقِلُ ،
فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ ،
فَعَقَّقْتُ فَقُلْتُ مَا رَسُولُ اللَّهِ لِمَنْ
الْمِيرَاثُ ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَذَلَاكُهُ ؟
فَنَزَلَتْ آيَةُ الْأَمْوَالِ . »

(1) This matter has been traced back to the Prophet by Ash Shâfi'i and others, who state that the water was not only taken from the house of a Christian woman, but was taken from a jar used by her. Al-Bukhârî's purpose here is to show that if water associated with a Christian woman is ritually clean, that associated with a Muslim woman must be still more so. In fact all the Indians, with the exception of Ahmad b. Hanbal, permit the use of unused water left over by Christians after washing. (Al-Ain).

(2) — both using the same vessel.

(3) — here may also be taken to mean the water he had actually used (Al-Qastallânî)

(4) By قرآن is meant the shares due to each inheritor

CHAPTER 42.

On stroking the head with the wet hands once only.

We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Wuhâib, who received it from 'Amr b. Yahyâ, through his father, who said :

"I was witness when 'Amr b. Abu Hasan questioned 'Abdulâh b. Zaid on the Prophet's wudû' (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water, and performed the wudû' before them — pouring the water upon both his hands and washing them three times, after which he immersed his *right* hand in the vessel. Then with three scoops of water he rinsed his mouth and cleansed his nostrils, snuffing the water up and ejecting it three times. Next he immersed his *right* hand in the vessel and washed his face three times. Again immersing his *right* hand in the vessel, he washed both his hands as far as the elbows twice for each. After that he again immersed his *right* hand in the vessel and stroked his head with both his *wet* hands, passing them from front to back and from back to front. Lastly he immersed his *right* hand in the vessel and washed his feet."

We are also informed by Mûsa, who had it from Wuhâib, who said :
"He stroked his head once only"

CHAPTER 43

On a man's performing the wudû' in company with his wife (1),

- ٤٢ -

بَابُ مَسْحِ الرَّأْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً.

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال.

« شَهِدْتُ عَمْرُو بْنَ أَبِي حَسَنٍ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ عَنْ وُضُوئِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَايَنَ مِنْ مَاءٍ خُوشَئاً لَهُمْ (مَكْفَأَهُ عَلَى يَدَيْهِ فَمَسَحَ بِهَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ) فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَّ ثَلَاثًا ثَلَاثَ عَرَفَاتٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ يَدَيْهِ وَأَدْرَأَ بِهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَسَحَ رِجْلَيْهِ ».

وحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال :
« مَسَحَ رَأْسَهُ مَرَّةً ».

- ٤٣ -

بَابُ وُضُوئِ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ، وَفَصْلُ وُضُوئِ الْمُرَأَةِ.

(1) — both using the same vessel.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم بن محمد الموصى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 41.

On one who rinseth his mouth and cleanse his nostrils with one handful of water.

We are informed by Musaddad, who had it from Khalid b. 'Abdullah, who received it from 'Anas b. Yahya, through his father, through 'Abdullah b. Zaid that :

He ('Abdullah) poured water out of the vessel upon his hands and washed them. He then washed - or rinsed - his mouth and cleansed his nostrils with a single handful of water. He did this thrice, after which he washed his face three times and then his hands as far as the elbows twice severally. Next he stroked his head with his wet hands, passing them from front to back and from back to front. Lastly he washed his feet as far as the ankles, saying : "Such was the wudu' performed by the Messenger of Allah (Allah bless him and give him peace)."

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

- ٤١ -

بَابُ مَنْ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ عَرْفَةِ وَاحِدَةٍ :

حدثنا مسدد قال حدثنا خالد بن عبد الله قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد :

أَنَّهُ أَشْرَعَ مِنَ الْإِمَامِ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَتْهُمَا ، ثُمَّ عَسَلَ أَوْ مَضْمَضَ - وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفَّةٍ وَاحِدَةٍ ، فَعَمَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا . فَعَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مِرَّتَيْنِ مِرَّتَيْنِ ، وَمَسَحَ رَأْسَهُ مَا أَقْبَلَ وَمَا أَدْبَرَ . وَعَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْمَكْعَسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا وَضُوهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المؤتمر العالمي للاديان في لندن

رسالة لحسرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر

يقام كل سنة مؤتمر عالمي للاديان في عاصمة من كبريات عواصم الغرب
الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات
بينها تدرجا لا يهمل الحروب والمخاضات . وقد دعا المؤتمر في هذه الدفعة
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر لاقاء خطابه فيه في موضوع كيف تنقصر زمالة عالميه
بين الافراد المحتافى الأديان والنحل . وقد أجاب فضيلته لدعوة فارسل للمؤتمر
يبحث تاريخ جامع في هذا الباب ، وأجاب عنه فضيلة الشيخ عبدالعزيز مصطفى
المراغى شقيقه في القائه ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ،
فقبل المؤتمر عذره ، وقابل خطابه بما هي أهل له من الاطراء ولا كبار .
وها هو نص تلك الخطبة :

كلمة التحية للمؤتمر .

١ - تشرفت بالدعوة الى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره ،
وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلى الأديان والمذاهب ،
لكن أسبابا قوية حالت دون بوعى هذه لأمنية ، فبشت بكلمتى هذه وأنبئت عنى
فى إلتافها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة ومضو بمئة فؤاد الأول
بلندن ، وأنا راج منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والاحترام ، وأصدق الأمانى
لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون اليه .

فكرة الزمالة طبيعية :

٢ - إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات لساذجة ، وكان مظهرها تدليل عقبات
الحياة فى أشكالها البسيطة ، ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشمعت
القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة لأم بعضها الى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة في البشرية كلها بئامن من الغوائل ، ونشأت الحاجة الى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج الى مشاركة عامة ، أخذت فكرة الزمالة تنسج وتمتد لتشمل التنوع الانساني كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع البشري منذ دور لطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعد على قطع مفاويز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

أسباب النفوس الطبيعية :

٣ - ومع شعور الانسان بالحاجة الى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائماً ملازمة لهذا الشعور ، لأن الانسان لا يسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضاً غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة ، والخوف والشك ، وقد أضيف الى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفرق ، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الانساني المنشود تدافعه كل تلك النوازع في الانسان ، بيدوله أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتمل فيها من شرور تصرقها تصريفا جاراً شرسا لا قلب له ولا وجدان .

التبرير هو الدواعي :

٤ - ولا أعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي يقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها . بل في الحق إنني لا أعتقد أنه سيجيء اليوم الذي تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بمعامل من العوامل أن تخيوجذوة تلك النار للنبيمة من قوى لطيفة في الانسان فانه لا يمكن أن ننطفيئ تلك النار .

٥ - لكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل اللطيفة لتلك الغرائز والكابحة لجماها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته الى الثقة بأن العالم بمجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيت وتحكم الصائر ، وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسئولية والمجازاة ، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الآله وتوقع محاكته عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا في دفع الإنسان الى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية الى الشرور ، والدافعة الى الحرب والحرس ، وإفساد شأن الجماعة الانسانية .

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل اليه الانسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الانسان مطمئنا راضيا إذا ساء حظه في الحياة الدنيا ، وبغير نظره الى هذه الحياة تغييرا تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر يتزلان بمقدار بعد وزيادهما بميزان عادل هو ميزان التقدير الحكيم ، يحفز الانسان الى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر .

٦ — يجب أن يكون للدين على عمل الانسان من داخل الانسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا الى جعل الانسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونهبوا الضمير الانساني بواسطة التهذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن أتى لهم ذلك ، وكيف استطاع تهذيب الدماء ومن تلبيهم من أول أدوار الحياة الحاجة الى الفتوة ؟ فالرجوع الى غريزة التدين أسهل . وهذا الشعور الديني إذا عمق وصلح أقوى — أو على الأقل ليس أضعف — من الخوف والطمع والمنافسة للثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الانسان الى ما فوق الاعتزاز باللون ولدم والجاء والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يقلب الحقد والحسد والأناية ، وفيه من تطهير النفس ما يقلل بطرها بالافنى ، ويهون عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور بكرم النفس الانسانية ويحدوه الى المعرفة والحكمة، ويكره اليها الجهل والحق. كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا لولا طوارئ أخرى. ومن هنا تقوى طمعية المتدين في قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الانسانية معا عز ذلك أو بعد، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الانسان.

٧ — نعم إن الانسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلا داس مخيف، أدار رحاء الخلاف الديني، وكان فيه الشعور الديني الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت الى عنف وتدمير رهيب مروع. وإن الانسانية لترنو في خيبة الى آلاف من الأجيال المتعددة لم تذهب كثيرا من تلك الأخوة الانسانية، بل لا تزال الى اليوم يائسة منها. لكن المتدين مع ذلك كله يصوده أمل القوى، ويدرك أن تلك لذكريات مروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التدين أحدث ذلك كله، بل إن ذلك في الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين، فتحكمت الحياة في التدين، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الديني استغلالا ماديا في سبيل ما رُب لاثير دفين غزيراتها وحسبنا أن نقول: إن ما نال الانسانية في عصور التدين من شر، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي، ليس لشيء في طبيعة التدين، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني. على أن ناموس التدرج الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخبية بأنه حال افتضتها درجة رقى الحياة في تلك العهود، وأن ما صارت وتصور اليه تلك الحياة من رقى، يؤهلها لالتفاف بالشعور الديني في إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساد. وها هو ذا الرقى العقلي والنفسى قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية، ووجه الشعور الديني توجيهها أصح نوعا ما كان قديما. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية لرمالة العالمية.

٨ — وهذا ما جعل اعتباطي بهذا المؤتمر عظيما، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن

الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهي الرمالة العالمية بين أفراد النوح
الإنساني وأممهم ، فانه بهذا السعي يحقق غرضاً أساسياً من الأغراض التي سعت إليها
الاديان وعنى بها الاسلام الذي أدين به ، فقد نيه القرآن الى وحدة الأيوين الموجبة
للتعارف والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخالف ، ولم يقم وزناً
لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع مقياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى
الله ، وفي القرآن الكريم : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل ليعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وطلب القرآن الى المسلمين إحسان
معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان ؛ وفي القرآن الكريم :
« ولايتهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا اليهم
إن الله يحب المقسطين . إنما يتهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم
وظاهرؤا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده
على وفق هذه المبادئ السامية ، حتى أبيع الإصهار الى أهل الكتاب مع ترك الحرية
للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

الرمالة بين رجال ادين بحب أنه نسبي الرمالة العالمية :

٩ - وإذا ما كانت تلك الرمالة أملاً مرجو التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين
ويحتفلون بذلك في جد وحزم ، فن الحزم إذاً أن نعود الى هذا الشعور الديني نستفيد
من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته في البشرية ، لنبدأ منه خطتنا في تنمية
الرمالة ؛ وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما في الأديان من الشعور الديني المشترك بينها ،
وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة ، على تحقيق الفرض المرجو
من تحقيق الرمالة وتنميتها . وكل ما في الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشري أسس صالحة
ترى الى الخير ، ولأن يكون الفرد عضواً نافعا في المجتمع ، يعاشر أخاه بالمعروف ، ويدفع

عنه النوائب ، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الانسان واقعة تحت الرغبات الإلهية ، مطلوبة للخالق الحكيم الذى يحيى ويميت ويرزق ، ويغيث للهلوف والمضطر ، ويمد يده للوت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات .

والدعوة الى تنمية الشعور الدينى المشترك يجب أن تسبقها الرقعة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذى يدام الانسانية لا ينجى من أديان المخالفين ، وإنما ينجى من الإلحاد ومن المذاهب التى تقدس المادة وتميدها ، وتستبين بتعاليم الأديان وتعددها هزوا ولعبا .
الدعوة التى يسعى لها أهل الأديان :

١٠ — والأغراض التى أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية .
الأغراض المعنوية هى فى الإجمال إزاحة الملل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تلوئنه بالشوائب المفرقة ، وإما ضعفه وتخلله .
فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوى الإيمان يصاح إيمانه لمقاومة شرو الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة ثورفيه عناصر الحقد على المخالف والكراهة له والترصص به ، فهو فى حاجة الى توجيه إيمانه توجيها نافعا ، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب ، وإلى فهم معنى التدين فهما صحيحا خاليا من الأغراض البشرية السادية . ورجل ضعف إيمانه أو أفر قلبه منه ، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التى تسمى مستتيرة ويدعوها الناس مثقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي ، وما ناز بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية الى آراء فى الخير والمضائل العملية وقفت بعض الأديان فى سبيل الموافقة عليها ، أو تجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة لم يوافق لادين على رسمها ، فكانت صلة العلم السادى والعمل الخلقى ولغايات الاجتماعية بالحياة العملية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرمانه ؛ وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببا فى اتساع الهوة وجراءة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الدينى فى قلوب أولئك المتعلمين ، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا، فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هبة ورحمة من الله، ورحمة ورفقا بعباد الله، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلي والتحرير الفكري ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم لرغبات غير الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم، فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائط الإخاء البشري، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتربطهم الفلسفة.

لأن غرض العملية هي على الإجمال جعل التدبير أداة فعالة في تهذيب الجماعة، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، وتيسير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظما عملية. بذلك يقل فتك الشرور بالإنسانية في الأمم، وتقارب أنظارتها، وتدنو من الإخاء الإنساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

١١ — ومماثير المعجب ويضعاف الأمم، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويمدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوم المشترك، وسلوكوا طرقا في التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقوبة للتناحر، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن المزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا يقال إلا بالدليل، ونسوا أن المدوجاه

في إزائهم من مكانهم اللائق بهم ، وأن شرور العلم تنذر الانسانية وتطغى على ما بقى في النفوس من هيبه واحترام للنظم الإلهية . وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء غلصه ، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة ، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء ، وهذه العادة المستعصمة التي نجر الولايات على الآمتين بين حين وآخر ، وتستعازلها أسما كادية من الدينية والنظام والحرية .

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم ، وتفرهم زخارف حياة الدنيا كما تفرى غيرهم ، ويحافظون على الجلاء والرتب كما يحافظ عليها غيرهم ، ويفترى بعضهم على بعض في الدين كما يفترى غيرهم ؟ لكن قسما من النور لا يزال باقيا للمتقين ، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور التلاطمة أمواجه ، وأقدر على إيجاد الوسائل التي تزد الانسان الى مواطن الشرف والفضيلة . وأنتم مواطن الأمل ومعقد الرجاء .

الوسائل التي تحقق بها الانعزام :

١٢ — وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق الغرض ، مكتفيا بالإجمال ، فارك التتميل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر ، وللابتكارات للتجدة التي ينتعها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية :

(١) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ، ولتلك وسائل ، منها :

١ — توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة الى هذا الاتجاه الانساني ، بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعظاته .

٢ — جمع كل ما في دين من للعاني الانسانية السامية العامة ، من الرفق بالبشر والبر بهم ، من حيث هم أفراد من نوع الانسان ، دون نظر الى الفوارق الأخرى ، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات .

٣ — جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائما على أساس عقلي محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة في الوصول اليها ، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو اليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتناء الدعاة حسما شريفا نزيها صادقا لرغبة في المسألة .

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني ، وبخاصة في الطبقات المستنيرة ، فتعنى بتأييد مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر ، تأييدا يقوم على احترام العقل وإعصائه حقه الكامل في البحث النزيه التماسا للبرهان ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة لروحانية المستبدية ، وبالجملة يعتمد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية نهبها باهظا مرهقا .

ويسكون لهذه الهيئة شُعب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يمجّد ، وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفته من حب للحقيقة وحرص عليها ، في لباقة لاتدع الدين يجر بما يخالف المحسوس والمشاهد . وشعبة تبحث بالآراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جائرا على الحياة المعنوية ، متأثرا بأغراض نهمة ومطامع شريرة ، فتبحث ذلك في عمق ودقة ، ويداع منه الآراء المقتنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما الى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق ، وتكشف عن موضع الهوى الجامع والرغبة النهم المفسدة لشرف الغرض من الحياة . كل ذلك يداع في الأسلوب الصحيح ، ليسمع الناس الرأي الصالح مؤيدا بالبرهان ، موافقا بينه وبين الدين ، صراحي في كل هذا وجه الله ، ووجه الحق ، ووجه الخير للإنسانية .

١٣ - ونظراً لأن الانسانية قد نالها عصف كثير نرى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فن الحق أن تظهر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسماعها . وأرى أن تؤكد لوحدة لدينية قولاً وعملاً ، وأن تجدد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون الى رغبات مادية ولا الى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ ، وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الانسانية وترفيها ، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها ، وأنهم قوام على تفسير الناموس الإلهي بالحق ولدعوة اليه ليس لهم من الأمر شيء ، ثم نحافظ على ذلك أشد المحافظة ، ونقوم من يند عن هذا المبدأ وبخلافه .

إذ ذلك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني ، وتكتسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصرها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عملية تمكن من السعي الى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث نحصل تلك الأصول الصالحة . وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع الى تأييد مبادئهم وقواعدهم ، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع الى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان ، فيقاوم الزنا ، وتحمي الأسرة ، ويماقب على الكذب والغيبة والنميمة ولدس والوقية ولولم تصور في جرائم مادية ، وتحذر الحرية في التمتع وأسباب الشهوات ، ونحرم المنافسة غير الشريفة ، وتراقب المكاسب المادية ، ويحرم خبث منها ، ويماقب على الجشع والخداع والتغريب ، الى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الانسانية من أدناسه ، فساء التطبيق ، وانحرفت وجهة التدين أوضعت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رغبة الله ورحمة عباده .

١٤ - وما من شك في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر على يد رجالها الذين يزين الايمان قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة ، وسائل ناضجة

فعالة لهذه الأغراض، ولكن يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة، وعلى إغناء روح الكرم لم يفتقر العالم الآن من المفسد والشرور التي نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحط لا يفكر في غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية، وإشباع نهم القوى الشرسة، وصفات العدوان.

١٥ — ذلك ما رأيته لتنمية الرأية العلية، وقد قام على أساسين صحيحين، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعالة، وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلين، لكن المطلب نبيل والخطب جليل. وإن الإسلام ليمنعها تأييده القوى.

وفي أصول الإسلام أقوى الدعائم التي تركز عليها الفكرة، فهو يقرر أنه لا إكراه في الدين، ويقول للرسول صلوات الله عليه: «أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين». ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق الله، ويرفع العلم والعلماء. ويقول نبي الإسلام: «بعت لآئيم مكارم الأخلاق»، ويقول له الله تعالى: «ولو كنت قفًا غليظ القلب لا مضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر»، ويحث على البر والرحمة، وعلى مواصلة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال، وجعل للفقراء حقًا لازمًا مفروضًا في أموال الأغنياء، وجعل الجنابة على نفس واحدة جنابة على الإنسانية، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام.

ولا أطيل عليكم أيها السادة، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه لا يتناقض قواعد الإسلام العامة.

١٦ — وإني أيها السادة في ختام كلمتي هذه أبتهل إلى الله أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للإنسانية، وأن يثبلكم الطريق ويهديكم سواء السبيل: محمد مصطفى المراغي

لماذا يصادف أكثر الشاكين في المتعلمين^(١)

من الشبهات التي تكدر على بعض أدكياء العامة صفاءهم لا اعتقادي، أنهم يصادفون كثيرا من المتعلمين شاكين، مستهينين بالدين، وبعضهم مجاهرين بالزندقة، زارين بالاعتقاديين. وقد كثرت أمثال هؤلاء في طلبة المدارس وبخاصة الذين يفتقون العلم منهم في أوروبا، حتى لا ينجل الواحد منهم أن يهاجم معتقدات أبيه، مثيرا عليهما من الشبهات ما لم يصل إليه. فنسرب إلى عقول العامة أن العلم يفسد العقائد، ويفري بالزندقة، ويؤبد القلوب للإلحاد، وهو حكم خاطئ لا يقول به عارف بما هنالك. ونحن لأجل تبديد هذا الوهم نتولى هذا الموضوع بالتعليل للوقوف على العلة الأولية لهذا الانحراف الاعتقادي فنقول:

الإنسان لا يطبق بحكم تركيبه للعنوى أن يقف جامدا أمام أي مجهول كان، فهو مضطر، ولو كان في حضيض الجهل، أن يعرف كل ما يؤثر على حسه وعقله، وإلى تعامله على قدر ما تسمح له به وسائله.

فلما أذف به إلى هذا العالم شرع في تعرفه مقهورا بظفرته، فنظر إلى سمائه وأرضه، وتأمل في حوادثهما، معملا جميع خصائصه العقلية، فأب من هذا الجهاد بمدركات تناسب حالته من السذاجة، فأسند جميع الحوادث إلى علل روحانية، مغفلا جميع عللها الطبيعية القريبة منها.

ولكن الإنسان ليس بالشاكن الذي يقف عند حد يصل إليه، فما زال دائما وراء استكناه المجاهيل حتى هدى إلى كثير من العلل الطبيعية المباشرة، فكان كلما أدرك علة ربط بها معلولها، ورفع العلة الروحانية عنها مع الاحتفاظ بها كلمة أولية.

(١) لم نستطع بسبب كثرة الأعمال أن نتاهم حلقات بحثنا الجديد في الروح الاسلامي، فنعتد لحضرات القراء ونسهم بمتابعتها بعد اليوم.

فلما نشأت الفلسفة، كانت العلوم النظرية قد كشفت كثيرا من العلل الطبيعية، وأظهرت وجوه تسلسلها، فلم يبق أمام العقل الانساني غير العلة الأولية أو علة العمل، وهو كما قلنا لا يطبق بحكم تركيبه أن يقف جمدا حيالا أي محمول كان، فوقف لا يدرك تلك العلة الأولية جبل وسائله الفكرية، غير قانع بأن يستمد بوجودها مقر بالعجز عن فهم حقيقتها، فأراد أن يعرف كيف هي أزلية أبدية، وماذا كانت تعمل قبل أن تخلق الكون، وعلى أي حال تحيط بكل شيء، علما، وعلى أي حال تطيع إرادتها في القوى الكونية، غير مقدّر وسائله على كل هذه البحوث التجريدية، فكان كلما اصطدم بمسألة من هذه المسائل استعصى عليه تحليلها، وترفعت عن الانطباق على دستورته المدي اصطدود، فكان يحس بحيرة لا تتفق وسكينته القلبية. بل ربما أدته تلك الحيرة الى الإلحاد في صفاتها، والخبط في شئونها، وإعلان أنه لا يمتد بوجودها

فلو كان نولاه، وهو في هذا الدور، عقل ناضج به رأى الميز أن دستورته العلمي إنما هو منتزع من العالم المادي، وهو محدود محسوس، وأن ما يبحث عنه في عالم الاطلاق الصرف، لا يتقيد بقيود هذه المادة الفاصرة، ولا تسرى عليه أحكامها، لربأ بنفسه عن التهور الذي ظهر به، ولا أدرك أن البحث في ذلك العالم العالي يقتضي وسائل تناسبه، ومحاولات تتفق وسموه عن جميع الملايسات المادية، ولتحقق أن ترتفع ما هو بصده عن الخوض لآدوات بحثه، لا يدل على أنه غير موجود أصلا، كما لم يدل عجزه عن معرفة الكهرباء واللفناطيس والإشعاعات المادية على عدم وجودها قبل اكتشافها من طريق الاتفاق، وكما في الوجود موجودات مثل هذه وأرفع منها لم يصل الى اكتشافها أحد بعد، ولا يدل عدم اكتشاف أحد لها على عدم وجودها.

إن هذا العقل الناضج لم يحصله الانسان إلا حديثا، بعد أن كثرت تكديسه بوجود أشياء، ثم ثبت وجودها بعد ذلك، وإن له في هذا الاسراع الى التكدب تاريخا حافلا بالعجائب، إذا عرض على نفسه أهني متمردة العلم اليوم تلجئ منه، ورض بنفسه عليه.

لقد سرد العلامة الكبير كاميل فلامريون الفرنسي في كتابه (الجهول) بعض ما كان العلماء يتشددون في نفيه، وثبت وجوده بعد ذلك، فقال:

«إن العلامة (غاليليه) أمير به فأحرق بالنار لأنه نجاراً أن يقول إن لأرض كرة صغيرة ساجحة في الفضاء، كما هو الواقع.

ثم قال ما ترجمته الحرفية:

«وقد حضرت في ١١ مارس من سنة ١٨٧٨ تقديم الفونوغراف لذي اخترعه (إدسون) إلى مجمع العلماء الفرنسي. فلما أدار مقدمة الآلة وتكلم الفونوغراف، هب أحد العلماء الكبير وهو الميسو (بويو) من مكانه، وأمسك بمخناق الرجل، وصاح في وجهه قائلاً: تعال، إنا لا نستخدم لشموذ مثلك يتكلم من بطنه والذي هو أنجب من هذا أن هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة ستة أشهر، أي في جلسة ٣٠ من شهر سبتمبر لمجمع العلماء، بأنه درس مسألة الفونوغراف درساً مدققاً... فرأى أن مسائلها مسألة تدليس، وأن الصوت الذي يرن منه ليس منبثاً من الفونوغراف نفسه، ولكن من بطن مقدمه. ثم قال (أي العلامة بويو): «ولا يعقل أن المعدن يستطيع محاكاة الجهاز الصوتي الشريف للإنسان» فلم يكن الفونوغراف في نظره إلا من الأوهام.

قال الأستاذ كاميل فلامريون متابعاً سرد أمثال هذه الحوادث:

«لما حلل الكيمياء الكبير (لافوازييه) الهواء إلى عنصريه المعروفين الأوكسجين والأزوت، ناز عليه كثير من عالم عظيم، وانبرى له الكيمياء الأشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمي، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله: «إن العناصر والأصول المكونة للأجسام قد اعترف بها ونحقق منها الطبيعيون في جميع المصور وفي كل الأمم. وليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألقى سنة بأنها بسيطة، في عداد الأجسام المركبة، كما أنه ليس من المحتمل أيضاً أن نعتبر حقيقية، تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الماء والهواء، ولا تلك الأدلة المستحيلة:

(ولا نقول أكثر من ذلك) ، الداعية إلى إنكار وجود عنصرى النار والتراب . فإن الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والكيمائية التى تحصلنا عليها إلى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد عدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تبارى كلها فى توضوح والجلال . وهذه المكتشفات والنظريات يجب أن ترفع منها كل ثقة إذا اعتبر أن النار والهواء والماء والتراب غير عناصر أصلية .

ثم عقب كاميل غلامريون على هذا بقوله :

« كل الناس يملكون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر التى دوفع عنها بهذه الروح العظيمة من التقوى ، لا وجود لها ، وأن الحق فى جانب الكيمائيين المعصرين بتعليمهم الهواء والماء . أما عنصر النار الذى كان يقول عنه (بوميه) ومعاصروه بأنه الأصل المولد للطبيعة والحياة ، فلم يوجد إلا فى خيال أولئك الأساتذة . انتهى ما أخذناه من الأستاذ كاميل

بعد هذا نقول : إذا كان العقل البشرى ، حتى فى عهد الراهن ، لا يزال على هذا النحو من الجود على الأساليب التى أنس بها وألفها فيما يختص بعلم المحسوسات ، فى ظنك حيال العالم العلوى الذى يعلو بطبيعته السامية عن أن يتناول بوسائلنا العادية فى الحكم على الأشياء ؟

ليس العلم هو الذى يولد الشكوك فى العقول ، وإنما هى النزعة الباطلة التى تخيل للإنسان أنه يستطيع أن يدرك كل شئ بوسائله الكليّة ، وأن ما لا يدركه منها فليس له وجود على الإطلاق .

إن الإنسان منى من جراء تمسكه بهذه النزعة فى مدى تأريخه العقلى بما كان يكفى لأن يقفه إراء ما يحمله موقفا أقرب إلى الحكمة ، وأجدر بعالم التثبت ، ولكن العلم النافس هو الذى يمسكه فى دائرة الجود على ما تعلمه ، فلا يستطيع أن يتعداها

قيّد شعرة ، فهو يتبقى العلم معتقداً أن جميع المعلومات التي يُفَضِّلُ بها اليه مقررات لا تقبل النقض ، وأنها ثابتة إلى حد أنها تعد والمحموسات في مستوى واحد . والحقيقة أن العلماء الراسخين قد علموا أن جميع هذه القرارات يجب أن توضع في الميزان ، وأن تعرض دائماً على محك النقد الدقيق حتى ما كان يتعلق منها بأصول الرياضيات والميكانيكا . وقد نقلنا في مقالات سابقة بعض تصريحات أقطاب العلم في ذلك فلا نعود اليه .

لهذا السبب تجد أكثر المتخرجين في العلوم يتوهمون أن ما حصلوه هو نهاية ما يتبعه الإنسان من العلم ، وأن الموازين والقياس التي تحت أيديهم تكفي لأن يدرّكوا بواسطتها ما هو موجود وما ليس بموجود ، وما هو ممكن وما هو محال . فنيّ دُعوا لينظروا في أسر من الأمور العلوية ، وزنوا بتلك الموازين ، فإن لم تتأثر به حكموا بعدم وجوده !

هنا لعل قائلًا منهم يقول . هذه موازيننا فإن كان لديكم غيرها فآتوناها ، فإن لفتنونا إلى الموازين العقلية والدوقية ، فلا يخفى عليكم ما مُنيت به من النقد في المصور للمناخنة ، وهي إن كانت قد أقمت أهل القرون الخالية ، فإنها اليوم لا تنفع أمثالنا ممن أدركوا الفرق بينها وبين الدستور العلمي العملي .

فمنعبيه بأن الحق سبحانه وتعالى قد آتى هذه التزعة العلمية الحديثة بما يوفي حاجتها ، فقد فتح على أقطاب العلم ، تحت اسم البحوث النفسية ، أبواباً من المشاهدات المحسوسة خرت أعناقهم لها خاضعين . ولكنهم لا يميرون هذه البحوث التفاتاً ، فإن ذُكِّرُوا بها قالوا إنها أوهام قوم مخدوعين ، وهي في الواقع تجارب ومشاهدات قام بها أقطاب العلم المتقدمين من أعضاء الأكاDEMيات ، وعمداء الجامعات ، فإن كان خصومنا يصرون بعد هذا على موقفهم فالتبعة عليهم لا على نقص الموازين .

هذا هو السبب الرئيسي فيما يصادفه الرائي من تظاهر بعض المتعلمين بعدم الأثر

بغير المسائل المادية وقد تبين أنهم في هذا الشذوذ هم المقصرون ، وأن الحق جل شأنه آتى العقول في كل زمان بما أحست بالحاجة اليه من وسائل البحث والتعميق ، والسمو الى أرقى مراتب العلم بعالم الشهادة والغيب .

محمد فريد وجدي

فائدة اتحان الاخوان

في الحديث المرفوع : « المرء كثير بأخيه »
 مما يجب على الصديق للصديق ، النصيحة جهده . فقد قالوا : صديق الرجل مرآته ، يريه حسناته وسيئاته .
 وقالوا : الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رغبته .
 وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .
 وقال الشاعر :

فإن أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك في الحزن
 إن الكرم إذا ما أسهلوا كروا من كان يألهم في المنزل يألهم
 وأشد المبرد لعبد الصمد بن الممدل في إبراهيم بن الحسن :

يا من فدت نفسه نفسي ومن جعلت له وقاه لما يخشى وأخشاه
 أبلغ أخاك وإن شط المزار به أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه
 وأن طرفي موصول برؤيته وإن تباعد عن مشواي منوه
 الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينسه
 عدوا فهل حسن لم يحوه حسن وهل فني عدلت جدواه جدواه
 فالدهر يفني ولا تفني مكارمه والقدر يحمي ولا تحمي عطايه

وقبل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال : لا أدري ، الدنيا مقبلة على ، والساس كلهم أصدقاؤى ، وإنما أعرف ذلك إذا دبرت عني .

التفسير

سورة الرعد

- ١٤ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ، قُلْ سَمُّوهُمْ، أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ، بَلْ ذُنُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ. مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) :

لقد نصبت الأدلة، وقامت الحجة، وسطعت الآيات، ووضح المصباح لدى عينين. وإذا قد بقي منهم من بقي متمسكاً بعناده، ولم يفتح عينيه لهدى الله الذي جلاه عليه، فلعرض لما أصر عليه : فإهي تلك العقيدة التي ملكت عليهم جوارحهم فلم يستطيعوا الحياذ منها ولا الفكاك منها ؟ أمهي أن يجعلوا لله شريكاً ويسووه بما خلق ؟ إن هذا هو العجب العجيب، وأعجب منه أن يصدر من ذوى الألباب : أفيسوى من وهب كل نفس قدرتها، ومكسها بما تأنى وما تذر، وأحصى عليها كل ما فعلت وما تركت، وأخذ عليها ما اجتاحت وما اقترفت، بل علم ما خطر ببالها وما أخفت في صدرها، وعلى

الجللة مَنْ هو قائم عليها بما كسبت ، يعلمه ويحصيه ، ويفيضه عليها بخلقه فيها حسبا اتجهت اليه إرادتها وتملقت به رغبتها ، أعهدا للفاعل لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، والتأدر على كل شيء ، والحصي كل شيء ، أهذا يماثله شيء ؟ أهذا يساويه شيء ؟ أهذا يشرك به شيء ؟ وأين العقل الذي يتسع لهذا ؟ وأين اللسان الذي ينطق بهذا ؟ وأين الجوارح التي تسترسل في العمل على مقتضى هذا ؟

اعلم أن كل هذا الإطناب تأخذه من حذف الخبر في قوله جل شأنه : « أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت » . واعلم أن هذا الأسلوب لا يفد مثل هذا الفرض مألوف معروف حتى في مخاطب الناس في عاوراتهم ومجادلاتهم فيما تشهده بينهم - ترى الاثنين يتجادلان في شيء ، أحدهما فيه جد محق ، والثاني مكابر معاند ، فيرى الحق في إغلام مخاطبه يعيد الى موضع قيام حجته ومظهر الضعف في رأى خصمه ، فيقول له كالتعجب : « أفترى صاحب تلك الآثار ، ومن جمع تلك اللواهب ، ونجّلت عليه صفة كيت كيت ؟ » ثم يسكت كالمستغنى عن التصريح بالباقي اكتفاء بما جلاه عليه مما يقيم الحجة ولا يدع للكسارة سبيلا . وربما أوردف سكوته بقوله مثلا : « عيباك » أو « إن تفكيرك لخير » أو « إن عقلك لمعيب التكرين ! » وهكذا مما لورجعت بنفسك الى مخاطب الناس في عاوراتهم ومجادلاتهم لوجدت هذا الأسلوب مما يمين أصدق الإيانة على الإيانة . وكَم من حذف هو أيين من ذكر ، وكَم من سكوت بلغ ما لم يبلغه الكلام الطويل .

وعلى هذا النسق جاء قوله تعالى : « أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » فإنك تكاد تتطرق بما حذف وتقول . أي يكون كن جعل الله صدره خفيقا حرجا ، أو يكون كن أضله الله وأعمى قلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ ولقد جاء الإرشاد الى هذا المحذوف على فرض أن يذهل عنه قاهل فيما يلي ، ولكن بأسلوب النعي عليهم ، والتسفيه لرأيهم ، في قوله تعالى . « رجعلوا لله شركاء » ، أي مع ظهور الأمر ووضوحه قدمي عليهم فهم يفقهوا هذا الشأن الجلي ، فجعلوا لله الذي قام على كل نفس بما كسبت

ذلك القيام الظاهر الباهر ، جملوا لله شركاء ؟ فنعم ، وما هم ؟ قل سموهم ، ذنوا عليهم ،
أظهروهم ، إنهم لا تخفى من أن يعرفوا ، وأحقر من أن يوصفوا ، بل إنهم لا يحقر
من أن يكون لهم اسم يدل عليهم ، أو أثر يُعرفون به ، فنعم هؤلاء ؟ سموهم ، أشيروا
إليهم ، ذلوا عليهم !

لذلك تمثلت هذا الموقف يكون بين المتعادلين ، فيخسأ المبطّل ، وتعلو كلمة الحق ،
ويصول على الباطل لذي يتوارى ويضمحل حتى لا يكون شيئاً . على هذا النسق
المعجيب العظيم يأتي جدل القرآن ، والله الحجة البالغة .

ولقد كرر عليهم بعد ذلك بما يخرجه ويحصل الأرض تسوخ بهم في أعماق هاوية
مطأ على الروس منكسي النفوس ، ذاك قوله عز من قائل : « أم تدبثونه بما لا يعلم
في الأرض ، أي بلغكم الجول بأنفسكم والنباوة والبلاهة أن زعمتم أنكم تدبثون الله
العليم الخبير لذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، والذي لتعرفون بأن كل ما أنتم فيه من نعم
إنما هو من هبانه . وما كنوا ليتكروا ذلك . ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - تدبثونه
بشيء علمتموه وما يدرك ، تدبثونه بشيء اهتدبتم إليه وخفي عايه ؟ فقولوا ما شئتم
إن استقطعتم أن تفوه به ألسنتكم ، افضحوا أنفسكم وافضحوا عما يحول في خواطركم
إن وجدتم في ماء وجوهكم ما يتحمل ما تجلبون على أنفسكم من خزي ، فهل ترى من حاله
مثلهم إلا أن يفص بريقه وتزوج عينه حائلة حواليه لا يتقدي لما يقول سببلاً ؟ أما إن
كل هذا ليتحلى في أسلوب الجدل القرآني المعجيب ، والله الحجة البالغة

ثم كلمة « في الأرض » في الآية الكريمة تفيد معاني عدة :

أولاً - تلميح بأن مبلغ علمهم مهما تطاولوا لا يعدو ما في الأرض .

ثانياً - التسهيل عليهم بأنهم لا يستطيعون أن يزعموا الإحاطة بكل
ما في الأرض على سعتها ، فإذا علموا شيئاً غيره لا يتجاوز بقية الأرض التي يسكنونها

أو يترددون فيها ، وأنهم إذا علموا شيئاً فيها فقد خفي عليهم أضعافه مما خبأته الأرض ، فأين ملهم من علم من خلق الأرض وكل ما في الأرض ؟

ثالث — وهو ما قاله المفسرون فيها رأيت : أن الأصنام التي زعموها شركاء لله كانت في الأرض ، وأنها أحط قدراً من أن تسمو عن الكينونة في الأرض ، فأين هي وأين منزلتها من باري السموات والأرض ؟

هذا ولما ضيق عليهم مسالك القول بما تفهمه العقول ، انتقل بهم في أسلوب آخر فقال : « أم بظاهر من القول » . أي أم تنبئونه بكلام لا يقصد به معنى معقول ، وإنما هو من الكلام الظاهر الذي إن ذهب تفسرهم وتبحث عن حقيقته لا تجده شيئاً ولا يحوى شيئاً . وهذا شرح ما قاله المفسرون أن معنى ظاهر أي باطل

يشبه هذا الأسلوب — والكلام الله المنزلة العليا — قولك وقد بان لطلان كلام من بجاتك : « كأنك تمزح » أي إن كلامك لا يمكن أن يجد مجالا من الجديسير فيه ، ولا مأوى من المعنى الصحيح يركن إليه ، فلم يبق إلا أنك في هذا القول تقول هراء . أو تمزح مزحاً . وفي تنوين ظاهر معنى التفسير المستفاد من التشكيك ، أي بشئ ، لا يؤبه له ولا يلتفت إليه ، ولا يهتم أحد بأن يعرفه . واختيار كلمة « القول » دون الكلام مثلاً للإشارة إلى أن هذا الذي تنفوهون به لا يبدو أنه شيء يتحرك به الألسنة وليس مما يقصد به الإفادة . قال ابن جني في خصائصه في بيان الفرق بين الكلام والقول مامعناه : إن الكلام هو اللفظ من حيث يعطى الإفادة التامة ، والقول هو اللفظ من حيث يتحرك به اللسان . واستشهد على ذلك بتصاريح الحروف في مادة — كـ لـ م ، ومادة — ق و ل ، فإن الأول في تقلبات حروفها يعطى معنى القوة ، كذلك وكل ولكم ، بينما الثاني يعطى معنى الحركة كقولهم : ولق إذا أسرع واللق الجنون وفيه من الحركة ولاضطراب ما لا يخفى ، ويقال الفلو لحذر الوحش السريع الحركة ، وقلا البسر يقلوه ، فإنه يخف حينئذ أو يحرك على النار ، والوق : الحق ، ومنه الأثوق ، ولا تخفى حركته . وقد أطل

في ذلك صاحب الخصائص بما جعله بينا واضحا . فترى أن قوله : « بظاهر من القول » يفيد من تحقير ما تحركت به ألسنتهم ما لا يفيد التعبير « بظاهر من الكلام » مثلا ، إذ لا يليق هذا في مقام الخط من شأن ما يقولون .

لذلك لا تستطيل الكلام في بيان سر البلاغة في أسلوب القرآن الكريم حتى في اختيار الكلمة ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام ، فقد أردنا أن نرشدك ببارقة الى نموذج من عجائب أسرار القرآن الكريم الذي لا تنفد عجائبه .

أما قوله عز وجل : « بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل » فهو من باب التسجيل عليهم والتعرض لهم أنفسهم ، بعد ما اكمل الشرح واستبان الأمر في شأن مقاتلتهم ، فكأنه يقول : دع كلامهم ولا نعنى به ، فقد نبئت قيمته وارجع الى شخص حالهم تجددم بمن زين لهم سوء عملهم فوأوه حسنا ، فكيف ينتظر منهم أن يبتدوا وقد انحرفت عقولهم وافتكست أفكارهم فسيروا سوء حسنا ؟ إن من وصل به فساد الطبع الى أن يظن الحسن قبيحا والتقيح حسنا ، لا يرجى له هدى ، ولا يتوقع منه إفلاح ، ولا يؤمل فيه فلاح :

مَنْ يَبْلُغَ الْيَنْيَانَ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَذْنِيهِ وَغَيْرِكَ يَهْدِمُ !

فوقع هذه مما قبلها موقع التسجيل عليهم والتبئيس منهم ، على حد قولك : دع فلانا فقد فسد طبعه فلا أمل فيه . والتعبير عنهم بالاسم الموصول (الذين كفروا) بدل الضمير الذي هو مقتضى الظاهر ، بأن يقال : زين لهم ، لمزيد التشنيع عليهم وإبرازهم في الثوب اللاتق . والمكر : الكيد والحديعة ، كانوا يكيدون للإسلام حتى يشوهوه في نظر الراغب فيه فيصرفوه عنه ، ويرون هذا من لمهارة في المغالبة ، فيفرضون ويسترسلون ظانين أن قد ظفروا بباطل ، وهذا من تزيين مكرهم لهم ، وكانوا يخادعون فيموهون على البسطاء بخيالات يبرزونها في صورة الحقائق ، فإذا ما انطلت على فئة ضعيفة العقل فرحوا بها ورأوا ذلك حسنا فتمادوا فيه . فالمكر إما في الكيد للإسلام ، وإما في التعايل على تصوير ما لا أصل له بصورة الحق ، وكلاهما مما يروق في نظر المخذول بخذلان من الله ،

وقانا الله شر الخذلان ؛ ومن زين له سوء عمله فرآه حسنا لا ينتظر منه إلا أن يدوم ارتكاسه فيه ، ولا يفكر في التماس سبيل للخلاص منه ، فهم لبته قد صدوا عن السبيل .
 فقوله : وصدوا عن السبيل ، ندرج من الشيء الى ما يتبعه ويأتي بعده . وقد قرئ وُصدوا بالبناء للمفعول ، أي صدمهم الله بخذلانه إياهم ، أو صدمهم الشيطان بم وسوس لهم ، كقوله تعالى : « وزين لهم الشيطان أعمالهم » وقرئ وصدوا بالبناء للفاعل ، إما بمعنى أعرضوا ، من قولهم : صدم عن كذا أعرض عنه ، أو صدوا غيرهم لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله من أراد أن يؤمن . وتعريف السبيل بالألف واللام المراد منه سبيل الله ودين الحق ، وكأنه للإشارة الى أنه هو الجدير أن يسمى السبيل ، إذ يوصل الى الغاية العظمى ، وهي السعادة الأبدية ، وأما غيره فلا يوصل الى مقصد ، فلا يستحق اسم السبيل .
 قال تعالى : « ومن يضل الله فماله من هاد » :

حكم حاسم في أمرهم ، مؤسس من صلاح حالهم ، أي فلا تذهب نفسك عيهم حسرات ، ولا تبال بهم ، فهكذا إرادة الله في شأنهم . وما أشبه هذا بأن يكون التسجيل الأخير في شأنهم ، فليس لما أراد الله راد .

هذا ومعنى من يضل الله ، أي يحتم على قلبه ويفض عليه بالشقاء . والتعبير يضل كأنه لأن المرء في حياته مقصدا يسمى اليه ويتجه نحوه ، وهو إحراز السعادة والنعيم اللقيم ، فإذا سلك في عمله مسلكا لا يصل به الى هذه الغاية كان كمن ضل الطريق في سيره ، فكما ازداد سعيًا ازداد من مقصده بُعدا . هذا هو شأن الضال الذي يسير على غير هدى ، والمرء قد يضل ثم يهتدى ، ولكن هل من كان لإضلاله من الله ويحتم الله على قلبه ينتظر أن يتخلص من ضلاله ؟ كلا ، لا سبيل الى هذا ، فلا يغلب الله غالب ، ولا يعارض إرادته معارض .

« لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق » :
 بعد أن تم القول في صفاتهم ، وسجلت عليهم الضلالة الدائمة التي لا ينتظر مفارقتها

لهم ولا مفارقة لهم لها ، لم يبق إلا التطلع لجزائهم الذي يستحقونه ، ونتيجة تلك الحالة السوءى ، وبيان عقابهم وما يستحقون ، وهذا ما بينه تعالى بقوله : « لهم عذاب في الحياة الدنية » أى عذاب شاق . وهذا مستفاد من قوله : « ولعذاب الآخرة أشق » فإنه يفيد اشتراك العذابين في أصل المشقة وزيادة عذاب الآخرة فيها ، كما هو شأن اسم التفضيل . وعذاب الدنيا الشاق منه التعرض للقتل والسبي ، ومنه حرمانه مما يترتب على مصائب الدنيا من أجر الصابرين إذا كانوا مؤمنين ، ومنه ما يلحق الكافرين من ألم الخيرة وعدم طمأنينة النفس لبرد اليقين الذى من الله به على المؤمنين . وأما كون عذاب الآخرة أشق ، فلشدته ، وتعدد أنواعه ، وخلوه من مغالطات النعم التى توجب نوعاً من الراحة ، بخلاف مصائب الدنيا ما فيها مشوبة بنعم تخفف وقعها ، ثم لدوامه وخلوه وعدم انتظار فرج ومخلص منه . وكفى بهذا الأخير موجبا للمشقة .

وقوله تعالى : « وما لهم من الله من واق » تحتمل للدوام ، وقطع لأمل انقطاعه عنهم ، وكأنه فى مقابل انقضاء لأمل من رجوعهم عن غيهم وإقلاصهم عن ضلالهم . ومن الجارية فى قوله : « من الله » متعلق بواق ، ومن فى « من واق » زائدة لتأكيد عموم النفي ، أى ليس لهم واق يفهم من عذاب الله .

« مثل الجنة التى وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ، تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات العذاب والوعيد بآيات الرحمة والوعد ، ليكون المرء بين عامل لرغبة وعامل للرغبة ، فبعد أن يزعمه بوعيد العذاب حتى يصير من الهول متلفت ذات اليمين وذات الشمال يبتغى المهرب والفرار مما أزعجه وملأ بالرعب جوانحه ، يلوح له بالمرغب ، وهو ما أعد الله من دار الكرامة والنعيم لعباده المؤمنين ، وهذا ما ذكره عز وجل هنا .

والمثل معناه الصفة ، وأكثر ما يستعمل فى الصفة التى تجلج الوصف واضحا

وتصوره كأنه مائل أمامك ؛ أو الصفة العظيمة العجيبة التي تجعل الموصوف كأنه مثل
يتمثل به لغرابته وعظمه الذي يتعجب منه ، فكأنه مضرب الأمثال . وإذا كانت (مثل)
بمعنى صفة فهي مبتدأ ، والخبر قوله : « تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها » ،
ولا يحتاج هذا الخبر إلى ضمير يعود إلى المبتدأ ، لأن ما في جملة الخبر هو عين الصفة
الخبر عنها . وقد وصفت الجنة بصفات ثلاث :

١ - تجري من تحتها الأنهار ، وهذا مع ما يعطيه بحسب العادة من ضمان استمرار
النضرة والازدهار في أشجارها وثمارها ، يعطى معنى الابتهاج والمسرّة والغبطة المقيم
فيها للمشاهد لها .

٢ - أكلها دائم ، وهذا مع ما فيه من ضمان دوام النعيم ، يعطى راحة النفس بأمنها
من الانقطاع ، فليست النعمة فيها عرضة للزوال ، ولا النفوس قلقة من الخوف عليها
من ذلك .

٣ - وظلها ، أي دائم أيضا . والمعنى لا شمس فيها ولا زمهرير ، ولا ظلمة تعيبض
النفس ، فإن حالة الظلام لا تسمى ظلا ، وإنما يقال الظل للحالة التي فيها ضوء خال من
ضخ الشمس المحرقة والظلام القابض . وأما قولهم : في ظل الليل ، فن باب التجوز
كما يقولون . في كنف الليل ، كأن الليل يستتر مما يهدده قد آراه إلى ظله ، وذلك
كما يقال : عاش فلان في ظل فلان . والظل إنما يمتن به إذا لم يلبسه البرد القارس
والزمهرير . وهذه الصفات ترى فيها المقابلة لما أشير إليه في جانب عذاب الآخرة
للكافرين بقوله : « أشق » على ما سبق بيانه .

هذا ولا معارضة بين قوله تعالى : « أكلها دائم وظلها » وبين قوله جل شأنه :
« كل شيء هالك إلا وجهه » فإن دوام الأكل معناه دوام نوعه بتجدد أشخاص متتالية ،
وكل شخص فاني وهالك ، ويتجدد غيره من نوعه . ويرى بعضهم أن معنى « في ظل » أي قابل
للفناء ، لأنه لما كان ممكنا لا وجود له من نفسه فوجوده عرضة للزوال ، فيصح إطلاق
الهلاك عليه نظرا لهذا المعنى .

« تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار » :

التصريح بهذا مع علمه من سياق حال الفريق الأول ووعيده بنزول العذاب في الدنيا والآخرة ، لأن في التصريح في مقام الترغيب والترهيب ما ليس للدلالة الضمنية والإشارية . كيف والفرض هو مل ، القلوب بالرغبة والرغبة ، وهذا يستدعي أجلى ما يكون من الإيضاح والتصور ؟ وعقبي الشيء آخره ومنتهى أمره ، مأخوذة من عقب الرجل وهو آخر ما يرى من أثره . « واتقوا » من الوقاية وهي الحفظ . والاتقاء منه اتقاء ، اكفر بالإيمان ، واتقاء المصيبة بالطاعة ، واتقاء الاسترسال في المباحات والشبهات بالورع والزهد . ويصح أن يكون المراد اتقوا عذاب الله وغيظه ، كما في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » أي احفظوها منها . فعنى اتقوا على هذا تحفظوا من أن يصيبهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة الذي هو أشق .

وقوله : « وعقبي الكافرين النار » تصريح لزيادة التقرير لما علم من قوله : « لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق » وليكون عرض الفئتين معا في صعيد واحد أبين لحال كل منهما ، فأين ما تكون النعمة إذا قورنت بالنقمة ، وأين ما تكون النقمة إذا قورنت بالنعمة .

اللهم إنا نرجو رحمتك ونخاف مذبذبك ، فوقفنا لطاعتك ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ۞
ابراهيم الجبالي

من آداب المجالسة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحد فلا تقم حتى تسأذنه .
جلس رجل إلى الحسن بن علي عليهما الرضوان فقال له : إنك جئت إلينا ونحن نريد القيام أفأذن ؟

قال سعيد بن العاص : ما مددت رجلي قط بين يدي جليسي ولا قمت حتى يقوم

أَسْئَلَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ

وردت على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف
الدجوي خاصة فأجاب عنها ، ونحوه ننشرها تكميلاً لفائدتها

التصوير .

ما حكم الصورة الفوتوغرافية أو الفنية للإنسان أو حيوان أو غيرها كالأشجار
من حيث النظر والاستمتاع ؟

الجواب :

يباح التصوير إن كان لصورة غير حيوان كالأشجار والبناء ، وبياح النظر للصورة
سواء أ كانت كاملة أم ناقصة ، لما ظلل بأن كانت جسمية أم لا كالفوتوغرافية .
أما إن كان التصوير لحيوان سواء أ كان إنساناً أم لا ففيه تفصيل : فإن كانت الصورة
لا تظل لها كالفوتوغرافية كره عملها والنظر إليها ، وإن كان لها ظل فاستصناعها والنظر
إليها حرام إن كانت نامة الأعضاء ، وإلا فعملها والنظر إليها مكروهان أو خلاف
الأولى

هذا كله مقتضى مذهب مالك ، والله أعلم .

الصلاة خلف مرتكب الكبيرة :

هل تصح الصلاة خلف مرتكب الكبيرة أو لا ، وعلى الصحة فهل مع الجواز
أو الكراهة ؟

الجواب :

لا تشترط العدالة في الإمامة على الصحيح ، وإنما هي شرط كمال فقط . فالصلاة خلف

مركب الكبيرة صحيحة مع الكراهة . ونص المتن عندنا معشر المالكية أنه يكره
إمامة فاسق يجارحة ولو مثله على الصحيح ، أي وتحرم خاف فسق المقيدة ، والله أعلم .

هل اللحية :

هل يجوز حلق اللحية أو يحرم ؟

الجواب :

حلق اللحية حرام لـ ورد « قصو الشوارب واعفوا للحي » والأمر يحمل
على الوجوب ما لم يصرفه صارف من ذلك .

نعم إذا طالت كثيرا يستحب تقصيرها ، ورد أنه صلى الله عليه وسلم « كان يأخذ
من عرض لحيته وطولها » . وهل المطلوب التقصير بقدر ما تحسن به الهيئة أو تهجير
ما زاد على القبضة ؟ قولان ، الظاهر منهما الأول .

ومن أرباب المذاهب من يقول بالكراهة فقط . فعلى من ابتلى بذلك وكان يشق
عليه التخلص منه كالمسكر مثلاً ، أن يقلد المشهور من مذهب الشافعي مثلاً ، والله أعلم .

ثبوت رمضان بالرمي :

وجاءنا من البحرين من حضرات الأفاضل أصحاب التوقيع ما نصه :
حضرة الأجل الفاضل علم الفضائل الشيخ يوسف الدجوي المحترم ، حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فنفيد فضيلتكم أنه في دخول شهر رمضان
السنة الماضية في أول ليلة منه وردتنا أنباء من مصر بواسطة الراديو برؤية هلال رمضان
وتبونه الثبوت الشرعي بمصر ، والحال أنه في تلك الليلة لم ير الهلال عندنا بالبحرين .
وبسبب أننا لا نعرف المذيع لهذه الأحبار ولا من تصدر عن أمره توقعنا عن تبين
الصيام تلك الليلة اعتماداً على هذه الأنباء . وقد كتبنا لمجلة الأزهر إذ ذاك فلم نكتب
شيئاً في الموضوع . فرجائنا من فضيلتكم الإفادة الشافية من ذلك .

الداعون لكم بخير نضاة بمكة الشرع بالبحرين

محمود عبد اللطيف ، عبد اللطيف سيد محمد ، عبد اللطيف علي

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد فقد نص في مذهب مالك رضي الله عنه على أنه إذا ثبت شهر الصوم لدى حاكم وإن لم يحكم به ونقل ذلك الثبوت الى جهة أخرى بواسطة رجلين عدلين أو جماعة كثيرة يفيد خبرهم العلم بمضمونه أو الظن القريب منه ، أو بواسطة رجل عدل ، فإن الشهر يثبت في حق أهل الجهة المنقول إليها ، ويجب عليهم الصوم بناء على ذلك الخبر ، فإن المسألة من باب الرواية التي يكفى فيها خبر العدل الواحد ، وإن كان ثبوت الشهر عند مالك لا بد فيه من عدلين رأيا الهلال أو جماعة مستفيضة .

ونص المالكية أيضا على أنه يعتمد في الصوم والفطر على القرئ الدالة عادة على ثبوت شهر رمضان أو شول ، كصوت المدافع وإضاءة المآذن ، كما يعتمد على صوت المؤذن في معرفة وقت الصلاة ، لجرى العادة بتوجيه الإنكار الشديد اليه من جماعة المسلمين لو كذب .

ونص مولانا الشيخ عlish في فتاويه على أنه يعمل بالإشارات التلفزيونية في الصوم لأن التنغراف أداة معتبرة للتخاطب من المسافات البعيدة والقريبة بين مصلوك العام وحكامهم والناس أجمعين ؛ وعلى أن من أفطر في رمضان بعد وصول خبر الصوم له بواسطة السلك متأولا بأن هذا الخبر مبناه أقوال المنجدين التي لا تعتبر في ثبوت الشهر شرعا ، فإنه نجب عليه الكفارة (فضلا عن القضاء) لأنه متأول تأويلا بهيدا لجهله وسوء ظنه فلا مبرة بتأويله . (وألنت نظرك لجمعه ذلك جهلا وسوء ظن) . والراديو بذلك المنزلة ولا يتصور أن يذاع مثل ذلك الخبر في المذياع الذي يحترق الآفاق شرقا وغربا من غير أن يكون له حقيقة ، فإن في ذلك كذبا على المحكمة الشرعية التي أخبر أنها أثبتت رؤية الهلال ، وفيه تعريض الحكومة والأمة لما لا ينبغي لدى الأمم الأخرى . ومن ذا يمرض نفسه لتبعية ذلك وما يترتب عليه في مثل تلك الفريضة

التي يهتم بها المسلمون غاية الاهتمام ؟ وأكبر على أن لفاتون يمد ذلك من الجرائم ويعاقب عليه . فالجناة إذا مضاعفة وماسة بشرف الأمة والحكومة جميعا ، وذلك كله موجب لتصديق الخبر والاعتماد عليه . على أن الظن كاف في هذه المسائل الفرعية ، ولا عبرة بتلك الاحتمالات العقلية .

التمهيد:

والخلاصة أن مدار وجوب الصوم في رمضان والفطر أول شوال على الظن الغالب بثبوت شهر الصوم أو الفطر .

وحيث إن الغالب في الأخبار التي ترسل بواسطة التليفونات أو التلغرافات السلوكية واللاسلكية أو المذياع إنما هو المصدق بعد تحري الحقيقة ، وإن كان المذيع أو عامل التليمون والتلغراف قد يكون غير عدل شرعا أو اختلفت حكومة الجهتين المنقول منها وإليها ، فذلك لا يمنع غلبة الظن التي هي مناط العمل بالأحكام الشرعية العملية كأحكام الصوم والصلاة وما بهما من المعاملات ، فإن الشارع جلت حكمته لم يكلفنا في العمل بالقطع واليقين دفعا للمرجح (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . ومعلوم أن لأحكام العملية يكفي فيها الظن وأنه لا يجب فيها اليقين . وقد قالوا : إن غلبة الظن في دخول وقت الصلاة كافية ، وقالوا : إن المجتهد يجب عليه العمل بما أدام إليه اجتهاده ، وإن المسائل القطعية ليست من مباحث الفقه . ولا يعقل في الالة الخفيفة السحرة التي تقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وتقول : « إن هذا لدين يسر » إلا هذا .

ولو قلنا إن أخبار المذيع والبرقيات السلوكية واللاسلكية لا يعمل عليها بناء على هذه الاحتمالات ، لو صمنا الدين الاسلامي البعيد النظر الواسع الحكمة بالجمود الذي يبرأ منه وينمأ على أهله ، ولصبرناه مضغة في أفواه أعداء لدين ، وسخرية بين الزندقة والملحدين ، ولكان غير صالح لكل عصر من العصور ، وما شاء من ذلك .

ولو فرضنا أن الذبيح أو عامل التليفون غير عدل أو غير مسلم لم يضر ذلك شيئاً، لأن الخبير ليس منه، وإنما هو مأمور بتوصيله إلى الجهة المعنية. فهو كالبريد الذي يحمل الرسائل.

وعلى كل حال فليس هناك معنى لأن يئلب على ظن الانسان ثبوت رمضان بأي وسيلة من الوسائل التي نحتف بها للفرائض الموجبة لغلبة الظن ثم يصبح مفطراً بعد ذلك. ولا شك أنه قد وجدت وسائل كثيرة في هذا العصر لم تكن معروفة في المصور الأولى.

والمدار في كل ذلك على حصول المقصود الذي هو الظن الغالب. والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمه. (وإلا لم تكن الوسيلة وسيلة، بل كانت مقصداً وقد فرضناها وسيلة). والشارع لم ينط إلا بحكام إلا بحصول الظن الغالب.

فهذا هو اللائق بنظر الاسلام الواسع حتى يكون دين المصور كلها والأمم كلها، وتكون حجته قائمة على المخالفين في كل زمان ومكان. نعم بعض الأحكام العملية لا يثبت عند الاحتمال وقيام الشبهة كوجوب القصاص في الجناية على النفس، ولكن ذلك لدليل خاص كقوله صلى الله عليه وسلم: «ادروا الحدود بالشبهات»، وذلك لخطر القصاص. هذا ما نقول به ولا نقى شيء. سواء.

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل، ويمننا من الخطأ، وأن يلهمنا الرشيد في العلم والعمل، ولا يكلنا لأنفسنا طرفة عين بته وكرمه
يوسف الرمهي
من جماعة كبار العلماء

علامات الجاهل والحمقى

قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق، وأن ينهى عن شيء ويأتيه. وقال ازدشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه ويفضون من أن ينسب إليه.

نظرة جامعة في تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

كان المسلمون بعد أن انقسمت بولونيا بين روسيا والمانيا والنمسا يرجعون في كثير من شئونهم الدينية الى مفتى بلاد القرم، ونظرا للاضطرابات السياسية في ذلك الوقت لم يكن اتصال المسلمين البولونيين بهذا المفتى ميسورا في جميع الأحيان، وظلت الحالة على ذلك الى أن استقلت بولونيا سنة ١٩١٨، وبدأ المسلمون البولونيون يفكرون في تكوين جمعية إسلامية، فتم لهم ذلك سنة ١٩٢٥، ودعت هذه الجمعية المؤتمر الاسلامي البولوني للاعتقاد في مدينة فيلنو حيث انتخب الحاج دكتور يعقوب شينكييفتش مفتيا أكبر لمسلمي بولونيا، وقرر مجلس النواب البولوني انتخابه، وعتمد المبالغ اللازمة للاتفاق على إدارة الافتاء وصرف رواتب الأئمة والمؤذنين ونفقات تشييد المساجد وإصلاحها، ويبلغ ما تعتمد الحكومة في هذه الشئون حوالي ٦٦٠٠٠ زلتي (يساوي ٢٤٤٤ جنبها مصريا أو ٤٤٤ مائتا) عافيا ٢٠٠٠٠ زلتي تخصص لإصلاح وتشييد المساجد. ويلاحظ أن هذا المبلغ ليس بالقليل بالنسبة لعدد المسلمين في بولونيا.

ومركز إدارة الافتاء يوجد في إحدى دور الحكومة الكبرى في مدينة فيلنو، وبذلك فهي لا تتحمل مصاريف إيجار، وتتألف تلك الإدارة من المفتى الأكبر وقاضي المسلمين والسكرتير العام، ويشرف المفتى على أعمال الأئمة والأوقاف، وله وحده حق الافتاء في شئون المسلمين الدينية، ويتولى صرف الاعتمادات حسب ما يترأى له ومباشرة حركة الوعظ والإرشاد، ويتولى القاضي الفصل في الأحوال الشخصية للمسلمين كالزواج والطلاق والتفقة والميراث، ويقوم المفتى بالإشراف بجانب ذلك على تفتيش للمساجد.

يجاب تلك الهيئة المركزية في مدينة فيلنو توجد جميعات أخرى منتشرة في الأقاليم التي يقطعها المسلمون . وتتكون كل جمعية إقليمية من خمسة أعضاء يرأسهم إمام الدائرة التابعة لها هذه الجمعية وأربعة أشخاص آخرون ينتخبون لمدة سنة كاملة من مسلمي تلك الدائرة ، ولا يتم إقرار انتخابهم إلا بعد موافقة المفتي الأكبر ، وتتولى هذه الهيئات تنظيم المقادير الإسلامية وإصلاح المساجد ومباشرة الأوقاف داخل الأقاليم .

عندما يراد انتخاب إمام أو مؤذن في بلد ما يجتمع مسلمو هذا البلد في جمعية عمومية ويجرى الانتخاب كالمعتاد ، إلا أنه لا يحصل إقرار المنتخبين إلا بموافقة المفتي الأكبر ، وليس للحكومة أن تتدخل بعد ذلك في هذه الشؤون ، بل تترك للمسلمين أنفسهم حرية التصرف في أممهم لدينية وانتخاب ما يشاءون للإفتاء والإمامة وغيرها من الوظائف الدينية المختلفة .

تشبه المساجد في بولونيا المساجد القروية في مصر في بساطتها ، إلا أنها تختلف عنها في بنائها ، فأغلبها من الخشب ، وهي خالية من كل زخرف وزينة ، صغيرة الحجم نسبياً ، ويبلغ عددها ستة عشر مسجداً موزعة بين البلاد التي يكثر فيها المسلمون ، وأهم هذه البلاد مدينة فيلنو ونوفاجرودك وأسلونيم كما أسلفنا ، ويحتوى كل مسجد على منبر ومذبة ومنبر يبلغ عادة من ثلاث إلى سبع درجات كما كانت عليه الحال في صدر الإسلام ، ويوجد قسم مخصوص للسيدات في خلف المسجد مفصول عن قسم الرجال بحاجز من خشب به نوافذ ذات ستائر من القماش الخفيف يسمح لمن يسمع القرآن والخطبة ، ولهذا القسم مدخل خاص منعاً لاختلاط الرجال بالنساء في مكان واحد وقت العبادة .

ينتمي أغلب المسلمين البولونيين إلى مذهب أبي حنيفة النعمان ، ومعظم كتبهم الدينية منقولة عن الكتب الموجودة في تركستان وغيرها من البلاد الإسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا وشبه جزيرة القرم ، وتنقسم تلك الكتب من الوجهة الشكلية إلى قسمين :
أولاً — كتب مكتوبة بحروف عربية .

ثانيا - كتب مكتوبة بحروف لائينية .

وتنقسم الأولى الى ثلاثة أقسام ، وهى :

(أ) كتب مكتوبة بحروف عربية ولغتها عربية أيضا .

(ب) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها جفانائية (إحدى اللغات

التركية التى كانت منتشرة فى القرن الرابع عشر ميلادية فى بلاد التركستان) .

(ج) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها بولونية .

وأهم هذه الكتب هى .

١ - القرآن الكريم وهو مكتوب باللغة العربية .

٢ - كتب التفسير وهى مكتوبة بأحرف عربية ولكن اللغة البولونية ، وتوجد

بعض النسخ مكتوبة باللغة الجفانائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية مكتوبة

بحروف عربية .

٣ - كتب التجويد مكتوبة باللغة الجفانائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية

مكتوبة بحروف عربية .

٤ - كتب الورد ، ويطلق عليها فى بولونيا «جائل» ، وهى كتب تحتوى على أدعية

بعضها مكتوب بلغة عربية والبعض الآخر باللغة الجفانائية ، وتحتوى غالبا على مقدمة

بالغة البولونية ، وتشمل علاوة على ذلك بعض الخطب الدينية وقواعد الوضوء والغسل

والفروض الدينية .

٥ - بعض كتب التاريخ ، ويشهر من بينها كتاب اسمه «الكتاب» وهو

يحتوى على تاريخ الأنبياء ، والقصة النبوية والحديث وبعض بيانات عن قواعد الدين

الإسلامى وعن لأدب العربى للإسلامى وبعض القصص الأخلاقية مكتوبة بحروف

عربية ولكن لغتها بولونية .

٦ — بعض الكتب الدينية مترجمة الى اللغة البولونية ، ويشمل أغلبها بياناً عن قواعد الاسلام وتفسير القرآن وتاريخ بعض الأنبياء .
ويجهد مفتي بولونيا الأكبر في ترجمة بعض الكتب الدينية الى اللغة البولونية .
يتلقى أبناء المسلمين علومهم في مدارس أهلية حيث لا فرق بين المسلم وغير المسلم .
والنظام المتبع لتعليم الديانة في هذه المدارس هو أن يخصص للطلاب ساعتان من كل أسبوع يحضر فيها على معلم ديني من ملته ، وتوظف الحكومة في مدارسها بعض رجال الدين من كل ملة ، فيحضر الطلاب المسلمون على أيديهم والمسيحيون على قساوستهم وهكذا ، وتهتم الإدارة الدينية الاسلامية في نشر الثقافة الاسلامية بين أبناء المسلمين وحهم على أدا ، فريض الله عز وجل ، وتهتم بعض جامعات بولونيا بدراسة اللغات الشرقية وأصولها وخصوصاً اللغة العربية ، وتوجد مؤلفات مختلفة عن حضارة الاسلام .
وللمسلمين لأن يستأذن تدرسان الدين في الخارج ، إحداها بالجامعة الأزهرية في مصر ، والثانية بالمدرسة الاسلامية في ساراثيفو بيو جوسلافيا ، وهم يأملون أن يكون لهم معهد خاص في بولونيا لدراسة الدين الاسلامي .

في عام ١٩٢٥ تكونت الجمعية الاسلامية وأسست لها فروعاً في كل الجهات التي يسكنها المسلمون ، وأهم أغراض هذه الجمعية نشر الثقافة الاسلامية والتعاليم الدينية وجمع المعلومات عن تاريخ الاسلام ونق النشآت والتم التي ينشرها المفسدون ليسيئوا سمعة الدين وتعاليمه القويمة ، ومن أغراضها العمل على تقوية أواصر الصلة بين مسلمي بولونيا والمسلمين في الخارج ، وللجمعية الاسلامية مجلس شورى مركزي مقره مدينة وارسو يقوم بدعوة المؤتمر الاسلامي البولوني كلما دعت الحاجة للنظر في بعض شئون المسلمين ، ويرأس هذا المجلس في الوقت الحاضر أو لبرت كريتشيتسكي وكيل النائب العمومي في محكمة بولونيا العليا ، ويمثل هذا المجلس صوت مسلمي بولونيا جميعاً ، ويشترك النساء في انتخاب أعضاء المجلس ، وذلك عملاً بالحرية المنوطة لمن كما أسلفنا .

عندما قامت الثورة في بولونيا كَوَّن البولونيون جمعية عسكرية للدفاع عن استقلال البلاد تحت رئاسة المرحوم المارشال بلسودسكى ، وانتشرت فروع الجمعية في أغلب الأقاليم البولونية ، تقوم بنشر الدعوة الى الاتحاد والعمل على خلاص البلاد من أيدي القنصيين ، وقد حققت هذه الجمعية استقلال بولونيا عام ١٩١٨ فكان هذا داعيا الى تقوية مركزها وكثرة أعضائها في كل مكان .

كان يمثل للمسلمين في هذه الجمعية فرقانان ، إحداهما في أسلوبيم ، والأخرى في نوفا جروذك ، تتمايزان عن الفرق البولونية الأخرى التابعة لهذه الجمعية بزي أفرادها وقيعاتهم التي تحمل مادة إشارة مكونة من الهلال يتوسطها نسر أبيض ، وقائد هاتين الفرقتين الكولونيل مصعفى ييراشفسكى ، وللنساء حق الاشتراك في عضوية هذه الفرق ، فيتاح لمن بذلك التحرين على أعمال الجندية والشئون الحربية ، وهذا مظهر من أرقى مظاهر الاتحاد للقيام بالواجب نحو الوطن ، ولا فرق هنا بين المرأة للسلمة وغير السلمة ، فكلهن سواء في الحقوق والواجبات .

« يتبع » على امجاهيل قورونوفتش ، محمد سيد الحوى

فضيلة العلم

قيل للمهلب بن أبى صفرة : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت . قال المهلب : ذلك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

وقال بعض الحكماء : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس ذود (أى جماعة من الابل) ، فان كان قائد بلا سائق هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أهدت يمينا وشمالا ، وإذا اجتمعا أقامت طوما أو كرها .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد أن يكون طالبا فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن في العلوم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الادب أن تروى العاهد والمنزل .

المنبوذون في الهند

كتاب السير محمد إقبال الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

لما ظهرت مسألة المنبوذين وانقضت الحال أن يبقى الا زهر يساهم من الناحية الدينية
رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع لاهور أن يشرف آراءه على كبار
المسود المسلمين فيما يجب اتخاذ من لائح لذلك ، فكتب لحضرة السير محمد إقبال وهو
من أعرف الناس بشك البشرد هناك يطلب رأيه فيما نحن بسنده . فوصل جوابه في قضية
الأستاذ الأكبر ، ونحن نشكره لاطلاع القراء عليه :

يا صاحب الفضيلة : تسلمت كتابكم الكريم ، وأرجوكم العذر في تأخير الجواب
عبيه ، فقد كان لابد لي من القيام ببعض الاستعلامات قبل الكتابة . لقد رجعت
الى بعض الجمعيات الاسلامية والجمعيات التعليمية الكبرى بالهند ، وأستطيع الآن
الاجابة عن النقاط التي سأتم عليها .

لقد وقفتم بلا شك الى فكرة جليلة باقتراحكم إرسال بعثة مصرية الى بلاد الهند .
فإن الاسلام في الهند يسير سيرا حثيثا على مر الأيام . ولا شك عندي أن اعتناق
المنبوذين لاسلام سيكون فرصة نادرة النال في تاريخ الهند ، وينتظر أن يكون له أثر
عظيم في مستقبل الاسلام بآسيا جميعها . إن الدخول في الاسلام ليس مقصورا
على المنبوذين وحدهم ، ولكنه يجد طريقه أيضا ، وإن يكن ببطء ، الى البيئات الهندية
العالية . ولا بد أنكم قرأتم في الجرائد الهندية أن نجل المهاتما غاندى قد دخل في الاسلام
فعلا . ثم إنه لا يمضي أسبوع إلا ويدخل في الاسلام واحد من الطبقة العليا من الهنود
في مساجد الهند .

إنه لبيدولى أن قد حانت للاسلام بالهند فرصة الفرص . ومن المعيب أن هذه
الفرصة قد أوجدها قوة عظيمة لم يستطع أحد من قبل التنبؤ بها .
أما فيما يتعلق بالمنبوذين فنقوم عقبه واحدة بكاد يكون التغلب عليها مستحيلا ،

لأن معظم المنبوذين يعيشون في جنوب الهند ، ويتكلمون ست لغات مختلفة ليس في إمكان إحداها التعبير عن سمو الأفكار الدينية ، ومن هنا يتضح لفضيائكم صعوبة إيجاد مترجمين ينقلون خطب بمتكم الى لغات المنبوذين . إن جمعياتنا الاسلامية لم تجد الى الآن حلا لهذه المعضلة . وعلى ذلك ليس محتملا أن تلاقوا نجاحا فعليا فيما يتعاق بأعمال التبشير حتى بمساعدة الجمعيات الاسلامية الهندية .

لقد استقرت جميعتين من أكبر الجمعيات الاسلامية بالهند فأكدتا في أنهما ستقومان بمساعدة البعثة المصرية بكل الوسائل الممكنة ، إلا أن هذا لا يذهب بخاف مما أبديته لكم .

وإني على الرغم من ذلك أشعر أن ستكون زيارة البعثة المصرية للهند ذات أثر طيب في الحركة الاسلامية ، كما سيكون لها أثر في نشاط الجمعيات الاسلامية في هذه البلاد ، وستكشف للطبقة العليا بالهند أهمية الإخاء الروحي بين المسلمين وانتشاره في جميع أنحاء العالم . فإذا كنتم على الرغم من الصعوبة التي ذكرت ترون إرسال بعثة الى الهند ، فإني أود أن أقدم اليكم بالاقترحات الآتية :

١ - ينبغي أن تتكون البعثة من علماء عليهم سبيل الرجاء ، ويستطيعون عرض الدين الاسلامي في ضوء الأفكار والتجارب الحديثة . وينبغي أن يكونوا ملينين بالحقائق والأرقام الدالة على كيفية رفع الاسلام للوثنيين بأفريقيا الى مستوى التمدنين .

٢ - ينبغي لهم في إقامتهم بالهند أو طوافهم بها أن يعيشوا على نمط يليق بسمعة المسلمين بمصر .

٣ - يجب أن يكون للبعثة سكرتير يقوم بالدعاية لأعمالها في مختلف بلاد الاسلام .

٤ - ينبغي أن تأخذ البعثة عقد عودتها عدداً من شباب المنبوذين الذين اعتنقوا

الاسلام ليٲعلموا بالآزهر، ويحب أن يظلوأ به زمناً يكتفي لتحويلهم نحو بلادنا إلى لاسلام، من حيث المعيشة والأفكار . وهذا وحده يجهلهم في حل من أن يقولوا . « أمسيٲ كرديا فأصبحت عريباء » .

وهؤلاء كما لا يخفى عليكم سيكرتون جميعات إسلامية دائمة بمد مودتهم إلى أهالهم كما هو شأن الجميات غير الإسلامية .

٥ - رى أنه من المستحسن قبل قيام البعثة من مصر الاتصال بأملوى سيد غلام بهيج الحامى بمدينة أمبالا . فهو عضو فى البرلمان الهندى وسكرتيراً كبر جمعية إسلامية فى الهند . ولقد كتب إلى يقول إنه سيساعد البعثة بكل الوسائل الممكنة . وإنى لى غنى عن أن أقول لكم إنه إذ قررتم إيفاء بعثة إلى الهند فإن المسلمين الهنود سيرحبون بها ويلافونها بكل حماس إن جهرة المسلمين كما تعلم فضيلتكم متيقظون فى كل مكان ، يراعون الإخاء الروحى الذى يٲميز به الاسلام . وإن المسلمين فى الهند مهتمون كل الاهتمام بفكرة اعتناق للنبوذين الاسلام . وهؤلاء وحدهم هم المعنيون بأمر الدين . أما الأغنياء من المسلمين فهم لسوء الحظ ، ولأسباب لاداعى لتفصيلها هنا ، لا يعنون بشئون الاسلام .

وأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام
رئيس جمعية النجومان - حاية الاسلام بلاهور

التوبة النصوح

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً قال المنصرون : هى أن يتوب العبد عن الذنب ناوياً عدم العود إليه .

قال ابن عبد ربّه صاحب العقد الفرید :

يا ويلنا من موقف ما به
أبارز الله بمصائبه
أخوف من أن يعدل الحاكم
وليس لى من دونه راعم

المنبوذون والمدين الاسلامي

كتب مع الزعيم الهندي الكبير خالد لطيف جابا

للمطالبة بإصدار فتوى شرعية من الحجاب والختان

حقيقة حال المنبوذين والنيار في الهند (١)

ما يزال المصريون يذكرون الزعيم الهندي الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا نقيب المحامين في مقاطعة « لاهور » ، فقد زار مصر في العام الماضي وألقى في دار الشبان المسلمين بالقاهرة خطابا جامعاً عن الحركة الإسلامية في الهند ، وموقف المنبوذين من أهلها ، وواجب العالم الإسلامي عامة ، والمسلمين في مصر خاصة نحو هؤلاء المستضعفين من أهل الهند ، وهم يؤلفون أكثر من ثمانين مليوناً من النفوس .

وقد علم القراء أن الزعيم خالد لطيف جابا من راة الهند وكبار البارزين فيها من العلماء المفكرين ، وقد كان إلى ما قبل أربع سنوات تقريباً « هندوكيا » قوى الشكينة في الدفاع عن دين توارثه عن آباءه وأجداده ، وبرزت أسرته كحامية له ، فاستشرت في ذلك ، وساعدها المال الذي بين أيديها على الاحتفاظ بمركزها بين الهندوكيين ، فكان والده السرى الكبير وزيراً لداخلية ثم للأشغال ثم للمالية في كثير من الأوقات ، ثم مديراً لبنك أنشاء بماله الخاص فأرسل ما فيه على ثلاثة ملايين من الجنيهات .

وفيما كان هذا الزعيم الهندي (خالد لطيف جابا) يطوف ذات يوم في شوارع بور سعيد وهو قادم إليها في طريقه إلى الهند عائداً من لندن ، سمع رجلاً يؤذن لصلاة العشاء في صوت عذب فوق مثذنة مسجد هناك ، فتمسكت الزعيم خالد نفسية أخذت

تدفعه الى التفكير في الاسلام ، ثم في الاقبال على دراسته وللقارنة بينه وبين غيره من الديانات ، حتى انتهى به الامر الى نيل « الهندوكية » وامتناق الدين الاسلامي . وقد أقدم خالد لطيف جابا على هذا مضحيا بمقامه ومقام أسرته بين الهندوكيين ، ثم بحاسيبيه من ثروة والده الطائلة ، ولكن الرجل للثومن — كما قال خالد لطيف جابا في أحاديثه بمصر قبل عام — يؤثر راحة الضمير على أن يصير اليه ملك هذه الدنيا ، وهكذا اشترى السيد جابا راحة ضميره ، وهو من أرق المتعلمين وأكثرم وزنا للحقائق ، فامتنق الاسلام الخفيف ، ولم ترجمه عنه ضخامة الثروة التي تنتظره ولاسعة الجاه أو النفوذ الذي يتمتع به بين الهندوكيين ويشار اليه بالبنان بينهم .

نقول هذا لمناسبة كتاب تلفاه اليوم الأستاذ حامد المليجي الحرر بالبلاغ من هذا الزعيم الهندي الكبير ودأ على كتاب كان قد بحث به اليه من مصر في شأن المبتودين وماذا يراه الزعيم واجبا على المسلمين في مصر إذ - رغبة هؤلاء - للمستضعفين في التحول عن دينهم الذي جعلهم في أسفل طبقات الهنود . والى القراء ترجمة كتاب هذا الزعيم الهندي :

« إنني سعيد جداً إذ أسمع صوت صديقي احميم الأستاذ حامد المليجي محرر جريدة البلاغ الشهيرة ، يدوي في مصر والهند ، بدعوة المسلمين للاهتمام برغبة المبتودين في التحول عن دينهم ، فرسائل هذا الصديق لي ولاخواني المشتغلين بالمسائل الاسلامية عامة والهندية خاصة توحى اليّ وإليهم الفكرة الصالحة والأمل القوي ، في أن يتعاون المسلمون ليحققوا ما وصفهم الله به في قوله : « إنما المؤمنون إخوة » .

إن كتاب السيد حامد المليجي أعاد الى ذاكرتي ما صادفته في مصر قبل عام من حسن استقبال وتكريم ، وقد أتبعت الى حقيقة ما كان قد ملاً سمي من أخبار إكرام المصريين لضيوغهم ، زيادة مما عرف فيهم من عراقة الأصل وكرم الأرومة .

إن السنة التي انقضت بعد زيارتي لمصر مادت عليها وعلى الهند بفوائد كثيرة . وإني

لا رجو أن يكون من وراء استعادة المصريين لدستورهم ، وتعديل الدستور الهندى ،
الخير العميم لمدينى الشعبين الكريمين ، وأقصد بهذا الخير أن تكمل حريتهما ، فتتحقق
سعادتهما .

وإنه ليسرقى كذلك أن أسمع أن الشعب للمصرى مهمته بحركة المنبوذين فى الهند .
والواقع أن القرار الذى أصدره المنبوذون فى مؤتمهم فى « نازيك » كان من أهم حوادث
السنة ، فقد انتهوا فى هذا القرار الى ترك ديانتهم الهندوسية واعتناق أى دين آخر يحقق
لهم المساواة فى الحقوق الاجتماعية .

وقد أثار قرارهم اهتمام شعوب الهند وزعماء طوائفهم ، وجرت على أثر ذلك
مقابلات كثيرة بين هؤلاء الزعماء ورؤساء المنبوذين ، ثم بينهم وبين الزعماء الآخرين
من المنبوذين والهندوسيين والسيخ . ولست أخفى أن زعماء كل طائفة من هذه
لطوائف حاولوا أن يضموا اليهم المنبوذين . وأهم ما حدث فى الاجتماعات فى هذا الصدد
المؤتمر الكبير الذى عقد فى مدينة « شامبها شارى » خلال شهر مايو الماضى لاختيار
للمنبوذين إحدى الديانتين الاسلامية والسيحية ، وقد كان فى شرف رئاسة الوفد الاسلامى
الذى أرسل الى هذا المؤتمر .

إن عدة الملايين من المنبوذين ، نصفهم يقيم فى جنوبى الهند ، حيث تجري المعارك
هناك الآن بشأن الديانات ، وحيث يبذل المهاتما غاندى والبانديت مالفيا وزعماء آخرون من
الهندوس غاية جهدهم فى سبيل التصريح للمنبوذين بحق التعبد داخل معابد الهندوس
والحصول على الحقوق الاجتماعية الأخرى .

إن حركة المنبوذين اليوم تبدو كسألة اجتماعية ، ولكنهما فى الحقيقة مسألة سياسية
من الطراز الأول ، والهندو يكون لا يهمهم فى الواقع أن يخرج من ديانتهم هؤلاء
المنبوذون والأتيجاس ، وذلك لأن التقاليد المحددة التى يسرون عليها تجعلهم غير قادرين
على أن يتنازلوا عن امتيازات لهم على هؤلاء ، فليس يحى على أحدهم منهم أن تنازلهم هذا
— إذا وقع — يودى الى قلب كل نماليم الديانة الهندوكية .

ثم إن هناك أمراً آخر ذا أهمية عظيمة ، وهو أن الطبقة الراقية بين الهندوكيين لا ترى غرور النبوذيين الأهمية التي يفرضها الكثيرون ، وذلك لأن هذه الطبقة تعتبر النبوذيين «نجساً» في عقد النظام الاجتماعي ، وهم لهذا لا يهتمهم خروج هذا العدد الكبير من الناس عن ديانتهم ليتحولوا إلى الديانة المسيحية أو ديانة السيخ أو البوذية ، ولكنهم يخشون أن يتحول النبوذون - وهم ٦٠ مليوناً - إلى مسلمين ، فتتألف منهم ومن الوحدات الاسلامية الأخرى الكبيرة في البلاد الهندية كتلة عظيمة متجانسة يكون لها تأثير قوى في العالم الاسلامي قاطبة .

ولاشك أن الزعماء الهندوكيين بقدرهم هذه الحقيقة ، ولكن مسترغابى سياسى عظيم يشعر بخطورة الأمر ، ولكن يتعمد إخفاء شعوره .

ولقد كان من أهم الحوادث وأخطرها أن هؤلاء النبوذيين بعد أن انشؤوا إلى قرارم الذى أصدره بنية صادقة وعزم أكيد وحزم بالغ بترك ديانتهم الهندوكية ، أخذوا يرون معابدهم ، ويحطمون أصنامهم ، ولم يكتفوا بذلك بل حرقوا كتبهم الدينية ومخلفاتهم المقدسة في الميادين العامة على مشهد من الناس تأييداً منهم لما انتهى اليه مؤتمهم من قرار الخروج عن الديانة الهندوكية

لقد كانت حركة ترك النبوذيين والانجاس لدينهم الهندوكي نتيجة للجهود التي بذلها زعيمهم الدكتور «البيدكار» . ثم جاءت حركة أخرى قام بها الزعيم الدكتور «ك. ب. نايل» اف كوشين ، أرشدت هؤلاء النبوذيين إلى الديانة الاسلامية .

ولقد أعلن الدكتور «ك. ب. نايل» جهرة أنه بالدين الاسلامي فحسب يمكن لطائفته النبوذة أن تجد لنفسها الحرية الكاملة ، والحقوق السياسية والاجتماعية .

إن الديانة المسيحية هي في الواقع الخطر اضعف للاسلام في حركة النبوذيين والانجاس ، ولا يتأتى هذا الخطر من ناحية لحقوق والامتيازات التي يمكن أن تقدمها الديانة المسيحية لهؤلاء ، ولكنه يتأتى من رجال التبشير والأموال التي أفدقها عليهم الهيئات التبشيرية في العالم .

ولست أخفى أن «السيحية» لها في جنوبي الهند قدم ثابتة، فكناثسها منتشرة في كل أنحاء البلاد، وقد استطاعت الهيئات التبشيرية أن تجد لها أتباعاً في جنوبي الهند فقط، وليس من الصعب أن تجد أسباب هذا النجاح، فإنه مائل في وجود عدد كبير جداً من المنبوذين في هذه المنطقة، وقد يكون مائلاً أيضاً في الطريقة السيلسية «الحكيمة» التي سار عليها المبشرون في نشر دعوتهم، وتتلخص هذه الطريقة في عدم التضيق على المنبوذين الحديث العهد بالمسيحية بالتقيد بتعاليمها الشديدة، بل لقد ترك المبشرون الحرية لمؤلا في اتباع ما لديهم من عادات وتقاليد قومية يقدسونها وإن تكن المسيحية لا تقرها وتستجيبها، وقد ترتب على هذا استمرار قيام نظام الطوائف بين المنبوذين، ففهم منبوذون مسيحيون، ومنبوذون هندوكيون، ومنهم أتباع مسيحيون، وأتباع هندوكيون، وكل هؤلاء للمسيحيون الجدد لا يتعبدون إلا في كنائسهم الخاصة، ولا يجوز لهم التعبد في كنائس الطبقات الأخرى، كما لا يجوز لهم الزواج من أبناء أو بنات الطبقات المسيحية الراقية هناك.

ولم يحقق اعتناق الديانة للمسيحية للمنبوذون الأمل الذي كان يساور نفوسهم بتقرير مساواتهم مع الطبقة المسيحية الراقية، بل بقوا على حالتهم التي وجدتهم فيها الديانة الهندوكية الشديدة الحرص على قيام نظام الطبقات بين أتباعها.

إن الحوادث الأخيرة التي وقعت في الأمبراطورية الحبشية والتي تحاول فيها أمة مسيحية القضاء بكل وسائل الهلاك على أمة مسيحية أخرى ذات كيان قديم، قد ألقت علينا درساً بالغاً في لئني السياسة والدين، وهذا الذي يجب أن يستفيد منه الرافق في البحث عن ديانة جديدة له.

لقد فهم المنبوذون هذا الدرس فهما صامعياً، وعلموا منه أنهم يجدون في الاسلام تبادل الأخوة الدينية بينهم وبين غيرهم من الشعوب الاسلامية الأخرى، كما يجدون قواعد المساواة بينهم جميعاً في كل الحقوق الاجتماعية والسياسية وغيرها.

وفي ولاية ترفاتكور - مثلاً - يوجد نحو مليونين ونصف مليون من المنبوذين ، ثم نصف مليون فقط من المسلمين ، ولقد عهد الى هؤلاء المسلمون بالإجماع بطريق زملائهم أن أبلغ رسالتهم الى مؤتمر شانبجان ثرى الذى عقده المنبوذون فى شهر مايو الماضى ، وكان مضمون هذه الرسالة أنهم - أعنى النصف مليون مسلم - يرجون « بالثبات » أعنى « بالنصف مليون منبوذ » ويعتبرونهم إخوة لهم ، وقد تسلمت منهم إقراراً بهذه الأخوة من مسلمى جنوبى الهند .

وعلى هذا يعمل الدكتور نايليل زعيم المنبوذين ، كما يعمل رفقاؤه من الرعاه ، على إقناع أتباعهم الصديدين بضرورة اعتناقهم الديانة الاسلامية ، وليس هناك ريب كما أرى - فى أن هذه الفرصة عديمة النظير فى تاريخ الاسلام ، ويجب على المسلمين اعتناقها بكل الوسائل الشريفة التى يعرفها دينهم الثمين .

إن أعداء الاسلام يشيرون بأمرين على الذين هم على أبواب الاسلام ليفتقوا الرعب فى قلوبهم . وهذان الأمران هما (Sircumscion, Purdah) الطهارة^(١) والحجاب

ومن طرق التبشير المسيحية المنتشرة فى الهند اليوم استخدام عدد كبير من المبشرات ليدخان الى المنازل ويوزمن على أهلها الكتب الدينية ، وكنت وما أزال أرجو أن يكون يفتنا عدد من المبشرات اللواتي ليقمن بتعليم نساء المنبوذين حقائق الاسلام . ولهذا المناسبة أستطيع أن أصرح بأنه توجد بين هؤلاء الذين يسمونهم « المنبوذين » نسبة مئوية عالية من المتعلمين نساء ورجالاً ، وأن هؤلاء المتعلمين يسدون كل فراغ لحاجاتهم الاقتصادية ، فالتى تراه أن يكون المرشدون والمرشدات الذين يراد إرسالهم لإرشاد منبوذى الهند ، من المتعلمين الأكفاء قوبى الحجة لكى يزولوا كل أثر للخوف التى تفرها المبشرون والمبشرات من الإرساليات المسيحية عن الطهارة والحجاب .

ولو أتبع لكم أن تحصلوا لنا على فتوى شرعية من صاحب الفضيلة شيخ الجامع

(١) بريد بالطهارة المحتان .

الأزهر بشأن هاتين المسألتين (الطهارة والحجاب) ، وأن تعجلوا بإرسالها الى طائفة « الثيار » خاصة والمنبوذين عامة ، على أن تكون هذه الفتوى بشكل رسالة تبين فيها الأسباب الدينية الصحيحة الملزمة باتباع الطهارة والحجاب ، فانكم تقدمون بذلك خدمة جليلة أعتقد أن سيكون لها بين المنبوذين « والثيار » أعظم الأثر .

ولو أتيتكم لكم نشر الدعوة بين المسلمين في مصر وغيرها في الأقطار في سبيل جمع المال لهذا الغرض الشريف ، فسيذكر لكم مسلمو الهند هذا الصنيع الحسن بكل خير .

وفي الختام أود أن رفعو نيابة عنى وعن مسلمي بنجاب أبلغ التحيات والاحترامات الى صاحب السمو الأمير الخطير عمر طوسون ، والى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، والى فضيلة شيخ الاسلام الأستاذ المراغى ، والى الدكتور عبد الحميد سعيد ، والى لأستاذ عبد القادر حمزه صاحب البلاغ (الصحيفة الاسلامية الكبرى) والى الشعب المصرى الكريم .

خالد لطيف جابا
عضو المجلس التشريعى

(مجلة لأزهر) : عندما اطلعت مشيخة لأزهر على هذا الاستفتاء بادرت فأرسلت الى المستفتى بيانا شافيا فى هاتين المسألتين ، وإليك نصه ، وهو .

الحجاب والختان في الاسلام

كُتِبَ اليَنا من البلاد الهندية أن طوائف من أهلها الهندوكيين يريدون أن يتخذوا الاسلام ديناً لهم ، وسكن عا دق حجاب النساء والختان تقبطنهم عنه بعض التثبيط . وقد طلب اليَنا أن نبدي رأينا في هاتين العادتين ، ومن مبلغ علاقتهما بالدين الاسلامي ، فلم نر بدا من تلبية هذا الطلب راجين أن يكون فيه هدى المسترشدين ، وبيان للمتثبتين .

شرع الله تعالى الدين لاسلامى ليكون ديناً عاماً لا يضر كافة في كل زمان ومكان . فجاءت شريعته مراعية لجميع الحاجات المادية والمرا فق العمرانية للأفراد والجماعات ، وضامنة كل ضروب الحريات الضرورية لهم في حدود الناموس الأدبي العام ، بحيث لا تتما كس هذه الحريات ومصالح الاجتماع ، ولا تتضارب والأخلاق التي هي أساس العمران . فليس يوجد بين النظم الدينية والاجتماعية ما يوفق بين مطالب الأرواح والأجساد ، ويربطها برابط وحدة وثيقة غير النظام الذي جاء به الاسلام .

لست بصدد تفصيل هذا الإجمال ، فلا أنعرض له إلا لبيان أمرين فيه هما مسألة الحجاب والختان ، وهما اللتان طلب اليَنا بيانهما

الحجاب :

إن حجاب النساء كان معروفاً ومعمولاً به قبل مجيئ الاسلام بقرون كثيرة في جميع الأمم المرمقة في المدنية . وقد أخذ عنهم اليونانيون والرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة . وكان الاسرائيليون جارين عليه أيضاً على عادة معاصريهم .

فلما شرع الله الاسلام راعى في هذه المسألة ما راعاه في جميع المسائل الاجتماعية

من الاعتداد بالمصلحة العامة في حدود الناموس الأدبي العام، فأزل قوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجل أو الطفل الذين لم يظهروا على صورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون».

هذه الآية هي أطول آيات الحجاب، وهي تنص على وجوب اتباع الجنسيتين على السواء للآداب الواجبة لأحدهما حيال الآخر.

ولما كان النساء محلاً للفتنة خصوصاً بالأمر بضرورة التصون في مخالطة الرجال وعدم إبداء زينتهن لهم إلا ما لا يمكن إخفاؤه منها أثناء مزاولتهن أعمالهن من خاتم وسوار. وقد أجمع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعودة، وأن ليس على المرأة من مأس أن تزاول أعمالها خارج بيتها، وأن تمارس مهناً لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يشير العاطفة من جسمها كشمعها وجيدها وزينتها.

وما حدا بالاسلام الى وضع هذه القيود إلا المحافظة على النفوس أن تفسدها الشهوات، والمجتمعات أن تحل روابطها الموبقات وليس بخاف ما جرته هذه الشهوات على الأمم الخالية من الانحلال والذلول.

فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تمش كما تمش الأثنام، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون، ولكنه على العكس أمر أن نحضر الصلوات في المساجد في صفوف خاف الرجال، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة في الأمور الهامة، ولم تمنع قط من إبداء رأيها فيها، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال، وأن تتصرف في أموالها بكل وجوه

التصرفات بدون توقف نفاذها على زوجها أو والدها أو أى أحد غيرها ، وأن تتماطى
مائشاً من الأعمال الحرة .

هذه حقوق منحها لديانة الاسلامية المرأة منذ نحو أربعة عشر قرناً ، فلم تصل اليها
أية امرأة سواها في العالم الى اليوم .

والاسلام إزاء هذا كله لم يشترط عليها إلا حفظ كرامتها كمرأة شريفة غير متبذلة
ولا متبرجة ، لتكون عضواً صالحاً في المجتمع بذل أن تكون عاملة فتنه فيه

هذه تركة نقرأ الاسلام عليها كل نفس شريفة ، ولا تصادف معارضة من أى فريق
حتى أصحاب المذاهب المتطرفة .

الختان :

أما مسألة الختان فلا تصح أن تكون عقبة أمام الدين يريدون الاسلام ، فإن
الختان كان معروفاً عند بني إسرائيل قبل مجيئ الاسلام ، وقد اقتبسه عنهم العرب
الجاهليون . فلما جاء الاسلام أقره ، شأنه إزاء كل عادة نافعة أو عمل صالح .

وقد قرر الأطباء أن الختان من أنفع العادات وأحفظها من الأمراض التناسلية .
فإن القلفة بتغطيتها لرأس العضو تحزن في طيها الأقياء ، ونكون موطناً للجراثيم
الضارة . وغسلها من باطنها مرات في اليوم من الأمور المتعدرة . فإزالة هذه القلفة
مما يندب اليه قانون الصحة . وقد علم أن بقاءها في الأم التي لم تعتد إزالتها قد كان
سبباً في انتشار الأمراض السرية . وهذه الأمراض لم تعرف في بلاد المسلمين إلا بعد
اختلاطهم بجاليات الأمم من طريق العدوى .

على أن الاسلام لم يوجب على أهله الاختتان إيجاباً كما هو مذهب الامامين
أبي حنيفة ومالك ، وم يجعله شرطاً للاسلام . فهو في نظرها سنة للرجال إن شاءوا
أخذوا به نصونا وقطعوا ، وإن شاءوا تركوه .

أما للنساء فلم يصل الى درجة السنة في مذهب الامامين السابقين ، ولكنه عندهما

كرامة لمن فقط . لذلك نجد أكثر المسلمين لا يختنون نسائهم . فالأثراك كافة والمنازية والبرانيون والهنود وغيرهم لا يعملون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم .

والعادة أن لاختتان يكون في السنين الأولى من الطفولة بين ثلاث وعشر غالباً . وليس فيه كبير مشقة ولا يتوقع من ورائه خطر ، إذ أنه لا يتعدى قطع الجلد الزائدة للغطية العضو مع عدم المساس بالعضو نفسه . ناهيك أنه يعمل بواسطة العارفين . واختتان الكبار كاختتان الصغار ليس فيه أقل ضرر .

بقيت مسألة رعايهم الذين يريدون الدخول في الاسلام جماعات صغيرة وم كبار في السن ، وهي أن يعرفوا ما حكم الاسلام فيهم ؟ وإلى هؤلاء نوجه قول الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو إمام الأئمة المجتهدين . قال العلامة ابن قدامة الحنبلي في المجلد الأول من كتابه (المنهاج) في الصفحة السبعين عن الختان ما يأتي :

« ولحسن يرخص فيه ويقول : « إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن . ويقول : أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختنوا » .

هكذا ما رأينا أن تأتي به من حكم الدين الاسلامي في أمر الختان والحجاب . وقد نيين أن واحدا منهما لا يتأتى أن يكون عقبة في سبيله . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

تعظيم العلماء للعلم وحده

قال عبد بن شهاب الزهري وهو من أئمة السنة الذي كلفه عمر بن عبد العزيز جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكتابتها ، قال : دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فرأيت أحدهم سناً ، فقلت : من أنت ؟ فانتسبت اليه . فحرفني . فقال : لقد كان أبوك وصحك لعاقين في فتنة عبد الله بن الزبير . قلت : يا أمير المؤمنين من لك إذا عفا لم يعدد ، وإذا صحح لم يثرب . قال لي : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة . قال : عند من طلبت ؟ قلت : عند ابن يسار وابن أبي ذئب وسعيد بن المسيب . قال لي : وأين كنت من عروة بن الزبير فانه يجر لا تكدره الدلاء .

مع ان عروة هذا هو اخو عبد الله بن الزبير خصمه ، ولكنه عظم فيه العلم .

تاريخ حياة محمد

بقلم المستر فرانك هـ . فوستر

شبهات داخضة وحيلة فاشلة

كُتبنا الى مقالة نشرت في مجلة العالم الاسلامي التي تصدر بالولايات المتحدة بأمريكا (the Moslem World) اشتملت على مطاعن في خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قرأنا أن تلخصها تباعا ، ونزد على ما جاء فيها من الأخطاء التاريخية والأضاليل للتعصبة . قال المستر فرانك هـ . فوستر كاتبها ما ملخصه :

« إن الكتابة الوحيدة التي وصلتنا من محمد في تاريخ حياته هي ما جمع منها في القرآن ، وهي وإن كانت غير مستوعبة لجميع ما نحب معرفته عنه فقد جمعت الكثير من حوادثه . والقرآن هو المصدر الوحيد الذي يصح الاعتماد عليه فيما نحن بصدده . أما التواريخ العديدة التي كتبت بعده بقرون كثيرة بأفلام كتاب متعيزين فليست لها قيمة في نظرنا . ثم شرع يورد حياة محمد صلى الله عليه وسلم على أسلوبه فقال :

« قل ألف وخمسة سنة (كذا) ، ظهر في مكة رجل اسمه محمد ادعى أنه نبي ، فكان يجمع حوله جماهير من الناس في مسجد مكة العظيم أو في الطرقات ويخطبهم قائلا : إن الله أوحى اليه قوله . « اقرأ باسم ربك » .

« فلم يصدقه سامعوه ، إذ لم يتصف بصفات الرسل ، ولم يكن شخصا غير عادي ، محتجين بأنه يسير في الشوارع ويأكل الطعام ، فهلا أنزل معه ملك يؤيده ؟ ولم يتساءلوا ما هي الصفات التي نجمه رسولا ، فكذبوه ولم يحفلوا برسالته .

« ولقد تركنا محمد في جهل من ناحيته ، فلم يخبرنا بشيء عن مولده ، ولا عن أسرته ، ولا عن حياته في صغره ، غير ما قاله من أنه كان يتيمًا ، وأن الله عصمه من الزلل ، وأغناه

بعد ميلته . ولا شك في أن هذا النبي الذي ناله ولم يبينه كان يستمد الدعوة منه وهو نبي أيام إقامته بمكة .

« وفي الجلة قد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه إلى رسالة عند ظهوره . وقد دعا نفسه النبي الأُمي ، وهذا ما لا يمكن قبوله لأنه كان في حاجة لأن يكرر قراءة كتابه أحيانا ليستظهره . ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئا من سمات المتعلمين الأدبية .

« ولم يذكر لنا شيئا عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، لأنه كان يذكرهن ، ولكنه لم يدين لنا أسماءهن . كذلك لم ينوه شيء عن أسرته وعشيرته ، ولكن يمكننا أن نقول إنه كان من بيت ماجد ، فقد كانت أبهة السؤدد تبدو في كلامه منذ الساعة الأولى ، دالة على أنه كان ناشئا من بيئة ذات سلطان .

« ولا يوجد في القرآن ما يدل على صناعته أو تجارته في السنين التي سبقت رسالته . ولكن المعروف أنه كان يزاول التجارة ، بدليل أنه أمر فيا بعد أن يمتنع عنها . وأن ملاحظاته الدقيقة في الطبيعة ، والأموال الجارية في المناطق البعيدة عن مكة ، تدل على أنه لا بد أن يكون قد سافر إلى خارج البلاد العربية .

« ولا مناص من القول بأنه اتصل باليهود والنصارى في وقت ما ، لأنه أرانا أنه يعرف قصص كتبهم التاريخية ، ويدرف التعريفات الشائعة في الإنجيل . « هذا ملخص المعلومات الضئيلة التي أعطاناها محمد عن حياته قبل أن يبعث رسولا » .

هذه مقدمة بحث المستر فرائد هـ . فوستر ، وقد ضمها تحت رقم ١ ، ونحن قبل مجاورتها إلى ما كتبه تحت رقم ٢ ترى أن لا بد من مناقشته فيها :

ردنا على سائره في هذه المخرمة :

لا بد هشنا أن يكون في الناس من لا يزال يكذب برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ،

ولكن يدهشنا أن نقرأ عن رجال يزلون أنفسهم منازل الهداة والمرشدين أنهم يعتمدون على أبسط قواعد الدستور العلمى فى بحوث فلسفية على أعظم جانب من الخطورة ذلك أن المستر فرانك يخوض فى نفسية أعظم رجل فى التاريخ ، بشهادة الأجنب أنفسهم ، معتمدا على أصل اعتقادى موروث ، وهو أنه كان نبيا كاذبا . ولكن هذا الأصل الموروث لا يصح أن يكون أساسا لبحث فلسفى خطير كالذى هو بمصدده . فقد كان يجب عليه أولا أن يقيم الدليل القاطع على أنه كان كاذبا فى دعواه النبوة . فإن أتبجح فى ذلك من طريق علمى مستقل لا أثر للورثة الاعتقادية فيه ، ساع له أن يبعث فى نفسيته من ذلك الطريق العلمى نفسه . أما وهو لم يفعل ، فقد ارتكب خطأ فاضحا ، وصار كل ما قاله بعد ذلك فى صرف المعاصرين مبنيا على عقيدة سابقة . وإنى سأبين فى هذه المعاملة جميع ما طوحت به فيه تلك العقيدة من المضال ، وما أوقعت فيه من الأخطاء الفاحشة ، والنظرات الضللة فبقول :

يظهر لنا أن المستر فرانك لم يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال إنه كان فى مبدأ ظهوره يجمع الناس حوله فى مسجد مكة أو فى الطرقات ويخطبهم بأنه نبى ، فكذب الناس ولم يؤمنوا به .

وكان الذى وقع أنه فى أول ظهوره دما الناس سرا ، فآمن به عشرات منهم رجالا ونساء ، ثم أمره الله أن يجمع عشيرته الأقربين ويدعوهم للإسلام مجاهرا بالدعوة ، ثم أمره أن يدعو لناس جميعا واعداء إياه بأنه يعصمه منهم ، ففعل ، ثم كان ما كان من انتشار الإسلام حتى عم جزيرة العرب كلها ، ثم تجاوزها حتى وصل إلى أقصى حدود الصين شرقا ، وأقصى حدود أوروبا غربا ، فى عشرات معدودة من السنين ، مما لم يحدث مثله لدين من الأديان . فأعنى المستر فرانك نفسه من ذكر هذه النتيجة التى تعتبر من أجل الآيات الإلهية ، واكتفى بأن قال : فكذب الناس ولم يؤمنوا به . ثم انتقل إلى سرد تاريخه من الكتب الذى أنزل إليه ، باعتباره أنه هو الذى كتبه محمد بيده ، وشرح

يعيب عليه أنه أغفل فيه ذكر تاريخ مولده ، وحالة أسرته ، غير ما قاله من أنه كان يتيمًا وأن الله عصمه من الخطأ ، وأنه أغناه ولم يبين مبلغ هذا الغنى الخ الخ .

هذا طراز طريف في بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يُقْبَضُ عليها المستر فرانك ، لأن القرآن قدّم الى الناس باعتبار أنه كتاب جامع لتعاليم الاسلام ، لا باعتبار أنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمستر فرانك أن يخصص عليه إغفالات ليست من موضوعه . وإذا كان القرآن لم يذكر تفصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل ذكر موسى عليه السلام تفصيل تاريخه في توراته ، غير ما كتبه خلفاؤه بعد وفاته ؟ وهل ذكر عيسى عليه السلام مثل ذلك في كل ما قاله لبنى إسرائيل من تعاليمه ؟ وهل يستطيع المستر فرانك أن يأتينا بكتاب ديني واحد يذكر حياة الرسول الذي جاء به بتفصيل يوفي بشرطه ؟ وإذا كان هذا لا وجود له ، فكيف يطالب به القرآن الكريم ويسجل عليه خلوه منه ؟

إن الذي حدا للمستر فرانك لأن يرتكب هذا الشطط هو مضيه مع عقيدته الموروثة ، وهي أن محمداً كان مدعياً ولم يكن نبياً . فإذا سلمنا له هذا جدلاً ، فلا يكون لما أحصاه على القرآن محل أيضاً ، فإن الادعاء يقتضى المحاكمة لا الشذوذ . فلا ندري بمد هذا حكمة ما سجله للمستر فرانك على القرآن من هذه الناحية :

وقد حاول المستر فرانك تشكيك قرآنه في أمية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما استطاع أن يستند اليه من الشبهات قوله : ليس من الممكن أن يسكون محمد عاجزاً عن القراءة لاضطراره اليها من أجل استظهار كتبه بتكرار تلاوته .

أما التشكيك في أمية النبي صلى الله عليه وسلم فمحاولة محكوم عليها بالفشل من أول صدمة ، لأن هذه الأمية كانت إحدى الآيات التي تحدى الله بها الشاكّين في صدق نبوته ، فلو كان غير أي في الواقع ، لأصبح تأثيرها معكوساً ، كما هو الحال في كل معلوم يتحدى الناس بعنده .

هب أن محمداً كان قارئاً كاتباً، أفكان بهذه البرقة وحدها يرتفع عن مستوى معاصريه، فيأتي بكتاب يعتبرونه معجزة، ويصلح أن يكون دستوراً للملك لا لترب عن ولاياته الشمس فروناً كثيرة، وأساساً لتطورات اجتماعية ومدنية للشعوب الآخذة به توصلمهم الى زعامة العالم كله في العلم والفلسفة والفنون والصنائع والسياسة في سنين قليلة ؟ هذه أعمال لا أقول إنها تشرف متخرجاً في أكبر جامعة علمية، ولكني أقول إنها أعجزت جميع عباقرة العالم مجتمعين

ولكن المستر فرانك يتجاهل كل هذه الحوادث التي لا يوجد في تاريخ البشر ما يماثلها، ويقفنا أمام موضوع تافه عقيم قال فيه الدهر قوله الفصل، وجاء أن يكون في إنارة الشك في أمية محمد، باب يُفتح الى التشكيب بنبوته، متذرعاً بذلك الى إثبات أنه ما دام يقرأ ويكتب فيكون هو الذي وضع القرآن ونسبه الى الله .

إذا كانت القراءة والكتابة وسيلة للتشكيك في كتب الله وصدق رسله، فهذان موسى وعيسى كاذبان، ان ويكتبان، فهل قولا الله ما لم يقل، وهل قالا إنهما رسولان وهما كاذبان ؟

ولكن أمية محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بإجماع أمة برمتها كانت مطلعة على أحواله وأطواره، من يوم ميلاده الى يوم وفاته، فهل من المعقول أن يُتخرق هذا الإجماع لا شيء غير أنه لا يلائم هوى بعض أعدائه ممن أتى بعده بنحو أربعة عشر قرناً ؟ قال المستر فرانك عقب التشكيك في أمية النبي صلى الله عليه وسلم : « ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع، فإنه لم يظهر شيئاً من سمات لتعمين الأدبية » .

لم يقل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ولا قال أحد من المسلمين عنه إنه كان ذا اطلاع واسع، وبه فعل ما فعل بعلومه، وفزارة مادته، ولكنه قال، وردده للمسلمون معه، بأن كل ما أتى به وحى من ربه . وهذا لا يتناقض سمو فطرته، ووفور عقله، وصفاء ذهنه، فإن الله لا يصطنع لرسالته إلا أكل خلقه .

فلإن كان المستغرب أنك يستدل من القرآن على ما يقوله باعتبار أنه من كلام محمد، وأنه في جلته لا يدل على سعة اطلاع كاتبه، فهو لم يقرأ القرآن، وإن كان قرأه فقد سدل على عقله حجاباً من تمصيه.

لقد تبين للذين درسوا القرآن تحت ضوء الفلسفة الحديثة، أنه لم يصادف صغيرة ولا كبيرة مما يُقوّم عوج النفوس، ويمثل أود المقول، ويوقظ أشرف غرائز الشخصية الإنسانية، ويدفع في طريق السور الرومانى، إلا أحصاها على أكل الوجوه، راسماً لها أقوم الطرق، ومتخيراً لها أقرب الوسائل.

وقد اتضح لأولئك الناظرين أن كل ما جاء به كبار المبالغة من الأصول الأصيلة، والمبادئ النبيلة، وما قرره المصلحون من الأسس الكينة، والوحدات الكينة للاجتماع والسياسة والشريعة، قد سبقهم القرآن إليها في بيان لا يدع محلاً للتردد، ولا موضعاً للتشكك. وقد حُفيت أقلامنا في سرد هذه الآيات الكبر وتطبيقها على الحوادث، ولم نبس بعد منها أواماً، ولم تبلغ مراماً، وقد شهد بهذا كله رجال من الأقطاب ليسوا من أهل هذه الملة، لا يحصون كثرة، من أمثال جوت الالماني ولا صرتين الفرنسى وبرانودشوالانجليزى، وليس في هؤلاء إلا عبقرى طبقت الأرض شهرته، وعمت الأقطار فلسفته.

فإذا لم يكن محمد أمياً، ولكنه كان أستاذاً جامعياً، وافترض أنه كتب هذا القرآن، لمُدبهد، وحده آية من آيات الله في خلقه، وأُهِيت له من درجة عقلية فوق العبقريّة، لأن العبقريّة إنما تظهر في الفرع الواحد من العلم أو الفن، لا في كل ما يختص بإصلاح الانسانية جملة.

ومما هو بليغ الأثر في التدليل الحسى، أن هذا القرآن أوجد أمة عالمية من المدم، لم تلبث إلا ستين معدودة حتى سادت العالم كله علماً وعملاً، وسموا روحانياً وكالاً مادياً. فمن يجرؤ بعد هذا أن يقول إن ما نصيف به القرآن شعر حملت عليه العقيدة الوراثة، أو خيال قضت به العصبية الدينية؟

يقول المستر فرانك : « وفي الجملة فقد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره » ، كرر هذه العبارة مرتين في موضعين ، فلنا منه أنها تقدر في رسالته ، كأن الرسالة لا تكون صحيحة إلا إذا قويات بالآيمان من أول وهلة . فهل نسي أن موسى وعيسى قوبلا بمثل هذا الازدراء عينه ، وأحدهما لا زمه هذا الازدراء الى يوم وفاته ، وعمول معاملة للعصص وقطاع الطرق في زعمه ؟

وقال المستر فرانك متبعاً طريقته : « ولم يذكر لنا محمد شيئاً عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، فلم يعين لنا أسماءهن ، ولم ينوه كذلك بشيء عن أسرته وعشيرته الخ » .

هذه الإغفالات إن اعتبرت عيوباً فهي كذلك بالنسبة لكتاب وضعه صاحبه لبيان تاريخه الشخصي ، ولكنها لا تميب كتاباً وضع للناس كافة كما قدمنا ، أفلا تعجب من إلحاح المستر فرانك عليها ، حتى جعلها موضوع فصله الأول كله . وقد أشبعت الكلام في هذا فلا نعود إليه .

في العدد المقبل نشر ملخص فصله الثاني ونرد عليه كما فعلناه مع الفصل الأول
 إن شاء الله ﷻ
 محمد قريمر ومجدي

جود عبيد الله بن عباس

كان عبيد الله بن عباس من أجواد الناس وأسخياهم . قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يا ابن عم رسول الله إنه ولدت في هذه الليلة مولود ، وإني سميتك ببركामني به ، وإن أمه ماتت ، فقال عبيد الله : بارك الله لك في الحبة ، وأجزل لك الأمر على المنصبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضه ، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصاري : عد إلينا بعد أيام ، فانك جئتنا وفي العيش ييس ، وفي المال قلة ، قال الأنصاري : وسبقت حاقاً بيوم واحد ما ذكرته العرب أبداً ، ولكنه سبقك فصرف له تالياً ، وأنا أشهد أن هموك (أي قلبك) أكثر من مجوده ، وظل كرمك أكثر من وابله !

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفُتَاوَى

الطُّرُق

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :
 تشاجر رجل مع صهره ، وفي أثناء المشاجرة قال أحدهما : « على الحرام لا تدخل أنت
 ولا زوجتك بيتي » ، فما الذي يلزمه في هذه الميقاتين أم لا . وإذا كان طلاقاً
 فهل هو رجعي أو بائن ؟
 محمد محمد العنبري

الجواب :

اختلفت الآئمة في مثل هذه الصيغة : فذهب الشافعية أن قائل هذه العبارة إذا نوى
 بها طلاقاً كانت من قبيل الطلاق المعلق ، وأنه يقع به طلاق رجعي إذا حصل المعلق عليه
 وهو دخول المخاطب أو زوجته بيت الخالف وبوافقهم بمض الحنفية على أنه من قبيل
 الطلاق المعلق إلا أنه يقع به عند طلاق بائن إذا حصل المعلق عليه .

ويرى بمض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هذه الصيغة . ويرى عن بعض
 السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليق الطلاق إذا قصد به الحمل على
 فعل شيء أو تركه لا غير ، لا يقع به طلاق . وجرى على هذا المرسوم بقانون رقم ٢٥
 سنة ١٩٢٩ كما قضت بذلك السادة الثانية منه .

وظاهر أن هذه العبارة لا يقصد منها الخالف إلا منع المخاطب وزوجته من دخول
 بيته ، فلا تستوجب طلاقاً مطلقاً على هذا . والله أعلم .



تشاجر رجل مع ابنه فأدبت المشاجرة الى أن قال الرجل : « على الطلاق لا آكل
 من لبن الجاموسة ولا من سمنها في سنة تاربخه » فهل هذه بين منعقدة ؟
 محمد حسن أبو شاهين

الجواب :

مذهب الشافعية وبعض الحنفية أن مثل هذه الصيغة من قبيل التعليل ، فإذا حصل المعلق عليه وهو الأكل من لبن الجاموسة أو سمها ، يقع به طلاق رجعي . ويرى بعض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هذه الصيغة إذا وجد المعلق عليه . ويرى عن بعض السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليل الطلاق إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير ، لا يقع به طلاق . وجرى على هذا الرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ أفريقية ، كما قضت بذلك المادة الثانية منه . وظاهر أن هذه العبارة لا يقصد منها الخالف إلا منع نفسه من أكل لبن الجاموسة وسمها ، فلا يستوجب طلاقاً مطلقاً على هذا .



إذا وكلت المرأة غير وليها الخاص في عقد زواجها ، فهل يعتبر تسجيل المأذون للمقدرا فعلاً للخلاف ، حتى إذا وقع عليها طلاق يلحقها على جميع المذاهب ولو عند الشافعية ، أو لا يرفع الخلاف ، ويكون هذا العقد باطلاً عند الشافعية ، فلا يلحقها طلاق ، ولا يحسب عليها ما دامت كذلك ؟

أحمد محمد إبراهيم الشريف

الجواب :

تسجيل عقود الزواج لدى المأذون ليس بحكم ولا رافع للخلاف ، غير أنه يقع كثيراً أن يحصل عقد زواج مستوف جميع الشروط اللازمة لصحته عند بعض الأئمة كالحنفية ، ويتعاضد الزوجان على مقتضاه زماناً ، ثم يقع بينهما خلاف ونسوة عشرتهما ، فيستنفذ الزوج ما يملكه على الزوجة من طلاق ، وحينئذ يبحث الزوجان أو أحدهما عما يخلصهما من الطلاقات التي وقعت ، فيعيدان النظر في العقد السابق يتلمس فيهما ما يجعله باطلاً عند الشافعية .

فإذا عثر على شيء من ذلك اعتبر عقد الزواج باطلا لعدم استيفائه شرط كذا عند الإمام الشافعي ، واعتبرا جميع الطلقات التي صدرت ملغاة لا أثر لها ، فيجسدان عقد زواجهما على مذهب الشافعي ، ويعتقدان أنهما استأنفا زوجية جديدة يملك فيها الزوج على زوجته طلقات ثلاثا أخرى .

ولكن مثل هذا العمل في نظر أئمة الشافعية نحاس لا يقرآن عليه ، ويجب على الحاكم أن يفرق بينهما متى علم به .

ومن نص على ذلك ابن حجر في شرح المنهاج ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في التلخيص ، وهو قول أبي إسحاق المروزي ، وأبي علي بن أبي هريرة ، وأبي سعيد الأصبغ ، وأبي حامد المروزي .

وإذا كانت الشريعة الفراء تحترم عقود غير المسلمين التي لم تستوف شروط الصحة عندنا فتقر الزوجين بعد إسلامهما عليها ولا تطلب منهما تجديد العقد ، فكيف لا نحترم عقدا وقع صحيحا على مذهب من مذاهب المسلمين ؟ والله أعلم .

في الميراث

امرأة توفيت عن أخوين لأم ، وبنت أخ شقيق ، وعم لأب . فن يرث ، ومن لا يرث ، وما مقدار أنصبة الوارثين ؟

« سائل »

الجواب :

الميراث في هذه المسألة للأخوين لأم ، وللم لأب ، ولا شيء لبنت الأخ الشقيق .

أما الأخوان لأم ، فلهما ثلث التركة يقسم بينهما بالسوية ، وأما الم لأب فله الباقي ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

أثر البيئته

في أسلوب الأدب وأخيلته

مرضنا على القارئ الكريم في المقال السابق صورتين من صور الأدب في بيئة البداوة والحضارة ، لشاعرين من أشهر شعرائهما مثلنا بعض الخصائص التي كانت أثاراً من آثار البيئة في الأدب ، ونسوق الآن صورتين لشاعرين امتاز بلون خاص من الشعر التصويري ، فالصورة الأولى للشاعر الترف الحضري « عبد الله بن المعتز » وهو شاعر يقول عنه النقاد : إنه أشهر طبعته بهذا النوع من التشبيه الذي يعتمد في بنيانه على الحس قال عبد القاهر الجرجاني في « أسرار البلاغة » : « نقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيه المبصرات ببعضها ببعض ، وذلك أن إحسانه فيها أكثر ، وهو به أشهر » . وابن المعتز معاصر لابن الرومي ، وكان أدبا ، عصرهما يرون بينهما شيئا من التشابه في هذا اللون من الشعر التصويري ، وهو أوضح ألوان الشعر في تبين أثر البيئة العامة ، فكما وزنا بين امرئ القيس ، وابن الرومي ، في تصويرهما لمشهد من مشاهد الطبيعة يتمثل في السحاب والمطر ، فلنوازن بين ابن المعتز ، وشاعر جاهلي بدوي يظهر في شعره الفن التصويري واضحا قويا ، وهو « أوس بن حجر » . ولتكن هذه الموازنة في لون يدخل في تمثيل بعض المناظر الطبيعية ، ولتكن من نفس اللون الذي أثبتناه للشاعرين السابقين .

قال ابن المعتز يصف سحبا ماطرا :

وسارية لا تعمل البكا	جری دمعی فی حدود الثری
سرت قدح الصبح في ليلاها	بهرق کهنديہ تنتضی
فلما دنت جلجلت في السما	رصد اوجش بگرش الرمی

ضام عليها ارتداء السيف
فما زال مدمعها باكيا
على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سواء وجوه البلاد
ووجن اللبات بها والتقى

هذا تصوير شذبت معاني الحضارة حواشيه ، وهذبت أخيلته ، فرقت معانيه ، ولطفت مبادئه ، وأدار الشاعر ريشة بيئته لترفة الفينانة التي نهد بين أحضانها ، وترعرعت أفكاره في ظلالها . ففي كل بيت صورة من ديباجة الحضرة ، وورق الحياة ، وبراعة التصوير يكسوها الجمال الفني شاعرية صناع تمهيدى في أعطاف هذه التشبيهات البديعة .

تأمل قوله : وسارية لا تمل البكا ، فإنك ستلمح فيه هدوءا حزينا يمثل حال هذا الأمير الشاعر المدفوع عن آماله دفعا ، وكأنما هي مرآة انعكست فيها نفس الشاعر الحزين ، فاختيار لفظة « سارية » من بين ألفاظ كثيرة يمكن أن تؤدى المعنى الذى يخص السحاب ، اختيار موفق فيه صورة للوقار الواجم ، أغلب الظن أن الشاعر أرادها من وراء تصوير السحاب . والتعبير عن هطل السحاب بالمطر ، بقوله : لا تمل البكا ، آية من آيات الشاعرية الممثلة للحزن الحبيس . والشاعر الأمير ، يعنى فى معانيه ، فيؤكدها تأكيده قويا فى قالب جميل : جرى دمعها فى حدود الثرى ، وهى صورة بديعة الصنعة ، حضرية لأسلوب .

وانظر الى قوله : تفسح الصبح فى ليلا ، فى كل لفظة منه دقة تصويرية تدل على أن الشاعر احتفل بصورته ، واختار لها ألوانها من بيئته . فالتعبير عن ظهور ضوء البرق بالقدرح ، وإضافة القدرح الى الصبح ، وجعله فى ليلا ، كل ذلك أعطى للألفاظ قوة وتناسقا تؤدى بهما للمبين منظرا تفقده الصورة لو لم يكن ذلك اللفظ موجودا . ثم هذا التشبيه للبرق فى هيئته ولعانه بأسبوف وقد شيمت من أنعمادها ، لا يخلو من جلال وتفكير .

يطول بنا القول لو جردنا في تحليل القطعة كلها على هذا الترتيب ، وإنما افترض أن تظهر بميزات الحياة الحضرية في بعض صور الأدب الحضري لنجعلها في حفو خصائص حياة البداوة في صور الأدب البدوي ، وأن نفتتح للقارئ بابا يمشى منه الى ساحة النقد الأدبي والتحليل الذي يظهره على موضع الجمل الرصين في أدبنا العربي القويم .
أما « أوس بن حجر » الذي اخترناه من شعراء البداوة ليكون مع عبد الله بن المعتز فهو شاعر لا تخرج أن نمده من مدرسة ابن المعتز الشعرية لولا الفواصل الزمنية ، وتأثير البيئة المختلفة . فكلاهما شاعر مصور ، يُعنى أشد العناية بإبراز صورته محكمة الصنعة ، تأخذ بالألفاظ أكثر مما تأخذ بالفكر والخيال ، قال أوس (١) :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه	في عارض كفضي الصبح لمّاح
دان مسف قويق الأرض هيدبه	يكاد يدفعه من قلم بالراح
كأن ريقه لما علا شطبا	أقرب أبلق ينفي الخيل رماح
ينزع جلد الحصى أجش مبترك	كأنه فاحص أو لاعب داحي
فن بنجونه كمن بمحفله	وللستكن كمن يشي بقرواح
كأن فيه عشارا جلة شرفا	شعثا لها ميم قد حمت بارشاح
هكذا مشافرها بجأ حديرها	ترجي سرايبها في صحصح ضاحي

فهذا كلام جزل ، يملأ الاستماع بفعقته ، وصور منزعجة من قلب البادية في تشبهاتها وأخيلتها ، فومض البرق — عنده — كلع ضوء الصبح في الظلام : تشبيه سريع لم يكتمل

(١) اختلف الرواة في لكمة هذه القصيدة ، دبو على انقاله الى أماليه عن أبي عبيدة يسبها الى عبيد أبي الابرص ، وكذلك صبح ابن الشجرى في أماليه ، وزددها أبو العلاء المرقى في رسالة الفخران بين أوس وعبيد ، وهي مذكورة في ديوان أوس ، وأشبه بشعره ، وفيها عند أولئك الرواة اختلاف شديد ، فبعضهم يؤخر ، وبعضهم يقدم ، وبعضهم يزيد ، وبعضهم ينقص في آيائها ، ولعل هذا الصنيع من الرواة هو الذي سول لبعض الباحثين من المعاصرين القول بأن هناك قصيدتين على هذا الوضع ، إحداهما لأوس بن حجر فلفظينها الرواة .

وجهه دفء في الخليل ، لأن ومض البرق ليس من وادى ضوء الصباح إلا باعتبار اللحظة الطائفة في خيال البدوي كما يشهدا في جوب الصحراء عند انفتاح ضوء الصباح .
ثم يصف السحاب بأنه دان شديد الدنو ، يكاد يأخذ هيدبه بوجه الأرض ، حتى أن للقائم يدفعه براحتة لشدة قربه ، وكأن التشبيه الأول لموض البرق لم يأت على ما في نفس الشاعر ، فراح يحدث له تشبيها آخر بدويا مكتمل البداوة . وماذا يعرف البدوي بمد الطبيعة غير فرسه وجله ؟ فلع البرق ، كخاصرة العرس الأبلق السابق للخييل ، وهو أبعد في تحقيق تشبيهه من سابقه ، ولكنه طريف . وقد أبدع الشاعر في تصوير شدة اندفاع السيل في أودية الصحراء وحصبائها ، وإحداث هذا الصوت الداوي الصاخب ، ولكن التشبيه خلا من التعرض للصوت الذي أدخله الشاعر في التصوير ، وأحكم هذه الصورة للبصرة بالعين .

وتشبيه آخر يصور استبحار هذا السيل وإفحامه الأودية ، فهو قد عم وطم ، فلا نجاء منه ، فن بنجوة كن بعفله ، والمتحصن المستتر كالمتكشف البارز في مستوى الأرض . بعد هذه الصورة القوية الفاعلة عن الشاعر إلى يديته فعاد إليها طفرة في يتيه الأخيرين بهذه الصورة الساذجة ، وأدار التشبيه فيها على الإبل وصفاتها ، غير أنها صورة جامعة تمثل مناظر متعددة في مساح البادية .

هذا الشاعر مثال ينحت من الواقع الملموس تماثله الشعرية ، وليس للخيال العميق عنده وجود ظاهر ، ولا للفكر الباحث كبير أثر ، فهو أكل مثل على البداوة الصادقة . على هذا السنن يحرق أديب البداوة متأثرا ببيئته محجوبا بها عن التفكير في مناحي الوجود التي تحتاج إلى غوص وتفكير . فوصفه للنجوم والكواكب في حدود حاجته لها : يهتدى بها في دجله ، وترشده في سراه وتأويبه ، وحديثه عن الليل والنهار ، والشمس والعمر ، ولطير والشجر ، والحيوان ، لا يجاور اتصالها بشخصه للادى ، وأفق المادة ضيق محدود ، فاذا تعداه قليلا فإلى ما يتصل به ويقرب منه ، فوصفه

للشجاعة ، والنجدة ، والكرم ، والوفاء ، والبرورة ، وما الى ذلك من الفضائل المعنوية ، لا يفصلها عن حدود المادة كثيرا .

أثراء يعنى بالشجاعة الفكرية والتدبير العقلى على نحو ما تقول الفلسفة بلسان أفلاطون : « إياك وقت الحرب أنت تستعمل النجدة وتدع العقل ، فإن للعقل مواقف قد تم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل » . هذا هو الجبن والخور في نظر البدوى ، فالشجاعة عنده هي الإقدام في حومة الوغى ، واستقبال الموت بجهنم ثابت ، فهو ينشد مرزها :

هل الجود إلا أنت نجود بأنفسى على كل ماضى الشفرتين قضيب
ومن هرأطراف الفناخشبة الردى فليس لمجد صالح بكسوب
وماهى إلا رقدة تورث العلى لرهطك ماخنت روائهم نيب
روى ابن سلام فى طبقات الشعراء : أن كثيرا الشاعر دخل على عبد الملك
ابن مروان فأنشده مدحته فيه ، وفيها يقول :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة أجاد المسدى مردها وأذالها
فقال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدى كرب :
وإذا نبجى ، كتيبة معلومة شهبأ يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لاس جنة بالسيف تضرب معلما أنطالها
فقال كثير : يا أمير المؤمنين ، وصفه بالخرق ، ووصفتك بالخزم فأنت ترى أن لأعشى
ذهب فى مدح صاحبه مذهب البداوة ، وكثيرا ذهب فى مدح عبد الملك بن مروان
مذهب الحضارة ، ولكن عبد الملك أرادها من كثير أعراية ، لأن عصر بنى أمية
كان قريبا الى البداوة وكثير التصنع لها .

لست أرعم أن أدب البداوة كله أدب مادي لا يجاوز الحس فى تصويراته ، ولست
أزم أن أدب الحضارة كله أدب سام يرتفع عن حضيض المادة الى التحقيق فى مماء

الخيال والمواطف ، والتصوير النفسى ، ولكن الذى أقوله : أن أظهر ظواهر أدب
البداءة وأقواها اعتماده على الحس ، واستيعاؤه للطبيعية فى مناظرها المشهورة ، وأخذ
ألوانه منها فى الأغلب الأكثر ، وأن مظاهر الحضارة تساعد الأدب الحضري
على أن يكون فى دائرة أوسع من جهة معانيه وأفكاره وصوره وأخيلته ، وأسلس
فى صياغته وأسلوبه .
صادق إبراهيم مرجوم

صفة العقل وفضله

قال سبحانه وأئله وهو الخطيب الموهب الذى يصرب بفصاحته المثل : العقل بالتجارب .
وعقب ابن عديبه صاحب العقد على هذا بقوله : لأن عقل الفريضة سم إلى عقل التجربة ،
ولذلك قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه . رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
وقال الحسن البصري : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له
قال ، وإن كان عليه سكنت . وقلب الأحمق من وراء لسانه فإذا أراد أن يقول قال .
وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : كان والله أفضل من
أن يخدع ، وأعدل من أن يخدع . وهو القائل : لست بخب و الخب لا يخدعنى (والخب المحادع) .
وقيل لعمر بن لعاص : ما العقل ؟ قال . الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . من لم ينقمه ظنه لم تنعمه عينه
وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذكر ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : لقد كان
ينظر الى الغيب من ستر وقيق .

وقالوا : العاقل فطن متخافل .

وقال معاوية : العقل مكيال ، ثلثه فطنة ، وثلثاه تغافل .

وقال المغيرة بن شعبة لسمر بن الخطاب إذ عزله عن كتابة ابى موسى الأشعري : أمى
عجز عزلتنى أم عن خيانة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عن واحد منهما ، ولكنى كرهت أن أحمل
على العامة فضل عقلك .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بانقس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

مضينا بالقارى في شطر غير قليل من البحوث السابقة عن الانسان في شتى أطواره ومختلف مراحلها وأدواره من حيث نفسه التي تتفعل بالخير والشر، ومبلغ ما لديها من قابلية لها، واستعدادها للتخلق بالأخلاق المرذلة أو المحمودة، بالقياس الى مبلغ تهذيبها وقوة ما يحاط به وما مود عليه من وسائل التهذيب، والدعوة الى أهدي السبل وأجداها. ولأن علماء الأخلاق أفاضوا في حقائق الموجودات إفاضة بعيدة المدى مترامية المنأخى، فارتقوا في بحوثهم الى أعلى هذه الموجودات وهو الانسان، فخللوه في مختلف صورته وأشكاله وسائر وجوداته، ثم انحدروا من بحوثهم عن الانسان الى بحوثهم عن الحيوان من حيث هو كذلك، وعن مرآته الموضحة لأشواعه وأجنسه، ثم الى الأجسام الطبيعية لتلك الموجودات، ليكون بحثهم عن الجواهر ولأعراض لتلك العوالم قائما على البحث والاستقصاء.

ونريد الآن أن نتابعهم في صنيعهم، وننتحدث في شئ من الإفاضة عن الأجسام الطبيعية من حيث كونها كذلك، ثم عن مراتب الحيوان، لأن للبحثين شها قويا وصاله وثيقة بالانسان الذي هو أعلى الموجودات، والذي سخر له ما في الأرض جميع من حيوان ونبات وجماد. فإن الأجسام الطبيعية تشترك في لحد الذي يعما من حيث كونها جوهرا ذا أبعاد ثلاثة، ومن حيث تحيز ذلك الجوهر وشقه فراغا، ومن حيث مادته وهيولته، غير أن تلك الأجسام الطبيعية تتفاضل بتفاضل ما هي مستعدة له من الصور الشريفة التي يميزها عما دونها في المرتبة، ضرورة أن الجماد منها إذا قبل صورة شهية الى النوموس محبة الى القلوب، صار بتلك الصورة أفضل من تلك الطينة التي لا تقبها فالجسم الطبيعي الذي يقبل صورة من الصور التي تحيل اليها النفوس طبعيا

كان أكثر تميزاً من ذلك الجسم الذى لا يقبل نوعاً من تلك الصور هكذا صموداً وهبوطاً فى القابلية وعدمها . فإذا بلغ الجسم الطبيعى من القابلية حداً يصير مستعداً لقبول صورة نباتية كان أفضل من الجماد الذى لم ترتق به قابليته الى تلك الصور . وتلك القابلية للصورة النباتية تتألف عناصرها من الاعتناء والنمو والامتداد فى الأصقاع واجتذاب ما يوافق ذلك الجسم من الأرض والماء وترك ما لا يوفقه ، ونفض الفضلات التى تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالعموغم ، وهذه هى المميزات التى يفضل بها النبات عن الجماد ، وهى حال زائدة على الجسمية للبحوث منها عند الصيغيين .

وغنى عن البيان أن تلك الحالة الزائدة عن الجماد التى شرف بها النبات تتفاضل بالقياس الى قوة ما يمرض لها من المميزات التى تباعد بينها وبين الجماد ، فكما كان الجسم النباتى أبعد بميزاته عن الجسم الجمادى ، كلما كان أكثر شرفاً من الجسم الذى يكون أقرب الى الجمادية منه ، ذلك أن بعض الأجسام النباتية يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالرجان وأشباهاه من الأجسام الصلبة اللساء . ثم يتدرج فى تلك الزيادة فيحدث له من تلك الزيادة مميزات بعد مميزات ، فبعضه يثبت من غير زرع ولا بذر ، ولا يحفظ نوعه الى القدر الذى يوجد مكانه خلفاً عنه . فيكنى فى حدوده امتزاج العناصر وطلوع الشمس وهبوب الرياح الواقع ، فهو عند هذه المرتبة فى أفق الجمادات وقريب الحال منها . ثم تزداد تلك المزية فى النبات بازدياد عناصرها ، فيفضل بعضها بعضاً بنظام وترتيب أبده مبدع السموات ومدبر الكائنات . فهو ما يزال يرق وينمو بمواصلة المحيط به حتى تظهر فيه قوة الإثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخاف به مثله ، فتستحيل هذه الحالة زائدة فيه ، ويميزه له عن حال ما تحته من الراتب الأخرى .

ولم تزل تقوى فيه هذه المزية وتنمو بمخالفاتها حتى يصير فضل الثالث على الثانى مثلاً كفضل الثانى على الأول وهكذا دواليك صموداً وهبوطاً ، فلا يزال يشرف

ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ أفقه، ويصير في أفق الحيوانات ككرام الشجر كاليتون ولرمان والكرم وما إليها من السواكه الحلوة النضرة . ثم هي بعد ذلك مختلطة القوى ، على معنى أن قوى الذكورة والأنوثة فيها غير متميزة ، فهي تحمل وتلد للثلث ، غير أنها لم تبلغ غاية أفقها الذي يتصل بأفق الحيوان ، ثم تزداد ونمى في هذا الأفق الى أن تصير في أفق الحيوان فلا تحتمل بعد هذا الحد الذي بلغته زيادة لمستزبد ، ضرورة أنها إذا قبلت زيادة يسيرة استعالت حيوانا ، وخرجت بذلك عن أفق النبات ، وإذا تميز قواها وتحدث فيها الذكورة والأنوثة ، وتقبل من مقومات الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر ، كالتخل الذي طالع أفق الحيوان بخصوصه المشر التي فضلها علماء النبات في كتبهم حتى قالوا إنه لم يبق بينه وبين الحيوان إلا مرتبة واحدة ، تلك المرتبة هي الانتقال من الأرض ، والسسى الى الغذاء كما يسمى الحيوان مختارا الى تناول ما يقوم به حياته من غذائه الخاص به ، كما روى في الأثر ما هو كالأشارة أو كالمرز الى هذا المعنى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «أكرموا عمامتكم النخل فإنها خلقت من بقية طينة آدم»

وجملة القول أن بعض النباتات وبعض الأشجار وصل بمميزاته الى أفق الحيوان ، وليس بينه وبين عالم الحيوان إلا أن يكون له اختيار وإرادة . فهذا النوع من النبات أشرف من الجماد في عالمه ، وأميز وجودا بعد وجود الحيوان .

وسنورد في العدد القادم بقية آراء الباحثين من علماء الأخلاق في عالم الجماد وعالم النبات ، ثم بحثا مستفيضا في مراتب الحيوان . ولا شك أن لتلك البحوث اتصالا بفلسفة الأخلاق من حيث ارتباطها بحقائق الوجودات . فإلى العدد القادم ، إن شاء الله .

عيسى ط
المعلم الشرعى

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام اوقف في الاسلام

أسفنا حضرات القراء شطرا عن الكلام في الشروط المصححة للموقوف ليصير بهذه الشروط موقوفا وقفنا شرعيا ننتفع بفلقته الفقراء إذا كان وقفا خيريا ، ويصل به للمستحقون الى حقوقهم إن كان وقفا أهليا . وقد أفاض علماء الفروع في بيان شروط للموقوف بما لا يدع مأخذا عليه ولا مطمنا فيه . من أجل ذلك نحب أن نتوخى آراءهم قدر الجهد بما يجلو الحقيقة ويرفع ذلك اللبس الذي وقع فيه كثير من الواقفين مستسلما لأصحاب النيات ورواد الشهوات ، والذي تمعج به المحاكم الشرعية عجيجا ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهاننا حتى اليوم .

شرط الفقهاء لتنفاذ الوقف أن تكون عين الموقوفة مثلاً مملوكة للواقف وقت الوقف ملكا خاصا لا مشية فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، ولذلك صح وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، كما إذا اشترى دارا بضمن معين على أن يدفع المشتري الثمن الى البائع متى وصل الى يده فلما قبض المشتري للمبيع وقفه ، فإن هذا الوقف يقع صحيحا لانفاق علماء الفروع على أن المبيع يباع فاسدا بملك بمجرد القبض ، وفي هذه الحالة يجب على المشتري دفع قيمة المبيع الى البائع لا دفع ثمنه ، وقد ضرب الفقهاء لهذه الصورة مثلاً بما لو وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تفيد الملك بالقبض كذلك ، فلو كان الوقف فيهما قبل القبض ، لم يقع صحيحا ، لعدم تحقق الملك فيهما قبل القبض ، ويتفرع على ذلك أنه لو كان البيم صحيحا ثم وقف المشتري المقار المبيع قبل قبضه ، وقع وقف الواقف على هذه الصورة صحيحا . فإن وقف الواقف المبيع قبل دفع الثمن الى البائع فلم يدفع الثمن الى البائع

بعد الوقف ، ولم يكن عنده حال آخر يمكن أن يدفع منه ثمن المبيع ، جار للبائع حق طلب تقضى الوقف واستيفاء الثمن من المبيع الذى فى يده ، فإذا وجد عند الواقف بوصف كونه مشترى ما بقى بالثمن من غير المبيع كأن تكون له عين أخرى تضمن حق البائع فى الثمن لم يجوز للبائع فى هذه الحالة حق طلب تقضى الوقف ، ورجع عليه بالثمن فى تلك العين الأخرى .

وهذه الحالة تشبه حالة وقف العين المرهونة ، فإن للبائع شرعا حق حبس المبيع فى يده حتى يستوفى ثمنه الذى حل بحلول أجله المفروب بينهما . وتنزع على الشرط فروع ، منها أنه لا يصح الوقف فى حالة ما إذا وقف الواقف عينا مخصصة ثم اشتراها من صاحبها أو صالحه على تىء فى نظيرها . ومنها ما إذا وقف الموصى له العقار الموصى به قبل موت الموصى ، أو وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ، أو وقف المشتري المبيع وكان اختيار للبائع ثم أجاز البائع بعد ذلك البيع ، لعدم استناد للموقوف وقت وقفه الى ملكية الواقف فى جميع هذه الصور . ولو كان اختيار لمشتري أو كان للبائع فوقف العين المشتري أو وقفها البائع واختيار لها فالوقف صحيح فى الصورتين ، ويكون الوقف إسقاطا للخيار فى الصورة الأولى ، وإبطالا للبيع فى الصورة الثانية . ويكون من تفاريع هذا الشرط أن يشقضى الوقف فى جميع صوره . فلو بنى الواقف مسجدا يستحقه الغير بملكية أو بشفعة لوقع الوقف باطلا لثبته عدم ملكية الواقف له وقت وقفه . فإذا ضمن الواقف لمتحق العقار قيمته صح وقفه لاستناد الملك الى زمن الحيازة .

وفى حالة بطلان الوقف لم يكن من الضرورى للواقف أن يشتري بالثمن الذى يرجع به على بائمه أو يسترده من الشفيع عقارا ليجمعه وفقا بدل الأول ، على ما حققه صاحب البحر ، وتابمه فى ذلك كثير من العلماء المتأخرين .

ومن تفاريع ذلك ما نفسه الرافعى أنه لا يصح لمن فى يده الاقطاعات أن يجبسها وقفاء ولا للإمام أن يقف أرض الخوز .

وعرف علماء الفروع الاقطاعات بأنها هي أراضى بيت المال التى تمنح الى من لهم فيه استحقاق كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بناتها جزاء لهم على قيامهم بأعباء دفع منارة الشريعة المعطرة في البلاد وإعلاء كلمة الله فيها . وهذه الاقطاعات التى استحقوا من أجلها كفايتهم في بيت المال تبقى فيه رقيتها .

وقد كان عهد الاقطاعيات عهدا طويلا استمر أجيالا من الزمن كانت الأمة تشعريه بنوع من الظلم . وكان الحكام في العهد الأخير لا يتحرون من يستعقها تحريا يرفع عنهم أسنة الناقدين . وقد ظل عهد الاقطاعيات جاثما في البلاد لاسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فلما أضاءت المدنية عقول الشعوب ، وآمن كل من دافعى الضرائب بحقه في الخزنة العامة من المراقبة ، أفق الحكام من غشيتهم واجتاحوا ذلك التقليد الأثيم من روج البلاد .

وموعداً بإتمام هذا البحث العدد القادم .
عباس طه
المحامى الشرعى

استدراك

جاء خطأ في السطر الرابع من صفحة ٣٠٨ من هذا الجزء :
وهذه المادة المستحكمة .

والصواب :

وهذه المادة المستحكمة .

CHAPTER 67

What is to be done if washing seminal stains or other forms of pollution does not obliterate the traces.

1. We are informed by Mūsā, who had it from 'Abdu-l-Wāhid, who received it from 'Amr b. Maimūn, who said.

"When I asked Sulaimān b. Yasār about garments polluted by seminal stains, he replied that 'A'ishah had said 'I used to wash the stains off the garment of the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on it."

2. We are informed by 'Amr b. Khālid, who had it from Zuhair, who was told it by 'Amr b. Maimūn b. Mubrān, through Sulaimān b. Yasār, through 'A'ishah that

She used to wash the seminal stains off the garment of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and that she could still see a mark⁽¹⁾ showing on it. (?)

- ٦٧ -

باب: إِذَا غَسَلَ الْجَسَدَ أَوْ غَيْرَهَا فَلَمْ يَذْهَبِ أَرَاهُ:

١ - حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمرو بن ميمون قال :

« سَأَلْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ فِي الثَّوبِ تُصَيِّبُهُ الْجَسَدَةُ » قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ : « كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ تَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَاتْرُ النَّعْلَ فِيهِ نَقْعٌ الْمَاءِ »

٢ - حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا عمرو بن ميمون بن مهران عن سليمان بن يسار عن عائشة :

« أَنَّهَا كَانَتْ تَغْسِلُ الْمَتَى مِنْ تَوْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَرَاهُ فِيهِ بُقْعَةٌ أَوْ بُقْعَانِ »

(1) — or marks — the narrator being in doubt as to which

(2) Al-Bukhārī's object in recording these last two hadīths which are similar to the two preceding ones is to show that the washing of such stains was ritual in purpose, and need not be too meticulous.

1. We are informed by 'Abdān, who had it from 'Abdullah, who received it from 'Amr b. Marmūn Al-Jazarī, through Sulaimān b. Yasar, through 'A'ishah, who said.

"I used to wash away seminal stains (1) from the garment of the Prophet (Allah bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the marks of water showing on his garment."

2. We are informed by Qatibah, who had it from Yazid, who received it from 'Amr, through Sulaimān b. Yasar, who heard it from 'A'ishah, — we are also informed by Musāddad, who had it from 'Abdul-Wāhid, who received it from 'Amr b. Marmūn, through Sulaimān b. Yasar, who said

"When I asked 'A'ishah about semen staining a garment, she replied, 'I used to wash it off the garment of the Messenger of Allah (Allah bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on his garment.'"

١ — حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله
قال أخبرنا عمرو بن ميمون الجزري عن
سليمان بن يسار عن عائشة قالت

«كُنْتُ أُغْسِلُ الْخِطَاةَ مِنْ
قُرْبِيِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِنْ نَفَعَ
الْمَاءُ فِي تَوْبِهِ» .

٢ — حدثنا قتيبة قال حدثنا يزيد
قال حدثنا عمرو بن سليمان بن يسار
قال سمعت عائشة (ح) وحدثنا مسدد
قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمرو
ابن ميمون عن سليمان بن يسار
قال .

«سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَنِيِّ
يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ «كُنْتُ
أُغْسِلُهُ مِنْ تَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ
وَأَمَرُ الْمَسْلُ فِي تَوْبِهِ بِتَقَمِ الْمَاءِ» .

(1) - due to sexual contact.

2. We are informed by Muhammad, who had it from Abu Ma'awiyah, who received it from Hishām b. 'Urwah, through his father, through 'A'ishah, who said.

" Fālimah Bint Abu Hubaish once came to the Prophet (Allah bless him and give him peace) and said: 'O Messenger of Allāh, I am a woman subject to constant menstrual discharge, and consequently I am never in a state of ritual purity. Am I then to give up prayer?' 'No,' replied the Messenger of Allāh (Allah, bless him and give him peace), 'it is only blood oozing from a vein, and not menstruation. When the period cometh, give up prayer, and when it passeth, wash away the blood (1) and perform thy prayer'"

Hishām stated that his father added "... and then perform a wudu' for each prayer, until thy period returneth "

CHAPTER 68.

On washing away semen when it is wet and rubbing it off when dry; and on washing away the stains from women's emanations resulting from intercourse

٢ - حدثنا محمد قال حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

«جاءت فاطمة ابنة أبي حنيفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنني امرأة أستحاض فلا أطهر فأدع الصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا، إنما ذلك عرق وليس يحسن، فإذا أفطنت حيضتك فدعى الصلاة وإذا أدبرت فامسحى بك الدم ثم صلى».

قال وقال أبو . ثم توضأ في لكل صلاة حتى يحض ذلك الوقت.

— ٦٦ —

بَابُ غَسْلِ الْمَنِيِّ وَفَرْكِهِ،
وَعَسْلِ مَا يُصِيبُ مِنَ الْمَرْأَةِ:

(1) Or — according to another version فامسح = take a ritual bath. This version expounds the allah in the text, since ritual bathing is always necessary after menstruation before prayer is admissible.

We are informed by Muhammad b. 'Ar'arah, who had it from Shu'bah, through Mansûr, through Abu Wâ'il, who said

"Abu Mûsa Al-Ash'ari used to be very particular in the matter of urine, and used to say that it was the practice among the Israelites, that if it soiled the garment of any one of them, he cut off the part affected."

Hudhaifah added: "Would that Abu Mûsa had been less strict, for the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once went to a public refuse-heap, and urinated standing."

CHAPTER 65.

On washing away traces of blood.

1. We are informed by Muhammad b. Al-Muthanna, who had it from Yahyâ, through Hishâm, who received it from Fatimah, through Asmâ', who said:

"A woman (1) once came to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and said: 'When one of us soiled her garment with menstrual blood, what dost thou consider she should do?' 'First she must rub the place dry,' replied he, 'and then wet it with water and rub it between her knuckles, and rinse it, after which she may pray in it.'"

حدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا
شعبة عن منصور عن أبي وائل قال:

«كان أبو موسى الأشعري
يُشدُّ في البول ويَقُولُ إِنَّ
نبي إسرائيل كان إذا أصاب ثوبه
أحدهم قَرَنَهُ.»

ثُمَّ قَالَ حَدِيثُهُ وَبَنِيهِ أَمَّا
أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَبَّاحَةً قَوْمٍ فَقَالَ قَاتِلًا.

— 16 —

بَابُ غَسْلِ الدَّمِ:

١ — حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا
يحيى عن هشام قال حدثني فاطمة عن أسماء
قالت

«جاءت امرأة النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت: أُرأيت إحدانا
تخيمض في الثوب كسيف تصنع؟
قال: تحسنة ثم تفرغها بالماء
وتنصحه وتصلِّي فيه.»

[1] i.e. Asmâ' herself, who seems to be prevented by a sense of delicacy from saying so (Al Asmâ', vol. II, p. 140)

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once went to a refuse-heap belonging to a certain family of *Ansār* and passed water on it standing. He then called for water, and when I brought it he performed his wudu."

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَبَّاحَةً قَوْمٍ قَالُوا قَائِمًا، ثُمَّ دَعَا
بِمَاءٍ يَجِيشُهُ بِمَاءٍ قَتَوَضًا»

- ٦٣ -

CHAPTER 63.

On micturating in the company of a friend and taking shelter behind a wall

بَابُ التَّوَلَّى عِنْدَ صَاحِبِهِ
وَالْتَسْتَرِ بِالْحَائِطِ.

We are informed by 'Uthmān b. Abu Shaibah, who had it from Jarīr, through Mansūr, through Abu Wā'il, through Hudhaifah, who said :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا
جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حَدِيثِ
قَالَ :

"I remember when once I was walking in company with the Prophet (Allāh bless him and give him peace), he went to a refuse-heap, belonging to a certain family of *Ansār*, behind a wall and stood up to pass water as any one of you might do. I kept away from him until he signed to me to come nearer. I did so, and stood close behind him⁽¹⁾ until he had finished.

وَرَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَسْمَانًا، فَأَتَى سَبَّاحَةً قَوْمٍ
خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ
أَحَدُكُمْ قَالُوا فَانْتَسَدْتُ مِنْهُ
فَأَشَارَ إِلَيَّ بِجِيشَتِهِ فَقُمْتُ عَنْدَ
عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ»

- ٦٤ -

CHAPTER 64

On urinating by a public refuse-heap. ⁽²⁾

بَابُ التَّوَلَّى عِنْدَ سَبَّاحَةٍ
قَوْمٍ

(1) — with the object of screening him

(2) This, and the two preceding hadiths, though transmitted by Hudhaifah, were received by Al-Bukhārī from three different authorities: the titles differing to suit Al-Bukhārī's deductions

Mālik, through Hishām b. 'Urwah, through his father, through 'A'ishah the Mother of the Faithful, who said

"The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was brought an infant who urinated on his gown. He called for water and simply poured it over the place." (1)

2. We are informed by 'Abu-ullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Ibn Sūhāb, through 'Ubaidullāh b. 'Abdullāh b. 'Utbah, through Umm Qais Bint Misar that:

She brought a baby son of hers, who was still a suckling, to the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace). He set him on his lap, when he wetted his gown. He called for water and simply sprinkled it on the place without washing it.

CHAPTER 62

On making water standing or squatting

We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, through Al-A'mash, through Abu Wā'il, through Hudheifah, who said :

أُتِيَ عَرَاءُةٌ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا
قَالَتْ

«أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَصَبِيحَةٍ قَبَالَ عَلَى كَوْنِهِ قَدْ عَا بِمَدِّ
جَارَتِهِ إِيَّاهُ»

٢ — حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ قَالَ
أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ أُمِّ خَيْسَ بِنْتِ
مَخْصُومٍ .

أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنِهَا صَغِيرٍ لَمْ
يَأْكُلِ الطَّعَامَ الرَّسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجْرِهِ فَقَالَ عَلَى
كَوْنِهِ قَدْ عَا بِمَدِّ فَضَخَخَهُ وَلَمْ
يَغْسِلْهُ .

— ٦٢ —

بَابُ السُّؤْلِ قَائِمًا وَقَاعِيًا :

حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ
الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ :

(1) The inoffensiveness of the urine of infants, whose diet is nothing but milk does not necessitate ceremonial washing, hence mere pouring of water over the place is sufficient.

pour a bucket (1) of water on the urine. Surely your mission is to make things easy and not to make them difficult.

(We are also informed by 'Abdān, who had it from 'Abdūlāh, who received it from Yahyā b. Sa'īd, who heard it from Anas b. Mālik, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) to this effect.)

CHAPTER 60

Water to be poured over urine.

We are informed by Khālid and also by Sulaimān, through Yahyā b. Sa'īd, who heard it from Anas b. Mālik, who said:

"A certain Bedouin came and started to micturate in a part of the Mosque. So the Faithful rebuked him, but the Prophet (Allāh bless him and give him peace) forbade them. When the Bedouin had finished, the Prophet (Allāh bless him and give him peace) ordered a bucket of water to be brought and poured over the place."

CHAPTER 61.

On the urine of infants.

1. We are informed by 'Abdūlāh b. Yūsuf, who had it from

بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْوِيًا مِنْ مَاءٍ -- فَإِنَّمَا يُبَشِّرُكُمْ مَيْسَرِينَ وَلَمْ يُبَشِّرُوا مُعَسِّرِينَ .

(حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يحيى بن سعيد قال سمعت أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا).

٦٠

بَابُ يُسَبِّرُ الْمَاءَ عَلَى السَّوْلِ :

حدثنا خالد قال وحدثنا سليمان عن يحيى بن سعيد قال سمعت أنس بن مالك قال :

« جاء أعرابيٌّ قبال في طائفة المستجدين فوجره الناس فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمَّا كَفَى بَوْلُهُ أَمَرَ ابْنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنْوِيٍّ مِنْ مَاءٍ فَأَتَاهُ بِقُرْبَى عَلَيْهِ ،

- ٦١ -

بَابُ بَوْلِ الصَّبِيِّ :

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن

(1) The narrator gives ذَنْوِيًا as an alternative for سَجَلًا (bucket).

CHAPTER 58.

On the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and the Faithful having left a certain Bedouin to finish micturating in the Mosque. (1)

We are informed by Mūsā b. Ismā'il, who had it from Hammām, who received it from Ishaq, through Anas b. Mālik that.

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) when once he saw a Bedouin micturating in the Mosque, said :

"Leave him alone." Then when the Bedouin had finished, he called for water, which was poured over the place.

CHAPTER 59.

On pouring water on urine in the Mosque.

We are informed by Abu-l-Yamān, who had it from Shu'ayb, through Az-Zuhri, who received it from 'Ubaydullāh b. 'Abdullāh b. 'Ubayy b. Mas'ud that Abu Hurairah said.

"A certain Bedouin stood up and started to micturate in the Mosque. So the Faithful shouted at him, but the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : 'Leave him alone and

— ٥٨ —

بَابُ تَرْكِ النَّاسِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسِ الْأَعْرَابِيِّ حَتَّى قَرَعَ مِنْ بَوْلِهِ فِي الْمَسْجِدِ

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا
همام أخبرنا اسحاق عن أنس بن
مالك :

أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى
أعرباً يبول في المسجد فقال :
« دعه » حتى إذا قرع كذا ماء
فصبه عليه .

— ٥٩ —

بَابُ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ
فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا أبو الهيثم قال أخبرنا شعيب
عن الزهري قال أخبرني عبد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن
أبا هريرة قال

قام أعرابي فقال في المسجد ،
فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم دعه وهم يقولوا على

(1) i.e. the Prophet's Mosque at Al Madīnah.

We are informed by Ya'qūb b. Ibrāhīm, who had it from Isnād b. Ibrāhīm, who received it from Rawh b. Al-Qāsim, who was told it by 'Alā' b. Abū Maimūnah, through Anas b. Mālik, who said :

"Whenever the Prophet (Allāh bless him and give him peace) went out to relieve his necessity, I used to bring him water, with which he washed himself."

CHAPTER 57 ()

We are informed by Muḥammad b. Al-Muthannā, who had it from Muḥammad b. Khāzim, who was told it by Al-A'mash, through Mujāhid, through Tāwās, through Ibn 'Abbās, who said :

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) was once passing by two graves, when he remarked: 'The two men in these graves are being tormented, though not for a major sin. One of them used not to guard against defilement from urine, and the other used to go about back-biting.' After that he took a green palm-branch, which he broke into two halves, planting one upon each grave. When he was asked, 'O Messenger of Allāh, why hast thou done this?' he replied: 'Haply it may lighten their punishment, so long as the branches are not withered.'"

(Ibn Al Muthannā stated that he also had it from Waki', who received it from Al-A'mash, who heard it from Mujāhid to the same effect - but using "guarding against his urine" instead of "against urine")

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثني
إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني روح بن
القاسم قال حدثني عطاء بن أبي ميمونة عن
أنس بن مالك قال :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
تَوَرَّعَ لِحَاجَتِهِ أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ يَغْتَسِلُ » .

- ٥٧ -

بَابُ

حدثنا محمد بن المنذر قال حدثنا محمد بن
عازم قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن
طاووس عن ابن عباس قال :

« عَرَفْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ
فَقَالَ : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ
فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ
لَا يَسْتَتِرُ مِنَ السُّبُولِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ
فَكَانَ يَمْشِي بِالسَّيْفَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ
جَرِيدَةَ زُرْطَةِ فَتَشَقَّقَهَا نِصْفَيْنِ
فَوَقَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً » قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا ؟ قَالَ :
لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَتَنَسَّاهُ »
(قال ابن المنذر وحدثنا وكيع قال حدثنا
الأعمش قال سمعت مجاهدًا يقول :
« تَسْتَتِرُ مِنْ تَوَلَّاهُ »)

(1) Al-Bukhārī gives this chapter without a heading, as he considers that the hadīth in question is almost identical with the one given under Chapter 55, and so is covered by the same heading. His object is to indicate the different channel of isnād which substantiates the authenticity of the hadīth although the text here is slightly different (Al-Amī)

of two men being tormented in their graves. Then the Prophet (Allah bless him and give him peace) said : 'These two men are being tormented, though not for a major sin.'

He then added : 'Nay, not so !' (1) One of them used not to guard against defilement from his urine, (2) and the other used to go about backbiting. (3) After that he called for a palm-branch, which he broke in o two pieces, placing one on the grave of each of the two men. When he was asked : 'O Messenger of Allah, why hast thou done this?' he replied : 'Haply it may lighten their punishment so long as the branches are not withered — or until they wither.' (4)

CHAPTER 56

On what hath been related in the Traditions on washing away the defilement of urine,

and on the words of the Prophet (Allah bless him and give him peace) about the man in the grave : "He used not to guard against defilement from his urine" — referring only to human urine. (5)

مَكَّة - فَسَمِعَ صَوْتِ إِنْسَانَيْنِ
يَعْتَذِرَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : 'يُعَذَّبَانِ وَمَا
يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَى كَانَا أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ
تَوَلِّهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالشَّمْسِ
ثُمَّ كَتَمَا بِحِزْبٍ يَدُهُ فَكَسَّرَهُمَا
كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ
مِنْهُمَا كِسْرَةً . فَقِيلَ لَهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ
لَقَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا كُنَّ
يُثَبِّتَانِ - أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسُتَا .

— 56 —

بَابُ مَا حَذَّرَ فِي عَمَلِ السُّوْلِ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِصَاحِبِ الْقَبْرِ : وَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ
مِنْ تَوَلِّهِ، وَكَانَ يَمْشِي بِحِزْبٍ يَدُهُ
فَكَسَّرَهُمَا كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ
مِنْهُمَا كِسْرَةً . فَقِيلَ لَهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ
لَقَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا كُنَّ
يُثَبِّتَانِ - أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسُتَا .

(1) The apparent contradiction is explained by Al-Qastallāni by supposing — either that the sin in question was not so difficult to avoid, or that it might appear a small thing in the eyes of man, but a serious one in the eyes of God. It is also suggested that the Prophet's change of mind was due to the immediate inspiration of the Angel Gabriel.

(2) The seriousness of this sin lies in the fact that it makes prayer impossible as defilement debarra a man from prayer, "the main pillar of Islām" (Al-Qastallāni).

(3) Similarly the sin of backbiting may lead to murder.

(4) The two readings are alternatives according to different narrators. Fresh plants are considered to be praising God in common with all living things, and so to convey a blessing to the dead (Ibn Hajar).

(5) Al-Bukhārī's object here is to refute Al-Khatib's inference from the last hadith that a urine is defiling. He wishes to add a rider that the urine of animals not fit for food is, like human urine, defiling, while that of animals fit for food is not.

2. We are informed by Khâlid b. Makhlād, who had it from Sulaimān, who received it from Yahyā b. Sa'īd, who was told it by Bushair b. Yāsār, to whom it was related by Suwaid b. An-Nu'mān, who said

"We once went out with the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When we reached As-Sahbā', the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) led us in the afternoon-prayer. When he had finished the prayer, he called for provisions, but nothing was brought but corn-gruel. After we had eaten and drunk, the Prophet (Allāh bless him and give him peace) stood up to the sunset-prayer. Having only rinsed his mouth, he led us in the prayer without a *fresh wudū'*."

CHAPTER 55.

It is one of the major sins not to guard against (1) defilement from one's urine.

"We are informed by 'Uthmān, who had it from Jarir, through Mansūr, through Mujāhid, through Ibn 'Abbās, who said:

"The Prophet was once passing a walled garden in A-Madinah—or Makkah - (?) when he heard the shouts

٢ - حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا
سليمان قال حدثني يحيى بن سعيد
قال أخبرني شعير بن يسار قال أخبرني
سويد بن النعمان قال :

« خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ حَتَّى إِذَا
كُنَّا بِالصُّبْحَانِ صَلَّى كُنَّا رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَصْرَ ،
فَلَمَّا صَلَّى دَعَا بِالْأَطْعِمَةِ فَلَمْ
يُؤْتِ إِلَّا بِالسُّوْجِ ، فَأَكَلْنَا
وَشَرَبْنَا ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَتَضَمَّرَ
ثُمَّ صَلَّى لَمْ يَغْتَسِلْ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

- ٥٥ -

بَابٌ مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ لَا
يَسْتَتِرَ مِنْ تَوَلَّهِ .

حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن
مصور عن مجاهد عن ابن عباس قال :

« مرُّ النبي صلى الله عليه وسلم
بحائطٍ من حيطانِ المدينة - أو

(1) Muslim's reading of *استتر* (to conceal oneself) is more probable from the sense. Some commentators have connected *استتر* with *عوره* (pudenda) and explained it as meaning "exposure of the parts"; but this is not borne out by the meaning of *من التبول* which determines 'urine' and not "pudenda". (Ibn Bajar)

(2) The narrator (Jarir) is doubtful as to which, but A. Bukhārī himself mentions Al-Madinah as certain in the book of "Adab." The garden was known to belong to Umm Mubashshir, a woman of Al-Madinah (Al-Qastallānī)

"If any one of you is overcome by slumber while he is performing his prayer, let him lie down until sleep have passed from him; for if any one of you performeth his prayer while he is overcome by slumber, he knoweth not that haply he may wish to ask pardon of Allāh, but call down a curse upon his soul."

2. We are informed by Abu Ma'mar, who had it from 'Abdu-l-Wārth, who was told it by Ayyūb, through Abu Qilābah, through Anas, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

"If any one of you is overcome by slumber during his prayer, let him sleep out until he is able to know what he reciteth "

CHAPTER 34.

On the performance of a *fresh wudū'* when no accidental impurity hath taken place.

1. We are informed by Muhammad b. Yūsuf, who had it from Sufyān, through 'Amr b. 'Amir, who heard it from Anas; also we are informed by Musaddad, who had it from Yahyā, through Sifyan, who received it from 'Amr b. 'Amir, through Anas, who said

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform a wudū' with every prayer "

When 'Amr b. 'Amir asked the Companions what they themselves used to do, Anas replied "Each one of us was content with a *single wudū'*, so long as there had not been an accidental impurity "

وَإِذَا بَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَتَوَضَّأْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَذَرِي لَعَلَّهُ يَسْتَعْفِفُ فَلْيَسْبِ بِنَفْسِهِ .

٢ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَدِ الْوَارِثُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
وَإِذَا بَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَتَوَضَّأْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ .

- ٥٤ -

بَابُ الْوُضُوءِ مِنْ غَيْرِ حَدَّثِ

١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدَانِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا (ح) قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَذَرِي لَعَلَّهُ يَسْتَعْفِفُ فَلْيَسْبِ بِنَفْسِهِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَذَرِي لَعَلَّهُ يَسْتَعْفِفُ فَلْيَسْبِ بِنَفْسِهِ .
قُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : نَحْنُ نَحْنُ أَحَدُنَا الْوُضُوءَ مَا لَمْ يَكُنْ غَدِثٌ .

2. We are informed by Asbagh, who had it from Ibn Wahb, who received it from 'Amr, through Bukair, through Kuraib, through Maimūnah that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) ate shoulder of mutton at her house, and then performed his prayer without a *fresh wudū'*.

CHAPTER 52.

Should the mouth be rinsed after drinking milk ?

We are informed by Yahyā b. Bukair and Qulaibah, who both had it from Al-Laiṭh, through 'Uqail, through Ibn Shihāb, through 'Ubaid-ullāh b. 'Abdullāh b. 'Utbah, through Ibn 'Abbās that :

The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) drank milk and then rinsed his mouth saying " Milk containeth fat "

(This narration is confirmed as fellow-witnesses to 'Uqail by Yūnus and Sālih b. Kaisān, through Az-Zuhri.)

CHAPTER 53.

On wudū' after sleep ; and on one who doth not see the necessity for a *fresh wudū'* after being overcome once or twice by slumber, or once nodding with drowsiness.

1. We are informed by 'Abd-ullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Hishām, through his father, through 'A'ishah that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

٢ - حَدَّثَنَا أَصْبَغُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ نَكِيرٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ مَيْمُونَةَ :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ عِنْدَهَا كَتِفًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ

٥٢ -

بَابُ : هَلْ يُمَضَّمُ مَنْ اللَّسَانِ ؟

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ نَكِيرٍ وَتَيْفَةُ قَالََا حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَضَمَّضَ وَقَالَ : إِنْ لَهُ دَسَمَاءٌ .

(تَابِعَهُ يُونُسُ وَصَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ الزُّهْرِيِّ)

— ٥٣ —

بَابُ الرُّضُوءِ مِنَ النَّوْمِ . وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَالتَّعَسُّفِ بَيْنَ أَوَّلِ الْحَقِيقَةِ وَرُضُوءٍ

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

2. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who had it from Al-Ladhî, through 'Uqail, through Ibn Saïhab, who received it from Ja'far b. 'Amr b. Umayyah, who was told by his father that,

He saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) cutting a slice off a shoulder of mutton (?) when he was called to prayer. He threw down the knife, and performed his prayer without a *fresh wuddû*.

CHAPTER 51

On one who rinsed his mouth after eating corn-gruel, without performing a *fresh wuddû*.

1. We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Saïd, through Bushair b. Yasâr the freedman of Baû Hârithah, who was told by Suwaid b. An-Nâman, that,

He once went out with the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When they reached As-Sahuât, which is the nearest approach to Khaibar, (2) he performed the afternoon prayer, and then called for provisions. As no hung and roast corn was brought, he commanded it to be made into gruel, of which he partook, as we also did. He then stood up to the sunset-prayer, and having only rinsed his mouth, as we also did, he performed the prayer without a *fresh wuddû*.

٢ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا
الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني
جعفر بن عمرو بن أمية أن أباة أخبره:
أنه رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحنث من كسيف شاة فدعى
إلى الصلاة فالتقى السكين ف صلى
ولم يسوئاً.

- ٥١ -

باب من مضمض من السويق
ولم يسوئاً:

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف
قال أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد
عن بشير بن يساف مولى نفي حاركة
أن سويد بن النعمان أخبره

أنه خرج مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا
بالصناب ومنى أذن جبير - ف صلى
المغرب ثم دعا بالأزواد فلم يؤت
إلا بالسويق، فأمر به فثرى
فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأكلنا ثم قم إلى المغرب
فمضمض ومضمضنا ثم صلى
ولم يسوئاً.

(1) In another version — ' and eating it.

(2) — from Al-Madfnah

that he saw the Prophet (Allāh bless him and give him peace) pass *his wet hands* over his *urban* and his *boots*.)

CHAPTER 49.

When a Muslim putteth on his shoes having his feet ritually clean

We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Zakariyyā, through 'Amir, through 'Urwah b. Al-Mughirah, through his father, who said :

"I was once with the Prophet (Allāh bless him and give him peace) on a journey, and as I was proceeding to take off his shoes, he said :

'Leave them on, for I put them on having my feet ritually clean'. He then passed *his wet hands* over them."

CHAPTER 50.

On him who doth not see the necessity for a *fresh wudū** after eating mutton or corn-gruel; (†)

and on Abu Bakr, 'Umar and 'Uthmān (Allāh be well-pleased with them) having eaten meat without performing a *fresh wudū*.

1. We are informed by 'Abdullah b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Zaid b. Aslam, through 'Atā' b. Yasar, through 'Aḥdullāh b. 'Abbās that :

The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) ate shoulder of mutton, and then performed his prayer without a *fresh wudū*."

الله عليه وسلم يمسح على عمامته وحفيه .

— 49 —

بَاب . إِذَا أَذْخَلَ رِجْلَيْهِ وَهُمَا طَاهِرَتَانِ :

حدثنا أبو يعقوب قال حدثنا زكرياء عن عامر عن عروة بن المعيرة عن أبيه قال :

« كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأمروني لا نزع حفيته فقال ذعهماني فإذ أدخلتهما طاهرتين . فمسح عليهما . »

— 50 —

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ مِنْ لَحْمِ الشَّاةِ وَالسُّوْبِقِ .

وَأَكَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَثُمَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَتَوَضَّأُوا

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتيف شاة ثم صلى ولم يتوضأ . »

(†) = *اللوبق* = roast barley or wheat, ground ready for mixing with water, milk or broth. The point of the hadīth is that if the wudū is not necessary after eating greasy food such as mutton, it is still less so after other kinds of food such as sawiq (corn-gruel).

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY Cairo

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم بن محمد المولى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

CHAPTER 48 (continued)

3. We are informed by Asu Nu-
'aim, who had it from Shaibân,
through Yahyâ, through Abû Salamah
through Ja'far b. 'Amr b. Umayyah
Ad-Damri, whose father told him that.

He had seen the Prophet (Allah
bless him and give him peace) pass
his wet hands over his boots.

(Haith b. Shaddad and Abân con-
firm this narration as fellow-witnesses
with Shaibân through Yahyâ etc.)

4. We are informed by 'Abdân,
who had it from 'Abdullâh who
received it from Al-Awzâ'i, through
Yahyâ, through Abû Salamah,
through Ja'far b. 'Amr, through his
father, who said :

"I saw the Prophet (Allah bless
him and give him peace) pass *his wet
hands* over his turban and his boots."

(Ma'nar as fellow-witness
with Al-Awzâ'i confirms this nar-
ration through Yahyâ, through Abû
Salamah, through 'Amr, who stated

كتاب الوضوء

باب ٤٨ (تابع ما قبله)

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شيبان
عن يحيى عن أبي سبرة عن جعفر بن عمرو
ابن أمية الضميرى أن أباه أخبره :

أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح على الخفين .

(وثابته حرب بن شداد وأبان

عن يحيى .)

٤ - حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله
قال أخبرنا الأوزاعي عن يحيى عن
أبي سبرة عن جعفر بن عمرو عن أبيه قال :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح على عمامته وخفيه . »

(وثابته معمر بن يحيى عن

أبي سبرة عن عمرو قال : رأيت النبي صلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٥ —

مقومات النظر والتفكير

.....

الإنسان مفلطور على النظر والتفكير ، لا يستغنى من آحاد نوعه فرد واحد . وهذا سر ترقيه في العلم والعمل ، والصنائع والفنون ، ولولا هذه الخصائص فيه لبق كما بقيت جميع الأنواع الحيوانية على ما كان عليه لم يبرحه قيد خطوة . ولكن الذي يجيل نظره في أفراد وجماعاته يرى تفاوتاً كبيراً بين ثمرات هذه القوى فيهم . فالساعة التي يراها الرجل التمدن مجموعة من آلات دقيقة ركبت تركيباً خاصاً لتدير ثلاث إبر دورات معينة : أولاهما تشير إلى الساعات ، وثانيهما إلى الدقائق ، والثالثة إلى الثواني ، لمعرفة أوقات الليل والنهار ، يتخيلها الرجل المتوحش كأنها حيا مستدلاً على حياتها بدقاتها المتوالية .

فالنظر والتفكير يحتاجان لملم يغذيهما ، وإلا وقعا في إخلاء فاحشة ، وتؤدي إلى نتائج وحمية . وهذا العلم يجب أن يكون دائم الترقق ، وإلا وقفت هذه النتائج عند حد ، ووقف ارتقاء الإنسان عنده . ومن يتأمل في تاريخ الفلسفة الطبيعية يجد عجايباً من ثمرات علمية باطلة ، تنبت من استدلالات فاسدة .

إن صحة الثمرات الفكرية لا تتوقف على العلم وحده ، ولكن على الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية أيضاً . فقد تشاهد أمة بلغت من العلم مدى بعيداً ، ومن الصنائع

والفنون غاية قاسية ، ولكن ثمراتها الفكرية فيما يختص بالشئون العالمية قاصرة قصورا فاضحا . فهي ترى أن الحق للقوة ، وأن العدل يتلون بألوان شتى ، على حسب المصلحة ، وعلى حسب حال من يطبق عليه ، إن كان أبيض أو أسود ، غنيا أو فقيرا ، موطنا أو أجنبيا . وترى أن الصفات النبيلة من الرحمة والعطف والأبشار ضروب من الضعف النفساني ، لا يجوز أن تمثل بين صفات الرجولة التي تشيخها ، حتى ذهب بعض غلاة الاشتراكيين إلى وجوب إبادة كل ضعيف وذئ عاهة في المجتمعات حتى لا يبقى إلا الأقوياء وحدهم ، بحجة أن وجود هؤلاء الضعفاء والزمنى يضعف المجتمعات ، ولومن طريق إعالتهم .

فهذه الجماعات العلمية إلى أقصى حد ، تنحط كما ترى من ناحية إنسانيتها إلى أسفل دركة ، ويمدو تشدها في الأثرة على كيانها ، فلا تلبث أن تحركها الفتن الأهلية عرك الأديم ، وتعضها مخض السقاء ، لتوقظ منها إنسانيتها الثائمة .

أفلا يكون من أعجب العجب أن الاسلام الذي نشأ في أبعد بلاد الله عن النظام والاجتماع والمدنية والعلم ، محتاط للثمرات العقلية كل الاحتياط ، ويتخذ لها جميع المعدلات ، لتأتي سديدة محكمة ، تنفع الجماعة التي تقدم اليهم ، وتقوّم عوج الجماعات التي تحتك بهم في ممارستها لحياتها الاجتماعية ، وليضرروا مثلاً عالميا أعلى لما يجب أن يكون عليه للنظر والتفكير في جميع الأحوال التي تلتاب الانسانية ، من ضعف وقوة ، وفشل وفوز ، وتقهقر أو تقدم .

فلنا إن الانسان مفطور على النظر والتفكير ، فجاء لاسلام وهو دين الفطرة يفرضها على أهله فرضا ، مناقض بذلك الأديان التي تحرمها على أهلها تحريما باتا خشية أن توصل بعض أفرادها إلى اليقظة فيثوروا على قادتها ويحاسبوهم على ما يقترون . فاتفق الاسلام من هذه الناحية وما يرى إليه العلم والفلسفة ، ولكنه يزمها باشتراطه على أهله أصولا يقومون بحققها ، وآدابا يراعونها ، تكفل لهم الوصول

إلى الحق، أو بالقليل لا تطرح بهم عنه إلى مكان سحيق، لذلك جاءت ثمرات تفكير أهل واستنتاجاتهم، حتى في العهود التي لم تكن العلوم فيها قد وصلت إلى درجتها الراهنة، باللغة أقصى ما يمكن أن تصل إليه من الصعوبة وحسن التقدير.

فالأمر الشرعي الذي دونه الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً نبز في عدالة أصولها، وسمو مستواها، واتفاقها والحق الطيبي، جميع القوانين الوضعية حتى التي سُنّت في القرن العشرين. فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء المسلمين كانوا أعلم من فقهاء العصر الراهن بجميع فروع المعارف البشرية، فتوصلوا إلى استنباط شريعة من كتابهم وسنة رسولهم أرق من قوانين العصر الحاضر بحكم تفوقهم في العلم على المعاصرين؟ هذا غير معقول، ولكن الذي يمكن أن يقال أن الأصول التي كانوا يدينون بها، والآداب التي أمروا أن يراعوها، كانت أرق مما لأهل العصر الحاضر، فجاءت ثمرات تفكيرهم وتهكيرهم أرفع درجات من ثمرات تفكير المعاصرين.

إن من يتأمل في التشريع الذي استنبطه علماء المسلمين في الرق والأرقاء، وفي المرأة وما يتعلق بها من حقوق طليعية وروحانية، وفي الأيتام والفقراء، وفي حقوق المحاربين وللمهدين والأجانب والذميين، وفي الشئون المدنية والجنائية، وفي العقوبات والعقوبات الخ، من يتأمل في هذا كله يجد تفوقاً طاهراً في التشريع الإسلامي على التشريع الأوروبي في القرن العشرين، وهذا خلاف ما كان ينتظر، فإن التقدم مطرد في كل فرع من فروع المعارف البشرية، ومنها تقنين القوانين، فتفوق السابق منها على اللاحق بضو ثلاثة عشر قرناً يعتبر أعجوبة الأعاجيب لمن يريد أن يفهم المسألة على أساليب الأمور العادية، وهو مصداق لما قلناه من أن للأصول الأدبية والحالات النفسية، تأثيراً كبيراً في تقويم النظر والتعقل والتفكير.

هذا في الناحية الأدبية البحتة، وهو في الناحية العلمية ظاهر أيضاً لكل من يعنى بدراسته من الباحثين. فإن المعروف أن المسلمين الأولين انصرفوا إلى تحصيل العلوم

بمسد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين كما يعترف بذلك الأستاذ (دريبر) في كتابه المنازعة بين العلم والدين . فبدعوا بتدريس الفقه واللغة والتفسير والحديث والتاريخ ، ولما اختلطوا بالأثم شرعوا في نقل علومهم الى اللغة العربية ، وأمعنوا في تفهمها وتدبرها ، ولم يمتض عليهم روح من الزمن حتى برعوا فيها ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل زادوا في مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة أضافوها اليها ، وما مضى على حركتهم هذه قرنان حتى أصبحوا أئمة لها في الأرض .

فإذا أردت أن تعرف هذه السرعة التي هضموا بها المعلومات وانتفعوا بها الى أقصى حد ، وجدهتها نرجع الى الأصول الأدبية ، والبادئ الخلقية التي أقامهم الاسلام عليها . وبيان ذلك أن الاسلام بت في أهله حب الحقيقة وإكبارها الى أقصى حد ، باعتبار أنها هي الناية المرجوة من الحياة ، وأن ماعداها هو الضلال المحض : « فإذا بمد الحق إلا الضلال » .

ويشتم لهم من ناحية أخرى أن الحقيقة بنت البحث ، وأنها ليست بوقف على طائفة من الطوائف ، ولا فرد من الأفراد ، وأنه لا يُوصل اليها بالجود على الموروثات القديمة ، والتعصب للأراء المقررة ، ون على السلم أن يتناولها ولو من ألد أعدائه ، فهي ضالة للمؤمن يلتقطها أنى وجدها ، وأنه ليس بباب أن يقول الانسان اليوم بقول ثم ينتقل منه الى غيره متى بدا له وجه الصواب فيه ، وأن العلم إذا لم يقرن بالعمل فلا خير فيه ، وأن كل علم لا يقام عليه دليل فلا يصح أن يسمى علما ، وأن التقليد مذموم ، فإن كان لابد من الاتباع في العلم وجب أن يكون اتباعا على بصيرة ، لا على تسليم مجرد من البيئة . وأن العلم لا حد له ، وأن الانسان أهل لأن يبلغ منه مالا يتخيه تخيلا .

هذه الأصول القيمة التي أثريها الاسلام لأتباعه ، دفعتم لتلمس الحقيقة في كل شئ : في الأرض وفي السماء ، وفي أنفسهم ، وفيما بين أيديهم وما خلفهم ، وفي بلادهم وخارج بلادهم ، غير متعمقين لمذهب ، ولا جامدين على رأى ، ولا واقفين عند حد .

فبهذه الروح التوثيقية درسوا كل فلسفة ، وحلّلوا كل مذهب ، فلم يفهم من الأخذ بأحسنها أصل من كتاب ، ولا مبدأ من سنة ، بل قد محروا الأحسن منها مدفوعين بأصول كتابهم ، ومبادئ سننهم ، فإذا اعترضهم نص منهما تخيلوا فيه نقضا لما قامت لهم الأدلة العقلية والطبيعية على صحته ، صرفوا ذلك النص عن ظاهره بحكم أصولهم الأولية ، لا تلاعيا منهم بمقرراتهم الدينية . لذلك ذهب المسلمون الأولون مذهب العلوم في كل ما قرره ، غير مقيدين بقيد ، ولا مرتبطين بشرط ، فتأدوا إلى أبعد مما وصل إليه الذين كانوا قبلهم بمراحل لا تسكاد تحصى . وقد أثبت مؤرخو الغرب أنهم وصلوا إلى نظرية تحول لأنواع بعضها من بعض ، وقتلوا بحثا وتقليد ، وسروها حتى على المعادن ، أي زادوا على ما ذهب إليه الغربيون من وقفها عند حد الأحياء . وقد ثبت رأى المسلمين أخيرا ، فقد ظهر أن العناصر المعدنية المعروفة اليوم متحولة بعضها عن بعض ، وأن الفلزات أجسام مركبة لا بسيطة .

أين هذه الحرية العلمية المطلقة ، من القيود الحديدية التي كبل بها رجال الدين في أوروبا الباحثين أيام كانت لهم السلطة العليا فيها . فقد اختاروا أولا مذهب أفلاطون وتعصبوا له كل التعصب ، وأوقعوا بالذين يفضلون عليه مذهبا آخر أشد العقوبات . ثم غيروا وبدلوا في مذهب أرسطو ، واتخذوه قاعدة لبحوثهم ، وتشبهوا له تشيما عظيما حتى كانوا يسومون الذين يناهضونه أشد المذاب .

أما المسلمون الأولون فلم يأتهم لما درسوا هذين المذهبين تخيروا أولاها بالتحويل عليه ، غير مقيدين بقيد ، ولا مأخوذون بشرط ، فوقع احتيارهم على مذهب أرسطو لأنه يعمل على التجربة ، ويؤدي إلى نتائج عملية ، دون الأول ، فلم يأن عقله على محض ، وربما تخطاه إلى الخيال وما إليه .

يتبين مما مر كله أن للأصول القويمة ، والمبادئ الأدبية ، تأثيرا كبيرا على صحة النظر والنقل والتفكير ، وقد رأيت أنها أدت المسلمين إلى درجة من التفوق لم تنالها

أمة قبلهم ولا بعدهم ، على قلة المادة العلمية في عهدهم ، بالنسبة الى الموجود منها في العصر الحاضر .

إن نظرية التفاضل بين قوميات ، وبين أصحاب الألوان والأديان ، وبين أصحاب الألقاب ، لا تزال سائدة في العالم المتمدين ومعمولاً بها في التقنين والتشريع ، وقد هدمها المسلمون وعفوا على آثارها وعدوها من بقايا الجاهلية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . عملاً بأصول كتبهم وسنة رسولهم . فتأمل الى أى مستوى من السمو تصل صحة النظر والتعقل والتفكير رغمًا عن قلة المادة العلمية ، تيمد لسمو الأصول ، ورفعة المبادئ ، لأدبية .

يجب أن يعرف المسلمون هذه الخصائص لدينهم ، وأن يشبعوها شرحاً ، ويوفوها بحثاً ، وينوهوا بها في مشارق الأرض ومغاربها ، فهي على طرافها حقائق فلسفية لا يجوز أن يغفلها الباحثون في تاريخ العقيدة الانسانية وتاريخ المبادئ والأصول .

وبعد : فهذا وجه من وجوه الروح الإسلامية ومدى تأثيرها في النفس البشرية ، وهو تأثير لو وصفته بأنه عظيم لمضغته حقه ، فإنه إن كان الانجليز يفخرون بأنهم شعروا بالروح الدستورية من القرن الثالث عشر للميلادى ، وشرعوا يطبقون نظمهم عليها في خلال العصور ، حتى أتموا دستورهم في القرن السابع عشر ، وإنه إن كان الفرنسيون يتيهون بأنهم قرروا الحقوق الطبيعية للإنسان في أواخر القرن الثامن عشر ، فماذا يفعل المسلمون وقد بلغوا الى أوج المبادئ الدستورية ، وانتهوا الى أبعد غايات الحقوق الانسانية قبل غيرهم بنحو ألف ومائتى سنة ؟

فهم إنهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه اجتهاداً منهم ، ولكن بواسطة الوحي الإلهى ، فإن كان ليس لهم أن يتيهوا ويفخروا بالوضع والابتكار ، فاهم أن يتيهوا ويعجبوا بأنهم أول من عملوا بهذه المبادئ في الأرض ؟

محمد فريد ومجدي

سوانح ومقتبسات

قرأت للدكتور الفاضل صاحب العزة عبد العزيز بك اسماعيل مقالا شريفاً هذه المجلة يقول فيه : « فالإنسان الذي لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلاً مهما عرف ، لأن قوانين السنن الطبيعية لا حد لها . فبيح من قلبي شعوراً بتلك السوانح ، فكان مبدأ الإلهام بها ، والاستعداد لها .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر ذلك الدكتور الذي جمع من نواحي السكال ما لا يكاد يوجد إلا في أفئدة الرجال . فأبأن لنا من أسرار القرآن الطيبة ما يعد آية الآيات ومعجزة المعجزات .

وقد أذكرني ذلك ما كان يفعله المرحوم الدكتور « توفيق صدق » في آيات القرآن الفلكية وما فيها من الأسرار . (وهكذا لا يزال القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات على بحر العصور والأوقات) .

أسأل الله أن يديم عليه هذا التوفيق في دينه القويم وعلمه الواسع وقضاه الكبير ، وأن يطيل حياته للعلم والدين ، وأن يكثر من أمثاله بمنه وكرمه ؛ وهذه هي السوانح :

١ — الفضيلة تستحيل رذيلة في النفوس الخبيثة كما تستحيل الأغذية العلية إلى فساد في المعدة الضعيفة . (ومعدن الكبريت يقلب ما يحل فيه من الماء الزلال إلى طبعه) .

٢ — إن النواميس كثيرة لا تسكاد تحصى ، فللابدان نواميس ، وللأرواح نواميس ، وللموالم الغيبية نواميس ، في كل واحد منها ما لا يدره إلا الله تعالى . بين في عالمنا هذا من النواميس ما لا يأتي عليه العد . وإن شئت فانظر إلى ما لا يحصى من أنواع الحيوان تجد نواميس الحيوانات الدنيا غير نواميس الحيوانات العليا ، ونواميس حيوانات الهواء

غير نواميس حيوانات الماء الخ . فسيحان من خلق فسوى وقد رفهى . ولا يمكن مخلوقا من المخلوقات أن يسلك غير ما رسم له من الطرق ، ولا أن يعرف ما هو مستعد له من المعلومات . فليعلم الانسان أنه لا يمكنه أن يتكلم في علم من العلوم ولا صنعة من الصنائع ولا حرفة من الحرف إلا إذا كان راسخا فيها تمام الرسوخ .

وبودى لو عرف الناس تلك الحقيقة وعرفوا أن الرسوخ لازم في كل شيء ، وأن بين التعلم السطحي والرسوخ في الأشياء ما بين السماء والأرض ، وأن هناك أشياء لم تخطر لنا على بال وهي ذات نواميس واسعة وأحكام كبيرة . ولو عرف الناس سعة العلم وجهل النفوس وضعف البشرية لاستراح العالم من متزعة بهمهم بعضا . وقد أذكرني هذا قول الرئيس ابن سينا . « إن البلاءة (أو النباوة) خير من الفطنة البتراء » .

٣ — قال بعض المحققين : « إن معرفة الله ضرورة من حيث للعقل دون الحس ، ولتذكر كبيرها كالتذكر بالضروريات كاللوث » .

لكن ضرورة الحس ليست كضرورة العقل ، فإن ضرورة الحس فيها جذب وفسر وإكرام . وأما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا والحس يتنازع فيها لا يعرفه . وقد تقع الشبهة في ذلك للعقل ، فيفتاط عليه الحال ولا يدري التفرقة بين ما علم وما جهل فإن شئت فقل هو مستدل عليه . وإن شئت فقل هو يهدي ، على حسب غلبة العقل أو الحس .

من يستدل بترقي من الجزئيات إلى السكليات ، ومن الأدنى إلى الأعلى ، وهناك من تنقذ في نفسه السكليات فينجدر منها إلى الجزئيات ، وقليل ما هم .

٤ — لا بد من تقليد الأنبياء في بعض ما جاءوا به ، لفصوص الأفهام عن مغزى كثير من الشرائع . والطفل الذي يملأ الحمية في الكلام عن الحقائق ولا يكون عنده مبدأ التقليد ، يستحيل تكميله ، لأنه بمقتضى قصوره الطبيعي لا يمكنه إدراك الحقائق على ما هي عليه ، وبمقتضى حرمة المفروضة لا يقتنع إلا بما عرف ، ولا يمتثل

إلا لما أدرك. والناس يجانب الأتباء، أو نقول يجانب ما أودع في العوالم من القوانين الروحانية والجسدية والنواميس التي لا يحيط بها محيط، والعلوم التي لا يحصى عددها إلا الله، والأسرار التي اعترف الفلاسفة الحداثيون والسابقون بقصورهم أمامها — أقل من الطفل يجانب الرجل وإذا كان الناس لا يصدقون إلا بالبرهان في كل مسألة دينية لم يمكن أن يكونوا متدينين، إذ يستحيل الوصول إلى برهان تام في كل مسألة إذا كان التصديق موقوفاً على البحث في كل مسألة، كما هو شأن المتفهبين اليوم. والانسان لا يمكنه أن يصل إلى مدينة تامة ما لم يكن هناك أسس صالحة لذلك.

أما إذا كان محتاجاً إلى اللبس الضروري والمسكن الضروري والمأكل الضروري ولا يرجع ذلك كله إلا إلى نفسه ولا يقبل من أحد شيئاً، فاجدر هذا أن يموت قبل أن يستنبت ما يأكله وما يلبسه، وقيل أن يصنع الآلات اللازمة لذلك؛

وما أعجز الانسان أن تشيد دنيا طويلاً عريضة من العدم فكذلك لا يمكنك أن تشيد لإنسان غير مسمك ولا واثق بك ولا مقلد إياك ولا عنده شيء من أصول الخير، دنيا ينازعك في الصغير منه والكبير، ويريد على جهله وسذاجته أن يكون رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء. (وإلا فأنت بمنزلة من أراد أن ينشئ دينا من العدم).

• — ينبغي أن يكون الانسان مجتهدا ومقلدا، فيكون مجتهدا فيما هو راسخ فيه متمكن منه، ويكون مقلدا غيره فيما عنده، ولا بد من ذلك، وإلا لم ينتظم العالم، ولم يصل أحد إلى سعادته. ولنعلم أنه لا يوفق لعلمه ما لم يصل إلى ذلك الرسوخ، ولا يمكنه أن يصل إلى تلك الدرجة إلا في بعض الأشياء فقط، وهو في حجاب عما عند ذلك لا يكاد يعرف حقيقته وروحه. فيجب عليه أن يكون مقلدا في غير هذا الذي رسخ فيه، مسلما لأهل الرسوخ من ذويه، لأنه لا يمكنه الرسوخ في كل شيء كما قلنا.

ومن طلب غير ذلك فقد سعى في إفساد النظم ، وادعى معرفة كل شيء ، وذلك من خصائص الألوهية .

٦ - فلسفة القرآن فوق كل فلسفة . وليست هذه الأشياء الروحانية والحنائق العالية التي فيه إلا فلسفة علت عن كل فلسفة ، حتى إن كثيرا من الناس عدوها خرافة لبعدها ما بينه وبينها ، وما عرف حقائقها إلا الراسخون في العلم (ونظر الى مثل قوله : « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يحدثون » وقوله : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وقوله : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » الى غير ذلك ، واستجبل ما فيها من أسرار وأنوار) .

أما سياسته في مخاطبة الخلق وذكر تلك الحقائق العالية بما ينسب ظاهره العامة وباطنه الخاصة ، فهو عمل الإعجاز . ولا يمكن الفيلسوف أن يقف أمام ذلك إلا باهتا مدهوشا لا يستطيع سلوك تلك المسالك . وغاية ما يمكنه إن كان راسخا في فلسفته ذا بصيرة تامة أن يعرف فلسفة القرآن ويوصل الى مراميها .

أما انتهاجه نهج القرآن فخارج عن طوق البشر .

٧ - بلغ الناس الآن في الأمور العملية والمخترعات المادية ، ونشهد لهم بهذا . ولكن ما أجهلهم في النظريات ومعرفة البراهين والملازمات ؛ فكثيرا ما يشتبه عليهم المصاحب بالملازم والمعد بالمدعى والشرط بالمفوض .

وعلى الجملة فهم يريثون من الفلسفة والنطق . وما أكثر غلطهم في الاستدلال غلطا كان يضحك من مثله الأولون ؛

فلئن جهل الأقدمون كثيرا مما أوصل اليه العمل ، فما أجهل هؤلاء بطرق الاستدلال وشروط البرهان ، وما أبعد عما يقوى العقول ويتمع لأرواح وزج بالإنسان في عالم الروحانيات ، ويبعده عن عالم الظلمات والآفات ؛ فما أضعف دولة العقل وحظ الفلسفة اليوم على الرغم من دعاوى المدعين وفيهة المتفهمين ؛

٨ - قال في الأسفار: إن المادة لا تفعل في شيء، إلا إذا كانت على وضع خاص منه. فلا يمكن أن تفعل في نفسها ولا في قواها الطبيعية، لأنها ليست ذات وضع بالنسبة إلى ما فيها من القوى. فلا يمكن أن نخرج الكامن فيها من القوة إلى الفعل، بل لا بد له من شيء آخر يخرج به، لأن ما بالقوة لا وجود له، وما لا وجود له لا يدعى لوجوده. ففيض الوجود هو باري الصور المصور القادر.

وأما هذه الأشياء فهي معدات وشروط، لا فاعلة ومنفصلة، ولا معنى لأن تهب الصور، ولا لأن تكون فاعلة. فإن كفايات المادة هي من جنس الحرارة والبرودة، فلا تفعل إلا ما تفعله الحرارة والبرودة الخ.

وأما إفاضة الصور وحفظ الأجزاء بالإمداد عليها وتوحيدها كل ما فقدت من أجزائها وحفظ الاتصال بين أجزائها على الصورة الخاصة مع ما فيه من دقائق الصنع، ففعل أن يكون من فعل المادة. ثم نقول إنها لا تفعل إلا بما فيها من القوى الطبيعية، ولا يمكن أن توجد في نفسها تلك القوى الطبيعية، لأنها بدوتها خالية من كل قوة، فكيف توجد ما في نفسها وهي لا تكون هي إلا بوجودها فيها، إلى آخر ما لعلنا نفيض فيه بعد، إن شاء الله.

يرسف الربوي

من جماعة كبار العلماء

للحلم بواد رحمتي صفوة

وفد النائمة الجعدي على النبي صلى الله عليه وسلم فأشده فيه قصيدته الرائية حتى انتهى إلى قوله منها:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أف يسكدر
قال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا يفيض الله فاك أفعاش مائة وثلاثين مرة لم تنفض له نية.

الإسلام والطب الحديث

بحوث ديبية علمية

«وَذُ أَخْذَرْتُكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَأَشْهَدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» الآية ١٧٢ سورة الأعراف .

هذه الآية الكريمة تنص على أن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم . والمعروف أن الخصى موضوعة في الجزء الأسفل لاني الظهر ، ولكن الله تعالى يتكلم عن خالق الانسان وذريته ونشأته ، ولذا هو يتكلم عن علم Empryology أو «علم الأجنة» ، ويتكلم عن الجزء الذي يخصص للنطفة في جسم الجنين ، وهذا الجزء في الظهر عند أسفل الكليتين تماما ، ومن هنا تنمو الأعضاء التي تتكوّن الخصيتين ، وتبقى في الظهر تحت الكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ، ثم تنحدر الى أسفل ، وعند الولادة تكون في مركزها الطبيعي المعتاد . وقد يتأخر الانحدار أحيانا ويولد الشخص وخصيتاه في البطن ، ويسمى هذا في الطب الخصى غير النازلة .

فالآية الكريمة تشير والحالة هذه الى النقطة الأصلية في جسم الجنين التي تؤخذ منها النطفة ، وهذه هي الظهر بلا شك . ولما كان علم تشريح الجنين لم يتقدم إلا في مائة السنة الأخيرة ، فإن هذه الآية تعد في حكم المعجزات ، وتثبت أن القرآن لا يأتيه الباطل أبدا .

وكذلك مركز البيض في أنثى جنين ، فإنه في الظهر تحت الكلية تماما ، وسواء أكان الانسان ذكرا أم أنثى فإن الذرية تؤخذ من الظهر .

أما باقي الآية الكريمة «وَأَشْهَدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» الآية ، فعناها ظاهر مما سبق لنا ذكره في علوم الغيب والسنن الطبيعية ، لأن كلامنا للبيض والخصى مكون من نطف عديدة تنمو بالسنن الطبيعية وتصبح إنسانا ، ولا يعرف الانسان هذه النطف

إلا إذا نعتها القوانين الإلهية ونعت الى درجة الأجنة على الأقل . وكذلك لا يعرف الانسان شيئاً من مستقبلها أو كنهها إلا بمرور الزمن ، ولكن صانعها يعلم كل ما ستؤول اليه في المستقبل ، ويعلم كذلك الانسان الكامل في النطفة ، التي هي صورة مصغرة له كما قلنا ، وتمثل كل صفات الشخص ، وكل ما يرثه تماماً ، ولهذا نجد الخالق سبحانه وتعالى يخاطب ذرية نبي آدم وقت خلقهم وهم في عالم النور ويعلمون خالقهم وهو يشهدهم على أنفسهم .

وأما الصورة المسكبة لهم — في شكل الانسان — فكثيراً ما ننسى خالقها الأول بسبب ما يطرأ عليها من حوادث طبيعية تؤثر بمرور الزمن في الجسم والعقل والأخلاق ، وقد يكون التأثير شديداً فتصدق عليهم هذه الآية « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْيُسُومُ الَّذِينَ لَا يَغْلِبُونَ » .



« وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَسَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » :

تظهر هذه الآية الكريمة في الأول صعبة الفهم ، لأن الشخص الذي يكره آخر وينال له بنت كراحتك إذا انقلبت عجة فستعطي جزاء كبيراً يعوض عليك كل ما يكون سبباً في هذه الكراهة ، إن هذا الشخص قد ينسى كراهته ، وقد يستبدل بها ألفة ، ولا سيما إذا كان الجزاء كبيراً ، والله يقول : « لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ، فالحقيقة أن الكراهة والألفة قد تكون نتيجة لأسباب ظاهرية بسيطة لا تنصل الى العواطف القلبية ، ومتى كانت كذلك أمكن الاستعاضة عنها ، بل استبدالها بسهولة ، فإن السائل الذي يطلب إحساناً لم لا يمتطأ يكره المسئول ، ولكنه ينقلب الى شكره وحده إذا أجاب سؤاله .

وقد تكون الكراهية والألفة من « العواطف » أو القوى الحيوانية المنفصلة التي

تنج عن أسباب ظاهرة تتكرر فتحدث تغييرات عضوية في أعضاء الجسم، وخصوصا المخ والغدد الصماء، وقد لا يكون للكرامة سبب ظاهر. على أنه في كل من هاتين الحالتين تكون الكرامة أشبه شيء بالفرأث الطبيعية، ويكون أساسها تغييرات كيميائية في المواد العضوية الحية، وتحدث هذه التغييرات مع التكرار أمراضا عضوية في الأعضاء لا يمكن الشفاء منها، وكثيرا ما تكون ذكرى العاطفة أكبر محرك لزيادة المرض، وقد كثرت الأدلة على تأثير العواطف في أعضاء الجسم، وقد بحث هذا كثير من علماء السكولوجيا، مثل (ادلر وينج) وغيرها.

ومعها جاهد الشخص في أن يغير من عاطفته فلن يفلح. والآن التي ترى ابنها يعذب يوميا بيد إنسان ما حتى ترى نهايته، لا يمكن أن ينقلب كرهها محبة فلبية معها عوضت من ذلك، لأن التغييرات العضوية التي تحدث في الأعضاء تمنعها من محبة هذا الشخص، وتحتاج الى تغييرات عضوية أخرى لتبدل بشعورها آخر. ومنها في ذلك مثل الذي فقد حاسة، فإنه لا يستطيع الإدراك إلا إذا استردها.

وهذا هو المقصود من الآية الكريمة، لأن خلق عضو جديد أو استرداد حاسة ما، هو من المعجزات التي لو أنفق النبي ما في الأرض جميعا ما أمكنه أن يأتي بها، وهي جميعا من صنع الله وحده.

وتعتبر هذه الآية الكريمة أيضا في حكم المعجزات إذا علمنا أن (دارون) الذي كتب عن العواطف في العهد القريب قبل أن يكتب عنها «ينج» لم يفتن الى التغييرات العضوية في الأعضاء، وأن هذه النظرية آخذة في ازدياد خلال الحسنيين سنة الأخيرة. وإذا علمنا كل ذلك ظهرت لنا حكمة القرآن وعظمته، وأنه لا يأتيه الباطل أبدا.

ولزيادة الإيضاح للمارى الذي ليس طيبيا سأضرب له أمثالا بسيطة على تأثير العواطف في الجسم: فالخوف الشديد الذي يأتي فجأة قد يحدث منه تغيير في الشعر

ويصير أبيض اللون؛ وكذا يحدث البهق في الجلد والاضطراب والعناء المستمر؛ كذلك يحدث البول السكري؛ وأحياناً لا يكون هذا قابلاً للشفاء، ويؤدي بالاستمرار الى هلاك غدة البنكرياس، وكذلك الكراهة المستمرة قد تحدث تغيرات عضوية في الأعضاء لا تشفى بعد زوال السبب، وتكون عودتها الى الحالة الطبيعية فوق طاقة الانسان

دكتور مبرر الصيرى اسماعيل

واعظ الشيب

حدث عبد الله بن الحكم الواسطي عن بعض أشياخ الشام قال: قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً سفيان بن حرب على نجران فولاء الصلاة والحرب، ووجه راشد بن عبد الله أميراً على القضاء والمظالم. قال راشد بن عبد الله:

مما القلب من سلمى وأقصر شأوه	وردت عليه ما نقتنه نماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا	ولشيب عن بعض القواية زاجر
فأقصر جهلى اليوم وارتد باطله	عن الجهل لما ابيض من القدر
على أنه قد حاجه بعض صحوة	به قرض ذى الأجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب القرض أخضت	وحلت ولافاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها	وبين قرى بصرى ونجران كافر
فأثنت عصاها واستقر بها السوى	كما قر عينا بالأياب المسافر

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

واحوال المسلمين فيها

منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون دائبون لإصلاح حالتهم وتيسير معيشتهم ، ولقد كان من أم ما عملوه إنشاء دار الآثار والكتب لاسلامية في مدينة فيلنو ، جمعوا فيها ما لديهم من التحف الاسلامية وانكتب الدينية القديمة ، هذا بخلاف المكتبت الاسلامية المنتشرة في أنحاء الجهات التي يكثر فيها المسلمون ، والتي تحتوى على بعض الكتب الدينية الحديثة ، وبعض التراجم العربية ، وكتب التفسير والحديث ، وبعض كتب في الأدب والتاريخ البولوني . وللمسلمين البولونيين ثلاث مجلات خصوصية ، وهي :

١ - مجلة (التقويم السنوى) التي يصدرها مجلس الشورى المركزى سنويا والتي يرأس تحريرها أرسلاف كرينشينسكى ، وتتناول الكلام على تاريخ المسلمين البولونيين العام .

٢ - مجلة (نظرات اسلامية) التي تصدرها جمعية المسلمين في وارسو كل ثلاثة شهور ، ويرأس تحريرها وساف جيراى جيبياحى ، وتتناول غالباً البحث في بعض المواضيع الاسلامية .

٣ - مجلة (الحياة الثقافية) التي تصدرها الجمعية الاسلامية في فيلنو شهرياً ، ويرأس تحريرها مصطفى طوهان برانوفسكى ، وتتناول بحث موضوعات خاصة بالمسلمين البولونيين أنفسهم ، وتصدر تلك المجلات لثلاث باللغة البولونية .

وللمهاجرين المسلمين في بولونيا ثلاث مجلات :

١ - مجلة (قوقاسيا الشمالية) وتصدر باللغة التركية والروسية .

٢ - مجلة (الاستقلال) وتصدر باللغة الأذربيجانية .

٣ - مجلة (الطريق القويم الجديد) وتصدر باللغة القنارية .
وتتناول هذه المجلات الكلام على كل ما يختص بالهجرة والمهاجرين المسلمين .
ومما تقدم يمكننا معرفة مقدار تسامح الحكومة البولونية إزاء المسلمين ، وما تقدمه
لهم من الخدمات والمساعدات في سبيل تيسير حياتهم وضمان حريتهم .
منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون من أهلها يفكرون في تشييد المساجد في مدن
بولونيا المختلفة وإصلاح ما تهدم منها ، ولقد اهتموا كثيراً بفكرة تشييد مسجد وارسو
(عاصمة بولونيا) فتكونت لهذا الغرض جمعية من بعض المسلمين والمسيحيين البولونيين
نحت رئاسة كل من الحاج دكتور يعقوب شينكييفتش مفتي بولونيا الأكبر ،
وعبد الحميد خورو موفتش رئيس الادارة الدينية في العاصمة ، وقد اصبحت الجمعية
سعيها داعية الأقطار الاسلامية جميعها للاشتراك في إقامة مسجد وارسو . وفي عام ١٩٣٤
أقرت حكومة بولونيا سمها وتبرعت بقطعة أرض لبناء هذا المسجد ، وزيادة في التعزيز
أطلقت بلدية وارسو على الشارعين الموصولين الى هذه القطعة اسمى مكة والدينة . وفي
عام ١٩٣٥ عرض مفتي بولونيا الأكبر هذا المشروع على أعضاء المؤتمر الاسلامي الأوروبي
للمنعقد في جنيف فوافقوا عليه بالإجماع ، وقد أصدرت جمعية بناء المسجد نداء للمسلمين
في كل البلاد تحثهم فيه على المساعدة في بناء هذا المسجد ، وترجمة هذا النداء كما يلي :

ترجمته : جمعية بناء مسجد وارسو :

« أيها المؤمنون ! هل تعلمون أنه يعيش في بولونيا هذا البلد الذي يبعد عنكم آلاف
الأميال شعب صغير يعتقد الاسلام ؟ أولئك هم مسلمو بولونيا ، وهم يقطنونها منذ
خمسة آلاف عام ، وقد عذفت بهم الأقدار في بلد جعلت منه توالي الأيام وطناً لهم حتى في الزمن
الذي وصلت فيه قبائل الهون والجيوش التركية قلب أوروبا .

« وقد مضت منذ ذلك الحين مئات السنين ولا يزال مسلمو بولونيا يحفظون حتى

اليوم ، رغم إحاطتهم من كل جانب بشعوب مسيحية ، يميزاتهم الوطنية وأخلاقهم
الاسلامية ، إلا أنه لا بد للزمن من أثر ، فإن عزلة مسلمي بولونيا عن العالم الاسلامي
تُضعف فيهم شيئاً فشيئاً عقيدة آبائهم . ويمكن معالجة هذا الضرر بتشديد المساجد ، وهي
تلك الشماثر لقائمة منذ أجيال ، والرمز الدال على اتحاد المؤمنين ، والتي من أعلى مآذنها
يُدعى المؤمنون الى الصلاة مع إخوانهم في الدين ، وقد راعى مسلمو مدينة وارسو هذه
الحقيقة تمام المراعاة وأقدموا على بناء مسجد رئيسي في عاصمة البلاد .

« وأنشئت لهذا الغرض جمعية أطلق عليها اسم (جمعية مسجد وارسو) ولما كانت
الجمعية تملك أرضاً قامت بإعداد تصميم بناء المسجد ، ولكن للأسف فإننا نفتقر إلى
رموس أموال ، لأنها في بلادنا قليلة جداً ، وشعبنا يعتمد إذا اعتمد على وسائله وحدها
في إقامة مسجد العاصمة .

« وعلى هذا لا يسعنا إلا الاعتماد على البلاد الأخرى في مساعدتنا . وإنا نشعر بحسامة
المهمة الملغاة على عاتقنا ، ونحن وطيدو الثقة بأنه سيكون لشروعنا صدى في قلوب إخواننا
في الشرق ، وأن كلامهم شاعر باتحاد العائلة الاسلامية الكبيرة ، ولن يتردد في الاشتراك
في مشروع بناء مسجدنا كل بمقتضى وسائله . وإنا لا نشك في أن كل مسلم سيجد في قلبه
قليلاً من العطف نحو إخوانه الناشئين ، وسيساعد في بناء مسجدنا .

« لكل الأديان الأخرى كنائس تساهم في تجميل العاصمة ، ولا يتقص إلا العبد
الاسلامي ، وهذا ما يسترعى الانتباه العام ، وبملا قلوبنا حزناً وألماً ، ولذلك نتوجه
اليكم بنداثة الحار » .

عن إدارة جمعية بناء مسجد وارسو

مفتي بولونيا الأكبر الحاج دكتور يعقوب سليمان شينكليفيتش ، عبد الحميد خوراموفتش

عنوان الجمعية : (Pologne. Wilno, Mufti de Pologne)

ويأمل المسلمون البولونيون كثير في أن يلقى هذا النداء كل تمضيده من إخواننا المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية الكبرى ، ويقوموا بقسطهم في مد المعونة لإتمام بناء هذا المسجد ، فيرتفع صوت الاسلام في هذه الأقطار النائية .
على اسماعيل غورونوفتش ، محمد سيد الحموي

ضرر مدح الانسان نفسه

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ ونجهم له كأنه لا يعرفه . فقال له الفرزدق - وما تعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال الفرزدق : أما من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرض العرب ، وأشعر العرب . قال أمير المؤمنين : والله لتبينن ما قلت أو لأوجعن ظهرك ، ولاهذه من دارك ! قال نعم يا أمير المؤمنين : أما أوفى العرب فخايب بن زرارة الذي رهن قوسه عن جميع العرب فرفق بها . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وقال : ههنا سيد الوير . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحي . وأما أفرض العرب فالحريش بن عبد الله السعدي . وأما أشعر العرب فها أنا ذا بين يديك يا أمير المؤمنين ! فسكدر الخليفة ما سمع من غره . وقال له ارجع على عقبك فما لك عندنا شيء من خير .

تاريخ حياة محمد

بقلم فرانك هـ . فوستر

شبهات وهنة ، وحلة فاشلة

— ٢ —

نأتى اليوم على ترجمة الفصل الثانى من مقالة المستر فرانك هـ . فوستر التى نشرها فى مجلة العالم الاسلامى (The Moslem World) التى تطبع فى الولايات المتحدة بأمريكا ، ثم ناقشنا الحساب كما فعلنا بفصلها الأول . قال الكاتب :

« ومع كل ما سر فإن القرآن قد بين بجدل شخصية محمد ولو أن ذلك قد حدث من غير قصد ، فإن مجرد وجود القرآن يستدل منه على نشاطه العقلى العظم ، وهو أول خطوة فى سبيل إيجاد نثر فى الأدب العربى . وبذلك يمكن اعتباره عملا جليلا . كما يضح من سورة ولا سيما الأوائل منها .

« وقد كان محمد داعيا قديرا تتدفق العبارات من فمه كالسيل الجارف حتى يغص بها ولا يبين منها غير كلمات مفردة أو مزدوجة . واستشهد على ما يقوله بسورة التكاثر وقال إنها لا معنى لها :

« ولقد كان رجلا صعب المراس ، قد يندفع فى خطابه كما ورد فى السورة السادسة والتسعين من الآية الثالثة عشرة الى السادسة عشرة ، وقد يقطع المناقشة بسكون مدهش مقررا أن من الناس من خلقوا للحجيم ، أو يرى خصمه بوصف مهين متوحش . ولكنه رغما عن هذا كان ذا عزيمة هادئة وإن كانت مصممة .

« تابع عمله فى مكة سنين دون أن يصادف نجاحا ، ولكن عزمته لم تقل . فقد كان يعمل المشبطات ولا يشكو منها ، ويظهر صبرا عظيما حيالها ، ثم يماود دعوته

مرة بعد أخرى من غير أن يظهر اضطراباً ، استمر على ذلك سنين دون أن يقبل دعوته أحد .

« ولقد يأخذ الإنسان المجرب من شدة تواضعه على قوة إيمانه برسالة وإسقاطه الديني .
« كان محمد رجلاً عادياً مهمته قاصرة على الدعوة ، فلم يدع أن له قوة غير طبيعية ،
أو أنه قادر على إحداث الخوارق ، ولم يتبجح بأنه منزه عن الذنوب ، بل إنه اعترف
في بعض الأحوال بلوم الله له . راجع السورة التاسعة والعشرين .

« وقد أكثر محمد من التنويه بعطفه على بني الإنسان وحده على قومه . ومن
مزايه العقلية عدم تأثره بالبيئة التي نشأ فيها ، ورفع نفسه عنها .

« ولقد كان على جانب من قوة الخيال الشرقية ، يتضح ذلك من وصفه للنعم
والجحيم ، ومن السور الشعرية التي قالها في أوائل أيامه .

« وكان يقطر الفكر على الدوام ، شديد الملاحظة للأمر . وكان أكبر ما يعاب به
عدم قدرته على المناقشة والحجاجة ، وإنه ليعيب عظيم . فلم تكن له طريقة منتظمة ولا تماليم
مرتبة في المجادلة ، يشبهه في ذلك جميع العرب الذين كانوا معاصرين له . لذلك كان يعمد
للتكرار الذي لا يذنب للتدليل على ما يريد . فكان يعجز أحياناً عن صوغ الحجة لمناقشته
خمسها بعيداً عن الموضوع الذي هو بمصدده (انظر السورة السادسة والعشرين) .

« لم يسلم محمد من العقائد الخرافية والمبادئ الإباحية بتأثير بيئته كما هو متوقع ،
فقد اعتقد في الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السراري ، وترى
هذه الإباحة حتى في وصفه للفردوس ، انتهى الفصل الثاني .

ردنا على هذا الفصل :

إن السترفوستر بعد أن تلج صدره ، بلا دليل كما رأيت ، على أن محمداً صلى الله
عليه وسلم لم يكن نبياً ، وأنه جاء بهذا القرآن من عنده ونسبه إلى الله تعالى ، شرع
بما كنه على كل ملأ فيه مما لا يرتضيه ذوقه ، فير معتمد بالأحوال التي أحاطت بالدموة

الاسلامية ، ولا بالأقوام الجاهليين الذين دُعوا للدين وهم في وثنية منحطة ، ولا بالمناسبات والملابس التي يمكن أن يوجد فيها داع في تلك البيئة الشديدة الرطوبة . فنحن نتجاوز عن كل ما قاله في نسبة القرآن للنبي ، وفي أنه كان أول من أوجد الشعر في الأدب العربي ، وفي نشاطه العقلي العظيم ، وفي قدرته الخطائية ، ولكننا نؤاخذ على ما حاول فيه أن يطمس الحقيقة أو يضل القارئ عن الواقع .

من ذلك ما زعمه من أن سورة التكاثر من العبارات التي كانت تأتي عقب تدفق السيول الخطائية الجارفة من فم النبي صلى الله عليه وسلم ، فتضيق عباراته حتى تنتهي إلى كلمات مفردة أو مزدوجة ، وزعم أن تلك السورة لا معنى لها .

توجه ذهن القارئ قبل كل شيء إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلقي خطبا على قومه ، ولكنه كان يدعوهم إلى الاسلام ويتلو عليهم القرآن ، وكثير من آيات القرآن كانت تنزل بمقتضى الحوادث . فللسورة التي يذكرها المستر قرآنك سبب نزول ، وهو أن بنى عبد مناف وبنى سهم تباهاوا بالكثرة فكثروا الأولون . فقال بنو سهم : فاخرونا بالأحياء والأموات . فعدوا الأموات فغلب بنو سهم . فنزلت هذه السورة تبكيته لهم ، وهي في أسنى درجات البلاغة ، فلا هي خالية من المعنى ، ولا هي ذيل خطبة حارت ألفاظها في فم ملقيها فنثرها أزواجا وفردا . فإليك سورة التكاثر : « أَفَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَكَاثَرًا حَتَّى زُرْتُمُ الْقُبُورَ (أى حتى زرتوها لتعدوا الأموات) ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، (كرر الجملة للتحويل والتأكيد) ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبْثًا يُبْقِينَ ، ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » .

فمن الذى يستطيع أن يرى في هذه السورة منمزا من أى نوع كان غير متعنت يريد أن يصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا ؟

يقول المستر قرآنك . كان محمد رجلا شديد الشكينة فد كان يندفع في الكلام ، كما فعل في سورة الملق ، وقد يقطع الحاجة بندا ، مدهش وينوء بخلق خلقتوا للجحيم ،

كما فعل في الآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة الأعراف ، أو بنهيا بكنية فارصة متوحشة .

بمختنا في سورة الأعراف عن الآية الثامنة والسبعين فلماذا بها قوله تعالى . « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل » ، أولئك هم الغافلون .
أما الكنية الفارصة للتوحشة فلم يذكر مثالا لها

والقارئ لا يحس بذلك الدهش الذي يذكره المستر فرانك عند قراءته لهذه الآية ، فإن الله يقول : إنه خلق لجهنم كثيرا من الانس والجن ، ووصفهم بأنهم الذين يعطلون مواهبهم عن القيام بما خلقت له ، فلمهم قلوب ولكنهم لا يستفيدون منها في التمييز بين الحق والباطل ، ولهم أعين ولكنهم لا يستخدمونها في رؤية ما خلق الله من شيء ، للاعتبار به ، ولهم آذان ولكنهم لا يصغون الى الهداة للانتفاع بالعمل بما يفضون به اليهم ، أغترى أن هذه الكائنات المتحجرة يوقظ إنسانيتها النعمة أقل من أن يقال لهم إن الله خلق لجهنم خلقا كثيرا أنتم منهم أيها الغافلون »

يظهر لنا أن المستر فرانك يجمل كثير من مقررات علم النفس ، وكثيرا من ضروب العلاجات التي تؤثر فيها . فالنفوس الخادمة الهامدة التي أماتها المادة لا يوقظها من سباتها إلا عبارات قوية الفعل ، شديدة التأثير ، من قبيل هذه الآية السكرية . وفي الكتاب الكريم من ألوان التعبير ما يصلح لعلاج كل نفس ، لذلك كان تأثيره في تلك القلوب الجاهلية المتحجرة أبلغ تأثير لم ير له مثيل في حياة جماعة من الجماعات .

هنا ما ذكره فيما يتعلق بالآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة ، وقد رأيت أن ليس فيها ما يدهش ، إلا إذا أراد ما يدهش ، من شدة الروعة ، وعمق التأثير ، وسمو التعبير .

أما ما ذكره من الكنية الفارصة للتوحشة ولم يضرب له مثلا ، فنتركه حتى يبينه .

ثم ألمّ الستر فرانك بشيء من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ما كان عاياه من قوة المزيمة ، وشدة الارادة ، وحسن الاحتمال للمسكاره ، وعدم الاكتراث بالمشيطات ، والتجرد من الاضطراب والخور ، ووقور تواضعه على رسوخ إيمانه بوسائله ، وتقته بسمو مهمته ، ولم يغفل ذكر عطفه على بني الانسان ، وحده على قومه ، وعدم تأثره بالعوامل التي كانت سائدة في بيئته ، واستطاعته التخلص من شرها ورفع نفسه عن مستراها ، وبقظة فكره ، وقوة ملاحظته .

ألمّ الستر فرانك بكل هذا ولم يسأل نفسه هل يمكن أن تكون هذه الصفات الجليلة كلها لغير رسول أو نبي ، وهل يتأتى أن تجتمع كلها لأفك مدع ؟ اعترف الستر فرانك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أمضى في مكة على هذه الحالة سنين كثيرة ، ناله فيها من الاضطهاد ما لا يستطيع الصبر عليه . فهل يعقل أن يصبر على هذه الشدائد الهائلة مستحل لأكبر المهام العلوية ، دون أن نخونه فواء ، ونغدر به عزيمته ، ويفتضح أسرته ، ويتشذت أنصاره ، ويصيبه ما أصاب كل كذاب أشر ؟ إذا كان هذا معقولا فأى فرق يكون بين أدنى درجات الفضيلة وأخس دركات الرذيلة ، وأى قسطاس يمكن أن نوزن به مواهب رسول إلهي ، وأحاييل دجال مُظلماتي ؟ وكيف يتأتى للبشر بعد هذا أن يستدلوا على مظهر الروح الالهي ، وأثر النفث الشيطاني ، وبخاصة إذا تكلمت دعوة المحتالين بالنجاح التام ، وأثمرت أعظم الثمرات الأدبية ، لأمة كانت في خريات الأمم ، فأورثها الله خلافة الأرض قرونا كثيرة ، وتعددت الأصول الاصلاحية التي تفنها في روعها الى العالم أجمع ، فأدت الى إصلاح عام لم تر الانسانية له مثيلا من قبل ؟

أما اطلع الستر فرانك هـ . فوستر على مبادئ علم النفس ليعرف أن النفوس الكاذبة الخاطئة ، التي تستسيغ الغش والتزوير ، لا يتأتى أن تصدر عنها إلا مبادئ ساقطة من جنس ما جبلت عليه من الخبث وفساد الطوية ؟

وقال المستر فرانك أيضا : « إن أكبر عيب في محمد كان مجرؤه عن متابعة الحاجة ، وإنه لعيب عظيم ، فلم تكن له طريقة منتظمة ، ولا أصول مرتبة مثله في ذلك كمثل جميع العرب على عهد الخ » .

في هذه الشبهة لا يزال المستر فرانك يجرى على وجه الأول ، وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع القرآن ، فيعيب عليه ما يمينه الناقد على مؤلف . فأين المستر فرانك من الواقع حيال هذه الشبهة ؟

إن هذا القرآن الذي يمينه بما يمين به محمدا ، كان أثره أن أسال أمة برمنها من وثنية منعطة الى توحيد سام ، ومن جاهلية جهلاء لا تعرف أصلا كريما ، ولا مبدأ شريفا غير القوة الغاشمة وحكم الحديد والبار ، الى حالة من السمو الأدبي والروحاني لم نعهد في أمة منذ خلق الله العالم الى اليوم .

فهل هذا كله نتيجة الحصر عن مواصلة الحاجة ، ولعني عن الإفصاح بالحجة ، والانعطاع عن متابعة الجدل ؟

إن صبح هذا فقد حجب المستر فرانك هذه العيوب الكلامية الى الناس ، وجعلهم يُشْكُون في هل هي عيوب في الواقع ؟

إن المستر فرانك قرأ القرآن أو بعضه لا قراءة باحث منزه عن الفرض ، غير مختزن في نفسه فكرة موروثة عن الاسلام وما يتعلق به ، ولكن قراءة متعنت مدخر على القرآن والرسول الذي أتى به ، أسوأ ما يدخره رجل متعصب على غيره ، فلم ير في القرآن غير ما يرى المحصور في دائرة ضيقة من وهمه .

أما بلغ المستر فرانك أن رجالا عابرة قد شهدوا لهذا الدين بالسمو ، حتى حكموا بأن له العاقبة لا شك فيها ، فهل قرروا ذلك لقصور حجته ، وقلة مادته ، أم لعميتهم مما رآه هو بتقريب نظره ، ورجوح عقله ؟

وقال المستر فرانك : إن محمد لم يسلم من العقائد الخرافية والمبادئ الاباحية ، فقد اعتقد بوجود الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السراى . ونحن لا ندري لم يكون القول بوجود الجن من العقائد الخرافية ؟ الدين دليل قاطع على أن العالم ليس فيه إلا العوالم التى تقع تحت الحس مباشرة ؟ أما رأى أن العالم اليوم ، وبخاصة فى الولايات المتحدة ، قد غص بالبحوث النفسية الدالة على وجود العالم الروحاني ، وعلى أنه يروج بالسكانات المتجرد عن المادة ، وقد جعل الباحثون شعارهم الأسلوب العلمى الدقيق المؤيد بالتجارب الحسية ؟

أما قرأ التوراة والانجيل ورأى فيهما أن موسى وعيسى كانا يفتقدان بوجود الجن ، وأن الأخير عليه السلام كان يخرجها من أجساد المرضى ويطردها بعيدا عنهم ؟ أما قوله إن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يسلم من المبادئ الاباحية لسماحه بتعدد الزوجات ، فهو خلط بين الاباحية والشريعة فالاباحية هى إطلاق الحرية للنفوس ترتكب باسم الحرية كل ما يبدو لها من الانحرافات الخلقية ، كشرب الخمر والمقامرة والفسق الخ ، والشريعة تحدد تلك الحرية فى دائرة الآداب السكرية ، والأخلاق القويمة . وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات لتمنح كسبت الطبيعة البشرية ، وقصر الرجال على روجة واحدة . والدليل على ذلك أن المسيحية لم تستطع أن تحمى المجتمع هذا الشر ، فانتشرت المخادعات فى البلاد التى تسود فيها ، والمخادعة شر اجتماعى خطير نتأجه لا تقف عند حد .

وقد أحل موسى عليه السلام تعدد الزوجات ، فهل يتهمة المستر فرانك هـ . فوستر بهذه النفيصة أيضا ؟

اللهم إنه لا يستطيع ذلك ، فلم يكن يكيل بكياين ، وبماكم بقانونين ١ :

محمد فريد وهدى

العلاقة بين المادة المخية والعقل^(١)

يفترض الناس منذ القدم أن لكمية المخ في المخلوقات علاقة كبيرة بمقدار ذكائها ، ويزعمون أن جهلاءهم لا يستحذون إلا على كمية ضئيلة من هذه المادة الثمينة ، وقد يبعد هذا الاعتقاد مبررا ولكن إلى حد ليس بعيداً ، إذ أن كمية المخ في بعض الحيتان قد تربو على خمسة كيلو جرامات ، ولا تتعدى في الحيلة جزءاً من خمسة وعشرين ألفاً من الجرام ، ولا يكاد يصدق إنسان أن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ ١٢٥ مليون ضعف ، فلو أن ما افترضه الناس منذ القدم من العلاقة المطلقة بين كمية المخ ومقدار الذكاء كان صحيحاً لكان مركز الإنسان وهو تاج المخلوقات من حيث الذكاء مما لا يشرفه كثيراً ، فإنه توجد حيوانات عديدة مثل الغيلة والحيتان وكثير من الحيوانات النقرضة تبلغ كمية المخ فيها أضعافاً مضاعفة للمقدر الذي يملكه الإنسان ، وهو يبلغ في المتوسط ١٣٤٣ جراماً .

من ذلك يتضح أن الوزن المطلق للمخ لا يصلح بأي حال أن يكون ميزاناً للعقل ، ولو أن نصيب الإنسان منه يفوق في بعض الأحوال كثيراً من المخلوقات التي تزيد عنه جسماً .

وقد لا تتغير الحال كثيراً إذا نحن جعلنا المقارنة بين المخلوقات من حيث نسبة وزنها كاملاً إلى وزن المخ ، فإن الإنسان الكامل النمو في هذه الحالة لا يأخذ المرتبة الأولى أيضاً ، ويسبقه الطفل الحديث الميلاد ويكون أرق المخلوقات جميعاً وأكثرها ذكاءً ، إذ يقرب عنه من جزء من سبعة أجزاء من وزن جسمه بأكله ، ويمتبه مباشرة بعض الطيور والحيوانات الثديية الصغيرة ، ويأخذ الإنسان الكامل في هذه الحالة

(١) مترجمة من الألمانية نقلها من مقال للاستاذ الدكتور « فاسمو » في مجلة « كومبوس » الألمانية .

أيضا مركزا ممتازا بالنسبة للأحياء الأخرى التي تعادله وزنا، إذ يبلغ مخه جزءا من أربعين جزءا من وزن جسمه، بينما لا تزيد النسبة في الأحياء الأخرى للمعادلة له وزنا عن جزء من أربعمائة.

وقد استخلص العالم الألماني « هالر » من هذه المقارنة النسبية القانون المعروف باسمه، وهو أن الأحياء تتناسب تناسبا عكسيا مع وزن مخها، أو بعبارة أخرى كلما قل وزن الجسم كلما زادت نسبة وزن المخ الى لوزن العمود.

ولربما كانت للمقارنة النسبية أقرب الى إيضاح العلاقة الدائمة بين المخ والدكاء، وقد تكون مملكة المل أسطع برهان على صحة هذا القانون.

ولو أننا أخذنا لذلك أمثلة متعددة في الحيوانات المتساوية وزنا مثل القنفذ والفئك الاسترالي وهرة البحر وهي إحدى أنواع القردة الصغيرة، ووزن جميعها حوالي ٧٥٠ جراما، لوجدنا أن وزن مخ القنفذ ثلاثة جرامات ونصف والفئك ستة جرامات وهرة البحر ٤٠ جراما، وأما أخذنا « الأوبوسوم لأمريكي » وهرة المنزل والجيئون وهو نوع أكبر من القردة ووزن جميعها حوالي ثلاثة كيلو جرامات وثلاث، لوجدنا أن وزن مخ أولها ستة جرامات ونصف، وثانيها واحد وثلاثون جراما ونصفا وأخير تسعون جراما، وأما أخيرا أخذنا الإنسان والغوريلا وكاب لبونبرجر لوجدنا أن مخ الإنسان يزن حوالي ١٤٠٠ جرام بينما لا يزيد وزن مخ الغوريلا عن ٤٥٠ جراما ومخ كلاب لبونبرجر عن ١٢٥ جراما مع تساوي الثلاث في وزن الجسم بأكمله، وفي ذلك دلالة واضحة على أن كمية المخ تمشي جنباً الى جنب مع مقدار الدكاء.

وعلى ذلك لنا أن نجيز احتمال ضرورة الزيادة في كمية المخ، وهو مركز التفكير، وذلك كلما تقدمنا خطوة نحو الرقي في الأحياء على السوم. إلا أنه يجب ألا ننفل أن عقل الإنسان كباقي الأجهزة التي لا يفهم لها وزن من حيث حجمها فقط، فقد تكون ساعة الحائط كبيرة وضخمة ولا تبين سوى الساعات والدقائق، وقد تكون ساعة الجيب

صغيرة ودقيقة ونبين الساعات والدقائق والشواني وأيام الأسبوع وأسماء الشهور والأرباع القمرية وما عدا ذلك من المواقيت ، ولا يتم ذلك بالطبع إلا بتعقيد تركيبها وإحكام صنعها وجودة معدنها ، ولا يختلف المخ عن ذلك كثيرا ، فإنه وإن لم يصل في الأحياء الراقية إلى الحجم الذي قد يبلغه في الحيوانات الضخمة فإنه يزيد عنه تعقيداً ويفوقه تركيباً . وقد دلت الأبحاث الميكروسكوبية والماكروسكوبية على أن مخ الأحياء الراقية يختلف في تركيبه وتكوينه الداخلي اختلافاً كبيراً عن نظيره في الأحياء الدنيئة .

وتذهب العلوم الحديثة إلى أن القشرة الخارجية في المخ هي مركز القوى العقلية ، ويزداد مسطحها اتساعاً كلما تقدمت الأحياء نحو التقدم والارتقاء . وبما أن الفراغ في داخل الجمجمة محدود بعوامل أخرى ولا يمكن للمخ أن يشغل حيزاً أكبر منه فإن القشرة الخارجية في مثل هذه الأحوال تعتبرها تلافيف وتجمعات تختلف أيضاً قلة وكثرة باختلاف القوى العقلية . ولا يقل سطح القشرة الخفية في الإنسان عن ٢٢٠٠ سنتيمتر مربع ، بينما لا يزيد في القردة عن ٥٠٠ سنتيمتر مربع ، وهكذا فإننا كلما انحدرنا إلى الأحياء الأقل رقياً فإن المسطحات تتناقص تدريجياً ، أو بعبارة أخرى نجد أن التجمعات تقل تبعاً لها .

وليست هذه التجمعات انظرهرة هي التي تميز درجات الذكاء ، فحسب ، بل إنه قد انضغ لنا بواسطة ميكروسكوب أشياء أخرى على جانب عظيم من الأهمية في قياس القوى العقلية ، فإنه ثبت أن عدد الخلايا في هذه القشرة الخارجية يختلف أيضاً اختلافاً كبيراً باختلاف القوى العقلية ، وقد قدر عددها في قشرة مخ الإنسان بحوالي ٥٠ ألفاً في كل مليمتراً مكعب ، بينما لا يزيد عددها عن ١٠ آلاف في كثير من الحيوانات الشديدة الأخرى .

يستخلص مما تقدم أن حجم المخ ليس هو العامل الوحيد الذي به يمكن تقدير

درجة الذكاء، بل إن هناك عوامل أخرى عديدة على جانب عظيم من الأهمية في رفع القوى العقلية، مثل نسبة وزن المخ إلى وزن الجسم، ومساحة مسطح القشرة المخية ومقدار تجمعها وعدد الخلايا بها، وتكوين المخ وتركيبه الداخلي. وقد دلت الإحصاءات التي عملت أخير عند تشريح الجثث الأدمية أن وزن المخ يختلف باختلاف نوع العمل الذي كان يزاوله الإنسان أثناء حياته، فبزيادة بقدر اشتراك القوى العقلية في الحياة، كما دلت أعمال لافتر والتنقيب أن حجم الجمجمة كان دائماً يختلف في الأحقاب والمصور باختلاف الحضارة والمدنية المعروفة حينذاك، واتضح أخيراً أن معظم وفيات المصابين بالأمراض العقلية التي تنتهي بالبله تدل على أن المخ كان آخذاً في التناقص حجماً والانبساط سطوحاً.

على أن كل هذه الملاحظات لا يمكن أن تدل على أنها قانون صالح في كل الأحوال، فإن أكبر مخ عرف حتى الآن كان لأبله، وأن بعضاً من المكربين الذين كانوا يوماً قادة للعالم في مختلف العلوم والآداب كان حجم مخهم دون المتوسط، وهكذا فإن العلاقة التي تربط كمية المخ بمقدار الذكاء ما زالت يخيم عليها الظلام ويحيط بها الجهل، ولا تقوى الوسائل التي نسيطر عليها الآن بأن تميز بين مخ بصقري وآخر من العامة البله، وإنما نكتفي اليوم بأن كمية المخ والعوامل الأخرى المذكورة تساعدنا على وجه العموم على معرفة درجة التقدم والذكاء، ولا يمكن الرجوع إليها بأي حال من الأحوال للقياس والمقارنة في جميع الحالات الفردية، ونرجو من المستقبل أن يكشف لنا يوماً عن أسرار العلاقات بين القوى العقلية وتركيب المخ.

فضل العقل على المنطق

قال سليمان بن عبد الملك: فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجة.

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعتوله والجسم خلق مصور
فإن تر منه ما يروق وربما أمر مذاق العود والعود أخضر

ثلاثة زعماء هندوكيون

يعلنون إسلامهم

جاء في جريدة البلاغ تحت هذا العنوان ما يأتي :

علم القراء من الكتاب الذي نشرناه قبل بضعة أيام لازعم الهندى الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا عضو لمجلس التشريعى خاصا بالنبوذىن فى الهند أن الهيئات الاسلاميه هناك ألقت وفدا كبيرا برياسة هذا الزعيم لدعوة النبوذىن وغيرهم من الطوائف الهندية المضطهدة بسبب اعتقاداتها الدينيه ، الى اعتناق الديانة الاسلاميه ، ولحضور المؤتمرات التى يعقدها هؤلاء للنظر فى اختيار دين لهم يحقق المساواة بينهم وبين الطوائف الهندية الأخرى .

وقد استطاع هذا الوفد الاسلامى أن يثير فى النبوذىن والشيائيزىن والانجاس الرغبة فى اعتناق الدين الاسلامى ، بما أوضحه لهم من مزاياه التى تكفل لهم المساواة التامة التى يطلبونها من الهندوكيين وغيرهم من أمم العالم .

وتزيد على هذا أننا تلقينا اليوم كتابا خاصا من الهند جاء فيه أن الزعيم الكبير خالد لطيف جابا رئيس وفد الدعوة الاسلاميه بين النبوذىن والشيائيزىن والانجاس اجتمع هو ونفر من العلماء بأحد كبار الزعماء الهندوكيين (المستر كيمبلى) ، ودارت بينهما مناقشات ومباحثات طويلة انتهت باعلان المستر كيمبلى رغبته فى اعتناق الدين الاسلامى ، وفى أن يتولى الدعوة للاسلام بين النبوذىن وغيرهم بدل الدعوة للديانة الهندوكية .

وقد احتفلت جمعية « تبليغ اسلام » فى بونا بهذا المسلم الجديد احتفالا كبيرا وتلقينا من مراسل البلاغ فى متوجرى « البنجاب » ما يأتى :
ترداد الحركة الاسلاميه فى جنوبى الهند قوة وانتشارا بنجاح الوفد الاسلامى

الهندي برئاسة الزعيم خالد لطيف جابا في إقناع زعماء النبوذين ورؤساء الثيازيين وغيرهم من الطبقات المضطهدة Dpressed classes بسبب عقائدها الدينية ، بأن الدين الاسلامي يحقق المساواة المطلقة بين جميع الطبقات والشعوب والأجناس .

وقد نجح المسلمون في منتوجرى نجاحا جديدا ، إذ اقتنعوا بهذا الزعيم الهندوكي الكبير بنديت لاله كاشي رام ، فأعلن إسلامه ، وقد كان هذا الزعيم من أشد الزعماء الهندوكيين بأسا في منهضة الحركة الى يقوم بها الوفد الاسلامي الهندي لإقناع النبوذين والثيازيين باعتناق الاسلام .

ومن أم ما يذكر في نجاح المسلمين استطاعة خطيب مسجد منتوجرى الكبير مولانا الشيخ محمد عبد الله التأثير على المستر جهندا سكي أحد زعماء طائفة السيخ حتى اعتنق الاسلام ، وقد كان هذا الزعيم موقفا من مجلس السيخ الشرعي لدعوة النبوذين لاختيار العقيدة السيخية بدل العقيدة الهندوكية .

جراحة الوعاظ

روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضرا في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأنشأ عليه من ، فتهلل وجهه ، فمطر اليه محمد بن كعب فقال له يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جبل القوم بك معرفتك بنفسك ، فإن قوما خدعهم الثناء وقرم الشكر ، فزلت أقدامهم فهبوا في النار ، أماذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ا
فبكى عمر حتى خيف عليه . وقال : اللهم لا تجعلنا من راعله .

التفسير

سورة الرعد

- ١٥ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ . وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُرُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَهِنَّدُهُ أَمْ الْكِتَابُ) :

قد انتهى القول في جدال أولئك المكابرين الى حد أن سجل عليهم أن ذنب لهم سوء عملهم فأود حسنا فلا مطمع في تنازلهم عنه ، وأنهم صدوا عن السبيل القويم ، والصراط المستقيم ، فطبع الله على قلوبهم فأصلهم ، ومن يصل الله فإله من هاد ، وحكم عليهم بالوعيد الشديد إذ يجعل بهم عذاب الدنيا الشاق ، وما ينتظرون من عذاب الآخرة أشق حيث لا يقبهم من عذاب الله واق . وزاد في حسرتهم ببيان صفة الجنة التي وعد المتقون ، وأن هذه عقابهم ، حيث يقابلها عقبي الكافرين وهي النار ، فلم يبق في دائرة مجادلتهم ومكابرتهم ووصف حالهم وعاقبة أمرهم مستزاد لاستزيد .

فحسن الانتقال الى تفصيل حال جماعة آخرين لهم صلة ما بالدين والرسول والشرائع الإلهية، فلم يشركوا أولئك المكابرين في كل سخافتهم وتعتهم وعنادهم، أولئك هم أهل الكتاب، ومن عسى أن يكونوا أقرب الى الاستجابة، وأسلس في القيادة، وآلف للشرع السماوية، أولئك هم الذين صرح الله في تفصيل أحوالهم بأوضح أسلوب وأبينه مع الإيجاز المستوفى، فقال جل شأنه: «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه» أى أن الذين عرف الرشاد الى قلوبهم سييلا، وحلت الهدية قلوبهم نوعا من الحلول، وأكرمهم الله بنعمته وآتاهم الكتاب، تبتجج قلوبهم، وتسرع نفوسهم، ويفرحون بما أنزل الله اليك، لما يرون فيه من الهدى الكامل الذى تذوقوا طعمه في جنس التشريع الإلهي، فيجدون في هذا ما يشبع نفوسهم من هدى يطلبون فيه المزيد. وهل يعرف قدر النعمة إلا من ذاقها وله عهد بها؟

أجل: الذين آتيناهم الكتاب يجدون فيما أنزل اليك ما يوافق ما كانوا يترقبون بما اطلعوا عليه في كتبهم، من بحث نبي هو خاتم الأنبياء، ينزل عليه شرع هو ختام الشرائع، فهو الكامل الذى ليس بمده للنفوس مرتقب، فيفرحون إذ ظفروا بإدراك أكل أنواع الهداية التى أنعم الله بها على العالمين.

ولكن هل هذا شأن أهل الكتاب جميعا؟ لا، بل لا يزال منهم من أعمى للتحزب بصائرهم، فأصرروا على أن يبقوا متمسكين بعزة كانوا استأثروا بها على قومهم، إذ كانوا قد جملوا ما حباهم الله من نعمة الهداية وسيلة للتملأ على سائر الأقوام؛ وبذل أن يعملوا همهم توصيل هدى الله لعباد الله فيكتسبوا مرضاة الله، استخدموا ذلك وسيلة ليل عرض الحياة الدنيا من مال وبهاء وعزة مرجعها كلها للفناء ولا ضئلا. ولكن أتى يبصرون وخامة طافيتهم واعواح منهمهم وقد أعمتهم لذائذ الجاه الذى أحرزوا، والمال الذى جمعوا، والنفوذ والسلطان وبهما استمتعوا، فهم يبصروا منفعتهم الحقيقية الخالدة، وركنوا الى تلك المتع العاجلة الثائلة، فتحزبوا فيما بينهم ألا يفرطوا

في ذرة مما كسبوا . بيد أنهم لم يستطيعوا أن ينكروا كل ما جاء به وهو الهدى والنور مصداقاً لما معهم ، فعمدوا الى بعض يستطيعون إنكاره ، إما مما حرقوه بأيديهم وقالوا هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، وإما من أحكام فرعية اقتضت الحكمة الإلهية نسخ حكم منها بحكم خير منه أو مثله ، فأنكروا ذلك متحيزين متعنتين .

والأحزاب جمع حزب ، وهو الجماعة يتناسكون يؤيد بعضهم بعضاً في غرض يخصهم . وكأنه من قوله : حزبه الأمر إذا وقع به وأهمه ، فلأن المرء عادة إذا نزل به نازل شديد عمد الى أقرب الناس اليه وأشبههم به ومن يشاركه في تلك النازلة فتناصر هو وهو ، حتى ينهضوا بالدفاع مما نزل بهم . فكان التعبير بالأحزاب ليبدل على أنهم ما دفعهم الى إنكار البعض إلا الحرص على استبقاء مجدٍ فيه مشتركون يخافون أن يزول من أيديهم ، فيتحيزون ليدفعوا عن أنفسهم ما نزل بهم . إذاً ليس إنكارهم سوى أنانية يخدمون بها أغراضهم لا يخدمون الحق ، ولا ينظرون الى مصلحة البشر أو إحقاق الحق . وما كان تخصيصهم الإنكار ببعضه دون بعض نية لمقيدة حكمت عليهم ، وإنما هو لأنهم لا يستطيعون إنكار جلته ، وهو الحق الواضح مصداقاً لما بين أيديهم ، ومقدراً لكثير مما معهم من الكتاب مما لم يثله تحريفهم .

ولقد هجم عليهم الإلغام من حيث لا يحيدون منه مخلصاً ، فبما أمر الله نبيه أن يوجهه اليهم ، من البيان الناجع ، والبرهان القاطع ، في قوله عز وجل : « قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، أي أخرس ألسنتهم ، ويثبت لهم سفاهة أحلامهم ، وقل لهم : أي شيء تنكرونه علينا أو تنقمونه منا وأنا ما أمرت إلا أن أعبد الله وأن أوحده » : أفنكرون عبادة الله وأنتم تزعمون أن مهمتكم الدعوة الى عبادته ، أم تنكرون توحيد الله وأنتم على ما تزعمون دعاء توحيد الله ، وإن كانت حقيقة أنكم ما عبدتم إلا مصلحتكم ، وما أهتم إلا أهواؤكم ؟ فترى في هذا من قفض حالهم ، وإخراس ألسنتهم ، وقطع حجبتهم ، وسد الطريق في وجوههم ، ما لا يستطيعون معه أن ينبسوا بينت شفة ، أو أن يحيدوا في ريقهم بلة .

ثم نعم السلام بما يدل على أنه قد ثبت في وجههم ، وصمد لهم صمد من لا يطمع طامع في زلته ، وأنه لا يقتصر على أنه قام بنفسه بما أمر به ، بل هو يدعو إليه لا إلى غيره مما يدعوون إليه من نزمات الأهواء ونزغات الشياطين . هذا قوله : «إليه أدعو» بتقديم الجار على أدعو . وأما قوله : « وإليه مآب » فلإنها زيادة في تقرير ثباته من وجهين : من جهة أن مرجى في التأيد إليه ، واعتماد في مغالبتكم عليه ، فأنما تعتمد على قوة لا قبل لأحد بمغالبتها ، ومن جهة أن مرجى في آخرتي إليه ، فلا أروهب إلا جتاه ، ولا أقصد إلا مرضاته ، فلا يهني أرضيتكم أم سخطتم إذا أنا امثلت أمره ، وقت بما كلفني لقيام به . والسآب الرجوع ، من آب للمسافر رجوع ، فرجعه إليه في ديناه وآخرته .

ولعل في اختيار لفظ « ولا أشرك به » على أوحده مثلا ، التعريض بهم إذ عبدوا أهواءهم ، واتخذوها آلهة لهم ، مع ما في لفظ الإشراك من مزيد التشنيع الواضح على من وقع في حماة ومنه هم . وعدم ذكر « شيئا » ونحوه بمد لفظ أشرك ، لأن المقصود نفي الإشراك في نفسه ، بقطع النظر عن الشرك به .

ولا يقال : كيف حصر المسأور به في العبادة ونفي الإشراك وقد اشتمل ما أنزل عليه على أكثر من هذا ، مثل القصص والجلد ، وتشريع المعاملات وغيرها ، لأننا نقول : إن كل ما أنزل إما عبادة أو ما هو بسبب منها ، كاللحاجة لقطع دابر الشبه ، والقصص للعبارة والعظة ، فيقبل المتعظ على العبادة ، والتشريع في المعاملات لإقامة العدل ، وهو نعم العبادة ، فما أمر إلا ليعبد الله وحده .

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا » :

قررنا جملة مرات أن اسم الإشارة في مثل هذا يعود على مصدر الفعل المذكور بعده ، والمعنى هنا : مثل هذا الإزال العجيب الذي يتجلى لك وأقيا شافيا ، واضحا صريحا ، جامعا لأصول الدين المجمع عليها بين الشرائع وفروع الأحكام التي تختلف بحسب المصالح طبق ما تقتضيه حكمة الحكيم العليم ، أنزلنا القرآن . ويقرب من هذا

التعبير ما يجرى على ألسنة بعض الناس حين التنويه بفعل صدر منه « هكذا أجرى في شئونى » و « هكذا عادت في أعمالي » وأمثال ذلك . وضمير أنزلناه للقرآن .

وقوله : « حكما » للإشارة الى أنه يجب الإذعان لما فيه والتسليم به ، وليس لأحد فيه تغيير ولا تبديل ، فهو حاكم غير محكوم ، سواء فيما خالف فيه الكتب السابقة وما وافق فيه ، فهو مهيمن عليها جميعا . وقيل « حكما » أى حكمة ، كقوله تعالى : « وآتيناه الحكم والنبوة » .

وقوله : « عربيا » لبيان وضوحه من ناحية ، وللإشارة الى أحد مواضع مخالفته للكتب السابقة من ناحية أخرى أى لقد اقتضت حكمتنا أن ننزله عربيا بلسان القوم الذين اخترنا منهم رسولا ، ليدعوم إليه بآدى ذى بدء ، ثم يدعو العالم بواسطةهم بعد أن يحملوا عبء التبليغ على كواهلهم ، وهم جديرون بما عهد الله به إليهم بما وهبهم من قوة مزينة وشدة شكيمة ، وأنهم لا تلبس قناتهم ولا يداهنون فيما يمتقدون . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولعل من أوجه الحكمة في اختيار إنزاله عربيا أن كان ذلك تهية لاحتوائه على المعجزة الباقية بقاء الدهر ، فقد كانت أمة العرب بلغت في التنافس في البلاغة والبراعة اللسانية ما لم تبلغه أمة سواها ، فكانت أعرف الناس بوجوه التفاوت في أساليب لقول حتى يصل الى حد الإعجاز ، وليس أعرف بدقائق صنعة ما من أمة عكفت عليها وضمنتها معاخرها ، وجعلتها عنوان مجدها ، ونوالت عليها القرون وهي تترقى فيها ، حتى بلغ من تقديسها لها أنها إذا ظفرت بفارعة بزت غيرها كتبها بالذهب على الديباج وعلفها في أما كتبها المقدسة . فهل يوجد شعب هو أليق أن يبعث فيه نبي ذو معجزة خالدة من ذلك الشعب الذى حصر الفخار والمجد في الكلام وبراعته ، والقول وبلاغته ؟ « ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ذل ولا واق » : لقد بلغت الحجة مبلغها ، ولم يبق بعد انضاح الحق إلا غلبة الهوى وحكم الشهوات ،

ويعصك أفئدتهم ، فقد قالوا : كيف يكون رسولا وهو يتزوج النساء وتولد له الذرية ؟
 قائمهم الله ؛ وهل كان إلا بشرا رسولا ، وهل كان بدعا في الرسل أيها المتكلمون في أحكام
 الرسل أن يكون لهم زوجات وذرية ؟ لقد أرسل الله من قبل محمد رسلا ،
 وجعل لهم أزواجا وجعل لهم ذرية ، وهل يستمدون التأييد إلا من عند ربهم
 الذي وعدهم نصره وتأييده ؟ لقد كان يصح لكم أن ترمعوا هذا الزعم لو أن الرسل
 من قبيل أولئك الزعماء الذين يشودون على البشر يحاولون قهرهم وبسط سلطانهم عليهم
 معتمدين على قوتهم ومقدرتهم وشدة كفاحهم ، فهم لذلك يعتمدون من النساء حتى تبقى
 وتمول لديهم قوة البطش يتسلطون بها ، كما يروى عن ملوك ومواد وطلاب نار
 وأشباهم . أما النبي يرسله الله الى عياده برحمته لتبليغ رسالته وإقامة حجته ونشر
 شريعته ، يجمع عليها القلوب بالحكمة والوعظة الحسنة ، فإله وهذا المظهر العنيف
 الذي يتجلى في رجال الجبروت ؟

أجل . قد يضطر النبي الى كبح جماح المماتدين وإزالة كبرياتهم وعقوم من طريق دموته
 حتى لا يعبدوا عباد الله عن الاستجابة الى رسل الله ، وحتى لا يحولوا بين الناس
 وسماع هدى الله الذي أرسل به رسله اليهم ، ولكن هذا الجهاد المعتدل بقدر ما تسير
 الدعوة سيرها الحر ، والمضمون فيه التأييد من قبل القادر الفاهر ، لا يحتاج الى اعتزال
 النساء والأزواء مما أحل الله من متاع الحياة الدنيا

ولقد درجت السنة الإلهية على إرسال الرسل ، وأن يجعل لهم أزواجا وذرية ،
 كداود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء والمرسلين .

ولقد يكون من مقتضى الحكمة في كثرة أزواج النبي أن يكون ذلك سبيلا
 لتوسيع العلم بالشرائع الخفية التي لا تعلم إلا بالمعاشرة الزوجية ، فتحمل كل واحدة من
 الأزواج من أحكام شريعة ما علمته بما انفق لها من ظروف وملابسات ، وقد يكون
 من حكمة ذلك أن يعلم أن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاء توافق في الخير

والطهر والاستقامة أحواله في العلن ، فقلما يستطيع من يعطن غير ما يظهر أن يخفي ذلك عن معاصرات كثيرات إذا استطاعت إحداهن كتمان ما رأت أو شعرت به مما عسى أن يكون منكرا ، لا نستطيع الأخريات ومعلوم أن طبع النساء غالبا أنهن لا يستطعن أن يكتمن ، فكيف إذا نظرت إلى ما ترتب على كثرتن من تمكين الأوامر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قبائل كان لها حظ في نصرته الاسلام ، أو ما ترتب على ذلك من هداية قبائل بأسرها فرحا بشرف صهره صلى الله عليه وسلم ، أو تشريع أحكام تخالف ما ألفوه مما يرضه الله ديناهم ، مثل تهجينهم تزوج زوج النبي لإحاطة له بالابن ، كما في قصة زينب زوج زيد . وليس أبلغ في القضاء على هذا الاستهجان من أن يفعله صلى الله عليه وسلم .

وأما الذرية فحسبك منها أن المدعويين جلهم كانوا من ذرية خليل الله ابراهيم ، بل قل كانوا كلهم من ذرية نوح صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء وسلم ، فهل كان ابراهيم ونوح في نظرهم ليسا برسولين ؟ فقد سقطت هذه الشبهة .

وزعموا أنه لا يكون الرسول رسولا حقا حتى يقتدر على الإتيان بالمعجزات التي تطلب على وفق رغبة الطالبين ، فردّ جل جلاله عليهم بأن هذا لن يكون لرسول ، وما كان الرسول إلها شريكا ، وإنما هو عبد ورسول ، فليس له التصرف في السكائنات ، وما كان له أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، على وفق ما علم من حكمه ، وبقدر ما يؤيد رسوله ، حتى يتضح الحق ، ويتبين الرشيد من النقي ، ويظهر الفرق بين المسمى صادقا وبين المفتري الكذاب .

ولقد أيد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالآيات نلو الآيات ، من محسوسات وممقولات . وحسبك بالقرآن آية ، بل كل مقدار سورة منه آية ومعجزة ، فهو آيات بينات لا تنتهي عجائبه ، ووجوه إعجازه لا ندع متعللا لتعلل ، فلم تقتصر على البلاغة ونحوها بما يخص الأمة العربية ، بل فيه من وجوه الإعجاز غير البلاغة ما يملأ القلوب اقتناعا متى طلبت الحق في غير عناد ولا مكابرة .

وزعموا أنه لو كان رسولاً ما خالف شرائع الرسل قبله في بعض الأحكام، كالتوجه في الصلاة إلى السكبة بعد ما كانت الصلاة إلى بيت المقدس مثلاً، فجاء قوله تعالى : « لكل أجل كتاب » لإزاحة تلك الشبهة ، ويبيان أن الأحكام ينزلها الملك العلام مراعى فيها الصالح الكامل العام ، وذلك مما يختلف باختلاف الأمم ولا زمان ، فرب تشريع هو أوفق بأمة في زمن بينما ضده أوفق بغيرها من الأمم التي وجدت في زمن آخر . وانظر إن شئت لهذا المثل الذي نجلوه لك :

نقد وزح بنو إسرائيل قروناً طويلة تحت نير الذل والظلم الذي أوهقهم به الفراعنة ، حتى خنعوا وألقوا الخنوع والاستكانة والمذلة ، وضعت نفوسهم ، فكان من الحكمة في تربيتهم أن يؤمروا بالاستمسك بحقهم ، وأن ينهوا عن الترخي في حقوقهم ، وجعل استيفاء الحق الذي له أمر واجباً عليه ليس له أن يتسامح فيه ، فكانت شريعتهم عدلاً خالياً من الفضل . فلما استقر ذلك فيهم وتمكن من نفوسهم وأصبح ديناً واسعاً ، وأريد استلاله من نفوسهم ، جاءت المسيحية تدعو إلى الفضل والتسامح كل الدماء ، وما كان هذا ولا ذاك بالتشريع الصالح للاستقرار ، وإنما هو علاج لمرض اعتري أئماً في بعض أحوالها ، فلما اعتدل مزاج الإنسانية ، وأصبحت صالحة لتلقي الشريعة السمومية ، جاء الإسلام يعطى الحق في إقامة العدل ، بينما يرغب في الفضل ، حتى يكون التسامح إذا جاء من صاحبه جاء من القادر على استيفاء حقه ، وينطبق عليه أن حقيقة العفو ما كان عن مقدرة في القصاص ، وإلا فهو ذلة ومهانة .

أرأيت كيف لاق بكل حالة حكم لا يليق بغيرها ؟ فهذا سر أن تكون المصلحة في أن يكون لكل أجل كتاب ، أي لكل مدة أو لكل جيل كتاب تشريع يليق به ، ويصلح له ، وتقتضيه الحكمة الإلهية .

فالمراد بالكتاب الشريعة ينزلها الله على عباده رحمة بهم وموافقة لمصلحتهم . ولما زعموا أنه لا يليق أن يحكم الله بحكم في وقت ويحكم بغيره في غيره ، رد عليهم

جل جلاله بأن هذا وفق مشيئته ، وهو أعلم بوجه الحكمة ، فهو يحكم ما يشاء من الأحكام بعد أن انتهت دواعيها ، ويثبت ما يشاء مما هو حقيق بالاثبات والتثبيت . قرى ويثبت بإسكان التاء ، من أثبت ، وقرى ويثبت بتشديد الباء ، من التثبيت . قال تعالى : « وعنده أم الكتاب » :

أم الشيء : أصله الذي عنه ينشأ . فقيل المراد به هنا علم الله إذ هو أصل الشرائع والأحكام وغيرها من إيجاد وإعدام . وقيل هو اللوح المحفوظ ، وهو مخلوق ، هو سجل الكائنات أودع فيه ما كان وما يكون .

هذا ولا نرى بأساً من أن نعرض لما درج عليه بعض الناس من بده دعاء خاص في زمن خاص بهذه الآية الكريمة ، كما يرى ذلك عند الجمهور في ليلة نصف شعبان ، حتى يتجلى الحق والصواب بقدر ما نرى ، وبالله التوفيق ، فنقول :

الكلام في هذا للوضوح في مقامين :

(١) مقام أهذا يصح في نظر العقل وينطبق على روح الدين ، أم هو مما يباه العقل وينكره الدين ؟

(٢) مقام هل صحت الرواية به فيؤخذ على هذا الوجه على أنه مما نقل عنه صلى الله عليه وسلم فتعبد به ؟

أما المقام الأول فإن لمحو ولا ثبات في التشريع وفي التكوين حاصل لا محالة . أما في التشريع فبالنسخ ، لا يستطيع أحد أن ينكره ، إن لم يكن في أحكام شريعة واحدة فهو في أحكام شريعة مع شريعة كالاسلام مع اليهودية مثلاً . وناهيك بقوله تعالى : « حرّمنا عليهم شعورهم » مثلاً ، وهي حل لنا ، وكقوله تعالى : « ربنا ولا تحمّل علينا إصراً كما حمّلته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا مالا طافه لنا به » وقد كتب على بنى إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم لتقبل توبتهم ، ولم يكن من ذلك شيء في شريعتنا . وقد يلتحق بذلك أن الله يحو أثر الذنب بالتوبة ، وأثر الكفر بالاسلام ، والعقوبة المستحقة لمعصية بالشفاعة بإذنه .

وأما في التكوين فإن الله يحو الحياة بالموت ، ويحو الظلمة بالنضياء « فحوّنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » وليس الحو عبارة عن تبديل الشيء مع قيام سببه ، بل تبديل سبب له أثر بسبب له أثر يضاده ، فيمحي الأثر الأول ويحل الأثر الثاني محله . فقل على هذا متوسعا : يحو الظلم بالرى ، ويحو الجوع بالشبع ، ويحو الفقر بالغنى ، وهكذا مما لا يحصى ، فكل هذا فيه حو وإثبات ، وليس فيه تغيير ما في علم الله ، وإنما هو إبراز معلوم له خفي عنا ، وإخفاء معلوم آخر كان ظاهرا لنا .

وإذا كان الحكيم العليم قد ربط لمسيبات بأسبابها ، ولم يترك الأمر فرطا ، فليس يبدع في نظر العقل أن يبدل سببا بسبب فيقتبدل مسبب بمسبب ، وهو خالق السبب والسبب ، واجعل الربط بينهما بقدرته وإرادته . وكما نعمل السببية والمسببية في الماديات كقطع السكين وإحراق النار وإطفاء الظأ بشرب الماء ، وفي الشرعيات كشواب المصلي وعقاب السارق والظالم ، وأن أثر كل من ذلك ترتب عليه يوجد حيث يوجد وعدم حيث عدم ، فلا نزيد على العقل أن يقول : ومن هذا القبيل الانتفاع بالدعاء واستجابة الله لمن دعاه « ادعوني أستجب لكم » .

فإذا قال قائل : هل لو لم يدع كان يحصل له ما دعا به ؟ قلنا : وهل لو لم يصل كان يثاب ؟ وهل لو لم يؤمن كان يتجو من النار ؟ وهل لو لم تقطع عنقه كان يبقى حيا ؟ إن كلا من السبب والمسبب معلوم حصولهما وعدم حصولهما لله من الأزل ، ولكن هذا غير داخل في دائرة تصرفاتنا ، فكما ليس لنا أن نقول : لا نسعى لرزقنا ، ولا نتناول غذاءنا ، فإنه إن علم الله لنا سعة الرزق اتسع ، سَعِينَا أو لم نسع ، وإن علم الله لنا الشبع شبعنا سواء أكلنا أم لم نأكل ، كذلك ليس لنا أن نرتاب في أمر الدعاء ونقول : إن علم الله حصول المدعو به حصل ، دعونا أو لم ندع . فعليتنا أن ندعو كما علمنا الله أن ندعو ، ونطمئن للإجابة كما وعدنا الله أن يستجيب « ادعوني أستجب لكم » فهذا المقام لا نرى فيه شبهة ، وليس عللا لوقفه ونغاية الأمر يروع المتذمرين منه كلمات

تثير في النفس استمرازا مثل كلمة « إن كنت كتبتى في أم الكتاب، فإن المتبادر أنه ما في علم الله، ولكن ليس هذا بلازم، فقد يكون معنى أم الكتاب اللوح المحفوظ وما فيه مما يطلع عليه الملائكة المقربون، وقد استأثر الله بعلم أشياء اختص بها لم يطلع عليها ملكا ولا مقربا، وهو ما يسمى بالقضاء المعلق، وهو ما يصح أن يحمل عليه ما ورد — والمذر على صحة الرواية — من أنه لا يزال القضاء والدعاء يتلحان حتى يغلب الدعاء القضاء، فحال أن يكون معنى القضاء في مثل هذا، القضاء المبرم أو ما في علم الله، فإنه لا تبدل لما علم الله قطعا وإنما هو ظهور ما علم الله. ولعل من حكمة هذا الاستئثار أن يبقى كل عبد من عباد الله مهما اطلع على اللوح المحفوظ أو غيره دائرا بين الرجاء والخوف، فلا يأمن مكر الله ولا يئأس من روح الله.

أما المقام الثاني وهو صحة الرواية، فأشهد أني لم أطلع على هذا الدعاء في كتاب من كتب السنة الصحيحة التي يعمل على رواياتها ويعمل بمروياتها، وإنما رأيت ذلك في بعض كتب التفسير، وقد عرف للفسرون بعدم العناية بالتحري في مروياتهم وخص أسانيدهم عناية المحدثين.

أما أن تقول إنه لم يخرج الأمر فيه عن أنه دعاء والدعاء مطلوب على العموم، أو أنه من فضائل الأعمال فيمكن في الروايات الضعيفة، فنقول: حقا، لو لم يكن قد دخله ذلك التخصيص بحالة وكيفية ووقت خاص ألحقه بالتشريع للكيفية المخصوصة، والشئ قد يكون مقبولا في عمومه ولكن ما يحيط به من مخصصات بكيفية أو زمان أو مكان يجعلنا كأننا ندرعه وأدخلنا في ديننا ما ليس منه، وهو رد بمقتضى الحديث الصحيح. فالذي ينقدح في نفسي أن الدعاء وإن طلب في عموم هذه الخصوصيات تتطلب سندا من السنة الصحيحة، ولم أقف على ما يثبتها مما يعمل عليه، وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم.

ابراهيم الجبالي

الفكرة والاسلوب

في أدب البداوة

الأدب البدوي يصف ما يرى ويسمع ، وصفا صادقا قويا ، منبعثا عن إحساس وشعور ، لا أثر فيه للتكلف والتعمل ، ولكنه قريب النور ، قليل العمق ، على أن فيه جمالا ، وفيه براعة ، وفيه لذة للمعين ، ومتمعة للسمع ، وليس من التصفية في شيء أن نطلب اليه وصف أفكارنا ووجداناتنا ، والحديث عن عواطفنا وإحساساتنا ، وغذاء النفوس الحضورية التي ارتفعت أفاويق المعارف الانسانية ، وتذوقت نمار الأفكار ، واطلعت على نتائج القرائح الحديثة . وبحسبه أن يشمرنا عند قراءته أو سماعه أنه يتصل بنفوسنا ، ويمت فيها العشوق الى ما فيه من صور وأخيلة قريبة ساذجة .

السنا نتأثر كل التأثر ، ونحس أربحية تهزنا هزة ارتياح إذا سمعنا ذلك الأعرابي وهو ملتف في شملته قد حرك حنين المطايا كامن شوقه يرتجز في قلب البادية بقوله :

دع المطايا تنسم الجنوبيا إن لها ثبأ عجيبا
حنينها - وما اشتكت لغويا يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حلت إلا في كثيبيا يسر مما أعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا إذا لا أثر بين النيبا

إن الغريب يسعد للغريبا

هذه صورة ساذجة لعاطفة نبيلة ، فيها جمال نفسى محبب ، وفيها شعور صادق ، وإحساس بديع ، أذاب الأثرة من النفس الانسانية ، وخلق فيها الايثار ، نعم ولكنها لا تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة ، بل هي بدوية خالصة من نسج البداوة ، وإتعا مكان السمو منها الشاوكة في الاحساس والصدق في الشعور .

والشعر الجيد هو الذي يعمل في النفس الحساسة عمل الفنى في الدمية التي توحى بها العبقرية الفنية ، أى هو الذى يبرز الخصائص النفسية ، ثم يلائم بينها ملائمة تجعل منها صورة حية .

أما أسلوب هذا النحو من الأدب ، فسيله سبيل أغراضه ومعانيه وصوره يتأثر مثلها بالطبيعة التي أوجت به والبيئة التي عاش فيها ، ومن ثم غلبت عليه الجزالة والعمق ، وارتضاخ الغريب الوحش من الألفاظ مع قوة لأسر ، ومتانة العبارة ، لأن أدب البداوة لا يعرف التعبير والتشويق ، ولا تصطنع لروية في تخيير العبارة ، وإنما شأنه إرسال نفسه على سجيته إرسالاً ، وترك سليفته تتثال عليه بما أراد من المقاصد اثباتاً ، فهو يرى ويسمع ، ثم يعبر على البديهة والارتجال .

قال أبو عثمان الجاحظ في (البيان والتبيين) : « وكل شئ للعرب فإمّا هو بدئية وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجابة لفكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف همه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصاص ، أو حين يمتنع على رأس بر ، أو يحدو بيمير ، أو عند المقارعة والنافلة ، أو عند صراع ، أو في حرب ، فإما هو إلا أن يصرف همه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه القصد ، فتأنيه للعانى إرسالاً ، وتثالث عليه الألفاظ اثباتاً ، لا يقيد على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكافون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهور وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وأقهر وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه في البيان أرفع ، وخطابهم أوجز ، والكلام عندهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ ، أو يحتاجوا الى نذار ، وليس هم كمن حفظ عن غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، وانصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب » .

وإذا فكر البدوى فليس تفكيره مصروفا الى وضع لفظ مكان آخر لإثارة رقة

حاشيته وخفة جرسه وحسن موقعه في السمع ، ولكنه يفكر في إصابة غرضه الذي اليه قصد ، والى الاحسان في وصف مناظره كما رأى أو سمع ، وفي سداد منطقته كما أراد ، ولا يفتيه بعد كمال انسجام الموضوعات ، وتأخيا في ذاتها ، أو بحسب مقاماتها ، ويكفيه في إيراد المعاني متتابعة ما يترأى في ذهنه من المناسبات والاتصال ، فقد تكون الخطبة الواحدة ، أو القصيدة الواحدة حاوية لموضوعات لا ينظمها عقد واحد ، أي ليست لها وحدة فكرية خاصة تجمع أطرافها ، وتضم معانيها حتى يتألف منها شيء له ذاتية مقومة . ومن أوضح الشواهد في النثر البدوي على هذا خطبة أكرم بن صيفي الغنيمي بين يدي كسرى في وفد النعمان حيث قال : « إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعماها قعما ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والثمر بلحاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة الزأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ، من قسدت بطائته كان كالثاس بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرى ، المرء يعجز لا عمالة ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يرأب النصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك الحمل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعل ، ابلاغه الا يجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف » .

فانظر كيف تنقل من شيء الى شيء وثبا ، ومن موضوع الى موضوع قفزا في مقام واحد دون روية ، أو تفكير فيما يربط هذه المعاني بعضها ببعض ربطا وثيقا ، وليس يظهر في نظر البداوة ارتباط محكم بين هذه الحقائق المترودة سردا ، وهي على إجمالها في صورة الحكمة والمثل ، إلا ما عساه أن يكون قد انقدح في ذهن الخطيب مما يمكن أن يدخل تحت ما يسميه علماء النفس (نداعى المعاني) . ولعل كسرى لم يقل

له : ويحك يا أ كتم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعت كلامك في غير موضعه : .
 إلا لما قام بنفسه من عدم وضوح الصلة بين تلك المعاني التي ثراها أ كتم بين يديه .
 ومن هنا قال بعض الباحثين : « وكان أسلوب العرب في الخطابة مخافاً لخطباء
 الروم واليونان والفرس ، فكانت فقراتهم مثل الجواهر النثورة لا ارتباطاً لبعضها
 ببعض ، ولذا كانت أ كثر ما تروع مستمعها بتبزيقهم على غيرم في هذا الأسلوب » .
 أما شواهد ذلك في شعر البداوة فأنت واجدها في غير عسر ولا مشقة في أ كثر
 تلك المطولات العربية التي قامت عليها المفضليات والجمهرة والمعلقات ، واستقلت بها
 دواوين شعراء البداوة عامة ، ولا نستثنى سوى شعر الشعراء المهجريين الذين اتخذوا
 الشعر فناً أدبياً يعنون به عناية الفنى بفنّه ، ينخلونه نخلًا ، ويصفونه تصفية ، وينقدونه
 نقداً يذهب بيمضه ، ويبقى على بيمضه ، وفي شعر زهير وابنه كعب شيء كثير من ذلك
 التشذيب والتهذيب الذي يصل المعاني بعضها ببعض ، ويكشف عن الفجوات القائمة
 بينها ، فيعمل الشاعر على سدها حتى تلتئم وحدة إن لم تكن كاملة التنسيق والربط فهي
 منه بسبب قريب ، وما حوليات زهير إلا مظهر من مظاهره الجالية ، وهو في شعر
 الحطيئة أكل وأوضع .

وفيما عدا شعر هؤلاء الشعراء النقاد لا تجسد القصيدة العربية في العصر الأول
 وحدة فكرية خاصة تبنى عليها وتميز بها شخصية الشاعر ونجمل القصيدة فكرة ملتزمة
 لا يجيد عنها الشاعر ، ولا تقبل التبدل ، وإنما هناك وحدة لفظية هي اتحاد الوزن
 والقافية ، ووحدة فكرية عامة هي وحدة البيئة الشائعة ، ووحدة الرسوم الذهبية عند
 الشاعر البدوي ، أي خطوط المعنى بباله واتصاله بنفسه ، واستلهامه مشاهدته ، ولا يرى
 الوحدة المعنوية شيئاً مهماً ، وأقصى مداه في هذا استحسنانه أن يكون بين البيت والبيت
 نسب وقران روى الجاحظ : أن نوفل بن سالم قال لرؤية ابن العجاج : يا أبا الجحاف
 مت متى شئت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عفة بن رؤية ينشد رجلاً أعجني ،
 قال : إنه يقول لو كان لقوله قران :

قد يكون لهذه الخصيصة في أدب البداوة أثر كبير في دراسته التاريخية ، وتميز الصحيح من المنحول ، وقد تصلح أن تكون (صيغة) في ميزان النقد الأدبي إذا مسكت به يد حاذق متمهر ، لأنها مظهر السذاجة التي طبع بها هذا الأدب ، وكانت عنوانا عليه ، حتى إنه ليكاد يخلو من التزييق اللفظي والمجاز الغريب والكنايات البعيدة والتشبيهات العقلية التي تركز على الخيال المتسلسل ، وعلى التفكير العميق الذي يربط بين المعاني ربطا منطقيا محكما .

صاحب إبراهيم عرجونه

العدل في الأحكام

قال العنبي : إني لقاعد عند قاضي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه .

فقال صاحب الحرس : إن أمير المؤمنين وكلني في خصومة بينه وبين إبراهيم .

فقال القاضي : شاهديك على الوكالة .

قال صاحب الحرس : أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بيني وبينه إلا هذه السكرة ؟

قال القاضي : بلى ولكنك لا تثبت الحق لك ولا عليك إلا بينة .

قال العنبي : فقام الحرس فدخل إلى هشام فأكبره . فلم يلبث أن قعقت لأبواب ، وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين . فلما رآه القاضي مقبلا قام من مجلسه وبسط له مصلى فقدم عليه ، وخصمه إبراهيم بين يديه . وكنا حيث نسمع كلامهم ونخفي عما بعضه فنكلمنا وأحضرا البينة .

فقصى القاضي على أمير المؤمنين . فقبل الحكم راضيا ، ورد إلى خصمه ما حكم به قاضيه . وقال أمير المؤمنين المهدي بن أبي جعفر المنصور لربيع بن أبي الحكم وإلى أرض فارس : يارب آثر الحق ، وأزم القصد ، وأبسط العدل ، وارفق بالرحمة ، واعلم أن أصل الناس من أنصف نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره .

المنبوذون في الهند

الوسائل الفعالة لهدايتهم الى الدين الاسلامي الحنيف
تحرير مقدم لفكرة صاحب الفضيلة الاستاذ الدكتور

علمت اليوم أن بين يدي للشيخة الإسلامية الجليلة اقتراحا بإيجاد بثة أزهرية من بعض العلماء الى الهند ، للقيام بدعوة المنبوذين الى الدين القيم ، وإقناعهم بإصلاحه لنفوسهم ، وإروائه لظمئهم الروحي من معين الهداية الإلهية ، وتطهير نفوسهم من الرجز المعنوي الذي ألصقه بهم رؤساء التعاليم الهندوسية ، وألقى بهم في مهاوى الهلاك . فصار هذا الجيل من الناس أحط دركا من المعجوات لا في نظر مواطنيهم الهندوس فحسب ، بل أيضا في نظر أنفسهم فقد سرى اليهم بحكم البيئة وقوة الاستمرار أنهم خلقوا منذ الأزل منبوذين ، وخرجوا الى دنيا منبوذين ، وسيبقون كذلك الى أن يجتازوا (المعبر) آحادا في مدد مختلفة من أعمار (دهر) يقضونها في تجارب قاسية فرضها عليهم الإله (برم) .

ولكن كنت أشعر بما لهذه العقيدة الفارقة من الأثر السبيء في حياة المنبوذين وصور تفكيرهم في الخلاص منها ، أحببت أن أدلى اليكم ببعض ما لدى من التفصيلات في هذا الموضوع رجاء أن أكشف بها لكم ما قد يلاسه من غموض . وحسبي من هذه الرغبة أن أكون قد شاركت الساعين في الخير لهداية هذا القسم من سكان الهند بالتصريحة ، وهي دين علي لكل مسلم .

لأصل في نشأة هذه العقيدة السيئة في المنبوذين ، أدويه لكم كما يقصه علينا التاريخ الهندي القديم : هو الطفيان للسياسي من قدماء الآريين الذين استعمروا الهند ، فإتهم بعد أن احتلواها بجهولهم اللحية فرضوا سيادتهم على السكان المقهورين ، وسلبوا من أيديهم كل مصادر الثروة ، واستعوزوا على الأعمال الاجتماعية « كهانة » وملكا

وجندية وزراعة وتجارة، وكل ما إلى ذلك . وجعلوا هذه الأعمال وراثية في أعقابهم ، بعد أن أزاحوا عنها سكان البلاد . واستمر ذلك قرونا طوالا استعجرت فيها هذه السياسة القشوم ، واستحالت إلى عقيدة دينية قسمت الهند إلى أربع طبقات ، ثلاثة منها للآريين ، وهى : طبقة الكهنة ورجال الدين ، وطبقة الملوك والجند ، وطبقة الزراع والتجار . أما الطبقة الرابعة فهم العبيد المحقرون أهل البلاد الذين دعاهم الآريون (أباريا) أو شودرا ، وهم المنبوذون الذين يجرى عليهم حكم (لا مساس) الصارم . فقد حرموا اختلاط بهم ، وعزلوهم في مقابعهم ، وبالغوا في مقاطعةهم ، حتى جعلوا كل شيء يلامسونه نجسا نجاسة عينية مغلظة غير قابلة للتطهير ؛ وحجروا عليهم أن يدخلوا الهياكل والمعابد ، وكذلك المنازل والأسواق ؛ واستمروا يمانون ذلك إلى هذا اليوم . ومن موجعات النفس ما كنا نسمعه من حين لآخر من أفواه المنبوذات وهن سائر في الطريق وحين يكثر العابرون ، نسمعهم يصرخن بملء أفواههن (احذروا أيها اللذة إنى نجسة) ولو مرت المسكينة ساكنة من غير إنذار أو إعلان عن نفسها واتصل بها طرف ثوب أحد الهندوس لشوى جلدها الغض ضربا .

وطبيعى أن الدين الذى يقسوم على هذا الأساس ، ويفصل للطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض فصلا يفكك وحدة المجتمع ، ينتج في الأمة التى تدين به أخطر النتائج وأسوأها في الحياة . ولم لا ، وه نحن نرى كل طبقة من طبقات الهندوس تعد نفسها كيانا منفصلا من بقية الطبقات ؟ واليك ما هو حاصل بالفعل .

فإن طبقة الكهنة من الهندوس محرم عليها أن تأكل من طعام وآنية الطبقة التى دونها ، وهى طبقة الملوك والجند . وطبقة الملوك والجند محرم عليها أيضا أن تأكل وتشرب من طعام وشراب الطبقة التى دونها : طبقة الزراع والتجار ، وهذه يحرم عليها أن تأكل طعام (أباريا) أما العكس فلا يحظر فيه ، فإنه يسوغ للأدنى أن يأكل ويشرب من طعام وشراب الأعلى .

وبالرغم من هذا التعسف في هذا التقسيم وإجرائه مجرى العقائد والتقاليد الراسخة، فقد نبغ بين الهندوس متأدون عصريون اتسعت لهم فلسفة التصوف لتوجيه هذه التقاليد المستفكرة توجيهها عليها يستهون به قلوب العامة من المتعديين، ويستنبطون لهم من ذلك معاني روحية سامية توحى إلى الناس حب الفناء في عقيدة وحدة الوجود، وغريب أن يعمد العقل البشري إلى تعالم الانشقاق والخلاف، فيستخرج منها فلسفة تذهب في تخيلاتها مذهب الاتحاد والحوال، وهو اليوم مذهب القليين من مصلحيهم.

لكن مما اتسع مصدر الفلسفة للتلفيق والترقيع والتلاعب بالألفاظ، فهو لا يتسع لإلنكار الحقائق وسر الفظائع الواقعية، فإن التملين من طبقة للنبوذون الذين تخرجوا في مدارس الارساليات المسيحية والجامعات المختلفة، لم يتخذوا بهذا التفريق، بل شرعوا يجهلون خصوم حقهم، باستنكار فلسفة الفناء في القبر، وتقبيح الجسد على التقاليد، وأخذوا يرفعون عقيرتهم في المطالبة بالحقوق الانسانية التي سلبها منهم أولئك المغبون ودرج على ذلك أعقابهم، وهم يأبون أن يتساهلوا لهم في شيء من هذه المطالب صيانة لتقاليدهم من الانهك والانهيار، فقد حاول غاندى بكل ما أوتيه من نفوذ وروح في الهند، أن يحس الهندوس على قبول التساهل في الاعتقاد بطهارة النبوذون، والتناضى من دخولهم إلى الهيكل البرهية لممارسة الطقوس حذرا من دخولهم في الاسلام، فأخفق في ذلك إخفاقا شديدا كاد يودي بحياته، وينتهي بجرمائه من لديانة الهندوسية. ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن الهندوس متمصبون متصلبون في عقائدهم بصورة تكاد تكون خطرا دائما على البلاد، وهم لا يجهلون عواقب هذه الصلابة وما تجره خلفها من ويلات، وقد يكون من أقلها خروج سبعين مليوناً عنهم ونبذ ديانتهم وتوابعهم في أحضان الديانات الأخرى، مع أن سياسة الشرق قائمة على الديانات وللتكاثر بين معتنقيها، لكنهم مع ذلك يفضلون خروج هذه العشرات من الملايين من دينهم على أن يتساهلوا في شيء يتصل بالعقيدة. وقد علمت أن الهندوس لا يجحدون في أنفسهم

غضاضة من اعتناق المنبوذين النصرانية كما يجحدونها في عتاقهم الاسلام الذي يكافونه أشد كفاح عرف بين الطوائف الدينية في صور الاضطهاد .

هذا هو مصدر الخلاف المستفحل بين الهندوس والمنبوذين . وهو كما رأيتم غير قابل للتلاقي ، لأن الهندوس يجحدون في ذلك ما يقضى بهم في نهاية الامر الى تقويض أركان دينهم العملية التي لم تقم إلا على مناقضات تاريخية لا مناعة فيها ، وهي غير قابلة للتعميم بأي وجه من الوجوه .

أجل : حاولت النصرانية في الهند منذ قرن ونصف بكل ما أوتيته من بأس وقوة وبكل ما لديها من عدد وإرساليات ومدارس ومستشفيات ، وملاجئ ونواد وجمعيات ومطالع ؛ وبكل ما لديها من جدل وحجاج وأموال ومغريات ، أن تستهوي المنبوذين الى اعتناق النصرانية ، فلم تفلح إلا في اكتساب عدد قليل منهم لا يستحقون الذكر بجانب الذين يدخلون منهم في الاسلام كل يوم بمحض الرغبة دون إغراء ولا تشويق وقد سمعت تعليلا لذلك من فم الدكتور (كار) زعيم المنبوذين إذ يقول : « نحن لا نريد أن نخرج من دين الطبقات الى دين آخر بمائله ، ذلك أن الكليروس المسيحي يعامل المنتصرين معاملة قاسية لا تتفق والديقراطية التي يجب أن نكون من روحية الدين الذي نرغب فيه خلاص أنفسنا من ربة العبودية للغير ، والاستخذاء للتقاليد ، فإن الكليروس المسيحي يحجر عليهم الصلاة في كنائس البيض . ونحن لهذا السبب لا نجد فارقا بين ما يحدث هذا النعم أو الانتحاس من سوء الأثر في نفوسنا » .

وهناك سبب آخر يصرف المنبوذين عن اعتناق النصرانية وهو عامل الوطنية ، فهم يلاحظون بحذر ضعف الروح الوطني في متصرة الهند ، ويشعرون منهم بالليل الشديد الى استيلاء الهند تحت سيطرة دولة مسيحية عن أن يكون مستقلا استقلالاً تاما تسود فيه كلمة الوطنيين .

وبما لا شك فيه أن المنبوذين رغبة صادقة في عتاق الاسلام ، وتفضيله على جميع الأديان ، لميزات يجحدونها فيه وحده ، منها :

تقرر مبدأ المساواة بين معتنقيه ، وهو لا يفرق في ذلك بين جنس و جنس ، ولا بين لون ولون . فهم يرون كل من أسلم يصير أخا للمسلمين جميعا له ما لهم وعليه ما عليهم ، يعبد الله تعالى في أي مسجد شاء ، ويصلي الى جنب أي شخص أراد ، أميرا كان أو أمورا ، وأن الإيمان بالله الواحد الأحد كاف لتطهيره .

ومنها أن المسلم عنصر شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامز ، ولا يدين بالطاعة إلا لله تعالى ، ولا يستغنى لسلطة فير مشروعة ، وهو متزع تلتقي فيه جميع رغبات الوطنيين . ومنها كمال الآداب الاسلامية وطهارتها ، وكفائتها للصيانة الاجتماعية . ومنها وضوح عقائده ومطابقتها لمنطق العلم والأبحاث العقلية .

استقر ذلك في نفوسهم بما يقرءونه مما ينشر في السكتب والرسائل التي لا ينقطع موردها ولا ينضب معينها ، سواء أكانت لنشر الدعوة أو لرد غارة الطاعنين في الاسلام ، على أنهم لا يجدون فضاضة على الاسلام فيما يقوله عنه الأعداء غير مما حكت كلامية يفرع اليها الكاتبون الى النعمز والنعز في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي لا تصلح أن تكون مطعنا يصرف القلوب المؤمنة عن تفهم روح الاسلام . وهي إن دلت على شيء ، فلمّا ندل على سوء أدب كتابها وخيب طوية ناشرها .

ولا شك أن علماء الاسلام في الهند نظروا لوجودهم في معترك الأديان قد أصبحوا أموى مراس وأعزم مادة في تفهم روح الاسلام ، وأعلم بطرق الجدل والنقاش مع مناظرهم من أهل الأديان السائرة (اثنائة وغير المناوئة) يضاف الى ذلك تعمقهم في مباحث الفلسفتين القديمة والحديثة ، وتذوقهم لمعاني القرآن الكريم ، وتقديرهم لما فيه من سمو وفداسة ، وقد يندو العشور على رجال جدليين من طرازهم في البلاد التي لم تنضج فيها الدراسات الجامعية نضجا علميا كافيا .

ومما كانت صور الحقائق مستقرة في الأذهان قد ينبني أن تقارن بالنظائر والأشياء المطابقة لها من الفلسفة الحديثة وتاريخ الأديان ، لتكون منيرة أخاذا بالآليات مشرقة على العلم الحديث

ولكى تسكن من إظهارها سرودة مدالة مفهومة ينبغي ترويضها في جملة من اللغات ، حتى يكمل صفاها ، ونبدو في مطالع الإلهام الإلهي من الفطر الكريمة ، وأين نحن من هذا وشبابنا لم يزل نجيا في السرية وهي لتتنا ، فكيف به في غيرها من اللغات التي لم تروض لتوضيح ما لدينا من عقائد وآداب .

على أن هذه الطريقة في الإرشاد الديني لا ينبغي أن تلقن للعمامة من شاكلة للنبوذون ، بل تلقن للخاصة من كبار المتصنين ، وهم قليل بل أقل من القليل ، فارسل وفد لاقتناع هؤلاء الخاصة مع ما يجب أن يتوفر فيه من المؤهلات الكثيرة يكاف تكاليف بهظة لا قدرة لمؤسساتنا الحاضرة عليها .

يجب أن يكون للوفد استمدادات مالية واسعة للانفاق منها عن سعة ، كي يظهر بالمظهر المشرف بين الذين يقومون بدعوتهم الى الاسلام ، حتى إذا ركب فلا يركب إلا الدرجة الأولى ، وإذا ظهر للناس كان في بزة ورواء ، وإذا نزل بلدا قصد أكبر فنادقها وأغلاها ، ليسمو بذلك في أعين الأكاير الذين يدعوم الى اعتناق ديننا ، ويؤثر في حواسهم قبل قلوبهم .

وأما إذا كانت لرغبة دون ذلك غايتها إظهار شهوة محدودة في النفس للقيام بعمل عادي لا يتعدى عرض عقائد مبسطة في الكتب يوثق بها كدليل للعقائد على إثبات وجود الله تعالى ، وعلى نفي المائلة له ، وإبطال القول بوجود الشريك والولد ، وتثبيت بعثة الرسل ، فانه لا ينتظر أن يكون لهذه البعثة أقل أثر في أرجوحه من قلب أوضاع الهند الاجتماعية ، وإدخال سبعة ملين في الاسلام .

مولاي :

إن السعي في إسلام النبوذون ومحاولة إقناعهم اختيار ديننا القويم ليس في حاجة ملحة الى إيفاد بعثة من الأزهر لم يستلزمه من نفقات ومؤهلات لا قبل للبلد بهما . وإذا أمكن جمع المال فيجب أن يتوفر شيء آخر أجدي من هذه البعثة على المشروع ، بل يحتاج الى إنشاء مؤسسات تكون خاصة بالمسلمين ، من النبوذون وغير النبوذون .

أما بدون ذلك فمن يتم شيء، فإن فقدان هذه المؤسسات كان عقبة كأداء في سبيل إسلام
المنبوذين، كما صار حتى بذلك غير مرة كثيرون من زعمائهم، فهم يقولون: نحن الآن
في حاجة ماسة لإيجاد مدارس يتعلم فيها أجدادنا ومستشفيات يعالج فيها مرضانا وملاجئ
بأوى إليها عجزتنا، وقد لا نرى شيئاً من ذلك عند المسلمين في الهند، وأغنياؤهم أشعة على
الخير، يمتنون بأموالهم على إنشاء مثل هذه المؤسسات، فإذا نحن أسلمنا وبما فقدنا كل
ما نجده من المساعدات التي تقدمها لنا الطوائف الأخرى التي توالينا بعطفها في محبتنا
لخاضرة مع الهندوس. ولا يستبعد أن يعتمد إلى إقفال مدارسها في وجوه أبنائنا
ومستشفياتها دون مرضانا، وملاجئها دون عجزتنا، وما هي إلا مدارس الإرساليات
لدينية مختلفة ومستشفياتها وملاجئها.

تلك هي العقبة التي تحول دون إسلامنا، فهل يوجد بين مسلمي الأقطار الأخرى
أغنياء كرماء يخلصون لدينهم، فيقومون بتدبيرها، ويعبدون لنا منها طريقاً نسير عليه
آمنين إلى اعتناق الإسلام السمح الذي يجب أن يسود الهند؟

هذا هو الرأي الحقيقي الذي له قوته السحرية في حل قضية المنبوذين حلاً مطابقاً
للفكرة الإسلامية الرصينة.

فإذا كان إخواننا المصريون يرغبون في حل هذه القضية، ويريدون أن يساعدوا
إخوانهم مسلمي الهند مساعدة قيمة يحفظها لهم التاريخ باهداء سبعين مايوتا إلى الإسلام
تعتريهم جامعته الكبرى، ويحمل الهند في المستقبل قارة إسلامية، فقد واثقهم الفرصة
بذلك، وما عليهم إلا أن يتقدموا إلى الاكتتاب زراعات ووحداً، لبناء تلك للتؤسسات
التي لا سبيل إلى انتشار الإسلام في العالم بدونها.

أما التبشير الرخيص الأجوف الذي لا يقوم على سياسة الانشاء والبذل والتعير،
فلن يفيد فائدة تذكر، ولن تقوم في مستقبل الدعوة إلى دين من الأديان على مجرد الحجاج
أو الآماني.

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة - أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

مضيفنا بالفارسي في شطر غير قليل من البحث عن الجسم الطبيعي ، وكيف أن الأجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها ، ثم تتفاضل بقبول الشريف من الآثار التي تحدث فيها ، وأن لجسد من تلك الأجسام الطبيعية إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التي لا تقبل تلك الصورة .

ثم إن الحكماء من المتقدمين عرفوا الجسم الطبيعي بأنه هو الجوهر الطويل المريض العميق ، على معنى أنه جوهر يمكنك أن تفرض فيه بعدا كيف شئت ، ثم بعدا آخر مقاطعاه على زوايا قوائم وهو العرض ، ثم بعدا آخر مقاطعاه للبعدين على قوائم أخرى وهو العمق . فالجوهر على هذا التعريف جنس وما بعده كالفصل .

ثم إن الجسم إما مركب من أجسام مختلفة الطبائع كالحيوان ، وإما مقفها كالجسم المركب من جزأين من الأرض متماسين . وإما مفرد ليس مركبا من أجسام ويكون الجسم المفرد قابلا للتجزئ . والانقسام إلى أجزاء مقدارية على نحو من أنحاء القسمة المبينة في كتبهم ، والتي قد نعرض لها عند الكلام عن البحث القادم .

ونعود إلى ذكر مراتب الحيوان على نحو يكشف عن هذا البحث كشفا يزيل ما علق به من الاضطراب الذي وقع فيه كثير من اشتغالوا بعلم الأخلاق وعلوم النفس ، فنقول :

إن ما ألهم من هذه الأجناس خصائص ومميزات كالازدواج وابتغاء النسل وحفظ الولد وتربيته والإشفاق عليه بالكن والعش واللباس مثلا ، كما تدلنا عليه المشاهدات فيما يلد ويبيض منها ، وتغذيته إما باللبن وإما بنقل الغذاء إليه — أفضل

بكثير مما لا يلهم شيئاً من تلك الخصائص والمميزات . فتلك الخصائص لا تزال تنمو في الحيوان وتزداد حتى يدنو من أفق الإنسان . وعند بلوغه هذه المرتبة يصبح قابلاً للتأديب والزجر ، وبذلك القابلية يصير ذا أفضلية يمتاز بها عن سائر حيوان الذي فقد تلك الخصائص والمميزات . وتلك الفضائل تنمو وتزداد كذلك في الحيوانات التي حباها الله بتلك الحبة حتى يشرف بها ضرورياً من الشرف . كالفرس والبازي الملم ، ثم يرقى من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعلم كأنواع القردة والبيغاء وما أشبهها ، حتى ليبلغ من تأديبها أن تكتفي في التأديب بأن ترى الانسان يعمل عملاً ، فتعمل مثله من غير أن توجه الى لعب بها ورياضة لها وتدريب على ما يريد منها . وتلك الخصائص منتهى أفق الحيوان ، بحيث إذا جاوزها وحدثت له قابلية يسيرة بعدها ، خرج بها عن أفقه وصار في أفق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز والنطق بواسطة الآلات التي يستعملها ، والصور التي تلائمها . فإذا بلغ هذه نمرك الى المعارف واشتاق نفسه الى العلوم ، وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يستعين بها على الترقى والامعان في هذه المرتبة ، كما حدث ذلك في المراتب الأخرى المتفاوتة .

وقد حكى عبد الكريم الشهرستاني صاحب المال والنحل أن أولى هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني ، تبدأ مراتب الناس الذين يسكنون في أقصى المعمورة من الشمال والجنوب كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج ، وأواخر النج وأشباههم من الأمم التي لا تميز عن القردة إلا بمرتبة يسيرة ، ثم تزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل ، والى هذه المنزلة ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات .

ثم يتباً لذلك القابلية لاكتساب الفضائل واقتنائها بالإرادة والسعى والاجتهاد الى أعلى أفقه اهـ

فإذا صار الى أعلى أفقه اتصل بأول أفق الملائكة، وتلك منزلة لا تتفق إلا لخواص البشر، فهم وحدهم النسق الأعلى لبني الانسان، وعندها تتأحد الموجودات، ويتصل آخرها بأولها، وهو الذي يسمى دائرة الوجود كما يقول الجلال الدواني في رسالته المسماة (بالزورة) بالمبحث فيها عن وحدة الوجود.

ويذهب الامام ابن حزم الظاهري الأندلسي الى أن ثلثاً حدة التي جمعت من الكثرة وحدة، وهي التي تدل دلالة صادقة برهانية على مبدءها، وعلى حكمته وقدرته ووجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس في الوجود ذكره اهـ.

فإذا تصور الانسان تلك المراتب وما بينها من تفاوت بالقياس الى ما يقع فيها من تفاضل في البدائه واختلاف اللسكات والقوى، استطاع أن يتبين تلك الخصائص ذلك الأفق الذي يتصل بأفقه وتدرجه في مرتبة بعد مرتبة وركوبه طبقاً عن طبق وما أسرع إذن أن يحدث له لايمان الصحيح، فيشهد ما غاب عن غيره من الدهاء والأوشاب، ومن دونه في المرتبة التي استأهل لها. وحينئذ ينهياً لقبول مواهب الله عز وجل ومسحه المتلاحقة التي لا يبلى جدتها كراغدة ومر العشى، ويستيقن في دخيلة نفسه بأن كل مرتبة من تلك المراتب الداخلة في أفق الانسان مفتقرة الى ما دونها من المراتب في وجودها، وأن الانسان لا يتم له كماله إلا بعد أن يكون قد استحوذ على ما قبله. فإذا صار إنساناً كاملاً، وبلغ أفق الآفاق، فقد أضحى إماماً حكيماً، تهبط على قلبه الإلهامات فيما يتصرف فيه من تلك المحاولات الكونية، وتلك المحاولات ارسيدة مؤيدة بالمؤيدات العلوية في التصورات العقلية، أو نبيا معزز الدعوة من الله يأتيه الوحي على ضروب للنازل التي تكون له عند الله تعالى ذكره، فتكون إذ ذاك نعمت الوسطة بين الملأ الأعلى والملأ الأسفل، وذلك بتصوره

حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الأنسية ومطلعة تلك الآفاق
للمهية لبني الانسان .

وإذا بسطنا للقارى جانباً من مراتب الحيوان المتصلة بآفاق الآفاق للانسان
فلا بد أن نعرض لشوق النفس الى العلوم والمعارف حتى يتم البحث في أوسع صوره ،
لأن شوق النفس الى العلوم والمعارف هو نقطة الارتكاز عند علماء الأخلاق .
لذلك سنعرض لها في البحث القادم بمزيد بسط وإيضاح .

عباس طه

الجود مع الاقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر »

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل العطية جهد المقل » .

وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من لكثير الى الكثير .

أخذ هذا المعنى حبيب (هو أبو تمام الطائي) فنظمه في أبيات كتب بها الى الحسن
ابن وهب الكاتب وأهدى اليه قلماً :

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشيء فكُن له ذا قبول

لا تقسه الى جذا كفك الغرا • ولا نيلك الكثير الجزيل

واستجز قلة الهدية مني إن جهد المقل غير القليل

وقالوا : جهد المقل أفضل من غنى الكثير .

وقال صريع الغواني الشاعر :

لبس السباح لمكثر في قومه لسكن لقتل قومه المنجمد

وقيل لبعض الحكماء : من أجود الناس ؟ قال : من جاد من قلة ، وصن وجه السائل
عن المذلة .

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

في الأدب العربي (١)

كانت جميع الدراسات الدينية وعلى الأخص التي ترجع الى مناهلها الأصلية (القرآن والحديث) أكثر ما اهتم به العرب والمسلمون من بين جميع العلوم والمعارف الأخرى ، ولذلك فإمتنا نرى أثرها في تاريخ الثقافة الاسلامية والأدب العربي واضحا جليا ، فقد احتلت هذه الدراسات والأبحاث لدينية المكان الأول في التأليف بحيث لا يدانها فيه أى فرع آخر من فروع العلوم على وجه العموم ، فأصبحت بفضل هذا النشاط الفكرى الفريد أكبر بناء في الثقافة العربية ، وبدونها لا يمكن وضع تاريخ الأدب العربى على صورة كاملة حقيقية ، كما يحاول بعض العلماء الأوربيين الذين يريدون استقصاء المؤلفات الدينية عند تدوين تاريخ الأدب على وجه العموم .

على أننا إذا حاولنا في هذا البحث وضع تاريخ العلوم الدينية والتشريعية في الأدب العربى ، فإمتنا تقتصر على تدوين أهم ما وصلت اليه هذه العلوم بواسطة فرجة العرب وعلما الاسلام والقط الفاصلة في تاريخ تطورها ، مكتفين بذلك عن البحث وراء التفاصيل الدقيقة التى لا تدخل تحت هذا الباب التاريخى ، ولا بد من تركها للدراسات الخاصة بالديانة والتشريع الاسلامى .

أقدم ما عرف من التأليف في هذا الباب كان بداهة متصلا اتصالا وثيقا بالقرآن ، وهو أول منهل يرجع اليه علماء الدين والتشريع ، فلما أن وضع عثمان الحد الفاصل بتدوين نصه الصحيح ، انتهت به المنازعات ، وأغلقت الأبواب على الخلافات القائمة على القراءة ، إلا أن الكتابة العربية في ذلك الحين بما فيها من نقص وعدم تقييد

(١) مترجمة من الألمانية نقل عن كتاب (تاريخ الادب العربى) لمستشرقى الالماني الكبير الامتداد

الدكتور (بروكلمان) .

للنطق بالحروف المتحركة القصيرة، كانت سببا في الوقوع في خلاف على قراءة كتاب الله^(١)، فنشأت بذلك عدة اتجاهات مختلفة في قراءة القرآن، ولكن حاجة المسلمين من غير العرب الماسة الى تعلم النطاق الصحيح للغة العربية حتى يتيسر لهم تلاوة القرآن أدت الى نشأة تلك الدراسات الصوتية الفسيولوجية التي سبق لنا ذكرها في تاريخ العلوم اللغوية في الأدب العربي، وبذلك توثقت الصلة بين فن قراءة القرآن ونحو اللغة، فاشتهر أغلب اللغويين المروفين أيضا بأبحاثهم لقيمة في هذا الباب، ولكن للأسف الشديد ضاع أغلب أبحاث هذا العصر القديم، لأن من جاء بعدهم ممن كانوا لا يهتمون من هذا الفن سوى الناحية العملية فقط، كانوا يكتفون بوضع مختصرات مجاف.

بدأت كذلك في نفس الوقت المحاولات العملية لتفسير القرآن، وكان يرجع العلماء في ذلك الى النبي (صلى الله عليه وسلم) لتفسير ما غمض عليهم. وأول من تصدى لهذا العمل الكبير عبد الله بن عباس الذي يعتبر من أقوى مراجع الحديث، فوضع تفسيراً كاملاً لم يصل الى أيدينا على شكله القديم، وكان هو المرجع الأول للتفسير في القرن الثاني والثالث من الهجرة، ولم يبق من هذا العهد إلا مؤلفات قليلة أصبحت أهميتها ضئيلة عند المتأخرين من العلماء بالنسبة الى مؤلفات القرن السادس والسابع من الهجرة الا في ذكرها.

ولم تقتصر دراسات القرآن في هذا العهد على العلماء السنيين فقط، بل لقد اهتمت بها أيضا الفرق الاسلامية المختلفة وأهمها الشيعية، إلا أن مؤلفاتها لم تصل في الناحية العملية الى مرتبة الجدل والاعتماد عليها والأخذ بها، هذا فضلا عن وقوعها في كثير من الأغلاط والأكاذيب بسبب تحيزها للظاهر.

وتفرعت بعد ذلك عن دراسات القرآن أبحاث العقائد، فكانت بذلك أقدم العلوم الدينية التي ظهرت في الأدب العربي، ولقد كانت نشأتها على يد الأمويين بسبب

(١) المعروف أن الخلاف في القراءة نشأ من اختلاف لغات العرب لا من سبب فصول الحروف المقرونة.

اختلاطهم بعلماء الديانة المسيحية بالشام الذين كانوا على نظم ناضجة بفضل الفلسفة الإغريقية وصرانهم الطويل خلال لأجيال الهيدبة ، فكان ذلك حافظا لعلماء المسلمين من العرب للبحث والتنقيب في مكنونات القرآن بمحاولات علمية ناجحة . ولقد كانت الصراحة التي امتاز بها هذا العهد الأول ، وعدم التحيز بالنسبة الى العقائد المغايرة ، والشجاعة في الحكم على الأشياء ، سببا في تسرب بعض المبادئ الدينية المسيحية الى الاسلام ، مثل عقيدة العفو الإلهي الذي يضمن السعادة لجميع الناس ، ومثل مذهب حرية الإرادة في الانسان ^(١) . وإنما نجد أنه بالرغم من أن أكبر علماء الدين المسلمين في القرن الأول من الهجرة وهو حسن البصري كان متسككا بمذهب القدر ، كما كان يعتبر كل من اتبع تلك الآراء المعتدلة ملاحدا وخارجا على الاسلام ^(٢) ، فإننا نرى بينهم كذلك كثيرا من العلماء المعروفين وعلى رأسهم أبو حنيفة الذي أسس مدرسة دينية تشريعية انتشرت نعاليمها انتشارا واسما في الاسلام ^(٣) .

ولقد نشأت في مدرسة حسن البصري ومن بين أعضائها مبادئ معارضة قوية خطيرة ، إذ قام من بين تلاميذه واصل بن عطاء وأسس فرقة جديدة سميت بالمعتزلة اختلفت معه اختلافا واسما في المسائل الدينية الأساسية ، وتجاوزت هذه الفرقة تطوراً سريعاً بفضل التمايم الفلسفية التي أخذت منها ، ومبادئ حرية الفكر التي استندت عليها ، فوصلت الى أوج عظمتها في عهد الخليفة للمأمون ، قبلت في خلافتها

(١) لم يتسرب الى الاسلام شيء من العقائد المسيحية ، فليس فيها أن العفو الإلهي يشمل جميع الناس حتى التكري لليسوع عليه السلام . وقد نص الاسلام على أن عفو الله يشمل جميع اللذين إلا الكافرين . أما مذهب حرية الإرادة فهو مذهب إبلاي فع وعليه بيت التكاليف وإقامة الحدود أما العقيدة بالقدر فهي من مشاهير الاعتقاد بالسلبان لا لطلق الله إذ لا يصح أن يقع في ملكه إلا ما يشاء . ولكن الاسلام حرصا على مبدأ حرية الإرادة مع البحث في الدور

(٢) لم يقل أحد من الأئمة بخلافه من لا يقول بالقدر وإنما قالوا باعتزله لمذهب أهل السنة ،

(٣) كان أبو حنيفة مذهبيا بحثا ولم يكن قط معتزلا كما هو معروف ومقرر .

مع المدرسة السنية القديمة مبلغا كبيرا لم تنبع منه الأصول الدينية الأولية. وفي عام ٢١٢ هـ فرض الخليفة المأمون اتباع مبادئ المعتزلة وتعاليمها فرضا بحكم القانون، بل ولقد بالغ في موالاتها وحمايتها بأن اضطهد أصحاب العقائد القديمة^(١)، ولكن سرعان ما تغيرت الحال، إذ بتولى المتوكل الحكم، وهو ثالث خلفاء المأمون، رأى لأسباب سياسية عكس ما ارتآه من سببه، فبدأت الاضطهادات القاسية تتوالى ضد المعتزلة^(٢) حتى انعمى أثرهم كفرقة دينية، ولو أن آراءهم وتعاليمهم وجدت من المؤلفين من يظهرها بين الحين والآخر، وربما كان ذلك هو السبب في عدم بقاء مؤلفاتهم الأصلية إلى الآن، وإنما قد نوصلنا إلى معرفة مبادئهم من الجدل والحوار في مؤلفات معارضهم في الرأي. وهكذا قضى على جماعة المعتزلة، ولو أن طرقهم الفلسفية الجدلية لم تختف، بل بالعكس فلما صادفت حياة مزدهرة في خدمة المسلمين السنيين، وذلك في ماحتين في وقت واحد: في العراق، وفي بلاد الفرس، إذ قد تزودت علوم العقائد السنية بأسلحة المعتزلة في فن الجدل، ففي العراق ظهر أبو الحسن الأشعري اللؤلؤ بالبصرة عام ٢٦٠ هـ وأنشأ انجاسا جديدا، وقد كان الأشعري في بادئ الأمر تلميذا عند المعتزلة، وعاد إلى عقيدته القديمة في تمام سن الأربعين، ورحل إلى بغداد فطلب العلم عليه الكثيرون، وكان موقفا إلى حد بعيد في عالم التأليف، وصادفت طريقته الجديدة رواجا كبيرا عند الشافعيين الذين انضم إليهم، كما لاقت عطف السالكين، وانتشرت على الأخص في أواسط البلاد الإسلامية وغربها حتى سادتها، ولم ينب عنها إلا منطوقو السنة من الحنابلة الذين رفضوا الأخذ بها بتاتا، وتوفي أبو الحسن الأشعري عام ٣٢٤ هـ. وفي نفس الوقت ظهر في شرق البلاد الإسلامية محمد الباقر إلى جانب الحنفيين

(١) لم يكن المأمون ممولا ولا مؤيدا قهرا، وإنما تسربت إليه شهية خلق للفرق بقتلها.

(٢) لم يضطهد المتوكل المعتزلة قط ولكنه اضطهد الزنادقة وأصحاب الآراء اللاحقة كالإمامية والدهرية

كمؤسس جديد لعلوم العقائد ، ولم تختلف تعاليمه ومبادئه عن خطه معاصره أبي الحسن الأشعري بكثير ، فقد اتفق الاثنان في جميع المسائل الأساسية اتفاقاً تاماً ، وتوفي محمد المازدي بموطنه سمرقند عام ٣٣٣ هـ

ويعتبر لاسلام دراسة القانون والتشريع من العلوم الدينية ، وذلك لأن الأحكام الفاصلة نظرياً مستمدة من القرآن والأحاديث النبوية . ولما كانت المواد المستقاة من هذين الموردين لم تف بمحاجة الحياة العملية التي كانت تنشب بسرعة ، وتعدد نواحيها بسبب غزوات العرب وفتوحاتهم الكثيرة في ممالك ذات حضارات قديمة مما جعل سبيلاً الى ظهور مسائل جديدة لا عهد للعرب أو للإسلام بها من قبل ، كان المتشركون القدماء يفصلون بلا تردد فيما يمرض عليهم بما يوحيه رأيهم الخاص بكل شجاعة وسماحة ، فكانوا يذاهون براعون القواعد والتقاليد المرعية في تلك البلاد الغريبة ، وبذلك نفذت الى الاسلام بعض مبادئ القانون الروماني^(١) ، كما وجدت من قبل بعض المبادئ الأفريقية طريقها الى علوم العقائد بواسطة اختلاط علماء العرب المسلمين بالمسيحيين في الشام .

ومنذ القرن الثاني من الهجرة بدأت معارضة قوية تظهر ضد القانون الذي كان آخذاً على هذا النحو طريقه في التكوين ، ففي الحجاز كانت تشتد رغبة الأهالي في ضرورة التمسك بتعاليم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأحكامه في جميع الأحوال ، فإذا ما قصرت هذه المواد كما أسلفنا عن إدراك ما طرأ من المسائل الجديدة ، لم يتردد بعضهم عن محاولة إدخال ما يلائمها على الأحاديث النبوية ، فانقسم بذلك صماء التشريع من العرب الى مذاهب مختلفة بالنسبة الى مقدار تمسكهم المطلق بالحديث النبوي ، أو بقدر تحرير رأيهم الخاص فيما يمرض من الحياة العامة .

(١) لم تنسب الى الاسلام مبادئ القانون الروماني بأشكاله لـ مسلمين بمبادئ الشام فان مبادئ العربية الإسلامية وأصرفها مادة ن القرآن وهي أدنى من مبادئ أي قانون وسعى بها لا يقدر حتى القوانين المصرية .

وأقدم هذه المذاهب مذهب الحنفية، وهو الذي كفل حرية الفكر السكان الأول. ومؤسس هذا المذهب أبو حنيفة، وولد بالكوفة عام ٨٨ هـ وكان جسده من الموالي الفرس، وكان أبو حنيفة أشد أقاربه انتصاراً للعلويين الذين يرون أن علياً أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فانضم إلى الحركة المعادية التي قامت ضد الأمويين، ثم ناز على العباسيين على أثر خيانتهم للعلويين في أمر الخلافة، وقبض عليه عام ١٤٥ هـ بالمدينة المنورة حيث قضى نحبه سجيناً بعد خمس سنوات^(١)، وقد وضع أبو حنيفة بضع رسائل صغيرة، وجمع له تلاميذه من بعده مجموعة الأحاديث النبوية التي كان يعتمد عليها في أعماله التشريعية، كما وضع مؤلفاً في العقائد لا يشق الكثيرون من المؤرخين في صحته.

ولقد صادقت تعاليم أبي حنيفة عطفاً كبيراً عند العباسيين بالرغم من معارضته لهم في الحكم لأسباب سياسية، فإننا نرى أن مذهبهم قد وصل على يد تلاميذه الأول إلى مرتبة الحكم واتخذ الصبغة الرسمية إبان عصرهم. وقد اشتهر من تلاميذه أبو يوسف للتوفى سنة ١٨٢ هـ، وكان قد أسند إليه كل من المهدي وهارون وظيفة قاض ببغداد، وإلى الأخير أهدى أبو يوسف كتابه في الخراج.

وتناول تلميذه محمد الشيباني من بعده تعديل مذهب الحنفية وتنقيحه لأخيراً في رسائل عديدة، وكان محمد الشيباني يطلب العلم في مبدأ الأمر على الإمام الأعظم أبي حنيفة، وأتم دراسته على أبي يوسف، واختتمها في المدينة المنورة على الإمام مالك مؤسس المذهب المعروف بتمسكه بالحديث، وتوفى الشيباني عام ١٩٠ هـ وهو بصحبة الخليفة هارون في إحدى رحلاته إلى بلاد الفرس.

ولقد اهتمت الأحيال المتعاقبة بتكملة بناء مذهب أبي حنيفة وشرعيته، واختتمت

(١) المروء أن سجن أبي حنيفة كان بسبب إيماء ولاية القضاء بمروراً لا بسبب سياسي.

أعمالها بما قام به الصدوري المتوفى عام ٤٢٨ هـ من وضع مؤلفه الذي لا يزال مرجعاً هاماً في مذهب الحنفية حتى اليوم .

وأما للمذهب التشريعي الثاني فهو ما ظهر به مالك بن أنس بالمدينة المنورة ، وولد مالك عام ٩٧ هـ . وتوفى عام ١٧٩ هـ ، واختلف مالك عن أبي حنيفة بأن جعل الحديث قبل كل شيء ، مرجع الأحكام والتشريع ، ولو أنه لم يجد في مؤلفه الكبير (الموطأ) مرجعاً لكل القواعد القانونية في الأحاديث النبوية ، إلا أنه رأى الأخذ بما سار عليه أهل المدينة من قواعد وتقاليد . وكان مالك في أول أمره أيضاً من أشد أنصار المالويين ، ولكنه ما لبث أن تصافى مع العباسيين وعاونهم في حكمهم .

انتشر مذهب المالكية في غرب البلاد الإسلامية ، وعلى الأخص في شمال أفريقيا وبلاد الأندلس ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى المؤلف الذي وضعه تلميذه عبد الرحمن ابن القاسم المتوفى بالقاهرة عام ١٩١ هـ ، وأهم مراجع هذا المذهب حتى الآن هو الرسالة التي وضعها أبو زيد القيرواني المتوفى بفاس عام ٣٩٠ هـ .

وأما للمذهب الثالث من المذاهب السنية المعروفة فهو مذهب الشافعية ، أسسه محمد الشافعي ، وكان يطلب العلم على الإمام مالك بالمدينة منذ عام ١٧٠ هـ ، واتهم في بعض المؤامرات العلوية بالين ، فغنى على أثر ذلك إلى بغداد ، حيث سعت له الفرصة لتلقى مبادئ مذهب الحنفية وتعاليمه ، فلم يرق له أحد المذهبيين السائدين وأراد التخلص من اختلافاتهما ، فوضع قواعد جديدة تقوم على نظام التحقيق في أصول القانون ، ووجد لمذهبه الجديد أنصاراً عديدين ، وعلى الأخص بمصر حيث توفى عام ٢٠٤ هـ .

ولم يبق من مؤلفات الشافعي حتى العصر الحاضر سوى رسالة واحدة ، ولم يطبع منها إلا مجموعته في الأحاديث النبوية مع تقرير في وصف وحلته الدراسية .

ويبدو أن هذه المذاهب الثلاثة : الحنفية والمالكية والشافعية ، قد كادت تتفق على مراعاة حرية الرأي في الأحكام التشريعية ، ولو أنها متفاوتة في هذا التسامح

وتختلف في مقدار تجاوزها الحديث ، فالتا نجد أن المذهب الرابع والأخير ، وهو مادما إليه احمد بن حنبل ، لا يعترف بأى حال من الأحوال يمثل هذا التسامح في مراعاة حرية الرأي في التشريع ، ولا يريد أن يأخذ بالتجاوز عن أحكام الحديث ، بل إنه يفوض سيادته الوحيدة المطلقة في جميع الأحوال .

ولد أحمد بن حنبل ببغداد عام ١٦٤ هـ ، وقام في مستقبل شبابه برحلة واسعة بآسيا الصغرى ليستمع الى الأحاديث النبوية على رواها الموثوق بروايتهم ، فلما عاد الى موطنه طلب العلم على الامام الشافعى حتى رحيله الى مصر ، فالتحق بعد ذلك التدريس مهنة له ، الى أن أعلن الخليفة المعتصم اعترافه بمبادئ المعتزلة في العقائد ورفعها الى مرتبة العقيدة الرسمية ، فرفض ابن حنبل الأخذ بها وبقي مخلصا لمقيدته السننية القديمة طول مدة اعتقاله الذى قضى فيه سبع سنوات . ولما عادت السننية الى الصبغة الحكومية الرسمية في عهد الخليفة المتوكل عام ٢٣٢ هـ أفرج عنه وعاد له نفوذه وسلطانه الى أن توفى عام ٢٤١ هـ .

ولم ينتشر مذهب احمد بن حنبل في موطنه فقط ، بل لقد تمداه الى الشام والحجاز حتى القرن التاسع من الهجرة ، وامتازت مبادئه وتعاليمه عما سبقتها بالتعصب الشديد حتى في الناحية العملية ، ولكن هذا المذهب لم يلبث بعد ذلك أن أخذ في الانكماش ، فتقلصت من سيادته بقاع عديدة ، وحات مجامع المذاهب الأخرى ، ولو أنه لم يختلف حتى اليوم . وفي بدء القرن المحقرى الماضى صادف حياة جديدة ، وانتش بعث الفرق الوهابية له ، وانتصارهم لمبادئه وتعاليمه م

« يتبع »

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام أيضا

أسلفنا في البحث السابق على سبيل الاستطراد شيئا من الكلام عن الإقطاعات في العهد البائد ، لكننا لم نعرض للفرق بينه وبين لأرصاء حتى يضطرر البحث على نسق واحد ، استيفاء لأجزائه ، وتجنباً للغوص فيما ذهب إليه كثير من علماء الفروع على غير جدوى .

فالتارق بين الإقطاعات وبين الأرصاء : أن الإقطاعات هي أراضي بيت المال التي تمنح لمن لهم استحقاق فيه كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بغلتها ماثوبة لهم على أعمالهم العامة . وحكمها أنه يجوز لولي الأمر إبطالها ، وأخذها ممن أعطيت لهم وصرفها لنيرم ، فيما لو مات من كانت في يده ، أو عجز عن القيام بالأعمال العامة ، أو عقلت به شبهة لا يليق أن تعلق بثمة تجعله غير صالح لاستحقاقها مع بقاء رقبته لبيت المال فينتزع على هذه العبارة أنه لو كانت لولي الأمر أرض مملوكة ملكا خاصا فلسكها غيره فوقها ، أو منح أرضا من بيت المال إلى من له استحقاق فيه رغبة ومنفعة فوقها ، أو اشترت من بيت المال شراء صحيحا فوقها المشتري ، أو كانت الأرض مواتا فأحياها شخص بإذن ولي الأمر ثم وقفها ، فإن وقفها صحيح في جميع هذه الصور لتتحقق الملكية فيها للواقف وقت وقفه .

وأما الأرصاء فهي : أن يحبس ولي الأمر أرضا من بيت المال ، وهي المعروفة اليوم بالأراضي الأميرية ، على منفعة عامة كالساجد والقناطر والمدارس والمستشفيات ، أو يحبسها على من لهم استحقاق في بيت المال كالعلماء والقضاة والفقراء والمساكين إيفاء لهم ببعض حقوقهم . فهذا النوع لا يعتبر وقفا إطلاقا لعدم توفر شرط الملك فيه . ولذلك لا يجب فيه مراعاة للشروط اللازمة لتوفرها في الوقف بخلاف النوع الأول ،

وإن كان لا يجوز إبطاله وإرجاعه ملكاً إلى بيت المال كما كان ، ولا صرفه لجهة غير جهته المينة فيه ، كما أفنى بذلك المحقق صاحب الفتاوى المهدية والعلامة ابن عابدين في باب العشر ، بخلاف الأقطاعات فإنه يجوز إبطالها كما أسلفنا .

ويتفرع على هذا التحقيق وذلك الفرق أن وقف المرند يتوقف على عودته إلى الإسلام ، فإن عاد إليه نفذ وقفه لظهور أن ملكيته في الموقوف كانت باقية وقت وقفه ، لكنه وقد ارتد عن دين الإسلام فقد توقف التنفيذ لشروط وقفه نظراً لذلك المعارض الأثيم وهو الردة . فلما عاد إلى حظيرة الإسلام وجب أن يعود إليه وقفه بشروطه التي شرطها . فإن مات على ردة أو قتل فإن وقفه يبطل على الصحيح . ذلك لأن ملك المرند عند الإمام يزول زوالاً موقوفاً . فإن عاد إلى الإسلام فقد استبان حينئذ عودته إلى حظيرته ، ولا فقد تبين بموته أو قتله متلبساً بالردة أنه غير مصر على العودة إلى الإسلام ، فكان من المعدل أن يزول وقفه تبعاً لذلك . ولا رواية عند أبي يوسف فيه . وعند محمد يجوز من الرد ما يجوز من القوم الذين انتقل إلى دينهم لبقاء ملكه كما كان قبل الردة عنده .

أما المرتدة فوقها صحيح عند أبي حنيفة أيضاً لأن ملكها لا يزول عنده بمجرد ردتها ، لا إذا كان الوقف على حج أو عمرة مثلاً ، فهي لا تقتل بل تحبس حتى تتوب ، بخلاف للرد فإنه يقضى بقتله شرعاً إن لم يعد إلى حظيرة الإسلام . وذلك بخلاف السلم في حالة ما إذا وقف ثم ارتد ، والعماد بالله تعالى ، فإنه يبطل وقفه من فور ردة وبورث عنه إذا مات أو قتل على ردة ، ولا يعود وقفاً بعودته إلى الإسلام إلا إذا جدد وقفه . ذلك لأن الوقف قربة من القربات إلى الله ، وطالب بثوبة من أفضل سبلها ، والردة تحبط الأعمال .

لكن قال العلامة (الزركشي) في المحيط : وعندى في هذه المسألة نظر ، ولى عليها تعقيب ، فإن حيوط عمل المرتد ينبغي أن يكون متعلقاته بطلان ثوابه فحسب ، لا بطلان

ما يتعلق به حق المقرء الذى صار إليهم ينتفعون بفكته ويدفعون به عنهم غوائل الفاقة، لذلك ينبغى أن لا يبطل حقهم في الموقوف لمجرد ارتداده .

وحقق الفقيه الكبير الشيخ (لرافى) في تقريره على رد المحتار أن الصاحبين يلتزمان القول بعدم بطلان الوقف حال الاسلام إذا ارتد الواقف عن دينه ، ضرورة أن الموقوف يخرج عن ملكه بمجرد وقفه كما قدمنا . فالقول ببطلانه في هذه الحالة رأى لأبى حنيفة دون غيره . والصاحبان يذهبان الى أن وقف المرتد صحيح . وأبو يوسف يذهب الى نفاذ وقف المرتد نفاذا صحيحا لاثنية فيه . ويذهب محمد الى أنه يجوز فيه ما يجوز من القوم الذين انتقل الى دينهم . وإذا أزم عن القول بعدم بطلان وقف المسلم حين يرتد عن دينه القول بخروج الموقوف من ملك الوقف بمجرد وقفه وهو الراجح كما أسلفنا ، أزم رجحان ما أبى عليه وهو عدم بطلان وقف المسلم إذا ارتد عن دينه . لكن أورد صاحب كتاب أنفع الوسائل على نظرية اشتراط الملكية حال الوقف تمثيلا بوقوع وقف الفضولى صحيحا إذا وقف مع أنه غير مالك للقدر الموقوف البتة . ثم عاد فدفع هذا التعميق الذى فرضه بأن الفضولى في واقع أمره ليس هو لواقف وإنما الواقف حقيقة هو للمالك ، فهو الذى نجى عليه الثوبة من الله .

ومن شروط صحة الموقوف أن يكون مفرزا إذا كان مسجدا أو منبرة ، لأن الشيوخ فهما يبطل لوقفهما اتفاقا بين علماء الفروع ، لأنه مانع التحضر لوجه الله تعالى ، ولأن قسمة المهايأة فيهما تخرج بهما عن الغرض المقصود من الوقف . فهى تستتبع مثلا أن تقبر الموتى في المقبرة فترة ثم تزود فترة أخرى ، ثم يصلى في المسجد طورا ويتخذ اصطبلا مثلا طورا آخر .

وهذا التصرف بعيد عن أصل الوقف ، لأن قسمة المهايأة تعتمد في حقيقتها أن يشترك جميع المنتفعين في العين المقسومة كل فيما ينوى الانتفاع به وعلى أى

وجه يريد .

عباس ط
الحامى الشرعى

« يتبع »

تفسير سورة النور

دأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى المحتشم بتفسير القرآن الكريم فى هذه المجلة أن يجمع ما كتبه فيها من تفسير سورة النور ، فجاء كتابا فى أكثر من مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط . وكل من يعرف مكانة الأستاذ من التفسير وبلوغه من الشرح والابانة وفصاحة العبارة الدرحة العليا يسهه أن يراه قد أفرد هذه السورة بالتأليف . فقد اشتملت على مسائل لها أحص مساس بحياتنا الاجتماعية ، وأعراض الخلقية ، وعاداتنا القومية ، وقد تبسط المؤلف فى كل هذه المناحي تبسطا يلنظر من عالم خير مثله . فجاء كتابه حافلا بما يجب أن يطالعه كل مسلم ، وأن يتخذ ذخيرة أدبية له ولأهل بيته . فنهى الأستاذ العلامة بما وفق إليه من هذا العمل البار ، راجين أن يوفق لا مثاله فى حياته المباركة الطيبة .

الوعظ

اصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على احمد خطيب مسجد الرفاعى كتابا عنوانه (المجموعة الاولى من كتاب الوعظ) ضمنه خطبا منبرية أنشأها وخطب بها . وقد طلعناها فوجدناه لم يترك عادة من عوائدنا ولا حاجة اجتماعية من حاجتنا إلا ألم بها فى خطبة بليغة مؤثرة مما نرجو أن يمتدى جميع الخطباء شا كلته فيها ، فنحث الخطباء الذين يودون أن يتخذوا هذا المثال الحسن أن يطلعوا عليها ، وأن يدورسوها ، فأنها معين غرير من أدب لوعظ الحكيم . فله الشكر على صيغه الجميل . أكثر الله من أمثاله فى المسلمين .

رابطة الشباب المصرى

أخرج المركز العام لرابطة الشباب المصرى رسالته الاولى والثانية عن مؤتمره الأخلاق . وقد أتت الرسالة الأولى على السحوت التى أقيمت فى جلستى المؤتمر . أما الرسالة الثانية فهى حاوية لكل ما كتب بصدد هذا المؤتمر ، وفى مقدمة كتابها الامير عمر طرسون .

فنشكر لشباب الرابطة مهلمهم الجليل ، ونتمنى لهم المثابرة عليه والنتبات فيه ، فهو من أصلح الأعمال وأدعاهما للتشجيع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصول الاسلام المقربة بين الامم

أوحى الله الاسلام خاتماً للأديان ، وعهداً خالداً للإنسان ، فلم يدع أصلاً من الأصول المقربة بين العقائد ، الموحدة بين النزعات ، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات ، إلا أتى به على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمة ، والخطوة المثلى . فدما إلى تحكيم العقل في كل خلاف ، والرجوع إلى النظر في كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والليول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائير الوهمية ، أنهى على مبدأ التقليد فنقضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث قدمه ، ونهى على الوافين مع هاتين العقبتين جودهم ، فقال تعالى زارياً بالمعبدين : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، وقد بالغ في الزاوية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة ، وهذا سبيل ما يمكن أن توصف به نزع من النزعات الخاطئة ، فقال تعالى : « اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخذهم رباً أنهم أخذوا كل ما قالوا بدون جدال ولا تعقل .

كل هذا يتوسل الاسلام به إلى تخليص العقل من العوائير القائمة فيه . وإذا تم للأمة أن لا تحترم غير حكم العقل الكامل المستضيء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوي ، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصوري والمعنوي ، من أقرب الطرق ، وأبعداها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة أسر ، وأثارة عبودية . فإن لاح

لها أصل جديد فيه خير لها ، لم تتأخر عن القيام عليه ، ولم تجحد في نفسها حرجا من الاندفاع في تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتبعه الى وجهته ، عادة الاهتمام اليه فتحا إلهيا ، وإلهاما ربانيا .

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البلى ، المقدسة لكل ما نقل من أسلافها بدون نظر فيه . فهي كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تره يميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها ، وسكن تنظر اليه من خلال تقاليدها ، فإن رآته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها انبعت سر تابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن للاستعباد المنقل بالتقيد والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال تارت عليه متأثرة بموامل الجود ، وربما كان الأخذ به مما لا يبطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها شدة كلفها بالقديم والقدماء ، تروح الى معارضة كل جديد ، لالعة غير كونه جديدا لم يعرفه أبائهما من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها في مؤخرة الأمم في كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة ، حتى في الأخلاق التي يفخرون بأنهم آخسون القائمين بحقوقها ، والميسنين عليها ، فيكثر فيهم الغش والخنز ، والكذب والنفاق ، وسوء السلوك واللؤم ، وينتهي بهم الأمر لأن يعدم مواطنون خطرا على الأخلاق والاجتماع . فانظر كيف بدهور جودهم على التقليد الى عكس ما كانوا يرمون اليه بتشدد فيه ؟ من الأمور التي رمى الاسلام بها الى تعريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى . لأن المقول متى نقصت من إسهاره اندفعت لقبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيميل بعضها الى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق ولأحسن ، والعقل المطبوع في جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقترب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد ، من البعث الحر ، والنظر الصحيح ، وتكون النهاية توحد في المفولات والمعائد ، لأن الحقائق لا تمتد

ومن الوسائل التي تذرع بها الاسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه في مسألة الايمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة . فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذي أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين ، فقال تعالى : « فَرَّخَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وُصِيَ بِهِ نوحًا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقبوا الدين ولا تنفروا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوم اليه ، الله ينجي اليه من يشاء ويهدي اليه من يئيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدكم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربكم ودينكم ، لنا أماننا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير ،

نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحي على السنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى ، خرقه أتباعهم ، وخرجوا به عن حقائقه .

لا مشاحة في أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل في مناقضة الاسلام ، ويلفهم الى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب . وكل هذا مما يقرب بين الأمم ، ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الاسلام في حظيرة في أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتبين فيمد أن كان من الحال أن ترى الفارسي الازرادشتيا ، والهندي الإيوديا ، والصيني إلا كونيوسيا أولاونسيا ، والسوداني الإفثيا ، أصبحت ترى حظيرة الاسلام جامعة بين جميع هذه الأمم ، ولو كان وجد المسلمون الألوان حصاة باللغات الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أى شأن .

ومما قصد به لاسلام الى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الايمان بجميع رسل الله، وعدم التفرقة بينهم، والايمان بما جاءوا به من الكتب إجمالاً، فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والآسياب ، وما آتوا موسى وعيسى ، وما آتوا النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اعتدوا ، وإن تولوا فإنا عام في شقاق ، فسيكفيكم الله ، وهو السميع العليم » .

في هذه الآية نص صريح على وجوب الايمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التي أنزلها عليهم بلغات مختلفة . وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول للمقربة بين البشر . فإذا أجلت نظرك في جميع الأمم لا تجد ديناً لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها ، فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون ثؤمن ببعض ويكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، فالذين في نظر الاسلام كل لا يتحرزاً ، أساسه الايمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » ، فلا تخش أن في العلم أصلاً عالمياً يجعل لوحدة الإنسانية ماثلة في عقلية أمة ونفسيتها مثل هذا الأصل . فهو وضع إلهي محض ، يكشف عن إلهيته سمو مقصده وبعده عايته ، فهو من هذه الناحية ليس في حاجة الى دليل يؤيده .

فهل بعد هذا غاية في قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحي بينهم ؟ أليس هذا يحمله وتفصيله يحصل الاسلام ديناً عاماً ، وبهيته لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه الى حظيرة عقيدة عادلة ، لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور في هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم الى تجريدتها من خصوصياتها ؟ إنك بينا ترى أتباع الأديان الأخرى يقتدعون في حقبة أديانهم فيكفر بعضهم

بأنبياء بعض ، وبرز لأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجد المسلمين في مستقر من العدل مكيين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبغضون أمة حقاً ، ولا يهضمون لطائفه وأحبيا ، ولا يطالبون بالأثم إلا بأسر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسوله . فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق ، المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام في شيء .

فلا مشاحة بمد هذا البيان في أن الإسلام هو الدين العام المؤاخى بين جميع الأنعام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التي غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة ، فلن يباخ ميسفه في هذا الباب .

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض الكتب السماوية الموجودة بين أيدي أصحابها ، ودل على وجوه التعريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا إلى الكتاب الذي جمع جميعها ، والذي لا بأنه لباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن ، وأما تلك المذاهب فترى إلى توحيد الأديان بتأويل النصوص التي تختلف عليها ، نذرا إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكاف شديد ، وعسف ظاهر بالألفاظ والمعارات ، ومثل هذا العسف الظاهر لا يبتنى عليه إيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس في جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس في عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهي في نظرم توفى ثمراتها على أية الضروب كانت . أما الكتب الموجودة بين أيدي الأمم فترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الإسلام في توحيد الأثم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أبدى التعريف .

ذلك لأن النقد العلمي كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياح أسوئها ، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم ، ما لا يستطيع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة كافية .

ثم إن المذهب الاسلامي في هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأدين كلها وحى من الله ، وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن يتعرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامعوا فيها بالتحريف والتبديل ، ولاسلام في هذه القضية موافق للنقد العلمي كما رأيت . بعد هذا أخذ الاسلام يدعو الناس الى كتاب يجمع ما في تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم . ووعده بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الاسلام في هذا كشأن عالم نبيغ في أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تناهت الأخرى باسم مذهبها العلمي ، وعالمها الرسمي ، فجاء هذا العالم للنايغ بجمع ما في الكتب الموجودة من الحقائق المقررة في كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله عليه ، ثم دعا الناس الى تداول كتابه لمنهج ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية للطبوعة بطوائف أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يفر كل طائفة على كتابها العلمي على ما فيه مما يتفي روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضعاءون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟
« أفغير دين الله يبيعون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » ، فأما طوعا فبإستخدام العقل وإعمال الفكر ، وأما كرها فتحت ضغط الحوادث والمثالات .

محمد فريد وصرى

التفسير

سورة الرعد

- ١٦ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَإِذَا مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُكُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَلَا تَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ تَرِيحُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَ مُرْسَلًا ، قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) :

لقد رأيت كيف تم الجدل وبلغت الحجة مبلغها ، فلم تدع لشتبه شبهة إلا كشفها ولا لمتصل محالا إلا سدته ، فلم يبق إلا إياه للكافرين ، وعناد الصرّين ، الذين هما تجلّى الحق أمام أعينهم فاحم له بمصرين ، ولا لندائه بمستمعين ، أولئك الذين قالوا قلوبنا غلف ، فهم عن الحق لواضح معرضون ، بل عنه صادون ، فماذا ينتظر في شأن هؤلاء وأمتانهم إلا أن يلجأ داعيهم الى رب العالمين ، يستنزل نعمته وغضبه عليهم ، حتى يبعدهم عن طريق الدعوة الى الحق الذي منه يصدون ؟ فما أشبه الموقف الحاضر بموقف نوح عليه السلام مع قومه إذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدكم

دعائي إلا فرارا ، وإنى كل دعوتهم انتفروا لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا
أيديهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، إلى أن قال فيما حكاه الله عنه : « رب
لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
إلا فاجراً كفاراً » .

وهكذا شأن الداعي المخلص في دعونه ، الحريص على هداية كل قومه : أنه حين
يصل بالدعوى إلى درجة أن يكابروا في الحق وقد وصح ، وينكروا الشمس وقد طلعت ،
ويقفوا حبر مثرة في سبيل المستضعفين فيصدوم عن هدى ربهم ، ويتمنوا منهم
رحمة الله التي أرسلها إليهم على بد عبادهم للرسالين ، فإنه لا يجد ملجأ بعد ذلك إلا قدرة
ربه القدير الفاهر فوق عباده ، فيقول بلسان حاله كما قال نوح عليه السلام : « رب لا تذر
على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً »
قرن لم يقه بلسانه جاشت به نفسه ، وكن في ضميره ، وامتلأ به قلبه ، والله يعلم خائنة
الأنعين وما تخفي الصدور .

وعلى هذا يتجلى جمال موقع هذه الآية الكريمة مما قبلها ، وأنها هي التي تنتظر أتم
انتظار دون غيرها ، بعد ما وصل الجدل والحاجة معهم إلى ما ترى ، وبقوا على إصرارهم
مكابرين معاندين ، فقال تعالى جواها على هذا الخاطر : « وإما نرينك بعض الذي نعبدك
أو نتوكلنك إيماناً عليك البلاء وعلينا الحساب » . والمعنى قد كلمت فامتثلت ، وحملت
الرسالة قبلت ، وهذا هو ما عليك ، فلا عليك بعد ذلك أعوقوا على ما أقفوا غرأيت
ذلك العقاب بنفسك ، أو توكلناك إلينا قبل ذلك ، فكيفما دارت الحال فارجع إليك
قد قت به ، فدعهم لنا فإم بمعجزتنا وما حسابهم إلا علينا ، ونحن نزل عليهم ما أردنا
من عذاب ومقت حسبما تقتضيه حكمتنا ، وما عليك إلا البلاء ، أي لا المجازاة ، فهي علينا
لا على سوانا . فالتقصير المستفاد من إيماننا يظهر أثره في المؤخر وهو البلاء ، فهو المتصور
عليه ، أي أن الذي تكلفه أنت مقصور على البلاء لا يتعداه إلى المحاسبة والعاقبة .

والقصر المستفاد من تقديم الخبر في قوله : « وعلينا الحساب » القصور عليه هو ضمير الحق جل وعلا ، أى الحساب منوط بنا لا يكون من غيرنا . وعلى ذلك تكون جملة « وعلينا الحساب » معطوفة على جملة : « إنما عليك البلاغ » فيست إنما مسيطرة على الخلتين والمعطف على عليك البلاغ ، بل مسيطرة على الأولى ، وإنك لو سألته على الثانية لأفادت أنه ليس على الله إلا الحساب . وهذا معنى غير مراد ، فله الأمر جميعا . ثم في التعبير بلفظ بعض في قوله : « نرينك بعض الذي نعدهم » تلميح إلى أنه تعالى سيربه بمضاميم توعدهم به ، وإلا فسأله إنما يتحقق يوم القيامة . والمراد الإبراءة البصرية قبل للمات ، وإلا فهو علم بأن وعيد الله للكفار واقع بهم لا محالة . وقولنا قبل للمات مأخوذ من قوله في المقابلة : « أو تتوفينك »

ووجه التلميح أنه لما قال : « نرينك بعض الذي نعدهم » بقصره على البعض دون الكل ومقابلته بقوله نتوفيك ، يتجه الذهن وتطعم النفس في أنه سيكون هناك روية للبعض وإن لم يكن لطريق الجزم .

وقد قال بعض المفسرين هنا . إن في الكلام معنى شرطها : نرينك ، وتوفينك ، فإن المعطوف على الشرط شرط ، وفيه جزاءان ، وهما إنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب وليس منهما جزاء يصلح للترتب على أحد الشرطين ، فما وجه هذه الجملة الشرطية ؟ وأنت تعلم أن الكلام مبنى على شرط واحد ، وهو ما نبهنا عليه بقولنا : كيفة إداد الأمر ، أى سواء أكان هذا أم ذلك ، لأنهما جملتان شرطيتان كما توهم ذلك البعض من المطف بأو ، والذكور في موضع الجزاء هو دليل الجزاء لا نفس الجزاء . وأما الجزاء فهو مقدر ، أى فلا تجزع ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ونحو ذلك . ووجه دلالة أنه لما قال : « فإنما عليك البلاغ » أى وقد أديت فلا عليك ، ولما قال : « وعلينا الحساب » أى فستعجزهم سيئات ما اكتسبوا وهم لا يفوتونا . فاجلة شرط وجزاء واحد ، فلا محل لتلك التوهم .

ولقد طيب الله نفسه بعد ما أزال عنها الهم بما يفيد أنهم لو كان عندهم مُسَكَّةٌ من عقل أو لهم أعين يبصرون بها ، ما أوقموا أنفسهم في تلك لورطة المهلكة ، ولكن جدرا بهم أن يعتبروا بما يرونه في كل حين من تصرفه جل شأنه في الأرض وما أفلت ، فقال تعالى : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » .

والاستفهام إنكارى للتعجيب من حالهم . والواو التي بعد الهمزة للعطف على محذوف معلوم من المقام ، أى أعموا ولم يروا ، أو أجهلوا أنهم في قبضة يداؤلم يروا ، أو أنكروا كل ما سقته لهم من أدلة على صحة إرسالناك تبينهم تكاليفنا وعاندوا مصرين على كبريائهم ولم يروا ؟ وأمثال ذلك مما يليق بالمقام تقديره .

ومعنى نأتى الأرض تتعلق قدرتنا بها تعلق تنجيز لما اقتضته إرادتنا ، أى نوجه إليها تصرفنا فتغير فيها ما نشاء . والمراد بالأرض إما أرض الكفار ، و تنقصها عبارة عن انزعاضها شيئا فشيئا بفتح المسلمين إياها ، وإما بمعنى الأرض يحملها ، و انتقصاها عبارة عن تبديلها خرابا بعد عمارية ، ومواتا بعد حياة ، وذلا بعد عز ، وغمرا بجماء بعد ظهور وبروز ، وأمثال ذلك . ولعل هذا أدخل في التفریع وملء القلوب رهبة وخشية ، أى فإذا كانت الأرض التي تقلكم ونحملكم لا تنعاضى عن أمر ربها لتكوئى ، وهى مستعدة بحملها في كل آن أن يعرض لها من تصرف القدرة الإلهية ما يبذلها كما ترون فأتين أنتم وأبن تذهبون ، وماذا تصنعون إذا خسف بكم الأرض كما خسف بمن قبلكم ، أو غمرها ببلاء كما غمرت بطوفان نوح ؟

ويجوز أن يراد نأتى الأرض ننقصها من أطرافها بإهلاك أهلها ، كما يقولون قصت البلد وخرت ، وأمثال ذلك ، يريدون موت أهلها . ولعل خير الوجوه أوسطها . وفى التعبير بنأتى من تربية الرهبة ما لا يخفى ، فهو على نسق قوله تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »

ولعلك نلصح هنا بمد قوله « تنقصها من أطرافها » ما صرح به في الآية الأخرى « أفلا يرون أنما تأتي الأرض تنقصها من أطرافها أنهم الغاليون » . فترى فيه من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتفريج عن نفسه بتصوير أعدائه بصورة الحق الذي على بصرم غشاة فلا يرون الهلاك وهو منهم قاب فوسين ، فيما دون الجبار القهار الذي تملك بمينه التصرف في كل شيء ، ولا يرون أن قدرته وهي أمام أعينهم ، فكيف تعيا يقوم حق مثلهم ، وليدبّن مغالب الغلاب ؟

وجاء بمد ذلك الكلمة الفاصلة توقف كل عبد عند حده ، سواء الحق والمبطل ، غيى فصل الخطاب ، ذلك قوله تعالى : « والله يحكم لا معقب لحكمه » فن ذا يكون له بمد ذلك كلمة أوييس باقتراح أو طلب « فكأنها بمثابة قوله عز وجل : « ذرني ومن خلقت وحيدا » . وهي إما اعتراضية أو حالية ، والأول أظهر ، لأن مضمونها يكون قد وجه إليه قصد الإفادة بالذات ، لا أنه داخل في مضمون جملة أخرى كما هو شأن الحال . ولقد زاده عليه السلام طمأنينة نفس ، وزادهم رميا ورهبة بقوله : « وهو سريع الحساب » أي فمما قريب يوقع بهم من جزاء ما اقترفوا ما يستحقون من قتل وأسر وإذلال وخزي في الحياة الدنيا ، ومن عذاب مقبم أليم في الدار الآخرة ، ولعذاب الآخرة أشق . وسرعة حسابه إما بمعنى سرعة مجيئه فكل آت قريب ، أو بمعنى سرعة فصله في أمرهم فلا يحتاج لوقت يزن فيه أعمالهم ويقدر لها ما تستحق من جزاء ، فهو سريع الحساب . ويصح إرادة كلا المعنيين .

هذا ومعنى المعقب في الأصل الآتي خلف غيره ، من المعقب وهو مؤخر القدم ، معروف في المبطل لعمل غيره ، فهو كأنما يسير خلفه يتعقبه لا يبطال أثره ، ومنه قيل للفرم معقب ، لأنه يتبع مدينه أينما ذهب يبطل محاولته الفرار والتخلص . ويقال للمعاطل معقب ، لأنه يتبع كل طلب برد . ولتصرفات اللغة أفانين أصلها التجوز ، ثم تتعارف حتى تمير حقيقة عرفية .

ولعد : في الآية الكريمة تقوية لعلها نيفة المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أنه سير بهم
بعض الذي يعدم ، فهي بمثابة تقريب ما يتوهم أنه بعيد ، ببيان أن أمثله تنوال ،
فقد نزل بالأمم من الانتعاص ولاخذ من الأماراف ما لا يبق معه هبال لشك في أنه
نازل بهم ما نزل ممن هم أشد منهم بطشا وأعظم قوة .

« وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا ، يعلم ما تكسب كل نفس ، وسيعلم
الكفار لمن عقبي الدار » :

المكر : الخديعة ومحاولة إيصال الأذى الى الغير بدون شعوره ، كأن الماكر
يدج شيئا في شيء . ومنه قولهم . مكرودة للمرأة المدحجة الخلق الغليظة الساقين .
كان بعضها أديج في بعض . وضمير قبلهم راجع لكفار مكة من مشركين وأهل
كتاب ، وم الذين تقدم الكلام على جعلهم في الآيات السابقة . وفي هذا تسلية
للمرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ما كان يدها أن يلقى الرسل ممن يدعونهم تلك المعارضة
والمكاره يصعبهما المكر والاحتياال لإحباط الدعوة ، ولكن الله مبطل كيدهم ،
ومحبط مكرهم ، وناصر رسله ومؤيدهم ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل « فله
للمكر جميعا » . أليس الماكر يزعم أنه يعمل على خفاء من الممكود به وتقرير به
وخديعة من حيث لا يشعر ؟ فكيف يتم هذا مع من يعلم ما تكسب كل نفس ،
وهو الذي وهبها العلم بما علمت ، والقدرة على ما كسبت ، وهو الذي إن شاء أتم عمل
العالم وجعله يستتبع أثره ، وإن شاء أحبطه وأعطله وجهه كأن لم يكن ، وإن شاء
احترم المامل وأخذ أخذ عزيز مقتدر من حيث لا يحتسب ؟ قد كان يخشى بأنهم
لو صح أن يكون لهم عم يتصرفون به وهو خفي عنه جل شأنه ، أو يستعملون بعلمهم
بدون إقداره ، أما وهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم خواطر
النفوس وهواجسها حتى قبل أن تتحقق بل قبل أن تخطر ببالها ، فهم وما مكروا
في حين العدم أمام إرادة الباري وقدرته . ولو لم يكن في إحباط مكرهم إلا أنه مكشوف

معلوم لله هو وكل ما كسبوا ، بل هو وما تكسب كل نفس ، لكان جديراً أن لا يعبأ به ولا يخشى ضرره ، فلا يبطل المكر إلا علم المكور به ما يريد الماكر ، فلذا اقتصر على صفة العلم في تهوين أمرهم ، وإلا فهو كما يعلم ما تكسب كل نفس ، تحيط قدرته بكل عمل ، فيعبطه أو يثمه ، فهو القاهر فوق عباده . وهذا المعنى مستفاد من قوله : « فله المكر جميعاً » فإن معناه أن كل ما يقع في الكون من سبب ومسبب وارتباط بينهما ، كل ذلك في قبضة قدرته إن شاء أحبطه وإن شاء أتمه ، فلا تكثر بما كانوا يكرهون ، فهو الفعال لما يريد . وقد علمت أن تخصيص صفة العلم بالذكور بعد ذلك لأن انكشاف المكر وعلم حال الماكر أساس لإبطال مكره . ومن ذا الذي ينكر إحاطة علم الله بما كان وما سيكون قبل أن يكون ؟ ففى حجة لا قبل لأحد بردها . هذا ويصح أن يكون معنى قوله « فله المكر جميعاً » أى أن هذا الذى حاولوه من المكر بالأنبياء ليس فى الحقيقة مكرهم بالأنبياء ، وإنما هو مكر من الله بهم ، حيث يحيق بهم جزاء ما اكتسبوا ، ويأخذهم من حيث لم يحتسبوا ، فستكون الدائرة عليهم وهم لا يشعرون ، فالمكر وهو الأخذ على غرة وبدون شعور واقع عليهم من الله لا واقع منهم على الأنبياء .

« وسيملم الكفار لمن عقبى الدار » :

كله جادة للوعيد لهم ، وللوعد للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأن إحراز العاقبة التى تعلمونها أنتم اليوم وينكرونها ، سيعلمونها هم أيضاً ، ولكن بعد فوات الوقت ، حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد الزم إلا ما قدتم ، فسيرون بأعينهم عاقبتهم وعاقبتكم ، فيأخذهم من الحسرة مثل ما تدركون من المسرة ، وسيبادلون ذلك الحوار المحكى فى قوله تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » .

« ويقول الذين كفروا لست مرّسلا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده هم الكتاب » :

هذا تسجيل لخزى المكابرة عليهم بمد وضوح الحجة وظهور الحقبة ، فأبرزهم في صورة من ملك العناد قياده ، وأصبح وقد ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فهو لا يعترف بالحق مهما بلغ وصوحه ، فقال : « ويقول الذين كفروا ، أى بمد هذا الوضوح كله » لست ، يا محمد « مرّسلا » من قبل ربك ، وإنما أنت تفتري . فثقل هؤلاء بمد ذلك لا ينبغي أن تقيم لكلامهم وزنا ، وإنما عليك أن تعرض عن حجاجهم ، فأعرض عنهم ، و « قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم » .

ومعنى شهيدا ، أى عليما ، فهو يعلم ما أنا عليه أميلغ رسالته أم مفتر عليه ، أو شهيدا شاهدا بصحة ما أقول . وشهادته جل شأنه ، بتأييده له صلى الله عليه وسلم بالمجرات والآيات البينات ، فهي شهادة بصدقه منزلة منزلة الشهادة النفعية ، وناطقة بما مضمونه : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني . فشهيذا إما بمعنى عليم ، أو بمعنى شاهد . ولعل الثاني أرجح لقوة الحجة فيه .

وأما قوله : « ومن عنده علم الكتاب » فالمراد به إما الله عز وجل ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، ويكون المعطف من عطف الصفات المتواردة على موصوف واحد لبيان أن كل صفة كافية في إثبات المقصود ، أو من باب تنزيل تعدد الصفات في الكفاية في المقصود منزلة تعدد الذوات . ويشبه هذا قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليت الكتبية في الزدحم

وإما أن يراد بمن عنده علم الكتاب من آمن من أهل الكتاب وأدى الشهادة على وجهها ، كعبد الله بن سلام ، ويكون المراد بالكتاب التوراة والإنجيل . وإما أن يراد بمن عنده علم الكتاب المؤمنون الذين فقهوا ما في القرآن الكريم من بليغ الحجة وواضح الآيات البينة ، فالمراد بالكتاب القرآن الكريم .

ولقد تضمنت هذه السورة الكريمة من روائع الآيات وبالحجج ما ينطق
كل لسان بمصدق الايمان ، ويخضع كل جنان لخالص الايمان .
فاللهم وفقنا للايمان بك والايمان لحكمك ، والاحسان في الوقي اليك ، إنك نعم
للمولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
ابراهيم الحيلي

العباس بن الحسين

كان العباس بن الحسين هذا معاصرا للمأمون ، وكان أنيرا عنده وعند أبيه الرشيد .
وهو من أهل اللاذقية المانورة .
ومن أطف ما أثر عنه ما قاله للمأمون يوما : يا أمير المؤمنين إن ناسي يطلق بمحكك
فأثبا ، وقد أحببت أن يتريد عندك حاضرا . أفتأذن يا أمير المؤمنين في الكلام ؟
فقال له المأمون : قل فوالله إنك لتقول فتحسن ، وتحضر فترين ، وتغيب فتؤمن .
فقال العباس : ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين أفتأذن بالسكوت ؟
قال المأمون : إذا شئت .
ومن أجوبته البليغة ما أجاب به المأمون حين سأله عن رجل فقال : رأيت له حلما واناة ،
ولم أسمع لحنا ولا إحالة . يحذرك الحديث على مطاويه ، ويفهدك الشعر على مداوحه .
وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع هوا بلا حرج فيسمع كلام العباس .
وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لحليسه : أطرب من الابل على الخداه ،
ومن الثمل على الفناء .
وذكر يوما رجلا فقال : ما الحام على الاحرار ، وطول السقم في الأسفار ، وعظم الدين
على الاقتار ، بأشد من لقائه .

الدين أنفع للعمران

من كل القوانين

كتبنا مقالا اضافيا بالأهرام بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « صوت منبعث من قلب الشرائع جمعاء » طلبنا فيه من زعماء الأمة وحكومتها أن يجعلوا قانون البلد هو القانون الشرعى ، وقلنا لهم : إنكم ملكتم من أمركم ما لم تكونوا تملكون ، وقد دخلتم فى دور جديد من نهضتكم المباركة ، فعليناكم أن تهضوا بها فى دينها وقوانينها أيضا ، صى أن يرجع الأمة الاسلامية مجدها الذى كانت متمتعة به ، حينما كان يمتد سلطانها الى الصين شرقا ، وأرض فرنسا غربا ، فكانت إذ ذاك أرفع الأمم على الإصلاق ، وأعزها على الإطلاق .

وها نحن أولا ، قد خطونا خطوة أخرى فى نهضتها المباركة ، فهل لحكومتنا السننية وزعمائها الكرام أن يحققوا ذلك الأمل الذى يصبو عليهم بالفلاح والتجاح فى الدنيا والآخرة ؟ « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وقد عاودنى الأمل فى تحقيق تلك الأمنية ، فكشبت هذه الكلمة اليوم راجيا أن يكون الوقت قد حان لاستعادة مجدنا الأول ، فى أخلاقنا وآدابنا وعاداتنا ، ونكون نفوسنا التى ورثت الإيمان والاسلام عن آبائنا وأجدادها ، فنقول وبالله التوفيق :
إن الواجب لآن على الأمة المصرية ، وقد هبت تريد للثل الأعلى فى حياتها ، أن تعمل فى بقية النواحي الدينية والأدبية التى لعلها أجدى عليها وأنفع لها ، وقد شرعت مصر تغير قوانينها ، فواجب عليها أن تتبع الطريق الاجتماعى فى مثل هذه الحالة ، وهو أن يكون التقنين الجديد على أتم وضع وأعظم فائدة ، وقد أصبحوا والحمد لله أحرارا فى كل ما يعملون ويشرعون .

ولعمري إن الأمر لأوضح من الصبح ، فإن نشريعتنا الذى لم يمر عليه قرن ولا

نصف قرن قد ظهرت عبوبه ، وقد هبوا يطالبون له الإصلاح والتعديل ، ولكن ذلك التشرييع السماوى مكثت فيه لأمة الاسلاميه ثلاثة عشر قرناً قبل ذلك ، فكانت خير الأم فى راحتها وهنتها ، وما انحط شأنها وتضعف معجدها إلا من يوم غيرت وجهتها ، واتخذت لنفسها قوانين غير قوانين ربها الحكيم العالم .

تلك القوانين السماوية التى تسيطر على الظواهر والبطون ، وتملأ القلوب مراقبة لله ، وخوفاً من الله .

تلك القوانين التى تقول لهم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، « فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

تلك القوانين التى توجب عليهم أن يكونوا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق ، ولا تزال بهم حتى نجماهم ملوكاً فى الأرض ، ملوكاً فى السماء . وإن الباحث المدقق ينظره واحدة يتحلى له الفرق الشاسع بين أدوارها الأولى عند ما كانت متمسكة بدينها عاملة بشريعتها ، وبين أدوارها الأخيرة عند ما نبذت شريعتها وأخذت بتلك القوانين الأحبية التى تباين استعمدها ، ولا تلائم مزاجها ، ولا تظهر نفوسها ، ولا تُعنى إلا بالأشباح دون الأرواح ، وبالشكليات دون الحقائق ، فانحطت عندها الآداب والأخلاق ، فتمكثت منها محبة الذات ، والانشغال فى الشهوات ، فصار الناس وحوشاً ضارية يأكل قلوبهم ضعيفهم ، وأصبحوا كالحرباء يتلوون بكل لون ، ويلبسون لكل حالة لبوسها ، ويعدون للمسئولية القانونية عدتها ، من الغش والتزوير ، وتنسيق الأخطاء ، وتحسين الظواهر ، الى غير ذلك مما لا يأتى عليه الشرح ، ولا يبلغه البيان فهل للأمم الاسلاميه أن تتنزه ، وقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبقي ، فترجع الى شريعتها التى جربت في القرون العديدة ، وبلغت بها فى أقل من قرن واحد ما لم تطلع الرومان فى عدة قرون ١٢

ولا غرو ، فقد كان المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها كالبنيان يشد بعضه

بمضا، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد (فألهم عن التذكرة ممرضين).

ولادوا، لهم والله إلا الرجوع اثر نعمتهم، ولا شيء أنجع في وحدثهم الحقيقة — لاوحدة لربا، والمصانة — من رجوعهم الى الدين الصحيح. ولادوا أنفع في استرجاع مجدهم السالف الذي كانوا به أمز الأمم على الإحلاق وأرفعها على الإحلاق من ترسم خط نبينهم، والافتداء بعطاء أسلافهم.

إن الاسلام جاء بمعامع السعادات كلها لجميع أفراد النوع الانساني، فلم يأمر من يعتنقه بالعمل لاسعاد أمته فحسب، بل لاسعاد الإنسانية عامة، والرحمة بكل فرد وكل مخلوق.

أما الذين يرمون الدين بأن فيه أشياء لا تلائم العصر ولا تسيغها المدنية الحاضرة، فهم جهال بحقيقة الدين وبمد نظره في علاج الناس بما يقوم أهواجهم ويصلح أودعهم. وما مثل ذلك عندي إلا كمثل مريض فسد مزجه وضمت قابليته، فأصبع غير قابل للدواء ولا واثق بالأطباء. أو كمثل طفل لا يعرف من الدنيا غير شهواته ولو أنت على الأخضر واليابس، فهو لا يعرف للحكمة معنى ولا للحكماء قدرا. فهو ينظر الى ما يشيرون به نظر الهازي المستخف، لأنه لا يستطيع أن يدرك مراميهم ولا بمد غاياتهم ولا أسرار حكمتهم.

ولهم بك على أصعب شيء في الدين الاسلامي عند هؤلاء المتفهمين من ذوي الحضارة الجديدة:

أصعب شيء جاء به الدين الاسلامي في نظر هؤلاء هو الحدود، وأشد هارح الزاني المحصن، وقطع يد السارق.

ولذين لك من أسرارهما ما يجعلك تنطق بأن الدين الاسلامي ما جاء إلا بالحكمة البالغة التي مها رقى العمران، وسعادة بني الانسان.

ولنشرح لك شيئا من مضار الزنا، ثم نعبه ببيان الحكمة في مشروعية رجم الزاني المحصن، فنقول :

إن في الزنا مضار كثيرة، وربما أدى إلى القتل، وكثيرا ما كانت ذلك، لمزيد الفيرة الطبيعية، ولما يباحق أهل المرأة وزوجها من العار، وما يترتب على ذلك من إفسادها على زوجها وسوء عشرتها له، أو فراقها وفراق أولادها، وما فيه من إفساد هذا الزاني على زوجته المقيمة فضلا عما وراء ذلك من ضياع الأنساب المؤدى إلى ترك الناصر، وما فيه من غش الغير في النسب الكاذب، وتمليك الأموال لغير مستحقها عند التوريث، وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية، ولصوق العار به لعدم معرفة أبيه، وسوء الحالة فيه طول عمره، وفزوم المذلة والانكسار له فيما بين الناس، ببله انتشار الأمراض الخطيرة التي تنتقل منه إلى غيره، وتورث عنه في أولاده وأولاد أولاده، كالزهري والسيلان، إلى غير ذلك من المفاسد التي يطول شرحها.

وبعد : فأنت تعلم ما يترتب على فساد البيت عند تطلع المرأة لغير زوجها، ونحاذها أخذان في الخفاء، وما يلحق فزوج من الفيرة التي كثيرا ما تؤدي إلى قتل ذلك للنهك لحرمته أو قتله هو في ذلك السبيل، وما يلحق أهلها من العار الذي كثيرا ما يؤدي إلى قتلها، وقد كان هذا من أسباب وأد البينات في الجاهلية، والفيرة في هذا طبيعية حتى في الحيوانات.

فإذا قضينا على تلك الجريمة التي تؤدي إلى هذه المفاسد كلها بقتل رجل ثبت عليه الزنا وهو محصن ولا يثبت عليه ذلك إلا بعد التتيا والتي نكون قد ارتكبنا أخف الضررين، وسكنا طريق ذلك المثل العربي المعروف «القتل أنفى للقتل». مع أن ثبوت الجريمة التي توجب الرجم يكاد يكون مستحيلا عادة، ولكن حصوله مرة واحدة في فطر من الأقطار يوجب حفظ نفوس لا عددها، وصيانة أعراض لا تدخل تحت الحصر، وشرف أمر لا يطمعها إلا الله عن أن تقع في العار والنضيحة، فضلا عما

يذهب المجتمع كله عند ما تمسوق فيه المنكرات ، لأن الأمم بأخلاقها وآدابها ، ولأن كل أمة تمسوق فيها المصاى تسقط من عين الله تعالى ، فيحقيق بها البلاء من حيث نعلم ولا تعلم » وما أصابكم من مصيبة فيما كسبب أيديكم .

على أن الشريعة قد أتت في هذا بالعجب العجيب ، فلا تترك قلوب الجرمين خوفا وذعرا . وفي الوقت نفسه شرطت للحد شروطا لا تكاد تتحقق إلا في النادر الذي لا يحكم له ، بل لا يكاد يوجد إلا في طرف غير عادي

فأنت زها أولاً تقول : « ادعوا الحدود بالشبهات » وثانياً تشترط في ثبوت الزنا أربعة شهود (مع أنها تكتفي في إثبات القتل شاهدين)

وتالك توجب حد القذف على الشهود إذا لم يكونوا أربعة ، أو لم تم شهدتهم بأى وجه من الوجوه .

ورابعا تشترط عليهم أن يكونوا رؤوه كالرود في المسكحلة ، وأتى لهم ذلك والحذنة مما لا يكون إلا في خفى الخفاء حتى في الحلال فضلا عن الحرام ؟

وهب أن واحدا رأى ذلك أو اثنين ، فكيف بتيسر رؤية أربعة في وقت واحد ؟ وهب أنهم رؤوه معها أو رؤوها متحدين في فراش واحد ، فكل ذلك غير كاف ولا موجب للحد ، بل على الشهود الذين شهدوا بالزنا حد القذف .

ثم يعرض نفسه لهذا المسألق الذي لا ينتهى غايبا إلا بمجده هو ؟ وإذا وثق من نفسه فكيف يثق بالثلاثة الباقية من الشهود ؟ وكيف يتأتى لهم جميعا أن يضبطوا هذه الرؤية ؟ الى غير ذلك مما هو غنى عن الشرح .

ومع تلك العقبات كلها ، فضلا عن درء الحدود بالشبهات ، فقد استطاع الدين أن يقضى على تلك الجريمة الشنعاء . ومنصفوا الأوربيين يعترفون بالفرق الشاسع بينهم وبين المسلمين في ذلك ، خصوصا في هودم الأولى . والإحصائيات عندكم في ذلك مدهشة مخجلة .

وقد شرع الدين بجانب هذه الشدة في عقوبة الزنا بإباحة تعدد الزوجات ، وسهل الأمر في ذلك ، لما ذكرناه ، ولما فيه من الفوائد العديدة . وليس ينبغي عن القراء ما قرره بعض الحكومات من المكافأة على كثرة الأولاد ، ولولا سلطان البيعة التي هي فيها لا باحت لهم تعدد الزوجات .

هذا وقد قال بعض الأوربيين : « إننا نوجب الاقتصاد على الواحدة في الزواج الشرعي ، ولكن نتخذ من الخليلات غير الشرعيات ما لا يفيد عند حد ، فنضيقهن وأولادهن بلاشفقة ولا رحمة » .

فأنت ترى الاسلام منع هذه الجريمة بالخوف من تلك العقوبة الشديدة ، وأوعد عليها بأشد العقوب في الآخرة ، وشرع ما يفتى عنها ، ومع ذلك وضع من الشروط التي تحول دون إنباتها ما يجعل وجود الحد بعد تلك الشروط مستحيلا أو كالمستحيل . فأى نظر أبعد من هذا ؟ وأى حكمة أبلغ من تلك الحكمة التي صانت الأعراض والنفوس ، ولم تسرف في القتل ، ولا جعلت الأمر جزافا ؟ أليس ذلك أسمى حكمة وأبلغ تشريع ؟

أما قطع يد السارق فأمره من أوضح الواضحات : فإن اللص يخرج من يده موطئا نفسه على أن يقتل أو يقتل . وكثيرا ما قتل وقتل .

ومن جهة أخرى تستطيع أن تتصور فظاعة الجريمة إذا تخيلت امرأة عحوزا تسمى على أبتامها بقليل من المال ، فيطلع عليها ذلك اللص فيسلسها رأس مالها الذي نعيش به هي وأولادها للساكين ، فهي إن لم تلق الموت السريع من أيديهم ، لغيت الموت البطيء من جراء ما فعضه بها وبفعلات كبدها الذين أصبحوا في حالة نديب القلوب وندي العيون ، الى غير ذلك مما تعرفون ولا تحسبون .

وقد انتشرت تلك الحوادث في بلاد العالم كله انقشارا يشير للأسف الشديد والحزن العميق .

ولو أنقنا الحد الشرعى مرة واحدة لأخفنا الجميع خوفاً تصبى به السجون خالية من أولئك المصوص ، وتستريح به إدارة الأمن العام من تلك المزيجات المقلقات التى فشلت فيها اللوائح والقوانين ، وضجت منها رجل الشرطة وقضاة المحاكم . على أن ذلك الحد داخل فى عموم الحدود التى تدر بالمشبهات كما قلنا . ولعلماء الحنفية فى ذلك تفصيلات نجمل الأمر سهلاً لدى الحاكم المتبصر ، حيث قالوا : إذا صدم المسروق منه على تضمين السارق المال المسروق ، سقط عنه الحد ، لأنه لا يضمه له إلا وقد ملكه إياه . على تفصيل وكلام طويل .

والقصد أن فى مذاهب الأئمة من الآراء ولا نظار سعة كبيرة . ونحن راصون أن يختار بدل هذه القوانين الأوربية قانون شرعى من كل المذاهب المول عليها فى الدين الإسلامى ، وفيها من السمة والفسحة والنظار الحكيم ما لا يملأه إلا الله تعالى ، فذلك خير من القوانين الأوربية على كل حال .

المقدمة :

والخلاصة أن المسلمين إذا عملوا شعائهم دينهم ، وربوا أولادهم على المبادئ الشرعية والإخلاص فى جميع الأمور ، كما تقتضيه مراقبة الله وخوفه منه ، ثم أكلوا العمل بما جاء به نبيهم ، فامجدوا جميعاً ، وكانوا كالبنين يشد بفضله بفضله ، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، إذا فعلوا ذلك كله ، فقد استمدوا لأن يستعيدوا مجد السالف ، وعزتهم التى كانت لهم « والله العزة ورسوله والمؤمنين » ، ولكن المنافقين لا يمدون .

وبإياك أن تصفى لأولئك المصلحين المتفهمين الذين لم يعرفوا من العلم الصحيح شيئاً ، ولا لهم من الوجدان الرفيع ما يذوقون به أسرار الدين ، أو يتمرقون به الحق ويفقهون برهانه ، وإن كانوا من ذوى الزخرف والتشويق الذين يخيل لك أنهم قرءوا

كثيرا ودرسوا كثيرا ، فالعلم أجل من أن يصل الى حقائقه كل ناظر فيه ، أو يذوق أسرارها كل من يدعيه .

وقد فرر الفلاسفة أن كل من أخذ من العلم ما ليس مستعدا له كان ضرر ذلك العلم الذي أخذه أقرب من نفعه ، وكان به نزلة ضعيف المزاج لذي لا يستطيع أن يهضم ما تناوله من الغذاء ، فلا غرو أن يتقلب الى فساد كذلك أدمياء العلم الذين لم يخفوا له إذا فرغوا شيئا من العلم ، لم يحسنوا فهمه ، فأولوه على ما يناسب استعدادهم ، ويوافق أهواءهم ، لأنه لم ينهض منهم . وكان خيرا لهم ألا يأخذوه . ولذلك يروى في المأثور « ما من أحد يحدث قوما حديثا لا نباهه عقولهم إلا كان حديثه فتنة عليهم » . وذلك لأنهم لم يفهموه على وجهه .

والعقول عند كثير من الناس مسخرة للأهواء لا مسخرة لها ، فهي لا تستمد إلا منها ، ولا تصدر إلا عنها ، وكان لواجب في حقهم الحمية عما لا يستطيعون معرفته ، كما يجب احتواء المريض مما يضره من الغذاء ، وإن كان ضروريا غيره . وربما طرأنا هذا الموضوع مرة أخرى . والله يتولى هدى الجميع عنه وكرمه .

يوسف الرجوى

من جماعة كبار العلماء

للحلم بوادى تحمى صفوة

وعد أبو لى نائفة بنى جمعة على النبي صلى الله عليه وسلم فأنقذه شعره الذى يقول فيه :
بلقنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لسنى فوق ذات مظهر
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم . الى أين أبى لى ؟ قال . الى الجنة . فقال رسول الله :
إن شاء الله تعالى . فلما انتهى النائفة الى قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمى صفوه ان يكذرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفيض الله ظك ، استحسانا للبيت .

زعيم المنبوذين والاسلام

فرأت في جهاد ٢٧ سبتمبر الماضى كلمة الأستاذ اشيوخ مجتبى حسن الهندى مؤداها أن الدكتور (امبيدكار) زعيم للمنبوذين في الهند قد غير رأيه في الاسلام ، واتجه نحو ديانة (السيك) الهندية . وحجته في تحوله هذا أن الديانة الاسلامية متعددة العرق ، متشعبة المذاهب ، مبهولة الماهية ، توقع من يدخلها في عنت وحيرة فهو لذلك لا يدري الى أى فرقة ينتمى ، إلى المالكية أم الحنفية أم الشيعية الخ الخ .

ومح نقول إن هذا القول — إن كان حدث حقيقة من الدكتور امبيدكار — فهو لا يد على دراسة صحيحة للدين الاسلامى . وإلا فكيف يكون الاسلام مجهول الماهية وهو قائم على الفطرة الانسانية والعقل ، وخال من كل ما تحصر عليه الأديان الأخرى من الرموز والمسائير التى لا سبيل الى الايمان بها غير التقليد الأعمى : « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وقد اشتهر الاسلام قديما وحديثا بأنه واضح المقاصد ، بَيِّن الدلائل ، ظاهر للعالم ، لا غموض فيه ولا إيهام

ولقد كان هذا الوضوح في ماهية الاسلام سببا في دخول جماعات غفيرة فيه بدون دعوته ، وفي سرعة انتشاره في الأرض بين أمم ذواب عقليات مختلفة ، وحمايته نفسه فيها رغما عن كل ما ساط عليه من ضروب التشكيك والصرف

بل كان هذا الوضوح سلاحة في يد بعض دعاة الملل شهروه عليه لتليل منه ، إذ قالوا إن الاسلام يخلو من الرموز والمسائير ، وإن ديننا يحول الانسان فيه بعقله دون أن يرتطم بغامضة ، لا يصحح أن يكون ديننا نعو له الرقاب حاصعة . وهى شبهة كما تراها لا تحتل النقد ، فإن ديننا أنزل ليكون عاماميين الأمم كافة حاضر ومستقبلا ، لا يتبل

على هذه الصورة إلا إذا كان مسابرا للمستور العلمى الذى هو ميزة العقلية الانسانية الراهنة .

فالاسلام الذى يحاول أن يقتحم عليه خصومه من ناحية وضوحه وخلوه من الرموز ، يتهمة زعيم للنبوذين بأنه مجهول الماهية يوقع الداخل فيه فى حيرة ودهش ، ويفضل عليه ديانة وتقية كلها مسانير ورموز وفوامض !

يخرج !

ويقول الدكتور أمبيدكار - فيما نسب اليه وليست الدهشة على أنا : إن الديانة الاسلامية متعددة الفرق ، فهو لا يدري الى أية فرقة منها ينتسب ، إلى السالكية أم لحنفية أم الشيعية ! الخ .

وهذه الشبهة أو هي مما تقدمتها ، وإذا كانت الأولى تدل على نقص فى الدراسة ، فهذه تدل على عدمها بالمرّة ، لأن الذى يمتثل لمذاهب الفقهية فرقا لا يكون على شىء من العلم بها .

الاسلام دين قرر (قبل الثورة الفرنسية بألف ومائتى سنة) حرية البحث ، وأطلق للمقول عنان النظر ، ولم يوصد فى وجه أحد بابا من أبواب الفهم ، ليتوجه كل إنسان الوجهة التى تناسبه لإدراك الحقائق ، وأغل الجيع بحبيته ، وشملهم برعايته ، ما داموا محافظين على الأصول الأولية التى شرعها من توحيدده وتنزيهه ، وجارين على تعاليم كتابه من تحرى الحق ، واختيار الأحسن ، والاستهداء بالأعلام الإلهية . وقد بارك الله فى هذه النزعة الانسانية الكريمة ، فلم يجد المسلمون فى جميع أديارهم حرجا من دينهم ، ولا عنتا من أئمتهم ، واعتبروا أنفسهم على اختلاف مذاهبهم إخوانا متكافلين ، تجمهم كلمة الله العليا ، فكانوا يجتمعون فى مساجدهم وهم على آراء شتى فى المسائل الفرمية يتصلورون ويتناقشون ، فإذا أذن المؤذن قاموا الى الصلاة لا يسألون الإمام الذى يتقدم صفوفهم على أى مذهب هو من مذاهب أهل القبلة . وإذا تقدم

الى واحد منهم رجل يطلب الإصهار اليه لا يسأله أهو حنفى أم مالكى أم غير ذلك من المذاهب الفقهية .

فهل يريد الدكتور أمبيد كار أن يكون جميع المسلمين على مذهب واحد لا يتعدونه ليسوغ له أن يدخل الى ملتهم ؟ وهل يرى هذا ممكنا وهو حامل لقب دكتور ، وله اطلاع على نزعات العقلية الانسانية ، وعلى أطوار الفطرة البشرية ؟

ليست الفلسفة نفسها بإطلاقها حرية البعث والنظر تفترق الى مذاهب شتى لكل منها أصول مقررة ، وأساليب محددة ، فلم انتسب الدكتور أمبيد كار اليها وأهلها على مثل هذه الفرقة ؟

يقول في الدكتور أمبيد كار في أى مجال من مجالات النشاط العقلي والروحي لا يجد اختلافًا في الآراء وتباينًا في المذاهب ؟

إن المجامع العلمية ، الكبرى التى تجمع بين أعلام الأمم لرافية في العلوم اليفينية ، المبنية على المشاهدات الحسية ، لا تخلو من خلافات ومذاهب شتى ، فهل لودعى الدكتور أمبيد كار ليكون عضوا في واحد منها يرى أن يرفض الدعوة الموجهة اليه بحجة أنه محار في اتباع مذهب من مذاهب أعضائها ؟

إن مثل الدكتور أمبيد كار كان يجب عليه أن يرفض الدخول في أى دين لا يتيح له حرية النظر والتفكير ، واتخاذ المذهب الذى يوافقه فيه ، أو لا يسمح له أن يكون هو نفسه صاحب مذهب مستقل ، إذا كان من رجال هذه الطبقة ، لا أن يكروه الدين الذى يتيح له كل ذلك ويؤثر عليه أديانا يصبح فيها آله صماء بكاء . في أبدى القنمين على عهدها ، والمبسطين على ضباط أتباعها .

وإذا كان الدكتور أمبيد كار يود دينًا لا خلاف فيه فسيطول انتظاره . فالسيكية الهندية التى يميل اليها منقسمة على نفسها انقسامًا مريعًا وكثيرا ما أدى انقسامها الى التناحر .

واليهودية منقسمة أيضا الى صدوقية وفريسية وربانية وقرثينية ، وقد اشتق من هذه المذاهب فرق لا يحصى لها عدد .

والمسيحية قد افرقت الى كاثوليكية وبروتستانتية ، وافترت كلتاها الى فرق لا تدخل تحت حصر .

فالمعول في انتخاب دين من الأديان لا يكون إلا على كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، ومذهب جمهور الآخذين به . فإن صادف بمحة كتابا لم يتطرق اليه التعريف ويهدي للتي هي أقوم ، وسنة حكيمة تهدي الى الرشده ، وتحصى من الضلال ، ومذهبها لجمهور الآخذين به لا يجافى لمقل ، ولا ينافض العلم ، ولا يصد من الترقى ، كان حقا على الباحث أن يعمل على هذا الدين ، ولا يتمناه الى غيره ، مما لا يفنى غناه في تفدية الروح والعقل ، ولا يسد مكانه من تهيئة جماعته للرقى ، وإعدادها للمثل العليا .

محمد فريد وجدي

تقسيم الوقت

قال الحسن بن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان قد جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله ، وجزءا للأهل ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين سائر الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : « أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها أسئله الله تعالى يوم الفزع الأكبر » .

إن هذه السنة الكريمة من تقسيم الوقت توجب البركة فيه ، فإن الممن في شيء واحد لا يلبث أن يصيبه السأم فيقطع عنه دون أن يصل منه الى غرضه ، فإذا شرع في غيره طارده داء الملل واليأس ، فاما تركه لغيره كما ترك الأول ، وإما أسرع في إكمالها على غير ما يقتضيه الاتقان .

الاصراء

تثبيت وتكريم

عن عقبة بن عامر أنه قال قال صلى الله عليه وسلم : «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لا أنظر الى حوضي الآن ، وإني والله قد أعطيت مغانح خزائن الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها .
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أنا محمد النبي الأُمِّي ، لا نبي بعدي ، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، وعلمت خزنة النار وحملته العرش » .

وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : سل يا محمد ، فقلت : ما أسأل يا ربني ؟ اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلت موسى تكليماً ، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده . فقال الله تعالى : ما أعطيتك خير من ذلك : أعطيتك الكوثر ، وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء ، وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك ، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك ، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها ، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الى الله ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : « إن الله فضل محمداً عليه السلام على أهل السماء وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، قالوا : فما فضله على أهل السماء ؟ قال :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ : « وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ » ، وَقَالَ لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَبِهِدْيِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا » ، قَالُوا : فَفَضَّلَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » وَقَالَ لِحَمْدِ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ » .

هذه بعض النواحي التي فضل بها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم على إخوانه الأنبياء والمرسلين . وإن درجات الفضل والتكريم الممكنة للإنسان لا تقف عند محيط هذه الدائرة التي ورد بها ما روينا من الأحاديث ، واستقرت في نفوس المؤمنين بفضل الله العظيم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وما نسبة هذه المزايا إلى ما وراءها من مراتب الكمال إلا كنسبة الرذاذ إلى الغيث الكثير ، أو الوشل إلى البحر الواسع الكبير . وإذا كانت قلوب المؤمنين مفعمة بمكانة محمد عند ربه فيؤمن من السهل عليها أن تؤمن بما قصه الله علينا من ذلك في حادث الإسراء « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

لم يكن حادث الإسراء إلا نوعاً من أنواع التكريم ، ووسيلة من وسائل التثبيت ، تجلي به سبحانه وتعالى على نبيه الذي أرسله بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليقرع قلوبهم بكلمة التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، وليحوّل العالم من مجرى المادة التي تطفئ على سعادة الإنسان إلى مجرى الروح التي تنهض به إلى الأفق الأعلى من مستوى الإنسانية .

تجلى به سبحانه على نبيه فتبّت فؤاده وشرح صدره ، ورفع ذكره ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به في لحظات قليلة أن يكشف كثيراً من آيات

الله وعجائبه في أرضه وسعائه . أسرى به من المسجد الحرام الى للمسجد الأقصى ، وعرج به الى سدره المنتهى الى حيث شاء رب العزة والملكوت (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

نعمة فذة لم تعرف لنبيه صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين ، دلت على عناية الله برسوله وتكريمه إياه ، وتقريبه لجانيه ، حتى كان في ملئه لأعلى قاب قوسين أو أدنى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبر النجوم) .

نعمة لا يعزب عن القلوب جلالها ، ولا يحف من الأذهان مداها ، فهي على الدوام شاخصة لقلوب المؤمنين ، ماثلة في أذهانهم ، بها يعرفون أن الله كمل تربية نبيه ، وأعد فواء النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاب المصرة ومشاق الجهاد في سبيل الله « أدبني ربى فأحسن تأديبي » (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) .

الاسراء ، فضل وتكريم ونعمة . الاسراء شأن من شئون الله مع نبيه الذي صنعه بيده وحاكه بحكمته فلنؤمن به كما أخبر الله ، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح ، أكان في اليقظة أم في المنام ؟ ولا كيف انتقل ولا كيف ارتفع ، فالفيض غزير والاستعداد تام (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

وإذا كان للمؤمنين أن ينتفعوا بهذا كرى الاسراء ، فليذكروا بها فضل الله على نبيه الذي جاهد في تثبيت هذا الدين ونشره ، والعمل على إسعاد الإنسانية به ، وينتهجوا خطته في ذلك حتى يكونوا من المؤمنين حقاً بهذا الفضل ، وحتى يحوزوا رضا الله وإسعاده . وليذكروا بها أن الله فرض عليهم في ليلتها على لسان نبيه ، وقد ارتفع ما بينهما من حجب ، خمس صلوات في اليوم وليلة ، بها يناجون ربهم ، وبها يشعرون

واجب العبودية التي خلعت على يديهم في تلك الليلة تكريماً وتشريفاً . لم يفرضها كما فرض غيرها من الواجبات ولا ركان ، وإنما فرضها في كوكبة من السلا الأعلى ، وفي جدوة من الاشراف والأنوار تنويرها بشانها ورضها لمكانها .

وليدذكروا أن الرسول الذي نال فخر الاسراء كان يحن دائماً إلى مناجاة ربه والوقوف بين يديه ، حتى كان لا يجد له لذة إلا في تلك المناجاة « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وفي الحق أن الصلاة التي أمر الله بها المؤمنين صبرة للقلوب ، وممرج للرب وإسراء إلى ساحة الفضل والإتمام فمن شاء أن يسرى به ربه ، وأن تمرج به ملائكة الرحمة ، فليدم مناجاة ربه ، وليحسن وقوفه بين يديه (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)
 محمد شلتوت
 وكيل كلية الشريعة الاسلامية

اعادة الكلام

قال عبد بن صبيح المعروف بابن السهاك الحارثي : كيف ترين ما أعطى به ؟

قالت : هو حسن إلا أنك تكرره .

قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه .

قالت : إلى أن يفهمه البطيء ينقل على صمم الذكي .

نقول إن لتكرار التعليم واجب ليستقر العم في العقول ، ويصل إلى مظان الاقتناع من التمسوس ، أما في الخطب وفيما يتحدث فيه بين الناس ، فهو من أشد الميوب وأثقلها على القلوب . وقد استعيد ابن عباس حديثاً فقال : لولا أنني أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدته روائه ، لأعدته .

نقول : لو صحت هذه رواية عن ابن عباس فلا شك في أن حديثه لم يكن تعليمياً وإلا لو حبت عليه إعادته ، وخاصة إذا طلب إليه ، كما هي الحال عند الناس أجمعين في جميع المصور .

الاسم والفلسفة

- ٥ -

لملك تذكر أننا تناولنا في الفصل الأخير من هذه السلسلة الحديث عن فلسفة الفارابي فأثينا معك على الجزء الخاص بها بإثبات وجود واجب الوجود، ووعدناك بأن تتم لك الحديث عن فلسفة هذا الفيلسوف الكبير الذي بلغ من إعجاب ابن سينا به أن أطلق عليه اسم « المعلم الثاني » مقابلة لتسميته أرسطو « بالمعلم الأول »، ولكن شواغل الحياة قد عاقبتنا عن الإيفاء بوعده كل هذا الوقت الطويل فعددة .

والآن اليك نظرية العقول العشرة التي كانت منشأ شهرة الفارابي ، ومآل ذيوم اسمه في مشارق الأرض ومغاربها :

يرى الفارابي أن الكائنات الموجودة في الكون تتفاوت في المراتب ودرجات الكمال ، فمن أكل إلى كامل إلى أقل كما لا حتى تصل هذه السلسلة إلى الجرثومة أو الذرة التي لا تقبل الانقسام الفعلي . ولما كان لله مؤثرا في السلسلة جميعها ، ولما كانت هذه السلسلة تنقسم إلى قسمين : علوى وسفلى ، ولما كان تأثير الله جل شأنه في القسم العلوى تأثيرا تمازليا ، فقد وجب علينا أن نبين ترتيب حلقاتها بالنسبة إلى هذا الاتصال التأثيري في القسم العلوى ، وهو على النحو الآتي .

خلق واجب الوجود العقل لأول أو الوجود الثاني ، وهو جوهر محض ليس متصلا بالمادة التي من شأنها أن تحدد ميزة التعقل الكامل التي هو من شأن الجواهر المحضة . ولذا كان خلوص هذا العقل الأول أو الجوهر المحض من المادة علة في أن يدرك ذاته وأن يعقل واجب الوجود ويتصل به اتصال استعانة واستمداد ، فن اتصاله بواجب الوجود نشأ العقل الثاني أو الوجود الثالث ، ومن تمقله ذاته

ونجوهه في نفسه نشأت السماء الأولى أو الفلك المحيط . والعقل الثاني هو كذلك جوهر محض مثل الأول في جوهريته ، فهو كذلك بعقل الباري ويتصل به ويعمل ذاته . وعن إدراكه الباري وانصاله به نشأ العقل الثالث أو الموجود الرابع . وعن تعلقه ذاته ونجوهه في نفسه نشأت كرة السكواكب الثابتة . وهكذا بقية العقول لكل عقل منها جوتان مختلفتان ينشأ عن كل منهما أثر يغاير الآخر ، فكمنا نشأ عن العقل الأول العقل الثاني والفلك المحيط ، وعن العقل الثاني العقل الثالث وكرة السكواكب الثابتة ، كذلك نشأ عن الثالث الرابع وزحل ، وعن الرابع الخامس والمشتري ، وعن الخامس السادس والمرمخ ، وعن السادس السابع والشمس ، وعن السابع الثامن والزهرة ، وعن الثامن التاسع وعطارد ، وعن التاسع العاشر والقمر . وهذا العقل العاشر وإن كان جوهره محضاً يتصل بواجب الوجود إلا أنه لا ينشأ عنه عقل آخر ، لأنه تنهى إليه هذه الموجودات الفلكية .

وقد اعتبر الفارابي واجب الوجود على رأس هذه سلسلة وسببه الموجود الأول ، وهو لهذا سمي العقل الأول بالموجود الثاني ، والعقل الثاني بالموجود الثالث ، وهلم جرا الى أن أطلق على العقل العاشر اسم الموجود الحادى عشر . وكل هذه العقول ، على حد تعبير الفارابي المضطرب المتناقض مع مذهبه ، مخلوقة لله ، الأول بطريقة مباشرة ، والتسعة الباقية كل بواسطة ما قبله ، وهى فى مرتبة واحدة ، وتوضع فى أعلى درجات الموجودات أى فى الدرجة الثانية بعد درجة واجب الوجود . وهو يرى أنها أولية ، وأنها صدرت عن الباري صدور العلول عن علته ، وهذا رأى يكفره بلا شك فى نظر الاسلام ، لأن الممول يصدر عن علته اضطراباً دون تصرف منها ولا إرادة كما يصدر الضوء عن الشمس ، والحسرة عن النار دون أن تملك هذه أو تلك منع أثرها أو تأخير لحظة واحدة .

وهذا رأى فضلاً من أنه مخالف لأصول كل الديانات السماوية هو سخي من

الدحية الفلسفية ، لأنه يستلزم إلغاء الإرادة الإلهية ، ومتى أُنْغِيَتْ هذه الإرادة تبعها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصران كل ما في هذا الكون من نظام وانساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائرًا يتحبط تبعًا للمصادفات الرعناء . وهذا لا يتصوره عقل عاقل بعد مشاهدة هذا الإبداع الحكيم في كل جزئية من جزئيات العالم ، إلا إذا تصور أنه إذا وضع كمية من الأحرف الحديدية في علبه ثم ألقاها وهزها ردحا من الزمن وقتحها يجدها قد كوت من نفسها مقالة ليست منظملة الكلمات والجلل حسب بل راقية الأسلوب ، عالية العبارة ، سامية المرأى والأغراض فإذا كان في الكون من يتصور هذا جاز أن يكون هناك من يستسيغ عقله أن يكون هذا العالم البديع قد صدر عن البارئ صدور للملول عن عته لا إرادة ولا اختيار . وهذا القول بأزلية العالم ومعلوليته للبارئ اضطرارا هو أهم الآراء التي رى الإمام الغزالي من أجلها الفارابي وابن سينا بالكفر والزندقة كما صرح بذلك في كتابي « التهاوت » ، « والننذ من الضلال » . (١)

على أنى لا أدري كيف يسمى الفارابي البارئ بالذشى أو الخالق أو المبدع ، وهو يعتبره علة لا إرادة له ولا اختيار في هذا الانشاء ، بل هو لم يخلق شيئا ، لأن الخالق هو الموجود من المدم ، وهذا الإيجاد في رأيه لم يحدث ، فهو وكل من نحانحوه من فلاسفة الاسلام إذا في هذه النقطة متناقضون مضطربون .

ويرى الامام الغزالي أن في تصريح الفارابي وابن سينا ومن نحانحوهما من الفلاسفة بأن العالم مخلوق لله مع قولهم بأزليته وصدوره عنه صدور المللول عن عته ، تلبيسا وتغويها منهم على المقول ، لأن الخلق لا يتفق مع الصدور بدون إرادة ، وهو لهذا يناقشهم في تلك المغالطة مناقشة قيمة محب أن نوقفكم على طرف منها تحقيقا للأغاية الرجوة . وهاكم شيئا من هذه المناقشة :

(١) راجع صفحة ٢٤ وما بعدها من الكتاب الأول ، وصحة ١٤ من الكتاب الثاني .

» (مسألة) في بيان تلبيسهم بقولهم : إن الله فاعل العالم وصانعه ، وإن العالم فعله وصنعه ، وبيان أن ذلك مجاز عندم وليس بحقيقة . وقد اتفقت الفلاسفة سوى الدهرية على أن للعالم صانعا ، وأن الله تعالى هو صانع العالم وفاعله ، وأن العالم فعله وصنعه ، وهذا تلبيس على أصلهم أن يكون العالم من صنع الله تعالى من ثلاثة أوجه . وجه في الفاعل ، وجه في الفعس ، وجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل . أما الذي في الفاعل ، فهو أنه لا بد وأن يكون مريدا مختاراً ، عالماً بما يريد حتى يكون فاعلاً لما يريد ، والله تعالى ليس مريداً ، بل لاصفة له أصلاً ، وما يصدر عنه فيلزم لزوماً ضرورياً . (والثاني) أن العالم قديم ، والفعل هو الحادث . (الثالث) أن الله تعالى واحد عندم من كل وجه ، والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه .

ولنعقق وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم في دفعه :

أما الأول فنقول : الفاعل عبارة عن مصدر منه الفعل مع الإرادة ، مع الفعل على سبيل الاختيار ومع العلم بالمراد . وعندم أن العالم من الله تعالى كالمعول من علة يلزم لزوماً صدورياً لا يتصور من الله تعالى دفعه ، لزوم الظل من الشخص والنور من الشمس ، وليس هذا من الفعل في شيء ، بل من قال إن المراج يفعل الضوء ، والشخص يفعل الظل ، فقد جازف وتوسع في التجوز توسعاً خارجاً عن الحد واستعار اللفظ اكتفاءً بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار عنه في وصف واحد ، وهو أن الفاعل سبب على الجملة ، والسراج والشمس سبب النور ولكن الفاعل لم يسم فاعلاً صانعاً بمجرد كونه سبباً ، بل بكونه سبباً على وجه مخصوص وهو وقوع الفعل منه على وجه الإرادة والاختيار حتى لو قال القائل : الخدار ليس بفاعل ، والحجر ليس بفاعل ، والجماد ليس بفاعل ، وإنما الفعل للحيوان ، لم ينكر عليه في ذلك ، ولم يكن في قوله كاذباً ، وللمعبر عندم فعل وهو الهوى بالثقل والميل إلى المركز ، كما أن النار فعلا وهو التسخين ، وللعاطف فعلا وهو الميل إلى المركز ووقوع الظل ، فإن كل ذلك صادر منه ، وهذا محال . فإن قيل

كل موجود ليس واجب الوجود بذاته ، بل هو موجود بغيره ، فإنما نسمى ذلك الشيء مفعولا ونسمى سببه فاعلا ولا نبالي كان السبب فاعلا بالطبع أو بالإرادة ، كما أنكم لا تبالون أنه كان فاعلا بآلة أو بغير آلة ، بل الفعل جنس ، وينقسم إلى ما يقع بآلة وإلى ما يقع بغير آلة فكذلك هو جنس ، وينقسم إلى ما يقع بالطبع وإلى ما يقع بالاختيار ، بدليل أنا إذا قلنا : فعل بالطبع لم يكن ضد لفولنا بالاختيار ولا دفعا ونقضا له ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كما إذا قلنا : فعل مباشرة بغير آلة لم يكن نقضا ، بل كان تنويها وبيانا . وإذا قلنا : فعل بالاختيار لم يكن تكرارا مثل قولنا . حيوان إنسان ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كقولنا : فعل بآلة ولو كان قولنا : فعل يتضمن الإرادة ، وكانت الإرادة ذاتية للفعل من حيث إنه فعل لكان قولنا : فعل بالطبع متناقضا ، كقولنا : فعل وما فعل ، قلنا هذه التسمية ماسدة ، فلا يجوز أن يسمى كل سبب بأى وجه كان فاعلا ، ولا كل سبب مفعولا ، ولو كان كذلك لما صح أن يقال : الجاد لا فعل له ، وإنما الفعل للمعبود . وهذه من الكلمات للشهيرة الصادقة ، فان سمي الجاد فاعلا فبالاستعارة ، كما قد يسمى طابعا مريدا على سبيل المجاز ، إذ يقال : الحجر بهوى لأنه يريد المركز ويطلبه ، والطلب والإرادة حقيقة لا تتصور إلا مع العلم بالمراد المطلوب ولا تتصور إلا من الحيوان . وأما قولكم : إن قولنا : فعل ، عام ، وينقسم إلى ما هو بالطبع وإلى ما هو بالإرادة ، فغير مسلم ، وهو كقول الفائل قولنا : أراد ، عام ، وينقسم إلى من يريد مع العلم بالمراد ، وإلى من يريد ولا يعلم ما يريد ، وهو فاسد ، إذ الإرادة تتضمن العلم بالضرورة ، فكذلك الفعل يتضمن الإرادة بالضرورة

وأما قولكم : إن قولنا : فعل بالطبع ليس بنقض للأول ، فليس كذلك ، فإنه نقض له من حيث الحقيقة ، ولكن لا يسبق إلى الفهم التناقض ولا يشتد ظهور الطبع عنه ، لأنه يبقى مجازا ، فإنه لما أن كان سببا بوجه ما ، والفاعل أيضا سبب سمي فعلا مجازا . وإذا قال : فعل بالاختيار فهو تكرير على التحقيق ، كقوله : أراد وهو ما لم بما

أرادته ، إلا أنه لما تصور أن يقال : فعل ، وهو مجاز ، ويقال : فعل ، وهو حقيقة ، لم تنفرد النفس عن قوله : فعل بالاختيار وكان معناه : فعل فعلا حقيقيا لا مجازيا كقول القائل : تكلم بلسانه ونظر بعينه ، فإنه لما جاز أن يستعمل النظر في القاب مجازا ، والكلام في تحريك الرأس واليد حتى يقال : قال برأسه : أى نعم ، لم يستقيم أن يقال : قال بلسانه ونظر بعينه ، ويكون معناه نفي احتمال المجاز ، فهذا صرلة القدم ، فليقتبه لحل انخداع هؤلاء الأغبياء . فإن قيل : تسمية الفاعل فاعلا إنما أعرف من الالفة ، وإلا فقد ظهر في العقل أن ما يكون سببا للشيء ينقسم إلى ما يكون مريدا وإلى ما لا يكون مريدا ، ووقع النزاع في أن اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ، ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ العرب تقول : النار تحرق ، والسيف يقطع ، والثليج يبرد ، والسقمونيا تسهل ، والخبز يشبع ، والماء يروي . وقولنا : يضرب ، معناه يفعل الضرب وقولنا تحرق ، معناه تفعل لإحراق . وقولنا : يقطع ، معناه يفعل القطع . وإن قلتم إن كل ذلك مجاز ، كنتم متعكمين فيه من غير مستند . والجواب أن ذلك بطريق المجاز ، وإنما الفعل الحقيقي ما يكون بالإرادة . والدليل عليه أننا لو فرضنا حادثا توقف في حصوله على أمرين أحدهما إرادي ولا آخرى غير إرادي ، أضاب اسقل الفعل إلى لإرادي ، وكذا الالفة ، فإن من ألقى إنسانا في نار فمات يقال : هو القاتل دون النار ، حتى إذا قيل : ما قتله إلا فلان صدق قائله . وإن كان اسم الفاعل على المرید وغير المرید على وجه واحد لا بطريق كون أحدهما أصلا وكون الآخر مستعارا منه ، فلم يضاف القتل إلى المرید لغة وعرفا وعقلا مع أن النار هي العلة القريبة في القتل ، وكأن الملقى لم يتعاط إلا لجمع بينه وبين النار ، ولكن لما كان الجهم بينه وبين النار بالإرادة ، وتأثير النار بغير إرادة ، سمي قاتلا ، ولم قسم النار قاتلا إلا بنوع من الاستعارة ، فدل أن الفاعل من يصدر الفعل عن إرادته . وإذا لم يكن مريدا عندهم ولا مختار الفعل لم يكن صانعا ولا فاعلا إلا مجازا .

أحسب أنه بعد هذا النموذج الذي قدمته لكم ، لا نزاع في أن الامام الغزالي قد وفق إلى دمج هذا التمويه وكشف خباياه ، أو إلى لفت الباحثين إلى ما في هذه النقطة عند فلاسفة الاسلام من التناقض والاضطراب إن كانوا برياء من التمويه والتلبيس . هذا ، وسنعود فنتعمق لك نواحي فلسفة هذا الفيلسوف ، مناقشين ما يستحق المناقشة منها ، وموعداً المقال للمقبل .

الدكتور محمد غملاط

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

وصف عمرو بن عبيد للبلاغة

قال عمرو بن عبيد الواعظ المشهور ، والمخيل المنزه : ما البلاغة ؟

قال : ما ملئك الجنة ، وعمل بك من النار

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : فما بصرك مواضع رشذك ، وعواقب خيلك .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول .

قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما معشر سكا (بكسر الهمزة أي فليو الكلام وهو جمع بكى بوزن ولي) .

قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فسكانك تريد تحييد الألفاظ في أحسن إقحام .

قال السائل : نعم .

قال عمرو : نك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤنة على المستحقين ، وتزيين المعالي في قلوب المستفهمين ، فالألفاظ الحسنة رغبة في استنجاتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الباطنة عن الكتاب والسنة ، كست قد أوتيت فصل خطابه .

شهر الصيام

في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر الى من ينير الأفاق خلال شهر رمضان الذي أكرمه الله بأن أرسل فيه القرآن ، هذا البيض الرباني الذي ملأ طباق الأرض علما وحكمة ، وعم العالم عدلا ومساواة ورحمة .

فرض الله على المسلمين أن يصوموا هذا الشهر الكريم في آيات بينات من كتابه العزيز ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم لصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معيودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، من شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكنوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

مهد الله تعالى لهذه التريضة ، تضامنه وتطبيع للنفس وترغيبا لها ، بأن الصوم قد فرض على جميع الأمم من لدن آدم الى حاتم السيين صلى الله عليه وسلم . وقرن ذلك بذكر الحكمة من إيجابه ، فقال : « لعلكم تتقون » . وتقوى القلوب كما لا يخفى مطلب عزيز ، تحن النفوس اليه ، فانها رأس الحكمة ، ومشكاة الحياة الفاضلة ، وينبع الاشراف الالهية ، ومطأ النفس البشرية ، من وصل اليها فقد وصل الى أصل كل خير ، وسبب كل نعمة مادية وأدبية . فإذا كان الصوم من العوامل التي تؤدي الى هذه الفصيلة السامية وهي التقوى ، وجب أن يعنى المؤمنون بشأنه ، وأن يهتموا بأمره ، وأن يقوموا بحقه ، ويؤدوه على وجهه .

أما أن الصوم كان مفروضا على جميع الأمم ، فقد أظهرته البحوث الاستقرائية للأديان في هذه العصور المتأخرة ، وقد كان الناس عند نزول القرآن لا يعرفون من تاريخ العالم إلا ما كان بينهم وبينه اتصال ، وكانت أكثر أقطار الأرض مجهولة لديهم ، فنصرح القرآن بأن الصيام كان مفروضا على الأمم السابقة كافة ، فيه إعجاز علمي ظاهر ليس يخفى على أحد .

فالمصريون القدماء ، وهم والصينيون واليهود يعتبرون أقدم الأمم وجود ، كانوا يصومون في جميع أعيادهم ، وكان قساوستهم يصومون من سبعة أيام الى ستة أسابيع .

والصينيون كانوا يقومون بالصيام لعدة ، ويوجونه على أنفسهم تحفظا من شرور الفتن . وقد علم أن البراهمة كانوا ولا يزالون من أشد الأمم مراعاة للصيام .

أما اليونانيون القدماء والرومانيون فقد كانوا كافرين يمتدنون بأمر الصيام ، وياتوه دعما للتكبات الاجتماعية .

تطبيقات الإسلام للشريعة المنوطة به الصوم :

إن من الناس من يتفق أن يكون مريضاً في شهر رمضان أو أن يكون على سفر ، والسفر قطعة من العذاب ، ومن الناس من يكون هرماً يضره الامساك عن الطعام ، ومن النساء من تكون طامناً أو نفساء ، فاقترضت حكمة الله ورحمته أن يخفف وطأة الصيام عن هؤلاء فقل تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية ، طعام مسكين ، فمن تصوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أي أن من كان مريضاً أو مسافراً فعليه أن يفطر أيام مرضه أو سفره ، ويصوم بعدها أياماً أخرى في غير رمضان في حال صحته .

قال العلماء ، هذا على سبيل الرخصة ، ولكن داود الظاهري خالفهم وقال هذا على سبيل الوجوب . وقد تابع في ذلك رأي أبي هريرة .

قال الله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » ، أي على الذين يطيقون أن يصوموا وليس بهم بأس من مرض ولا هرم ولا أي عارض آخر ، أن يكفروا عن إفطارهم بفدية وهي طعام مسكين كل يوم . وقد كان ذلك في أول فرض الصيام ، حرياً على الحكمة العالية التي اتبناها الإسلام وهي عدم مفاجأة النفوس بالتكاليف ، ولكن بالتدرج فيها حتى تألفها ، ثم نسخ سبحانه وتعالى هذا الحكم وأوجب الصيام على الكافة بإيجاباً لا هوادة فيه ، وذلك بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان » ، المراد أنه ابتدئ فيه إنزاله ، لأن القرآن الكريم أنزل منجماً لادفعة واحدة ، هداية للناس إلى أشرف غايات الحياة ، وأكمل حالات الوجود ، وتفرقة لهم بين الحق والباطل بما أودعه من عجزاتها ، بحيث يرتفع الاشتباه فيهما ، ليعرف الإنسان أنه على الحق من بينة ، وأنه صار حتماً إلى أكرم النهايات .

وقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، أي أنه تعالى لا يريد أن يمتنكم ، ولا أن يفق عليكم ، ولذلك رحص لمن كان مريضاً ومن في حكمة من هرم أو طمئت أو نفاس أن يفطر .

ومن يتتبع تاريخ الصيام لدى الأمم السابقة يعرف أن الإسلام قد خفف من الصيام إلى الحد الذي ليس بعده مرى ، فانه حذف جميع ما لا فائدة فيه من التشديدات العقيمة ، وحفظ

مألايد من حفظه منه ، بحيث يكون خيرا عضدا تأتية النفوس غفارة ، وتودعه آسفة ، كما هو حال المسلمين في جميع أقطار الأرض .

أما ما دوى عن بعض الأمم من التشديد فيه ، فإنه يحمل الصيام مغرا للنفوس ، ويقلبه صارا بصحة الجسم والعقل مما . ولا نشك في أن كل ذلك من وضع رؤساء الأديان لا وحيا من لحق سبحانه وتعالى . فقد عرف عن البراهمة أنهم لا يعقون من الصيام الشيوخ الفانين ولا المرضى أيضا

وفي الهند طائفة تدعى باليوغيين عرفوا بقبح النفس وكسر شرها بالأعمال الشاقة . وهؤلاء يصومون من عشرة أيام الى خمسة عشر يوما لا يذوقون في خلالها إلا صبايات من الماء .

وأهل الهند من الصفيين يمتنعون عن الطعام أربع وعشرين ساعة متوالية ، لا يذوقون فيها شيئا ، حتى ولا يسمح لهم بإبتلاع ريقهم فيها .

وقد عمد بعضهم هذا الصوم الى ثلاثة أيام لا يفطرون فيها ، كل أربع وعشرين ساعة إلا على قدح من الشاي .

فهذه التثدييدات لا يقرها الاسلام ولا يسمح بها ، حتى ولو أوجبها إنسان على نفسه ، لسوء أثرها عليه وعلى غيره . لذلك اقتضت حكمة عز وجل أن يجعل الاسلام يسرا كله ، علما منه أن أجمع وسائل التأثير في النفوس ما تقوم به عن رغبة واشتياق ، وأن تقيحة الشدة عليها الاتهاء الى عكس ما يراد منها . وقد أشار الله الى ذلك بقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تفكرون »

ثمرة الصيام جسديا وروحيا .

الاسلام في كل ما كلف به الانسان جمع بين فائدتى جسمه وروحه معا . فاما حظ الروح من الصيام فما لا يحتاج لبيان ، فان الصائم مكلف عمراة آداب طائبة كفض البصر عن المذمومات والمكروهات ، ومشربات الشهوات ، وكحفظ اللسان من الغر والنبية والمراء ، وصرف السمع عن كل ما لا يلبق أن يسمع من المكروهات ، وكف سائر الجوارح عن كل ما هو حرام أو مذموم من الاحوال .

فهذه الحالة القاضية في سيرة الانسان ، مدة شهر من الزمان ، تمتع للنفس منمدا الى عالم التدبس ، وتعرضه للنفحات الالهية ، فيكتسب قوة على مقاومة دواعي الشهوات ، ومكافحة عوامل المغريات . فلا يخرج من شهر رمضان إلاوقدا اكتسب روحا جديدة إذا كانت لا تسكني أن تقيمه على الصراط ، دفعت به اليه ، ونوالى السنين يستقيم عليه ، ويمسح واحدا من أهل الانجاء الصحيح للغايات البعيدة ، التي أعدها الله لهذا الانسان

أما فائدة الصيام الجسدية للإنسان فقد أصبحت من البدايات العلمية التي لا يحتف فيها عاقلان .

ذلك أنه قد ثبت أن أكثر ما يؤثر في صحة الإنسان في صحته يكون من ناحية التسمات الغذائية . التي يعبر عنها طبيا بالتسم الذاتي وهو يحدث من سببين أو هما الاضطراب في التغذية ، وثانيهما وجود أملاح ضارة بالبنية في بعض صنوف الطعام . فالإنسان العادي يسير في أمر تغذيته على منشا عليه : يتعاطى كل ما يقدم اليه بدون أن يعي له مقدارا أو أن ينظر في نوعه وفي مقدار الاصلاح التي فيه ، فتصيبه من جراء ذلك أمراض شديدة الوطأة قد يلتوى علاج بعضها على الأطباء .

فالخلاص من كل هذه الاخطار ينحصر في عدم الاضطراب في التغذية ، وفي إراحة المعدة مدة تستطيع فيها أن تستعيد قوتها ونشاطها في هضم الأغذية ، ونجد البنية وقتنا لتصرف ما تراكم فيها من السموم .

فاما التوسط في الطعام ، فقد أمر به الله تعالى في قوله : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المرفقين » .

وأما إراحة المعدة ، فاحسن ما يكون بالصوم . فإن الصائم مضطر أن يبقى نحو خمس عشرة ساعة متوالية محتثا عن القاء شيء إلى معدته . وهذه الحبة في مدى ثلاثين يوما تكفي لتصرف سموم البنية وإزالة المعدة بعمرة من راحة هي في أشد الحاجة إليها . وإنما كانت أمراض القلب غير قابلة للشفاء لأنه لا سبيل له إلى الوقوف عن العمل مدة تكفي لإصلاح ما فسد منه .

كل هذه الفوائد يمكن الحصول عليها على شرط أن يتبع الإنسان في صيامه تعاليم الدين ، من القيام على سمات الأتقياء في أخلاقه وآدابه ، وعدم الاسراف في مأكله ومشربه ، واتباع فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ، وهو من صميم قانون الصحة . فقد سأن أن يعجل الافطار ، وأن يتلف فيه ، وأن ينام في موعد النوم ، ويؤخر السحور ما استطاع إلى قبيل الفجر .

وقد هدى الأطباء أخيرا إلى ما في الصوم من فائدة عظيمة في دفع الأمراض ، وإعادة توازن القوى الحيوية ، فقرروا التحويل عليه في حالات لا يغنى فيها سواه ، وقد حملت في هذا الموضوع بحوث ، ووضعت مؤلفات ، وأصبحت لها مصحات في أكبر عواصم الأرض .

محمد فريد وجدي

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاسئلة الاتية :

في الرضاع

جدة أوضحت اننا لانها ، وبفتا لا ضح الآخر ، في مدة الرضاع الشرعية ورضعات متعدّدات ، والجدّة المذكورة توفي عنها زوجها قبل هذه الرضاعة بسحو عشرين سنة ، وكان مع ذلك ينزل من ثديها لبن يتغذى منه الطفل .

فهل يجوز زواجهما على أى مذهب من المذاهب الأربعة مع بيان وجهة كل مذهب ؟

أحمد الحللو

الجواب -

مضى رضع صبي وصية من ثدى امرأة في مسلة الرضاع الشرعية خمس رضعات متفرقات ، حرم تزوج أحدهما الآخر باتفاق المذاهب الأربعة ، أما إن كانت الرضعات أقل من خمس ففيها خلاف المذاهب : فالشافعية والحنبلة لا يرون هذا الرضاع محرماً ، والمالكية والحنفية يرون التحريم ، وإن كانت خمساً غير متفرقات ، بأن كان الزمن بينهما متقارباً حتى تعد الرضعة التالية في العرف مكملة لما قبلها ، فالشافعية لا يرون التحريم ، والحنبلة يرون التحريم .
وتقادم عهد الولادة لا يجعل الرضاع غير محرّم ، والله أعلم ؟

في الميراث

ماتت امرأة عن بنتين من حمّة ، وثلاث بنات وابنتين من حمّة أخرى ، وبنت وابنتين من خالة ، فكيف توزع تركتها ؟

موسى نصار

الجواب :

الثلاثان لأولاد العمّتين ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، إن كانت كلتا العمّتين متساويتين في قوة القرابة للبيت ، بأن كانتا عمّتين لأب وأم ، أو لأب فقط ، أو لأم فقط .

أما إذا كانت إحداهما أقوى قرابة للبيت من الأخرى ، فالثلاثان لأولاد الأقوى قرابة منهما ، للذكر مثل حظ الأنثيين كذلك ، والثالث الباقي على كل حال لأولاد الخالة ، للذكر مثل حظ الأنثيين أيضا .

وهذا كله على مذهب الحنفية . والله أعلم ؟



رحل توفي عن أمه ، وعن حده لأبيه ، وعن أختين شقيقتين ، فما نصيب كل منهم في تركته المتوفى ؟

والفتوى تكون على المذاهب الأربعة .

مصطفى الطيب

الجواب :

للأم السدرس باتفاق ، أما الباقي فهو للجد أب الأب ، ولا شيء للأختين في هذه الحادثة عند أبي حنيفة ، ويرى أبو يوسف ومحمد ومالك والشافعي وأحمد أن يقسم الباقي بعد نصيب الأم نصفين ، نصف للجد ، والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف النعمان

حكم منشورة

قال الحسن البصري رضي الله عنه : « اقدعوا هذه النفوس فانها طلمة ، وحادثوها بالذكر فانها سريرة الدثور فانكم إلا ترهوها تنزع بكم الى شر قاية . »

قال ابن عبد ربه الذي ثقل عن عقده الفريد هذه الحكمة : « يقول حادثوها بالحكمة كما يحادث السيف بالصقال ، فانها سريرة الدثور يريد الصدا الذي يعرض للسيف ، واقدعوها من قدعت أنف الجمل إذا دفعته ، فانها طلمة يريد متطلعة الى الأشياء . »

وقال اردشير بن بابك : « إن للأذان حجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين بكن ذلك استجبهما . »

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

١١

« أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ یَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وما یعلنون ، إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » :

هذه الآیة سهلة الفهم بمد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغنطيسى وغيرها .
وظهر جلیا أن كل فكرة یقابها تنمیر کماوی فی الخلايا الخفية ، وكما أنه لا حركة
فی الأرجل دون أن یحصل انقباض العضلات ، كذلك لا یمكن أن یفكر الانسان دون
أن یحصل تغییرات فی خلايا المخ . ولیس هذا هو لذی یحصل فقط ، بل إن هذه التغيرات
تبقى مسجلة فی المخ الباطنی ، ومن الممكن أن یتم ذكرها الشخص بعد مدة طويلة تحت
تأثيرات مخصوصة ، كالانفعالات العصبية أو التنويم المغنطيسى وغيرها ، ولو نسيها
الشخص تمام النسيان .

وقد اكتشفت أخيرا أجهزة كهربائية یمكن بها معرفة حالة بعض الخلايا الخفية إذا
كانت فی حالة هدوء أو حالة انفعال . وقد ترتقى العلوم أكثر من ذلك هذا حال
الانسان مع جهله .

والله سبحانه وتعالى یعلم كل ما یجول فی مخ الانسان ، وكل ما جال فی مخه ، وهو تعالى
أعلم بها من لانسان نفسه لأنه عرضة للنسيان .

« وَبِاقْوَمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَیْكُمْ مِدْرَارًا وَیُزْذِقُكُمْ قُوَّةً
إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرْیمِینَ » :

سنألكم عن هذه الآیة الكريمة بإيضاح مع آیات أخر تتعلق بالدعاء ، كقوله

تعالى : « ادعوني أستجب لكم » و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
و « إذا سألك عبادي عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » و « ولئن شكرتم
لأزيدنكم » وفى الحديث « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير .. » الخ .
هذه الآيات الكريمة كلها من نوع واحد ، وهى تنظم علاقات العبد بالخالق ، وبما
أن الدعاء فى كل الأزمان والأديان كان يستعمل لشفاء الأمراض وغيرها ، فهذه علاقة
بالطب من قديم .

والدعاء هو من السنن الطبيعية ، ولكننه مع ذلك ليس من السنن التى يمكن تجربها
آلاف المرات ، وبدقة : مثل الأشياء المادية ، لأن له علاقة بالخالق ، ولأنه يدخل فى علم
الغيب من النوع الثانى ، مثل بدء الخلق والآخرة ، كما سبق لنا تفسيره ، مما لا نعرف
منه شيئا ، بل لا يمكننا معرفة شئ منه إلا بالقدر الذى يخبرنا به الخالق .
وهذه السنن مثل السنن الطبيعية المادية لا تتبدل أبدا ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .
ولكن للشاهد هو أن الدعاء لا يجاب إلا نادرا ، بخلاف السنن الطبيعية المتعلقة
بالمادة ، لأننا نجد النتيجة دائما كما ننتظر ، ولو اختلفت وبجثنا عن السبب لوجدنا
سببه سنة أخرى مكملة للسنة الأولى ، وهكذا . وهذا هو معنى المعلوم .
وعدم إجابة الدعاء قد يكون :

١ - لأن الدعاء نفسه ، وهو سنة طبيعية ، قد يكون ضد سنة طبيعية أخرى
موجودة فعلا ، ولا يتبدل فيها . فالشخص الذى يدعو ربه ليشفى ابنه مع أنه فارق الحياة
- والطبيب يعرف ذلك ولكن الوالد يجهل - لا يقال إن دعاءه لم يستجب ، لأنه يدعو
ضد سنة إلهية ، هى أن الميت لن يحيا بسنة طبيعية مثل الدعاء ، ولكنه يحيا بإذن الله
فقط ، كما فسره فى المعجزات . والإنسان بطبيعته لو عرف أن ابنه مات فعلا
لا يستمر فى الدعاء . وكذلك من يدعو الله فى شئ ، تكون نتيجة معرفته معروفة محتمة من سنة
طبيعية أخرى ولكن الداعى يجهلها ، ولو علمها لما دعا ربه ، والتاجر الذى يدعو ربه

لرواج عمله لا ينتظر قبول دعونه مع استعماله للربا مثلاً ، والأمة التي لا تفسر ما بها من المنكرات لا تنتظر إجابة لدعوة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، والسنن الطبيعية غير المادية لا حد لها ، ولكن الإنسان لا يعلم إلا التادر منها ، وهذا هو السبب في أن الله لم يجب نوح عليه السلام حين دعا ربه لأن يكون ابنه معه ، لأن ابنه هذا « عملٌ غير صالح » ، ونوح عليه السلام لم يكن يعرف ذلك .

وكذلك في خطاب نبينا عليه السلام « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن نستهزؤهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، لأن العذاب كان حقا عليهم ، ولو كان الدعاء ينفع في استبعاد السنن الطبيعية أو تبديلها لنفع دعاء أفضل المخلوقات وأكرمها في ذلك . والسبب في هذا هو أن الدعاء سنة طبيعية كالسنن الأخرى لا تبديل غيرها ، ولكنها تسكها ، والرجل الذي يضع ابنه في فوهة المدفع ويدعوله بطول العمر لا يتفجع دعاؤه ، لأن السنة الطبيعية لا تلتفى إلا بمعجزة على يد نبي ، وبإذن الله ، وفي ظروف خاصة .

٢ - وما نقوله هنا لا يفسر كل السبب في أن أكثر الدعاء لا يجاب ، كما

هو المشاهد . والحقيقة أنه نقيس دعاءنا لله بدعائنا للإنسان ، فالشخص الذي يطلب شيئاً من شخص آخر ، يطلب هذا الشيء ويقول : إن هذا المصلحتي ، وأنا أدرى بها ، وإن لم تفعل ذلك فسكانك لم نجب دعائي وطلبي . ولكن دعاء الشخص لربه يختلف اختلافاً كلياً ، فإن طلب شيئاً معيناً مثل شفاء ولده أو رواج نضاعته فإنه يطلبه وهو مجهل المستقبل ، ولا يعلم إن كان هذا الطلب في مصلحته ومصلحة ولده أم لا ، وقد يكون المال سبباً في ارتكابه ما يؤدي إلى عذابه . وقد يكون موت ابنه خيراً له ، « وعمي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

فلماذا أجاب الله دعاء الداعي فإن الإجابة قد لا تسكون كما يريد الإنسان وينتظر ، ولكن كما يعلم الخالق أنه خير للداعي . والدعاء لله هو نضرع وتذلل ، وهذا هو المهم

في الموضوع ، والغرض ليس النتيجة الوقتية المطلوبة في الدنيا ، بل هو رضا الخالق ، والمتقون يتكون لديهم فعل الصالح لهم ويكفيهم رضاه ، وسيان ظهرت نتيجة دعائهم في الدنيا أم لم تظهر ، لأن الغرض رضا الخالق ، وهذا إن لم يظهر عاجلا فيكون ظهوره آجلا في الآخرة ، وهي الأهم . وقد لا يحجب الدعاء في مدة حياة الداعي : « وإما أثره فيك بعض الذي نعدُّهم أو نتوقَّعتُك فإلنا مرجعهم » الآية .

وهنا يظهر جليا أن الدعاء دائما يحجب ، وأنه حقيقة وسنة نائمة مثل ولادة الانسان وموته ، وأن الله يحجب دعوة الداعي اذا دعاه ، ولسكن في الوقت الذي تقضى به حكمة الخالق ، وليس كما يريد العبد . والدعاء هو في الحقيقة طلب هداية ولو كان لشيء مخصوص ، وهنا فائدة الكبرى .

والشخص الذي يدعو ربه ويعلم أنه قريب منه ، يشعر بسعادة وباطمئنان في الدنيا ، حتى لو لم يجب طلبه ، لأنه يعلم أن الله راض عنه ، وأنه هاد له ، و « من يهد الله فهو المهتد » . وهذه نتيجة عاجلة دنيوية للدعاء . فصاحب الدين (المتدين) يصبح في وقت قريب مثل الفيلسوف الفانع الذي لا يصل الى درجته إلا بعد التفكير العميق المضني ، وهو لا يقبل أن يستبدل بهذا الشهود كل نعيم الدنيا ، ومن هنا كانت سعادة علماء الدين حتى لو لم يجب الله طلباتهم الدنيوية ، لأنهم يعلمون أنهم مقربون حقا الى الله ، وأنهم لن يكونوا أشقيا ، أبدا بدعاء ربهم .

والحقيقة أن الطلبات الدنيوية الخاصة بالمزوجة بالطمع مثل العلو في الدنيا مع ما فيه من ضرر لا آخرين ، تعد غير صالحة ، لأنها ضد سنة إلهية أخرى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا » الآية .

وما أحسن الدعوات العامة التي يتمتعها كل مسلم « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

٣ - وكثيرا ما يقال : إذا كان كل شيء مقدرا فافائدة الدعاء ، والحقيقة أن الدعاء

كما قلنا مثل السعي للرزق ، وكل أعمال الانسان ، وأنه سنة من السنن التي أمرنا بتصديقها ، فالانسان يسعى للرزق مع علمه بالمقدر (وستكمل في ذلك عند ما نجيء مناسبتة) ويضع البذور في الأرض وينتظر نتيجة نموها مع علمه بالآية الكريمة « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . فالدعاء لا يختلف أبداً عن ذلك ، غير أن الانسان عرف كثيراً من القوانين الطبيعية المادية ، وما زال يبحث فيها ، ويمرر مجداً وراء معرفتها ، فإن لم ينجح الزرع بحث عن السبب ولا يمتنع عن الزراعة .

والانسان جاهل بالسنن غير المادية ، ولم يخلق حواسه لأجلها ، ولذلك يصعب عليه فهم أسباب الفشل في الدعاء ، وقد يأس . ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم أعلم الناس بهذا النوع الأخير من القوانين ، كانوا يدعون ربهم دائماً معاً كانت نتيجة الدعاء .

إذا قلنا إن بذرة القمح تنتج قمحاً ، فعني ذلك أنها سنة طبيعية أساسية لا نتاج القمح ، ولكن هناك سنن كثيرة أخرى يجب استيفائها قبل نجاح الزرع ، وهذه كلها مكحلة للسنة الأولى الأساسية ، وهي أن البذرة ضرورية ، فإن نقص بعض هذه الشروط فإن الزرع لا ينجح ، ولكن قد يستبدل بشروط أخرى في ظروف أخرى . وأما البذرة فإنها ضرورية ، ولا يمكن إلقاء هذا الشرط بأي سنة أخرى أبداً . وهكذا الحال في السنن غير المادية . فالدعاء شرط أساسي للإجابة ، ولكن يجب استكمال شروط أخرى ، ولكن الأخيرة لا يمكن أن تلغى قيمة الدعاء .

والخلاصة أنه يجب أن نستمر في الدعاء لقضاء حاجتنا كقانون إلهي ، وهو العريض مثل الدواء أو الطبيب ، وسواء أظهرت فوائده أم خفيت علينا فلن يكون بدون ثمرة في

دكتور عبد العزيز سماعيل

معنى الحياة وقيمتها (١)

العلامة رودولف أوكن (Rudolf Eucken) الألماني المدرس بجامعة يينا كتاب وضعه تحت هذا العنوان ، طالع فيه فهم معنى الحياة الانسانية وتقدير قيمتها ، وقد ترجم إلى الفرنسية ووضع عليه تابعة هذا العصر الفيلسوف برغسون (Bergson) الفرنسي مقدمة حافلة بالنظرات الفلسفية العالية ، فأثرنا أن ننقله عن الفرنسية إلى قراء العربية لأنه يتص بأدق موضوع من الموضوع التي تلمس فهمها الانسان ، وبذلك وراءها جهدا جاهدا من يوم ولدت الفلسفة إلى الآن ، غير ضائين على القراء بما يقتضيه كل مقام من شرح وبيان ومن تطبيق على أصول الاسلام .

ونحن قبل الدخول في موضوع الكتاب ، نرجم ما كتبه الفيلسوف الكبير برغسون ، فانه فضلا عن إبانته غرض الكاتب من وضع كتابه ، أبان قيمة هذا البحث في تقويم نفسية الانسان ، وتمييزه عن الحيوان .

مقدمة الفيلسوف برغسون :

ما معنى الحياة وما هي قيمتها ؟ يظهر لي لأول وهلة بأن الاحوبة على هذا السؤال تختلف باختلاف الناس في قبول أو رفض وجود مثل للحياة أعلى مما ترى عليه في الواقع . ففي الحالة الأولى يحكم بوجود نظام تجري عليه أعمال الانسان . وفي الحالة الثانية يكتمى بمشاهدة وجود الأشياء بدون إمكان تعيين درجاتها . كما لو كان الحق يتفق والواقع .

ومع هذا طالع تاريخ الفلسفة يرى أن هذين المذهبين المتناقضين ، اللذين يعطل أحدهما وجود كل شيء بالتأثير الآخر في الواقع عليه من القوى الطبيعية وتكون نتائجها ضرورية ، ويضع هاتيهما فوق لكالات نموذجها أو مثالا على استطاع أن يتوصل إلى محاكاة يسيرا يسيرا . قلنا مع هذا فهذه المذهبان ينتهيان إلى نتائج من جنس واحد . وذلك أنه من العبث الاكتفاء بالواقع ، فقد يلاحظ الانسان أن بعض الأمور الواقعية أعظم قيمة وأكمل حالا من أمور واقعية أخرى . ومن العبث كذلك لاسراف في وضع المثل العليا ، فان هذه المثل تبقى افتراضية محضة مادام لا يمكن التعمول على الأمور الواقعية للوصول إليها . وقد فضت الضرورة على الانسان بأن يبحث عن أكمل الأمور الواقعية وأعلاها قدرا لأجل أن يصيها .

وساء على هذا فاني شيء في الأمور الواقعية أكمل من الادراك الذي هو صالح لأن يحيط بكل شيء وأن يتراجع عنه في وقت معا ؟ إذن فلي تمجيد الحياة التامة تنتهي جميع المدرجات العقلية عن الوجود ، سواء اكتفت بالواقع أم أضفت اليه مثلاً أعلى ، أو عللت كل شيء بالعمل

(1) La sens et la valeur de la vie.

الآلى لأسباب الطبيعية ، أو فسره بإعـلـل العائـية . وعلى كل حال فأن أى واحد من هذه التعليلات يقتضى فهما للحياة يمكن التعبير عنه . وسواء أصبح هذا المذهب أم ذاك فأن الحياة الإنسانية لا يكون لها معنى الا على قدر ما تعتمد برناجها تصبـه هى وصـا ، أو على القـيل يدركه العقل إدراكا .

ولكن ليس هذا ما يراه رودولف أوكن . فلا تصادى فى أى مكان من الكتاب الذى سنقرأه . نظرية بسيطة أو معقدة تشتمل على معنى الحياة . كذلك لا تجسد نفسك فى هذا الكتاب حـال أى مثل أعلى يمكن أن ينظم الإنسان سيرته على مقتضاه ، ولكن هذا الكتاب يصور لنا الجهد الذى تبذله النفس ، والنجاح الذى تمـيه فى محاولة التفرق على ما هى عليه ، موجودة أشكالاً من النشاط تتدرج فى السـو ، ومهـقة على الدوام المنـ العليا المؤقتة بأعـار أنها أصبحت أدنى أو أضيق مما يجب أن تكون عليه .

فهذا النشاط مظهر لعقـ نفسه ولم ير رجلا بلغ شأو أوكن فى فهم الحدود التى تضعها المادة فى طريقنا . كذلك لم تصادى رجلا وصل الى مداه فى معرفة الوسائل التى يستولى بها العقل على المادة ويدخلها فى دائرة سلطانه . فالأى القائل بأن العقل مندرج فى الطبيعة ، وأنه هو الموجد الحقيقى للقدرة على ما يحيط به ، وأنه يستمد من نفسه القوة على رفع قيمة الأشياء ورفع قيمته أيضا فى درجات متصاعدة من الروحانية ، هو الاصل الرئيسى السائد فى هذا الكتاب .

لا يمكن التفكير فى تحمـل هذا الكتاب أو تلخيصه . ولكن يجب أن يشجع الإنسان تدريجـ من الآراء التى يعرضها المؤلف فيه ومن ألوان الاحساس التى تصاحبها . وفى يقينى أن القراء سيستفيدون من قراءة هذا الكتاب ، كما استفادوا من جميع كتب الأستاذ أوكن ، بسطة فى القوة الباطنية وفى الخصائص الحيوية . وأما على ثقة أيضا من أن التأثير المباشر لهذه البسطة من القوة ستكون ظهار الصعوبات المحيطة بمسألة الحياة كما تبدو للادراك أنها ومـية باحتة ، وبأن محض تقوية الحياة تكفى لـبديد جانب كبير من هذه الظلمات المحيطة بها .

جميع المفكرين الكبار قد أكثروا التساؤل عن معنى الحياة ، ولكن قل من أفهمنا منهم أنه يحمل معنا ، أو بصارة أوفى نحمل فيها ، مفتاح هذا الطلسم . وقد أشركنا بعضهم فى صميم جهودهم من هذه الناحية . لذلك نحن نحمل اليهم ، ولا نكتفى بالاعجاب بهم ، ولكننا نحجبهم . قال هذا القـيل المنـاز من المفكرين يقتسب رودولف أوكن .

(حـلة الأزهر) هذه مقدمة الفيلسوف الكبير برغسون وفى العدد الالى بدأ إن شاء الله بترجمة آراء العلامة (أوكن) ونشهد القراء مجالا من أروع محالات الفلسفة المصرية تلاقى فيه تيارات متعاكسة من آراء ومذاهب لا نرى بدا من إيرادها تنويرا للأذهان ، وشجدا للافهام ، وترشيعا للمقول لادراك مرامي الاسلام من حقيقة معنى الحياة ؟

محمد فريد ومبرى

أثر النظام الاجتماعي

في الأدب

نحدثنا في مقالاتنا السابقة عن بيئة البداوة وأثرها في الأدب فكرة وأسلوباً، وهي بيئة لا تلائم في طبيعتها الحياة الاجتماعية المنظمة، ولا تدفع بالفكر الإنساني إلى ساحات الخيال الخصب، لأنها بيئة مادية ضيقة الحدود قصيرة الأطراف. أما إذا أقبلت الحضارة على الأمة نخطر إلى باحتها في حلال الثقافة الفكرية لتثقلها من صحارى الغفر إلى حواضر الخصب والرفاهية، ومن جهد الميش إلى ضفوفه، ومن شطف الحياة إلى بلهنيته وترفها، فارتقب جدّة في الأدب، وتنظر نوعاً من القول غير الذى سمعت، وضرباً من التصوير لمظاهر الحياة وأسرارها غير الذى رأيت، وقنا أدباً غير ما شهدت من أدب البداوة في معانيه، وأغراضه، وفنونه، وأسلوبه، وعباراته، لأن الطبيعة التي تضفي على الأدب مطارف من وشبها، والصور التي تتجلى في مرآياتها، والمثل التي ترسم في صحائفه، قد أخذت مهبها جديداً، وسلكت سبيلاً يختلف عن سالف أسرها اختلافاً شديداً.

فهناك - حيث البداوة - أدب يمثل جماعات لا تطيب لها حياة الإقامة والاستقرار، إذا هي أصبحت في جانب من الأرض أمست في غيره، ألفت النجعة والارمحال، تتبع منازل الغيث، ومناكب الكلا، ومغروس الشجر، وتقرت للطبيعة وعوارضها من الحر والبرد، لا تخضع لقانون، ولا تجأ إلى سلطان، ولا تسير في حياتها على نظام اجتماعي أو سياسي ثابت، بل هي أسيرة فطرتها، ومنقادة لطبيعتها، أو بالحرى هي لا تعرف قانوناً سوى قانون الطبيعة.

وهنا في مسارح الحضارة أدب يتحدث عن أم تبوءت من الأرض موطناً، واتخذت حياة الاستقرار ديدناً، فدنّت المدن، ومصرّت الأمصار، وأمنت حواذى

الطبيعة بما أقامت من قصور شاهقة ، ودور فاخرة ، لبست الحرير ، واقرشت الرثير وطعمت طيبات ما أخرج الله لعباده من ملاء الحياة ، مستظلة بنظام اجتماعي يشتمل شئونها العامة والخاصة ، ويربط بعضها ببعض برابط وحدة الشعور والإحساس ، يشمر كل فرد أنه عضو في بناء المجتمع ، يقوى يقونه وهن بوهنه ، الى جانب نهج سياسي يقوم على رعاية ذلك النظام الاجتماعي ، يتوجه جلال الحكم ، وأبهة الملك ، وفخفة السلطان ، ومظاهر الإمارة ، وشارات الوزارة ، وسياه الرتب والمناصب ، من أنافة اللبس ، ونخامة المجلس ، وبهاء الأثاث وجمال الرياش ، ونعومة الماء كل ، ولذافة المشرب ، وتحير الندامى على مثال من الرقة واللفظ ، وأدب النفس والظرف ، وحسن السميت ، الى ما يتبع ذلك من اتساع الصناعات وتنوع الزراعات ، ونظام المتاجرات ، والاقتنان في وسائلها .

هذا النظام لا يستقر في أمة إلا وزى الى جانبه نظاما روحيا تملية نوازع الانسان النفسية ، أودينا سماويا ، يأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحذهم عن الفساد والشر ، ويحضهم على الاحسان والخير ، ويشترع لهم مكارم الأخلاق ، ويشذب نفوسهم ويهذب أرواحهم ، ويصل ما بينهم وبين الله تعالى بطرق مختلفة باختلاف الأديان زمانا ومكانا وناسا .

والأمة لا تبلغ هذا المدى من الحضارة والنظام الاجتماعي إلا إذا خفقت راية العلوم والمعارف على ربوعها ، ونبأت فيها الثقافة الفكرية مكانا هابيا ، وحلت منها محلا زكيا ، فتكثر معاهدها ومدارسها ، وتزخر مكتباتها ومتاحفها بثمرات قرائنها ، وتتنوع فيها وسائل التربية والتهديب ، فلا تعدم عالم الدين ، ولا تفقد الفيلسوف والطبيب ، ولا يميزها الحسابي والمهندس ، ولا يند عنها عالم الطبيعة والتورخ ، ويكثر فيها الشعراء البارعون والكتاب المجددون ، ويصبح للفنون الرفيعة : الشعر ، تراخيال ، الغناء ، توقيع النغم ، الرسم ، التصوير ، لديها منزلة تهم عن اكتمال ذوقها ولطاف حسها ، واتساع خيالها ، ونفوذ تفكيرها الى جمال الطبيعة ولب الحياة .

هذا النظام الاجتماعي الذي يتعرض في بيئات الحضارة الأخيرة بألوان الثقافة المختلفة، يفتح للأدب ميدانا فسحاً، ومن ثمّ نفهم أن أدب الحضارة إنما هو تصوير لهذه الحياة النظامية، وتثيل لجوانب الطبيعة العميقة التي صقلها الإنسان وزينها، وأبان عن جمالها، وأكل روعتها، وعدد مظاهرها، وتوَّع أشكالها حتى أصبحت معتركة الأفكار، وميدان تسابق القوى الإنسانية من طريق الخيال والعقل على سواء. فهو أوسع مدى، وأرحب ذراعاً، وأضرم عمراً، وأدق منزعاً، وأخصب مرتعاً، وأصنى منبعاً، إذ هناك ما صنعت يد الإنسان من قصور وجنات، وبدائع وآيات، وهناك مسارح الأفكار، ومطارح الأخيلة في رونق الملك، ومجالي الحضارة، وهناك الدين والفلسفة، وميدان الثقافة الرحب في ساحتهما، ومجال العقل فيهما، ومكانه منهما، ومقام الخير والشر ليهما، وميزان الفضيلة والذيلة في أصولهما، وهناك منافي اللهو وما يتبعه من سرف في الذائد، وانتهاك الحرمات، وتهتك الأخلاق، وانحلال عناصر التماسك القوي في الأم الضعيفة.

وهناك للنظم الحكومي في أشكاله المتنوعة، وكلها نمد من الحرية الفردية، وتقص أجنحتها وتحصنها في ناحية من الحياة لا يتجاوزها، فهي بعد أن كانت مطلقة على طبيعتها أصبحت مقيدة بسلطان القانون، ومنقادة لأمر الدين طوعاً وكرهاً، وخاضعة لما تواضع عليه المجتمع من مادات وتقاليد، وأسيرة لإرادة الملوك والأمراء والرؤساء، ومسيرة بأسباب رضام، متطلعة إلى ما في أيديهم من الذهب والفضة، وما عندهم من نعيم العيش وترفه، مفرّعة بحمد السيف المصلت على الأعناق، فلا يأتيها القول إلا لرغبة أو رهبة.

هذه كلها موضوعات جديدة يحد فيها أدب الحضارة منبعها فياضاً، وبحراً راها يفديه ويلهمه إلهما، يفصله عن دُب البداوة بفواصل ترجع إلى صميم الحياة.

قد يتراءى بديها ذكرا ، وكما يفهم كثير من الباحثين ، أن الحضارة من دواعي غزارة الأدب ونموه ، وهذا مسلم إذا نظرنا الى نوع الأدب وتمدده موضوعاته واختلاف اتجاهاته ، أما إذا نظرنا الى (كمية) الأدب بالنسبة الى مجموع الجماعة التي تتوحد بمفوضية ، أو جنسية ، أو لغة ، أو دين ، فقد لا يستقر هذا الرأي على أساس صحيح ، لأن المفوضية الاجتماعية والحياة الطليقة من فيسود الأنظمة والقوانين التي تستحدثها الحضارة مما ينمى الروح الأدبي في الجماعة ، ولكنه لا يرقى ، والنظام الاجتماعي وقيود الحضارة مما يرقى الروح الأدبي في الجماعة ولا ينميه . والفرق بين الأمرين كبير . ومن هنا عسر على بعض الباحثين فهم كثرة الشعراء عند الأمة العربية في طور بداوتها ، قال النقاد لأديب الفرنسي (لاهارب) : « إن في عصور الاضطرابات ما يضعف الحكومات وما يقوى الشعر والخطابة » وهذا القول أظهر تطبيقا فيما بين الحضارة والبداوة ، لأنه إذا ضعفت الحكومات سادت المفوضى ، وإذا سادت المفوضى تحلل النظام الاجتماعي ، وعادت النفوس طليقة من كل قيد اجتماعي أو خلق ، وباحت بما تضر في غير حرج .

وإذا كانت الحضارة والنظم الاجتماعية قد تخلق مجالات للأدب لم تكن البداوة لتتذوقها ، أو تعرف عنها شيئا ، فإنها أيضا قد حجبت كثيرا من الحقائق التي كانت مسرحا للخيال البديع في البداوة . وإلا فحدثني عن نظر الحضري للقمر بسطح بلونه الفضي في أديم السماء الصافية مع هذه الأضواء الكهربائية الخلابية . وحدثني عن نظر الحضري الى المرأة وقد سمرت له ورائت في الحافل العامة والخاصة زينتها المألوفة . فهل تسمع الحديث التمتع والعفاف إلا خطرة التقليد أو إيذاء الحياء الطائر ؟ وحدثني عن نظر الحضري للمناظر الطبيعية في الصحراء وجبلاتها وأوديتها ، وما يمش فيها من حيوان ونبات .

نعم إن الحضري قد يتناول هذه الحقائق تناولاً عميقاً ، فيه إبداع وطرافة ، وفيه خيال مهذب قوى ، ولكنه قليل إلى جانب تناول البدوي لها ، وهو أيضاً يتناولها تناول المحس الشاعر بها شعور الحاجة الصادق في شعوره . أما الحضري فهو فيها مقلد أو مشكك ، وإنه براعة الثقافة ومنهج البحث العلمي في أدب الحضارة يظهرانه في توب المجدد المبتكر .

صديق إبراهيم هرمبول

حاتم الطائي يصف الجود

حاتم الطائي يضرب به المثل في الجود ، وهو من أهل الجاهلية ، وقد أسلم ابنه عدى وصحب النبي صلى الله عليه وسلم . قال حاتم يصف الجود :

أماوى قد طال التجنب والمحر	وقد مذرتنا في طلابكم المـ
أماوى إن المال غاد ورائع	ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إما مانع فبين	وإما عطاء لا ينهنه الزجر
أماوى إلى لا أقول لسائل	إذا جاء يوماً حل في مالي النـ
أماوى ما ينفي الثراء عن القتي	إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صدائي بقفرة	من الأرض لا ماء لدى ولا خـ
زى أن ما أنفقت لم يلك ضرتي	وأن يدى مما بخلت به صـ
إذا أنا دلأى الذين يـ	بظلمة لـ حواشيها فـ
وراحوا سراط ينتصرون أكفهم	يقولون قد أدى أظافركا المغر
أماوى إن المال مال بدلتـ	قاوله شـ شكر وآخـ
وقد يعلم الأقوام لو أن حاتمـ	أراد ثراء المال كان له وفر
فاني وحـ لدى رب واحد أمة	أخذت فلا قتـل عليه ولا أسـ
ولا أنظم ابن العم إن كان إحرقـ	شهودا وقد أودى بإخوته الدهر
غنيـنا زمانا بالتقصـد والغنى	وكل سـقانا وهو كاسينا الدهر
فما زادنا ماوى علي ذى قرابة	غننا ولا أزدى بأحلامنا الفقر

فتنة العلم الطبيعي

الوجود وأمراره — وقوف المدين مع قشوره

ليس في عامل من عوامل المعولات ما هو أشد حملا للنفس البشرية على الكبر والزهو والعجب ، من العلم الطبيعي .

نعم : إن للثروة ونعاذ الكلمة واتساع السلطان ، تأثيراً كبيراً في إثارة هذه الصفات للذمومة ، ولكنها لا تبلغ تأثير العلم الطبيعي . فإن العوامل الأولى توجب الكبر والزهو على الناس ، ولكن العلم الناقص يوجهه على الكون وما فيه . فتدري العالم المفتون بعلمه يحتقر الكون ويزدرجه ، حتى ليغيب اليه أنه قد نفذ إلى صميمه ، وسرى إلى سراره ، وهو في الحقيقة لم يجاوز الطبقة الأولى من قشوره .

هذا الكبر الفارغ كثيراً ما يعترى القلوب الضعيفة فيسبب لها الطمس والحماية عن الأعلام المنصوبة في الكون لهابة السالكين إلى قيومه ، فيهدى بما لم يحيط بعلمه ، ويفصل ويقطع في كليات الوجود فعل الواضع له ، فينتفي ويثبت ما يؤديه الخيال إليه ، غير حاسب لتطورات المعلوم حساباً ، فأرغم أن هذه التصورات وقفت حيث انتهى إليه علمه .

هذه فتنة دونها كل فتنة ، لأنها لا تقتصر عليه وحده ، ولكنها تم من دونه ، فيقلدونه على غير بصيرة منهم بشيء مما يثبتته أو ينفيه .

غري الملء المفتونون في كل زمان ومكان بتعليل ما يقع عليه حسهم من آيات الخليفة ، لتعليل يتفق وما يذهبون إليه من تجرده عن قدرة مدبرة ، وإرادة حكيمة . وكثيراً ما تأتي تعليلاتهم مضحكة إلى أقصى حدود الإضحاك .

فإذا قلت لأحدهم : كيف يعقل أن توجد هذه الكائنات القائمة على أكل حالات الأبداع بدون قدرة مبدعة ، متمصفة بأرفع درجات العلم والحكمة ؟

قالوا: إن ما نسمونه إبداعاً لم يحدث طفرة، وإنما حدث في مئات الملايين من السنين على طريق التطورات التدريجية.

فإن قلت لهم: هل مجرد طول الأزمان يوجب الإبداع العالى لمشاهد الكون، فلم لا يكون عمله خبط واختلال لا حد لها؟

قالوا: إن الخبط والاختلال محالان، فإن الذى يحدث هذه التطورات هى النواميس الطبيعية، وهى منتظمة غاية الانتظام، ومتلائمة غاية التلائم، وإذا كانت كذلك فلا يجوز أن يحى ما يحدث بسببها إلا منتظماً

فإن قلت لهم: وهذه النواميس ما هى، وكيف وجدت مطبوعة على هذا النظام، بحيث لا يتولد منها إلا ما هو مفرغ فى قالب الإبداع؟

هنا يشعرون بثقل الوطأة، وخرج المركز، وبعثون فى الجواب، ثم يدّكرون بعداً، ويمتصون ببداً، وهو قول (أجوست كومت): نحن لا نبحث فى بدايات الأشياء ولا مصائرهما، ولكننا نثبت الواقع تحت حواسنا فحسب.

هذا حسن من واضع الفلسفة الوضعية، وفيه اعتراف بالعجز، فإبال الذين يحومون حول مذهبه قد جعلوا ديدنهم الكلام على بدايات الأشياء، فقرروا أن أصل الوجود المادة للقوة بنواميس منتظمة، وأن الوجود يخلو من عامل آخر غيرهما، حتى من عنصر عقلى يضع الأشياء مواضعها، ويصرفها فى الوجوه الصالحة لها؟

أليس وقوفهم هذا الموقف يوصد الطريق فى وجوه الباحثين، ويقف بالعلم فى درجة محدودة من التطور لا يتعداها إلى ما هو أرق منها، ويصبح العلم بسبب ذلك شكلاً حجرياً لا يمتشى الإنسان فى نوثبانه نحو الحقائق التى هو مقود إلى الوصول إليها بقوة قاهرة فيه؟

من حسن حظ العقلية الإنسانية أن هؤلاء الجامدين لا يمثلون العلم فى حقيقته،

ولا يترجمون عن قابليته للترقى ، وليسوا هم أنجب أبنائه ، ولا المتأخرين من أقطابه ، وإنما تعلق بأديانهم من تعلق من للمقلدين طلبا للغريب ، وميلا الى الشذوذ .
فإذا تطلبت العقلية الانسانية المتمطشة الى الهداية أن تقف على الرأى العلمى الناضج ، وخاصة لأعلام هذا العصر ، فى مسألة الكون والكويكبات ، وجدت من كتابات أراكين العلم مجالا فسيحا لإبلاغها ما تطمح اليه من هذا المطلب الكريم .
من أمثلة ذلك ما كتبه العلامة (يـو) الفرنسى فى كتابه شذرات علمية وأديمة) فقال :

« بقدر ما أتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته ، وفى جميع عجائبه ، أعجب من هذا الإبداع المدهش ، وأداني عاجزا عن تعليله . وإنى لا أنجسر بأن أقول — لأنى خبرت ذلك بنفسى — بأن تلك التفسيرات الناقصة ، والتعليلات الخاطئة أو البهمة ، التى يريد أن يقتنعنا بها بعض الكتاب المعاصرين باعتبار أنها مدارك سامية ، لا تظهر بحجة وثاقبة إلا إذا قورنت بالطبيعة نفسها .

« إن الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة وأحسوا بها ، وجدوا أنفسهم مرغمين أن يعتبروا الذين يريدون أن يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح ، كفارا ملحدين . فإن كل الكائنات المضموية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة فى اختلاف أجهزتها الجسمية ، مثل تنوع الكواكب الزاهرة فى القبة الزرقاء .

« تريد على هذا أننا لا نشاهد إلا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج ، وقد حُجب عنا ما هو أعجب وأغرب فبميشك قل لى من ذا الذى استطاع أن يفهم سر طيران الذبابة وسر الأعيب الفراش ؟

« إذا وصل بنا إدراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجثمانية ، والى تحديد العلاقات المقصودة الموجودة بين الأجزاء التى تتألف منها ، قلنا : إذا وصل إدراكنا الى هذا ثم قمينا عن رؤية الحكمة التى أصرت بها ونظمها ، وعشينا عن

تنويرها في صميم هذا المجموع ، نكون قد ناقضنا ضمائرنا متناقضة نامة . أما أنا فأريد على القليل أن أتلم من هذا الشهد العظيم بأني جاهل لا أدرى شيئاً ، وقال العلامة (لوجيل) في كتابه (العلم والفلسفة) .

« كلما آمن الانسان في دراسة العلوم من ناحيتها المعنوية ، ازداد اعتقاده بأن ليس في العلم ما يمنع اتقافه وأبعد الفلسفات مرمى .

الى أن قال : « نحن لا نلم إلا بالظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعلة فتأبى أن تنكشف لنا . وإنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التي أطلعيلها قد حللتها العلوم المختلفة ، صادرة من قدرة أولية أبدية واجبة الوجود ، هي مصدر كل حركة ، ومركز كل عمل . ذا وجهنا ألسنا هذه الوجهة ، نظهر لنا الحوادث الطبيعية والسكانات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة إلهية » .

وقال العلامة الكبير الاستاذ (هنرى بوانكاريه) المصنف بالمجمع العلمي الفرنسي في كتابه (العلم والافتراض) :

« المقررات العلمية في نظر المشاهد السطحي ، تعتبر خارجة عن متناول الشكوك ، وعنده أن المنطق الملمى غير قابل للنقض ، وأن العلماء إن أخطأوا أحياء فلا يكون ذلك إلا لأنهم لم يراعوا قواعد هذا المنطق ...

« ولكن لما تروى العلم قليلاً لاحظوا مكان الافتراضات من هذه العلوم (يريد أنها مبنية على الظن) ، ورأوا أن الرياضى نفسه لا يستطيع الاستغناء عن الافتراضات ، وأن التجربة لا تستغنى عنها كذلك . حينذاك سأل بعضهم بعضاً : هل هذه الصروح العلمية القائمة هي على شئ من المثانة ، وتحققوا أن نفخة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها » .

وقال العلامة الفلكي المشهور (كاميل فلاريون) في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) .

«نأنا نفكر؛ ولكن ماهو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال .
ونأنا نمشي، ولكن ماهو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك . أرى أن إرادتي قوة
غير مادية، وأن جميع خصائص نفسي غير مادية أيضا، ومع ذلك فني أردت أن أرفع
ذراعي، أرى أن إرادتي تحرك مادي . فكيف يحدث ذلك، وما هو الوسيط الذي
يتوسط للقوى العقلية في إنتاج نتيجة مادية؟ لا يوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا
أيضا . بل قل لي . كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء الى العقل؟ وقل لي : كيف
يدرك هذا العقل، وأين مستقره، وما هي طبيعة العمل الخفي؟ قولوا لي أيها السادة
(يريد للحدين)... ولكن كى كفى! فإني أستطيع أن أسألكم عشر سنين ولا يستطيع
أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي .»

أين هذه الأقوال الصادرة من أقطاب العلوم الطبيعية، وأراكين فلسفتها الرسمية،
من تهوسات رجال لم ينالوا من العلم إلا رشفت لا تنفع نفعه، ولا تشفى علة، يتبعجون
بما قشوه من هنا وهناك من حثالات الموائد العلمية، فيتظاهرون بأنهم أدركوا
ما خفي عن غيرهم من أسرار الوجود، وانتهوا الى صميم قوه، فلم يروا فيه غير المادة
والنواميس الطبيعية؟

لا جرم، قد أبدع العلامة الانجليزي (بيكون) واضح الأسلوب العلمي في قوله :
« علم الطبيعة إذا رشف بأطراف الشفاء، أبعد من الله، وإن شرب عبا
أوصل اليه .»

محمد فريد روى

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

في الأدب العربي (١)

وأيضا بما تقدم تاريخ نشأة المذاهب الستة الأربعة وتطوراتها ومبلغ ما وصلت اليه الاختلافات بين مؤسسيها والمذاعين اليها، ولكنها كانت ولا زالت أم المدارس الدينية والتشريعية التي ظهرت منذ نشأة الاسلام حتى الآن .

ظهرت بعد ذلك عدة تعاليم أخرى تختلف بمض الاختلاف عما سبقه من المذاهب، وذلك على أثر تشعب الحياة العربية الاسلامية واتساع نطاق نفوذها أو انسلاخ بعض الجهات منها بسبب التطورات السياسية أو القومية أو الثقافية، وأقدم هذه المذاهب هو مذهب الظاهرية، وكان أول من شيد شاعه وفام بالدهاية اليه داود بن علي اللؤلؤ بالكوفة حوالي عام ٢٠٠هـ والمتوفى ببغداد عام ٢٧٠هـ وكانت تعاليمه متطرفة بالغة في المغالاة بالأخذ بمبادئ الحديث حتى خرجت عن حدود السنيين، فكان إذا دعا احمد بن حنبل وهو أكثر الأئمة تمسكا بالحديث لعدم اعتبار الرأي الشخصي وحرية التقدير، ذهب داود بن علي إلى أبعد من ذلك نظرها في الأخذ بالمعنى الظاهر فقط من القرآن والحديث والتمسك به وعدم دستور الحياة المسلمين، وكان يرفضه تقليد أحد الأئمة أقرب إلى ميول الصوفيين واعتقادهم فيه الإيمان الصادق الأكيد، فوجد من بينهم في بلاد الفرس أنصارا عديدين، ومات ولما يصل مذهبه إلى مصاف المذاهب الستة المعترف بها، ولم يعرف له أو لأنصاره في المشرق مؤلفات، وأما في بلاد الأندلس فإنه قد أتيح لمذهبه البعث، وكانت له مكانة خاصة سنأني على الكلام عليها فيما بعد.

(١) بقية المنشور في الجزء السادس من المجلد السابع في مجلد الأخر سنة ١٣٥٥ هـ مرفحا من المالاية

نقل عن كتاب « تاريخ الادب العربي » لمستشرق الالماني الكبير الاستاد الدكتور « بروهان » .

ونشأ كذاك في الاسلام منذ بدء طوائف عدة بعيدة عن المذاهب الرسمية، منها الخوارج الذين يعارضون في الخلافة الوراثية ويؤيدون انتخاب أى مسلم كائن من كان لزعامة القوم، ولم يظهر لهذه الفئة في القرون الأولى أى أثرين المؤلفات العربية لكثرة ما وقع فيها من كفاح وحروب، أو أنه لم يصنأ على الأقل من محصوهم الأدبي ما يدل عليه، ولكنهم تمكنوا بعد ذلك في النواحي النائية من البلاد الاسلامية مثل مدن وشمال افريقية من أن يظهروا في هدوء، بشايا حصائصهم، وبدءوا نشاطهم الأدبي الذي سنأتى على ذكره في حينه.

أما الشيعة وهم المعروفون في أوروبا بمجاهدى الاسلام، فكانوا في أول أمرهم فرقة سياسية تشايح على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولم يكن لهم في القرون الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن ثورة الاحتجاج التي قامت ببلاد الفرس انتصارا للنصرة القومية الايرانية ضد الديانة السامية المفروضة عليهم، اختلطت بحركة الشيعة السياسية، واندجت بها، فجعلتها تسلك في تطوراتها النظرية في علوم العقائد واللبادى التشريعية طرقا خاصة بها، ولكن مما يؤسف له حقا أن هذا المجهود الفكرى لم يصلنا من تراثه الأدبي إلا النزر اليسير، وذلك يرجع الى أن أغلب المخطوطات التي لدينا إنما وصلتنا من الأقاليم السنية. وأشهر ممثلى هذا التطور هو محمد بن بايويه المتوفى ببغداد عام ٣٨١هـ وقيل ٣٩١هـ ونقبت من مؤلفاته عدة رسائل حتى الوقت الحاضر.

وكذلك تلاشت أو كادت آثار تطور حركة الشيعة وتعاليمها في البلاد الفاطمية مثل شمال إفريقيا ومصر، ويرجع السبب في ذلك الى أن الحكام المتأخرين كانوا يهتمون كل الاهتمام بإبادة مؤلفاتهم لأغراض سياسية ودينية، ولذا فإنه لم يبق لنا منها إلا رسالة وضعا أول قاض فاطمى بمصر عن فضائل النبي والأئمة.

وأما في جنوب بلاد العرب فكانت الأحوال أكثر ملاءمة للشيعة حيث تمكن الزيدون من السيادة السياسية في القرن الثانى من الهجرة، ولا زالوا حتى الوقت

الحاضر يحتفظون بشخصيتهم ، ولقد امتازت أئمة هذه الفرقة بوفرة إنتاجهم الأدبي وكثرة مؤلفاتهم .

وتعتبر الأحاديث النبوية بعد القرآن مباشرة أهم المصادر التي تستمد منها التعاليم الدينية وللبادئ التشريعية قوامها ، ومما لا ريب فيه أن جانباً كبيراً من تلك الأحاديث لا شك في صحتها بآخرة ، لما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم من احترام أنصاره وتبجيل أتباعه ، كما أنه لا شك أيضاً أنه قد نبئت حول هذه النواة الصحيحة زيادات ، وعلمت بها مستعدتات ، فدخل على الحديث في القرون الأولى ما ليس منه مما ترك لجميع المنازعات السياسية والخلافية والمشاكل الدينية والتشريعية أثراً ظاهراً فيه ، فمرفت أفراد كل فرقة كيف تصيغ الأقاويل وتنسبها للعديد للدفاع بها عن عقائدها والانتصار لتعاليمها ، هذا إلى ما بقدهه الواظ الشعيون والرواة المؤرخون من ميكراتهم البسيطة ، ولو أن علماء الدين المتأخرين كانوا يقابلون ذلك كله بالحيطة والحذر .

ولم يفكر المؤلفون في القرنين الأولين من الهجرة في البحث الأدبي في الأحاديث النبوية ، بل اقتصرت دراساتهم فيها عن طريق الرواية الشفهية ، ولم تقم الثقافات منهم الأسفار البعيدة الشاقة وغبة الاستماع لأكبر عدد ممكن من رواة الحديث ، ولم تكن الرهبة الدينية هي التي منعهم في بادئ الأمر من كتابة الأحاديث ، فأنما قد بلغنا خبر تدوين بعضها في القرون الثانية من الهجرة ، ولو أن ذلك لم يتم وقتذاك حد كتابة المذكرات الخاصة . فلما بدأ علماء الدين يشعرون بحاجتهم الماسة إلى تأييد قواعدهم التشريعية ومبادئهم القانونية بما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام ، ظهر علماء الحديث في ميدان التأليف ، واهتدوا يجمع الأحاديث النبوية .

وقدم صور التأليف المعروفة في هذا المضمار الأدبي هي المسانيد التي روى في ترتيبها الرواة دون الموضوع ، وكانت أئمة المذاهب التشريعية وتلاميذهم من بعدهم أكثر العلماء اهتماماً بجمعها .

وأما المصنفات وهي أهم من المرجع الأول فقد روعي في نبويها الموضوع من حيث الناحية التشريعية أو الدينية أو التاريخية أو الخلقية ، وأقدم المجموعات المعروفة بهذا الشكل هو صحيح البخاري ، ويمتاز بما يتمتع به من احترام لكل وثقة تامة في جميع أنحاء العالم الاسلامي . وضعه محمد البخاري للولود في ١٣ شوال عام ١٩٤ في بخارى من الدين الإيراني ، وقد أنفق ستة عشر عاما متتالا لدراسة الحديث عقب قيامه بفريضة الحج ، فلما عاد الى موطنه وضع مجموعة الحديث المعروفة باسمه ، وتوفي ٣٠ رمضان عام ٢٥٦ هـ ، واتبع نظاما خاصا في وضع أساس مؤلفه الضخم يرجع في ترتيبه الى فصول التشريع ، ثم كان يمد على قدر الامكان الى من أبوابه بالأحاديث التي كانت الى هذا العهد موضع الثقة ولعمدة من النقد . ولقد كان هذا السفر الضخم منذ أول عهده موضع التقدير العظيم ، فكانت الناس تخصصه بعناية فائقة وتنزله منزلا يلي القرآن مباشرة في الاحترام والتبجيل ، ولكنه ما لبث بالرغم من ذلك أن قامت في نمه الاختلافات الدقيقة بين المذاهب المتفرقة الى أن جاء محمد اليونيني المتوفي سنة ٦٥٨ هـ ووضعه في القرن السابع من الهجرة على الشكل المعروف لنا في الوقت الحاضر .

وبنفس الاسم وضع مسلم مؤلفا أحدث من صحيح البخاري عهدا بقليل ، وولد مسلم بنيسابور عام ٢٠٢ أو ٢٠٦ هـ وطلب العلم ببغداد بعد رحلات عديدة ، وتوفي بموطنه عام ٢٦١ هـ وكان في تأليفه أقل تحيزا من البخاري ، ولو أنه سار على منهجه في ترتيب كتابه مراعى فصول التشريع أيضا ، دون أن يجعل لأبوابه رهوس عناوين تارك بذلك للقارئ حرية تسمية الموضوع ، وربما كانت هذه الخطة العلمية هي السبب في عدم ذبوعه بقدر ما لقي صحيح البخاري من الانتشار ، ولو أنه حظي من اهتمام العلماء ودراساتهم بنصيب لا يقل عن سابقه .

والى جانب هذين الصحيحين اللذين لقيا من جميع المسلمين تبجيلا عظيما أبعدهما عن مواضع الريبة ، جاء خلال القرن الثالث من الهجرة أربعة مؤلفات أخرى وضعا بعض المتأخرين في مرتبة الكتب الدينية المقررة .

وأقدم هذه المؤلفات الأربعة هو كتاب السنن لأبي داود السجستاني المتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ ولم يجمع به المؤلف سوى الأحاديث التي لها أهمية تشريعية دينية، بل إنه لم يجمع به إلا ما أجمع على صحته الرواة.

وأما ثاني هذه المؤلفات فهو الجامع الذي وضعه أبو عيسى محمد الترمذي المتوفى في ماوراء النهر عام ٢٧٩ هـ، وقد أخذ فيه كل الأحاديث التي يحتاج إليها المشرع في قضاء المسائل القانونية، وكان يشرح لكل الحالات تطبيقاتها الفقهية، وبذلك أصبح هذا الكتاب أم المؤلفات في تاريخ الشريعة الإسلامية.

أما كتاب السنن الذي وضعه أحمد النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ فاشتهر بما احتوى عليه من التفاصيل الكاملة في ضروب الحياة الدينية المذهبية، وما جاء به بإسهاب عن نواحيها القومية.

والأخير من هذه المؤلفات هو كتاب السنن الذي جمعه ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وقد لاقى في أول أمره معارضة شديدة بسبب ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة، ولم يأخذ به العلماء إلا في أواخر القرن السادس الهجري.

بدأت الدراسات الأدبية تنعجه شطر الأحاديث النبوية بعد أن استقر فيضها الذي زخرت به المؤلفات التي جمعت في القرون الأولى، وأصبحت بفضل مجهود الجامعين قاعدة ثابتة للدرس والتأليف الذي وسع كل نواحيه، وأهم ما ظهر في ذلك الوقت مجموعات من أربعين حديثاً، وهي أقل ما عزي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقدم هذه المؤلفات هي المجموعة التي وضعها الترمذي.

ولقد كانت دراسات الحديث التي نوافر عنها عدد كبير من العلماء سبباً مباشراً للبحث وراء تاريخ حياة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وجم أوثق لرواة لكلماته، وذلك لأن تقدير صحة الحديث كانت تتوقف على قدرة ثقة الرواة، فنشأت عن ذلك دراسات أخرى هي أقرب إلى علم التاريخ منها إلى علم الحديث « يتبع »

افتتاح الدراسة في كلية أصول الدين

في مساء افتتاح نعام لدراسي بكلية أصول الدين ، جمع فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
عبد مجيد اللان شيخ الكلية حضرات أساتذة الكلية وطلابها وألقى فيهم خطة ليلة كتابته
السنة ، ولما انتهت عليه هذه الخطة من التصحيح العالي والارشاد النافع وأبى أن تنشرها ،
فأرجعها الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إخواني وأبنائي : اليكم أوجه نخيبي ، وأعلن سروري بافتتاح هذا العام لدراسي
والجيا من الله جلت قدرته أن يوفقنا جميعا لصالح العمل حتى نؤدي رسالتنا ، ونقوم
بالمطلوب منا حسبما يكلفنا به الدين والواجب .

مرّة عامان كاملان والأزهر في اضطراب يرجع بعضه كما تعلمون الى شئون داخلية ،
وبعضه الى أخرى خارجية ، وقد مضى ذلك الزمان بهناته ، وهأنحن أولاء ، نستقبل اليوم
عصرا اعتقد أنه خال من عوامل القلق . فلملي أراكم مطمئنين فيه لأداء ما تكلمون به .

واسمعوا لي أن أقول : إن الأمر بيننا في تسكّم لحقبة القصيرة لم يكن على ما ينبغي
أن يكون من عام وطالب ديني فأريد أن نسير في هذا العام وما بعده إن شاء الله
على غير ما كان في سابقه . إذا كان لنا في الماضي بعض عذر ، فينوح لي ولكم أيضا
أنه قد زال والحمد لله ، لأن سفينة السياسة قد استقرت على جوديتها ، وشئون الأزهر
تديرها يد حكيمة ، فلا عتب اليوم لمستعجب . وهناك قوانين وأوامر يجب أن نحترم ،
وأن يؤدي العمل بمقتضاها كما أمر الله ورسوله ، وكما يرجوه ولاية الأمور ، وكما يدعونا
إليه الصالح العام والضمير الحى .

يقول الناس عنا وينسون أنفسهم ، فاقضوا على باطلهم ولا تهنوا ، فإن الحق معكم إذا أنتم أجمعتم عليه كلتكم ، وبرهنتم على أنكم أصحاب الكفة لراجة والمركز الأقوى في الوجود بين طيفات الأمة . فلتكن أعمالكم وآراؤكم سليمة حكيمة ، لأن الحكمة في الرأي حسنة ما لم يستبح بها محذور . فكونوا حكياء فامين للحق بإخلاص . وليس من الحكمة ترك جبل الأمور على غاربها ، حتى إذا ما حدث حدث التمس التملص منه ، بل من العقل نوق الخطر قبل وقوعه ، لأن الوقاية كما قيل خير من العلاج . وفي المأثور : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

قد هيأنا الله تعالى لمهمة خطيرة لها جلالها . وهؤلاء أبناء الأمة أمانة في ذمتنا ترجونا لتنقيفهم الديني والخلق . فعلمنا أن تؤدي الأمانة كما أوثنا عليها ، فتكون منهم رجالا ذوي خلق ودين . قلت لكم غير مرة إن بعض الناس قد حسبوا الجديد هو كل شيء في حياة الأمم ، فقطعوا الصلة بينه وبين القديم ، وعارضهم آخرون فبالغوا في نصرة القديم واعتبروه كل القصد ، وذهب كل فريق بمالديه فرد ، حتى كادت معالم الحقيقة تنطمس بينهم ، وإن الخير في التوسط : باحترام القديم مع الترحيب بالجديد . وما هو ذا الإصلاح الجديد قد جاء على هذا الرأي ، فجعل بين الوجهتين نسباً ، فاعتبر القديم هو الأساس ، ووشاه بحلية الحديث ليخرج علماء عارفين بدينهم بصيرين بماضيهم وحاضرهم ، يعلمون أن الدين والعلم أخوان .

وليس التجديد من الاسلام بدعابل هو غرضه الاصلى . ألم نروا أن الله تعالى أنزل القرآن مهيمنا على ما سبقه من الكتب المنزلة كي يصلح ما ألصقته الأمم بتعاليمها من عند أنفسهم ، فسارت مبادئه الاملاحية بالمجتمع في كل عصر صيرة مرضية ، سمت به الى عبياء السعادة ، حيث رفعت عنه الاصر وأطلقت سراح الفكر ، فأفسحت أمامه مجال النظر في ملكوت الأرض والسماء لاستخراج ما أودع فيهما من أسباب الرفاهية والتمتع بزيينة الله تعالى التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق بشرط يدينها في كتابه ،

وفرض العمل به والسير على مقتضاها حتى يسد باب الشهوة في وجه الذين يزين لهم شيطانهم زخرف الايحية .

وعلى هذا الطريق القويم سار الأزهري ورجاله في كل عصر ، فكان حاميا ذمار الدين ، وكان قائد النهضة العسكرية ، من بدء نشأته الى يومنا هذا .

فالأزهري لا يأبى التعديد بل يدعو اليه إذا كان من طريق المقول ، وعلى أساس الدين الحنيف ، وهو يقابله بصدر رحب ويعمل به في هذه النهضة الحديثة لتثقافة الجيل الحاضر ، واصلاً حبل الحديث بما وصل اليه من التراث القديم عن سلفه ، وهذا ما أعمل به وأدعوكم اليه ، لنؤدى رسالتنا كما برضى الله ورسوله ، غير ناسين نصيحتنا من الحياة العامة .

ومنكم أبتأى الطلبة أرجو العناية والجهد في عملكم ، أطلب الاجتهاد في الاستدكار والتنقيب من مواضع العلوم في مظان وجودها قبل جلوسكم أمام الأساتذة ، فان ذلك هو الطريق الى الفلاح .

ولايتهم المقصد إلا إذا كنتم مع أساتذتكم في أدب وصلة فلبية ، وامتنال ما يرشدونكم له ، وكنتم أيضا في أنفسكم إخوانا يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه .
فلعلكم توفقون :

وأختتم كلمتي بالابتهاال الى الله تعالى أن يسدد خطانا جميعا ، وأن يحوط بعين عنايته وحفظه حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب نصير العلم والملاء فاروق الأول ، أمز الله ملكه ، وجعل أيامه أيام بركة وعز للدين والوطن ، وأرجو أن نضرعوا معي الى الله تعالى أن يعم بالرحمة والرضوان حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ثؤاد الأول بماله من جليل النعمة على العلم والدين والأمة والوطن ، أسكنه الله فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . آمين ٩

فلسفة الاخلاق

مما لا يحتمل حواراً أن النفس عند الأقدمين من الحكماء : جوهر مجرد واحد ، ولهذا الجرد لواحد اتجاهان لا ثالث لهما — الأول : اتجاه الى البدن على معنى أن يكون هذا الاتجاه غير قابل لأثر من جنس مقتضى طبيعته . والثاني نزاع الى المبادئ العالية على معنى أن يكون دائم القبول عما هناك والتأثر به . فمن الأول تتولد الأخلاق التي هي ملاك الانسان وعقاده ، لأنها تؤثر في البدن تأثير اختياريا ، ويسمى الحكماء ذلك الاتجاه بالاتجاه السفلى ، وتسمى عندم قوة عملية أو عقلا عمليا . ومن الاتجاه الثاني تتولد العلوم ، لأنها تتأثر بما فوقها بحسب استعدادها ، وتسمى عندم قوة نظرية أو عقلا نظريا . فالقوة النظرية من شأنها أن تنابيع بالصور الكلية المجردة عن المادة .

وأيضاح ذلك — على ما حققه الشيخ في الشفاء — أنك حين تنظر الى هذه القوى تجد العقل المستفاد رئيسا بخدمة الكلام . ثم العقل بالفعل ، ويخدمه العقل بالملكة أيضا ، ثم للعقل العملي يخدم جميع تلك ، لأنها هي العلاقة البدنية . وذلك لأجل تكميل العقل للنظري وتركيبه وتطهيره . فالعقل العملي هو المدير لاتجاه تلك العلاقة ، وهو بهذه المؤهلات سرور الأخلاق ومناطها ، والوهم خادم له .

ثم إن للوهم قوتين تخدمانه : قوة قبله وهي مصدر جميع القوى الحيوانية ، وقوة بعده وهي الحافظة . والمتحيلة تخدمهما قوتان . القوة النزوعية ، والقوة الخيلية ، وهكذا حتى تنتهي منازع النفس المائلة وقواها التي تصدر عنها .

فشوق النفس الى العلوم والمعارف قد يفضي بها الى قطع أشواط في مدارج السمو الروحاني حتى تبلغ أقصاه . غير أن تلك المرتبة لم تنسق لكثير من الخلق ، فلها التزامات وحدود ، وبين ثمايلها درجات على جانب غير قليل من الجهد والعناء وبعد الشقة . وذلك مرده في الأم الأغلب الى طمعية النفس وركوبها أحيانا متنا من الشطط

فلق الوضين صعب المرتقى ، وهي تحاول في بلوغها تلك المنزلة أن تبلغ أقصى حدودها ، وقد تفضل في ثناياها ضللا لا يجمع بها الى أسوأ ما كانت تحذره وشر ما كانت تخافه . ويبدو ذلك الانجاء جليا في النهم الذي كمل اشتاق الى تقوية جسمه الطبيعي اشتاق الى عوامل القوة فيه ، فتزايد فيه القوة ، حتى لقد يلتمس لتقوية جسمه ما يكون سببا في حقه أو علة . من أجل ذلك عنى علماء الأخلاق وبخاصة علماء النفس منهم بتلك الضوابط التي وضموها لشوق النفس الى المعلوم والمعارف ، حتى لقد قال (جالينوس) : ينبغي أن يكون مفهوما أن كل إنسان ممد نحو فضيلة من الفضائل ، فهو اليها أقرب ، وبالوصول اليها أخرى ، فلا يصير سعادة آحاد الناس غير سعادة الآخر إلا بالقياس الى ما يحمله أحدهما من نفس صافية تبلغ به الى أقصى حدود الكمال الروحي ، وتسمويه الى المستوى المعنوي الذي يسر ورائه مطمح لناظر ولا زيادة لتستزيد اه ، فعلى قدر ما يحمله كل امرئ من بيض القمال ووانغ الخصال يكون التفاصل بين الأتلى .

من أجل ذلك أوجب الأخلاقيون على ذوى الرياسات والمضطلمين بالأعمال العامة أن يحفروا كل إنسان نحو سعادته المهيأ لها ، فيقسموا عنايتهم بالناس ونظرم إليهم على قسمين : أحدهما في تسديد الناس وتقويم نفوسهم بالعلوم الفكرية ، والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والحرف والأعمال اليدوية . فإذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدواهم من الحد الأدنى ، ثم شوقهم الى درجات النضوج الفكرى ، وأنها يجب أن يكون أعلى نسق لتلك الحياة الفكرية . وإذا سددهم نحو السعادة العملية اجتهدواهم من القوة الدنيا وانتهوا بهم الى أعلى هذه القوى وأسمائها . وفي كلا القسمين وبين مراتبهما يتحلى في الانسان نبوغه الفكرى أو نبوغه الأخلاقى بالقياس الى ما يصدر عنه من المظاهر الدالة عليه « وكل ميسر لما خلق له » .

وإذ نريد العرض لآراء الفلاسفة من الأخلاقيين وما بسطوه بقدر عن شوق النفس الى المعلوم والمعارف فليس ذلك إلا لتتخذ كما اتخذوه وسيلة الى الكلام عن

السعادة والخير ، وهن الفرق بينهما ، وعن سبط رأى (أوسطوطا ليس) فيهما ، وهما
وقع من الخلاف البعيد المدى بين علماء الأخلاق في ماهية السعادة وماهية الخير ،
وإيراد الأدلة على كل اتجاه منهما .

فالناس مأخوذون في هذه الحياة بالسعادة والخير ليصلوا الى الخير المطلق والسعادة
المطلقة إذا نهجو على مقتضياتهما . ولم تقم صمارة الكون إلا على ما يؤخذ به الانسان
من حب الخير ولا يعان فيه ليحصله قدر الجهد ، وما هي له من الأسباب ، وليكون
سميدا بالقياس الى ماهية له من أسباب تحصيلها ، والى القدر الذى فيه منها . فليس
الانسان في هذه الحياة إلا طالب بمجد أو عى أو جاه أو ولد أو مال أو ما شئت من متاع .
والناس يتفاوتون في مهم كل أو تلك ، وهم يعتقدون في دخيلة نفوسهم أنه خير مطلق
يحقق لهم سعادة مطلقة ، وإن كان الواقع في مستقبل حياتهم لا يوائهم بما أرادوا .

من أجل ذلك اشتغل فريق من علماء الأخلاق بالكشف عن الفروق للنظرية
في الخير والسعادة ، وهل هي نظريات حقيقية أو نظريات تقديرية ؟ وهل هي خير لقوم من
ناحية وشرفهم من أخرى ؟ وهل السعادة في حقيقتها مقصورة على الحياة اباقية أو هي ثم
الحياتين جيمما ؟ مما سنوفيه حنه من البسط والايضاح في بحوث متلاحقة .
الحامى القرعى

تصحيح أخطاء

وقع خطأ في السطر الثالث عشر من صفحة ٤٠٤ من الجزء السادس .

عمر بن عبد العزيز والصواب عمر بن الخطاب

وفي السطر الثانى من صفحة ٤٣٨

جاء فيها عن (بروكلمان) أن ميلاد أبى حنيفة كان سنة ٨٨ وأورد في كتابه المطول قلا عن

المصادر العربية أنها مختلف فيها الى حد أن قيل أنها كانت سنة ٨٠ أو ٦١

and on 'Urwah's narration through Al-Miswar and Marwân that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out on the occasion of Hudalbiyyah (1) etc. . . (2) and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) never expectorated without the spittle being gathered in the hand of one of the men, who rubbed his face and skin with it.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through Humaid, through Anas, who said :

“ The Prophet (Allâh bless him and give him peace) spat in his garment. (3) ”

This hadith is related at length by Ibn Abu Maryam, (4) who had it from Yahyâ b. Ayyûb, who received it from Humaid, who heard it from Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

وَقَالَ عُزْرَةُ عَنْ الْمِسْوَرِ وَمَرْوَانَ:
دَحْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ
حُدَيْبِيَّةَ فَكَثَرَ الْحَدِيثَ وَمَا
تَتَخَمُّمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَامَتِهِ
إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَتَهُ .

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا
سفيان عن حميد عن أنس قال :

وَرَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي ثَوْبِهِ .

طَوَّلَهُ أَنْ أَبِي مَرْثِمَ قَالَ أَخْبَرَنَا
يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ قَالَ سَمِعْتُ
أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(1) Hudalbiyyah is a village one day's journey from Makkah, the name of which was derived from the barren or bent tree under which the Companions swore allegiance to the Prophet. This is known as بَيْتُ الرِّضْوَانِ (The Covenant of Ar-Radwân).

(2) The hadith which is interrupted here is given by Al-Bukhârî comp etc with isnâd later on in the story of Hudalbiyyah.

(3) Al-Bukhârî's purpose in citing this hadith is to show that human saliva, nasal mucus and the like, are ritually clean.

(4) Ibn Abu Maryam is one of Al-Bukhârî's professors, and Al-Bukhârî wishes to show here that he had from him a longer version of the same hadith, which he records later in his Book of Prayer. This version has the advantage of a higher degree of authenticity in the isnâd, since Humaid "bears" the hadith from Anas, instead of having it "through him, as in the former version.

him and give him peace) remained in prostration, without raising his head, until Fátimah came and snatched the placenta off his back. He then raised his head and said :

'O Allāh, take upon thee the requital of these Qaraishites,' three times. This curse cut them to the heart, for they believed that an imprecation made in that *holy* city was always answered. Then naming *each* in turn, the Prophet cried :

'O Allāh take upon thee the requital of Abu Jahl, take upon thee the requital of 'Utbah b. Rabi'ah, of Sha'bah b. Rabi'ah, of Al-Wadd b. 'Utbah, of Umayyah b. Khalaf, of 'Uqbah b. Abu Mu'ait', — besides a seventh whose name is not remembered (1)'

'Abdullāh added, "By Ham in whose hands is my soul, I have seen the men enumerated by the Messenger of Allāh lying dead at Badr, cast into a disused well."

CHAPTER 72.

On spittle, nasal mucus and the like on the clothes ;

وسلم حاجته لا يرتفع رأسه حتى
تجافيه فأطمنه ففطرحت عن
ظهره فرفع رأسه ثم قال .

« اللهم عليك بقريش !
ثلاث تمرات . فشق عليهن
إذ دعا عليهن . قال . وكانوا
يرون أن الدعوة في ذلك السد
مستجابه . ثم سمى . اللهم
عليك بأبي جهل وعليك
نعيبة بن ربيعة وشبه بن ربيعة
والوليد بن عتبة وأمية بن خلف
وعقبة بن أبي معيط . وعد
السابع فلم تحفظه »

قال : « فوالذي نفسي بيده
لقد رأيت ألدس عدو رسول الله
صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب
قليب بدر . »

- ٧٢ -

بَابُ النَّزَقِ وَالْمُخَاصِرِ
وَمَخْرُجِ الثَّوْبِ .

(1) Al-Bukhārī gives his name in another hadith as 'Umairah b. Al-Wadd b. Al-Mughfirah.

We are informed by 'Abdān, who had it from his father, through Shur'bah, through Abu Ishāq, through 'Asar b. Ma'mūn, through 'Abdullah, who said.—

“While the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was prostrated in prayer⁽¹⁾ by the Ka'bah. — Abu Jahl and some friends of his being seated near — when they said to one another : ‘Which of you will go and get the placenta of the camel slaughtered by the Banu such and such, and put it on Muhammad's back when he is prostrated in prayer?’

Then the wickedest man among them⁽²⁾ hurried off and brought it; and then waiting until the Prophet (Allāh bless him and give him peace) had prostrated himself, he put it on his back between his shoulders, while I — added ‘Abdullah — was looking on helplessly, though if I had had any support, I should have snatched it off his back. Thereupon these people began to laugh, each throwing the blame on the other⁽³⁾. Meanwhile the Messenger of Allāh (Allāh bless

حدثنا عبدان قال أخبرني أبي عن
شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن
ميمون عن عبد الله قال

«بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَاجِدٌ (ح) قَالَ وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ
ابْنُ عَثِمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ
حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ
مَيْمُونٍ أَنَّ عِدَّةَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ

أَنْ أَلْبَسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ
يُصَلِّي عِنْدَ النَّبِيِّ وَأَبُو جَهْلٍ
وَأَصْحَابُهُ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ
تَعْنُظُهُمْ لِيَسْمُرُوا أَبْنَكُمْ يَجْعَلُ
بَسَلًا تَجْرُورُ بَنِيهِ فَلَا يَتَبَضَّعُهُ
عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فَأَنْتَبَهْتُ أَشْتَقِي الْقَوْمَ فَرَجَاءَ
بِهِ فَظَنَرْتُ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ تَبْرًا كَتَبْتَنِي
وَأَنَا أَنْظَرُ لَا أَغْنِي شَيْئًا كَوْ كَانَ
لِي مَسْعَةٌ . . . قَالَ فَجَعَلُوا
يَضْحَكُونَ وَنَحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(1) Or — according to Ahmad b. 'Uthmān, who had it from Shurāih b. Maslamah, who received it from Ibrāhīm b. Yūsuf, through his father, through Abu Ishāq who was told it by 'Asar b. Ma'mūn to whom it was related by 'Abdullah b. Mas'ūd “The Prophet (Allāh bless him and give him peace) was performing his prayer by the Ka'bah.”

(2) Namely, Ubayh b. Abu Mu'alt.

(3) Or — according to Muslim, if يَحِيلُ is read as يَحِيلُ — the meaning is “rocking with laughter”

man h. Hurmuz Al-A'raj, who heard it from Abu Hurairah, who stated that he heard the Messenger of Allah (Allah bless him and give him peace) say :

" We are the last in this world and shall be the first in the next."

With the same isnad he said :

" Let no one of you on any account micturate in stagnant water, and then use it for his ritual ablution." (1)

CHAPTER 71

If filth or any putrid carcase is thrown on the back of one performing his prayer, it is not vitiated ;

and when Ibn 'Umar used to see blood upon his garment while he was performing his prayer, he took it off and continued his prayer ;

and Ibn Al-Musayyab and As-Sha'bi said :

"If after anyone hath performed his prayer, he seeth blood or seminal stains upon his garment, or seeth that he hath not faced the Qiblah, or if he hath made a dry ablution and performed his prayer and then afterwards findeth water in time, — he need not repeat his prayer."

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه
سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول :

« نَحْنُ الْآخِرُونَ فِي الدُّنْيَا
وَبِأَسْنَدِهِ قَالَ :

« لَا يَبُولُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ
الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَحْتَرِي ثُمَّ
يَغْتَسِلُ فِيهِ » .

— ٧١ —

بَابُ : إِذَا أَتَى عَلَى ظَهْرِ
الْمُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ لَا تَفْسُدُ
عَلَيْهِ صَلَاتُهُ .

وَكَانَ ابْنُ عُثْمَرَ إِذَا رَأَى فِي
كُتُبِهِ دَمًا وَهُوَ يُصَلِّي وَضَعَهُ
وَتَوَضَّعَ فِي صَلَاتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَالشَّعْبِيُّ :
« إِذَا صَلَّى وَفِي كُتُبِهِ دَمٌ أَوْ
جَسَدٌ ، أَوْ لَعْنَةُ الْقِبْلَةِ ، أَوْ
تَبَسُّمٌ وَصَلَّى ثُمَّ أَدْرَكَ الْمَاءَ
فِي وَفْتِهِ ، لَا يُعِيدُ » .

(1) Al-A'raj gives two reasons for the combination of these two hadiths under one isnad — first, that Abu Hurairah might have heard both on the same occasion, and second, that Abu Hurairah prefaced with the first one a number of the hadiths which he transmitted to Hammam, as we find in Al-Bukhari's Collection in the Books of Al-Jihad, Al-Maghaz, Man Nudhur, etc

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) on being questioned about a rat falling in, o clarified butter replied: "Throw the rat away together with whatever butter hath been in contact with it."

(Ma'n states that he was told this hadith by Mālik an indefinite number of times, as being received through Ibn 'Abbās from Maimūrah.) (1)

3. We are informed by Ahmad b. Muhammad, who had it from 'Abdullāh, who received it from Ma'mar, through Hammām b. Munabbih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said

"Every wound received by a Muslim in the cause of Allāh shall appear on the Day of Resurrection in the same form as when it was inflicted—flowing with blood of a natural colour, but having the scent of musk." (2)

CHAPTER 70.

On micturating in stagnant water

We are informed by Abu-i-Yasir, who had it from Shu'ab, who received it from Abu-z-Zinād who was told it by 'Abdu-r-Rah-

أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قارة سقطت في تسمن فقال: ائدوها وما حولها فاطر حوه.

(قل من حدثنا مالك ما لا اخصيه يقول عن ابن عباس عن ميمونة)

٣- حدثنا احمد بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا معمر عن همام بن مبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

كل كلفم يكنم
انسلم في سبيل الله يكنون
يوم القيامة كهيئة
طينت كفجر ذما، اللون
لون الدم والعرف عرف
المست.

- ٧٠ -

باب البول في الماء الدائم

حدثنا أبو الحان قال أخبرنا شبيب قال أخبرنا أبو الزناد أن

(1) Al Bukhārī wished to establish the isnād back to Maimūrah and to confute those traditionists who omit her and derive the hadith from Ibn 'Abbās.

(2) Al 'Aini's explanation for the inclusion of this hadith under the heading of this chapter is that just as water, ritually clean, can lose its natural characteristics through contact with polluting elements, so can blood, ritually unclean, be transformed into glory through martyrdom.

and on Az-Zunri having said
 "There is no harm in using water
 so long as it hath not been affected
 by extraneous taste, smell or
 colour ;

and on Hammād having said
 "There is no harm in feathers of
 dead birds falling in water ;

and on Az-Zunri having said,
 speaking about the bones of dead
 animals, such as elephants and the
 like: "I have been contemporary
 with many early doctors of Islām
 who used combs and pigment-
 boxes made of them, without
 seeing any harm in it ;"

and on Ibn Sirīn and Ibrāhīm
 having said, "There is no harm
 in trading in ivory."

1. We are informed by Iṣṣā-
 'il, who had it from Mālik, through
 Ibn Shihāb, through 'Ubaidullāh b.
 'Abdullāh, through Ibn 'Abbās,
 through Maimūnah that :

The Messenger of Allāh
 (Allāh bless him and give him
 peace), on being questioned about
 a rat falling into clarified butter
 replied

"Throw away the rat together
 with whatever butter hath been in
 contact with it, and eat the
 rest."

2. We are informed by 'Alī
 b. 'Abdullāh, who had it from
 Ma'n, who received it from Mālik,
 through Ibn Shihāb, through
 'Ubaidullāh b. 'Abdullāh b.
 'Utbah b. Mas'ūd, through Ibn
 'Abbās, through Maimūnah that :

وقال الزهري . . لا بأس بالماء
 ما لم يغير طعمه أو ريح أو
 لون .

وقال حماد . لا بأس بريش
 الميتة .

وقال الزهري في عظام الميتة
 نحو الفيل وغيره : « أذركت
 ناساً من سلف العلماء
 يمشطون بها واذعنون فيها ،
 لا يرون به بأساً .

وقال ابن سيرين وإبراهيم . ولا
 بأس بتجارة العاج . .

١ - حدثنا إسماعيل قال حدثني
 مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن
 عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة :
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سُئِلَ عَنْ قَارَةٍ سَقَطَتْ فِي
 سَمْنٍ فَقَالَ : « الْقِسْمَانِ وَمَا حَوْلَهُمَا
 فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ » .

٢ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا
 معن قال حدثنا مالك عن ابن شهاب
 عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة
 ابن مسعود عن ابن عباس عن ميمونة :

and to drink of their urine and milk. They did so, and when they were restored to health, they killed the herdsman of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and carried off the herd. The news arrived in the early morning, and the Prophet immediately sent in pursuit of them, and by midday they were captured. At the Prophet's command their hands and feet were cut off and their eyes put out. They were then hrown into Al-Harrāh, (1) where they begged for drink but were given none. (2)

Abu Qilābah added: "For these men had robbed committed murder, renounced the Faith after embracing it, and made war upon Allāh and his Messenger."

2. We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, who received it from Abu-t-Tayyān, Yazid b. Humaid, through Anas who said

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) before building the Mosque used to perform his prayer in sheep folds."

CHAPTER 69

On polluted matter falling into clarified butter or water.

فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُوا قَتَلُوا
رَاعِيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأْتَمَرُوا
النَّعَمَ فَجَاءَ الْخَبِيرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
فَعَثَّ فِي أَثَارِهِمْ فَلَمَّا ارْتَفَعَ
النَّهَارُ جِئَ بِهِمْ فَأَمَرَ فَقَطَّعَ
أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَصَمَّرَتْ
أَعْيُنُهُمْ وَأُلْفُوا فِي الْحَرِّ
يَسْتَقْفُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ.

قال أبو قلابه: وهؤلاء سرقوا
وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم
وحاربوا الله ورسوله.

٢ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال
أخبرنا أبو التياح يزيد بن حميد عن أنس قال:
«كان النبي صلى الله عليه وسلم
يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يُبْنَى الْمَسْجِدُ فِي
مَرَايِضِ النَّعَمِ».

— ٦٩ —

بَابُ مَا يَقَعُ مِنَ
النَّجَاسَاتِ فِي السَّمَنِ وَالْمَدِ،

(1) A place behind Al-Madinah covered with black stones and scorching with heat.
(2) According to Al-Qasallāni, the punishment was a just retribution for a similar treatment inflicted by these people on the herdsman they had murdered.
According to Ibn Hajar, however, this hadith is suspected by another occurring in the Jibād for bidding cruelty or reprisals. The former hadith dates from before the revelation of the "sanctions verse" (آية الحدود).

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo

ترجمة جامع صحيح البخارى

لـمؤلفه ابراهيم عيسى المومني

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 68.

On the urine of camels, cattle and sheep, and on sheep-folds :

and on Abu Musa having performed the prayer in a post-house in which there was cattle-dung, while there was open country by the door, saying,

"To pray here or there is the same" (1)

1. We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ayyûb, through Abu Qilâbah, through Anas, who said :

"Certain men of the tribe of 'Ukl - or 'Urainah (2) - came to Al-Madinah where they fell ill. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) ordered them to go out to his milch-camels,

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

- ٦٨ -

بَابُ أَبْوَالِ الْإِبِلِ وَالذَّوَابِ
وَالنَّعَمِ وَمَرَأْسِهَا .

وَصَلَّى أَبُو مُوسَى فِي ذَٰلِكَ الْبَرِيدِ
وَالسَّرَقِينَ وَالْبَرْيَةَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ
« مَا هُنَا وَتَمَّ سَوَاءٌ » .

١ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ
حَدَّثَنَا هَمْدَانُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي يُونُسَ عَنْ أَبِي
قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ .

« قَدِمَ أَتَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ
عُرَيْنَةَ فَاجْتَسَوْا الْمَدِينَةَ فَأَتَرَهُمْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَاعٍ وَأَنْ
يُشْرَبُوا مِنْ أَبْوَاهِهَا وَأَلْبَانِهَا .

(1) That is to say, on being asked why he prayed in a place strewn with cattle-dung, when the clean open place was near at hand. The purpose of the hadith is to show that the urine and dung of animals used for food is not ritually unclean.

(2) The narrator is doubtful as to which

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

- ٦ -

مقومات علاقات الإنسان بالعالم الخارجي

إذا أطلق لفظ العالم أريد به كل ما هو موجود من الكائنات والإنسان وإن كان لا يسكاد بحسب له حساب من ناحية الحيز الذي يشغله فإنه بما منح من الخصائص العقلية والروحية ، بمكانة ممتازة منه . فإذا لم يكن هو أرقى الكائنات العاقلة على الإطلاق فهو من أرقاها لا محالة . وقد أفرد كثير من علماء أوروبا البحث في مكانة الإنسان من العالم بالتأليف ، حتى إن الداروينيين الذين يقولون بتحول الإنسان من حيوان أدنى منه ، لا يرضون عليه بهذه المكانة الممتازة ، وإن كانوا لا يؤمنون بوجود روح فيه مستقلة عن المادة ، وممتزجة من عالم أرفع منها .

وقد اعتبر العلماء الطبيعيون ثبوت علوم مكانة الإنسان فوزا كبيرا لهم على الأديان ، وقد زعموا أنها تخقر من شأنه ، وتخط به إلى ما لا يتناسب ومواهبه السامية ، وتعمل على إذلاله بصروب من التكاليف الشاقة تحت اسم العبادات ، وتحاول الاستيلاء على ضميره بما تصور له من صور الثواب والعقاب في دار بعد هذه الدار

وهذا تجرّم ظاهر من خصوم الأديان ، فلمّا قررت جميعا أن الإنسان من روح الله ، وليس بعد هذا رفع لمكانة مخلوق في هذا العالم . فإن آنس هؤلاء الخصوم بعد هذا تكاليف شاقة فرضت على بعض طوائفه ، وتقاليد منلة حتم عليها القيام بها ، فذلك

من وضع زعمائها وقادتها ، إما خطأ منهم في تقدير قدر انعطرة الانسانية ، وإما جرياً وراء مطامع لهم لا تنال إلا من ناحية تسخير الشعوب لإرادتهم .

وإذا وجد هؤلاء الخصوم كلاماً يقولونه من هذه الناحية في جميع الملل ، فإنه يعز عليهم أن يحدوه في الاسلام ، اللهم إلا بهتاناً وتجنياً .

الاسلام كسائر الأديان السماوية يقرر بأن الانساف خلق من الطين ، ونفخ فيه من روح الله ، ولكنه يزيد عنها في الإشادة بسموه ، وفي تعليل هذا السمو ، وفي تحديد مدى سلطاته على العالم الخارجى ، بما يقتاسب والمعلومات العصرية الحاضرة ، ويتمشى وإياها جنباً الى جنب .

وقد ذكر الله كل ذلك في كتابه الكريم ، فنقتبسه منه ، ونشرح منه ما يستدعى الشرح ، قال تعالى :

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ أَتُبَيِّنُ لَكُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . »

هذه المحاورة غثيل لما جاش في صدور الملائكة عند خلق الله للإنسان ، وليست هي كما يدل عليه ظاهر الألفاظ جدلاً بين الله وهؤلاء الملائكة ، لأنه يقتضى ما ينافى التنزيه الذى جاء به الاسلام .

ومؤداها أن الملائكة عند ما علموا بوشك خلق الله لكائن يجمع بين طبيعتين متناقضتين إحداها سفلية أرضية ، ولأخرى عوية روحانية ، أدركوا أنه سيكون متنازعا بين دواصيهما ، فيميل تارة الى هذه وتارة الى تلك ، وفي الليل الى السفلى الفساد على ضروبه وسفك الدماء ، ومثل هذا الكائن فكيف يصح أن يكون خليفة لله في الأرض ، أى مكلفا لتحقيق مقاصده فيها ؟ فأجابهم بحبيب من صميم معرفتهم بالله ، أنه يعلم ما لا يعلمون

وتلا هذا أن خلق الله آدم ، وطبع في صميم مناه كل ما هو مستمد له للنوع الانساني من الرق العنقوي والعنوي ، والسمو الروحي والمادى ، فلما تبين للملائكة ذلك ، قالوا : سبعا نك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . وأكبروا شأن الانسان ، وأدركوا أنه أهل لخلافة الله في الأرض .

فأنت ترى من هذا مبلغ تشريف الله لقدرا للانسان ، وسمو الفطرة التي فطره عليها ، وبعد العناية التي خلقه لها ، فهو معتبر في الاسلام بأنه خليفة الله على العالم الذي وجد فيه ، يسير فيه سيرة للرشد الربى ، المهد له طرق الترقى ، وأنه أهل لأن يبلغ شأوا يبرز فيه الملائكة ، ويكون فيه أهلا لتبجيلهم وتعظيمهم باعتبار أنه أرفع درجة منهم ، وأنه قد دفع به الى رقى مادى وأدبى لا يقف عند حد ، بحيث يرى الملأ الأعلى أن النظر اليه من موجبات تسبيح الله على سمو جيلته .

وقد نبه الله في كتابه الى أن سمو هذه الفطرة الانسانية قد اقتضى أن تستند اليه الهام التي تفتضيها الاخلافة الالهية في الأرض ، فقال الله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جعيما منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى بعد مدى سلطان الانسان على العوالم المادية ، إذ ليس بعد تسخيرها له مرمى فى تسليطه عليها ، ومثل هذا القول من المعجزات الفلسفية للكتاب الالهى ، فلم يقل به أحد قبل القرن التاسع عشر من الناحية العلمية . فقد اعتبر الكون

دائماً مجهولاً سرعياً ، وقد أله فواء المختلفة الأقدمون وعبدوها . وكان الإنسان منذ زمان قريب إذا سمع جلبة الرعد ، وهزيم الرياح ، ولمح وميض البرق ، أخذته رعدة وكاد يصعق فرقا . ولكننا آتسنا أن الإنسان كما سحر الماء والنار ، وذات الكهرياء والبهار ، وكبح جراح الأهوية والبحار ، عامل على تفسير بقية العوالم ، فالأصل إليه بحواسه المجردة ، صوب إليه من آلاته وأدواته ما يقتاده خاضعا مستسلما .

هذا السلطان العظيم الذي استتب للإنسان في هذا العالم ، قد كشف عنه الاسلام قبل أن تظهر بوادره ، بل قبل أن يطمئن الإنسان على وجوده في الأرض . وهو ما كشف عنه وأحاطه بضروب من الإكبار ، إلا وهو معتبر إياه حقا صريحا للإنسان ، بل مظهر ما غرسه في صميم معناه من القوى المؤدية إليه . فلا تقول والحالة هذه إن الاسلام يسمح بأن يشتغل الإنسان في ترفية المحسوسات وإيصالها إلى كمالها ، ولكننا نقول إنه مخلوق لذلك بحكم الفطرة التي فطره الله عليها ، وعدم بسببها خيفة له في الأرض . فالمسلم الذي يتلو القرآن حق تلاوته ، ويتبع سبيل المؤمنين قبله ، يتأدى حتما إلى مثل ما تأدوا إليه من الترفيات الصورية والمعنوية ، بالعمل للتواصل فيها ، كما عمل آباؤه حتى بلغوا غاية من الارتقاء لم يصل إليها أحد قبلهم .

كثيرا ما عجب الباحثون من شدة نهيم المسلمين في الأخذ بكل ما وجدوه صالحا ونافعا في الأمم التي احتكوا بها ، ومن سرعة ما هضموه وتمثلوه غير مفرقين بين مصادره مادام خيرا محضاً ، أو مادام خيره أكثر من شره ، حتى جمعو بين ما لم يكن مجموعا قبلهم من علوم أم كان بينها بمد المشرفين ، ومن صنائع وفنون كانت معروفة عند قوم ومجهولة عند آخرين . فلو كانت أمة تدين بالمادية الباحقة لما استطاعت أن تبلغ شأوا المسلمين الأولين فيما بلغوه في سنين معدودة ، فما ظنك وهم مع ظهورهم بهذه المهمة المفرطة للعلوم والصنائع والفنون كانوا يمثلون أرق ضروب المتدينين الصادقين ، حتى قيل إنهم يزوا العالم جمع في شدة تمسكهم بالدين ، وسلوكهم طريق الزاهدين المحبتين .

حل هذه المسألة لا يسر على المعارف بالاسلام ، ولا يستدعي الإطالة في القول ، ذلك أن القرآن صرح بأن في الانسان من قيوم السموات والأرض نفعة روحانية ، ظهرت بأجل المظاهر وأكبرها شأنها في العقل والتفكير ، وفتح آفاق بعيدة في العلم والمعرفة ، وعدم وقوفه عند حد من النظر والاستدلال ، وفي شعوره الصميم بأنه أرفع من هذا العالم المادي المحسوس .

وقد نص الكتاب فوق هذا بأنه قد سُخر له مافي السموات ومافي الأرض ، وأن الله قد أقامه خليفة له في هذا العالم ، فكل هذه الأصول تزيد ارتباطه بالعالم الخارجي ، وتورطه في شئونه ، لا ارتباط الجزء بالكل بحسب ، ولكن زائداً عليه شعوراً بالهيمنة والسلطان ، فلا غرو أن ينظر كل مسلم إلى الكون نظراً الخائفة وبما وكل إليه أمره ، ليستطيع أن يضطلع بمهمته ، فتراه مضطراً لسبر غور كل مامض من غوامضه ، وتقدير بعد كل غاية من غاياته ، وتحليل تركيب كل كائن من كائناته ، متأثراً بدافع العجلة ، لأن قصر مدى الحياة لا يناسبه التسويف والتألم .

هذا هو السبب الحقيقي الذي جعل المسلمين لأولين العامرين بالدين ، يتذرعون بهذا التهم المفرط لتحصيل المعارف والعلوم ، والإلحاح بالعنائم والفنون ، مما لم يكن معروفاً لديهم ، ثم الاشتغال بدرسها وتمحيصها وزيادة مادتها والتطوع لنشرها بين الناس كافة وفيه دليل صلي على أن القومات التي وضعها الاسلام لتنظيم العلاقات بين الآخذين به والعالم الخارجي هي أدق القومات وأكرمها وأكثرها بركة .

نعم إن الانسان مدفوع بدوام الحاجة إلى تعرف أسرار الموجودات والاستفادة منها ، فهو ليس في حاجة لمن ينهبه إلى ذلك ، ولكن هناك فارقاً بين من يندفع في هذه السبيل بواسطة الحاجة المادية ، ومن يسلكها محفوذاً فوق هذا للدافع بدافع أرق منه ، وأعلق بالنفس ، وهو أنه في عمله فيه يقوم بخلافة مبدعه عليه ، والخلافة تقتضي

الهيمنة ، والتنظيم ، والترية ، والتكامل كما قدمنا . وكل هذه الصفات تقتضى أن يقتصرها الانسان من غرائزه ، وأن يستثيرها من أعماق طبيعته . فهل أعجب بعد هذا من قول التاريخ إن المسلمين كانوا أشد الأمم عملا في استغلال الطبيعة ، وتسخير قواها ، والابداع فيها ، وأنهم في الثلاثة القرون التي كانوا عاملين فيها بدينهم قد جربوا للانسانية من الخير العام ما لم تجليه لها الأمم كلها مجتمعة .

ومما يجب لفت نظر القراء اليه أن المسلمين أسسوا علاقاتهم بالوجود الخارجى على ما ذكرنا ، وتكلموا في كل منحنى من مناحى العلم ، وجالوا في كل مجال من مجالات الفلسفة ، ولم يصطدموا بالدين في أية مسألة من المسائل التي تورم فيها ظواهر النصوص الكتابية ، خلاف ما تثبته المقررات العلمية ، وهي العقبة التي ضمرت الكنيسة في أوروبا الى منع البحث العلمى أكثر من ألف سنة أى من القرن الخامس الى السادس عشر . فهذه ميزة الاسلام لم يثبت تاريخ العالم لها نظيرا لأمة من الأمم .

محمد قمبر ومحمد

اتقاء مسأخط الله

شاور معاوية الاحب بن قيس في استخلاف ابنه يزيد ، فسكت الأحنف . فقال له معاوية : مالك لا تقول ؟ فأجابه الأحنف : إن صدقتك أسخطناك ، وإن كذبتك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين هون عليا من سخط الله . فقال أمير المؤمنين صدقت . وكنبت مائسة رمى الله عنها الى معاوية . أما بعد فإن من يعمل بمسأخط الله يصير حامدا من الناس ذاما له والسلام

وكتب أبو الدرداء الى معاوية أيضا أما بعد فإنه من يلتمس رضاء الله يسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضاء الناس يسخط الله وكله الله الى الناس . أوس أبو جعفر المنصور الى سفيان الثوري ، فلما دخل عليه قال عفاي بأعبد الله . فقال له سفيان : وما عملت فيما علمت فاعطتك فيها جهنت ؟

فما وجد له المنصور جوابا

التفسير

سورة لقمان

- ١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هي السورة الحادية والثلاثون ، وآياتها أربع وثلاثون ، وقيل ثلاث وثلاثون ، وهي مكية كلها ، واستثنى بعضهم ثلاث آيات ، هن قوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أو أكلام أو البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » الى قوله عز وجل : « وأن الله بما تعملون خبير » روي أنها نزلت بالمدينة ، ورووا في سبب نزولهن أن أحبار اليهود بالمدينة قالوا له صلى الله عليه وسلم : بلغنا أنك تقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أعتبنا أم عنت قومك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كلا عنت ، فقالوا : إنك تعلم أنا أوتينا التوراة وفيها بيان كل شيء ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك في علم الله قليل ، فأنزل الله عليه هذه الآيات الثلاث ، وقيل بل آية « ولو أن ما في الأرض » والتي بعدها وقال بعضهم : السورة مكية كلها إلا آية « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » فإن فرضية الصلاة والزكاة كانت بالمدينة وهذا مردود ، فإن الصلاة فرضت ليلة الإسراء بالإجماع ، والإسراء كان قبل الهجرة ، على أن الصلاة كانت مشروعة قبلها : ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي على ما روى ، والزكاة أيضا شرعت في مكة ، وإن كان محمد بن الأنصاري على هذا الوجه المعروف كان بالمدينة ، فهي داخلة في البر المطلوب شرعا المرغب فيه على كل حال ، بل هي من الشرائع القديمة كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه

وعلى نبينا الصلاة والسلام: «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً». فإذا كان إيجابها على هذا الوجه للفصل ببيان الأنواع والأصناف بالمدينة فلا يتأني مشروعيها والترغيب فيها ولو ندبا قبل ذلك، فلا يدل اشتغال الآية على الزكاة وامتداح فاعليها على أنها مدنية.

قال تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم. أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ»:

سبق لنا الكلام في تفسير البسطة بما يناسب مشربنا في هذه المجلة من الاختصار على زبدة ما يفيد ويناسب جمهرة القارئ. ونجتزئ هنا بإعادة ما خص وجيز نرجو منه إفادة ما لا بد منه، وبأن من به الوقوع في صريح التكرار.

وكذلك نسلك هذا المسلك الموجز بتلخيص ما سبق لنا تقريره في تفسير الحروف في فواتح السور، والله المستعان.

«بسم الله الرحمن الرحيم»:

الباء للاستعانة، والاستعانة نطلق على منيين، أحدهما غير مراد هنا، وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على الآلة كقولك: كتبت بالقلم وقطعت بالسكين. فعنى الاستعانة في هذه الباء أن مدخولها مساعد للفاعل في تحصيل فعله، مستخدم استخدام المسخر في يد المسخر. والثاني وهو المراد هنا وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على من يستمد منه القوة على الفعل، فكان المستعين يبرأ من قوته بنفسه، ويظهر أن إمداده بالقوة التي بها يباشر هذا الفعل هو من مدخول الباء، وعليه يكون المستعين كالفرع في العمل للمعين، وموهبة القوة والافتقار على العمل آتية من ناحية المعين بالأصالة، وسرت إلى المستعين بطريق الفرعية، وهذا يتجلى واضحا فيما تسمعه من ألسنة الناس حين يقولون: فلان يجمع التبرعات باسم الجمعيات الخيرية، أي أنه استمد منها مقدرة على مطالبة الناس بـ ليس له حق في المطالبة به إذا رجع إلى ذاته هو، وكذلك يقول القائل: أنا أقبض على فلان باسم القانون، ومعنى ذلك أنني أستمد السلطة التي تمكنني من القبض عليه وتقييد حريته من سلطة القانون، وثولا استمدادى إليها ما كان لي عليه

حق . ويقول القائل : أنا أنهماكم عن هذا العمل باسم الدين ، أى أنى مستند فى منكم ومصادركم فى هذا العمل الذى تركبون الى قوة الدين التى لا قبيل لكم بمصادرها والخروج عليها .

ويقول المتدى ، فى عمل يحتاج فيه الى حفظ قوة ومضاء عزية واستمداد معونة عظيمة ، يقول : باسم الله ، أى أنى أستمد العون على هذا العمل العظيم من الله القوى القدير ، وحسبى استنادى الى تلك القوة القادرة التى لا يقف فى طريقها عرقلة لأمضى فى طريق مساعدتها مسددا ، فتجد فيها فوق سؤال المعونة من الله تقوية العزيمة ، وحفز الهمة لمضى فى عمله غير واثق ولا كسل ، وهو مع هذا سائل ربه أن يفيض عليه من معونته ما به يتم عمله على وجهه الأكمل .

ترى من هذا التقرير أن الآتى بالبسملة يسأل الله المعونة ، والسؤال إنما يتوجه الى ذات الله عز وجل ، ثم يستحضر ذاته عز وجل استحضارا يقوى إرادته ، وكأنه يضمن له النجاح فى عمله ، ووسيلة استحضار الذات الآلى هو إحضار اسمه الكريم فى ذاكرته ، يشعر أنه مستمد العون من قوة تضمن له النجاح ، وهذا هو السر فى ذكر لفظ الاسم ، وهذا هو المعنى الذى تفهمه ويتبادر الى ذهنك حين تسمع الاستعمال على هذا الوجه كما فى الأمثلة التى سردناها لك آنفا . فلفظ (اسم) يقال لما به استحضار المسمى ، فهو من السمة بمعنى العلامة الدالة . ويرى بعضهم أنه من السمو بمعنى العلو ، ويتمهل لذلك توجها بعيدا عما يتبادر الى الفهم إذ يدكر لفظ اسم أو أحد مشتقات هذه المادة كقولك سميت به وحضرنى اسمه وأمثال ذلك ، فإنما يتبادر منها معنى مايدل عليه ويعتبر علامة له . وحاصل توجبهم الذى أشرنا اليه هو أن الشئ لا يزال مغفورا فى ظلمات الجهالة حتى يوضع له اسم غير تقع ويسمو به إذ يكون ظاهرا معروفا . فانظر تجددم قد استعانوا فيما يزعمون من رفعتة وعلوه بظهوره وحضوره فى الذهن ، فكان الحضور فى الذهن هو أول ما يتبادر من مادة اسم ، ولفظ الجلالة اسم للذات

الأقدس الجامع لكل صفات التنزيه والتعجيد، ومعنى صفات التنزيه الصفات التي معناها سلى، كالوحدانية وعدم المثل والشريك، والبقاء والقدم. ومعنى صفات التعجيد الصفات الدالة على المعنى الإيماني، كالعلم والقدرة، والتدبير والخلق والرزق، والرحمة والإلزام.

فسماء الله الحسنى تجمد لكل اسم منها معنى خاصا يدل عليه، وأما لفظ الجلالة فاسم للذات المنزهة عن كل ما لا يليق، التعلية بكل كمال إلهي.

وه الرحمن الرحيم، صفتان مشبهتان من الرحمة بمعنى الإحسان، ومعنى الرحمن: من له تلك الآثار العظيمة التي تجعل أماننا في كل مظهر من مظاهر الوجود، خلق هذه الكائنات ملوثةا وسفاهةا، وإمطاء كل عالم منها من منى كماله وغاية نظمه، وتمهدها بالتنمية والحفظ والمعونة على وصولها إلى مراتب كمالها، كل أولئك أثر من آثار رحمته، فهو المفيض للرحمة إذ لا ينكرها أحد من العالمين، ولو استطاع لسان أن ينكرها لحظة حين يفقد نعمة من النعم فلن لسان حاله لا يلبث أن يفتن لبقائه نعمة فيلجأ إليه من وجل في أن يحفظها عليه. وهل المنتعر الذي يلتقي بنفسه في ظلمات الهلاك ترى علة لا تتحاره إلا أنه فقد في نظر نفسه بعض نعم الله عليه فلم يطلق لفقدها صبرا، فجزره جزعه إلى أن ينسحب من بقية النعم لأنه لم يطلق الصبر على فقد نعمة واحدة منها؟ ومعنى الرحيم: الذي دلت آثار رحمته المتوالية وشكرها وظهورها بأطراف في كل حال وفي كل عالم، علوي أو سفلي، نوع أو فرد، دلت تلك الآثار على أن رحمته من ذاته ثابتة راسخة لا تغيرها التبدلات، ولا يخشى عليها التقلبات. وصيغة فعل أكثر ما تستعمل في الملوك الراسخة كقولهم: شريف وكريم وبخيل وشحيح وأمثال ذلك، فكانه بالوصفين يشار إلى مظاهر الرحمة التي تراها في كل شيء، وإلى أن ذلك من الصفات الراسخة كرسوخ الملوك، والله المثل الأعلى، وإلا فلا يقال في جانب الله ملكة ولا حال، ويكون تقديم صيغة الرحمن على صيغة الرحيم من باب تقديم الدليل على المدلول

أو المقدمات على النتائج ، فإن من رأى تلك الظاهر الرحوتية متوالية في كل شيء . وفي كل آن ، جزم بأن رحمته ذاتية ليست متكلفة .

ويفسرهما بعضهم بأن الرحمن هو النعم يملأ كل النعم ، والرحيم هو النعم بدقائقها . فالأولى كسمة الإيجاد والإيمان والتخليد في دار النعيم ، والثانية كتمسير بعض أمور جزئية مما يعتبر أمرا كاليا ، أو مصادفة مطلب بفرب كان ينتظر أن يكذفيه كثيرا ، وقالوا في توجيههم : إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . ولفظ رحمن مركب من خمسة أحرف باحتساب المدة بعد الميم ، ولفظ رحيم مركب من أربعة ، ويكون وجه تقديم الرحمن على الرحيم البدي . بالآثم ، ثم تعقيبه بما هو كالمتم له ، للدلالة على أنه واهب كل شيء كبيرا كان أو صغيرا . ونرى التوجيه الأول أدق ، والله أعلم .

« آلم » :

هذه أسماء الحروف التي يتركب منها الكلمات ، وقد اختلف المفسرون في المراد منها في فوائج السور ، فقليل هي من التشابه الذي استأثر الله بعلمه ، وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور . والحكمة في بدء السور بها وإن لم يفهم المراد منها أن قرع السمع في أول الكلام بما يعي النفوس فهمه دافع لها أن تلذت وتصفى وتزيد يقظتها وتستقمى في التأمل ، فيزداد بذلك انتفاعها بفهم ما يليق عليها ، وذلك أن النفوس مولعة بتتبع ما لم تفهمه ، والاستقصاء في البحث عنه ، فلا تزال تردد ذهنها فيه ، وكلما ازدادت تأملا ازدادت من فوائده استنباطا وانتظاما ، والقرآن لا تنقضي عجائبه كما روى ذلك من على كرم الله وجهه . وأيضا في احتواء القرآن على ما لم يفهم ، وهو معنى التشابه في رأى الكثير ، اختيار للإيمان بالتيب الذي امتدح الله عز وجل صاحبه ، فهو في الأقوال بمنزلة التكليف بما لم تعرف حكمته تفصيلا من الأفعال ، كرى الجار في الحج ، يختبر به وسوخ الإيمان في النفوس ، وقوة اعتقادها بحكمة الآسر ، فهي نطيعه فيها فهمت حكمته وفيما

نفهم ، وهي تؤمن بأن ما نزل على يد الصادق المصدق هو من عند الله سواء فيما فهمته وفيما لم تفهمه ، وهذا لا يكون إلا حيث يرسخ الإيمان بصدق المبلغ في النفس رسوخا لا يزله تعاصي فهم بعض ما بلغ قياسه على ما ملأها يقينا وإيمانا .

ومن حكمة أيضا أنه يوجه نفوس المعرضين الى الاستماع ، فيهمم عليهم بما يليه من آيات الكتاب الحكيم ما يملك عليهم حواسهم ، ويحذب الى الهدى نفوسهم ، فقد كانوا يقولون بعضهم لبعض : لا نسمعوا لهذا القرآن والموا فيه ، فلما أنزلت السور البدوءة بحروف الهجاء وقرع سمعهم ما م يألفوا ، التفتوا وإذ هم أمام آيات بينات استهوت قلوبهم ، وجذبت اليها عقولهم ، فكان يؤمن من أراد الله له الإيمان ، ويقترب من الإيمان من شاء الله تأخير به الى أوان ، وتقوم الحجة في وجه أهل العناد والطغيان .

وقيل : بل للعنى المقصود منها معلوم ، وكونه من التشابه لا يمنع ذلك ، فالتشابه يلمسه الله والراسخون في العلم ، فإن الوقف في آية آل عمران وهي قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » هو على قوله : في العلم . قالوا وإلا كان للقرآن مشتملا على ما لم يفهم معناه ، فلم يكن نبينا وهدى ، ولم يكن بلسان عربي مبين ، ولم يصلح جميعه للتعدي به ، فإنه لا يتأتى التعدي بما لم يفهم . وعلى هذا قيل : إنها أسماء للسور البدوءة بها ، ولا يضر اشتراك مسميات عدة في اسم واحد ، كما يسمى جماعة كل منهم بمحمد أو عبد الله مثلا ، ويكون التمييز بينها بإضافة كلمة أخرى نحو آسم البقرة وآسم آل عمران ، وآسم لقمان ، وهكذا فطه ، وطس ، ويس ، وق ، ون ، كلها أسماء للسور البدوءة بها ، ولا يضر أن تسمى السورة بأول كلمة منها لتعرف به . وقيل بل هي أسماء للحروف التي تذل عليها في التهجى وإنما ذكرت لبيان أن ما سيتلى عليهم ويحجزون عن معارضته هو مؤلف مما تناله قدرم ويدور دائما على ألسنتهم ، فلا تعاصى في مادته على أحد منهم ، فإذا عجزوا عن تأليف هذه المادة ليسورة تأليفا يضاهى ما أنزل اليهم ، وقد زعموا أنهم أسراء الكلام وفرسان البيان ، تمت عليهم الحجة بأنه ليس من تأليف

البشر ، ووجب أن يمتدحوا بأنه من عند الله الحكيم العليم . وقيل بل هي إشارة الى أسماء وصفات ، فالألف إشارة الى لفظ الجلالة : الله ، واللام إشارة الى اسمه تعالى لطيف والميم إشارة الى اسمه تعالى الملك ، أو الألف إشارة الى الله ، واللام إشارة الى جبريل ، والميم إشارة الى محمد ، وكأن المعنى : الله نزل جبريل بالوحي الى محمد . وهي معان كما ترى لا تنبئ على قاعدة معلومة ، وهي أشبه بتجليات صوفية منها بمعان تنبئ على قواعد ثابتة ، فلعل أظهر هذه الأقوال إن قلنا إن المراد منها معلوم ، هو أنها أسماء للسور ، ولعل أظهر منه أنها من التشابه ، وحكمة الإتيان به ما قدمناه ، والله أعلم .

« تلك آيات الكتاب الحكيم » .

نجد ما يشبه هذه البداية في كثير من سور الذكر الحكيم : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » سورة البقرة . « المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه تنذر به وذكري للمؤمنين » سورة الأعراف . « آلئك آيات الكتاب الحكيم » سورة بؤنى . « آلئك آيات الكتاب الحكيم » سورة هود . « آلئك آيات الكتاب الحكيم » سورة يوسف . « آلئك آيات الكتاب الحكيم » سورة الرعد . « آلئك آيات الكتاب الحكيم » سورة الحجر . وغير ذلك من السور .

ولعل من السرف في هذه البداية أن التنويه في أول الكلام شأنه ، وجعله هو الكتاب الحدير بأن يستحق هذا الاسم من بين الكتب أو جعله آيات الكتاب ، وأن كل جزء متمارف منه مستقل بالقصد والإفادة آية على أنه منزل من حكيم عليم ، أو أنه كتاب قد أحكت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير ، أو مشابه ذلك من الصفات الشوقة لما سيتلى الميمنة لئلا يتركه ، أقول : لعل من السرف في تلك البداية أن التنويه بشأن الكلام في بدايته يبعث على الإصغاء اليه ، والاستماع بتدبر ، والتوجه بانتباه ويقظة ، فتمتلى النفس بالنور والهدى المنبعث من جنبانه ، فتكمل بذلك الرحمة للعالمين ، وهو المقصود

الأم . وحاش لله أن يكون هذا من قبيل التباهي والفخر الذي يعمد اليه بعض الشعراء .
تساميا وتعاليا ، وإنما هو من باب إشادة الناصح بقدر نصيحته حتى يكمل الانتفاع بها ،
والتحلي بحلالها ، والتخلي عما تدعو اليه .

والإشارة فيها إما للسورة المبدوءة أو للقرآن بجملة . ولا يقال كيف والجملة التي فيها
الإشارة جزء من المشار اليه ، لأنه لا مانع من أن يكون في جزء الشيء ، الإشارة الى
جمله ، وإنك لتجد في كثير من قصائد الشعراء أياتا في وصف القصيدة والتحدث عنها
وهي معدودة من حملتها ، كقول بعضهم في آخر قصيدة في النصيح :

وإليكها وصاحبة حنننها الدور الحسان

فلن اقتديت بها اهتدي م وإن أبيت فلا أشان

فهايتان يعلمان القصيدة برمتها ، ومع ذلك فهما معدودان جزءا منها ، وهو مستفيض
كثيرا في لسان البلغاء .

والآيات جمع آية بمعنى السلامة ، وأكثر ما تستعمل في الشيء يكون معهودا بين
متخاطبين يتخذ أحدهما دليلا على صدق رسوله الى صاحبه ، تقول لرسولك . قل لقمان
بآية ما كان بيني وبينه من حديث في موضوع كذا حين تقابلت في موضع كذا .
ووجه حسن هذا الاستعمال هنا أنه يشير الى ما أودع الله في فطرة الانسان من شواهد
بعلمها من نفسه ، فيعترف أن واهبها وموجدتها هو المهيمن على العالم ، للتصرف فيه
بقدرته وإرادته ، وأن النواميس التي بثها في أجزائه وجماعها عادة مطردة في خلقه لا تخضع
في اطرادها أو تخلفها إلا له ، فإذا ما خرفت المادة فيها على يد واحد من عباده خرقا
مقتربا بدعواه أنه مرسل من قبل الله عز وجل ، كان هذا الخرق كالتركيب لبي
الانسان بما أودع في فطرتهم ، وجملة شاهدها على ربوبيته لهم ، وأنه الذي خلقهم وتمهدهم
برحمته وتداركهم بهدائه ، وأن هذا كالمهد بينه عز وجل وبين خلقه ، فإذا جاءهم
الرسول يحمل هذه الأمارة كان ذلك دليلا صدقه . وهذا المعنى له نوع اتصال بما أشير

اليه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » على ما يراه بعض المحققين من المفسرين من أن هذا الا شاهد بواسطة ما أودع في خلقهم من دلائل ، وشه في نفوسهم من شعور يحملهم على الاعتراف بأنهم وكل ما يتصل بهم سريريون لرب العالمين ، فكذلك هنا قد جعل بمنزلة المبرود بين الله وخلقهم ، ما غرس في نفوسهم من تصديق الرسول يأتي بآية ليست في متناول أحد غيره إلا من اختصه المرسل بها ، فيطم أنه ما خصه بها إلا ليؤيده ويصدقها ، وتكون الآية بمنزلة : صدق عبدى في كل ما يبلغ عنى .

ولقد سبق لنا القول في المجلة في تفسير قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الآية ، في العدد لأول من المجلد السادس ، فعسى أن ترجع اليه .

والكتاب : أصله من كتب بمعنى جمع ، ومنه قولهم الكتيبة لأفراد الجيش المجتمعين . والحكيم بمعنى الحكم ، أى الذى وضعه صاحبه على وفق الحكمة ، وهى وضع الشيء فى المحل اللائق به ، أو بمعنى المشتغل على الحكمة الساعى إليها الهادى الى سبيلها . وفى القرآن والله لحد المعنيان ، فهو بحكم الترتيب ، متقن الوضع ، وهو أيضا مشتمل على الحكمة داع إليها هاد الى سبيلها . ويرى بعضهم أن نسبة الحكمة اليه على طريق التجوز أى الحكيم منزله ، فإن الحكمة صفة فى الأصل لمن له العلم ، وهذا متحقق فى المنزل جل شأنه ، ولكن فى التوجيهين السابقين ما يغنى عن هذا التجوز وإن كان فى ذاته مما يصح .

نسأله تعالى أن يفيض علينا من هدايته ، ويحققنا ببالغ حكمته ، إنه سميع مجيب .

براهيم الجبالى

حياة محمد

بقلم الدكتور هـ . فوستر

شبهات داحضة ، وحجة قاسية

نأتى اليوم على ملخص ما أورده الدكتور فوستر من الشبهات على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم في مجلة (ذى مسلم وورلد) التى تصدر بنيويورك ، ونتيمها بما يدحضها من الحقائق التى لا يختلف فيها اثنان .

ملخص شبهات الدكتور فوستر ، قال :

« إن محمداً وإن كان قد أعلن من نبوته مفاجأة ، فإنه كان قد استعد لها استعداداً عظيماً من اتصاله باليهود والنصارى .

« لا يوجد شك فى أن محمداً نشأ على دين آباءه مشركاً ، ويحتمل أن اشتهر به من عبادة الأوثان ومن ذبوع الشرور والآثام بين أهل مكة إذ ذاك ، وقد دفعاه الى الرجوع لدين قومه القديم وهو دين ابراهيم . فقد ألح فى أنه كان الدين السائد عليهم . » ولكن الأكثر احتمالاً أن فكرة التوحيد جاءت من عبادته مع اليهود

والنصارى ، ولكونه لا يعرف العبرية ولا اليونانية ، فلم تتح له فرصة الاطلاع على هذين الدينين فى مصادرها الأولية ، ولكنه تلقف حكايات عنهما من البسطاء لا التعلمين ، لذلك سرت اليه تلك التعريفات الغريبة والإضافات ، مما أقعّم فى الإنجيل بدتروله ، وهى نتيجة اخیال البشرى الذى لا يقف عند حد ، فأساء محمد فهم المسيحية ، ولكنه لم يفكر أن اليهودية والنصرانية كانتا من آثار العناية الإلهية لإغواء الناس من الشرور ، وكان الاسلام فى اعتقاده آخر الأديان وأكملها .

« إن محمداً ينجح الى توحيد اليهود أكثر من جنوحه الى توحيد النصارى ، فهو

لم يفهم روح المسيح . وقد كانت المسيحية الشرقية على عهده غارقة في الطقوس الدينية الملتزمة بالوثنية ، حتى نسيت الفدية والخفران والالقاء مع الله ، وطاعة قانون الحب العام . لذلك عاقبها الله بأن سلط عليها سيل الاسلام المدمر . وإن الكنيسة الغربية اليوم التي لا تمنى بغير السمات الدينية ، وفن البناء ، وجمع الثراء ، تعرض نفسها لسقوط شبيه بذلك السقوط .

« وإن أحاديثه مع أهل الديانات الكبرى وإن كانت أكثر تأثيراً في إعداداته لعمله الذي قام به ، فإن لاقتداره الشخصي في استغلال شوق الناس إلى النعم العظيم ، وهلمهم من العذاب المقيم ، تأثيراً أيضاً في جذب الناس إلى ديانتهم ، فقد كان من هذه الناحية يبرز (داني) في الوصف وسمة خيالي ،
ردنا على هذه الشبهات :

يقول الدكتور فوستر : إن محمداً قد استمد لنبوته استمداداً عظيماً باختلاطه باليهود والنصارى ، ولم يقل كيف يكون الاستعداد للنبوته ؟

لا مشاحة في أنه يريد بالنبوته النبوة الكاذبة ، ويريد بالاستعداد لها أن يتعلم مدعيها المسائل التي تمنى بها الأديان ، والأساليب التي تقبها في بث تعاليمها ، والفلسفة التي ندعها بها .

فأما المسائل التي تمنى بها الأديان فلا يجهلها أحد ، سواء أكان وثنياً أو موحداً ، لأنها ميراث عام للبشر كافة ، وهي لا تعدو سبع مسائل رئيسية ، وهي العقيدة في الله وفي الروح ، والخلود في حياة بعد هذه الحياة ، وفي وجود العالم الروحاني ، وفي لا نبيا ، وللرسولين والكتب الإلهية ، وفي صحة العقاب والثواب الأخرويين ، وما يتبع ذلك من الدعوة إلى عقائل الأخلاق ، وكرائم الآداب .

بقيت الأساليب التي تقبها الأديان في بث تعاليمها ، والفلسفة التي تستند على أصولها

في تدعيمها ، مما أطلق عليه اسم علم اللاهوت ، وهذا هو الذي يحتاج لدراسته طويلا ، وتفكير عميق .

فهل هذا العلم هو الذي استمده محمد صلى الله عليه وسلم تلقينه لدور النبوة الذي قام به ؟

لا يمتدح الدكتور فوستر بذلك ، وهو يقرر أن محمدا لم يقابل إلا العامة والسذج الأميين من اليهود والنصارى ، فلم يحصل منهم إلا ما هم أهل للإفضاء به من الأوهام والأكاذيب ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه حقيقة المسيح . فإذا اعتمدنا على قوله هذا أصبحنا لم نفهم معنى قوله إن محمدا استمد لادعاء النبوة استعدادا عظيما بمقابلته لرجال من هبتك الملتين . فهل الاستعداد العظيم لادعاء النبوة يكون بتلقف معلومات ناقصة وخرافية (كما يقول) من عامة أهل دينين سابقين ؟

وإذا كان ادعاء النبوة والنجاح فيها الى الخلد الذي بلغه محمد صلى الله عليه وسلم يتم بتصيد معلومات ناقصة من عامة بعض الأمم المتدنية ، فلم لم يتبع في دعوى النبوة العدد العديد من المعاصرين الذين جمعوا بين أدق ضروب الختل والخداع ، ثقافة علمية عالية ، فكان جزاؤهم أن اختضج أسرم ، وباءوا بحزى عظيم ؟

دعوى النبوة على القليل كسكل دعوى لا تقوم على قدميها حتى يستند لها دليل عملي . فن آدمي الشعر أو الكتابة أو الفلسفة أو أى صناعة أخرى عقلية أو مادية ، أمهله الناس حتى يقدم الدليل على ما يقول من قرص الشعر ، أو تحبير المقالات ، أو بسط الآراء والمذهب وتحليلها واستخلاص لبائها الخ ، فإن لم يفعل ، أو فعل ولم يحسن ، لفظ لفظ النواة ، وكتب في سجل المدعين .

فدعوى النبوة أمر جلال ، وهي تمس أخص حالات الإنسان النفسية والعقلية ، والنجاح فيها لا يكفي فيه الدليل القاطع فحسب ، ولكن يجب أن يصحبه سمو خلق عظيم ، وتأثير روحاني كبير . وليس في تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح

الباهر الذي أصابه محمد صلى الله عليه وسلم عقب دعواه النبوة . فاسأله كما يقول العبقري الانجيزي الكبير (كارلايل) : « ماذا نطلب من الأدلة على صدق من يدعى لك أنه بقاء أكثر من أن يبنى لك صرحا يبق أكثر من ألف ومائتي عام ، ويؤوى أكثر من مائتي مليون نسمة ؟ »

وإذا أصر الدكتور فوستر على أن الأنبياء الكذبة قد يتجسسون في خدع أثوف الملايين من الناس في عدد عديد من القرون ، فقد أطل حجة الله على عباده ، ولم يكن هناك وجه لمؤاخذه أحد على الأخذ بأي دين أراد مادامت لا توجد أوصاف مميزة للصادقين في دعوائهم والكاذبين ، ومادام التأييد الإلهي يصيب هؤلاء ، وأولئك بدون تفریق ، وهذا ما لم يسمع به في عهد من عهد اليهود العقلية الانسانية .

يبدى الدكتور فوستر الثقة كلها في أن محمدا كان في أول أمره مشركا ثم اهتدى الى التوحيد من ختلاطه بالنصارى واليهود .

فأما أنه كان مشركا فليس لدى الدكتور فوستر عليه لادليل ولا شبه دليل ، غير ما يملكه من عاطفة التعيز وشهوة التحقير . وإنما لنعبر فيه الشك عن هذا الموضوع من ضروب الجرأة التي لا يسمح بها لباحث في القرن العشرين ، إلا إذا كان بيده حجة محسوسة على ما يقول . وأين هي من الدكتور فوستر في العالم الجديد ؟ أنصت على ذلك الكتب السماوية التي بين يديه ، وقد أنزل آخرها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بستة قرون ؟ أم عثر في بعض رحلاته في بلاد العرب على كتابات حجرية ، أو منحورات وثنية تشير الى ما يدعيه ، ولم تعلم عنه رحلة واحدة الى بلاد العرب ، ولم يثر غيره على شيء من هذا القليل ؟

وهل عدم الشرك قبل النبوة شرط في حصولها بواسطة الهداية الإلهية ؟ لم يقل بذلك ذو عقل في العالمين . فإن كان فاتها الدكتور فوستر بصيغة التأكيد وليس عنده عليها شبه دليل ، فقد طعن في كفايته لبحث ، وشكك الناس في كل ما يقول ، فإنه

ليس من صفات التثنيتين أن يسرفوا في تأكيدهم وفي ترجيحاتهم ، بل في ظنونهم ،
بغير أدلة من دليل .

وأما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ التوحيد عن المصاري واليهود ، فهو من
أغرب ما يقوله باحث غير رشيد

فتى كان التوحيد مجهولا في عهد من عهود البشر حتى يضطر أحد الناس ، وإن كان
في أحط دركات الغباء ، أن يتعلمه من الغير ؟ يجوز أن يكون في البله والمعتوهين ، وفي
الأطفال في سنهم الثانية ، من يجهل الاثنين والثلاثة ، ولكن ليس فيهم من يجهل
الواحد على وجه التعمين .

فإن كان أمر يقتضى أن يسبقه التعليم والتأنيب من أمور الدين ، فذلك يعقل
فيما يدعى في ذات الله من التثنية والتثليث ، أو ما فوق هذا القدر من التعميد ،
أما التوحيد فلا يعقل أن يجهل بوجه من الوجوه ، لا سيما وقد أثبت الدكتور الكبير
ماكس مولار من اطلاعه على أقدم المخطوطات لدى الهنود والصينيين ، أن الديانة العالمية
كان أسسها التوحيد ، وما نشأ التعميد إلا بعد أن لعب الخيال دوره من قريب .

على أنه ماذا أخذ محمد صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى الذين كانوا في بلاده
عن العقيدة بالتوحيد ، وقد تولاها الكتاب الكريم عليها بالنقد ، ونفى عليهم ما نسبوا
فيه عن سلطان العقل ، وما تورطوا فيه من حماة الجهل ، حتى قال فيهم : « وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »

أما ما قاله الدكتور فوستر : أن محمدا لم يلق إلا الجاهلين الأميين من اليهود
والنصارى ، فتلطف عنهم خرافات عقائدهم مما أدمج في الكتب المقدسة وأضيف إليها
وليس منها ، فذلك أعجب من كل ما مر . فإذا كان الدكتور فوستر يقول إن التوراة
والانجيل قد كابدا تحريفا وأدخل اليهما إضافات ليست منهما ، وألحقت باليهودية
والمسيحية خرافات لا تمت إليهما بسبب ، فليبين لنا ذلك بصراحة يمكن الاعتماد عليها .

أما القرآن الكريم فلم يتناول بالنقد إلا ما كان عليه اليهود والنصارى وما لا يزالون عليه رسميا إلى اليوم .

ولا ننكر أن في هاتين الملتين رجالاتهم على كتابهما نقد عظيم ، ونظرات صادقة بعيدة المدى ، ولكنهم معتبرين كفر أو مبتدعة في نظر اليهود والنصارى ، فهل فوستر من هؤلاء ؟

وإن كان هو منهم وجب عليه أن يعظم القرآن ويعترف بإمامته باعتباره أول من فتح عيون البشر للنقد ، ووجهها للنظر والتحصيل .

ولكن الدكتور فوستر ليس من هؤلاء ، فإنه لا يزال يقول إن محمد لم يفهم المسيح . وهذا يُشعر بأن له فهما في المسيح غير ما يفهمه الإنسان لأول وهلة . إن كان كذلك فله فهمه ، ولكن الناس وفي مقدمتهم أولو العلم والحكمة في جميع الأجيال لا يستطيعون أن يفهموا إلا ما دل عليه القرآن من أمر عيسى عليه السلام ، وهو أنه رسول من رسل الله المكرمين .

محمد فريد وجدي

كلمات حكيمة عن الفاروق

قال عمر رضي الله عنه : ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لم فيه أربع حصص : فقولا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفذ أولاه ، وأمل لا يسبغ مداه .
وجاء في فصول فصار من كلامه رضي الله عنه :

من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الرولة من شقيت به رعيه . عقل الناس أعدرم الناس . ما أخطر صرفا بأذهب عقول الرجال من الطمع . لا يكون حبك كلفا ، ولا نصيبك تلفا . سر دوى القرايات أن يتراووا ولا يسجاووا . فما أدبر نهى فأقبل . أشكو إلى الله ضعف الأيمن وخيانة القوى . تكثروا من أعيال فانكم لا تدرون بمن تزفون . لو أن الفكر والصبر بغير أن ما مالبت بهما أركب . ومن لا يعرف الشر كان أحدر أن يقع فيه .

مسألة في الوصية

ورد الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى هذا السؤال :

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فأشرف بإرسال السؤال المرفق بجوابي هذا ، وأرجو من فضيلتكم أن
تفيدونا بما ترونه في هذه المسألة ، ولكم الشكر الجزيل .

ما قولكم دام فضلكم في وصية من رجل في شدة مرضه مشتملة على الإيصاء
بتقد معين يوزع على أناس معينين ، ويوقف عقار معين على شخص من القرابة غير وارث
وهي ذريته من بعده ، والثالث يسمع الجميع ، وحال أن المريض المذكور لم يوص بثلاث .
والذي أملاه الوصية هو ذلك الشخص المذكور الذي جعل لنفسه العقار ، وقد أحضر
شاهدين عند المريض فقرأ الوصية أحد الشاهدين فقالا للمريض : أنشهد عليك ؟ قال
نعم ، فذهبا الى القاضي وشهدا شهادة بحجة ، وكتب القاضي : بموجب شهادتهما ثبتت لدى
هذه الوصية وصحت . وفي الوصية أن الوصي ابنه . وقبل تحقق رشده جعل الناظر عليه
للموصى له بوقفية العقار المذكور . وبعد وفاة الموصى صار للمتولى هو الناظر ، فآاز العقار
لنفسه ، وأخرج بعض النقود للموصى بها . ثم إن ابن الموصى المذكور أثبت رشده .
وبذلك ارتفع نظر الناظر عنه . وبعد ذلك قام ذلك الابن بعد بلوغ رشده يدعى بطلان
الوصية بزعمه أن والده حين الإيصاء لم يكن في حسه وغمام شعوره . وحصل النزاع
بين ابن الموصى وبين الناظر الموقوف عليه العقار ، فادعى الابن بدعواه المذكورة ،
وأنكر الناظر ذلك ، واحتج على صحة الوصية بتثبيت القاضي عليها بعد شهادة
الشاهدين ، وأحضر الحاكم الشاهدين الوصية ليستبين منهما الشهادة ، فأجاب أحدهما

بأن الموصى كان ناقص الخواص حين الإشهاد ، والآخرون قالوا : أنا لا أجزم بوجود حواصه ولا بعدمها حين الإشهاد له على الوصية ، وقد أقام المدعى شهوداً عدولاً متعددين يشهدون أن الموصى لم يكن في شعوره ولم تكن حواصه حاضرة ، كما أقام المدعى عليه شهوداً أنه كان في شعوره ومن شهود المدعى عليه من له شيء معين في الوصية المذكورة على لسان الموصى .

فهل يمد ذلك من الشاهدين رجوعاً عن الشهادة الأولى ؟ وهل تثبتت الغاضى على الوصية بعد حكماً أم لا ؟ وبوجد في الوصية إمضاء الموصى بقلمه ولكن الابن يعارض في ذلك .

أنتونا مأجورين ، ولكم من الله لأجر والثواب مـ سلمان بن أحمد كمال
صاحب المكتبة الكالية بالحرين

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد راجعنا بعض كتب الفقه عندنا ، وسئتلو عليك بمض تلك النصوص . وهاك ما استخلصناه منها :

(أولاً) قول القاضى الذى وقع أمامه الإشهاد على الوصية : « بموجب شهادتهما ثبتت لدى هذه الوصية وصحت » ليس حكماً بصحة الوصية غير قابل للنقض وإعادة النظر فيها . وذلك لأن الحكم عندنا معشر المالكية وإن كان لا يتوقف على لفظ حكمت بل يحصل بغيره كقول القاضى : نقلت ذلك ، إلا أنه لا يكون حكماً إلا بعد استيفاء ما لا بد منه قبله ، ومنه الإعذار للخصم في بيعة المدعى . وفي الحادثة المسئول عنها لم يحصل إعذار له ، لأن الخصم فيها لم يحضر ، والإشهاد على الوصية لدى القاضى ، بل لو حضر لكان حضوره غير معتبر لعدم رشده إذ ذاك كما يفيد نص الاستفتاء ، وإذا فاصدر من القاضى لا يزيد على كونه إثبات حالة قابلة للنظر فيها بعد .

(ثاني) نص الأمير في حاشيته على مجموعه أن من شرط الوصى أن يكون غير محلط حين الإيصاء ، ونص أيضا نقلا عن السيد أن الوصى له أن ادعى أن الوصية وقعت حال التمييز من الوصى فعليه إثبات ذلك .

(ثالثا) حيث إن للسألة بناء على ما قدمناه لم يقع فيها حكم ، فرجوع شاهدي الوصية في شهادتهما حيث قل أحدهما : إن الوصى كان ناقص الخواسب عند الإيصاء ، وقال الآخر : أنا لا أجزم ، هذا الرجوع معتبر بأنه قبل الحكم ، وإذن فشهادتهما الأولى لاغية لا تثبت بها الوصية .

(رابعا) نص المقام ، على أنه إذا وجد بينتان متعارضتان وجب أن يصار فيهما إلى الترجيح إن أمكن ، كزيادة العدالة في واحدة منهما ، فإنه يجب الأخذ بقولها دون قول الأخرى ، وكوجود نية معتد بها توجب سقوط إحدى البيعتين . فإن لم يوجد مرجع سقطتا . هذا ويجرد كون الشهود من إخوان الشهود له لا يقتضي بطلان الشهادة ولو كان الشاهد صديقا للشهود له متى كان مبرزاً في العدالة ولم يكن ممن يتفق عليه الشهود له .

الخلاصة :

واخلاصة أنه يظهر من وقائع هذه الدعوى أن هذه الوصية لم يقم دليل صحيح على صحتها واعتبارها شرعا . فلما أن يقيم الوصى لهم دليلا صحيحا سالما من المعارضة على أن الوصى كان أهلا للوصية حين الإيصاء ، وإذا يجب تنفيذها ، وإلا فهي باطلة ونرجع الأعيان الموصى بها ميراثا . ولا بد حين قيام البيئة المفضية لصحة الوصية من ثبوت أن التوقيع عليها كان بخط الوصى ، لأن ابته يظن في ذلك ، ويدعى أن التوقيع ليس بخطه . أسأل الله أن يلهنا جيما الرشد في القول والعمل بمنه وكرمه .

برسف الربوي
من جماعة كبار العلماء

مسألة في الطلاق

حكم من قال على الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله

وورد أيضا الى فضيلته السؤال الآتي :

ما قولكم دام فضلكم في رجل قال على الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله وتكرر ذلك منه ثلاث مرات ويريد الآن أن يتزوج فإذا يكون الحال ؟
نرجوكم الإجابة على المذاهب الأربعة إن أمكن ، وإن تفضلتم بذكر النصوص كان لفضيلتكم شكر على شكر .
والسلام عليكم ورحمة الله

سليمان احمد رجب

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد بحثنا في كتب المذاهب الأربعة . ولتسق بعض نصوصها إجابة لرغبة السائل فنقول :

إن هذه الصيغة التي ذكرت في السؤال لنحو لا يقع بها شيء عند الشافعية إلا إذا كان على عصمة مملوكة . قال في شرح المنهج : « وشرط في المحل كونه زوجة مملوكة لمطلق ، فلو قال : كل امرأة أنكحها فهي طالق ثم نكح امرأة لم تطلق ، وعند الحنفية لا يقع إلا إذا كان في الملك أو مضاه أي معلقا على سبب الملك بأن قال : إن نكحت امرأة أو فلانة فهي طالق فنكحها طلقت .

وظاهر أن ذلك مبني على قاعدة عندم وهي أن الطلاق المعلق متعز عند وجود للشرط . فن قال : إن نكحت امرأة فهي طالق فكأنه قال لها : أنت طالق عقيب

النكاح ، فكان الطلاق في الملك يقع . وأما عند الشافعية فالشرط قيد ، فكانه قال : أنت طالق وقت النكاح ، فكان في غير الملك فلا يقع .

وعند الحنابلة كذلك لا يقع الطلاق ولا يصح تعليقه إلا في الملك . قال في الإيضاح : فإن قالت له أي زوجته : قل : كل امرأة أزوجها غيرك فهي طالق ، فقال ذلك ولم يكن له زوجة غيرها ثم تزوج امرأة ، لم تطلق ، أي لأنه لم يكن مالكا لمصبتها وقت التعليق . وهذا هو المذهب عندنا . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الطلاق لمن أخذ بالناس »

وأما عند المالكية فقد شرطوا شروطا نص عليها في شرح الخرشي قال : « وشرط المحل الذي يقع فيه الطلاق أن يكون مملوكا للزوج قبل نفوذ الطلاق ، سواء أكان ملكه حين التلفظ به ملكا محققا كزوجته التي في عصمته أم تعليقا ، سواء أكان التعليق بالنية كقوله لأجنبية : أنت طالق ونوى إن تزوجها ، وأنت طالق إن دخلت الدار ونوى إن دخلها بعد سكاحها ، أو بإسقاط كقوله عند خطبة امرأة : هي طالق ، لأن وقوع هذا الكلام عند الخطبة بإسقاط يدل على التعليق ولو مع فقد النية ، ومثل ذلك ما إذا قال ذلك حين قيل له : تزوج فلانة » .

فهذا هو حكم ما سألت عنه في المذهب الأربعة قد تلوناك عليك ، ووكلنا أمر الاختيار اليك ، والله يتولى هدايتنا جميعا بمنه وكرمه .
يوسف الرمزي
من جماعة كبار العلماء

بعد الدار أجلب للمودة

قال أكرم من صيني تباعدوا في الدار تنقاربوا في المودة .

وقال رجل لخالد بن صفوان : إني أحبك . فقال خالد : وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم ، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

محمد صلى الله عليه وسلم

في تقدير المتصنين من تادة الأفكار في أوربا

اشتهرت في كل دور من دوار المسدنيات الإنسانية نساء بلغن شأوكبار الرجال في العلم والفلسفة والآداب. فمن هؤلاء العبقريات في هذا العصر (أنى يزانت) Annie Besant، وهي انجليزية الأصل، وقفت حياتها على العلم والفلسفة، فبدأت مسيحية تقية، ولكنها لما لم تقف من مباحثها عند حد، أدركها الإلحاد، فلما توغلت في عالم الحقائق استنار قلبها بإيمان راسخ بالحق على قواعد علمية بحث كإيمان العلماء المنهين، ومالت إلى التصوف في شكله المعروف في العالم الغربي باسم التيو صوفية، فسلم لها أهل هذه الطائفة الزعامة العامة لجماعاتهم، فقامت بما عهد إليها من هذه الزعامة على أقوم السبل، وأدق الأساليب العلمية. وقامت بتأليف نحو خمسة وعشرين كتاباً كان لها جميعاً شهرة عالمية، وقد ترجم أكثرها إلى لغات عديدة.

وقد توفيت هذه السيدة العظيمة منذ نحو ثلاث سنين، وحملت التناخرات العامة والخاصة خبر وفاتها إلى أربعة أرجاء المعمورة، مشفوعاً بكل إكبار وتقدير لجهودها العظيمة في خدمة العقل والروح مما.

من مؤلفات هذه السيدة كتاب كبير عرضت فيه لتأريخ الديانات، وجوده بالهند، ومنها الإسلام، وقد كتبت فيه فصلاً يدل على بعمد نظر، وسعة اطلاع، وحب للحقيقة، نرى أن ترجمه لقراء مجلة الأزهر، فإن فيه مظهرًا جديدًا من مظاهر تأثير الروح المحمدية في العقول، وسريان سلطانها في القلوب، حتى قلوب الذين لا يعرفون لغة القرآن الكريم.

لنبدأ الآن في تعريف ذلك البحث، قالت:

«توجد أربع مسائل تجب دراستها في كل ديانة، وهي: (١) حياة مؤسسها الذي لا بد

من أن تطيع صودة روحه وأخلاقه عليها . (٢) الناحية العامة لتلك الديانة وهي ما يُسمح به للدهماء . (٣) فلسفة تلك الديانة ، وهي ما تقتضيه حالة الطبقة السفلى . (٤) حاجتها الفلبية ، وهي مظهر الحاجة الخالدة للنفس البشرية التي لا تفتأ تزج الى الانصال بمصدها الأول ، فلندرس الاسلام تحت ضوء هذه التقاسيم :

« اتيمنى أيها الفارئ الى سورية وبلاد العرب في القرن السادس المسيحي ، تبعدى وانظر في حالة بلاد العرب الجميلة وسورية التي وطنها أقدام المسيح ، فإنك تجد الحرب الدينية يتأجج سعيها في كل مكان ، تهدم البلدان وتفرق بين الناس . معارك وحشية دموية ، وأحقاد تتوارث من جيل الى جيل ، غارسة بذور الشقاق بين الآحاد والقبائل والشعوب . انظر الى بلاد العرب ، تلك اليفعة التي تسود فيها وثنية وحشية قاسية تسمح بالتضحية بالنفوس البشرية لمرضاة الأوثان ، حيث كان عباد الله يقيمون الولائم بأجساد الموتى ، وحيث كانت الشهوات البهيمية قد حلت محل الحب الانساني ، والإيابة محل الحياة البهيمية ، وحيث كانت الحروب الطاحنة التي لا تحدد نازها تشب لا تفه الأسباب ، وحيث كان الرجل يقتل قريبه ، والجار يهلك جاره ، وحيث كانت الحياة على وجه الإجمال قد فسدت الى حد لا يمكن أن يصنفه إنسان .

« في مسمان هذا السمبر المحرق من الشهوات ، وسفك الدماء ، ولإيابة الحيوانية ، والقسوة البهيمية ، ولد طفل فاتحاً عينيه البريكتين للسنود ، وكان ذلك في ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ في مدينة مكة من قبيلة قريش . وكان أبوه قد مات قبل ميلاده ببضعة أسابيع ، ولحقت أمه بأبيه بعد بضعة سنين .

« كبر هذا الطفل وترعرع في بيت جده ، هادئ النفس ، كثير الصمت ، ذا طبع جذاب لطيف ، صبوراً ، تحبباً الى قلوب الناس . ولم تمض إلا بضعة سنين حتى مات جده ، فكفله عمه أبو طالب ، وهو أنبل جيم أقرابه طبعاً ، وأحنام عليه نفساً . كفله بعد أن ذاق مرارة اليتيم مرتين بل ثلاثاً . فلبث عند عمه حتى بلغ سن الشباب ، فسافر الى الشام

لما زولة الأحمال التجارية متأملا في كل ما هو حوله من مشاهد ينظر ناقب نفاذ
« فلما بلغ الرابعة والعشرين سافر الى الشام في تجارة إحدى قريباته ، خديجة ، وكانت
أسن منه . ولما عاد وجدته من الأمانة والقناعة والطهر والاستقامة بحيث رآهنته
زوجا لها ، ولم يكن محمد قد أوتى النبوة بعد . ولم تكن خديجة إذ ذاك أول المؤمنين به .
ومع كونه في ميعة الصبا ، وامرأته أكبر منه سنا ، فلمهما سعدا بزواجهما ، وعاشا معيشة
تعتبر مثلا أعلى في هذه الحياة ، الى اليوم الذي توفيت فيه خديجة نازكة زوجها في
الحسين من عمره ، بعد أن أمضت معه حياة زوجية هنيئة ستا وعشرين سنة .

« أنت على محمد بعد الزواج خمس عشرة سنة قضتها في التأملات وهو هادي البال
من ناحية حياته الداخلية ، ولكنها كانت من أهول السنين من ناحية مكافاته الباطنية .
« كان محمدا إذا سار في طرقات مكة احثف به العصية وتعلقوا بركبتيه ، فكان
يقابلهم بكلمات طيبة ، وملاطفات تناسب طفولتهم . لم يُعهد عليه قط أنه أخلف
وعدا ، أو نجهم فقيرا أو محزونا ، ولكنه كان عنده لها من النصيح ما يخفف ما بهما .
وقد لقبه جيرانه بالأمين الجدير بالكون اليه ، وهو جليل نقب يمكن أن يحصل
إنسان عليه .

« ولكن بينما كانت حياة محمد الداخلية على هذه الحالة من النفع والطيبة وللمعونة ،
أتدري ماذا كان عليه في حياته الباطنية ؟ ، من ذا الذي يستطيع أن يصف تلك
الأصاير من الهم والكمد التي كان يكافها هذا النبي المستقبل ، ويمدها عنه في الصحراء
المحيطة به ، التي كان ينازع فيها نفسه بنفسه ؟ من ذا الذي يستطيع أن يصف واحدة
من هذه المعارك الباطنية التي لا يعرفها إلا لرجال المحصوصون بالوحي الإلهي ؟ فكان
محمد ، وقلبه مجال هذه المعارك ، يفرغ الى الصحراء كلما اشتدت حملتها عليه ، وظل على
هذه الحال الشهور تلبها الشهور ، حتى بلغت خمس عشرة سنة . فكان يأوي الى غار في
وسط الصحراء وحيدا ساكنا متأملا راجيا الله ، والشك المرير في نفسه يحيق به سائلا

نفسه عن معنى الرسالة التي كان يتوقعها حتى سمع قائلاً يقول له : « تكلم باسم ربك » فأجابه هو : « ومن أنا حتى أنسلكم ، وماذا يجب علي أن أعلن للناس ؟ » أيتكلم وهو عرضة لتأثرات الشك والهم ، وفي بأس من كفايته الذاتية ؟ فكيف يثق بهذا الصوت الذي يناديه من قرارة قلبه وهو أمي ، ولم يستعد لما يندب إليه ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا الصوت الباطني أنراً من كبريائه لذاتي ، ومن اعتداده بنفسه ، ومن تعطشه للسلطان ، وليس هو بصوت الله بأسره أن ينشر كلمته في الأرض ؟

« مضت علي محمد في هذه الحلال خمس عشرة سنة ، وهي حالة من الكفاح والنزاع لا يقدرها حق قدرها إلا الأقلون .

« ولكن حدث ذات ليلة صافية الأديم ، أنه بينما كان مستلقياً على الأرض غرقاً في همومه وآلامه ، أن غشيه نور نزل إليه من السماء ، وإذا بملك كريم واقف أمامه وهو يقول : « قم إنك رسول الله ، فطاف الأرض وتكلم باسم الله » .

« فسأله محمد : « وماذا أقول للناس » ؟

« فأجابه الملك : « قل » ، ثم أخذ يعلمه ما يجب أن يعرفه من تكوين العوالم ، وخلق الإنسان ، ونوحيد الله ، ووجود الملائكة ، وبين له العمل الذي يجب عليه أن يؤديه .

« فهذا الرجل الذي كان أشد الناس اعتزالاً للناس أصبح مصدراً لحياة أمة برمنها ، وقد أمر أن يذهب إليها بنفسه ، وأن يختلط بها ويكلمها ، يكلمها باسم مولاه ، الله .

« ما كاد محمد يلقى إليه هذا الوحي حتى أسرع إلى خديجة قائلاً : « ماذا أفعل ؟ من أنا ؟ وماذا أصابني ؟ »

« فأجابه زوجته الأمينة بصوتها الهادي المنزن : « إنك مخلص أميين ، ولست بمخلف للوعد ، الناس يعرفون لك ما أنت عليه من أخلاق ، والله لا يفرد بعبد أميين مثلك ، فاتبع ما يلقى إليك واطع النداء » . فكان هذا الكلام من امرأته ، وهي أولى أتباعه ، نافثاً روح الشجاعة إلى هذا القلب البشري الذي خارت قواه أمام عظمة المهمة

التي عهد بها اليه . فنهض محمد شاعرا بأنه ليس على ما كان عليه في أمسه رجلا بسيطا ، ولكنه نبي البلاد العربية ، الذي سيجعل منها مملكة منظمة ، ودولة مهيبة ، يحمل خلفاؤه عليها الى أوربا مشكاة العلم ، بمد أن أنطونات فيها ، وأنهم سيؤسسون أمبراطوريات قوية ، وأنهم سيقومون أمام الله بمعبدة لم يعهد لها مثيل في أية ديانة أخرى .

« نعم : فإنه يجب عليكم جميعا معشر الذين لا تتبعون ديانة هذا النبي العربي أن تتحققوا بأنه لا يوجد في جميع الديانات البشرية ديانة نوحى الى الأخذ بها عقيدة آيين صحة ، وأعلق بنفس صاحبها ، من الديانة التي خرجت من فم النبي العربي .

« وإذا كان الأمر كما يقول الفيلسوف بن (Bain) أن العقيدة تثبت صحتها بسيرة أهلها ، فتأمل في تباع محمد ، وانظر كيف تتحكم أقواله الى اليوم في أعمال الناس .

« لا يوجد مسلم في الأرض ينجل من السجود في الصلاة ، وإن كان حوله جمهور من المستهترئين الذين يكرهون النبي الذي ينتمى اليه . فانظر الى أي مدى قهرت العقيدة عند أتباعه كل خوف من الموت فأبن تصادف بطولة مثل بطولة هؤلاء الدراويش الافريقيين الذين افتحدوا عجالات سلطت عليه بنادق كالتنج ، ووقعوا صفا بعد صف قبل أن يصلوا الى أعدائهم ، سائرين الى الموت ، كما يسير غيرهم الى خطيئاتهم ، كل ذلك محبة في نبيهم وفي عقائد الاسلام ؟

« إن مثل هذا الايمان لا بد من أن يكون له مستقبل باهر في هذا العالم . ويجب أن يُرفع هذا الايمان الى مكان أرفع من المكان الذي هو فيه اليوم .

محمد فريد وجدي

(مجلة الارهر) عرفنا هذا الفصل من البحث ، وسنوالى ترجمة سائرته . ولكن لعل القراء يلاحظون أن الكتابة قد تصرف في تاريخ الوحي وغيره تصرفا يوافق الذوق الكتاني عند أهل الغرب ، ولا بأس من التغاضي عنه في نظرنا مادام فرضنا هو بيان ما تؤدي اليه الفلسفة الاوربية من تقدير قيمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيمة الدين الحق الذي جاء به .

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية

عرض بعض الباحثين الى موضوع أدب الحضارة العربية ، وعوامل فقدانه ، ورأى أن العامل في ذلك إنما هو اختلاف لغات العرب في أصقاع الجزيرة المختلفة . قال صاحب فجر الاسلام : « وهنا يستوقف نظرنا شيء يظهر لنا غربيا ، ذلك أنا نرى اللغامين في الحيرة والفسانيين في الشام عمروا قرونا وبلغوا من المدنية شأوا بعيدا ، ذاقيس بحالة العرب في الجزيرة ، وكان منهم من بخاط الفرس والروم ويتكلم بلغتهم ، ودينهم كان أرق على العموم من دين غيرهم من العرب ، فهم إما نصارى أو مجوس ، وهذا كله كان داعيا الى خصب الذهن وتفتق الفريجة بالشعر ، وكان من المعقول أن نخرج بلادهم خولا من الشعراء يفتحون فيه أبواب جديدة ، ومعاني جديدة ، مع رشاقة في اللفظ تناسب مع حياتهم الحضرية ، ولكننا على غير المعقول لم نظفر منهم بشعر ذي خطر فاسد في هذا ؟ قلنا الأمر على وجوه مختلفة من النظر فقلنا لعل السر أن البادية هي منبع الشعر ، وهي التي تحرك نفس العربي وتغذى خياله ، وتنطق لسانه ، يشعر فيها باستقلاله وعظمته ، لا ترهقه سلعة ، ولا يقيد قنونا ، تنبسط أمامه رقعة الأرض ، فينعم بمنظرها فيجيدس صدره ، ويتنطق بالشعر لسانه ، فإذا تمخض ذل ، وعقلت من لسانه قوانين المدنية وتقاليد الحضارة ، وحرمت منظر الصحراء الجميل ، فحرم الشعر الجميل ، بهذا لم يك للمراق شعر قيم ، ولا للفنان شعر ما . ولكننا رأينا أن هذا التعليل غير صحيح ، فإ عهدنا أن الحضارة تميمت الشعر ، فحضارة الفرس والروم وحضارة المسلمين في الدولة الأموية والعباسية لم تضيق خيالهم ، ولم تعقل من لسانهم ، والحضارة اليوم في أوروبا بعثت على الشعر ولم تقف في وجهه . إنما كل ما يصح أن يقال أن الحضارة تميمت أنواعا من الشعر لا تعيش إلا في البادية ، كما نحى أنواعا من الشعر لا تعيش إلا في نعيم الحضارة . والتعليل الصحيح في نظرنا أن هؤلاء الحيريين

والغسانيين كان فيهم شعراء ، ولكن كانت لهم أيضا لغة خاصة بهم غير لغة قرأش التي سادت الحجاز ، ولم تستطع أن تسود الحيرة وغسان لبعدهم موطنهما ، ولأن الحيريين والغسانيين أرقى ممن حولهم من العرب ، فأنقوا أن يخضعوا للسان غير لسانهم ، وقد يستتبع ذلك أن يكون في الشعر أوزان خاصة تتفق مع لغتهم وعقائهم ، فلما جاء الاسلام ونزل القرآن بلغة قريش أهمل الرواة ما كان خارجا عن هذه اللغة وقواعدها وأوزانها ، اه .

هذا رأى نحب أن يلتفت الأدباء والباحثون الى دراسته دراسة إيمان وتعميم ، فإن نظرية تعدد اللغات عند العرب لا تقوى ، كما قدمنا في مقالاتنا السابقة ، على حل مشكلة فقدان أدب الحضارة العربية ، فلا بد من تحليل آخر يتمشى مع المنطق وطبيعة الحياة ، والذي نرجعه أن ذلك يرجع الى حملة أسباب مجتمعة ، وقد يكون في تعدد اللامحات ما يساعد تلك الأسباب والموامل على قسوة تأثيرها .

العامل الأول : اتجاه الحضارة . يرى جمهور الباحثين أن حضارة من أكبر الدواعي العامل على كثرة الإنتاج الأدبي ، لما فيها من الصور التي تحرك الخيال وتثير الفكر ، وتنفذ الساطفة ، والخيال والفكر ، والعاطفة هي عناصر الأدب الحي ، ومنابعه النفاضة . وهذا قول قد يكون فيه بعض الحق ، وليس هو بالحق كله ، لأن الحضارة في أمة وعصر وبيئة تتكيف باتجاه الأمة ، ومظهر العصر ، وطبيعة البيئة ، فإذا طغت الروح المادية التحليلية على الحياة لم يكن للحضارة من الصور الظاهرة ، لا هذه الجزئيات الدقيقة الراسية التي تصورها التقارير الحسائية ، والأوضاع الهندسية والمواظف لمادية المحدودة ، والنظريات التحليلية في نحو الطبيعة والكيمياء وما إليها من التجارب العملية ، والخيال ، والفكر ، والعاطفة ، وهي مبعث للثقل الأعلى في التصوير الأدبي لا تعرف النهاية والتحديد ، ويجب أن يكون ميدانها من جنس طبيعتها المطلقة من كل قيد مادي .

فالحضارة المادية الصرفة لا ترى أنها من دواعي الإمتاع الأدبي الذي تتمثل فيه الإحساسات الوجدانية، والعواطف النفسية، كالشعر المطبوع، والنثر اليديع، وإنما يكثر فيها هذا النوع الضيق الذي تراءى في شبه قضايا مسلمة كقول رجل الاقتصاد: اثنين في اثنين، يساوي أربعة، مما لو حاول أبدع الناس خيالاً، وأبرعهم عبقرية أن يغير من صورتها شيئاً لما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأن حدودها المادية تقف دون الخيال حتى ترده حسيماً.

قال باحث أدبي: «يعمل بعض الباحثين فقر الأمم العربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمادية التي تنعص فيها إلى مفرق الرأس، وعندما أتت وسائل النقل الحديثة، وانتشر الإباحية، وزوال ذلك الهرق الجذاب عن وجه الإنسانية، واشتغال الدول بالشئون الاقتصادية والسياسية، وانهمك الأفراد في تحصيل القوت الضروري، وانخلاص زوال الأحوال الروائية عن ظهر الكرة الأرضية، كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم، وقضت على دولة الشعر، حتى إن جائزة كبيرة عرضت منذ أمد قريب في فرنسا للمعل في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها أحد».

قد يتخذه بعض الناس بكثرة ما يسمع من أسماء نوابغ الأدب في بعض الأمم المتحضرة في هذا العصر المادي، وما يسبحون فيه بأرواحهم من موضوعات طريفة تدخّل في صميم الحياة، للخيال والعكر فيها القدر للمعل، ولا سيما الأدب القصصي والشعر الروقي، ولكن هذا في الواقع لا يدل على انجلاء أدبي في الأمة أكثر من أن أفراداً من العباقرة خصهم الله بمناجاة الطبيعة في عزلة عن المدينة وتيارها الجارف، فوقعوا على أوتار الخيال ألحاناً من نغم الطبيعة طربت لها الحياة فرددت نغماتها وخلدت آياتها، وهؤلاء الأفاضل الملهومون هم الذين يحفظون كيان الأمم من الانزلاق إلى الحضيض.

وإذا ذهبنا إلى قياس هذه الآيات الأدبية الخالدة بما حفظته سجلات الاقتصاد والسياسة، ونظم الاجتماع المادية كانت في جانبها كاللدة في قعر المحيط.

أما إذا كانت الحضارة مزيجاً من الروحية والمادية ، فهي التي تثير الصراخات وتحرك الخيال وتغذى الفكر ، وتكون من عوامل الإنتاج الأدبي في صورة رائعة تتلاقى في أفق الحقيقة والخيال على سواء ، وبهذا يمكن تعليل وجود الثروة الأدبية الإسلامية في عصرها الذهبي ، لأن الدين والفلسفة الأفلاطونية تحالفا على إذكاء الروحية في الأمة ، والحياة المادية بذاتها ، والنظم الاجتماعية تمت للمادة وقوتها ، فكان للروحية جانبها ، والمادية جانبها في زمن و حد ومكان واحد .

والحضارة العربية في الحيرة والشام واليمن قبل الإسلام كانت حضارة مادية ، لأن الروحية إنما تستمد نورها من الدين والفلسفة العليا ، ولم يكن للدين في مواطن الحضارة العربية شأن ، بل لم يكن له من المظاهر إلا شيء تافه حينما دخلت عليهم النصرانية ، أما الندين الوثني فلم يكن إلا ضرباً من طغيان المادية استبد بالروح فحجب عنها نور الحياة ، ولم تعرف العرب في عصورها المتأخرة قبل الإسلام فلسفة روحية تهذب النفس وتصل الماطلة بما يوازي المادية الجارفة ، ومن هنا كان الإنتاج الأدبي من النوع النفساني الخالد بذاته قليلاً في تلك الحواضر العربية .

قد يدور في خلد بعض الناس أن هذه النظرية أخرى بأن تطبق على أدب البداوة ، لأنه أدب مادي يقوم في تصويره على المحسوس ، وليس للخيال الضافي والفكر العميق فيه أي شأن يذكر . نعم ، ولكن مادية البداوة بسيطة ساذجة وقتية لانصرف البدوي عن تفكيره بأشجانه وأفراحه وعواطفه الجياشة ، فهو أبداً يتغنى بما حوله من مظاهر الطبيعة

صادق إبراهيم عربود

الاسلام والفلسفة

- ٦ -

رأيت في الكلمة السابقة كيف ناقش الإمام الغزالي عبدة الفارابي وابن سينا :
« العالم مخلوق لله مع كونه صادرا عنه صدور المعلول عن علته » وكيف انتهى الى أن
في هذا التعبير تمويه وتليدسا من جانبها قصدا بهما للنجاة من سقط المسلمين
ومن حملات التكمين ، وليس هذا غريبا ولا مستبعدا ، إذ أن ابن رشد نفسه ،
وهو من محور الفلاسفة وحججهم ، قد رى ابن سينا بأنه ما دفعه الى القول بمراتب
الوجودات الثلاث : مرتبة واجب الوجود لذاته ، ومرتبة واجب الوجود لغيره ،
ومرتبة ممكن الوجود ، إلا انقاؤه المتكلمين ، ذلك الاتقاء الذي لا يليق بالفلاسفة
الأحرار .

على أنى أنا شخصا لا أستبعد مع هذا الفرض المتقدم أن يكون هذا التعبير
ناشئا عن الخلط والاضطراب .

وسواء أكان الأول أم الثاني ، فإن الذي لا ريب فيه هو أن الفارابي قد قام
بجهود الجبارة في سبيل محاولة التوفيق ، بواسطة نظرية العقول العشرة ، بين القواعد
الارغريقية الثلاث . (١) الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد . (٢) الكامل
من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل . (٣) المدم لا ينتج وجودا ، وبين الاسلام
الذي يؤكده كتابه الكريم أن الله خالق كل شيء ، بأن وضع بين مرتبة الإله الكامل
من كل وجه ، الواحد من كل وجه ، وبين مرتبة العالم الناقص للتعديد ، مرتبة وسطى ،
وهي مرتبة العقل الأول الذي هو واحد ولكن لا من كل وجه ، وكامل ولكن
لا من كل وجه كذلك . وقد أصدر الفارابي هذا العقل عن البارى إصدار المعلول

من علته ، فحسب أنه بهذا قد سوى نقط الخلاف بين الاسلام وتلك القواعد ، وما هو في ذلك إلا واعم كما آتينا في الفصول السابقة .

ومهما يكن من إخفاق الفارابي أو من توفيقه في هذه المحاولة ، فإن تلك العقول كما أسلفنا ، في المرتبة الثانية بمواجب الوجود عند الفارابي .

وفي المرتبة الثالثة يوجد العقل الانساني ، وفي الرابعة توجد النفس البشرية ، وفي الخامسة توجد درجة « الهيوولي » وفي السادسة توجد درجة الصورة . وهذه هي المراتب الست المكونة للعالم العقلي ، وليس منها متعدد متصل إلا الأربع الأخيرة : العقل والنفس الانسانيان ، والهيوولي والصورة . أما المرتبتان : الأولى والثانية فهما مجردتان غير متعددتين .

وأما العالم المادي فهو : (١) الأجرام السماوية (٢) العناصر الأربعة : الماء والتراب والهواء والنار (٣) المعدن (٤) النبات (٥) الحيوان (٦) الانسان .

ولا ريب أن لذلك المذهب الاسكندري الملقب من مذاهب : « أفلاطون » و « أرسطو » و « أفلوطين » أثرا واضحا على هذه الفلسفة الفارابية ، لا تنأى أفلوطين بصرح في وضوح أن أعلى مراتب المادة هي أحط بكثير من أدنى مراتب العالم العقلي . وقد عزا الاسكندريون أمثال هذا الرأي الى أرسطو وسحلوها في كتب نسبوها إليه فاتخذها الفارابي منوالا نسج عليه في فلسفته . أما أرسطو الحقيق فلم يكن يستهين بالمادة الى هذا الحد ، وإلا لما نشب خلاف بينه وبين أفلاطون .

النفس عند :

يقسم الفارابي النفس البشرية الى أربع قوى ، وهي : القوة الغاذية ، والقوة الاحساسية ، والقوة المتخيلة ، والقوة الناطقة . فأما الأولى فهي التي بوساطتها يتغذى وينمو . وأما الثانية وهي الاحساسية فهي التي يدرك بها المحسوسات الخارجية من : مبصرات ومسموعات ولمسوسات وغيرها . وأما الثالثة وهي المتخيلة أو الذكرة فهي التي

ترتب المحسّات وتحفظ أثرها بعد غيابها عن الحواس . وأما الاربعة وهي الناطقة فهي التي تفكر وتميز وتحكم . وعمل هذه القوى الأربع الرئيسة القلب ، غير أنه لكل من الأولى والثانية منها خدام وتوابع أو آلات لا يتحقق المقصود منها إلا بوساطتها . فالآلات القوة الغاذية مثلاً هي : الفم والمعدة والكبد والطحال وهلم جبراً . وآلات القوة الاحساسية هي : العينان والأذنان والأنف وهكذا . وأما القوتان : التخيلة والناطقة فليس لهما توابع ولا خدام .

ويرى الفارابي أن هذه القوى الأربع م تخلق في الانسان دفعة واحدة ، وإنما يوجد بينها تفاضل وتميز ، وأن رياستها جميعها إنما هي للقوة الناطقة التي تميز وتحكم . فهي كما أن لها اختصاصاً تنفرد به ، تستطيع كذلك أن تصدر الأمر الفاصل في اختصاصات القوى الأخرى . والقوة الغاذية عنده هي مادة بحثة وليست صورة لغيرها . وأما القوتان : الثانية والثالثة ، فبعض مادتان من جهة ، وصورتان من جهة أخرى ، لأن القوة الاحساسية صورة للقوة الغاذية ، وهي في نفس الوقت شبه مادة للقوة الناطقة . وأما القوة الناطقة فهي صورة لحسب وليست مادة لغيرها .

ويرى الفارابي كذلك أن هنالك قوة خامسة ، ولكنها ليست مستقلة كالقوى الأربع السابقة ، وإنما هي شبه مزيج من خواص هذه القوى الأربع كالحرارة التي تتكون من النار والشمس في وقت واحد ، وتسمى القوة التزويجية ، وبمجموعة هذه القوى الخمس المتصلة تكون النفس البشرية ، فكانها مظاهر ووظائف لها فقط .

طريق المعرفة عنده :

إن طريق المعرفة عند هذا الفيلسوف هي هذه القوى الثلاث الجوهرية : الإحساسية والتخيلة والناطقة ، لأن النفس على أثر إدراكها المحسّات الخارجية يحدث فيها نزاع داخلي ينهي بأخذ صورة من هذه المحسّات ، وتسجيلها في القوة التخيلية حتى لا تتلاشي بعد انصراف الحواس عنها . فإذا تم ذلك التسجيل نقلت هذه الصورة

ووضعت بين بدى القوة الناطقة ، لتمييزها وتصدر فيها حكمها ثم تركها لدى القوة للتخيلة ، لتطليها عند الحاجة . وبهذه الطريقة تحدث المعرفة الانسانية ، وهذا هو عين ما يراه أكثر الفلاسفة من أن طريق المعرفة هي الحواس والعقل ، أو أن طريقها هو الفنونان : الخارجية والداخلية ، غاية ما في الأمر أن الفارابى يفصل في القوة الداخلية وهي العقل ، فيجعل له درجتين : الأولى درجة التسجيل أو الاختزان ، والثانية درجة التمييز والحكم وهو يرى كذلك أن الحواس لا تتعدى الجزئيات الخارجية .

وأما القوة الناطقة فهي عنده كما تميز منقولات الحواس إليها بدرك أشياء أخرى لا ترق إليها الحواس ، وهي المقولات المحضة ، وأن القوة المتخيلة كما تسجل مدركات الحواس ، تسجل كذلك مقولات القوة الناطقة .

الدغمون عنده :

يرى الفارابى أن الله منع العقل الانسانى قوة كافية لتمييز الخير من الشر ، والحسن من القبيح بهيئة حرة مستقلة ، ولولا هذا لما كان مشغولاً أمام البارى ولا مستحقاً ثوابه وعقابه . وإذا فالخير عنده هو ما حسنه العقل ، والشر هو ما قبحه العقل . وهذه هي إحدى النظريات التي خالف فيها الفارابى أهل السنة ، ولا أدري كيف كان يعامل إلى هذا رأى مع مشاهدة خطأ هذه القوى النفسية التي هي وسائل للعرفه ، ولكن لعل تعلمه لأرسطو وحبه إياه هما اللذان سلكا به هذا الطريق الوعر ، المهم إلا أن يكون قد قصد بالعقل العقل الذى يستضيء بنور البصيرة ، ولا سيما أنه كان قد خدع في رأى أرسطو بتلك الكتب المصنوعة التي لفظها الاسكندر يون من مذهبي : أفلاطون وأفلوطين ثم نسبوها إلى أرسطو ، وفيها يرى القارى أرسطو بصيرياً ، بل متصوفاً أحياناً على عكس ما كان في حقيقته . وفوق ذلك فقد كان الفارابى في حياته العملية - إذا صح ما رواه لنا النارنج - صوفياً متنسكاً قرب إلى «فيثاغورس» وأفلوطين منه إلى أرسطو .

ومهما يكن من شيء ، فإن المعتدل السليم هو مرجع التمييز بين الخير والشر عند الفارابي ، أما السعادة عنده فليس جديرا بهذا الاسم إلا ما كان سعادة في ذاته وليداته ، وليس وسيلة لغيره ولا محتاجا في كماله الى غيره ، وهذا هو رأي سقراط في الخير ، إذ قسمه الى قسمين : خير كامل وخير ناقص ، وعرف الكامل بأنه ما كان ذاتيا ولم يحتاج في كماله الى غيره مثل الفضيلة . وحدّ الناقص بأنه ما كان خيرا لغيره واحتاج في كماله الى شيء آخر مثل الصعلة والثروة ، إذ كل منهما خير لغيره ، وهو إتمام السعادة ، كما أن كلا منهما محتاج في كماله الى الآخر وإلى أشياء أخرى .

الدكتور محمد شلوب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

ضرار الصدائي يصف عليا

دخول ضرار الصدائي على معاوية وهو أمير المؤمنين ، وكان ضرار من خاصة أصحاب علي كرم الله وجهه ، فقال له معاوية : صف لي عليا .

فقال ضرار : أعفني يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : لتصفه .

فقال ضرار : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يعول فضلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من حوائبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير اللمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خش ، وكان فيما كنا نحنا ، يخبينا إذا سألناه ، وينبئنا إذا سئلناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لمقامته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضا على لحبته ، يتملح لملح الصليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دبا البك عني ، غري غيري ، الى تعرضت ثم الى تشرفت ، هبات قد بايتك ثلاثا ، لا رجعة لي عليك ، فعمرك قصير وحطرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق ! » .

فيل فبكى معاوية وسأل ضرارا عن ملح حزنه عليه . فجاوبه : حزن من ذبح واحداها في حجرها .

علم الطبيعة

هل هذه التسمية صحيحة ؟

أطلق لفظ الطبيعة على مجموع الكائنات المحسوسة وعلى القوى العاملة فيها ، ثم حدث توسع في هذا الإطلاق فدخل للطبيعة شخصية موهومة ، فقيل : الطبيعة فعات كذا ، والطبيعة لا تسمح بكذا . وهو تسامح قد ضل كثيرا من الناس وجعل بعضهم يظنون بهذا العلم الجليل الضنون .

المشتغلون بهذا العلم أحد رجلين : رجل غرته المظاهر ، وازدهته القشور ، غيبل اليه أنه أدرك سر الوجود ، ووقف على كل جليل وحقيق فيه . ورجل لم تقفه الظواهر عند حدودها ، ورى يبصيرته الى ما وراءها ، فأدرك كما أدرك كل عالم متزن قبله ، أنه لم يعرف من هذا الوجود إلا بعض كائناته وبعض العلاقات الموجودة بينها ، أما كنهها ، ومستقر القوى الطبيعية منها ، ومصدر ينابيعها ، وحدود ساطعاتها ، فهو فيه والماضى سواء .

مثال ذلك : رأى العلامة الفلكي (نيوتن) الأجرام العلوية من المجموعة الشمسية معلقة في الفضاء بنير ماسك يمسكها ، فافترض وجود قوة تجذبها كلها الى الشمس ، وسمى تلك القوى بناموس الجذب العام . ولكن تلك الأجرام مع وجودها معلقة في الفضاء ، تدور حول ذلك الجسم في مداوات محدودة لكل منها ، فلم يستطع أن يتخيل لتلك الحركات الدائرية ناموسا يملأها ، فقرر بأن القدرة الإلهية هي التي تديرها ، معانا إفلاس العقل عن تحليل تلك الحركات .

ولكن هل السلامة نيوتن مصيب في نظرية الجذب العام التي تخيلها ، وعلمت بالافهان ، واشتهرت حتى عدت من أكبر الاكتشافات العلمية ؟

نسأل في ذلك أقطاب العلم المعصرى . قال العلامة الفرنسى (شارل ريشيه) المصنوع بالمجتمع العلمى :

« لماذا لا تصرح بصوت عال بأن كل هذا العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس فى حقيقته إلا إدراكا لظواهر الأشياء ، أما حقائقها فنفلت مما ولا تقع تحت إدراكنا . والطبيعة الحققة لا فواميس التى تقود المادة الحية أو الجاحدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا . مثال ذلك أننا إذا ألقينا حجر فى الهواء نراه يسقط الى الأرض ، فماذا يسقط ؟ يميننا نيوتن بقوله : إنه يسقط لجذب الأرض إياه جذبا مناسبا لمادته ، والمسافة التى يسقط منها . ولكن ما هو هذا التاموس إن لم يكن من باب تحصيل الحاصل ، وإلا فهل أدرك أحد تلك اللبذبات الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الأرض ؟ إن ظاهرة سقوط حجر على الأرض من الشيوخ بحيث لا تدهشنا ، ولكن الحقيقة أنه لا يوجد عقل إنسانى فهم ذلك . إن هذه الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ، ولكنها غير مفهومة ككل ظواهر الطبيعة بلا استثناء .^(١) »

يعتبر العلم الصيغى من ناحية بحوثه المادة مستودع الحقائق الناجية ، ولكنه من ناحية فلسفة بعض أشياءه مستقر الظنون والأوهام ، ومستنقع الخيالات والأهواء . وليس هذا الغاب واقعا على العلم الطبيعى نفسه ، ولكن على خفاف الأحلام من حملته . ذلك أن هذا العلم موضوعه درس الموجودات فى مجلتها وتفصيلها ، فهو من هذه الناحية يكشف للعقل من العلاقات الموجودة بين تلك الموجودات ما يهديه لاستخدامها فى مصالحه . من هنا نت منزلته السامية فى القلوب . أما سقطاته فقد جناها عليه المتسرع من أتباعه .

مثال ذلك رأى العقل الانسان حيا مدركا مريدا ، فقرر أن قوة علوية تثوى فى جثمانه فترفعه عن مستوى الموجودات ، وتخضعها لسلطانه ، ولكن رجالا من الطبيعيين

(١) النظر مقدمة كتاب (الظواهر النفسية) للدكتور ماكسويل ص ٧ من طبعة الخامسة .

قالوا لماذا نأجأ الى هذا التعصيل الساذج، فنفترض أن للانسان روحا هبطت عليه من عالم لا نعرفه، فحرض في الظنون ما دامت المعلومات الطبيعية تنكس في تعليل حياته ؟
فزعموا الروح الانسانية هي ثمرة مجموع وظائف الأعضاء الجسمية المركبة على هذا النحو الآلى المتناهي في الدقة .

ولكنهم ما كادوا يرنحون الى هذا التعليل حتى اعترضتهم عقبة كأداء، دونه ،
هي تفسير وجود المادة لآلية ، لأن هذه تمتاز عن المادة الجامدة بوجود الحياة فيها ،
فما هي هذه الحياة وكيف نشأت من الجأء نشوءا ؟

هنا اختلفت الآراء ، وتشعبت المذاهب ، وخاصة بعد أن أثبت الملامة (باستور)
أن الكائن الحى لا يتولد إلا من كائن حى ، ولا يمكن أن يتولد من الجأء على الإطلاق .
فلما أعوزت أولئك الطبيعيين التعليلات ، رأى واحد منهم رأيا من أغرب ما سمع
من مثله ، وهو قوله : إن كائنا حيا بمحتمل أن يكون سقط على الأرض ، محمولا على أحد
النيازك ، فكان أصلا لجميع الأحياء الأرضية .

ووجه الغرابة في هذا رأى أن النيازك وهي الأحجار التى تسقط في بعض فصول السنة
على الأرض من بقايا كوكب متعطم ، تصل في أثناء سقوطها بسبب احتكاكها بالهواء
الى درجة من الحرارة عالية جدا ، بحيث تذيبها قبل أن تصل الى الأرض ، فان كان واحد
من هذه الأحجار كبيرا ، ولم تكف مدة هويته لإذابته كله ، هبط حارا الى درجة تنكس
لإذابة المعادن ، فما ظنك بكائن حى سواء أكان نباتيا أم حيوانيا ؟

لامشاحة في أن أمثال هذه التعليلات تعتبر أوهاما ، وما أكثرها في الفلسفة التى
تدعى طبيعية ، كما سيمر بك في مراحل هذا البحث .

ولكن للعلم الطبيعى رجالا لا زدهيهم مثل هذه الصغريات ، قد نجلى لهم المعجز
عن تعليل أصغر كائنات الطبيعة الى حد أن سماهم على الاعتراف بذلك بدافع ذاتى لارادته .

منهم الأستاذ شارون ريشيه الذي تقدم ذكره في هذه المقالة ، قال في كتابه الذي عيناه هنالك :

« إننا نعيش في وسط ظواهر تتوالى حوائنا ولم نفهم سر واحدة منها فهاً يناسب درجتها ، حتى أن أكثرها سذاجة لا تزال سرا من الأسرار المحترجة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد لايدروجين بالأوكسجين ؟ ومن الذي استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا لاتحاد ، وهو ينفى لى إظهار خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث يخالف للأولين كل المخالفة ؟ »

« إن العلماء لم يتفقوا للآن حتى على طبيعة الجوهر الفرد المسمى ، الذي يوصف بأنه غير قابل للوزن ، وهو مع ذلك يقبله متى اجتمع عدد كبير منه .

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعا وجريثا في آن واحد ، متواضعا لأن علومنا ضئيلة ، وجريثا لأن مجال الموائم المجهولة مفتوح أمامه .

ثم ختم كلامه بقوله : « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أُنقِل ، وأنه لا يوجد شيء جديد يحسن تفهيمه للإنسان الضعيف »

وقال العلامة (ولیم جس) أستاذ جامعة هارارد بالولايات المتحدة في كتابه (إرادة الاعتقاد) صفحة ٧٣ :

« إن علمنا نظرة وجهلنا ببحر زاخر ، والأمر لوحيد الذي يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية ، محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر ، لم ندرك خواصه المكونة له لى اليوم » يشير لأستاذ بهذا الى العالم الروحاني .

وقال العلامة هرشل مبينا لثمرة الحقيقة العلمية للعلم الطبيعي .

« كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أسمى لاحد لقدرته . فالجيولوجيون (علماء طبقات الأرض) والرياضيون والميكانيكيون والطبيعيون ، قد تعاونوا جميعا وتكافؤوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح العظمة الإلهية في الواقع ، »

محمد خير ومبري

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَآيِسَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » :
البياض المصحوب بضياح البصر غالبا معناه « الجلو كوما » ، والمعروف عند
الاختصاصيين في أمراض العيون أن أهم سبب لها هو التغيرات في الأوعية الشعرية ،
نتيجة لأسباب كثيرة من أهمها الانفعالات العصبية (كما يحدث في زيادة ضغط الدم)
لأسباب الحزن (الدكتور سلم)

« فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَقْبَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ قَارَتْ دَبْصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » :

لا تتحسن أمراض مرض « الجلو كوما » (و شدة تور العين) أو تقف شدته
إلا بالعلاج ، ومنه العمليات الجراحية ، ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص
على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الانسان ، وليس اللهم هو القميص
أو وضعه على وجهه ، فقد كان ذلك لتمهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب ، ولكن
الهمم هو طريقة الشفاء وهي إرادة الله المنحصرة في « كن فيكون » ، وهذه خارجة
عن كل السنن الطبيعية التي أمر الانسان أن يتعلمها ، فمعظمة المعجزة ليست في النتيجة
فحسب ، ولكن في طريقة الشفاء .

وما أعظم إعجاز القرآن الذي وصف حالة مرضية خاصة و بين سببها ، ولم يكن يعلم
العالم شيئا عن هذا المرض ولا عن أسبابه في ذلك الوقت ، ولا بعده برمن طويل :

* *

« رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دَرِيئِي بَوَادِيٍّ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ رَبَّنَا لِيَقْبَلُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » :

آيات القرآن يفسر بعضها بعضها، ودعاء سيدنا ابراهيم يفسر ما قلناه، وهو أن الدعاء سنة طبيعية لا أكثر ولا أقل، فالتى يدعو ربه ليألمهم الناس حج البيت، فهو يستعين بسنة طبيعية، وهى إلهام الخالق لنا، مع أنه يعلم أن الله قادر على أن ينزل عليهم رزقا من السماء، ولكن التى ضرب لنا مثلا فى طريقة استعمال الدعاء، فبسته، فالدعاء لا يأتى سنة طبيعية ولا يأتى بالمعجزات، ولكن الداعى يطلب من الخالق الهداية الى إحدى السنن الطبيعية، وسأضرب لذلك مثلا بالنسبة للمريض وعلاجه، فقد أخبرنى البعض أن من يطلب الطبيب لا يستعين بالدعاء، والحقيقة غير ذلك، فالوالد الذى يدعو ربه لشفاء ولده :

١ - لا فائدة من دعائه إذا كان الولد قد مات فعلا، كما قلنا سابقا .

٢ - لا فائدة من دعائه إذا كان مرضه مميتا حتما، وإيس له علاج فى ذلك الوقت، لأن الدعاء لا يخفى سنة جديدة، ولا فائدة كذلك من أى علاج لأن المرض تحت تأثير سنة طبيعية، وهى أن هذا النوع من المرض مميت حتما وعلاجه لم يكتشف الى اليوم، ولا فرق بينه وبين من مات فعلا أو فقد عضوا من أعضائه لا يمكن الاستعاضة منه بغيره، ولو أراد الله شفاءه لما مرض بهذا المرض .

٣ - قد يكون للمرض طرق علاج، أو قد يشفى من نفسه فى ظروف خاصة، فالدعاء فى هذه الحالة معناه إلهام المريض ومن حوله من طبيب وغيره باستعمال الطريق المؤدى الى الشفاء، والطبيب يحتاج دائما الى هذا الإلهام، وكمن مرة ينف فى مفترق الطرق ولا يدرك أية ناحية بسلك، وكل طريق سنة طبيعية تؤدى الى نتيجة خاصة، والدعاء هداية الى السنة المؤدية الى الشفاء، وهكذا يكون الدعاء والتطبيب وكل أعمال الانسان يكمل بعضها بعضا، ولكنها ليست متناقضة

فدعاء سيدنا ابراهيم معناه أن الله يلمهم الناس بواسطة القوانين الطبيعية حج البيت، وقد يقال : ولكننا لا نشعر بالإلهام من عند الله وكل أفعالنا نتبعها متباعدة لتفكيرنا والشخص الذى يحج لا يشعر بالإلهام أو بشئ، خفى .

والحقيقة أن أفعال الانسان قد تكون :

- ١ - نتيجة تفكيره واختياراته ويكون سبب حركته ظاهراً .
- ٢ - قد تكون أفعاله غير منطوقة على تفكيره واختياراته الأخيرة ولكنه مع هذا يندفع الى العمل ، وقد ظهر بطريق الفحص العلمى المسمى (Psycho - analysis) (التحليل النفسى) وطريق التنويم المغنطيسى أن هذه الأفعال ممكن تفسيرها بتجرب واختيارات حصلت للشخص فى زمن سابق ، وبقيت فى غى الباطنى « Subconscious » وقد يكون نسبها تماماً ، وسكنها تؤثر دائماً فى أفعاله الحاضرة دون علمه .
- ٣ - قد تكون الأفعال كالنوع الثانى ، ولكن ليس من السهل على علماء النفس تحليلها ، أو ردّها الى تجارب « الإرادة الخفية » . وفى اعتقادى أن بعض هذه الأفعال كالأوامر التى يقوم بها النوم « بفتح الواو وتشديدها » امتثالاً لأمر النوم « بكسر الواو وتشديدها » حتى بعد اليقظة ، وهو يعتقد أنها من عنده ولا يشعر بأنها من تأثير إرادة خارجة عنه .

وقد تكون هذه لأفعال من تأثير إرادة أشخاص آخرين أو أشياء حامدة ، وما أكثر الأشياء التى تؤثر على الانسان قلباً كالتنويم تماماً ، ولا يشعر الشخص بها إلا كما يشعر فى النوع الثانى ، ثم لا تعرف إلا أنها نتيجة لإرادته ، والحقيقة أنها هداية من الله بواسطة حواس غير الحواس الاعتيادية خلقهم الله فى الانسان ، ولم يدرسها العلم بعد ، وهذه كالتنويم « بفتح الواو وتشديدها » تؤثر فى أفعاله بغير أن يعرف مصدرها ، وقد ثبت لبعض علماء الفزيولوجيا وجود حس فى بعض الأفراد على الأقل سموه الحس السادس .

وكثيراً ما نشاهد أشخاصاً لا يفكرون فى الحج مدة طويلة ، ولكن فجأة وبدون سبب ظاهر يصممون على الحج ويفقدون إرادتهم ، وهذا العمل ظاهره الاختيار طبعاً ، ولكنهم مدفوعون بقوة مسيطرة عليهم أشبه بالغريزة أو الوحي (Impulse)

وقد أجاب الله النبي الى دعائه ، فألهم الناس الحج فى آلاف سنين ، والى ما شاء الله لافى مدة حياته غسب ، وفى هذا إظهار لقدرة الخلق وصدق وعده . « كثر عهد العزيز اسماعيل

معنى الحياة وقيمتها

مقدمة (١)

إن مسألة معنى الحياة وقيمتها لا يمكن أن تفهم على حقيقتها ، لأنها توسع في أزمته لم يتبين فيها السائل مضمون الحياة بوضوح على ما تمثلها له البيئة التي يعيش فيها . وهذا النقص في المعرفة يدل من جهته على أن المفحورات التقليدية ليست كغوا للمطالب التي يقتضيها التقدم في مجالات الحياة . ولكن إذا أراد الفكر أن يتطوع للإجابة على هذه المسألة وحده نفسه في حرج شديد ، لأن قلب الأفكار العالية علينا يحقر في نظرنا عادة العالم الخارجي ، ويزيد المحاوة التي تفصلنا عنه همما ، حتى إن ذلك ليفق إلى جمل هذا العالم أجنبيا عنا إلى حد أن يظهره غير صالح لأن يكشف لنا عن معنى وجودنا فيه . وبالحياز الإنسان عن العالم الخارجي اضطر للرجوع إلى نفسه باحثا عن حقيقة روحه . فها وليس في مكان آخر نستطيع الحياة أن تدرك الأغراض التي وضعت لها ، والوسائل التي توصلها إليها . ولكن هذه المحاولة تنتهي بافئاع الإنسان بأن حياته التي فصلها عن العالم الخارجي ، ولم يقف عليه جهوده ، تزداد فاقة يوما بعد يوم ، وتقع نهائيا بسبب ذلك في فراغ باعنى . فيحب والحالة هذه وجدان أية وسيلة لاجتياز المحاوة التي تفصل الروح عن العالم الخارجي ، ولا زالة التناقض بينهما . وهذا يقتضى أن تبلغ الحياة درجة عالية من الرقى ، وحالة رفيعة من الجلالة والسعة في ذاتها . ولكن كيف يتأتى للإنسان أن يصل إلى هذه المسكاة إذا اتجه نحوها والتلازم بين نفسه والعالم الخارجي قد هدم في أثناء الحياة ؟ على هذه الصورة تندفع في هذه المسألة إلى الامام ، متوغبين في مناهات الشكوك ، ومن الشكوك إلى الجحود لنام .

هذه الحالة من الضلال ، ومن المباحث التحسسية ، هي حالة عصرنا الراهن كما هو ظاهر للعيان . وإن عدم الوقوف على ما نطمئن عليه النفس من مسألة معنى الحياة ، ينضج حصوما من عدم وجود نقطة مركزية تتحكم في حياتنا ، ومنها يمكن ملاحظة تغيراتها بالنظر إليها نظرة إجمالية . وعليه فإن هذه المسألة حتى من ناحيتها العامة لا يمكن تحديدها ، وأولى أن يكون وجدان الجواب الكافي عنها غير ممكن كذلك .

لا يمر علينا في المهد الراهن أن نحاول إعطاء الحياة نقطة مركزية ، ثم تنظيمها بالبده

(١) ترجمنا عن الفرنسية في العدد الماضي مقدمة الفيلسوف المشهور برعمون على كتاب الأستاذ الألماني دودوان أوكن تحت العنوان المقدم ، وانيوم نأى على ترجمه منه انكتب بقلم أنواف نفسه عن السبعة الفرنسية

من تلك النقطة على شكل خاص ، ولكن تعدد هذه المحاولات يساعد على زيادة تمقدها ، فإن هذه المحاولات تتخالف تخالفا شديدا حتى إنها لتناقض الى حد أن الإنسانية المحاصرة لا تختلف في شيء مثل اختلافها عليها . فالخلاف يلشا قبل كل شيء من التخالف بين أساليب التفكير القديمة والحديثة في الحياة ، من أول جدورها الأولى الى آخر نقطة من تفرعاتها . ومن هنا ينشأ التعارض الذريع على فهم معناها وإدراك قيمتها .

فلا أسلوب القديم كما هو مائل في الدين وفي المذنبات المثالية ، يرتكز على حقيقة وجود عالم مرئي نعين البصيرة وحدها هو العالم الروحاني ، وتضع الوجود المؤقت في إشارات ذلك العالم وفي خدمته . وكل ما يظن في هذا الوجود أنه موجود بذاته ، أو أنه يؤدي عملا خارجا عن الحد المقرر له ، فانه إن لم يعتبر مما لا يجوز أن يهتم به ، اعتبر على القليل مرضيا . تقابل هذه الفلسفة فلسفة حديثة لعهد ، وهي اعتبار الحياة جزءا من الوجود المحسوس ، وعدم جواز العمل ، لا بالوسائل التي يمنحها إياها هذا الوجود نفسه . وكل خطوة يخطوها الإنسان خارجا عن حدوده تقضى الى الضلال في الفراغ المحض

هاتان الفلسفتان تؤثران علينا بشدة ، ونجرائنا الى اتجاهين متعاكسين ، فيولنا المثالية ، وأحكام عقولنا ، تجري غالبا على الفلسفة القديمة ، ولكن مصالحنا ومحاولاتنا تجري على الفلسفة الجديدة .

في نظر الذي يخيّل له من معاصرنا أنه يستطيع أن يتبع واحدا من هذين الاتجاهين مكتفيا به ، إما بحسبان الفلسفة الجديدة من الثمرات العقلية التي ظهر فسادها ، وإما باعتبار أن الفلسفة القديمة قد رقت وأدركها البلى ، قلنا في نظر الذي يطوف برأسه هذا الخيال الأمر بسيط للغاية ولا يحتمل أقل شبهة . ولكنه لا يدري أنه قد ثبت ، وأصبح في أرفع مكان من العقلية الإنسانية ، أن كل وجهة نظر لا تخلو من حقائق لا يجوز إغماؤها ، وأنه يجب الاحتفاظ بكل هذه الجهات والتوفيق بينها على أي حال من الأحوال

نعم إن تفصيل وجوه التوفيق بينها ، على شدة ما بينها من التباين ، من الصعوبة ممكن . وهاتين ، قبل أن نصل اليه ، تحت تأثير حالة ليس لها قرار . وقد نتج من هذا الاضطراب والقلق شعور بعدم الطمأنينة ، وبفراغ يشل كل حركة ويستحيل التخلص منها ، إلا إذا كان الإنسان رغمًا عن عمله المتواصل في الساحة الظاهرية من الوجود ، يعمل على الحياة والتكامل بالعمل المشترك باعتبار أنه عالم قائم بذاته . هـ هو الذي يشهده الواقع ، فإن الإنسان في العصر الراهن وهو في وسط مبدعات عبقريّة ، وترقيات لا تنقطع ، يرى أنه محروم من شعور ارتياح وثقة بالحياة ، وأن كل هذه الأعمال الباجحة لم تؤده الى الرضاء عن حاله ، وأنه في تقدير ما يحيط به ، قد تعود إسقاط قيمته وقيمة المكان الذي شغله من هذا العالم . فأى تبدل

عظيم قد لحقه من هذه الناحية ، إذا قورنت نفسه في هذا العصر بنفسية أسلافه في القرن الثامن عشر ، وهو عهد لم يكن من القوة على مثل المهد الذي نحن فيه ، حيث كانوا يعتقدون بعظمة الإنسان وسمو مكانته في الوجود . والحال أنه بقدر ما هو حق أن الإنسان لا يستطيع الاصطلاح بالمهام العظيمة التي يقتضيها منه العصر الحاضر ، إلا إذا أسعدته قوة حيوية يمدوها الرجاء والتفاؤل ، وبقدر ما هو حق أيضا بأنه لا يستطيع أن يبنى نفسه من التساؤل عن معنى الحياة ، فهو حق كذلك أن هذه المسألة العامة ستتغلب على سائر مسائله الثانوية .

وعلى وجه الأجمال : الإنسانية جماء والفرد الواحد يكاشان عند لحفظ ذاتيتهما روحية . وهذه المسألة يمكن رجاؤها إلى حين ، ولكن من المحال إغفالها بتاتا ، لأنها تقدر ما تمحل تعاود الكرة بأشد قوة وسطوة مما كانت عليه .

الصعوبة الرئيسية هنا تأتي من عدم وجود حالة محددة لكل التحديد ، بحيث تبقى ثابتة على الرغم من جميع التاويلات والمذاهب ، ونأتي تلك الصعوبة كذلك من عدم ثبات الحياة وقبولها للتركيب على ضروب شتى ، طوعا والإسار المتبع في التركيب . فلهذا تتخالف صور تلك التراكيب ويتباين أيضا ما يلبسها منها من لأمر الواقعة . فالأحكام التي صدرت على ما هو أصلي أو تبعي ، وما هو قيم أو لا قيمة له ، وما هو نافع أو ضار في الحياة ، تأتي متخلفة ومتناقضة تبعا لوجهات التركيب التي عوملت بها من قبل . وعلى هذا فإن التراجع القائم اليوم من نصب على الحياة نفسها أكثر مما هو منصب على اختلاف وجهات المفكرين . فاصبحنا والانقسام واقع على الحياة نفسها كما هو واقع على المتكلمين فيها . إذن فلا يتأتى التغلب على هذا الانقسام في المذهب إلا بالتوفيق بين مداركها ، نعم ولكن بواسطة الكساح للحصول على حياة جديدة تسو بأسانها وكما لها عن الساقص والاعتراض . وإن اتجه الحركات الراهنة إلى إيجاد حياة جديدة هو الذي يبعث في تلك الحركات نفسها خطورة وقوى خاصة . نعم إن تحولنا من هذا النوع لا يمكن أن يتم من اليوم إلى غد ، وبقضى عملا متواصلا في أجيال متعاقبة ، ولكن بعد الغاية لا يجوز أن يحمل أحدا على اعتبارها مستحيلة ، مادام يمكن التهرب لها ووسع أساسها منذ اليوم .

وإذا كان العمل العلمي يمتد جزءا من حركة واسعة النطاق من هذه الناحية ، فبهنا أن نفيه عقولنا إلى ما بذل من الجهد للتوحيد بين وجهات النظر وإنهاء التراكيب المختلفة عن الحياة فيما مضى من الزمان وفي العصر الراهن ، مما كان له أثر كبير علينا . لأن هذه التراكيب لا يمكن إقصاؤها باعتبار أنها صبور ساذجة ، فعملها على شمول جميع حالات الحياة تريدنا صسورة من الخصائص الإنسانية وهي تنطوي في درجات السكال ، وتربنا أيضا كنه استعصاء الأشياء عليها . ومن هنا يمكن أن نحصل على مجارب ذات قيم ثابتة . ولا يغبين عنا أن هذه التراكيب كان يصعب عليها أن تجمع بين عدد عديد من الأرواح ، وأن تؤثر في الأشياء الانسانية تأثيرا

صحيحاً إن لم تكن حاصلة على قسط ما من الحقيقة . والنقد الصحيح لهذه المحاولات يمكن أن يشمل جملة التجارب والحقائق التى حصل الباطنون عليها ، وأن يسمح بمعرفة حقيقة الحالة الراهنة لمسألة الحياة بما لا تسمح به نظرة عامة . وهذا التحريض نفسه يساعد على بيان الوجهة التى يجب أن تتبع للبحث عن إصلاح الحياة ، وعن وجه جديد لتكريها .

أما أن مثل هذه البحوث تؤدي إلى نجاح من هذه الناحية فذلك مما ينتظر أن نعرفنا به التجربة وحركة الحياة نفسها . فانه لأجل الحصول على تقدم فى هذه السبيل يجب أن توجد قوى جديدة كامنة فينا ، وأن لا تكون قد استنفدت ذخرها فى الصور التى أتبعناها إلى الآن . ولكن إذا كان الوجود كله لا يزال فى حالة تطور فهل يعقل أن يكون الإنسان خارجاً عن هذه الحركة العامة ، وهل يتصور أن تكون الكلمة الأخيرة قد قبلت فيه وحده ، ولاى سبب يحرم من التطور كغيره من أحياء هذا الوجود ؟

مهما كانت الحال فانا لا نستطيع أن نبقى جامدين ، منتظرين ما يحدث غير مكتثرين له . لأن انتفاضات فى هذا الموضوع تزداد كل يوم وضوحاً ، وتعمل على تجزئة الذخر الروحاني للحياة . فإذا كما نريد أن لا ندلع فى تيهور إقلاص باطنى لا قرار له ، وجب علينا أن نتقدم فى هذا البحث بدون إهمال ، منشجعين بهذه العقيدة بأن هنالك أموراً ضرورية قيد البحث ، ترفع أن تؤثر فيها إرادة أو رأى لا من فرد واحد ، ولكن من الناس مجتمعين ، فلنشرع الآن فيما تصدينا له معتمدين على هذه الحقيقة .

محمد قمبر وهدى

(مجلد الأزهر) هذه مقدمة الاستاذ رودولف أوكن ، وهى لا تستندى النقد ولا المقارنة ، فكل ما جاء فيها يتفق وأية فلسفة إسلامية ، فلننتظر ما يأتى به فى القصور المقبلة من كتابه ، فان فيه مجالاً فسيحاً للنقد والتطبيق ، وهى على أية حال تقف على اتجاهات الروح العصرية فى عهد كل المعقولات الدشرية موضوعة فيه تحت البحث والتحريض ، مما لا يصح أن يجهله مسلم يحمل أمانة الوحي الإلهي الأخير .

بقاء الذكر

قال أبو تمام الطائي فى هذا المعنى :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة أو ذكر سينة يسرى بها السكلم
أما سمعت ينهر باد أمته جاءت بأخبارها من يمسدها أم

التيسير روح الإسلام

جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » .

هذا الحديث من جوامع الكلم وأمهات الحكم ، وهذا شأن الرسول في كل مقال ، ولا تعجب لأن العجب إنما يكون عند حقاء السبب ، والسبب في ذلك واضح جلي ، فإن الله قد رفع درجته في العلم والبيان ليوافق أسلوبه أسلوب القرآن ، فلا قلبه علما وحكمة ، وهذا الحديث أصدق شاهد على ما تقول ، فقد أمر بالتدرج في التعليم ، واللفظ في التذويب ، والتخفيف في التكليف ، على وفق ما كانت عليه طريقة الإسلام في عهد التنزيل ، وقد كان لهذه الطريقة الحكيمية من الآثار في هداية النفوس الجالحة ، وإرشاد القلوب الشاردة ، وإزالة الشكوك الجالدة ، ما ليس لغيره من أي أسلوب توصل به مسيطر عفيف .

نعم إن نجاح الدعوة الإسلامية قام على الحق الذي أتى به الكذب الكريم ، ولكن الأسلوب الحكيم في شره كان من أكبر دواعي صفاء الناس إليه ، وأخدمهم به ، وتحمصهم له .
نما يمكن أن يساق من الملح المناسبة لهذا المقام ، ما روى أن رجلا قال لـهـ الرشيد « يا أمير المؤمنين إني أريد أن أعطيك بعض الغلظة فاحتملها » فقال له الرشيد « كلا إن الله قد أمر من هو خير منك بالإنابة تقول لمن هو شر مني فقال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون : « فقلوا له قولا لنا لعلنا يشكر أو يخشى » .

وفي الحق أن أسلوب القرآن وادبه في البيان فوق كل أدب وكل أسلوب ، فقد كان الله تعالى شأنه ينزل مع عدائه فيجاملهم بما لا ينقصهم ، فيمات عليهم أمتاعهم ، ويستميل عموهم ، حتى يستمعوا المواعظ القرآنية قتلا قلوبهم نورا وإيمانا . انظر إلى قوله في القرآن : « ادفع بالتي هي أحسن » وقوله : « وجادلهم بالتي هي أحسن » وقوله : « وناوواكم لعلهم يهدى أو في صلال مبين » وقوله : « قل لا تسألونهم عما أحرمنا ولا تسأل عما يعملون » .

فهذه هدى الله في كتابه وهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكرت لك منهما طرقا لتعقب به أمرك وتقتدي به في هديك ، فإني قد وجدت بعض غلاظ القلوب مسرقة مفرقة على العكس من ذلك الحديث ، يمجذوه الصواب في طريقته كما يحدد المريض الخلو مرا .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » فإني لا أكاد تجد زاجرا عن الغلو في الدين أبلغ من تعبيه حال المتعقب

فيه بحال من ارتحل ظهرا ويم سفرا ، فان أكره راحته على قطع الطريق دفعة ، هلكت وبقي وحده
 يثقل كفيه ندما ولات حين مندم ؛ وإن سار بها مع الرفق أوصلته للغاية مع رخ الثواب وحسن
 المآل . فإى أسوب في كلام البشر بدا في ذلك الأسوب الحكيم الذى دعا به رسول الله
 جميع الخلق الى الاقتصاد فى الأمر والاعتدال فى التصح وعدم التشديد على النفس ، وك
 فى السنة من حديث غير هذا حيث بها على الرفق ونهى عن التعمق ، كقوله لبعض أصحابه من
 حديث طويل : «م وم وصم وأفطر فان لبديك عليك حقا» وكقوله : «يأيا الناس إن منكم
 منفري فأيكم أم بالناس فليوجز فان من ورأسكم الكبير والصغير وذا الحاجة » . رواه
 الشيخان ومن هذا الباب قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أريحوا هذه القلوب فانها
 تم كمثل الأبدان والنفس مؤثرة لاهوى طالبة للراحة أمرة بالسوء فان أكرهتها أنضبتها
 وإن هملتها أوديتها » . ومن حكم أكرم بن صيفى فى هذا المعنى قوله : « من شدد نحر ومن
 تراخى ألف »

صفوة القول أن الخطاب فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا الخ»
 خطاب عام لكل راع مع رعيته ، وخاص للعلماء والحكام ، فاتهم سياسة الشعوب وقادة الأمم ،
 وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : يا معاشر العلماء ويا جماعة الحكام يسروا ولا تعسروا على الناس ،
 وبشروهم بثواب الله الذى أعد له عباده العاملين ، وخذروهم بالحكمة والموعظة الحسنة ،
 فان كان منكم إيعاد لهم بوعيد فليكن بحجواره برق بوعد كريم مراعين مقتضى الحال مع كل
 مستمع سواء أكان فردا أم جماعة . فان كان فردا فاصحوا اليه كما كان ينصح لثقه سيد الخلق
 صلى الله عليه وسلم على ضوء القراءة ونور البصيرة ، فقد كان يقول لرجل : « لا تضرب ويكررها
 ثلاثا » ويقول لآخر : « اقرء السلام وألن الكلام » وما الى ذلك مما يختلف باختلاف حال
 السائل . وأما إن كان جمعا فان كانوا من الخاصة فيحسن لهم وحدهم الإيجاز . ويحسن فيما
 هذا ذلك الاطناب .

وهذا كله فى حدود التيسير والنشير لافى حدود التنفيذ بالمقال الشديد الذى يخلف القلوب
 ويذهل العقول ، فانه مضاعف كونه غير مجد فهو عمل رجعى مكروه لا يتقرب الى الله بعنه .
 انظر الى قول لله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله : « وما جعل عليكم
 فى الدين من حرج » وقوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وفى الحديث
 « أحب العمل الى الله الحنيفية السمحة »

وبالجملة فان باب الرفق فى كل شىء باب جم الفوائد كثير السموات ، أذكرك نبذة وحيزة
 فى ما أخذ الامراء والخلفاء سياستهم الرشيدة من هدى الحنيفية السمحة فاتبعوا بذلك
 فى كسب مودة الشعوب واستقامة الجنود حتى قيل فى التاريخ الصحيح : إن عمر وحده قد فتح

في هذه سنة وثلاثون ألف مكان ما بين مدن وقلاع وفري وحصون . من ذلك ما فعله عمرو بن العاص وهو في طريقه ان مصر حيث وجد ابنه المقوقس حاكم لاقباط في مصر السفلى بالنيابة عن ملك الروم ، فبعث بها الى أبيها مع الحفاوة والتكريم ، فأثرت هذه المعاملة الحسنة في نفس أبيها ، وأثمرت المحبة للاسلام والمسلمين ، وكان من ثمراتها أن بعث رسلا من عنده لمفاوضة مع عمرو في شأن الصلح ، فلما رجعوا اليه قالوا له : « لقد وجدنا قوما التواصع أحب اليهم من العظمة ، ليس لأحد رغبة في الدنيا ولا مهمة ، جلوسهم على الأرض ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيقهم من وضيعهم ، ولا الحر فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة قاموا اليها ولم يتخلف منهم أحد ، يغسلون أطرافهم ويتشعشعون في سلاتهم » فقال المقوقس ، وقد وقع هذا الكلام من نفسه سرقع الاعجاب بالاسلام والمسلمين : « لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتالهم أحد ، فالرأي أن نصلح معهم » وعلى ذلك رضى قومه ، فكتب الى عمرو يقول : « إني لم أزل حريصا على إجابتك الى خصلة بما طلعت فأبى ذلك من حضرتي من الروم ، ثم عرفوا الصبح فرجعوا الى قولى ، فأعطى امانا حتى اجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي ونفر من أصحابك ، فان استقام الأمر بيننا تم الصلح ، وإن أبيت رجعا الى ما كنا عليه » فرضى عمرو بذلك ، واجتمع الفريقان ، ثم اصطلحا على قرص الجزيرة على غير الفيخوخ والصغار والنساء ، وعلى احترام حقوق الأقباط من مال وأرض ومعابد وكنائس ، وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ومن هذا الباب أيضا رفق عمر بن الخطاب بحبوشه في الفتوحات الاسلامية ، وعتابه الشديد لا مير الجيش فيما يراه شديدا من تعاليم نحو جنده . روى أن أبا عبيدة بن الجراح لما فتح أنطاكية صاح ، وكانت بلدة ذات شهرة عظيمة في التاريخ مناجها معتدل وهاؤها جيد ، كتب الى عمر يستأذنه في عدم إقامة الجيش فيها خوف أن يخلد الجيش الى الراحة ويستغيب الهواء ، فرد عليه عمر يقول : « وأما قولك بك لم تتم بأنطاكية لطيب هواؤها فإله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات ، قال تعالى - « يأيتها الرسل كلوا من الطيبات واملأوا صالحا إني بما تعملون عليم » وكان يجب عليك أن تريح الجند من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويرمحن الأبدان من نصبها ، أنت الشاهد وأنا الغائب » .

الاستنتاج والتفريع :

لقد بنى الاسلام كله على التيسير ، وجاءت شريعته مشبعة بهذه الروح الشريفة ، يظهر ذلك حلليا في كل حكم من أحكامها ، وكل قاعدة من قواعدها ، نذكر طرفا من ذلك على سبيل المثال لا الاستقراء ، فإليك :

١ - من ذلك نهى الامام عن إطالة الصلاة بالناس لما في ذلك من المشقة على المريض

والكبير وذى الحاجة ، وإنما حملنا تلك القاعدة فى مثل هذا الفرع دون القاعدة الأخرى وهى « الا قل يتبع الاكثر » إذ مقتضاها أن لا نعمل على المريض والكبير وذى الحاجة لقلتهم وكثرة الأصحاء ، لأن مهمة الدين تقضى بالتيسير لا بالتعسير .

٢ — ومنه رخص المرضى وهى كثيرة ، فمنها إباحة اليمين لمن خاف المرض أو زيادته ، وإباحة الصلاة من جلوس أو اضطجاع أو إغناء عن قدر المستطاع ، وكالفطر فى رمضان ، وما الى ذلك .

٣ — ومنه رخص السفر كالفطر فى رمضان ، وقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين مع حمل القصر سنة مؤكدة ، وحمل التمام مكروها ولو فى جماع ، ككراهة الصيام للحاج يوم عرفة ولو كان مستطيعا .

٤ — ومنه ما رخص للعولف يكون 4 زى خاص فى العامة تقضى به المراسيم ، فإذا كانت تلحقه مشقة بفكها فإنه يحسح عليها فى الوضوء .

٥ — ومنه آداب عبادة المريض ، فى الحديث « أفضل العيادة أجر » سرعة القيام من عند المريض »

٦ — ومنه الرقى بطلاب العلم ، فلا يجوز للعلم أن يعنف سائلا أو يمل سامعا ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « حدث الناس ما حدثجوك بأسماءهم ولخطوك بأبصارهم ، فإن رأيت منهم فتورا فأمسك »

سيد احمد متولى الشيخ

من علماء الازهر برشيد

من غوالي النصائح

قال الأديب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد ربه :

يا من تحمد للزما	ن أما زمانك منك أجهد
سلط نهاك على هوا	ك وعد يومك ليس من غد
إن الحياة مزارع	فأزرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبق سوى	آثارهم والمين تحقد
أو ما سمعت بمن مضى	هذا يذم وذاك يحمد
المال إن أصلحته	يصلح وإن أفسدت يفسد

الحكمة في خلق الحشرات^(١)

المعركة المنظمة بين أنواع من الحشرات

في الخلق عجائب استأثر بعلومها العلماء ومن يتتبعون بحوثهم من ذوي الالهيـب ، وطو علم
الدماء أن تلك البحوث لا تقتصر على نظرية العقول والقلوب ، ولكنها تمتد إلى صنع
بحاث جديدة لتحسين أحوالهم المعيشية ، وترقية مواردهم الاقتصادية ، لا يتلوا على الاطلاع
عليها أكثر من إقبالهم على البحوث الإلـدية . وإنما لا يتول هنا على ملخص بحث نشر في مجلة
العلم والحياة الفرنسية تحت العنوان المتقدم ، فإن فيه علما ، ولذة عقلية ، ونفعا للحياة العملية ، وسبيلا
إلى معرفة الله من النظر إلى مستوحاته . قالت المجلة الفرنسية :

إن نظرية تنازع البقاء تتخذ أشكالا غريبة مختلفة في المملكة الحيوانية ، ولا سيما
فيما بين الحشرات ، فقد شوهد أن هناك عراكا مستمرا بين الحشرات التي تتغذى
ببويضات أو دويـدات الحشرات الأخرى . من تلك الحشرات عدد عظيم جدا يُقتال
أنواعا منها تفتك بالمرزوعات ، فتأتي بفائدة عظيمة للزراع . وقد كنا نتساءل كثيرا هل
يتأتى للمستغلين بعلوم الطبيعة أن يستفيدوا من ذلك العراك القائم بين هذه الكائنات
فيمثلوا على مناصرة الأولى للتغلب على الثانية ؟

ولقد كانت نتيجة ذلك أن أنشئت عدة معامل كيميائية للبحث عن حل لهذه المسألة .
والآن لم تصبح معلومانا مقصورة على معرفة عدد كبير من الحشرات النافعة ، ولكننا
عرفنا طريقة استيلائها ونقلها إلى المناطق التي وإن لم تُبد فيها الحشرات الضارة تماما
إلا أنها تخفف كثيرا من وطأتها ، وتقلل بنسبة عظيمة من عملها الضار .

وقد اكتشف الميسر باركر حشرة عجيبـة ذات أجنحة غشائية تعيش دوابتها
في ديدان الحشرة التي تفتك بالكروم وتلف الذرة . وقد شرح خاصة حالة هذه الحشرة
ونمو أجنحتها الكثيرة ، إذ قد نخرج إحدى بويضاتها ثمانية أو عشرة أفراد .

(١) مرجع عن الفرنسية عن مجلة العلم والحياة الباريسية .

وكان أول من لاحظ مسألة كثرة الأجنة الميسر مارشال ، فذكر أن الحشرة المماعة أنستروس فوسيو ليس ، تخرج إحدى بويضاتها مائة دودة على الأقل وهذه الدودة المنتاهية في المعمر ذات الأجنحة العشائية ، والتي يبلغ طولها مئتين ، تعيش على بويضات دويدات ذات أجنحة عشائية أخرى لا ترى إلا بالمجهر ، وهي من فصيلة الأرضة التي تنخر أشجار البرقوق والتفاح وغيرهما ، فهي تنقب بويضة الفراشة لتضع فيها إحدى بويضاتها ، ثم تنقب البويضة بحالة طليعية وتكبر وهي حاملة معها حشرة « الأنسبرتوس » (Encyrtus) التي تنمو تدريجيا حتى يكمل نموها ، وفي هذا الوقت لا يظهر إلا غلافها الخارجي وقد نقشف وتجمد ، ويحتوى على أكثر من مائة بويضة تخرج منها الحشرات كاملة النمو ، وهذا العمل يتكرر مع الأنثى مائة مرة على الأقل ، فينتهى بإخراج عدد هائل جد من هذه الحشرة الضارة .

ولكن على الرغم من كل الصعوبات فإن الجهود مبذولة لوضع حشرات من نوع إزاء حشرات من نوع معاد لها لتطاردها وتبيدها صيانة للزروعات من شرهما . فمن تلك الحشرات المطاردة نذكر الخنافس ، والحشرة التي يطلق عليها اسم « فرس النبي » تتغذى حتى وهي في حالة الدورة الدودية من الحشرات الضارة ، وهي ذات نشاط عظيم ، وتأتي بمساعدة فعالة للزراع ، لأنها تبيد الحشرات الضارة وتقضى على نسلها .

فبعض الحشرات ذات الأجنحة العشائية وكثير من الحشرات المزدوجة الأجنحة مثل الأزيل (Aziles) تقوم بنفس الخدم ، وتقتال على الأخص الحشرات التي تم نموها من الحشرات الضارة .

هذا ولا ننسى الحشرات التي تتغذى بأعدائها في طور نموها وتقتلها قبل أن يكمل تطورها ، فتوقف الأكتار من نوعها ، وإن كانت بذلك لا تمنعها وقت وجودها من إتلاف المزروعات . ثم إنه يوجد كذلك عدد لا حصر له من الحشرات المنتاهية في العمر ذات الأجنحة العشائية والتي تضع بويضاتها في بيض الحشرات القتالة

فتفسد تلقيحها أو نعدمها بوضع بويضاتها الصغيرة مكان البويضات الضارة التي كان لابد من قفسها لولا تلك البويضات الصغيرة التي احضت مكانها . فكل تلك الأعوان النافعة التي تساعد المزارع على إبادة الحشرات الضارة ليست إلا كافية لدرجة أن تبديد جميع الحشرات الضارة ، لأن الطيور آكلة الحشرات تلتهم كثيرا منها أو تأكلها حشرات أخرى تميش بالتغذى بها .

تنظيم المقاومة في جميع الممالك :

لقد حاول الأمريكيون أولا تطبيق الطرق الكيميائية لمقاومة الحشرات الضارة بالزراعة ، فاستعملوا المساحيق والسوائل السامة للحشرات ، لكن هذا النوع من المقاومة كان يقضى على الحشرات الضارة والحشرات النافعة في آن واحد ، فلبثوا إلى تنظيم طرق أخرى للمقاومة .

فاوفدت الولايات المتحدة بعثات كثيرة للبحث عن طفيليات النوعين الموجودين بها من دود القز ، فأرسلت إلى الولايات المتحدة آلاف الأعشاش والصناديق من بينك الفراشيتين المريعتين ، ووضعت في صناديق خاصة لتربيتها ، وبوشرت بعناية تامة واهتمام كبير . وعند قفسها أخذ في تفتية الطفيليات الأصلية ، وعزات منها الطفيليات الدخيلة ، وأطلقت النافعة في النباتات التي تفتالها الحشرات الضارة ، ووضع بعضها في أقراص خاصة لتربيتها واستيلادها للإكثار منها .

ومنذ ذلك الحين استمرت هذه المقاومة للحشرات الضارة في جميع الممالك . وفي كل البلدان الآن يلجئون إلى تلك الأعوان الطبيعية لمطاردة أعداء الزراعة ، إلا أنهم تنحصر المقاومة في استخدام تلك الطفيليات فحسب ، بل لجئوا كذلك إلى الحشرات لمطاردة ، فقد عرفنا تلك الحشرة الشبيهة بالخنفساء التي تأوى غابات فرنسا وتفتك بالديدن الضارة التي تميش جماعات متجمعة ، والتي نقص عددها حتى آلت إلى كميات لا يعتد بها .

هذا فضلا عن ذلك فإن الحشرة الخطرة التي ذهبت إلى فرنسا من استراليا

دخلت الولايات المتحدة من طريق المصادفة ، ثم في إمبريقية الجنوبية والبورنغال وإيطالية ومصر .

وقد وقفنا بسرعة على نتائج المقاومة للحشرات الضارة بواسطة الحشرات النافعة . وأرسلت كميات من ديدان هذه الحشرات الأخيرة ومن صغارها وهي في دور تطورها الثاني الى جميع البلدان التي تفتك بمزروعاتها الحشرات الضارة .

لقد ذكرنا هنا نوعا واحداً من الحشرات النافعة ، ولكن توجد أنواع كثيرة غيره ، فبعضها يوجد بفرنسا ، وهي ذات تأثير فعال لدرجة أنها تبديد الحشرات الضارة بأشد وأحسن من معالجتها بالمواد السامة القاتلة للحشرات .

هيل الحشرات في الغنك بأعمرها :

وتوجد أنواع أخرى من الحشرات الصغيرة جدا تتخذ طرقاً أخرى لقتل الحشرات الضارة التي تكون غالباً من حجمها ، وذلك بأن تخرق الدودة وتضع بويضاتها تحت مرقد البويضات الضارة ، فالود الذي يخرج من الأولى يبديد بويضات الضارة ولا يترك مرقد إلا وقد كمل نموه وثق على البويضات الضارة .

والآن نتكلم عن الحشرات ذات الأجنحة الغشائية ، وهي غالباً من فصيلة الحشرات ذات البقع ، ومن حجم فريستها ، وتفتك بها بحيلة أخرى غيرها ، تلك أنها وهي في حجم بعوضة صغيرة تأكل الدود الكبير ، وكثيراً ما شاهدنا أكثر من مائة بعوضة تخرج من جسم دودة حديثة متوسطة الحجم .

وأحياناً نرى البعوضة تضع بيضة أو أكثر فوق جسم الدودة الكبيرة ، فالود الذي يخرج من البيض ينفذ الى جسم الحشرة الكبيرة ويضمود داخله دون أن يمس أعضائها الحيوية ، وقد رأينا الحشرة ذات البقع تضع بويضاتها بالقرب من فريستها التي تدخل في مرقد البيض ، وأحياناً يفتس الدود الصغير خارج الحشرة ويتعلق بضيفه المقبل ويعمل معه عمله كما في الحالة الأولى .

هذا ويلاحظ أنه في مدة نمو الطفيليات لا يفقد الدود نشاطه أبداً ، بل يستمر على عملية الإلتاف والإضرار ، وبذلك لا يكون للطفيليات تأثير مباشر كما هو الحال مع الحشرات المطاردة .

معامل لتربية الحشرات النافعة :

لقد أبتأبتلك الأمثلة السالفة ما تفعله تلك الأعداء المطاردة ، وما تقوم به الطفيليات التي هي مساعد كبير للزراع لقتل الحشرات الضارة ، إلا أنه مع ذلك يوجد خطر جدى في الإلتجاء دائماً الى الاستمانة بها ، إذ أنه قد تكون حشرة من الحشرات نافعة في بلادها الأصلية ، تصبح ضارة عندما تنقل الى بلاد غير بلادها بالنسبة لاختلاف الجو والنباتات في منطقتها الأصلية مع جو ونباتات المنطقة التي تنقل اليها ، فلا تتناسب حياتها في حالة النمو مع حياة ونمو أعدائها الذين يراد أن توضع أمامهم لمقارمتهم ، فبعد أن كانت نافعة واقية تصير ضارة مفسدة .

فإذا يجب أن يعمل إذاً للتفريق بين الحشرات التي تكون وحدها مفيدة وفي حد ذاتها نافعة دائماً ؟

لقد أنشئت لهذا الغرض في فرنسا معامل خاصة ، كاملة الاستعداد تامة النظام ، وتقوم بتنقية الفقس ، واختيار أحسن الأنواع ، وخص الحيوانات الصغيرة والشتبه فيها ، وإجراء التجارب عملياً عليها للتأكد مما إذا كانت تصلح لأن تغذى من غيرها ولا تنقلب ضارة .

ولقد أجريت تجارب طويلة لتربية الحشرة النافعة بكميات كبيرة ، ثم إطلاقها للقيام بعملية المطاردة ، فتنشر بسرعة في المنطقة التي يراد حمايتها ، وتؤدي الواجب الذي نيظ بها ؟

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام أيضا

مضينا بحضرات الفراء في شطر غير قليل من اسكلام عن الوقف وما يتعمد به وما يصير به صحيحا ، وأبنا في جلاء أن اعتماد الوقف يعتمد شروطا أربعة ، واقف ، موقوف ، موقوف عليه ، صيغة يتأدى بها المعنى المراد . فأسلفنا في إفاضة ما يجب توافره من شروط في الواقف ، وما يجب توافره من شروط في الموقوف وفي الموقوف عليه . وفي هذا البحث نحاول أن نبسط آراء علماء الفروع بسطا يتناسب وهذه المجلة ، ليكون الفراء على بينة ولو بقدر من ذلك التصرف الذي كان ولا يزال من أجدى أنواع التصرفات وفضل مناحي الخير والمبرات .

فن المتفق عليه بين جبهة من علماء الفروع أن يكون الوقف منجزا ، على معنى أن يكون واقفا على شيء قائم ، فلا يتمدد الوقف لو كان معلقا على شرط غير موجود حين الوقف . فثلا لو قال إنسان : هذه العين موقوفة على جهة كذا إذا جاء الغد ، أو رجع أخى من أوبته ، أو إذا تملك هذه العين ، فالوقف في هذه الصور باطل . والسرى بطلانه — على ما حكاه صاحب البحر الرائق — أن هذا التصرف لا يعدو أن يكون تبرعا ، ومن المتفق عليه أن التبرعات ، حاشا الوصية ، لا يصح تعليقها على شيء غير قائم ، كالهبة سواء بسواء .

واعتبروا من الوقف المعلق على غير موجود كذلك ما إذا قال : أرضى هذه وقفها على جهة كذا إن شئت ، ثم بعد فترة قال شئت دون أن يريد عليها ، ففي هذه الصورة لا يتمدد الوقف لأنه علقه على شيء غير قائم ، حتى لو قال في الصيغة المتقدمة شئت وجعلتها وقفا لا يتمدد الوقف إلا بهذا الإيشاء الثاني ، لأنه غير معلق ، دون أن يتمدد بالإيشاء الأول .

فالمنط في انعقاد الوقف عند علماء الفروع إطلاقه من غير تعليق ، وأن يكون للموقوف موجودا بالفعل ، حتى لو قال بصيغة التعليق : إن كانت هذه العين لي مائة في وقف ثم انقضت أمها كانت كذلك وقت وفاته ، انعقد الوقف ، ووقع صحيحا ، ضرورة أن للعلق على الموجود في حكم المنجز وفي معنى .

على أن الكلام في الوقف للعلق هل يقع أو لا يقع رأى لجمهرة الفقهاء كما أسلفنا . وإلا فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن التعليق لا يبطل الوقف ، وهو مذهب مالك أيضا .

ومن هذه الشروط ألا يكون الوقف مضافا إلى ما بعد موت الواقف ، وألا يكون معلقا على موته . فلو قال على الأول أرضي هذه صدقة موقوفة على الفقراء بعد موتي ، فلا يعتبر منه وقف ، بحيث يصح له أن يرجع فيه فيدحيانه . فإذا مات وبقى موصرا على الوقف انقلب بعد موته وصية . فإن خرجت العين الموقوفة من ثلث تركته تطبق لأحكام الوصية ، أو لم تخرج وأحازها الورثة ، ففي الحالتين تكون غلتها للفقراء . وإن لم تجز الورثة هذا التصرف فلا فقراء للموقوف عليهم غلة ما يخرج من الثاث ليس غير ، وبإتاق يصير ملكا للورثة . ولو قال على الثاني : إذا مات فأرضي هذه صدقة موقوفة على الفقراء ، لا يتمد وفا كذلك . فإن أضافه الواقف إلى وقت مستقبل غير وقت موته كما لو قال : أرضي هذه موقوفة بعد عام أو نحو ذلك ، صح الوقف ولزم . والحكمة في ذلك أن لو وقف كان في الأول معلقا على مجهول أو مضافا إلى ما بعده وهو الموت ، فلا يتمد فيه الوقف على رأى الفائلين ببطلان تعليق الوقف . أما إضافة الوقف إلى وقت غير وقت موته فهو متمد قطعاً ، لأنه أضافه إلى مستقبل محقق الوقوع إذا مد له في حياته .

ومن الشروط المصححة للوقف أن لا تقترن صيغته بشرط اختيار ، سواء أ كانت مدته معلومة أو غير معلومة . فلي افتراض الصيغة بشرط اختيار كما لو قال : وقفت أرضي

على الفقهاء على أنى بالخيار فى ذلك ثلاثة أيام ، إن شئت مضيت ، وإن شئت رجعت ، بطل الوقف عند محمد ، وهو الراجح ، وعليه عمل المحاكم اليوم . وقد أفتى برجعانه صاحب الفتاوى المهدية ، وحققه صاحب كتاب أنفع الوسائل فى باب الوقف . وعند أبى يوسف تفصيل فى المسألة : فإن قترنت صيغة الوقف بشرط الخيار لأكثر من ثلاثة أيام ، بطل الوقف ، وإلا انمقد صحيحا . لكن حقق صاحب المحيط وتابعه فريق من المتأخرين استثناء حكم المسجد من شرط الخيار المتقدم ، فإن شرط الخيار فيه باطل على أية حالة ، والوقف صحيح اتفاقا بين الأئمة .

ومنها ألا تقترن الصيغة بشرط ينافى حكم الوقف ، بأن قال الواقف : وفقت أرضى على أن لى أرب أبيعها وأتصدق بتمنها أو أهبها أو أغيرها أو أرهنها ، أو على أن لمن احتاج من ولدى مستقبلا يبيعها أو يهبها أو صرف ثمنها فى حوائجى ، كان الوقف غير منمقد ، ضرورة أن حكم الوقف لزومه . لكن نقل صاحب المجموع من كبار فقهاء المالكية أن مالكا رضى الله عنه قال : يصح للواقف فى هذه الصورة أن يشترط أن لمن احتاج من الوقوف عليهم أن يبيع من الوقف أو يشترط ذلك لنفسه إن احتاج . وحينئذ يعمل بشرطه . وفى هذه الحالة لابد من إثبات حاجة للشروطة فى كتاب وقفه لنفسه أو لولده والخلف عايبا ، إلا إذا اشترط الواقف أن يصدقه فى دعواه من غير يمين عليها .

وقد أسلفنا فى صدر البحوث السابقة أن القائل يلزم الوقف هو الإمام محمد كما نقل صاحب الدر ، خلافا لما ذهب إليه أبو حنيفة وهو عدم الزوم . ونقل الزيلعى أن مذهب أبى يوسف القول ببطلان الشرط وصحة الوقف فى هذه المسألة ، وليس بين الرايين كبير خلاف كما نرى ، ونقل الزيلعى أن الفتوى على رأى أبى يوسف ، وأنه استحسن ، وأن رأى محمد هو القياس .

وقد اتفق الفقهاء على أن كل شرط يضر بمصلحة الوقف مع عدم منافاته للزومه

يقع فاسداً ، ويتعقد الوقف صحيحاً ، فلوقال الواقف في إسهاده وقفه : وقفت هذه العين على جهة كذا ، وشرطت كذلك ألا أعزل إذا خنت ، أو شرط تقديم صرف ربيع هذه العين الموقوفة للمستحقين على الغلة ، وهو عكس ما عليه العمل شرعاً ، وقع الوقف صحيحاً ، ووقع الشرط باطلاً ، فإن الوقف لا يبطل بالشرط الفاسد اتفاقاً بين الفقهاء .

ومن الشروط المتعلقة بصيغة الوقف أن يكون الوقف مؤبداً ، فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر أن ليس بين محمد وأبي يوسف خلاف على تأييد الوقف في معناه ، وإنما الخلاف بينهما قائم على اشتراط النص على التأييد أو ما يجري مجراه وعدم اشتراط ذلك ، فالنص على تأييد الموقوف فيما لو قال الواقف : أرضى هذه موقوفة أبداً ، أو أرضى صدقة موقوفة ، أو هي موقوفة على الفقراء ، فعلى الأول يكون التأييد بلفظه قائماً في الصيغة ، وعلى الثاني ما يقوم مقامه ، لأن الصدقة لا تكون إلا للفقراء وهم لا يتقطعون في كل عصر وجيل ، وهذه قرينة على نية التأييد عند الواقف في الحالة الثانية . وقصارى القول على ما حققه الكمال بن الهمام في فتح القدير ، أن الإمام محمداً ذهب إلى أنه يجب لصحة الوقف أن ينص الواقف على التأييد أو ما يقوم مقامه ، على شريطة ألا يذكر بعده مصرف يحتمل الانقطاع ولا يابده ، كأن يقول : أرضى هذه صدقة موقوفة ، أو أن يقول موقوفة على الفقراء ، أو موقوفة لله أو لوجه الله ، فإن ما لله في الحقيقة للفقراء لأنهم عمال على الله . أو قول : أرضى هذه موقوفة في بناء المساجد أو الحصون أو زعميها أو الجهاد في سبيل الله ، أو ما إلى ذلك من جهات البر التي لا تنقطع .

ولنا عودة إلى هذا البحث في العدد القادم حينما في استقصاء ما ورد فيه من نظريات طريفة وفضايا علمية ليس للعالم غنى عنها ، فإلى الفد القريب من عباس
المحامى الشرعى

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

في الأدب العربي (١)

انتهت بانتهاء العصر الأول من تاريخ الأدب العربي بمجهودات العلماء في فن قراءة القرآن ، وأخذت بعد ذلك في الانفصال تدريجيا إلى أن انعدمت فيها أو كادت الروح الفكرية والناحية العلمية ، فاقصرت أغاب عماولانهم الأدبية على بحث ما جمعه المتقدمون من مواد ، وإخراجها في أبسط الأشكال وأسهبها ، بغير اهتمام للروح العلمية التي امتياز بها القدماء ، وأشهر المؤلفات التي ظهرت في هذا الفن لهذا العصر هو كتاب عثمان الداني المتوفى بمدينة «دانية» من أعمال الأندلس عام ٤٤٤ هـ وقد نظمته باختصار مواطنه الفاسطي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ .

أما المجهود الأدبي الذي بذله العلماء في علم التفسير فقد ظل حافظا لنشاطه الأول ، فقد ظهرت مؤلفات عديدة عامة في هذا المضمار ، هذا إلى جانب العدد الكبير من المؤلفات الخاصة بتفسير بعض أجزاء القرآن ، وأول المؤلفين المعروفين في هذا العصر هو علي الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وكان تلميذا للعالم الفسوي الفارسي الشهير النعماني ، وقد وضع ثلاثة مؤلفات كاملة في التفسير ، كما وضع سفرا جليلا بأسباب نزول الآيات ومناسبات الوحي ، واهتم من بعده العالم الأندلسي عبد الرحمن السهيلي ، المتوفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ بجمع وتعريف ما فيهم في القرآن من الأسماء والأعلام .
وقد كانت أشهر المؤلفات في هذا العصر وأكثرها ذبوعا التفسير الذي وضعه الرغزبني الذي سبق لنا ذكره في الحديث عن العلماء الانويين ، فلما أثار كتابه في التفسير معارضة قوية بين العلماء المتأخرين بسبب منعاه الديني الخاص ، رأى عبد الله

(١) تكملة المنصور في الجزء السابع (شهر رجب سنة ١٣٥٥) من هذه المجلة مترجما من الألمانية نقل

عن كتاب « تاريخ الادب لعرق » المستشرق الألماني الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

البيضاوي المتوفى بتهربز عام ٦٨٥هـ ضرورة مراجعته واستكمالته من المصادر الأخرى ،
وسرعان ما اكتسب رصداً للجميع وبقي حاثراً لنفحة السنين حتى العصر الحاضر ، وذلك
بالرغم مما رماه به أحد النوبى عام ١٠٢٧هـ من أنه لم ينبجج في التخاص من إلحاد المعتزلة .
وأما من ناحية القيمة العلمية فامتاز التفسير الذى وضعه نثر الدين الرازى المتوفى
بهرات عام ٦٠٦هـ عن كل ما سواه ، وربما كان عدم ذبوعه بين العامة واقتصاره على دوائر
العلم والعلماء يرجع الى حجمه ، ولقد وضع نثر الدين الرازى علاوة عن هذا السفر العظيم
في التفسير عدة مؤلفات أخرى في علوم الديانة والتشريع والفلسفة والتنجيم بعضها
كُتب بالفارسية .

وظهر في بدء هذا العصر عالم كبير ندين له علوم العمائد بكثير من الأبحاث الخطيرة
استقرت بفضلها منازعات القرون الأولى الى قرار نهائي هو الحل الوحيد الذى اتخذ
لاسلام من بعد ذلك ، هذا العالم البارز للبشكر هو محمد الغزالي ، ولد بطوس
في خراسان عام ٤٥١هـ ، طلب العلم ناشئ بنيسابور وانضم الى بطانة الوزير الساجوق نظام
الملك ، واستكمل في رعايته علوم الدين والفلسفة ، وفي عام ٤٨٤هـ احترف التدريس في الديانة
بالمدرسة العالية التى أسسها بيغداد وليه المعجب به ، ولكنه ما لبث أن تنازل بعد أربعة
أعوام لأخيه أحمد عن منصبه ، وذلك رغبة منه في التفرغ الى الأبحاث العلمية بعيداً
عن المشاغل ، خصوصاً أن الشك في صحة النعماليم السنية كان قد قام بنفسه منذ اشتغاله
بالتدريس ، فظهرت له من المشاكل ما يتطلب الحل السريع والتفسير الشافي ، وكانت
رغبته هذه في البعث والتنقيب تضطره الى زيارة العواصم الاسلامية ، فأنجبه أولاً
الى مكة فدمشق ثم الى الاسكندرية ، واتفق له أثناء سنى ترحاله أن يوفق الى إيجاد
ما يسد به ثغرة الخلاف بين العقيدة والعلم بواسطة التشكك الجدلى ، ولو أنه لم يشعر براحة
ضميره وخلود نفسه إلا بالتصوف ، فارتضى بكلياته في أحضانها ، وبأنه وهو بالاسكندرية
خبر الرابطين في أقصى البلاد الاسلامية غرباً ، وكانوا يعتقدون أنهم وفقوا في إعادة بناء

الدين بما تقتضيه الروح الإسلامية الحقة الأصلية ، فكان لهذا النبأ وقع عظيم عليه فلاه غبطة وحماسا ، واعتزم العمل معهم في خدمة أميرهم يوسف بن تاشفين ، ولكن المنية عاجلت هذا الأمير فتوفي عام ٥٠٠ هـ قبل أن يقوم الغزالي بتنفيذ ما استقر عليه عزمه ، وبذا أراح نفسه ألم خيبة الأمل التي كان لابد ملاقيها ، فان للرابطين كانوا أبعد من أن يرضوا بعبادته أو يعطفوا عليها ، فما كاد يتولى على الخلافة بعد أبيه يوسف حتى أصم بأحراق جميع مؤلفات الغزالي علنا بمرآكش ، وعلى أثر ذلك عاد الغزالي الى موطنه طوس ، وغضى بها بقية حياته مؤثرا العزلة ، الى أن دعاه السلطان محمد بن ماكشاه الى التدريس بنيسابور ، فأجاب رغبته لمدة قصيرة ، وتوفي عام ٥٠٥ هـ .

كانت قريحة الغزالي على غاية عظيمة من الخصوبة ، فجادت بروائع التأليف المتنازع وضرت بسهم وافر في جميع نواحي العلوم الفلسفية والدينية والتشريعية وعلوم العقائد والأخلاق والتصوف .

وكان في مؤلفاته في العقائد ملأاً بجميع نواحي هذا العلم المتشعب ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهكذا كان دأبه في المؤلفات التشريعية ، فهو الواضح لأم الكتب القانونية في المذهب الشافعي ، وأخيرا وضع في الصوفية مؤلفا جايلا في إحياء العلوم الدينية هو ممد الصوفية السنية ولم يهمل قط حاجات الشعب ، فكتب عدة رسائل في الأخلاق صادف بعضها رواجا كبيرا في البلاد الأجنبية

فإذا ظهر لنا من مؤلفات الغزالي الكفاح المستمر في الاسلام بين العقيدة والفلسفة ، فقد استقرت من بعده العلاقة ، وبواسطته بدأ ظهور تلك الطريقة الثابتة التي دونها عمر النيسني المتوفي سنة ٥٣٧ هـ في رسالة العقائد .

إلا أنه رغما عن ذلك بقيت أخبار هذا الكفاح الفكري في القرون الأولى من لاسلام زمنا طويلا موضع هتمام الناس وحدثهم في الشرق ولومن الناحية التاريخية ، فوضع في ذلك محمد الشهرستاني المتوفي بخراسان عام ٥٤٨ هـ كتاب الملل والنحل من بيان الفرق الدينية والمذاهب الفلسفية المختلفة في الاسلام .

وكان حب علماء المسلمين في الدفاع هو السبب القوي لعدم تركهم سلاح الجدل، وكانت تسنح لهم أيضا بين الآونة والأخرى فرصة مهاجمة المسيحية، ولو أن ذلك كان نادر الوقوع. ومن المؤلفات المعروفة في هذا الصدد الكتاب الذي وضعه سليمان ايباجي المتوفى بمدينة للرية من أعمال الأندلس عام ٤٧٤ هـ في تفنيد الدفاع عن المسيحية، وكان قد وجهه أحد رهبان مقاطعة فرانكن) الى المقتدر بالله وكان أميراً على سرقسطه في منتصف القرن الخامس الهجري، وربما كانت كذلك الرسالة التي وضعها فيصير بينظفه وقدمها الى الملك الكامل سلطان مصر في بدء القرن السابع الهجري هي السبب المباشر الذي من أجله تصدى صالح الجعفري عام ٦١٨ هـ الى وضع رد مفصل لتفنيد المسيحية واليهودية.

ولقد ظهر بين العلماء المسلمين في هذا العصر مؤلفون صديقون في النواحي العملية لمختلفة من الديانة والتشريع، فكانوا يضعون مؤلفاتهم إما رسائل خاصة «فتاوى» وإما على صورة كتب دراسية، وامتازت بعض هذه الرسائل والكتب بقيمتها العلمية، فذاعت ذيوها واسما، وكثرت تداولها واستعمالها.

وأهم من ظهر من علماء هذا المصالح الأدبي بين الحنفيين هو علي المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ووضع كتابا في الشريعة امتاز بفائدته العملية، وانتشر انتشارا واسما، ويعد من أهم الراجع الموثوق بها.

واشتهر من بعده من علماء المذهب الحنفي سراج الدين السجاوندي في أواخر القرن السادس الهجري، فوضع كتابا هاما عالج فيه ناحية خاصة من الشريعة وهي قانون الميراث، يرجع اليه في كثير من الأحكام.

وأما من بين المالكيين فاشتهر من علماء التشريع محمد بن رشد القاضي وإمام الجامع الكبير بقرطبة المتوفى سنة ٥٢٠ هـ فوضع عدة رسائل ومؤلفا كاملا في التشريع.

وطهر بين علماء الشافعية عدده كبير من المؤلفين الممتازين، وصادفت مؤلفاتهم

رواجا كبيرا ، وأقدمهم ابراهيم الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وكان أول عميد للمدرسة النظامية ببغداد .

واشتهر من بعده في أواخر القرن السادس الهجري أبو شعاع الأصفهاني ، فوضع كتابا دراسيا ، قام بتفسيره محمد الغزالي ، واليه يرجع الفضل في ذبوعه ، ولا يزال مرجعا هاما في التدريس بالقاهرة حتى الآن .

وآخر علماء الشافعيين الذين ظهرُوا في هذا العصر هو يحيى البواوي المتوفى بموطنه نوا بالقرب من دمشق عام ٦٧٦ هـ ، تولى التدريس بمدرسة الحديث الأشرفية بدمشق عقب وفاة أبي شامة ، وكتب عدة رسائل صغيرة في العلوم الدينية ، ووضع مؤلفا هاما في التفسير ، قام بتفسيره في القرن العاشر الهجري كل من ابن حجر والرملي ، فصادف بذلك انتشارا كبيرا وتداولوا واسع النطاق حتى أصبح عماد الكتب القانونية في هذا المذهب .

وأما المؤلفات التي اشتهرت بين علماء الشافعية في النواحي الخاصة العلمية فأهمها كتاب المواريت لابن الحسين الرحبي بن المتقن المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكتاب الأحكام العامة الذي وضعه اساوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ في حقوق الخلفاء وواجباتهم . وأما مذهب الحنابلة فإنه صادف في القرن السادس من الهجرة بين علماء هذا العصر من يرفع لواءه ويعلي شأنه بمؤلفات عديدة امتازت عما كتبه زملاؤه من علماء هذا المذهب في كثير من النواحي العلمية والأدبية كان لها أثر ظاهر في نهضة الأدب وتطوره في هذا العصر ، وهذا العالم الجليل هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ولد ببغداد عام ٥١٠ هـ من سلالة ترجع في الأصل إلى الخليفة أبي بكر ، وكان أبوه من الأثرياء ، فكفل له حياة دراسية ممتازة ، واهتم بالدراسات العلمية والأبحاث الدينية ، فكرس لها حياته مشغلا بالوعظ والارشاد ، فكان له في هذا المضمار شأن عظيم ، وكان شديد التمسك لمذهبه مغاليا في الذود عن تعاليمها ،

فدفعه نظره الى الوقوف في وجه كل من أدخل على الحديث تحويرا بدون مراعاة مصدره، حتى إنه تصدى لمناقشة كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) وصراجهته مستبعد من الأحاديث كل ما تشوبه ريبة أو يحسه الشك من قريب أو بعيد، ولقد كانت مجهوداته الأدبية وافر المصنوع متمدة الفروع، فشملت التاريخ وعلم الحديث وإيضاح القرآن خاصة في الوعظ والخطابة، وله مؤلفات أخرى في الجغرافيا والعلوم الطبية لم تعد المحاولات البسيطة.

وأما مذهب الظاهرية الذي شيد ببناءه داود بن علي في القرن الثالث لهجري فانه وجد في علي بن حزم من يمثله بالأندلس في هذا العصر، وكان في وقت من الأوقات وزيرا بقرطبة، وتوفي عام ٤٥٦هـ، وأشهر مؤلفاته كتابان: الأول في تاريخ الفرق الدينية، والثاني في مناقشة المذاهب التشريعية، ولقد قام العالم الصوفي ابن العربي بتفنيجه وإخراجه على الصورة المروفة لأن، وكان ابن حزم ميالا بطبيعته لهدم أكثر من البناء، فلم ينفع مبادئه فهدم ما ضرب بها، فعاث بقية حياته في عزلة عن الناس، يرميه أعدؤه بالألحاد والخروج على الدين، وهكذا كانت نهاية هذا المذهب الذي لم تتم له قائمة بعد وفاته، اللهم إلا ما بقي من بعض تلك التعاليم في العلوم الصوفية.

وقامت في غضون هذا العصر في غرب البلاد الإسلامية فرقتان بقصد الإصلاح الديني، لم تترك أولاهما (الرابطون) أنرا دينا بين المؤلفات العربية الإسلامية، وأما الفرقة الثانية (الموحدون)، وهي التي حلت محل الفرقة الأولى بعد آشتيتهما، فإن مجهودها الفكري قد بقي لحسن الحظ ممثلا في مؤلفات مؤسسها محمد بن تومرت، وهو من البربر من قبيلة مصوودة، وكان يعيش بالجنوب الغربي لجبال الأطلس في أواخر القرن الخامس من الهجرة، وطلب العلم بقرطبة عام ٥٠١هـ ثم يفسد، وعلى الأخص علم العقائد متبعها تعاليم أبي الحسن الأشعري، فلما عاد الى موطنه حاول نشر هذه التعاليم التي سماها التوحيد، مخالفا بذلك التشبيه في السنية المالكية، وبذلك ارتبطت بعقيدة

الشعبة بأحنية آل علي بالإمامة ، ولما طرد من البلاد الساحلية ذهب الى فيلكنه الجبلية ، ونجح في اكتساب أتباع مخلصين ، وفي عام ٥١٥ هـ أعلن عن نفسه بأنه المهدي ، وبدأ كفاحه ضد المرابطين ، وهاجم مراراً كشف سنة ٥٢٤ هـ ولم تغلح حملته ، وتوفي عقب ذلك بقليل ، وكان قد وضع كتاباً بتعاليمه ومبادئه التي ما لبثت بعد وفاته أن انتشرت على يد أتباعه انتشاراً واسعاً ، خضعت له شمال إفريقيا ، بل ودانت لها بلاد الأندلس بأجمعها . وأما فرقة الشيعة فقد نشطت حركتها الأدبية وكثرت مؤلفاتها بين جماعة الزيديين بحسب بلاد العرب ، ورجع ذلك الى تمتعهم في هذه البقاع بحياة فكرية هادئة في ظل رعاية حكومة منظمة ، فكان كل إمام يشعر بواجبه نحو شعبه في الوعظ والإرشاد وأشهر علماء الشيعة في الشرق محمد الطوسي المتوفى بالجف سنة ٤٥٩ هـ ووضع عدة مؤلفات تشريعية ، كما عني بوضع قائمة جمع فيها كل مؤلفات العلماء الشيعة السائدة في هذا العصر ، وتدلها هذه القائمة الضخمة على المجهود الأدبي العظيم الذي بذله علماء هذه الفرقة ومؤلفوها ، كما يتضح منها أن ما بقي حتى هذا العصر من المؤلفات لا يقاس بحساب ما أضاعته الأيام .

وأما فرقة الاسماعيلية التي سادت مصر وشمال إفريقيا بواسطة الفاطميين ، فقد خلعت ذكرى عقيدتهم في القصيدة الدينية التي وضعا الوزير طلائع بن رزيك ، صديق همارة الحكمي ، وكذلك في المحاضرات الدينية التي ألقى ببلاط الفاطميين بالقاهرة عام ٥٤٣ هـ .

وأما علم الحديث فلم يشمر في هذا العصر ثمر جديداً ، فلم تظهر في ميدان التأليف موضوعات جديدة أو مجهودات مبتكرة ، على الرغم من كثرة من اشترك في هذا المضمار من العلماء ، ولم يكن غير ذلك منتظراً ، فإن النهضة التي صادفها هذا العلم في غضون القرن الثالث الهجري كانت قد توجت بمجهوداتها وختمت بالمجموعات الصحيحة المعروفة ، ولو أن مصادر الحديث لم تكن لتخلق أبوابها حتى هذا العصر ،

فنشأت قصص دينية مختلفة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم تمرز أمثال ابن الجوزي من المجتهدين المتعصبين الحيلة في إثبات صلاحها ، ولو أن ذلك كله لم يكن لينعم على وجه العموم وقف هذا العلم عند حدود بحث المتقدمين من علماء الحديث ، وبذلك لم تعتمد جهود علماء هذا العصر لتنظيم المواد الموجودة في أبواب جديدة وتقسيمها إلى فروع مختلفة . وإلى جانب ذلك نشأ فرع جديد من الأبحاث الدينية كان له نصيب كبير في الحياة العلمية ، وهذا الفرع هو علم مصطلح الحديث الذي يبحث في الثقة من الرواة ، ولو أنه لم يكن يسترعى اهتماما عاما ، اللهم إلا بين طبقة العلماء ، وذلك لما كانت عليه أعمال البخاري ومسلم من الثقة النهائية .

ومن مجموعات الحديث التي ظهرت في هذا العصر واحدة تستحق الذكر إلى جانب مجموعات القرن الثالث من الهجرة ، وهذه المجموعة هي التي وضعها حسن البغوي المتوفى بمرور الوقت عام ٥١٦ هـ ، وهي مكونة من سبعة أجزاء ، روعي في تقسيم الحديث فيها نظام ثابت : صحيحة إذا كان مصدرها البخاري أو مسلم ، وحسنة إذا رجعت إلى السنن ، وضعيفة إذا كانت ترجع إلى مصادر أخرى ، ولقد قام محمد الخطيب التبريزي في عام ٧٢٧ هـ بتنقيح هذا السفر الجليل وإخراجه بصورة جديدة ، فانتشر انتشارا واسعا بسبب محتوياته الفنية وفائدته العلمية ، فكان هذا الكتاب للمسلمين من أنصاف المتعلمين عوضا وإفيا عن المجموعات الأخرى نخلوه من الأتقال العلمية .

وقد لا يستحق الذكر في هذا المقام من المؤلفات العلمية الأخرى التي ظهرت في هذا العصر إلا الكتاب الذي وضعه القاضي عياض المتوفى بمرور الوقت عام ٥٤٤ هـ مبيِّنًا فيه واجبات المسلمين نحو النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولا تزال الأيدي تتداول هذا الكتاب في دور العلم بين طلابه حتى هذا الوقت ، وقد تصدى لتفسيره وإيضاحه الكثير من العلماء من بعده .

poured over his head three scoops of water with his hands. Finally he let the water flow over the whole of his skin.

2. We are informed by Muḥammad b. Yūsuf, who had it from Sufyān, through Al-A'mash, through Sālim b. Abū-l-Jā'd, through Kurāib, through Ibn 'Abbās, through Maimūnah the wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said

"The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) used to perform his wudū' as for prayer, excepting his feet. He then washed his member and any part sullied by seminal discharge. Next he let the water flow over himself. Finally he shifted his feet and washed them. Such was his ghusl in consequence of pollution through sexual intercourse."

CHAPTER 2.

On a man performing his ghusl from the same vessel as his wife.

We are informed by Adam b. Abū Iyās, who had it from Ibn Abū Dhī'b, through Az-Zuhri, through 'Urwah, through 'A'ishah, who said:

"I and the Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform our ghusl from the same vessel. This vessel was called a *farāq*. (1)"

غُرْفٍ يَدْبِنُهُ، ثُمَّ يُغَيِّضُ لَمَّةً
عَلَى جَنْبَيْهِ كُلِّهِ

٢ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا
سفيان عن الأعمش عن سلم بن أبي الجعد
عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت

«نَوَضَّاءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَضُوءُهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ
وَعَسَلَ فَرْجَهُ وَتَمَّ أَصَدَهُ مِنْ
الْأَثَمِ ثُمَّ أَفْضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ
كَبَحَى رِجْلَيْهِ فَغَسَلَتْهُمَا، هَدَاهُ
غُسْلُهُ مِنَ الْجَسَانَةِ.»

- ٢ -

بَابُ غُسْلِ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ
حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا
ابن أبي ذئب عن الزهري عن عروة عن
عائشة قالت

«كَانَتْ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنْ
قَدَحٍ يُقَالُ لَهُ الْفَرَقُ.»

(1) A *farāq* is a measure of capacity equal to two sā's or sixteen rotls.

sexual intercourse -- except ye be wayfaring -- until ye take a ritual bath; and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it. Truly Allāh is gracious and forgiving". (1)

CHAPTER I.

On performing the wudū' before the ghusl

1. We are informed by 'Abdu'lāh b. Yūsuf, who had it from Mā'ik, through Hishām, through his father, through 'A'ishah the wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that

When the Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform the ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse, he began by washing his hands, after which he performed his wudū' as for prayer. He then immersed his fingers in the water, and having passed them through the roots of his hair, he

تَسِيلُ حَتَّى تَفْسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوفًا غَفُورًا.

- 1 -

بَابُ الْوُضُوءِ قَبْلَ الْغُسْلِ:

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ أَبِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ وَمَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصْبَعَهُ فِي الْمَتَدِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أَصُولَ شَعْرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ

(1) Surāh 4: 43. This Book is prefaced by these two verses from the Qur'ān in order to stress the fact that the practice of ghusl is ordained in the Holy Book.

In The Name Of Allāh The All-Loving
The Most Merciful.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BOOK V.

الكتاب الخامس

On Ghusl; (1)

(كِتَابُ الْغُسْلِ)

and the word of Allāh (be He exalted) . . . and if ye be ritually unclean through sexual intercourse, then take a ritual bath, and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, (2) and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it; Allāh desireth not to make it burdensome to you, but desireth to purify you and fulfil his blessing upon you, that haply ye may be thankful" ; (3)

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَأَطْفِئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى
أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
مِنَ الْمَنَاطِطِ أَوْ لَأَقَمْتُمُ النِّسَةَ
فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ
يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسِمِّيَكُمْ بِحَمْدِهِ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

and on His word (glorified be His name) : "O ye that believe! Draw not nigh unto prayer while ye are drunken, until ye know what ye are saying; nor yet while ye are ritually unclean through

وَقَوْلِهِ سَجَلٌ ذِكْرُهَا . يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا
مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُسًا إِلَّا عَابِرِي

(1) Ghusl = a ritual bath as a consequence of having been in a state of ritual uncleanness consisting in the menses, coitus, childbirth, nocturnal emissions or contact with the dead

(2) — either mere touch as according to Ash-Shāfi'ī, or in particular, sexual contact as according to Abu Hanīfah

(3) Surah 5: 6.

from Thee save in Thee, O Allāh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed, and in Thy Prophet whom Thou hast sent.' Then if thou diest that night, thou diest in the true Faith. Let these words be the last that thou utterest."

Al-Barā' added: "When I was rehearsing this supplication to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and reached the words: 'O Allāh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed,' I said 'and Thy Messenger.' 'No,' said the Prophet, 'say and Thy Prophet whom Thou hast sent.' " (1)

إِلَيْكَ ، لَا تَنْجِيَا وَلَا تَنْجِيَا
مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ
وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مِتُّ
مَرَكِبَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفَيْطْرَةِ ،
وَاجْعَلْنِي أَحَرَّ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ،
قَالَ فَرَدَّدْنَاهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا تَلَعْتُ ، اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ،
قُلْتُ ، وَرَسُولِكَ ، قَالَ ، لَا
وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ .

The End of the Book of Wudū'.

انتهى كتاب الوضوء

(1) Ibn Hajar states that the Prophet wished to stress that the function of prophet is of a higher order than that of messenger, the latter being shared by angels, who are sent to prophets without being prophets themselves. He also supposes that the Prophet wished to combine the idea of prophethood and message, since he was a prophet before he was a messenger. Al-Qastalānī suggests that the Prophet wished to avoid the alteration of رَوَّلَ and أَرْسَلْتَ, since the question of style is not without its importance, and besides, the Prophet's own words may not be changed, as being not only inspired, but the final appeal in rhetoric.

It is noteworthy that Al-Bukhārī has chosen this hadith to conclude the Book of Wudū', in order that it may end on a beautiful and devotional note. The fact that the wudū' before sleep is the last of the day, and that death may come during sleep, lends special charm to its due performance — the passage on the last wudū' coinciding with the last hadith of the Book.

"I saw myself in a vision using a tooth-stick when two men came to me, one of them being older than the other. When I handed the tooth-stick to the younger of them, it was said to me by Gabriel, 'Serve the elder first' so I offered it to the elder of the two."

Al-Bukhârî stated that this hadith was given in an abridged form by Nu'aim, through Ibn-ul-Mubâarak, through Usâmah, through Nâfi', through Ibn 'Umar.

CHAPTER 77.

On the merit of one who goeth to sleep at night in a state of wudû'.

We are informed by Muhammad b. Muqâtil, who had it from 'Abdullâh, who was told it by Sufyân, through Mansûr, through Sa'd b. 'Ubaidah, through Al-Barâ' b. 'Azîb, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to him:

"When thou goest to thy couch, perform thy wudû' as for prayer, and then lie upon thy right side. After that say: 'O Allâh to Thee I commit myself, to Thee I resign my being, and upon Thee do I rely in hope and fear of Thee; there is no refuge and no escape

وَأَرَانِي أَتَسَوَّكُ سِوَاكَ
فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ
مِنَ الْآخَرِ، فَوَلَّيْتُ السَّوَّكَ
الْأَصَمَّ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ
فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا.
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ احْتَصَرَهُ
نُعْنِمُ عَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ عَنْ أَسَامَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

- ٧٧ -

بَابُ فَضْلِ مَنْ نَامَ عَلَى
الْوُضُوءِ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ قَالَ أَخْبَرَنَا
عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ
عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَزَبٍ
قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِذَا أَلَيْتَ فَضَنِّجَكَ فَتَوَضَّأْ
وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ
عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ:
اللَّهُمَّ أَسْتَسْقِئُ وَجْهِي إِلَيْكَ،
وَقَوِّضْ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ
طَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً

1. We are informed by Abu-n-Nu'mân, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ghailân b. Jarîr, through Abu Burdah, through his father, who said :

"I once visited the Prophet (Allah bless him and give him peace), and found him rubbing his teeth with a tooth-stick in his hand and making guttural sounds (1) while the tooth-stick was in his mouth, as if he was vomiting."

2. We are informed by 'Uthmân, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâ'il, through Hudhaifah, who said.

"When the Prophet (Allah bless him and give him peace) rose in the night to pray, he used to cleanse his mouth with a tooth-stick."

CHAPTER 76.

On offering the tooth-stick to the elder first.

'Aïfân stated that he was informed by Sakhr b. Juwairyah, through Nâfir, through Ibn 'Umar that the Prophet (Allah bless him and give peace) said.

١ - حدثنا أبو الثمان قال حدثنا حماد

ابن زيد عن كغيلان بن جرير عن أبي ربة عن أبيه قال :

« أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوجدته يستنُّ بسواكٍ بيده يقول أعْ أعْ ، والسواكُ في فيه كأنه يتسوّعُ . »

٢ - حدثنا عثمان قال حدثنا جرير

عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة قال :

« كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قامَ من الليلِ يتسوّعُ فاهُ بالسواكِ . »

— ٦٧ —

بابُ دفعِ السواكِ إلى الأَكْبَرِ ،

وَقَالَ عَمَّانُ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(1) أَعْ أَعْ the vomiting sound produced on the contact of an object with the back of the palate.

and on Abu-l-'Alivah having said

"Pass your wet hands over my foot, for it is sore." (1)

We are informed by Muhammad, who had it from Sufyān b. 'Uyaynah, through Abu Hāzim, who heard Saḥl b. Sa'd As-Sā'idi say (there being no one intervening between him and Abu Hāzim) in answer to a question put to him by some people as to the remedy used for the Prophet's wound (Allāh bless him and give him peace).

"There is no one living that knoweth the matter better than I do. 'Alī had brought his shield full of water, and Fātmah washed the blood off the Prophet's face. A straw mat was then taken and burnt, and his wound was stanchd with the ashes." (2)

CHAPTER 75.

On rubbing the teeth with the tooth-stick:

and on Ibn 'Abbās having said "I spent a night in the Prophet's house (Allāh bless him and give him peace), when he used the tooth-stick.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اامْسَحُوا عَلَى رِجْلِي فَإِنَّهَا مَرِيضَةٌ.

حدثنا محمد قال أخبرنا سفيان بن عيينة عن أبي حازم سمع سهل بن سعد الساعدي وسأله السائل وما يئسى ونسبه أحد: ماى كفوى دورى جرح النى صلى الله عليه وسلم؟ فقال

ما بقى أحد أعلم به منى. كان على يحيى بن زبيرة فيه ماء وقاطمة تمسح بمر وجهه الدم فأخذ حصير فأحرقه فغشى به جرحه.

- ٧٥ -

بابُ السَّوَاكِ،

وقال ابن عباس: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستن.

(1) I e. both cases show that help may be sought in removing defilement for the purpose of the wudū.

(2) This incident took place at the Battle of Uhud when the Prophet's face was cut and a tooth injured

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم بن محمد الموصلى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

CHAPTER 73.

The wudû is not permissible with wine or any intoxicant ;

and it was reproved by Al-Hasan and Abu-l-'Aliyah ;

and 'Atâ declared : "I prefer the dry ablution to that performed with wine or milk."

We are informed by 'Ali b. 'Abdullâh, who was told it by Sufyân, who had it from Az-Zuhri, through Abu Salamah, through 'A'ishah, from the Prophet (Alâh bless him and give him peace), who said

"Any drink that intoxicateth is forbidden."

CHAPTER 74.

On a woman washing blood from her father's face,

- ٧٣ -

بَابُ : لَا يَجُوزُ الْوُضُوءُ
بِالسَّبِيزِ وَلَا بِالْمُسْكِرِ .

وَكَرِهَهُ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ .
وَقَالَ عَطَاءُ : هَذَا تَيْسَمُّ أَحَبُّ
إِلَىَّ مِنَ الْوُضُوءِ بِالسَّبِيزِ وَالْمُسْكِرِ .

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سميان
قال حدثنا الزهري عن أبي سلمة عن
عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
كُلُّ مُسْكِرٍ أَسْكِرٌ فَهُوَ
حَرَامٌ .

- ٧٤ -

بَابُ غَسْلِ الْمَرْأَةِ أَثْنَاءَ الدَّمِ
عَنْ وَجْهِهِ .

المجلة الأزهرية

مجلة الأزهر

حصرات المشتركين

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فإنه نظرا لوعك انتهاء السنة السابعة لمجلة الأزهر ، نرجو حضراتكم التفضل بإرسال بدل الاشتراك المتأخر ، لا ننا حاملون على تسوية حساب ، ومثلكم يسره معاونة الادارة على القيام بمهمتها .
فارجوكم تقديرا لهذه المجلة التي تخدم الثقافة الاسلامية أن تلبوا طلبها ، ولكم الشكر الجزيل .

تفضلوا بقبول احترامي الفائق
مدير مجلة الأزهر
محمد فريد روجدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشؤون الاجتماعية والمذاهب الفقهية

كلية جامعة لحصرة صاحب الفصيلة الأستاذ الامام

الشيخ محمد مصطفى المراعي شيخ الجامع الأزهر

لقد أطلق الاسلام حرية البحث والنظر لسكل مفكر من أهله، ولم يقيد إلا بما
تقيد به الفطرة السليمة أهأها، من توخي الحق، ونجوى العدل، والاستهداء بالأعلام
التي نصبها الله للوصول الى الباب البحت، من كل ما يعرض للنظر، أو تدفع الحاجة اليه.
أول ما عرض للمسلمين بعد تأليفهم جماعة، أن يقيموا لهم حكومة، وأن تكون
لهم شريعة، فكانت شريعتهم الكتاب وما ثبت من سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم،
فكانوا إذا لم يجدوا الحكم في الكتاب بحثوا عنه في السنة، فإن عز عليهم فيها عمدوا
الى الرأي مستأسيين بالأشباه والنظائر، ومعتمدين على الأصول الاسلامية الأولية
من إقامة العدل، واثبات الحق، مع مراعاة المساواة المطلقة بين الأقوياء والضعفاء.

فلما استقرت للاسلام الدولة، وتشعبت مصالحها، وتعدت معاملاتها، اقتضت
أن ينقطع رجال من أصحاب العقول الكبيرة الى العمل على تناء صرح الشريعة، فنظروا
في الكتاب ثم في السنة، ثم فيما جرى عليه العمل في المسائل المختلفة، وأعملوا آراءهم فيما
م يهتدوا الى نص عنه، أو حكم سبق فيه أو في مثله، فكانوا يجلسون في مساجد
حلقات حلقات يتفهمون هذه المسائل الشرعية، ويتباحثون فيها، غير مقيدون بغير

ما قدمناه من الأصول الإسلامية المقررة ، حدثت في المسألة الواحدة مذاهب عدة ،
سكل مذهب منها معتمد يعتمد عليه ، ودليل يستند اليه .

فلما تتابعت الأيام ، وجاء القرن الثاني ثم الثالث ، حدث انتخاب طبيعي في جميع
هذه المذاهب ، وأمكن إدماج أكثر الآراء الفقهية في أربعة مذاهب رئيسية ، وما بقى
منها خارج هذه الأربعة لم يهمل أمره ، ولسكنه دون في كتبها وأشير اليه في أئماء
عرض الآراء المختلفة ، واستؤنس به في تفهم بعض الأحكام الغامضة ، بل وأخذ به عند
الضرورة ، لأن الفقهاء الإسلاميين لم يقرروا لإقفال باب التجديد الفقهي في أى زمن
من لأزمان الى يومنا هذا . وقضوا بأن كل رأى يثبت أنه أقرب لآراء المقصد للشارع ،
ويستند في لوقت نفسه الى الأصول الأولية التي جعلها الاسلام أساسا لكل قانون
عادل ، يجب الأخذ به وإن لم يقل به أحد من المتقدمين ، كما أخذ بأقوال الأئمة الأربعة
سواء بسواء .

هذا الأسلوب التشريعي ليس له نظير في أية ملة من المل ، فإذا كان أصحاب
القوانين الوضعية يقومون عليه منذ عدة قرون ، فإن الاسلام قد سبقهم اليه قبل
نحو ألف سنة ، ولم يشكروه أحد من أهله حتى في أشد أجيالهم جهودا على القديم .

ولست بحاجة أن أنبه أن هذا الأسلوب يضمن للشريعة الإسلامية البقاء
والتفوق حتى تقوم الساعة . ولا يعقل أن يأتي عهد يقال للمسلمين فيه : إن قانونكم أصبح
متعجراً فإذا أردتم النهوض وجب عليكم أن تأخذوا بغيره من القوانين الوضعية .

فإذا كان قد حدث مثل ذلك فلأن العالم الاسلامي كان يخلو من دعوس كبيرة نحى
حى شريعته ، يمثل هذه الحجة البيضة ، ونعمل على ثبات ذلك بالفعل .

كيف يعقل أن تنصرف الجهود الى الشرح الاسلامي ، أو يضيق عن حاجات الاجتماع ،
وهو إنما يقوم على الحقوق الطبيعية ، والعدل المطلق ، والمساواة التي لا تشوبها شائبة ؟
ولم يقل أحد من الذين تولوا أمره من أول عهد الاسلام الى اليوم إنه يجب على المسلمين

أن يقفوا حيث هم جامدين حيال الضرورات الاجتماعية التي نطالبهم عايسد ثلمها ، وأن يأخذوا بالفوائين الوضعية أولى لهم من أن رجعوا الى رأى من آراء الصعابة والتابعين بحجة أنها لم زرد فى واحد من المذاهب الأربعة .

وهذه أقوال أصحاب المذاهب الأربعة تنمى على هؤلاء الجامدين موقفهم هذا وتقدم من الخروج على الدين .

كان أبو حنيفة إذا أفتى يقول : « هذا رأى أبى حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب »

وكان مالك يقول لأصحابه كلما استنبط حكماً : « انظروا فيه فإنه دين ، وما من أحد إلا وماخوذ من كلامه ، وردد عليه إلا صاحب هذه الروضة » يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الشافعى لتلميذه الربيع : « يا أبا إسحق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين »

وقال أحمد بن حنبل : « انظروا فى أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عى للبصرة » .

كان لإمام الجليل للشيخ محمد عبده أول رأس كبيرة ظهرت فى العالم الاسلامى عقب دور طال أمده فى الفتور ، فعمل جهده على إقامة حجة الدين ، وسمى سعيها متواصلاً لتحسين موقف المسلمين حيال هذه الشبهة الخطيرة ، ولكن العقبات على عبده كانت مما لا يمكن تذليلها بفعل الأفراد ، فبقيت أقواله تنبى الغافلين ، وتحيب بالجامدين ، وتختلف على طريقته تلميذه الأول الإمام الجليل صاحب الفضيلة الشيخ المراغى ، فكان أول ما وجه حمة اليه إصلاح قانون الأحوال الشخصية قبل نحو عشر سنين ، بغير تقييد بالمذاهب الأربعة ، ولكن أخذاً من جميع الآراء الاسلامية فى المهد الذهبى الذى

سبق هذه المذاهب ، غالت الحوائل دون تعاذ ذلك القانون ، بسبب بقية جمود كانت لا تزال موجودة تمرقل أعمال المصلحين .

فلما تسنى لفضيلاته اليوم أن يرأس اللجنة الى عهد اليها أن تصلح قانون الأحوال الشخصية ، الذي أثبتت الحوادث عدم كفايته ، تناوله بتلك الروح العالية التي تناوله بها أول مرة ، مؤال على نفسه أن يخرج للناس بمعونة الله ، ومساعدة لأعضاء الكرام الذين نذبوا للعمل تحت إشرافه ، نظما إسلاميا للأحوال الشخصية تتجلى فيه سماحة الاسلام وسمو نظره في الشئون الاجتماعية ، بما يكون له أبعد الآثار في إصلاح الأسرة وحفظ كيان الجماعة في هذا العصر الحافل بالفتن والعازع .

وها نحن نعرض على القارئ نص الخطبة الجليلة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الامام المراعي ، وهي على قصرها فاتحة عهد الحياة الاسلامية الصحيحة ، نستقبله لامة في مشارق الأرض ومناربها بما يستحقه من الاحتفاء والشكر .

كلمة فضيلة الاستاذ الكبير

في اجتماع اللجنة الشرعية العليا

مضرات السادة :

حددت وزارة الحفانية في مذكرتها التي استصدرت بها قرار تأليف هذه اللجنة مهمتها ، ويذنت الدواعي التي دعت الى تأليفها ، وقد منحت الحرية لهذه اللجنة في تخير الأحكام من مذاهب فقهاء الاسلام . وقد يظن أن في هذا العمل ابتداعا ، وأن ساف هذه الأمة لم يعملوا مثله ، وأنا أدفع لكم هذا الظن بم أطلعكم عليه بم هو مذكور في كتاب الولاية والقضاء للسكندی ، فقد جاء فيه في مواضع متفرقة ما يأتي :

« وكان أبو عبيد يذهب مذهب أبي ثور ثم صار يختار ، فجميع أحكامه بمصر باختياره ، وحكم بما لو حكم به غيره ما سكتوا عنه ، فلم ينكر عليه أحد ، لأن أبا عبيد كان لا يطمئن عليه في علم ، ولا تلحقه تهمة في رشوة ، ولا يهيف في حكم ، وهو آخر قاض ركب إليه الأمر ، في مصر ، وكنت بمصر أفاضله ، وجمعت توقيعاته ، وكانت عشوة فقهه ، وبلاغته . »
 « قال الطحاوي : وكان أبو عبيد يذكركني بالمسائل ، فأجيبته يوماً في مسألة ، فقال لي : ما هذا رأي أبي حنيفة ، فقلت له : أيها القاضي أو كل قال أبو حنيفة : قول به ؟ قال : ظننتك مقلداً ، فقلت له : وهل يقلد إلا عصبى ؟ فقال : أو غبي فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثلاً . »

وأبو عبيد هذا هو القاضي علي بن الحسين بن حرب ، ولي القضاء بمصر سنة ٢٩٣ هجرية وصرف عنه سنة ٣١١

هذا أيها السادة كان حال أبي عبيد وحال الامام الكبير الطحاوي : يريان أن التقليد ثمرة الفباوة أو العصبية . وأبو عبيد القاضي يتخير الأحكام دون إنكار منكر ومنازعة منازع ، وهذا الى ما هو معلوم لكم من قواعد المذاهب في إهمال العرف وصراعات الضرورة والخرج وصراعات المصالح العامة ، ومن روح الشريعة الاسلامية في اليعسر وصراعات قواعد العدل ، يدفع عنكم كل شبهة تخطر ببال الجامدين والأغبياء المتعصبين .
 نعم إنه وإن كان تخير لأحكام حسنا وعمل به من قبل ، إلا أن ترك الحرية للقضاة يختارون يعمدون في الحقيقة قوانين الدولة الواحدة والأمة الواحدة ، ويجعل الناس خيارى لا يدرون على التحديد أو التقريب القانون الذى يطبق على أفضيتهم عند التنازع . وقد شعر الناس قديماً بصرف ذلك ، وبوجوب اتباع قانون واحد يسرى على المملكة الواحدة ، فمن الواجب أن يتخير القانون ، وأن يحمل القضاة على اتباعه ، وهذا هو العمل الذى كلفتم به ، والذي أرجو أن تقوموا به وتؤدوه انتقاء إسعاد هذه الأمة وتحقيق الخير لها وإقامة العدل بينها .

وفي كتب الفقه الاسلامي من الآراء والمذاهب ما فيه شفاء للناس إذا أحسن التعبير وصدقت النية وصحت العزيمة ، وأعتقد أنه لا يكاد يخطر رأى بالبال في حادثة عرضت للفقهاء من قبل إلا وهذا الرأى موجود يمكن العثور عليه للباحث المجتهد .

وقد وصفت الحكومة ثقتها فيكم ، وأنتم من خيرة الفقهاء وخيرة العلماء القادرين على البعث والترحيح والاستنباط ، ومنكم كثيرون لانسوا الحياة العملية ، وقبضوا على ميزان العدل والقسطاس بين الناس ، وأدركوا مقدار الحرج والضيق الذي يستولى على القاضى عند ما يكون الحكم الملتزم باتباعه عبر تحقيق العدل وغير ملائم للعادلة التي يريد الفصل فيها .

غير أنه لا يصح أن يفوتنى ، وقد كنت قاضيا من قبل ، أن إصلاح قانون للوضوح إصلاح لنصف القضاء غريب ، أما النصف الآخر فهو بيد القاضى نفسه ، لأن عليه أن يفهم الوقائع أولا كما هي بعد تلمس أدلتها ونقدها ، وبعد الموازنة بينها ، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت والحق يفلت من يد صاحبه ، وعليه أن يشمر الناس جميعهم بالاطمئنان اليه ، وأن يحملهم على الرضاء بحكمه ولو كان عليهم ، لسيرة الطاهرة وبعده عن التبهات . وإذا صح التناضى عن تخيير الرجال في بعض أعمال الدولة فلا يجوز بحال التناضى عن تخيير القضاة من أفاضل العلماء علما وخلقا وأدبا ونهجا وصبرا واستقامة واستمساكا بالدين والفضيلة والمروءة . وهذا ما أوجو أن يجعله وزارة الحفانية موضع عنايتها .

والله يقول هداانا ، ويبصرنا مواضع الحق ، ويجنبنا مواضع الزلل ، إنه نعم السميع المجيب .

وهنا نهض سعادة مصطفى حنى بك وكيل وزارة الحفانية وألقى الخطبة التالية :

خطبة سعادلة حنفى بك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر - سادق :

كلفتى حضرة صاحب العالى وزير الحقاينة أن أقدم لحضراتكم أحسن تحياته وأطيب تمنياته، كما كلفتى أن أقدم لكم باسم الحكومة شكرها الجزيل على تفضلكم بتلبية نداء بل بداء لأمة بأسرها للقيام بهذا العمل الجليل أثره ، المعظم خطره . ولا شك أنكم سنبذلون فيه من وقتكم وجهدكم ما أنتم فى حاجة اليه فى مهامكم الأخرى التى تقومون بها ، غير أنى أشعر أنكم إذ تبذلون هذه التضحية تشعرون معها بعبطة ورجة تفسيكم عظيم ما تبذلون ، ذلك لأنكم وأنتم من أكبر رجال الشرع والقانون تقدرون أثر ما أنتم قادمون عليه .

السنا نطلب منكم أن نعملوا على إصلاح حال الأسرة ، وبالتالى الأمة المصرية ؟ وما الأمة إلا أمر مجتمعة ، وستضمون لها قانونا تستمدونه من الشرع الشريف يساعدهم عليه ما لكم من خبرة وتجربة ، آخذين فى هذا كله بأرفق المذاهب ، لتسهلوا على الناس حياتهم العائلية ، ونضمنوا لهم السعادة الأبدية ، فنحن نطلب اليكم أن تهتدوا الناس من مهدهم الى لهدم ، فتضمنوا القواعد لاية الطفل ، وإثبات نسبه ، وضمانه حضائته ، والمحافظة على أمواله ، فإذا أصبح رجلا تهتدتم أهليته وحفظتم أمواله ، فإذا مات كفلتهم ورثته فأعطيتكم كل ذى حق حقه ، ثم قمتم على ما أوصى به من خير ، فوصلتم البر الى ذويه ، وما أظن أن شيئا أعظم من هذا يمرض علينا فى حياتنا العملية .

سادق

هل لى بعد ذلك أن أتحدث اليكم بفضل الله علينا وحسن توفيقه ؟ فريسنابل وشيخنا الأستاذ الراغى العالم الكبير كان من أوائل الذين فكروا فى هذا الإصلاح وعملوا له ، ومنذ ما يقرب من عشرين عاما كان الأستاذ الراغى رئيس التفتيش الشرعى

بوزارة الحقاية عاكفا في غرفته هنا يفكر فيما تفكر فيه الآن، وببث آراءه هنا وهناك،
وكان يسمى سعبا حينئذ مدى عشرة أعوام ناشدا فيها الإصلاح، حتى أخرجت
الحكومة بمض القوانين الشرعية التي أخذت فيها بأرفق الأقوال من مذهب الامام
الأعظم، وكان في ذلك رحمة بالناس

والآن بإسادة أراد الله أن يتم على الرجل نعمته، فشأت حكمته أن تتيح له هذه
الفرصة السعيدة، وأن يضع الأمر كله بين يديه على منوال أوسع يمكن من تحقيق جميع
الآمال. وليس أشهى لى النفس الكريمة من تحقيق أغراضها الكريمة، والشيخ المراعى
إذ يوفق في هذا الأمر — وهو موفق فيه بإذن الله — لا يحقق غرضه سوى إليه طوال
حياته فحسب، بل يشيد بيمينه ذكرى خالدة ستتعهد بها الأجيال ما بعيت الدنيا،
وسيقم صرحا يكون سجلا خالدًا يشهد لحضراتكم جيما ببق قتم به للأمة من جليل
الأعمال، وشاركتم فيه من نبيل الإصلاح.

فإليك أيها الصديق العزيز أرفع نهنتى الخاصة، وأدعو الله أن يطيل حياتك
ويعذك بروح من عنده، واليكم أكرر شكرى جيما، وأدعو الله لىم بالتوفيق.
سأدنى:

مما يزيد سرورى أن نبدأ أعمالنا في عهد جديد، أسأل الله أن يكون عهدا سعيدا،
وأن يحقق آمال هذه الأمة في ظل جلالة الملك ورعاية حكومته !

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

- ٧ -

مفومات العاطمة الاعتقادية في الاسلام

الانسان محمول بفطرته الى اتخاذ عقائد دينية له، وهذه العقائد يتناولها أكثر المتدينين من آباؤهم، وقادة ديارهم، من طريق التقليد بدون نقد ولا تمحيص. ولكن الاسلام حرم على أهله هذا الضرب من توارث العقائد، فشرط أن يكون أساسها العقل، وسنادها الدليل. وهذا مالا عهد للانسانية به إلا في العلوم الكونية بعد الاصلاح الخطير الذي أحدثته فيها العلامة الانجليزي الكبير ليكون من لدن القرن السابع عشر، تفرجت المعارف الانسانية بهذه الوسيلة من حيز الظننات الى حيز اليقينيات. فإحداث هذا العبقرى الانجليزي من التمحيص في مجال المعارف المادية، سبقه لاسلام اليه بأكثر من ألف سنة في عالم المعتقدات الدينية.

فليس على مسلم بموجب هذا الأصل الاسلامي أن يتناول عقيدة من كائن من كان دون أن يعقلها، وأن يستطيع أن يدلل عليها، حتى ساء لأهل الأصول من المسلمين أن يقرروا أن إيمان المقلد لا يقبل منه.

هذا حدث جليل لم يكن يخطر لأحد على بال من أهل الأجيال السالفة، ولا يزال يحمله غير المسلمين ويظنون أن الاسلام دين كالأديان المعروفة.

لقد أشبعنا هذا الأصل الاسلامي بحثاً في مقالاًتنا السابقة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامي في العالم)، فإن كنا نعود اليه الآن فذلك لبيان مقوماته، فإن له مقومات تحفظ كيانه، وتسكفل ترقبه وجماله.

لأن العقل في ذاته وإن كان خاصة طبيعية من صفاته التميز بين الحق والباطل،

والحسن والقيبح، ولكن في حاجة إلى نور يستمدّه من الخارج، تظهر له به الأمر على ما هي عليه في الواقع، فكل ما ظهر لأول وهلة أنه حق حقاً، ولا كل ما تبادر إلى الذهن أنه باطل باطلاً، ولا كل ما لاح أنه حسن حسناً، ولا كل ما أومّ مظهره أنه قبيح قبيحاً. ولو كانت هذه الخاصة تذرك الأشياء على حقائقها دون حجة إلى ما يقومها ويكملها، لما شجر بين الناس خلاف على معقول قط، بل لما تنازعوا على شيء أصلاً، ولا كان هنالك تفاوت بين ذوق وذوق، ولا بين نظر ونظر.

فالعين خاصتها لميزة رؤية الأشياء على ما هي عليه في ظاهرها، ولكن في حاجة إلى نور خارجي يبين لها الأشياء في مواضعها، ويظهر تفصيلاتها، وبشرط أن يكون ذلك الضوء خالياً من الشوائب، وكافياً لإظهار جميع الدقائق، فكل ما يلوح في العيش أنه حسن حسناً، ولا أنه قبيح قبيحاً.

وهناك ما هو أدق من هذا تأثيراً في تقدير الحسن والقيبح، وهي الخصائص الذاتية والمزايا المتبعة، فالمرارة تعتبر قبيحاً، ولكن في العلاجات المفيدة بمرارتها، تعتبر حسناً، وإذا اشتدت صارت غاية في الحسن. والحلاوة تحسب حسناً، ولكنها إذا اشتدت حتى أحدثت غثباناً وقيثاً عدت قبيحاً، وإذا أفرطت اعتبرت نهاية في القبح.

غضابة العقل بحكم وطيفتها في التفرقة بين الأمور العاضلة والذلة، والشئون النافعة والضارة، في حاجة ماسة إلى المفومات الذاتية، والمفومات الخارجية. فالمفومات الذاتية المعارف على جميع ضروبها، والتجارب على اختلاف مواضعها، فإن العقل الخاوي من العلم والمجرد من التجارب، يتمثل الأشياء تمثلاً ساخجاً، ويميز بين الحسن والقيبح تمييزاً سطحيّاً، ولكن يستطيع أن يفرق بين حق وباطل، أو بين حسن وقبيح بفرقة صحيحة؟

إذا كان ذلك ممكناً لاختلاف الناس في عقائدكم وشرائعهم ومبادئهم على النحو الذي هم عليه اليوم.

لذلك عني الاسلام بأصغر المقومات العقلية بنوعيتها كل العناية ، بقدر ما عني بنصب العقل حكما بين ما هو حق وباطل ، وحسن وقبيح ، وخير وشر .

فأما من ناحية المقومات الذاتية فقد حث على وجوب طلب العلم ، فقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » ، وعمل هذه العناية منه بوجوب طلب العلم بأن العلم يوجد لأهله مزايا يتجرد منها المحرومون منه ، وهو يريد أن يكون للآخذين به جميع المزايا التي يمكن أن يتمتع البشر بها ، فقال تعالى : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ » ، وصرح بأن بين المؤمنين الجاهل والمؤمن العالم درجات ، فقال تعالى : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » ، قال البيضاوي : « يرفع الله الذين آمنوا منكم » ، بالتصريح وحسن الذكر في الدنيا ، وإيوائهم غرف الجنة في الآخرة . « والذين أوتوا العلم درجات » ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بتأجيلهم من العلم والعمل . فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة . ولذلك يقتدى بالعالم في أخاله ولا يقتدى بغيره . وفي الحديث : فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، نقول : وقد قدر ابن عباس رضي الله عنه هذه الدرجات بسبعين درجة .

وقد حض الاسلام ذويه أيضا على إحالة الفكر في الأمور ، وتناولها بالبحث والتقدير ، وحرصهم على النظر في الكون والكائنات ونور أسرارها ، واستكناه مسائرها ، واعتبر ذلك أفضل من العبادة بالجواريح ، فقال تعالى : « وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » : وقال « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » . و « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ » . وكرر ذلك في عشرات من الآيات .

وورد في الأحاديث النبوية تحريض شديد على التفكير ، حتى جعله النبي صلى الله عليه وسلم خير ضروب العبادة ، فقال : « فَيَسِّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ »

وقد شجع الاسلام هذا التحريض على التفكير ببيان النواحي التي يجب توجيه الفكر إليها ، وهي : (١) اوجود في جملته ، فقال تعالى : « قُلْ أَفْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

والأرض» ، وقال : « وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » ، وقال : « أَفَهِمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » .

(٢) الكائنات الأرضية من جمادية ونباتية وحيوانية ، والتأمل في صورها وأشكالها ، وطبائنها وأسرار وجودها . قال الله تعالى : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعَسَا وَفَضَّبْنَا (أى رطبنا) ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غَابِيًا (أى ذات أشجار خليطة) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَّعًاكُمْ وَلَا نَفَعًاكُمْ » . وقال : « وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجَ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ الْبَخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ، وَالزَّيْتُونَ وَلَرْمَازٌ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » ، وقال : « فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُبِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِيتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » الخ (٣) الإنسان ، نكوهته في الرحم وميلاده وأطواره وأحواله ونفسه ، قال تعالى : « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ، وقال : « وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ قَضَيْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ » . وقال : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خَلَقَ مِنْ مَاءٍ ذَاقٍ يَخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الْأُصْلَبِ وَالْثَّرَائِبِ » . وقال : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفًا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً ، نَخْلَقُهَا عِلْقَةً مُضْغَةً ، نَخْلَقُهَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

فهذا ومثلات من أمثاله في الكتاب الكريم يوظف في النفس غريزة النظر فيما بين يديها وما خلفها ، ويثير فيها رغبة ملحة لكشف المساتير واستجلاء غوامض الخليفة ، فتجد فيها مادة أحقل غناء لها يبلغها غاية ما تصل إليه من قوة التحليل والتكريب المعقولات ، فلا تؤخذ بظاهر خلاف ، ولا عرض فائن ، بل إذ أرادت الحكم

على الأشياء، ردها عن الانخداع بالظواهر ما تمرست به من النفوذ الى السرائر،
والنوص لاستخراج الحقائق .

ولم يكتف الاسلام بهذا من مقومات العقل ، فدفع بالآخذين به الى غخالطة الأمم ،
ومعاملة الشعوب ، وحفزهم الى التجوال في لأرض ، والغرب في أكنافها ، ودراسة
أحوال الجماعات البشرية ، والنظر في شئونها ، من قوة وضعف ، وعزة وذلة ، وارتقاء
وجور ، والبحث عن أسباب ذلك وعقله ، من أمورها الزاهنة ، وتاريخها الماضي ، وتقدير
ذلك بالمعايير العلمية ، وقياسها بالمقاييس الحكيمية ، قال تعالى : « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ
وَمَنَّمُوا هَاجِرًا كَثِيرًا مِّنْهُمْ رُحَمَاءُ ، وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » وقال : « قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ » ، وصرح جل وعز بأن ثمرة هذه السياحات كشط ما على القلوب من ظلمات
الجهالة ، وما على العقول من غاشيات الغياوة ، وإزالة ما علق بالنفس من ران العماية ،
قال تعالى : « أَفَمَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذُنٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْقَى الْإِنْبَارَ وَلَكِنْ تَعْقَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

م يدع الاسلام هده من أهداف النظر ، ولا موضعاً من مواضع الاستبصار ،
ولا عاملاً مما يوقف غريرة التأمل ، وينبه خاصة التفهم ، إلا دعا إليها واستنمض المهم
للتنافس فيها ، كل ذلك منه لطوف بالعقل في جميع أدوار التربية والنمو ، فيبليغه النضج
الذي يصبح معه قادراً على الحكم على ما هو حق وما هو باطل ، وما هو حسن وما هو
قيح ، حكماً يكون هو الصواب كله أو قريباً منه .

والذي يتبع وصايا لاسلام وتعاليمه يجده لم يهمل وجها من وجوه تربية الانسان
هذه التربية الأديية إلا به ذويه ليه ، وحضهم عليه ، حتى ما يتروم بعض الناس أنه
لا علاقة له بها ، كالرياضة البدنية ، من المصارعة ، والمضاربة بالسيف ، والسباحة ، والمسابقة

على الخليل ، مما قد يدفع بعض خصوم الاسلام أن يقولوا ما لهذه الألاعيب والدين الذي يستدعي الوفاق وحسن السمات والخشوع ؟ ويغيب عنهم أن هذه الرياضات التي يسمونها الألاعيب لا تنافي الوفاق والسمات الحسن والخشوع ولا أرقى مظاهر التقوى ، ولكنها تعين عليها بفهم وتمثل وحنين صادق ، بما توجد الجسم من الصحة الكاملة ، وما تقتضيه من صراس عقلي وتدريب فكري ، وخروج من عوامل التجمهر الحسدي والأدبي ، التي تفتري الذين يكرهون الحركات الجسمية ، ويألقون تحضية حياتهم بين جدران دورم ومعايهم . فلماذا كان القصد من الدين تكميل الانسان حسا ومعنى ، فهذه سبيل هذا التكميل ، وهذه أساليبه ، هدى إليها ابشر من طريق العمل ، ونزل بها الوحي الالهى قبل عصر العلم على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

يقول خصوم الاسلام : إن الاسلام دين مادي يحض على العمل ، وعلى الضرب في الأرض ، وعلى كسب المال ، وعلى الفتوح والتوسع في الأرض ، وغاب عنهم أن الاسلام دين أوحى ليعتقد ويُعمل به ، لا ليعتقد وبلق به في زاوية باعتبار أنه لا يمكن القيام عليه .

وما رقى الاسلام من كل ذلك إلا لتعتك الناحية لأدبية من الانسان بكل ما يمكن أن يصفلها ، ويستصني جوهرها ، بتورطها في مضائق الحياة وما آزرها ، وتمرّسها بأعدائها وجوائعها ، فإذا اجتازت كل هذه القوط طع خرجت منها مستكملة جميع الشرائط الصحية ، حاصلة على جميع خصائصها الطبيعية ، ناضجة نضوجا يؤهلها بلوغ جميع غاياتها الروحية .

محمد فهد رجبى

التفسير

سورة لقمان

- ٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (اَلَمْ نَكُ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ .
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

قدمنا الكلام في المقال السابق على حروف الفواخ ، وعلى قوله جل شأنه : « تلك
آيات الكتاب الحكيم » والآن نعرض لتفسير باق الآيات :
قوله تعالى : « هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ » :

الهدى كالهدايه : مصدر هداه يهديه ، وقد جاءت مصادر على هذا لوزن كالتقى
والسرى ، وقيل . هو اسم مصدر . ويستعمل في التعدى كما هنا ، وفي الازم كقوله
تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .

وهو اسم للدلالة الموصلة بالفعل كما هنا ، وكما في قوله تعالى : « اهده الصراط
الستقيم » أى دلنا عليها دلالة متترة بالتوفيق لها والوصول اليها ، وإلا فالدلالة المطلقة
التي هي أعم من الموصلة وغيرها متحققة بدون هذا الدعاء ، وأيضا فان الذى يقصده
الماقل في دعائه هو الدلالة المقرونة بالتوفيق والتوصيل .

ومن استعمالها في الموصلة أيضا قوله عز من قائل : « إنك لا تهدي من أحببت »

فإن معناه: ليس الأمر في الوصول إلى المبتغى إليك يا محمد، وإنما هو منوط بمن يده ملكوت كل شيء، وهو مقلب القلوب والأبصار. وكذلك قوله تعالى: «أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون».

ومن استعمالها في الدلالة المطلقة قوله عز وجل: «وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم». وعلى الجملة فما من شك في أن اللفظ يستعمل في المعنيين كما ترى.

ولقد تناوله الخلاف بين لأشاعرة والمعتزلة، وأقيمت الأدلة من كلا الطرفين على ما يؤيد مذهبه، فغريق يقول: إن الهدى الدلالة مطلقاً، ويستدل بما جاء دالاً على هذا المعنى، وغريق يقول: إن الهداية هي الدلالة للوصلة، ويستدل بما جاء دالاً على ذلك، وقد رأيت أن اللفظ ورد في كل منهما، والمشتراك مستفيض في اللغة، فليت شعري لم لا نقول بكل من المعنيين واستعمال اللفظ فيهما؛ ولعل الولوع بالخلاف وصيق صدر الطوائف ببعضها من ناحية بعض من أكبر العوامل في إثارة الخلاف لكل مناسبة.

ولفظ هدى هنا بمعنى هاد، وعبر بهدى بدل هاد الدلالة على أنه قد تمكن من وصف الهداية حتى صار هو نفس الهدى، على حد قولهم: محمد عدل، أي أنه زاد في العدالة حتى صار كأنه المدل بعينه، وكما يقولون: فلان عجم بحسب، وفضل محض، وأشبهاء ذلك، وهو مستفيض في بليغ الكلام.

والرحمة في الأصل: صفة في النفس ينشأ عنها لإحسان والعطف والتفضل والمواساة، وقد تطلق على الإحسان نفسه. والمراد هنا بالرحمة أنه منشأ لها، أو مظهر من مظاهرها. فعلى الأول يكون المعنى أن هذا الكتاب نعرض للمرء أن ينال من رحمة ربه وإحسانه ما يستحقه بالعمل بموجبه وأحكامه. وعلى الثاني يكون المعنى أن أنزل هذا الكتاب مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية، فإن الإنقاذ من الحيرة، والإرشاد إلى سبيل الخير والسعادة، رحمة من الله نجت في هذا الكتاب. فعلى الأول يكون

اللعنى هو سبب الرحمة ، ولم كان سببها مؤدبا إليها أكل أداء ، عبر عنه بأنه الرحمة نفسها ، وعلى الكنى يكون هو رحمة ، والأمر فيها ظاهر .

والإحسان يأتي تارة بمعنى إيصال الخير الى الغير ، تقول : أحسنت الى فلان أى أوصلت اليه إحسانا ، وليس هو المراد هنا ، وتارة بمعنى أنى بعمل حسن ، كما فى قوله تعالى : « إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » ، وإحسان العمل لغة معروف ، وهو الإتيان به على أكل وجوهه وأحسن صفاته . وأما الإحسان شرعا فقد جاء تفسيره فى الحديث الشريف . « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . ولا شك أن من أدى مراسم العبادة بين يدي ربه ، مستحضرا بجلاله ، ممتلئ القلب بمظمته ، مستنير القلب بنوره ، كأنه لعظم استحضاره له يشاهده ، فهو مقبل عليه كأنه يشاهده ، فقد أدى حقوق العبودية ، وقام بواجب التعظيم ، وهو مقام لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه ، وهو المسيح فى لسان الصوفية بمقام الشهود ، ويليه استيقان المرء بأنه على سرأى من ربه ، وملاحظة أنه مطلع على خلق سره وجلى أمره ، لا تخفى عليه منه خافية ، فيستولى عليه الحياء من ربه ، وتحيط به الخشية فلا يصدر منه ما يوجب غضبه أو يمرضه لسخطه . ويوضح هذا المعنى ما ورد فى الأثر « نعم المرء ضبيب لو لم يخف الله لم يعصه » أى أنه ممتلئ القلب باستحضار أن الله مطلع عليه ، وأنه يراى منه ، فلو فرض أنه لا يخاف سطوة فهو ألبته يستحي من هيئته . وهذا المعنى هو ما أشير اليه بقوله صلى الله عليه وسلم . « لا يؤنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لو لاحظ مقتضى إيمانه واستحصر ما هو كامن فى عقيدته ، من اطلاع ابولى على سره وجهه ، وعلمه بجميع أمره ، لسكان إن لم يمنعه الخوف منعه الحياء . وانظر إن شئت الى قول الحريرى « وتستحي من مملوكك ، وأنت يراى مملوكك » . أأنت ترى أن المرء يتوارى حين يقارب منكرا من أخس الناس عنده ، فلو شعر أن طفلا خادما عنده اطلع عليه لذهب عنه نشوته وتدهورت نفسه ، فهل يظن أن

الله غير مطلع عليه ؟ كلا إنما هي الغفلة والابتعاد عن مغزى قوله عليه السلام :
 « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وإلا فلو زعم أن الله لا يصلح عليه ولا يعلم أمره لكفر ،
 وكذلك لو تحقق بمقام ملاحظة أن الله يراه وإن كان لا يراه لاستحال أن يقارف
 ما يقارف .

وقد يقال : لم خص المحسنين مع أنه هاد للجميع ؟ فإذا فسرت الهدى بالدلالة
 للموصلة زال هذا السؤال ، ولكن يبقى سؤال آخر ، وهو أن المحسنين قد اهتموا
 بالفعل ولولم يهتموا ما سموا محسنين ، فما معنى أنه هدى لهم ؟ والجواب أن المحسنين
 هم الذين استمدت نفوسهم لقبول الإرشاد والهداية ، واستشرفوا اليها ، فإذا ورد
 الكتاب على هذا الاستعداد فقد استفادوا واهتدوا به ، بخلاف غيرهم فلم يهتموا به
 إذ ليس لديهم استعداد له . فالإحسان معناه التهيؤ لتلقيه ، والاستشراف له انتظار الحول ،
 أو هو من قبيل قوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » إذ المعنى أن
 ما هم فيه من إحسان منشؤه اهتدؤهم به . وإذا قلنا إن الهدى معناه الدلالة مطلقا
 كان قصر الهداية على المحسنين ، مع أنه هدى للجميع ، أن الهداية بالنسبة إلى غير
 المحسنين لما لم تؤثر نمرتها زالت منزلة ما لم يحصل .

بقي أنه قرئ هدى ورحمة بالنصب على أنهما حالان من « آيات الكتاب » الذي هو
 خبر اسم الإشارة ، وبالرفع على أنه خبر بعد خبر لتلك .

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوفنون » :

فيه تبيين لمعنى المحسنين ، ويشبه هذا الصنع من بعض الوجوه قول الشاعر .

الأمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد مما

فقد سئل بعض علماء اللغة : ما معنى الأمى ؟ فقال : الذى يظن بك الظن كأن قد

رأى وقد سمع . فيكون على هذا القياس أمارة المحسنين وعلامتهم التى بها يمتازون عن
 غيرهم ، أنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويوفنون بالآخرة ، والجزاء يوم المعاد .

وترى في التعبير يقيمون الصلاة دون يصلون مثلاً ، الدلالة على أن الصلاة إنما تكون صلاة بالمعنى المقصود للشارح إذا أدبت على الوجه الذي هو أقوم : بأن يقف خاشعاً حاضراً القلب ، مستحضراً جلال من وقف بين يديه يؤدي له حق العبودية ، فإذا ركع أو سجد كان مراعيًا في ذلك خضوعه لعظمة مولاه ، وذلكه أمام عليته وعزته ، فإذا ما تلا كلامه القديم يناجي به كان مستحضراً بقلبه معاني ما يتلو لسانه ، لا مجرد حركات يجوارحه أو لسانه ، وهو شارد القلب ساء من صلاته ، وإلا كان داخلاً في وعيد قوله عز من قائل : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ . وأى امرئ أحق بالويل ممن شرفه الله تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه يخاطبه بكلامه القديم وهو يسمعه ويراه ، ثم يندب بقلبه عن هذا المقام الشريف ، مع أن الله تبارك وتعالى محصي عليه كل شيء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟

انظر الى ما يجري بين الناس حتى للتكاثين في المترلة ، ونصور وجلا يكلم زميله وهو مقبل عليه مصغ اليه ، وإذا بالمتكلم يبدو عليه ما يدل على أنه لم يلق بالآ لما يقول ، وأن لسانه يجري بالكلمات وحاله يدل على أنه مشغول البال بشئ آخر ، ألا يدل هذا على عدم اهتمام المتكلم بسامعه ، ويوجب امتعاض المخاطب منه ، ونفرته ، واعتباره منهاونا به وهو يخاطبه ، وربما نهره إن قدر ، أو اشمأز من هذا التهاون وانصرفت عنه نفسه ساخطا عليه ، فكيف بالوقوف أمام رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى ؟

أما إنك لو تأملت لوجدت أن الصلاة مع انصراف صاحبها عنها جديرة بأن صاحبها يستحق الويل حقيقة ، وإذا قال قائل : إنك لو لم تصل لكان أهون ، لكان كقول التائل للتكلم في الصورة الأولى : إذا كان الموضوع الذي تكلمنا فيه من المهران عليك بحيث تكلمنا فيه وأنت شارد الفكر منصرف عنا بقلبك فأرحنا من حديثك وأرح نفسك مما لا فائدة منه .

وإنك حين تتأمل في الصلاة على الوجه الذي شرعناه نجدها جديرة بما وصفها

الله عز وجل في قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، إذ كيف يمر على قلبه مرات كثيرة في اليوم لواحد التماس على الله بأنه رب العالمين خلقهم وكلهم ، وأنه المحسن إليهم إحساناً متواليها ، وأنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، ثم يقبل عليه بتعصيصه بالميادة وطلب المعونة ، ثم يطلب منه الهداية في أقوم صراط الخ ، ثم يخضع لعظمته ، ثم يضع جهته على الأرض اعترافاً بصيائه وذلاً أمام عزه ، يتكرر منه ذلك مرات كثيرة كل يوم ، ثم يجاهره بالمصيبة والفحشاء والفكر ؟ إن هذا سيد كل البعد ، ومن صدرت منه الفحشاء وقد أدى الصلاة ، فهو إنما أتى بصورة الصلاة وهو عنها ساء ، وإذا فرض أن قارف المصلّي شيئاً من ذلك فلا بد أن صلاته ستباه ، هذا سر التعبير يقيمون الصلاة بدل يصلون .

وقوله : « ويؤتون الزكاة » أي مستحقها :

عبر كذلك بلفظ يؤتون الزكاة الذي معناه يوصلونها مستحقها ، للتعصيص على سر المقصود من الزكاة تتبادل بين الأغنياء والفقراء ، وهو أنهم يوصلونها إليهم ، فيصلون ما بينهم وبينهم برباط محكم ، لأن المقصود مجرد إخراج المال ، بل توصيله إلى مستحقه ، ليكمل الارتباط بين المؤمنين ، ويكونوا في وادع وزاحم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو نداعى له سائر الأعضاء بأسهر ولحى ، فهل يأتي هذا إلا بمراعاة الإيتاء ؟ وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها .

وقوله تعالى : « وم بالآخرة هم يوقنون » ،

اليقين : هو علم الشيء بلا ملابسة شك ولا ريب ، وإنما يطلق على ما طرأ من العلم بعد الشك أو الإيسار ، فلا يقال : نيقنت بوجود نفسي أو بأن الأرض تحق ، إلا إذا كان يشير أنه أصابت حال ذهل فيها عن المعلومات الضرورية ، واعتراه من الشك ما يشبه الغيبوبة . والمراد بالآخرة : هي وما احتوت عليه من جزاء ثواب أو عقاب . والمدح باليقين بالآخرة لأنه مدعاة للعمل على ما ينجي من هولها ، وبعد

النفس لا حراز الكرامة والسعادة فيها . ونجد في تكرار الضمير في قوله : « ومع
بالآخرة هم يوقنون » تقوية للإخبار ، تنويعاً بشأن هذا اليقين ، وإبراراً له في صورة
من العظمة تدعو للانصاف به .

« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » :

قد يكون المشار إليه مذكوراً بصفات متعددة صورته وشخصته وجعلته مائلاً
في الذهن تتعلّق فيه هذه الصفات ، فإذا ذكر بلفظ الضمير فلمّا يحضر ذاته دون التنبيه
على صفاته ، وأما إذا عبر عنه باسم الإشارة فكأنّه حضر مائلاً أمام الذهن بمشخصاته
التي تجلّى بها ، فيستحضر السمع ذاته متعلّية بصفاته المذكورة ، وهي مناط الإخبار ،
وقد استحق الحكم المأمول عليه بسبب تلك الصفات . فهذا سر التعبير عنه باسم
الإشارة بدل الضمير . وأما تكراره في قوله : « وأولئك هم المفلحون » فليدل على أن
كل واحد من الخبرين مقصود بالإفادة لذاته . والخبران هما : على هدى ، والمفلحون .
والضمير الذي قبل « لمفلحون » يسمى عند النحويين ضمير الفصل ، لأنه يفصل بين
الصفة والخبر ، أي يبين أن المذكور بعده خبر لا صفة ، فإنه إذا قيل « وأولئك
المفلحون » قد يتوهم أن المفلحون بيان لأولئك والخبر لم يأت بعده .

والتعبير بقوله : « على هدى » لبيان أنهم تمكنوا من الهدى واستقروا عليه فهم
غير مترحّلين عنه .

نسأل الله تعالى أن يثبتنا من الهدى حتى نطعمن نفوسنا ، وأن يرزقنا الدلاح
في الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إبراهيم الجبالي

خطبة الجمعة في الاسلام

شرع الاسلام خطبة الجمعة يلقيها أسراء المؤمنين في دار الخلافة، والولاة في حواصم الأقاليم، ومن يلهم من العمل كل في دائرة عمله، تحقيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء لروح السكائل بين الحاكين والمحكومين، لتقوم الجماعة على أقوم أساليب الحياة العامة، ونستكمل شرائط الاتجاه الاجتماعي الصحيح لسبل الأغراض العالية التي هيها الدين. خطبة الجمعة رباط روحاني يجمع بين المؤمنين حاكمهم ومحكومهم، يتعهد القائلون بأمر الجماعة كل أسبوع، حياة لها من أن تنسرب اليها بدعة تفسد من كيانتها، أو عادة سيئة تحط من كرامتها، أو تدبها لها إلى خطر يهددها، أو إلى فرصة سنحت يجب أن تنتهزها

فالخطبة بهذا الاعتبار تيار من الحياة يوجهه حفظة هذا الدين إلى الناس في صورة عبادة، والله يعبد بكل ما هو حق وكل ما هو خير للفرد والجماعة والناس كافة

فلما اعتري المسلمين فتور في بعض أدوار تاريخهم، نازلت به جمع حواظ وجودهم الأدبي والمبدئي، فأسندت الخطاية إلى رجال غير مسؤولين منهم، فأصبحت هذه الوظيفة صورية يقوم بها كل من قصد لها، سواء أحسن القيام بها أم لم يحسنه، فبطل تأثيرها في الناس، وآلت إلى مظهر شكلي متمم لصلاة الجمعة لا أقل ولا أكثر.

لم يفت هذا الأمر العلامة الإمام الشيخ محمد عبده، فعمل على إحداث إصلاح أولي فيه بالاتفاق مع وزارة الأوقاف على عدم إسناد هذه الوظيفة إلا إلى العلماء المتخرجين في العلوم الإسلامية بالأزهر، ونشط المسلمون من ناحيتهم تحت أولى الأمر على العناية بخطبة الجمعة، لحدث ترق محسوس في موضوعها وفي لغتها وفي إلقائها، ولكن الحاجة لا تزال ماسة إلى المزيد من إصلاحها، والمأمول بوعها إلى المستوى المرحو لها بهمة الساعين في رقيتها.

ولما ولي الأزهر خليفة الاستاذ الإمام وتسميته الأول حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ الإمام محمد مصطفى المراغي، أيقن الناس بأن روح التحديد الذي يرفع واءها عالياً خفافة ستسرى في هذه الساحة من الإصلاح الديني أيضاً، فاعتموا أن حقق الله ظنهم، ورأوا فضيلته يضع الأساس المبني نفسه لهذا الإصلاح المنتظر، بما قام به من تولى خطبة الجمعة بنفسه بالجامع الأزهر يوم أن شرفه حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالصلاة فيه، في اليوم الحادي عشر من شهر شوال الراهن. فكان هذا الأمر مه إيدافاً للناس بأن هذه الخطبة الشرعية قد طادت إليها كرامتها، ورجعت إليها مهابتها. ومن الذي يرض نفسه بعد فضيلته من القيام بمثل هذه المهمة في الحلي الذي هو فيه، أو في بلدته، أو في أي مسجد من مساجد المسلمين؟ لا جرم أن فضيلة الإمام المراغي قد رفع بما فعله من شأن الخطبة والإمامة إلى الأوج

الذي هو من حقهما في الواقع ، وأعاد سيرة السلف الصالح حيالهما بأفضل ما يمكن ان يفعله مصلح مثله في هذا العصر .

لقد كان المسلمون يقرءون ما يروى لهم من خطب بابا روما ورئيسي أساقفة كنتربري وبرادفورد وغيرهم من رؤوس أحوار الملة اسصرانية ، ويأسفون من ترفع كبار شيوخ المسلمين عن مثل ذلك ، وأسلافهم آباء يحدتها ، فالיום يسرى عنهم هذا الأسف بما فعله إمامهم المحدث ، وفق الله من يلو به من أئمة الدين لاني يحذوا حذوه ، ويقتاسوا به .

أما الخطبة التي ألقاها فضيلة الاستاذ الامام بين يدي حضرة صاحب الجلالة فتعتبر قبسا من نور الاسلام ، وروما من صميم حكمه ، في موضوع أحوج ما كان الناس اليه في عهدهم الحاضر ، وإياها لمسجلوها في صفحات مجلة الأزهر لتقوم بجانب ما سجلناه لتضيئه من نواحي الكلم في شئون متعددة .

وهذا هو نص الخطبة التي ألقاها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر :

الخطبة :

أحمدك اللهم حمد من احلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك وابغاء رضوانك العقيم . وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالعزة والسلطان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للإنسان . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الاطهار وصحبه الطيبين الأخيار .

قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم ومموا الصالحات ليستخفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم العاصون » هذا وعد الله الصادق ، ولن يخلف الله وعده .

أمور ثلاثة أيها المؤمنون ، هي أسمى ما يتصوره الانسان ، جعلها الله حزاء العمل الصالح المنبعث عن الايمان : استخلاف العاملين في الأرض ، وتمكين دينهم الذي ارتضاه لهم ، وتسليمهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة .

والاستخلاف في الأرض خلافة من الله في صدارة كونه ، وتوزيع العدل والاحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الامم في سبيله ، وتضحي بآبائها وأموالها ابتغاء الوصول اليه

وما استقامت عبدة ولا استقر سلطان ، ولا وجد عهد وسودد ، ولا شمرت أمة بالعزة إلا إذا حتمت القوة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضي حاضرة في الدهر ماثلة

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع ، يتبعه استقرار لنفوس ، وراحة الصائر ، والشعور بالعمة والكرامة . ليس أشهى الى النفس ولا أمتع للقلب ولا أهدأ للروح من أن يرى الإنسان أن عقيدته صاحبة السلطان ولعمود في نفوس الناس أجمعين .
والأمن بعد الخوف أعز مطالب للفرد والجماعة . وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتحمل العيش مرارة والحياة مضطربة .

وما أحلى الأمن يستقر بعد الفرق ، وما أعذب يتدفق بعد القلق ! عندئذ يدفع الإنسان نحو العمل صافي القلب ، متجه الى الله ، ملتصقا حير العباد .

وليس الايمان أيها المؤمنون بصورات تنجيلها لعقول وتجرى عاراتها على المسار ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها .

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وعاقدوا بآموهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصديقون » .

ومن آثار العقيدة الدفاع عنها بالنفس ، والاستماتة في سبيل نشرها بالمال . ومن آثارها العمل الصالح . وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدي للمركبات ، أو سيام يؤدي بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجري على اللسان ألفاظا مبنية حافية من الخشية والرهبة .

إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الاسعاد : من إحلاص الله ، ومحبة الخير للفرد والجماعة ، وإداء للحقوق كاملة : لله ، ولعباد الله .

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة »

إن أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق من لوفاه بالهدد ، والصدق في القول ، والشجاعة في الحق ، والصبر على احتمال المكروه ، والعدل مع الأفراد ، بإداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم الى الخير ، ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصالح إطاعة الفرد لما تقرره الجماعة ، وما يقرره الحاكم ، مما ليس فيه معصية للمخالف .

ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والمهر على مصالحها ، وحياتها من الانزلاق في الشرور والتهاون في الدين .

وإن قوام العدل الصالح مهما تعددت شمبه ، العدل ، وهو مطلوب من الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو اتباع السنن الالهية ، والأوامر الدينية ، وانواء ليس الوضعية التي لا تتنافى والدين .

إن الأمة الصالحة التي تستحق الخلالة أيها المؤمنون ، كما يجب أن تقوم على العدل ، يجب

أيضا أن تؤدي الأرض حطب من صحرا ، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قري وصفاع ، لتحقيق الإرادة الإلهية من خلق تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الإنسان .

« الله الذي خلق السموات والأرض وأرسل من السماء ماء فأخرج به من الثراب رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وأنا كم من كل ما سألتهم ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ،

عباد الله

لا تسعد أمة تنفرق أهواؤها وتصنع شيئا وأخرها رائدتها الهدى وتأخذها المصالح الخاصة

لا تسعد أمة لا تصمم بحمل الله الميسر ، ولا تعبى بسير الداهيين الأولي .
لا تسعد أمة تحنك إلى الشهوات ، وتغاضي عن الآيات ، وتدع النذر ، وتغني عن المعر .
لا تسعد أمة تنبد تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتردئ بالأخلاق الفاضلة حكا في الاستمتاع بالشهوات وما في الحياة من لذات .

لا تسعد أمة يغمس أمراءها وأغنيائها في الترف ، ويستعذبون الراحة ، ويأثفون العمل
« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

أيها المؤمنون

نحن بين أمرين : إما أن نستضيء بنور الحق ونهتدي بهدي الشرع ، فنصير في الدنيا إلى عزة نملو بها في أجور الفضاء ونخترق بها أطلاق الأرض ، ثم في الآخرة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، إلى مغفرة الله ورضوانه .

وإما أن نغني عن هدى الله ، ونغصص عمحل بالأثم السابقة أعيننا ، ونغني مراحل الشهوات فيما بيننا ، فتأكل يران الأخلاق قلوبنا ، فنصير في الدنيا إلى ذلة وضعة ، ثم في الآخرة إلى نار وفودها الناس والحجارة ، إلى خزي من الله وخذلان

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مودجورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »
وقانا الله عذاب النار وسوء المصير ، وقادنا إلى الخير وحسن العاقبة ، وهذا إلى ما يرضيه ويقر بنا من عونه ورحمته .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قل :
« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعبد في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

هل يجوز الدعاء على المسلم بالكفر

ما دُعيكم إدام الله فضلكم في رجل يدعى المسلم ، وقد أذنب أحد أصحابه ذنباً على زعم ذلك المدعى ، فصار يدعو على هذا المذنب قائلاً ما نصه : « اللهم أعم بصرك يا فلان . اللهم اسلب إيمانك يا فلان . اللهم أمتك على الكفر يا فلان » في جمع من المسلمين ، فغضب أحدهم وامتنع عن مصاحبته ، فعلم ذلك المدعى بسبب امتناعه ، وهو الدعاء ، ونظأه وأفتى بحواز ذلك الدعاء ، وأصر عليه ؟ فترجواكم بالحاج الاجابة على ذلك ، ولكم من الله الثواب ، ومن المسلمين الشكر ؟

أحمد عبد المنعم اللقاني

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

اطلما على خطابكم وما ذكرتموه من ذلك المفتي الذي يأتي المنكرات الصريحة زاعماً أنها من الدين ، وأنه من حبر المسلمين القيوين ، والجواب أنه إن صح عنه ذلك كان من أ كذب الكاذبين وأجهل الجاهلين . ولو كان على شيء من العلم لافتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » ، أو بإبراهيم عليه السلام حيث يقول : « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ، أو بالمؤمنين الأولين حيث يقولون : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولنروك حديثاً هو نص في الموضوع ، وسنذكره في أحاديث كثيرة بعد :

من عمر رضي الله عنه أنه قد أتى برجل شرب الخمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلده في الخمر قبس ذلك ، فقال رجل من القوم يحضره صلى الله عليه وسلم : « اللهم العنه ما أكره ما يؤتى به » فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله » أخرجه البخاري . وفي رواية لآبي داود عن أبي هريرة « لا تقولوا هذا ولكن قولوا : اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه » .

فهذا هو أدب الاسلام ، لا ما فعله هذا المفتي . وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف من سقى عليه القضاء فوق في حد من حدود الله تعالى ، ويقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » علماً منه صلى الله عليه وسلم بالضعف البشري الذي كثيراً ما يغلب صاحبه المؤمن إيماناً قلبياً صحيحاً ، طالما أنه سيرده إيمانه وقتنا من الأوقات ، وستناه صلواته يوماً

من لا يأم ، فأنظر الى سعة الرحمة الالهية ، والى كرم الله الذى ينظر الى القلوب لا الى الصور ،
مبيناً لنا أن الندم توبة ، وأن التوبة تحب ما قبلها ، وأن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد عرف صلى الله عليه وسلم أن الانسان بمقتضى البنية لابد أن يكون له هوان
وهفوات ، فأرشدنا الى الحجة ما استطعنا . فاذا وقضنا فى مرض الذنب لم يونسنا ولم يقطننا ،
بل أرشدنا الى الدواء الذى يخلصنا مما وقعنا فيه ، فقال : « اتق الله حينما كنت ، وأتبع
السيئة الحسنه تمحها ، وخالف الناس يخلق حسن »

فأنظر الى هذا التعليم النبوى الوجيز الذى اشتمل على مجاميع السعادات الدنيوية والاخروية .
لحماء الله عن افضل ما جازى نبيا عن أمته . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل اعتذار المعتذر ،
ويرشده ، ولا يؤنبه ، ويكنى من الناس بطواهرهم ، علما منه أن سلاح الظواهر قد يجر
الى صلاح البواطن ، ولا يطلب من الناس الكمال فى الآتياء ، ولا يكلمهم طية واحدة ، نظرا
الى ما بينهم من التفاوت فى الاستعداد ، وأن كلا يأخذ ما قدر له ولا يتجاوز مرتبته ، فكان
يسيرهم جميعا فى طريق الخير ، وينير لهم طريق الهدى ، ثم يدعمهم الله تعالى ، ولا يدقق هذا
التدقيق الذى ينفذه إلا أن أولئك المنتمقون . وقد غضب على أسامة غضبا شديدا عند ما قتل
الرجل الذى قال : لا إله إلا الله ، ولم يقبل منه أنه قالها تقية ، وصار يقول له : « قتلته ! » بعد
أن قالها ، حتى تمى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل مع أن الظاهر أن الرجل ما قالها إلا تقية ،
ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يفتح باب الاحتمال وسوء الظن ، علما منه بما يترتب
على ذلك من الشرور والمفاسد ، واتباع الأهواء والأنغراض والاهوام والجهالات . ولذلك
زجر أسامة وقال له : « هلا شققت من قلبه ! »

وسر هذا أن إصلاح الظواهر كثيرا ما يجر الى إصلاح البواطن كما قلنا ، خصوصا فى بيتان
الهدى ، وأوساط الدين والملاح .

هذا وقد قالوا « إن الرضا بالكفر كفر » . فهل يعتبر الدماء بالكفر رضاه به ، أو غوق
الرضا كما هو ظاهر ؟ وقد ورد فى الصحيح أن من رمى غيره بالكفر به أحدهما ، الى
غير ذلك مما لا يزيد أن توسع فيه . فأنظر الى تغليب الشارع فى هذا الباب الضيق الذى يجب
أن يعتمد عليه المسلمون كل الابتعاد . ولولا أننا نعلم أن الشيخ الدامى بالكفر من المتأولين
لا غمضا عليه القول ، ولكنا لا نفعل ، وإن كان تأويلنا فاسدا ، وهوا شديدا .

غلطة فاحشة .

ولا يقوننا فى هذا المقام أن نفه على أن قوله الذى ساقه السائل بنصه « اللهم أمتك على
الكفر بالاذن » غلط فاحش ، فانه جمع بين خطابين لخطابين فى جملة واحدة ، وهو مما نص
علماء العربية على امتناعه

ولقد قد رأينا أن نسوق إلى القارئ الكريم بعض ما ورد من الأحاديث التي تبين حقوق المسلم على المسلم ، وتحت على الرحمة والشفقة حتى بالخير والآن الأهم ، ليمبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فنقول :

عن زائدة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، التقوى هامة ، وأوما بيده إلى القلب ، وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » . رواه لأمام أحمد وغيره وإسناده جيد .

وعن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذب عن عرض أخيه بالغييب كان حقا على الله أن يعتقه من النار » رواه أحمد والطبراني .

ومن عبد الله بن مسعود قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول هذه الأمة حيارم ، وآخرها شرارهم محتلين متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتأمنه مبنه وهو يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » رواه الطبراني وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإني يخطئ الإمام في العمو خير من أن يخطئ في العقوبة » أخرجه الترمذي .

وعن جرير رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذي وفي أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا ترفع الرحمة إلا من شق » وعن أبي هريرة رضي الله عنه « من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كعب يلهث يأكل التري من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكعب من العطش مثل الذي كان مني ، فنزل البئر فإلا حفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكعب ، فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر » أخرجه الشيخان وأبو داود . وقد ورد مثل ذلك في موسى رحمت كلبا مثل ذلك .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق ما كان في شيء إلا زاده ، ولا برح من شيء إلا شانه » . أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن حرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أنى موسى رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود ، إلى آخر ما جاء في السنة وهو كثير .

وبعد : فلا عرامة في مثل تلك الفتاوى الصالحة ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الناس سيتخذون رؤساء خبالاً فإذا سألوهم ففتواهم علم فضلاً وأصلوا . وقد أخبرني من أتق به أن بعض العلماء المشنوقين قال أمامه : « إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان أشد من أكبر الكبائر حتى القتل » كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » مع ملاحظة أن علماء المذاهب الأربعة يرون أن لاثنيان بها مستحسن ويصرح الشافعية بسببها . وقد ذكرنا وجه ذلك في بعض ما كتبناه

فانظر إلى أي مدى وصل لتبجح وقلة الحياء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مع أئمة المسلمين وعلمائهم

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يس هذا شأن المسلم لدى محتاط لدينه أو يعرف قدر نفسه . ولعل ذلك يقع منك موقع الفراقة والدهشة ، ولكن لا محل للفراقة بعد ما قال صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولندكر لك ما استند اليه ذلك الجاهل في فتواه الخلقاء ، تخفيفاً لدهشتك ، ونقريباً لبعض ما كنت تظن أنه لا يقع من مسلم فضلاً عن عالم : ذلك أنه يقول : إنه تشريع جديد من عند من قال به ولا تشريع إلا لله ورسوله . وأما صاحب المعصية فلم يشرع شيئاً من عند نفسه لأنه يعتقد أن المعصية حرام كما في شرع الله ورسوله . وقد فات هذا الجاهل النبي أن من قال ذلك من أئمة المسلمين لم يقله على أنه شرع من عند نفسه ، بل قاله على أنه تشرع الله في اعتقاده ، فليس عليه شيء ولو كان محطاً في الواقع ، لأن المجتهد له أجران إذا أصاب ، وأجر إذا أخطأ ، كما في الحديث الصحيح . ويجب على كل مجتهد أن يعمل باحتجاده ، ولا يجوز له أن يخالف ظنه ، كما بين ذلك في علم الأصول ، خصوصاً على رأي المصوبة ، ولكن ما للجهول ولهذا المباحث ؟ وأنى له بعد ذلك بمدارك الأئمة الذين عرفوا من روح الشريعة ما لم يدق له طمها ، واستنبطوا من مطلقها ومفهومها وشارحتها وعلل أحكامها وأسرار تشريعها ما لم ينشأ له رائحة ؟ وكأن ذلك المسكين فهم أنهم ادعوا الرسالة حتى قال ما قال .

والإنسان يجمع العجائب والثرائب ، ومظهر التضادات والمتناقضات ، فرحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتمد طوره ، سلم لأنمة الهدى ما قالوا ، ولم ينازعهم فيما لم يدر سره ولم يسر خوره
 حسبك تسليم العاروم لا هلبا وحفك فيها أن تكون متابعاً
 أسأل الله أن يقينا شر فتنة العقل الناقص ، والعلم الأبر ، وأن يخلصنا من ضلالات هذا
 العصر الذي تسابقت فيه عرج الخير ، بمنه وكرمه

يوسف الرجوى
 من جماعة كبار العلماء

من حكم على بن أبى طالب

قال على رضى الله عنه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويوثر التوبة لطول
 الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراسبين ، إن أعطى منها لم
 يشبع ، وإن لم يعط لم يفتن ، يعجز عن شكر ما أوتى ، وينفى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى
 ويأمر بما لا يأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره
 الموت لكثرة ذنوبه ، ويقب على ما يكره الموت له ، إن سقم ظن نادما ، وإن صح أمن لاهيا ،
 يعجب بنفسه إذا عوى ، ويقنط إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يقلبها على ما يستيقن ،
 ولا يثق بالرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطر وفتن ،
 وإن افتقر قنط وحزن ، فهو من الذنب والنعمة موفر ، ينفى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف
 من الناس ما لم يؤثر ، ويفزع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ،
 يخشى الموت ولا يبادر الموت ، يستكثر من معصية غيره ، ما يستقله من نفسه ، ويستكثر
 من طاعته ، ما يستتله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الأغنياء
 أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع
 ويمصى ، ويستترى ولا يوفى .

بَابُ الْأَسْبَلَةِ وَالْفَتَاوَى

في الميراث

حاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتية :
رجل تولى عن أختين شقيقتين ، وأم ، وجد لأب ، فإهو الحكم في هذه المسألة
على مذهب المالكية ؟
عبد الله محمد يونس الاسنوى

الجواب :

توزع التركة على الوجه الآتي :
سدسها للأم ، والباقي بعد ذلك يقسم نصفين ، فأحد النصفين للجد لأب ،
والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، وهذا على مذهب
المالكية والشافعية وبعض الحنفية ، والله أعلم .

امرأة توفيت عن زوجها ، وشقيقتها ، وابن أخيها من المصعب ، فن يرث ،
ومن لا يرث ؟
محمد محمد الحسيني

الجواب :

تقسم هذه التركة بين زوج التوفاة وأخيها الشقيق ، لكل منهما النصف ،
ولا شيء لابن أخيها ، والله أعلم .

منافع المسجد لا تأخذ حكمه

دورة مياه (مطهرة) لمسجد عليها مبان قدبعة مضى عليها مائة سنة تقريبا . ويريد

مالك هذه المبانى هدم مبانيه وإعادتها على هذه الدورة . فهل يمنع مائع شرعى من ذلك ؟
وهل الدورة حكمها فى ذلك حكم المسجد شرعا ؟ الدكتور أحمد نشأت

الجواب :

المتقبح للأحكام التى اختص بها المسجد عند الحنفية لا يرى أن واحدا منها يثبت
للمطهرة والمراحيض . وإذا لا تكون جزءا من المسجد ، فلا تأخذ حكمه فى منع البناء
عليه . ولم يبق إلا أنها موقوفة للمنافع العامة التى ينتفع بها كل الناس ولا يختص بها
أحد دون آخر . وهى من هذه الجهة يجوز البناء عليها ، إذ لا مانع شرعا من أن مكانا
موقوفا للمصالح العامة يكون علوه مملوكا ملكا خاصا ، أو موقوفا على جهة خاصة .

وبناء على هذا نقول : متى كانت المبانى القديمة المقامة على المطهرة والمراحيض
مملوكة شرعا لشخص فلا مانع شرعا من هدمها وإعادتها الى ما كانت عليه ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد المحام

هل يفسد الزمان

حدث أبو حمزة الثمالى قال : أتانا يوما أبو مياس الطاهر ونمس و جماعة فقال : ما أنتم
وما تتذكرون ؟

قلنا : نذم الزمان وفساده .

قال : كلا ، إنما الزمان وعاء ، وما ألقى فيه من خير أو شر كان من حاله ، ثم نشأ يقول

أرى حالا تصاب على أناس وأخلاقا تداس فى تصانف

يقولون زمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

نقول : يريد بالأخلاق الثياب البالية من قولهم : حلق الثوب يخلق أى يلى ، ومراده
أن الأفعال كاللؤلؤ منها لحيد الذى يسان ، والأسفال التى تبتذل وتهان . أما الزمان فهو هر
من يوم أن كان .

جلالة الملك يكرم العلم في شخص امامه

لقد جمع الله في حضرة صاحب الجلالة الملك المظلم فاروق الأول جميع الخلال الشريفة التي امتارت بها الأسرة العلوية الكريمة ، وزاد عليها ما يقضيه هذا العصر من ملك يقود شعبا متعطشا للديموقراطية الصحيحة . فكان كل ما أثر عن جلالته من الأقوال والأفعال مؤيدا للتداول الكبير الذي قول به : "توؤده عرش أسلافه العظام في هذه الآونة التي تعتبر فاتحة عهد جديد لهذه البلاد

وبما كان له أكبر أثر في نفس الشعب المصري ، بل في نفوس الشعوب الإسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، ما تفصل به جلالته من تكرم العلم في شخص امامه الجليل حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي ، بتشريفه داره بالرافعة ، في أثناء رحلته جلالته الأخيرة في الوجه القبلي . جاء هذا العمل العظيم من جلالته دليلا محليا على إكباره للعلم في شخص كبير مثله ، وعلى ما ينتظر منه في مستقبل الأيام من حياته له وحماية أهله على طريقة كبار الملوك ، ممن كانت أيامهم عهدا ذهبية لا مهم سجلتها لهم أجمل صحائف التاريخ .

لقد وفق جلالته بفضل هذه الزيارة لامام الدين أعظم التوفيق ، فان الأعباء التي يضطلع بها فضيلته ، والاصلاح الخطير الذي أخذ على عاتقه القيام به مما ينتظره منه مسعود الأرض فاملبة ، ويبذل فيه كل قوى عبقريته العالية ، تقتضي من جلالته كل تأييد ، وليس من ضروبه ما هو أعظم أثرا من تكريمه بهذه الزيارة التي تشف بدليل محسوس عن دعيته الملكية

وقد وفق الله فضيلة الامام الى إلقاء كلمتين إحداهما في حضرة جلالة الملك ، والثانية في السراي القم الذي أقامه أمام داره ، جاءتا على إيجازهما أبغ ما ينتظر من خطيب علم في مثل هذا الموقف التاريخي العظيم .

كلية الدار

مرورى يا صاحب الجلالة :

لقد غمرني بفضلك ، وأحطني برعايتك وعطفك ، وصيرني بما حقوتي به وغمرتني من الاحسان ، حاجزا عن الشكران .

خللت ذكرى هذه القرية ، وأعليت قدر هذه الدار ، وهي وإن كانت في ذاتها لا تذكر بين الدور ، فقد جلست وارتفعت بعطفكم عن العروش والقصور ، أدام الله لك المجد وفعيا ، والملك موطئا غالدا ، والتمنة سافنة موفورة ، والتوفيق دفيئا وقرينا !

كلمة السراوق

حضرات السادة - هذا يوم القرى لا يوم المدائن ، فقد أراد جلالة الملك أعزه الله ألا نحرم القرى من التيمن بطلعته المباركة ، فاختار هذه القرية السميدة لمقدمه ، وخصها بزيارته ، وصحلا برأى أي العلماء المعرى القائل :

علا هطلت على ولا بارضى صحائب ليس تنتظم البلادا

نعتبر هذا العطف الملكي السامي موجها إلى جميع القرى ، لا إلى هذه القرية وحدها ، والقرى تستحق هذا العطف ، فهي وطن الفلاح والزارع المستج ، ووطن الثروة والخير والنعمة ، ولولاها ما كان في مصر مدينة ، ولولاها ما استطاع أهل المدينة أن يعيشوا في البلد ، ولولاها ما قامت القصور الشاغرة ، ولولاها ما نعيم أهل المدن بالترف الذي هم فيه .

والقرية شريكة المدينة في إقامة صرح المدنية ، ويجهاد جميع العاصر التي تتألف منها من علم وأدب وفن ، فأبناء القرى أولاد الفلاحين نخم منهم علماء وفنانون وأساطين الأدب ، ونبيح منهم رجال قبضوا على أمانة الحكم ، وصرفوا وجوه السياسة ، وأكثر رجال الجيش حارس الدولة وحامي حماها منهم ، ولولا الخلف أن تزهو القرية وتختال على المدينة ، لكان لي منسع في القول ، وقد يكون من حق القرية أن تعنب على أنائها ، فقد هجرها وهي لا تستحق الهجر ، وطبرها وهي لا تستحق المييب .

ولكن جلالة الملك فاروق نبه الناس بهذه الزيارة المباركة إلى حقوق القرية ، والأمل بعد ذلك عظيم في أنها ستأخذ حظها كاملا ونصيبها وافرا .

وقد ستأذن القرية وأهل القرية فأتترع من هذه الزيارة معنى آخر له قدره وخطره من السمو والرفعة ، فأعتبر احصاء هذه القرية بالزيارة ، لأن هذا العاجز الضعيف الذي ينسب إلى خدمة العلم والدين من أهل هذه القرية ، فقصده جلالة الملك أعزه الله بإكرامه إكرام جميع العلماء والمستنسين إلى خدمة العلم والدين ، وليس هذا من الفاروق لعجيب .

مقد فطره الله على حب العلم وحب الدين ، وعلى إعزاز شأن العلم والعلماء .

حضرات السادة قد أكون من أحق الناس بالحديث من جلالة الملك ، والتحدث بمحاصنه الله به من المزايا الخلقية والملكات النفسية الفاضلة ، وفيه من سرعة الخاطر ودقة الملاحظة ، وفيه من حفظ ما يرد عليه مما يسمع ويقرأ ، وفيه من عاطفة الخير والبر والرحمة ، وفيه من حبه شعبه حبا فياضا ، وفيه من حب العدل ما هو كفيفل بأن يديم سعادة شعبه وسعادته لشعبه . سأل الله أن ينير له طريق الخير والحق ، وأن يديم رعايته ، وأن يبارك له في صوره بالصحة والوفرة والهناء الدائم .

معنى الحياة وقيمتها

للمذاهب القديمة للحياة

المذهب الدينى (١)

لا يوجد بين المذاهب المختلفة التى تتنازع السيادة على الانسان الراهن فى الحياة ، ما هو أقوى سلطانا عليه من المذهب المستمد من الدين . هذا المذهب يجعل أساس الحياة قائما على صلة بين الانسان وبين روح علوى هو مصرف الوجود ، والحاكم المطلق فيه .

(نعد ما تقدم ذكره المثلث الديانة المسيحية فى بضعة أسطر ، فنهمل ترجمتها جريا على عادتنا من عدم العرض للأديان مدحا ولا ذمنا إلا ما تقتضيه مصلحة البحث ، ولا متقنض فى هذا الموطن ، ففتناج الترجمة التى نحن بصدددها) :

المذهب الدينى يسير الديانة مركزا للحياة ، وموجدة لعالم روحانى خاص . وقد نشأ هذا الاعتقاد من رؤية الوجود الانسانى منزعج الأركان ، متداعى البنيان ، فى أحسوان أثبتت للانسان بوصف عظيم وهن العالم الأرضى وأنه ظل سريع الزوال ، وملأته برغبة ملحة فى الحصول على حياة أكل حالا ، وأفضل مأكلا . هذا هو الذى حدث لدينا فى أثناء القرون الحافلة بالاضطرابات التى خرجت منها المسيحية منتصرة . وهذا الميل الشديد للتردى على الدين حفت حدثه فيما بعد وصار أكثر تبصرا . وأخذ يتألف يسيرا يسيرا مذهب دينى كان له تأثير قوى على العقول طوال القرون الماضية ، ولا يزال له السلطان القاهر على العقول الى اليوم .

الحياة على موجب هذا المذهب تدور حول أمر واحد هو الاتصال بالروح المطلق الكامل . وكل عمل لا يكون له قيمة ، لا إذا كانت له علاقة بهذا الاتصال ، وبالخدم التى يمكن أن تؤدي له ، يضاف الى هذا وجوب ترقية الخصائص النفسية المستقلة عن غيرها استقلالاً تاماً ، بحيث تملو على جميع الارتباطات الدنيوية . هذه الخصائص النفسية عنها تحرر الانسان من مسؤولات العالم الخارجى ، وتعين له من ذاتها العمل الذى يجب عليه أن يؤديه ، وتؤسس بينه وبين أمثاله ارتباطاً ووحدة تامة فى الشؤون والحياة . وبواسطة وحدة هذه القاعدة التى تعتبر أبعد القواعد عورا ، تأسس اجتماع قوى بين الناس لم يأت لتعامل آخر أن يحدثه . وهذه الحياة الدينية تقوم على الاعتقاد بحب الله للناس حباً لا حد له . وهذا الحب إذا أضيف إليه طهر الاخلاق اكتسبت الحياة به صفة خاصة ، وصحبها وقار لا غاية بعده

(١) بقلم الاستاذ ودولف أوكس المدرس بجامعة فيينا بالمانيا مترجمه من النسخة الفرنسية

هذه الأحوال سمحت للإنسان أن يكون له عن نفسه وعن حياته اسمى الآراء . فباعترافه أنه مخلوق على صورة الله وضع نفسه في مركز عالم الشهادة ، وخول نفسه حق التحكم بسيروته وأعماله في حالة المجموع الذى حوله الى الأبد . فالإنسان في هذا المذهب يعتبر نفسه عضوا من الملا الأعلى نزل الى الأرض ، وقد رسم له أن يتشبه بماتهديه اليه محاولاته فيه ، ولكنه قد كتب عليه أن يختط لنفسه دائرة خاصة لا يتعداها ، معتبرا وجوده الغاية الأخيرة للخلق . أما من ناحية تكميل المجموع المحيط به من الكائنات مما لا يجوز أن تضيع منه ذرة سدى فقد اعتقد أنه من اختصاصه أيضا .

هذه الحياة ليست مجردة من المشاغل والكوارث والآلام ، فإن محور المطالب ، وهذه التنازعات في الدائرة الانسانية ، تمنح الشعور بآية متعة وسعادة بالمعنى العرفى لهذه الكلمات ، بل قد تكون فداحة الألم والخطيئة لأول وهلة أشد مع وجود هذه الحالة النفسية لا أخف . ولكن محاولة الانسان القيام بحقوق الدين ، والعمل على إنقاذ العالم من ضلال آخذ بمخفته ، بإنقاذ حياة جديدة له ، يرفع نفسه فوق مجالات الكفاح والتوازن . والاتصال بالله من طريق الحب والنفوس يسمح له أن يستمد تسكلا من الكمال الالهى ، وأن يتمتع بسعادة لا حد لها . فإذا قاوم العالم الخارجى محاولات الانسان ، وأشعرته الحياة الجديدة التى أوجدها بقوة هذه المقاومة ، فلا هذا ولا أى شئ آخر يستطيع أن يدفع به فى تيهور الشكوك ، أو أن يشل من حركاته نحو الغرض المطلوب . فإذا اعتبرنا قبعة الواجبات التى تفرغها هذه الحال على صاحبها ، علمنا أن حياته لا تكون حياة ترف ومنع لحسب ، ولكنها تكون حياة حافلة بالحركة ، وثاقمة على علاقات متينة ، فهى ليصمت حياة عاطلة .

على هذه الحال ساد المذهب الدينى فى مدى سلسلة طويلة من القرون على مناطق واسعة من الانسانية ، فقرب بين الآحاد والشعوب ، وأيقظ عددا لا يحصى من الأرواح من سباتها العميق ، وموجدا لها سلاما عميقا وسكينة . فبينما نرى روح إلهية فى الحياة الانسانية ونبنى عالما جديدا مكان الحياة القديمة ، نظهر أحوال منافضة لها تسلب من الحياة المتوسطة بينهما كل طمأنينة .

فى هذا المذهب العنصر الالهى مع صفوه على كل شئ قريب جدا من الروح الانسانية . والإنسان على صفوه المتناهى مدعو للاتصال بالله اتصالا جوهريا . والحب والاحترام ، والودعة والوفاء ، مرتبط كل واحد منها بالآخر ارتباطا وثيقا ، والغيايب الخالصة والانوار الساطعة ، والمصائب الفادحة والصعوبات المطلقة بتقوى إحداها بالأخرى وإنتاجها ثمرات شديدا ، ومملا متواصلا ، توحى الى النفس سيرة محببة ، وتجعل من هذه السيرة مركزا لكل حقيقة . فى حلال كل هذه الأحوال قامت رغبة بعيدة المدى متشعبة بالحب والخلود ، بل حياة غنية ببقائدها وآملها ، وزكت وراءها وبعيدتها الزمن الحاضر كله ، ولكنها من ناحية

اصلها الذي نعتقده رفيعا ثاوى الى ركن أمين في عالم الحقيقة الابدية . فالحياة الانسانية في أي مذهب غير هذا المذهب الذي لم تصل الى مثل هذا الثور البعيد ، ولم تبلغ الى مثل هذا المستوى الرفيع من معناها الصميم .

مع هذا تتوجه اعتراضات على هذا الصرب من الحياة ، وبخاصة على ما يتعلق بمناقضاتها لحياة الكفاة . وقد نتجت هذه الاعتراضات من مناقضتها لعالم المباشرة ومن قطعها علاقتها به . ذلك أن الانسانية في أخريات العهد القديم بعد محاولات بامت بالفشل ، كانت قد فقدت الثقة بنفسها وبقدرتها ، ولم تجد غرضا شريفا تنجه اليه في عالم الشهادة ، غير الترجه بالقلب نحو عالم آخر ظهر لها أنه يستطيع أن يحفظها من الغم ومن التلاشي ، وعلى ذلك استولى الانسان على العالم الآخر باندفع استعان فيه بكل ما أوتي من قوة روحية ، وكان أثر ذلك عليه أن اقلب وجوده ظهرا لبطن . فاصبح الايمان ملجاء الرئيسى من متاهل الحياة . أما العالم المارئي فقد قذف به ظهريا . هذه الحالة لا يستطيع البقاء عليها إلا مدامت الرغبة في العالم الآخر حافظلة لسلطانها القاهر

ولكن هذه الرغبة بدأت تزعزع حين أخذت الانسانية تسترد ثقنها بقوتها الذاتية ، وفي الوقت ذاته جدت جواذب في العالم الخارجى تدعوها اليه . عند ذاك انجبت الجهود والمحاولات الى العالم المحيط بالانسان ، وهنا هدت الحياة لاسمى محل كتب عليها أن تقوم به ، وهو إخصاع هذا العالم لسلطانها ، وإضافة القوى الناجمة منه الى قوتها . فاحد ذلك عالم الشهادة يندرج لان يكون وطنا روحيا للانسان ، وبينما كانت المحاولات المادية في تنوعها ونجاحها القاتن تسمى الانسان العناية بنحاة روحه ، كان موقف الدين يتغير تغيرا ذريعا ، فبعد أن كان مركزا للحياة في دائرة محدودة ، اخذ يحيط هذه الدائرة يتسع يسيرا يسيرا ، ثم اضطر الدين بعد ذلك أن يكافح حركة آخذة في الاستعداد الى اتجاه معاكس ، مما لا يستطيع أن يعاله بخلب الأهواء وضعف الايمان إلاضرب من هزبل التفكير . فاما من الظاهر فكانت الشكوك التي تتوجه الى العقائد الدينية وتعتبر في الدرجة الاولى من الخطورة . وهي تستمد قوتها من التحول التدريج الذي طرأ على فهم الطبيعة والتاريخ بتاثير الروح المصرية الجديدة . ولكن كان من السهل احتمال هذه الشكوك أو دحضها إذا كانت الحياة ظلت محافظة على مركزها القديم وبعانها الاول ، دون أن تكايد ضعفا ، بل كانت كوارث العالم الخارجى المحيط بالانسان تستطيع في هذه الحالة تقوية ليمانها فيصبح الدين ثابتا لا يتزعزع .

ولكن الذي جعل هذه الصربات خطيرة هو ضعف الدين نفسه من الكساح ، واعفاء مجاريه الاساسية اعفاء تدريجيا ، وتطور الشعوب بالحياة الانسانية في مثل هذه الحالة ثار على الدين من الشبهات ما كان يشو عليه من أقدم اليهود ، كما ثار عليه أيضا كل ماهاجته الثقافة الحديثة ، ووجدت جميع هذه الشبهات والشكوك اذا ما مصنية . فكان هجوم هذه الشبهات على الدين منحصرا

في نقط منعزلة أو في بعض الأمور التفصيلية للدين ، ولمذهبه في تنظيم الحياة ، ولكنها لم تلبث أن اتجهت الى الدين نفسه ، والى إمكان تنظيم الحياة على أساسه في آن واحد فقد اعتبر النظام الذي أوحده حرجا للغاية ، وعورض في لوقت نفسه بسمة هذه المدنية العامة . ورقي أن الدين لم يعمل عليه في تقدير حقيقة أو ترقية معنى إلا باعتبار أنه جزء من حياة أهم منه . وقد اتضح للناس في العقود الأخيرة أن الآراء التي أتت بها مبنية كلها على مذهب التجسيد والتشبيه ، وأن فكرته الأساسية في إيجاد اتصال بين الله والانسان ، قد هجرت باعتبار أنها مستحيلة ، وأن تقسيم الخليقة الى عالين ، عدت ضلالا ، كما عدت كذلك محاولته جعل الغرض الرئيسي للحياة ليس بلوغ الكمال في الحياة اراعتة ، ولكن الاستعداد والناهب لحياة مستقبلية كان أثر تعرض الدين لسكل هذه الشبهات أن اعتبر أحياء أنه ثمرة الخيال ، وعد كل ما أتى به نسيجا من الأوهام في دولة الظلمات والاحلام .

لقد قوبل هذا الاتحاد ، والحق يقال ، بمقاومة شديدة ، ودافع عن حقوق الدين نفسه ، إن لم يكن عن حقوق نظمه أيضا ، بكل شجاعة من جانب أنصاره العديدين ، ولكن الذبوع المستمر هذا الاتحاد يدل دلالة قاطعة على أن آفاقا واسعة في العصر الحاضر لا تستطيع أن تخضع لمواصل الحركة الدينية ، وأن هذه العوامل وعالمها قد أصبحت بجانب بالنسبة لهذه الآفاق ، بل غير مفهومة عندها . ولا يمكن أن ننكر أنه رغما مما يبذله الدين من المشاورة على العمل والزيرة عليه ، فلا يثبت إلا القليل من أعماله المنتجة . وقد ضعف شعورنا اليوم بوجود قوة دينية تبرزها رفع قبعة لالسان وترسيخ قدمه في الوحود ويصله الى الله . فيجب على الدين والحالة هذه أن يتخضع للأغراض التي يستهدفها الانسان وهي نقية وبسيطة ، وأن ينزل الى مستواها . وهذا يكون مستطاما لو طامع طبعه في الاستسلام ، أو عمل على حفظ المواطنين من التزعزع وفي وسط هذه الشكوك لا يتأتى له أن يكون سدا قويا للانسان ، ولا أن يقود الحياة ، ولا أن يحدد معناه وقيمته . فكيف يؤمل أن ينال جواب صحيح على المسألة التي نحن بصدد حلها من مصدر هو نفسه قد أصبح مسألة تحتاج الى حل ؟



ملاحظتنا على هذا المقال :

نحس الاساذ أوكن في صدر مقاله في وصف السلطان الذي للدين على النفس البشرية وبيان وجه لجتها اليه ، وتحويلها عليه ، ولكنه ما فقل له ظهر الجبن ، وحل عليه حملات منكرة فبما منها أن يستهدف ديناً معيناً أو أدياناً معروفة لديه ، لا الدين من حيث هو . وإنما للخصون اعتراضاته ، ثم لمبدون ملاحظتنا عليها ، قال

« يتوجه اعتراض على الحياة الدنيوية لقطعها علاقتها بالعالم المادى عقب فقدتها للثقة بنفسها ولجئها الى العالم الروحانى ، فقد ظير لها أنه يستطع أن يحفظ من الغم ومن التلاشى .
ولكن هذه الحالة بدأت تغلب الى عكسها حين ساءت للانسانية أن تسترد ثقتها بنفسها وأن تتخذ لها غرضا ساميا للحياة ، وهو إخضاع هذا العالم لسلطانها ، فاصبح عالم الشهادة يتدرج لأن يكون وطنا روحيا للانسان دون غيره .

« وبينما كان نجاح الانسان فى فنونه المادية يلبس حياه الروحانية ، ظهرت حركة جديدة صد الدين ماثلة فى الشكوك التى تتوجه على عقائده .

« كان أمر هذه الشكوك يهون بواسطة دحضها ، ولكن الذى جعل هذه الحملات خطيرة هو ضعف الدين فى ذاته عن تحملها ، وانحاء نخبه الرئيسة انحاء تدريجيا ، وتطور الشعور بالحياة الانسانية .

« كانت هذه الشبهات تتوجه الى نقطة منعزلة من الدين أو الى بعض أموره التمهيدية ، ولكنها لم تلبث أن اتجهت للدين نفسه ، فقد اعتبر أسلوبه فى الحياة حرجا لا يمكن القيام عليه ، إذا فورد بأسلوب المدنية ، ورئى أن الآراء التى أتى بها كلها مبنيّة على مذهب التحسيد والتشبيه ، وأن غرضه من إيجاد صلة بين الله والانسان من الحالات العقلية ، وأن تقسيمه الخلقية الى عالمين متميزين من الصلاوات الوهمية ، وأن دعواه بأن غاية الحياة هى الاستعداد لحياة مستقبلية لا يلوع السكال فى هذه الحياة ، من الأحلام الخرافية »

هذه خلاصة الفصل الاول من كتاب الفيلسوف أوكس ، والقارى يثير منه لاول وهلة أن الغرض منه هدم حالة تقبيلية عامة بين البشر ، وهى الانضواء تحت لواء الدين ، واعتقاد كل ما عداه أمورا ثانوية لا يصح الاعتماد بها ، وهى دعوة قام بها أهل العلم منذ نال العلم حريته قبل نحو ثلاثة قرون ، ولا تزال تترد فى أوروبا تحت ألوان شتى لارادة البقية العالقة فى بعض النفوس من هذه النزعة .

ووكأن غرض الأستاذ أوكس غير هذا لوجب عليه أن ينظر الى الايمان البشرية كافة ليرى هل ما ذكره من الأصول الأولية عنها ، ووجود الضعف التى أحصاها ، تنطبق عليها جميعا أم يسلم بعضها منها ؟

ولا يكفى هذا وحده ، فانه ذكر أن الانسان العصرى قد أخذ الى الارض ، واكتفى بما يحصله من خيراتها ، وما يتسبط عليه من قواها ، وأنه قد نسي فى سبيل ذلك كل ما تطالبه به فطرته من العلم بما وراء هذه الحجب الكثيفة ، ولم يأبه بما ينتظره من الفناء والتلاشى عقب حياة قصيرة . وهذا التأكيد منه يحتاج لتحصيص ، ولو صح لكان نتيجة تطور نفساني ذريع لم يحدث مثله التسمية البشرية منذ خلق الله العالم الى اليوم . وهوما يكذبه الواقع المحسوس

فإن في أوروبا وأمريكا اليوم حركة لم تسجل مثلها تاريخ الانسانية ، ترى الى كشف الحجاب عن الروح ، لا من ناحية إدراك ماهيتها ، ولكن من ناحية إثبات وجودها ، ومعرفة علاقاتها بعالم أرق من هذا العالم . والذي يقوم بهذه الحركة رجال من أقطاب العلم في كل بلد متعدين ، حتى ليستطاع أن يقال إن العناية بالبحث عن عالم الغيب لم تصل الى مثل ما بلغت في هذا العصر ، في أى عهد من عهود البشرية . وقد مضى على هذه الحركة المعية لروحية اليوم نحو تسعين سنة ولم تزدد لاقوة . وقد نشأت احتجاجا على العقيدة المادية التي تطوع لنشرها في العهد الاخير وأمثلة من الماديين الفيلسوف الألماني أوكس .

ليس غرضي من هذا أن أدفع من لمبادئ المعيبة التي احصاها الفيلسوف وجعلها من أسباب ضعف الدين . فانا أعتبرها مثله عيوبها لا يمكن أن تخضع لها الانسانية في أى عهد من عهودها العلمية ، ولكني أخافه في أنها عيوب ذاتية في الدين ، وأقول إنها من وضع الذين تولوه ، ونصبوا أنفسهم حراسا عليه ، ومنها مما يتبرأ منه لاسلام ، ولا تقول به طائفة من طوائفه .

فالاسلام لم يقطع علاقاته بالعالم المادى ، بل أمر باحترامها في حدود الحكمة . والدليل انعملى على ذلك ما بلغه أهله الأولون من سعة الملك ونسطة العلم ، وذهابهم في الابداع المادى كل مذهب ، مع عفافيتهم على عبور روحاني ليس للمسقطين في الصوامع مثله .

وأسلوب الاسلام في الحياة ليس بخرج ، بل هو أوسع مما توجد أعظم مدنية ، فانه أباح لأهله كل ما يمكن ان يبيحه العلم من تحصيل الماديات ، واستثمار الارض ، والابداع في الصناعات ، وزاد عليها وجوب احكام الصلة بين الانسان وعالم الروح ، وهو ما تقوم عليه الانسانية اليوم (١) فانه بعد أن تخففت النفوس من الجسدانيات ، استت نفسها في العهد الاخير أشد ما تكون حينئذ

(١) يرجع لمعرفة تفصيل مذهب الاسلام في الاتصال بالعالم الخارجى والتسلط عليه وتطهيره الى ما كتبناه في مقاشاة الافتتاحية في الجزء السابق تحت عنوان (مقومات علاقات الانسان بالعالم الخارجى) ، فقد ذكرنا هناك من الآيات القرآنية والآلة التاريخية ما لا يدع شكاً في ان الاسلام هو أول من كشف للانسان عن سر روحه من ناحية استمدادهما لتخجير الكون والتسلط على قواه . وهل بعد قوله تعالى : « وسخر لكم مالى السموات وما لى الارض جيبا منه » سوى يمكن أن يبله أو يريد عليه أى مذهب من المذاهب المادية ؟ فإذا كان الفيلسوف أركس يمسد في الارض ادبانا تشكره الانسان في النبل المادى وتقطعه لعبادة الروحانية ، فلا يستطيع ان يعد الاسلام منها ، وقد اوجد لأهله ملكا لا تقرب منه الشمس ، ومدنية جمتكل مالى المدنيات التي كانت معروفة من خصائص ومميزات ، حتى شهد مؤرخو التاريخ انهم أنها كانت اجمع مدنية سمح بها زمان لأهله في عهد لم يكن الناس يفكرون في تجديده شيء رث ، أو إيجاد ما ليس بوجود من قبل

إن سوق السلام عن الاسلام الذى نسله الفيلسوف أوكس ليس مما يمكن إنسانته في عصر من اصغر صفات علمائه التحجيس والتعطيل وعدم المجازمة بالتميم في الاحكام ، وبخاصة إذا كان التكلم يريد ان يصح مبادا جديدا او قاعده لم يقم عليها الناس من قبل ، كـ هو التجاود من مقدمات الاستاد أوكس .

ان ضرب من المأسرة يصلها بسلامها الروحاني ، فاكبت عليه بحث وتنقيا على أساليبها العلمي المقرر ، كما أسلفنا ذلك ، مع حفظ كيانتها المادي على ما كان عليه .

والاسلام بصيد من التحسيد والتشبيه بحيث لا يصح أن توجه اليه مثل هذه الشبهة .

أما قول الأستاذ أوكن بأن صلة الانسان بالله قد اتصحت أنها من المحالات العقلية ، وأن اعتبار الخليفة حاكمين متميزين من الضلالات الوهمية ، فهو من أغرب ما قرأناه من الآراء الفلسفية . فهل يغيب عن مثله أن المراد من هذه الصلة أن تكون روحية لا مادية ، وأن عمرتها أن توجه الانسان الى الناحية التي تنهه اليها الارادة الالهية من عمارة الكون ، واهيمنة عليه ، واتباع سيرته في مخلوقاته ، من العدل والنظام والحسنة وسعة العلم والابداع والترقي ؟

وأى ضرر في أن يستعد الانسان في حياته هذه حياة أرفع منها في عالم وراء هذا العالم ؟ ألا يكون في زعته هذه أرفع نفسا ، وأكرم حالا ، واضن بنفسه عن مواطن الدنيا ، مما لو اعتقد أن هذه الحياة غاية ، وأنه متى مات انتهى الى ما انتهى اليه الجنادات من الضياع والتلاشي ؟

اللهم إني لم أجد في كل ما ذكره الفيلسوف أوكن ما يشرف الفلسفة ، وإن كنت اعتقد أن من الناس من تطوف برأسه مثل هذه الأوهام ، لذلك لم أر بأسا من إيرادها ودحضها تنويرا للاذهان ؟

محمد فريد وجدي

في الشدائد يعرف الاخوان

نبيل خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟

قال : لا أدري ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقاى ، وإنما أعرب ذلك إذا أدبرت عني . وقال شاعر :

دهوى الاخوان على الرخاء كثيرة ولدى الشدائد تعرف الاخوان

وقال غيره :

فان أولى الموال من تواليه عند المرور لمن واساه في الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان بالفهم في المنزل الخشن

الاسلام والطب الحديث

« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بمخازين :
 لتفاح الأزهار والنباتات على العموم يحصل من شجرة الى شجرة بواسطة
 الهواء أو الحشرات ، أو بواسطة الانسان ، وأهمها الهواء . والقرآن يتكلم عن فائدة
 من فوائد الهواء الذى ينقل نطفة الذكر الى الأنثى ، وذلك قبل أن يتقدم علم تشريح
 النباتات ، وقبل أن يعرف شيء عن ذلك بمدة طويلة ، فأصدق القرآن وما أعظم إعجازه :



« إنما أمرنا أنى . إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » :

هذه الآية الكريمة تعلمنا طريقة إنجاز إرادة الخالق ، وهى تختلف عن إنجاز إرادة
 كل المخلوقات ، فالإنسان يستخدم السنن الطبيعية المادية بازدياد العلوم وتقدمها ، فهو
 يعرف مثلاً أن بذرة القطن لا يمكن أن تنتج قمحاً ، وأنها لا تنتج غير القطن ، وأنها تموت
 بدون الماء ، وهكذا تجرى السنن التى لا تتبدل أبداً ، ويستخدم المخلوق أيضاً بعض
 سنن غير مادية أمرنا الله بها ، مثل « ادعوني استجب لكم » ومثل « وليخش الذين
 لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليؤثروا قولاً سديداً » ومثل
 « ثن شكرتم لأزيدنكم » ، فهذه أيضاً سنن ثابتة لا تبدل فيها ، مثلاً مثل الأولى تماماً ،
 ولو أن من الصعب علينا تطبيقها ، بخلاف السنن المادية ، ولا نبيأ عليهم السلام يعطون
 كثيراً من النوع الثانى « وإنه لذنو علم لما علمناه » فى قصة يعقوب .

« ما تخالق جل وعلا لإرادته ليست مفيدة بسنة أبداً ، ولا تعلم من طرق إنجازها
 إلا « كن فيكون » . وهذا هو الفرق الأساسى بين المعجزة التى من صنع الله مباشرة
 وبين أفعالنا المقيدة بالسنن الإلهية .

« ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذالّا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » :
 ما أصدق الآية الكريمة « فيه شفاء للناس » عند ذكر غسل النحل وتركيبه
 الكيماوى ، وهو :

٢٥ — ٤٠ ٪ دكتروز (جلوكوز)

٣٠ — ٤٥ ٪ ليفيلوز

١٥ — ٢٥ ٪ ماء

(والجلوكوز) الموجود فيه نسبة أكثر من أى غذاء آخر هو سلاح الطبيب
 فى أغلب الأمراض ، واستعماله فى ازدياد مستمر تتقدم الطب ، فيعطى بالقلم ، وبالحقن
 الشرجية ، وتحت الجلد ، وفى الوريد ، ويعطى بصفته مقويا ومغذيا ، وضد التسمم الناشئ
 من مواد خارجية مثل الزرنيخ والزئبق والذهب والكلورفورم والمورفين الخ ، وضد
 التسمم الناشئ من أمراض أعضاء فى الجسم مثل التسمم البولى ، والنشئ من أمراض
 الكبد والاضطرابات المعوية المعوية ، وضد التسمم فى الحيات مثل التيفويد والانتهاز
 الرئوى والسعال الخ والحصبية ، وفى حالات ضعف القلب وحالات لذبحة الصدرية ،
 وبطريقة خاصة فى الارشاحات العمومية الناشئة من التهابات الكلى الحادة ، وفى احتقان
 اللغ ، وفى الأورام الخفية الخ .

وقد يقال : وما أهمية هذه لآية مع أن كل أنواع الغذاء لها فوائد ، وقد ذكر المسمل
 لأنه غذاء ، لذى العلم ، وبطريق المصادفة ؟ فالحقيقة هى أن أنواع الغذاء الأخرى
 لا تستعمل كعلاج إلا فيما ندر من الأمراض الناشئة عن نقصها فى الغذاء فقط ،
 وهذه الفواكه التى تشبه العسل فى العلم ، فإن السكر الذى فيها هو سكر القصب أو أنواع
 أخرى ، ولكن ليس فيها إلا نسبة ضئيلة من « الجلوكوز » الذى هو أهم عناصر العسل .

وإذا علمنا أن (الجلوكوز) يستعمل مع (الانسولين) حتى في حالة التسمم الناتج من مرض البول السكري ، علمنا مقدار فوائده ، وأن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة ، ولكنه تنزيل ممن خلق الانسان والنحل ، وعلم كلا منهما علاقته بالآخر .
 وكثير عبد العزيز اسماهيل

التحبيب الى الناس

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن أبي وقاص : إن الله إذا أحب عبداً حبه الى خلقه ، فاعتبر مترسك من الله بمترسك من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .

وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف سابه يطلب الاذن في الدخول لحجبه حيا ثم أذن له ، فلما مثل بين يديه قال : إن هذا الامر الذي صار إليك ، وفي يدك ، قد كان في يدي غيرك فامسى والله حديثا إن حيرا غير ، وإن شرا فشر ، فنحبيب الى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول بغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورفاقه على من اهوج عن سبيله .
 وقيل لمعاوية . من أحب الناس إليك ؟ قال : من كانت له عدي يد صالحة . قيل له : ثم من قال : من كانت لي عنده يد صالحة .

وقال محمد بن يزيد السحوي : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنقة صغيرة ، فوسع له ، وكرهت أن أضيع عليه ، فانقبضت ، فأخذ بمضدي وقربني الى نفسه ، وقال : إنه لا يضيق مع الخياط بمحتاجين ، ولا تسع الدنيا متباضعين .
 وقال ابن هبدي به صاحب العقد الفريد .

صل من هويت وإن أبدى معاتبة فاطيب العيش وصال بين إلفين
 واقنع حبات خد لا تلاعه فربما ضاقت لدينا بالثنين
 وقال حكيم : لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك سرفا .

الاسلام والفلسفة

- ٧ -

ابن سينا

نفيه :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا . وكان أبوه ، فيما يحدثنا هو ، رجلا من أهل بلخ ، وقد انتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور ، واشتغل فيها بالتصرف في أمور الدولة ، وتولى العمل أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرمين » وهي من أمهات قرى بخارى . وبقرية قرية يقال لها « أفشنة » تزوج منها أبوه بوالدته ، وولد بها في سنة ٩٨٠ ميلادية .

حياته العلمية :

أم ابن سينا حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة ، وأخذ يثقف بمنظوم الادب ومنشوره بعد أن درس قواعد اللغة وأسرار اشتقاقاتها دراسة قوية متينة ، ثم ألفا يدرس المنطق والفلسفة والعصب والرأسة والطبيعة والموسيقى وكل ما كان يعرفه أهل عصره من علوم وفنون . وقد حدثنا هو عن نفسه — ولا أحسبه إلا صادقا — أنه وهو في صليحه شبابه فاق أستاذه في المنطق ، واكتشف من أسرار هذا العلم وعلم من خفايا قواعده وقضاياها ما لم يتنبه إليه ذلك الأستاذ على طول عهده بعلم المنطق ولوكبه فيه ، غير أن « ما وراء الطبيعة » لأرسطو ظل أمامه مظلما غامضا حتى كاد يؤنس من الفلسفة لولا كتاب من كتب الفارابي فذف به لله إليه على يد « دلال » بسيط ، فاشترى بثلاثة دراهم بعد إياه ، فلما استوعب أدرك منه أسرار « ما وراء الطبيعة » ووقف به على معضلات الفلسفة ، فعاد إليه حبه إياه وشغفه بها بعد أن كان قد انصرف عنها بسبب ما قاساه في غير كتب الفارابي من الظلمة والتعقيد . وإذا ، الفارابي يعتبر أستاذ ابن سينا من هذه الناحية ، لأنه هو الذي أنار له سبيل الحكمة التي كانت أمام عينيه فأثمة إلى درجة إيقاعه في اليأس والقنوط .

وفي هذه الاثناء مرض أمير بخارى وحمله ابن سينا وشفى على يديه ، فكان مما كافأه به أن فتح له باب مكتبته الفخمة على مصراعيه ، فأخذ هذا الشاب الذكي النشيط الصبور المتطهر إلى العلم يلتمهم كل قيم ونفيس في هذه المكتبة مما لم يطلع عليه أحد في عصره ، حتى حوى رأسه أقصى ما يمكن أن يحويه رأس إنسان ممتاز . وهناك ما يرويه في وصفه السنائي في دائرة معارفه :

« كان من أشهر الحكماء والأطباء العرب ، فهو «أبقراط» الطب ، و «أرسطو» الحكمة عند العرب والافرنج ، وقد جمع في فسيح صدره كتابات أرسطو ، ووعى في خزانة معارفه حكمه وقواعده . وقد نقل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات «جالينوس» ، وأبقراط ، ونشروا أشهر تأليفه في اللغة العربية ، وترجموا أكثرها إلى لغاتهم . وكان هو المعول عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والطب . وقد اعترف له الجميع بالحكمة والفضل ، ففتخر به الشرق ، وأخذ عنه ، ومدحه الغرب واقتفع بتصانيفه » .

مؤلفاته :

وفي السنة العشرين من عمره بدأ ابن سينا يكتب ويؤلف في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والرياضة ، ويخص بالذكر من هذه المؤلفات كتابه « الشفاء » الذي لم يكتمل يظهر حتى نرحم إلى اللغة اللاتينية ، وكان له عند قرائه فيها شأن عظيم ، وكذلك كتاب « النجاة » الذي هو مختصر كتاب « الشفاء » وكتاب « الجليل » « الاشارات » وغير ذلك من المؤلفات الساقطة المفيدة . وأخص ما تمتاز به كتب ابن سينا الفلسفية أنها تكاد تكون مقصورة على تفصيل « ما وراء الطبيعة » وبسطة الاسهاب في شرح نظرية المعرفة .

فلسفته :

لم يرد ابن سينا في مذهبه « الماوراء الطبيعي » على ما فرره الفارابي شيئا يستحق الذكر ، لأنه — كما أسلفنا — كان أستاذه ومعلمه ، فقد صدر في فلسفته مثله عن إله واحد عظيم قادر نشأ عنه كل شيء بطريق العلية والمعلولية ، وإن كانت عبارة الخلق والابجد كثيرا ما ترد في كتبهما . وقد أسلفنا في فلسفة الفارابي مناقشة الامام الغزالي لهذا التعبير ، أي الخلق والابجاد ، تلك المناقشة التي أوضحت أنه تعبير مجوف زائف ، وأبنا رأينا في هذه النقطة . وعلى أي الأحوال فقد رتب ابن سينا نشوء العقول والأفلاك عن الموجود الأول على النحو الذي قدمناه عند الفارابي . وقد علل نظرية العقول والأفلاك وصدورها عن ابداع الاول تلك القاعدة الموهمة القديمة القائلة بأن الواحد من كل جهة لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد ، وإلا لتمددت جهات ذلك الواحد بتعدد الاعتبارات التي عن كل منها صدر واحد من تلك الكثرة . ولهذا فقد صدر عن الله الواحد من جميع الوجوه العقل الأول ، وهو وإن كان واحدا إلا أن وحدانيته ليست من كل وجه ، ولهذا فلا مانع من أن يصدر عنه أكثر من واحد ، وقد حدث ذلك بالفعل ، فصدر عن كل عقل عقل وعقل إلى أن اتهمنا إلى العقل المباشر ، وهو الذي صدرت عنه الموجودات الدنيا . وبس في هذا الترتيب ما يناقض تلك القاعدة اليونانية التي أوضح ابن سينا مرماها وجلا موضها في « إشارات » حيث قال في بيانها مانعه :

د تنبيه : مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (أ) غير مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (ب) وإذا كان الواحد يجب عنه شيان فن حينئذ مختلفتي المفهوم ، مختلفتي الحقيقة ، فلما أن تكونا من مقوماته أو من لوازمه ، فإن فرضنا من لوازمه ما الطلب حذما فينتهي إلى حينئذ من مقومات العلة مختلفتين ، إما للماهية ، وإما لأنه موجود ، وإما بالفرق ، فكل ما يلزم عنه اثنان معا ليس أحدهما بتوسط الآخر فهو مقسم الحقيقة ، (١)

أما الموجود عند ابن سينا ، فهو يختلف عن الموجود عند الفارابي : بأن قسمه إلى ثلاثة أقسام (١) واجب الوجود لذاته وهو الباري . (٢) ممكن الوجود بذاته ، ولكنه واجب الوجود لغيره ، وهو العقل العشرة (٣) ممكن الوجود بذاته بجميع العوالم الأرضية . وهاك ما وضع به هذه النظرية المبسطة في إشارات :

د تنبيه : كل موجود إذا انفك عنه من حيث ذاته من غير التفات إلى غيره ، فلما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه أو لا يكون ، فإن وجب فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم ، وإن لم يجب لم يجر أن يقال . إنه ممنوع بذاته بعد ما فرض موجودا ، بل إن قرن باعتباره ذاته شرط مثل شرط عدم صار ممنوعا ، أو مثل شرط وجود علة صار واجبا ، وإما أن يقرن بها شرط لا حصول علة ولا عدمها في له في ذاته الأمر الثالث وهو الامكان ، فيكون باعتبار ذاته الشيء الذي لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود بما واجب الوجود بذاته ، وإما ممكن الوجود بحسب ذاته (٢)

وقد خطأ ابن رشد الرئيس ابن سينا في هذه النظرية ، واعترض عليه بأن واجب الوجود بعينه لا يمكن أن يكون ممكن الوجود إلا إذا انعدمت علته ، والعلة الأولى عند ابن سينا لا تنعدم . وإذا ، فليس هناك قسم يسمى ممكن الوجود لذاته ، وواجب الوجود بغيره في نفس الوقت .

ويرى ابن سينا أن المتكلمين الذين يرون أن الوجود صفة زائدة على الذات محطوث ، وأن الحق هو فيا ذهب إليه الفلاسفة من إثبات وحدانية الذات والوجود ، أو من اعتبار الوجود عين الذات ، وصرح بأن مذهب المتكلمين يؤدي إلى تفرق النقص إليه ، تعالى من ذلك علوا كبيرا ، واليك رأيه في هذه النظرية :

د إشارة : لو التأم ذات واجب الوجود من شيئين أو أشياء تنجمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها أو كل واحد منها قبل الواجب الوجود ومقرما لواجب الوجود ، فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم .

(١) راجع المسألة التاسعة من النسخ الخامس من كتاب الاشارات . (٢) راجع المسألة الثالثة من النسخ الرابع من الكتاب المذكور .

« إشارة : كل ما لا يدخل الوجود في مفهوم ذاته على ما اعتبرنا قبل ، فالوجود غير مقوم له لماهيته ، ولا يجوز أن يكون لازماً لذاته على ما بان ، وبقي أن يكون من غيره » (١)

وعند ابن سينا : المتفرد بالوحدة هو واجب الوجود لذاته وحده ، أما التسامى الآخران أي الواجب لغيره والممكن ، فلا تطلق الوحدة على الواحد منهما إلا مجازاً ، لأنها طارئة عليهما . وقد خطاه ابن رشد في هذه النقطة أيضاً ، ورماه بأنه خاطئ بين الوحدة المطلقة التي هي روح الوجود والتي لا يتصف بها إلا الباري ، وبين الوحدة العددية الحادثة التي يكون التصف بها مع غيره عدداً . وقرر ابن رشد أن الشيخ الرئيس لو تنبه إلى ذلك الترقى الحائل الموجود بين الوجودتين المطلقة والعددية ، لما كتب هذه السكوبة

هذا ، ومنتم لك الحديث عن بقية نوحى فلسفة هذا الحكيم في الفصول المغلفة ، مناقشين من نظرياتها ما يستدعي المناقشة ، فالى الملتقى

الركنور محمد فخر

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

رب أخ لك لم تلده أمك

هذه حكمة قاضها حكيم ، ومدتها نجارب الحياة ، فرب أخ لك لا بك وأمك ، لم يعد لك بدا في نازلة ، ولم يسفك في كارثة ، ورب صديق لم تجمعك به وهيجة من نسب ولا صهر ، حافظك في شدتك بمعونته ، وعمل على تفريج كربتك بكل ما وصلت إليه يده فكان كما قال حكيم : رب بعيد أقرب من قريب

وسئل بعض فلاسفة اليونانيين : ألمحب أهلك أم صديقك ؟

قال : أحب أخى إن كان صديقى .

وقال شاعر :

أخو ثقة يسر ببعض شأني وإن لم ندنه من نرابه

أحب إلى من أئلى قريب تبث سدورهم لي مستراه

(١) راجع السادة الخامسة من النسخ الرابع .

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية^(١)

العامل الثاني — الطبيعة العربية :

تحدثنا في المعال السابق عن العامل الأول من العوامل التي كان لها في رأينا أعظم الأثر في فقدان أدب الحضارة العربية ، وهو انجلاء الحضارة ، وذكرنا غرقا ملميا بين الحضارة المادية الجافة المحدودة ، والحضارة الفكرية الروحية التي لا تقف في رقبها عند حسد أو نهاية . والآن نريد أن نتحدث عن عوامل أخرى تنضاف إلى ذلك العامل ، ولكل منها أثره ، فإذا اجتمعت كان لها ذلك الأثر القوي للفعال في إذهاب أدب الحضارة العربية بين طيات الإهمال والضياع ، وسنعمل الكلام إجمالاً نهي به هذا البحث لننتقل إلى غيره .

أول ما يبيده الباحث في حياة العرب على عهد بداوتهم في الرحلة التي أدركهم عليها الاسلام ، طبيعة الفرد التي — وإن تعددت مظاهرها — ترجع إلى حقيقة واحدة ، فهي تبدأ بالفرد الذي يرى لنفسه تمام الحرية في حياته الشخصية إلى جانب غيره من الأشخاص ، وهذا بطبيعة الدفاع من النفس وحب البقاء ، يدعو إلى أن يعتصم في بعض الأحوال بأسرته ، ويندغم فيها حماية لتفرده ، وخشية أن يفلت على أمره ، أو تمس حرية .

وإذا لحنا في الأسرة البدوية شيئاً من التماسك بالنسبة إلى الفرد ، فهذا التماسك نفسه يكون تفرداً في مقابلة تماسك أسرة أخرى أعظم منها ، ولا تزال هذه الظاهرة تصحب أطوار التكوين في الجماعات البدوية مبتدئة بالفرد ، وتنتهي بالقبيلة والشعب ، تصويراً لأقصى حدود التفرد في الجماعة .

سيطرت هذه الطبيعة على حياة عرب البداوة ، فلم تترك سبيلاً لظهور القومية

العامّة تبدو فيه الأمة كلها ذات شخصية واحدة متحدة ، وكانت مظاهر هذا التفرد قوية فاضرة تتردد في صدّى للفاخرة الموضعية . فالمصرية ، والقرشية ، والهاشمية ، والنميمة ، والبيكرية ، والتغلبية ، والقيسية ، والربيعية ، هي الصيغات التي كانت تتجاوب في أرجاء البداوة العربية فتثير النخوة ، وتحرك الإباء عند البدوى ، ويمز أن يسمع صوت في تلك البداوة يهتف بالعروبة ويمتز بها كقومية عامة ، حتى في حوادثهم وأيامهم مع الأمم الأخرى ، لا نجد نفرا للشعراء والخطباء إلا بقبائلهم ، فهذا العديل ابن الفرج المعجلى يقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدى النارى
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذى قار
جئنا بأسلابهم واخليل عابسة لما استلبنا لكسرى كل أسوار

فهو يفخر بقومه ، وما كان لهم في يوم ذى قار من مواقف محمودة ، وهذا اليوم كان يوما من أيام العرب التي وقفت فيها العرب كأمة لها وحدة تقابل وحدة المعجم . وقد أقام الاسلام بناء الدولة الاسلامية الشاخص على دعامة العزة العربية ، فرى الأمم بالعرب كلها بعد أن عزمها بالوحدة القومية ، وأشعرها بوجودها كاملا الى جانب سواها من الأمم الأخرى .

وإذا كانت طبيعة التفرد خصيصة أهل البداوة من العرب ، فوجود شيء من الحضارة عند فريق منهم يزيد فصل ما بينهم ، ويقوى التفرد الجماعى في كل فريق بالنسبة الى الآخر . على أن اختلاط المتحضرين من العرب بالأمم المصافية لهم كالفرس والرومان يحسن نظرة عرب البداوة إليهم شذراء ملتوية ، لأن البدوى بطبيعته التفردية يزدري تلك الأمم الأجنبية . ويرى أنه أعز منها نفسا ، وأحى أنفا ، وأكرم عنصرا . قال الدكتور « درزى » المستشرق الهولندى : « وصلف البدوى يؤكد له أنه يتجسم فيه أكل وأنم غرضج للمخلوقات الكائنة ، فهو يحتقر غيره من الأمم لجرد أنها ليست

مثله ، وهو يمتد اعتقادا واسخا لا كفاء له بأنه أسعد حالا من الرجل المتحضر .
ولهذا الإحساس أثره بالنسبة لإخوانه المتحضرين ، لانتصاهم بتلك الأم اتصال بعية
وخضوع .

ومن خواص الأدب أنه ينمو ويخصب في ظل الائتنام والوحدة الاجتماعية في أى
شكل من أشكالها ، لأنها تزيد طبيعة التفرد قوة ، فإن الأدب هو الصلة الفكرية
الظاهرة بين الجماعات المتجانسة ، فإذا لم يكن بينها من القرب النفسى ، والاتحاد العاطفى ،
والائتلاف القومى ما يكفل لهذه الصلة الحياة الطليقة بعيدة عن الزمانة والتقبض
فى مدار واحد ، أخذت سبيلها الى السقم والاضمحلال ، ثم التامى والزوال .

وآداب الحضارة العربية التى تتحدث عنها لم تجد الى قلب البادية طريقا بالرغم
من أن أدب البداوة وجد الى حواضر الممالك العربية ومعاهد حضارتها طرقا على ألسنة
رواد القصور من فطاحل شمراء البادية ، وخطبائها ، وكان أولوا أن لا تجد الى الممالك
الأجنبية لمجارة كالفرس والرومان سببا ، لعدم لمجانسة الطبيعية والبيئية مجانسة
قوية ، ولأن نظام الحياة يقضى بتقيد التابع للتبوع وأنفة المتبوع عن أن يأخذ
من التابع حكمة ، أو يروى له أدبا كما هو مشاهد محسوس ، وللفرق فى روح الأدب
القيمة فى ذاتها ، ومن ثم بقيت تلك الآداب فى حواضر العرب منعجرة فى مهادها التى
نشأت فيها ، ولم يتع لها التبوع فى جو غير جوها الضيق الذى ظلت محبوسة فيه ، وقد
تولت على هذه الدولارات العربية فى أخريات عهودها حوادث مذهمة زعزعت أركانها ،
فليس يبعد أن يكون ذلك من أسباب ضياع تلك الآداب وفهاها بذهاب مناشئها .

العامل الثالث — الانقلاب الدستورى :

سطعت شمس الاسلام فى بطحاء الحجاز من الجزيرة العربية ، وعرب البداوة
يومئذ يحبون حياة أدبية حافلة ، ولا سيما الشعر ، فإنه — كما يقول ابن خلدون —
فن من الكلام كان شريفا عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد

صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستعكة فيهم ، وكان له أرفع مكانة في نفوسهم ، يهزها إلى للكارم هذا ، ويشير فيها الحية حتى ليحبب إلى الجبان احتضان الناياباسماً . قال ابن رشيقي في كتاب العمدة : « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبايل فهنأها ، وصنعت الأطلعة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، وتباشر الرجال والوفدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبح من أحسابهم ، وتخليد لما أكرم ، وإشادة بذكورهم » .

كان إلى جانب هذه الحياة الأدبية الزاهرة تيار من الفوضى الاجتماعية والدينية وجه الإسلام عنايته لاجتثاث أصولها ، ووضع نظام اجتماعي راسخ يقوم عليه بناء الدولة العربية التي نيط بها نبليغ دعوة الحق إلى الأحمر والأسود ، وكان من أساس ذلك النظام إصلاح شامل بتوجيه الأدب العربي وجهة الخير والحق والإصلاح الخلق ، والقضاء على تلك الفوضى الاجتماعية الدينية ، وما يمت إليها من الأدب بسبب ، وكان طبيعياً أن يستقر هذا الإصلاح شيئاً ما في العرب الذين ظهر النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم ، وهم عرب الحجاز وحاملو لواء البداوة يومئذ قبل غيرهم من عرب الأطراف للتحضرين ، الذين كانت حالهم على العكس من عرب البداوة حيث كانت الحياة الاجتماعية ظاهرة منظمة الأوضاع ، والحياة الأدبية راكدة ضعيفة للأسباب التي سلفت عند الحديث عن طبيعة الحضارة .

بيد أن ذلك النظام الاجتماعي كان أشد ضرراً على الإنسانية ، وأفتك بكيان الأمة من فوضى البداوة ، لأن تلك الفوضى أساسها الحرية الجماعية ، وكبح هذا الجموح يسبب سهلاً إذا وجد حزماً صادقا وسياسة حكيمة كالذي توافر في نصير الإسلام ، أما ذلك النظام فإنه يقسم على دعائم الاستبداد الفردي المثل في نوع الحكم إذ ذاك ، وهو أخطر ما يكون على النفوس الإنسانية ، لأنه يفسد الفطرة ، ويقتل الكرامة ، وينشئ

الأمة على الذلة والخنوع ، ومن هنا يمكن تعليل ما لقيه الإسلام في طريقه من عنقاسية ، وشر مستعير من الأمم المتحضرة الأجنبية مما لم يلق القليل منه من عرب البداوة على شدة عنادهم ، وقد كان للفرس والرومان تأثير كبير في توجيه سياسة دويلات العرب الثلاث في اليمن والشام والمراق .

والأدب في مثل تلك البيئات إنما يردد صدى الحياة الاجتماعية بمساوئها وأضرارها ، والإسلام من أول مبادئه وأهمها إنقاذ الفطرة الانسانية من بلايا الاستعباد العكسي ، وبثث الشهور في الأفراد والجماعات بحقهم في الحياة الطليقة في حدود الحق والخير ، فكان قويا عنيفا في محاربة هذا اللون من الاستبداد والظلم ، وأثر مبادئ الحرية الفاضلة .

اشتد الصراع بين نمائهم الإسلام الحكيمه المعادلة ، وما كان هناك من نظم وأخلاق وعادات موروثه تنبج في أكثرها إلى العبث والفساد في الحياة ، حتى قضى عليها ، وأبدلهم بها إصلاحا شاملا في اللغة والدين والآداب ونظام الحكم والمعارف والأخلاق والعادات . قال أحمد بن فارس : « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلهم وفرايينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى ، بزيادات زبدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فغنى الآخر الأول ، وشغل الغوم بعد المناورات والتجارات وتطلب الأرباح والكسح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعارفة والمياسرة ، بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام ، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشؤوا عليه كأن لم يكن » .

قد يقال إن عامل الطبيعة العربية وما فيها من حرص على الذات والتفرد ، وعامل

الانقلاب الاسلامي موجودان بإزاء أدب البداوة، فلم يكن لهما هذا الأثر الذي كان لهما على أدب الحضارة فنقول: نعم، وقد كان لهما من الأثر شيء كثير مما يدخل في حيزهما من أدب البداوة، قال صاحب الممدة: «ما تكلمت به العرب من جيد النثر أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من النثر عشرة، ولا ضاع من الموزون عشرة» غير أن عاملا هويًا من عوامل الحياة تولد من الانقلاب الاسلامي فساعد على حفظ هذا القدر الذي وصلنا من أدب العرب

ذلك أن العرب ظلوا في البداوة محتفظين أشد الاحتفاظ بلغتهم، عاملين على حمايتها من الدخيل واللحن، بتجافهم عن الاختلاط بمن جاورهم من الأمم الأجنبية، فلم تستقر قدس ليم الاسلام في نفوس العرب، وابتدأت الفتوحات الاسلامية، وأقيمت حمرار الأعاصير على الجزيرة العربية، وجاس العرب خلال ديارهم، شعر العلماء بالحاجة الى الاستشهاد بكلام العرب تخلص على معاني القرآن الكريم والحديث النبوي لتبينها للناس، لجؤا الى أدب البداوة لثقتهم به ثقة تامة، وتشككهم في آداب الأطراف العربية لكثرة الدخيل فيها، وتطرق المعجمة اليها، بواسطة الاختلاط بالأمم غير العربية، وأبوا شعر كثير من الشعراء الذين تأثروا بهذا الاختلاط. قال ابن قتيبة في عدي بن زيد الشاعر: «وكان عدي يسكن الحيرة ويدخل الأرياف، فتقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا، وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة». وكذلك تحامى بعض العلماء عن كثرة الاستشهاد بشعر الأعشى، لأنه كان يفد على ملوك فارس، وتكلم في شعره بكلمات فارسية.

ولأنما كان اعتماد العلماء على الشعر في هذه السبيل أكثر من النثر، لأن الشعر له من أوزانه الخاصة وطبيعته ما يحمل التسامع فيه بما لا يتفق مع أوضاع اللسان وقواعدها عسيرا، ولأن عناية العرب أنفسهم كانت بالشعر أشد، وذووعه في أرجاء الجزيرة أكثر، لما فيه «من التفتي بكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أباها

الصالحه ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وصمماتها لأجواد ، تهز نفسها إلى الكرم ، وتدل أبنائها على محسن الشيم .

أما المنشور فمع ما يعتوره من إمكان التحلل عن أصوله التي صدر بها في الخطب والمحاورات والوصايا وما إليها ، فالذي قضى عليه بضيايح الكثير منه ، على ما يظهر لي ، سببان : الأول : ما فيه من معان ضيقة لا قيمة لها تدور حول مفاهيم جاهلية أماتها الاسلام وقضى على روحها ، والثاني : أسلوب القرآن الكريم ، لأنه من واديه في ألفاظه وعدم تقيده بأوزان خاصة كالشعر ، ولكن الفرق بينهما فرق ما بين الحياة والموت ، فأكادت آيات القرآن تنجلي في أندية العرب حتى أزوروا عن ذلك اللون من الكلام المنشور الذي تراءى لهم يومئذ إلى جانب القرآن أجوف ، لا يحمل من معاني الحياة السامية التي فتح القرآن إليها أعينهم ما يكفل له الخلود والبقاء ، كما بقي الشعر وبعض الحكم والأمثال ، وهذا أمر مهمود ، نشاهده فيما نقرأ من بحوث ورسائل أدبية وعلمية ، فإن حلاوة بعض الكلام وبلاغته تعني على كل أثر لغيره من الكلام الذي دونه بلاغة وحلاوة وجمالا .

صادق إبراهيم هرجوب

صديق ينادي صديقا

يا من هدت نفسه نفسي ومن جمعت	له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به	أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفي موصول برؤيته	وإن تساعد عن مشاي مشواه
الله يعلم أني لست أدكره	وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا قبل حسن لم يحوه حسن	وهل فني عدلت جدواه جدواه
ظاهر بطني ولا تنسى مكارمه	والظفر يحصى ولا تحصى عطاياه

محمد صلى الله عليه وسلم

كما يقدره قادة الفكر في أوربا

تابع بحث مدام أنى بيرنت رئيسة جمعيات النيو صوفية

لنرجع لى ذكر النبى الذى تركناه وليس له من الأتباع إلا امرأته، وقد آمن به
بعدها أقاربه الآذنون . وهذه حادثة ذات مغزى كبير بالنسبة لمؤسس دين فإنه
من السهل أن تحصل أتباعا من جمهور لا يعرفونك ولم يروك إلا على منبر الخطابة ،
ولم يسموك إلا فى محاضرة متفتنة ، أو فى أجوبة على مسائل موضوعية ، ولكن أن
يصير الانسان نبيا فى نظر امرأته ، وبنته ، وصهره ، وأقاربه ، الأذنين ، فهذه هى
النبوة حقا . وهو انتصار لمحمد لم يحصل على مثله عيسى نفسه . هؤلاء هم أتباعه
الآولون . ولكن همه أبا طالب الذى كان حاميا له طوال حياته لم يرد أن يعمد نبيا
رجلا كان بالأمر غالما صغيرا يتعلق بركيته ، واكتفى بأن قال له حين دعاه للإيمان :
« يا ابن أخى إني لا أستطيع أن أرى من دين آبائى ، ولكن والله لن يصل إليك أحد
منهم مادمت حيا » . ثم التفت الى ولده على ، وهو الحبر المحترم ، وقال له : ما دينك ؟
فأجابه على قائلا : « يا أبى إني أؤمن بالله ورسوله ، وسأطيع هذا » فقال له أبوه :
« لا بأس من ذلك يا بنى ، فإنه من يدعوك لعمل غير صالح ، فأنت حر فى التعلق به » .
مكث محمد يعمل ثلاث سنين فى هدوء ، فلم يزد أتباعه بعدا انقضائها على الثلاثين ، فاضطر
أن يعلن الدعوة لأول مرة ، فتكلم عن وحدة الله ، ونهى على عادة القرىبان البشرى ،
وعلى الانهماك على الشهوات ، وتماهى السكرات ، وعلى إفساد الحياة . فاجتمع اليه عدد
آخر من الأشياع مأخوذون فى تيار الكهات التى تنبئ من بين شفثيه . ولكن بقدر
ما أصبح كثير الأنصار أخذ الاضطهاد يشتد عليه ، وشرعوا فى تعذيب أصحابه بقسوة
يكاد يكون من المحال أن يتحملها الجسم البشرى ، فكانوا يزقون أجسامهم ويطلقونهم

بالرماح ، ويلقون بهم على الرمضاء المحرقة ، وجوههم ممرضة الى الشمس ، وعلى صدورهم قطع من مسخور ثقيلة ، ثم يأمرهم وهم على تلك الحالة أن يكفروا بالله ورسوله ، فيأبون ، ويموتون وهم يقولون : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أعيروني أسماكم . كان يوجد بين هؤلاء المضطهدين رجل قطعوا لحيه قطعة قطعة ، فسأله الذين يتولون تعذيبه وهم يضحكون قائلين : « ألا تحب أن يكون محمد مكانك وأن تكون أنت في دارك آمنًا ؟ »

فأجلبهم قائلاً : « الله شهيد على ما أقول : أنا لا أحب أن أكون في بيتي قريب من امرأتى وأولادى وأموالى إذا كان ذلك لا يتأتى إلا بأن يشاك محمد بشوكة ! » . هذا مثال من لحب الذي كان يبثه محمد في قلوب الذين يموتون من أجله .

فلما أعيت أتباعه الحيل ، قرروا الهجرة الى بلد يحتمون فيه من هذه الاضطهادات ، فتأمل فيما يقوله الذين أتقدم هذا النبي من الشر ، في صفته ، وفيما سببه لهم من الخير ، لأن شهادة التلميذ هي أصدق شهادة في معمله . ومن هنا تدرك كيف استطاع هذا الرجل أن يستولى على قلوب أشياعه . قال أحدهم لملك الحبشة وهو يتكلم باعتباره على رأس وفد حضر لبيعت في تلك المملكة عن ملجأ يحى المهاجرين اليها من اضطهاد المشركين ، قال : « أيها الملك : لقد كنا غرقى في أسد أغوار الجاهلة والوحشية ، نهب الأوثان ، ونعيش

في الأرجاس ، ونأكل الميتة ، ونخوض في الرفث ، ونحرق كل عاطفة إنسانية ، ولا نقوم بحقوق الضيافة والجوار ، ولا نعرف قانوناً غير ما تقتضيه القوة ، حتى أرسل الله إلينا رجلاً نعرف تاريخه وإخلاصه وشرفه ومظهره ، فدعانا الى توحيد الله ، ونهانا أن نشرك به شيئاً ، وصرفنا عن عبادة الأوثان ، وأمرنا أن نقول الحق ، وأن نبر في أيماننا ، وأن نكون رحماً صراعين لحقوق جيراننا ، وحرم علينا أن نقذف النساء ، وأن نأكل أموال اليتامى ، وأمرنا أن نتجنب الفواحش ، وأن نمتنع عن الشرور والآثام ، وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ، فصدقناه واتبعنا وصاياه »

هذه هي شهادة أتباع محمد للدين الذي أتاهم به ، وهذه أقوال الذين باعوا حياتهم في مرضاته .

أتى صنف من صنوف الرجال كان محمد حين يجلس فيحتف به نلاميذه ؟ كان يكلم رجلا من السراة يوما رجلا أن يدخله في دينه (لأن في كسب هوى الأغنياء والكبراء تأمينا لحياة الذين اتبعوه) ، فر به رجل مكشوف البصر وقال له : « يا محمد : دلني على طريق النجاة » ، فلم يأبه به محمد ، واستمر يتحدث الى ذلك السرى ، ولم يعرف ذلك الكفيف أن النبي مشغول بالحديث لى غيره ، صاح به ثانية : « يا رسول الله : دلني على طريق النجاة » ، فغضب النبي بين حاجبيه وأشاح عنه . فلما كان اليوم اتالى أوحى اليه بما أصبح مدونا الى الأبد في القرآن ليتذكر به من يتذكر ، وهو : « عَيْسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ بُرْءٌ كَى ، أَرِيدَ كَرَفْتَنَفَمَهُ الذِّكْرَى . أَمَا مِنْ اسْتَفْنَى فَأَنْتَ لَهُ نَصْدَى ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَى ؟ وَأَمَا مِنْ جَاهِكِ يَسْعَى وَهُوَ بِخَشَى فَأَنْتَ عَنْهُ كَلَهَى ، كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » . فكان النبي كلما لقي ذلك الرجل بعد ذلك يعامله باحترام عظيم ، قائلا : مرحبا بالنبي لا منى الله من أجله ، وجمله واليا على المدينة سررتين .

هكذا كان محمد نبي البلاد العربية ، هذا الرجل العظيم الذي كان يلوم نفسه كما يلوم أتباعه . هذا هو محمد رسول الله .

ولكن الاضطهادات كانت تزداد وتشتد يوما فيوما ، حتى أن أتباع محمد هاجروا مكة متفرقين في كل وجه ، الى أن لم يبق معه إلا رجل واحد لم يرد أن يهاجر ، وعنه أبو طالب الذي لم يرد أن ينضم الى شيعته ، ولقي أبو طالب النبي وقال له : « يا ابن أخى دعك مما أنت فيه ، وارك هذا الأمر الذي لا يرجى له نجى » .

فأجابه النبي قائلا : « لا يا عم ، فإذا استطاع أعدائى أن يضموا الشمس في بدي اليمنى ، والقمر في بدي اليسرى ليحملوني على التخلي عن هذا الأمر ، فلا تخلى عنه قبل أن يقضى الله فيه بأمر أو أن أموت دونه » . عند ذلك تأثر قلبه البشرى من رؤية عمه

وحاميه ومحبه يتحول عنه ، فألقى بردائه على وجهه ليخفي آلامه ، وانصرف . فناداه صاعقه : « قف قف ، قل يا محمد كل ما تريد أن تقوله للناس ، فوالله لن أتركك أبداً . » ولكن اتفق أن مات معه ، وكأن تلك السنة كانت سنة أحزان ، فقد حدثت مصيبة تفوق التي مضت ألف مرة ، وتلك أن خديجة لحقت بربها أيضا ، وهي زوجته المحبوبة ، وسكنه الوحيد في الحياة . فبقى وحيدا بعد أن قضى ستا وعشرين سنة في سعادة زوجية كاملة .

كان النبي يحاول هداية التجار الذين كانوا يترددون على مكة ، فتعاقد معه ستة منهم وكتبوا صورة العقد على تل العقية تحت اسم بيعة العقية ، وهي : « يا لعنا محمدا على أن لا نشرك بالله شيئا ، وأن لا نسرق ، وأن لا تقتل أولادنا ، وأن نتجنب الغيبة والإثم ، وأن نطيع الرسول في كل ما يأمرنا به من خير ، وأن نخلص له في اليسر والعسر » فلما تمت هجرة أصحابه ولم يبق معه بمكة إلا شبيخ غلام هو أبو بكر وعلي ، قرر الهجرة ، فحاول أعداؤه محاصرته في داره ، فأقلت منهم من النافذة ، ودعيت هذه السنة لسنة الهجرة ، ذكرى لخروج النبي من مكة ، واعتبرت مبدأ للتاريخ الاسلامي . فتعقب الكفرة النبي ومن معه ، وجعلوا لمن يأتي برأسه قدرا من المال ، وأدرك أبا بكر الذعر ، فقال لمحمد : « لينا ، لا اثنين » ، فأجابه محمد قائلا : « لا ، نحن ثلاثة ، فإن الله معنا » .

محمد فريد وهدي

الرجال أربعة صنوف

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة ، فرجل يدري ويدري أنه يدري ، فذلك عالم فسلوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك الناصي فذكروه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، فذلك الاحق فارفضوه .

ألبس من البسوى بأفك جاهل وأفك لا تدري «فك لا تدري»

القواعد العامة لتفسير القرآن الكريم

لما قررت مشيخة الأزهر بالاتفاق مع ورائه لعماري ترجمة معاني لقرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، نذرت لجنة على رأسها صاحب الفضيلة مفتي مصر لوضع تفسير موجز للكتاب الكريم يستهدي به المتأخرون ، فاجتمعت هذه اللجنة مرات قررت فيها قواعد عامة تسير على موجهها في وضع ذلك التفسير ، ورأت أن ترسل بها إلى كبار العلماء وإلى الجهات الإسلامية في الأقطار لتبدي آراءها فيها ليجيء عملها إجماعيا من جميع المسلمين وإنما لموردون هذه القواعد العامة ليطلع عليها القارئون :

- ١ - أن يكون التفسير خاليا ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .
- ٢ - ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية ، فلا يذكر مثلاً التفسير المعنى للرمح والبرق عند آية فيها رعد وبرق ، ولا رأى المكيبين في السماء والنجوم عند آية فيها سماء ونجوم ، إنما تفسر الآية بما يدل عليه اللفظ العربي ، وتوضع مواضع المبررة والهداية فيها .
- ٣ - إذا مست الحاجة إلى التوسع في تحقيق بعض المسائل وضعت اللجنة في حاشية التفسير .
- ٤ - ألا تختص اللجنة إلا لما تدل عليه الآية الكريمة ، فلا تنقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها ، ولا تنصف في تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك .
- ٥ - أن يفسر القرآن بقراءة حفص ، ولا يتعرض لتفسير فرائد أخرى إلا عند الحاجة إليها .
- ٦ - أن يحتجب التكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض .
- ٧ - أن يذكر من أسباب النزول ما صح به البحث ، وأمان على فهم الآية .
- ٨ - عند التفسير نذكر الآية كاملة أو الآيات إذا كانت كلها مرتبطة بموضوع

واحد، ثم تحرر معاني الكلمات في دقة، ثم تفسر معاني الآية أو الآيات سلسلة في مباررة واضحة قوية، ويوضع سبب النزول والربط وما يؤخذ من الآيات في الموضع المناسب .
٩ - ألاّ يصار الى التسخن إلا عند تعذر الجمع بين الآيات .

١٠ - يوضع في أول كل سورة ما فصل اليه اللجنة من بحثها في السورة : أمكية هي أم مدنية ، وماذا في السورة المكية من آيات مدنية ، والعكس .

١١ - توضع للتفسير مقدمة في التمرير بالقرآن وبيان مسلكه في كل من غنونه ، كالدعوة الى الله ، وكالتشريع ، والقصاص ، والجدل ، وعمو ذلك . كما يذكر فيها منهج اللجنة في تفسيرها .

طريقة التفسير :

ورأت اللجنة بعد ذلك أن تضع قواعد عامة خاصة بالطريقة التي تنبها في تفسير معاني القرآن الكريم نشرها فيما يأتي :

١ - تبحث أسباب النزول والتفسير بالمأثور ، فتضع مروياتها وتنفذ ، ويفسر الصحيح منها بالتدوين ، مع بيان وجه قوة القوى ، وضعف الضعيف من ذلك

٢ - تبحث مفردات القرآن الكريم بحثاً لغوياً ، وخصائص الترا كيب القرآنية بحثاً بلاغياً وتدوين

٣ - تبحث آراء المفسرين بالرأى والتفسير بالمأثور ، ويختار ما تفسر الآية به من بيان وجه رد الردود وقبول المقبول ، وبعد ذلك كله :

٤ - يصاغ التفسير مستوفياً مانص على استقيمانه في الفقرة الثانية من القواعد السابقة ، وتكون هذه الصياغة أسلوباً مناسباً لفهام جمهرة المتعلمين ، خال من الإغراب والصلصة .

النصرانية والاسلام في السودان

نشرت جريدة المصري يوم ٣٠ ديسمبر خبراً نقلته عن جريدة السودان مؤداه أن المبشرين يلقون تاييداً من الحكومة هناك ، وأن المسلمين في جنوب السودان يكابدون تضيقاً في حريتهم وإقامة شعائرهم ، فاستاء الناس هنا من حدوث هذا الأمر ، وكان أشدهم استياء علماء الأهر وطلابه ، فقصدهم وقد منهم إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ورفعوا إليه هذا الأمر واستنزلوا عونه في إزالة المنت الذي يلقاه المسلمون في جنوب السودان . فوجدوا من فضيلته كل عناية بهذا الموضوع ، وأرسل إلى كل من حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب لماعى حاكم السودان كتاباً يبلغه فيه استياء المسلمين مما يلقونه من إخوانهم في جنوب السودان ، ويرجوه العمل على رفع الحيف عنهم . وهذا لمن ما كتبه فضيلته إلى كل منهما :

إلى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد جاء في عدد جريدة السودان الصادر بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ما ملخصه أن المبشرين في جنوب السودان يتمتعون بحماية الحكومة لهم ، وبالسلطة التي منحولهم إبعاد من يريدون إبعاده من التجار أو الموظفين الذين يرونهم غير مرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين الموجودين هناك يلقون غناً وضيقاً في سبيل إقامة شعائر دينهم ، وقد وضعت الحكومة للقواعد الآتية :

١ - حرمان المتزوج من الجنوب من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

٢ - منع المسلمين من الاذان للصلاة الخس .

٣ - جعل عطلة عيدى الفطر والأضحى يوماً واحداً ، وبطالة العيد المسيحي أربعة أيام .

٤ - مساعدة المبشرين بالمال الذي يدفعه المسلمون للحكومة

وقد نقلت جريدة المصري في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ الجاري ما نشرته جريدة السودان ، وقد أثار هذا موجة من السخط العام من علماء الأهر وتلاميذ الكليات والمعاهد ، ورتب على ذلك أن اضطرت الدراسة وخرج التلاميذ في مظاهرة إلى إدارة الأهر

وإذا صح هذا فانه مدعاة للمجب والاستغراب ، لأنه إذا لم يكن للدين الاسلامي حق التفضيل لاعتبارات كثيرة فلا أقل من أن يكون أهله على قدم المساواة مع أهل الأديان الأخرى يتمتعون بحق إقامة الشعائر جهاراً ، وبحق الدعوة اليه ، ويتمتعون بالإقامة والسفر مصاحبة أولادهم وروجاتهم عند رحيلهم . وإذا صح أن الضرائب التي تحجب من الرعية وأكثرم مسلمون يعطى منها المبشرون شيئاً للمساعدة على نشر دينهم ، كان ذلك موضوعاً للتأمل الطويل والتفكير العميق ، وإنى لأرجو من دولتكم إعطاء هذا الموضوع حقه من العناية والبحث الجديرين به ، وأرجو أن تصلوا الى حل يمتق الآمال ويزيل هذا القلق المستول على النفوس . والله يتولى توفيقكم وعونكم .

ومع هذا عدد من جريدة السودان المشار اليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

من الأستاذ الأكبر الى الحاكم العام :

حضرة صاحب المعالي حاكم السودان المام بالخرطوم .

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ الجاري أخباراً مزعجة خاصة بالمبشرين جنوب السودان وبالتعليم . وقد استاء الأزهر علماءه وملايه استياء تاماً حتى اضطرت الدراسة بسبب ذلك . وإذا صح هذا فاني أحتج باسم الأزهر ، وأرجو وقف هذه الأعمال ، وجعل الاسلام في جميع بلاد السودان يتمتع أهله بالحرية في السفر والإقامة ، وإقامة الشعائر لدينية حتى نهداً الخواطر وتستقر الامور .

من رئيس الوزراء الى الحاكم العام :

وقد أرسل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة الى حاكم السودان المام البرقية الآتية نصها :

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ونقلت عنها الجرائد المصرية عبارة تلخص في أن المبشرين يتمتعون في جنوب السودان بحماية الحكومة السودانية ، والسلطة في إبعاد من يرون إبعاده من التجار أو الموظفين غير المرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين هناك يلقون عننا وتضييقاً في سبيل إقامة شعائر دينهم ، وأن الحكومة وضعت لهم القواعد الآتية :

١ - حرمان المتزوج من جنوب السودان من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

- ٢ — منع المسلمين من الأذان للصلاوات الخمس .
 ٣ — جعل عطلة عيدي الفطر والأضحى يوما واحدا وبطلة اميد المسيحي أربعة أيام .
 ٤ — مساعدة المبشرين بالمال الذي يدفعه المسلمون للحكومة .
 وقد أثارَت هذه الأنباء نائرة الرئ العام المصري ، وعلى الخصوص عماء الأزهر وملايه
 وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر ، فارحو
 بإداتى عن حقيقة الامر فيما نشر ، وما اتخذتموه معاليكم بشأنه من الاحراءات

رد الحاكم العام

وقد تلقى مقامه الرفيع من معالى الحاكم العام الرد الآتى
 ردا على برقية مقامكم الرفيع بتاريخ أمس يسرى أن أكون قادرا على أن أقدر لكم
 أن البيانات التي نشرتها الصحف وأشرعتم اليها بيانات خاطئة ومضللة للغاية ، وأنه ليس صحيحا
 على الخصوص الادعاء بأن أفرادا قد حرموا في أى جزء من أجزاء السودان حرية القيام
 بعبادتهم الدينية ، وكذلك الادعاء بأن بعض الهيئات الخاصة أو الدينية قد خولت مباشرة
 سلطة إدارية .

أما ما فرض في جنوب السودان من القيود المحلية على صفار التجار وأمثالهم فقد قصد
 به منع استغلال الأهالى الذين هم في أبسط حالات الفطرة استغلالا غير مشروع . وهذه القيود
 تتناقض بالتدريج .
 ساعس حاكم عام

السودان في الجاهلية والاسلام

حدث ابن الكلبي قال : قال لي خالد القسري : ما تعدون السودان ؟ قلت : أما في الجاهلية
 فالرياسة ، وأما في الاسلام فالولاية ، وخير من ذا وذلك التقوى
 قال خالد : صدقت ، كان أبى يقول : لم يدرك الأول الشرف إلا بالعقل ، ولم يدرك الآخر
 إلا بما أدرك به الأول .
 قلت له : صدق أبوك ، إنما صاد الأصف بن قيس بحمله ، ومالك بن مسمع بحب العفيرة له ،
 وقتيبة بن مسلم بدهائه ، وساد المهلب بهذه الخلال كلها .
 قال الأصمعي : فيل لأعرابي يقال له منتجع بن نهان ما اسميذع ؟ قال : السيد الموحد
 لا كنانة .

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام أيضا

عرضنا في البحث السابق لما يجب توفره في انعقاد تصرف الوقف صحيحا من شرائط المصلحة لصيغته التي يتأدى بها المعنى المراد من الواقف لتكون هذه الشرائط منضمة الى شرائط الأركان التي اشترطها علماء الفروع لتحقيق إسهاد الوقف مستوفية جميع أركانه .

والآن نعرض للكشف عما يجب توفره من شرائط في الجهة الموقوف عليها ، ليتسنى البحث على وتيرة واحدة ، وليجرى على سنن لا لبس فيه ولا إهمام : فما لامرأ فيه أن علماء الفروع اشترطوا لصحة الجهة الموقوف عليها شروطا كثيرة ، غير أن فريقا من الفقهاء المتقدمين مني بمحصرتها في خمسة شروط حتى اعتبر ما عداها راجعا اليها في حقيقة أمره ، فاشترطوا في الجهة الموقوف عليها : أن يكون صرف غلة الوقف اليها قرية في ذاته ، وأن يكون الواقف قصد بها كذلك .

ومعنى أنه قرية في ذاته ، أن يكون من حيث مظهره وصورته راجعا الى مرد من الشريعة وموئل من قواعد الفقه الاسلامي ، فلا بد إذن من اعتبار القرية الى الله أساسا لصرف غلة الوقف . وقد فرع صاحب البحر الرائق على هذا الشرط ، أن الوقف على الأغنياء دون الفقراء لا يقع صحيحا . وظاهر من عدم وقوعه صحيحا أن ليس فيه الى الله قرية ظاهرة من جهة الواقف ، وكل ما هنالك أن يمتد صرف الغلة اليهم جازيا مجرى الهبة ، فالمفروض في الوقف أن يكون قد قصد به الواقف سد عوز فريق من المحتاجين ، وصونهم من ذل الغافة والمسألة ، ولا أغنياء ليسوا كذلك في هذا الاعتبار . فلو قال الواقف في هذه الصورة : أرضي صدقة على بني فلان أو أسرة فلان وكانوا أغنياء أو أكثرينهم كذلك ، ثم ثبت عجز الواقف عن إحصائهم عددا لحصول

الجملة بكيفية أفرادهم وسائر الجهات التي يقيمون فيها ، لا ينفقد الوقف ، ووقع بإطلا
 ائهم تحقق القرينة ، أما إذا أحصاهم الواقف حال قيام اليسار بهم أو بأكثرهم ،
 وقع الوقف صحيحا ، لأنه يعتبر مسميا لهم بأعيانهم ، ودالا عليهم بوصفهم العنوانى ،
 وفي هذه الحالة المقابلة يصرف من بعدم للفقراء .

وقد وضع علماء الفروع لهذه الصورة ومقابلة ما ضابطا ، فقالوا : الواقف حين يريد
 ضبط إيشاد بوقفه إما أن يدين لوقفه مصرفا تصرف فيه غلته أولا ، فإن حبس الواقف
 الموقوف مرسلا عن الجهة الموقوف عليها ، كان مصرفه للفقراء إطلاقا ، إلا إذا قضى
 الصرف بالتسوية بينهم وبين الأغنياء في الاتفاغ بالموقوف ، كأن يكون الموقوف
 من المنافع العامة ، كوقف المدارس وكتب العلم والمصاحف والطواحين والآبار
 والملاجئ واستشفيات والمنابر والسقايات على الظاهر ، فإن الأغنياء والفقراء متساوون
 في الحاجة بالاتفاغ بهذه المرافق عرفا ، كما تدل عليه كتب القوم ، ولا يوجد في أوضاعهم
 ما ينفيه ؛ وإما أن يذكر الواقف لوقفه مصرفا ، فإن كان محتملا للاقطاع بأن كان المصرف
 من حيث أفرادهم لا يحصى عددا فلا بد أن يذكر في إيشاد وقفه ما يدل على حاجة الموقوف
 عليهم الى صدقته ، دلالة لفظية كالفقراء والساكنين ، أو استملا بحسب العرف
 كاليتامى والزمنى وإنشاء السبيل وطلبة العلم ، فإن هذه الألفاظ وإن كانت مشتركة
 بين الغنى والفقير غير أن عرف الواقفين شوع خص قد قيدها بالفقراء لشيوع الفقر
 في هؤلاء بعجزهم عن الكسب ، وفي هذه الحالة تصرف الغلة الى الفقراء دون سواهم .
 ونقل صاحب الأشياء والنظائر خلافا بين أئمة المذاهب في حد ما لا يحصى عددا
 في الجهة الموقوف عليها ، فمن محمد رحمه الله تقدير ما لا يحصى بعشرة ، وعن أبي يوسف
 رحمه الله أنه مائة ، وقيل أربعون ، وقيل ثمانون ، وحقق صاحب البدائع أن الأحوط
 أن يفوض في حده الى تقدير الحاكم .

أما إذا تجرد إيشاد الوقف من التتميم على الحاجة لا حقيقة ولا استملا ،
 كأن وقف الواقف عينا على الرجال أو النساء أو على المسلمين في فلسطين أو شبه جزيرة

العرب ، وقع الوقف باطلا ، لأن اللفظ في هذه الصورة مشترك بين الثني والفقير ، وليس يسأل أن يصرف إلى أحدهما دون الآخر لأنه ترجيح بلا مرجع ، ولا إلى الصنفين معا لأنه يلزم منه أن يكون الصرف إليهما هبة وصدقة . وقد أسلفنا وجوب أن يكون الصرف قرية ، هذا خلف .

فإن احتمل الصرف الانقطاع ، صح الوقف ، وإن لم يكن فيه ما يشعر بحاجة الموقوف عليهم إلى الانتفاع بثلثه يستوفيه الثني والفقير ، وذلك كما إذا وقف على أولاده من بعده ، فإنه يصرف إليهم ، فإذا انقروا صرفت ثلثته إلى الفقراء .

ثم إن علماء الفروع رتبوا على عدم وقوع الوقف صحيحا في حالة ما إذا كان الموقوف عليه غير منقطع ، أن الواقف لو قال : وقفت أرضي هذه على الأغنياء من طلبة العلم ثم للفقراء من بعدهم ، لم يقع الوقف صحيحا ، ضرورة أن أغنياء طلبة العلم لا ينقطعون في زمن من الأزمان ، فكأنه وقف عليهم أرضه دون سواهم ، وهو غير جائز شرعا .

وقد حكى صاحب كتاب أنفع الوسائل أن من تفادى اشتراط القرية إلى الله لتحقيق معنى الخير المقصود من الوقف ، صحة وقف المسلم على فقراء أهل الزمة ، ووقف الذي على فقراء المسلمين أو فقراء أهل الزمة من غير دينه ، لتحقيق الشرط في هذه الصور . فما هو جائز للمسلم شرعا أن يتصدق على فقراء أهل الزمة ، كما يجوز لأهل الزمة أن يتصدقوا على فقراء المسلمين ، لا اعتقاد أهل الزمة أن في التصديق قرية إلى الله .

وقصارى القول في وقف الذي أن ما كان وقفه أو الجهة الموقوفة عليه فيه قرية ، يصح وقفه ، والوقف عليه عندنا وعندهم . وما كان قرية عندنا فقط أو عندهم فقط ، لا يصح وقفه ولا الوقف عليه .

ويرتب على ذلك الضابط أن الذي لو جعل داره بيعة أو كنيسة ثم بعد ذلك وقفها أو وقف أرضه على البيع والكنائس أو على فقراء أهل الحرب أو على الصاوسة والرهبان الذين في كنيسة كذا أو على الفاعمين بشئون الكنيسة ، لم يقع هذا الوقف صحيحا ، لأن هذا التصرف وإن كان في اعتقاده قرية لكنه ليس قرية عندنا .

ونقل العلامة صاحب المجموع من أثبات فقهاء المالكية أن الإمام مالكاً رضى الله عنه يرى بطولات وقف الذي إذا وقف على البيع والكنايس وأهل الحرب والفساوسة والرهبان وموطئ الكنيسة ، ونقل عن الامام ابن رشد أنه لا يرى انعقاد وقف الذي في حالة ما إذا وقف على فقراء أهل الكنيسة . وتابعه في ذلك عياض من بعض الوجوه ، وإذاً يكون له حق التصرف فيما وقفه بالبيع والشراء وسائر التصرفات النافذة للملكية ، وإذا مات يورث عنه

أما إذا وقف الذي أرضه أو داره على فقراء أهل الكنيسة فإن الوقف في هذه الحالة يقع صحيحاً لأنه قصد الصدقة في وقفه ، ولم يدر بخلافه أنه قصد بهذا التصرف إعلاء شأن دينه والغرض من الأديان الأخرى ، على ما حققه صاحب الاسعاف .

وكذلك إذا وقف الذي داره على كنيسة ثم إذا خربت في مستقبل الزمن تكون للفقراء أو لجهة بر أخرى ، فإن الوقف في هذه الحالة يقع صحيحاً ، غير أن الرعي يصرف ابتداء إلى الفقراء أو إلى جهة البر التي عينها في كتاب وقفه .

ويستنبط من كلام أبي يوسف منقولاً عن البعير أنه لا فرق عنده بين أن يقول الذي في كتاب وقفه . أرضى هذه صدقة موقوفة على البيع أو الكنايس ثم يسكت ، وبين أن يقول . موقوفة على البيع أو الكنايس ثم بعدها للفقراء لوقوع الوقف صحيحاً في الصورتين ، ضرورة أن الرعي في الوقف هو الصدقة ، وخلو الصيغة من الفقراء لا يفوت هذا المقصد ، فهم المعنيون في نوايا الواقفين ، وهم المقصودون عند رواد الخير وطلاب الجراء .

أما الكشف عن بقية هذا البحث الطريف وآراء الفقهاء فيه على اختلاف مذاهبهم وما هو الحق من كل هذه الخلافات ، فوعدنا به العدد التالي ، إن شاء الله .

عباس ط
المحامى الشرعى

لماذا اعتنقت الاسلام ؟

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَّا يُصَمِّدُ فِي السَّمَاءِ)

هذا ملخص فصل مقتبس من كتاب عنوانه (في طريقى الى الاسلام) وصمه
حصرة النابه الدكتور حمد نصيم سوسه الذي كان إسرائيلياً عراقياً وأسلم عن
اقتناع وبحث قرأنا أن يختار من كتابه ما ذكره عن سبب إسلامه ، وهو دكتور
في العاصفة من جامعات الولايات المتحدة بأمريكا . قال :

يرجع ميلى الى الاسلام الى ما قبل ثلاث عشرة سنة حينما شرعت فى مطالعة
القرآن الكريم للمرة الأولى فى عهد دراستى فى الجامعة الأميركية البيروتية ،
فولمت به ولما شديداً ، وانصرفت الى تلاوته مستعينة بالكتب للزودة بمحاضى
التفسير لفهم معناه حتى أهملت البعض من دروسى المدرسية الأخرى ، وكنت أطرب
لتلاوة آيات القرآن ، وكثيراً ما كنت أنزوى فى مصيفى تحت ظل الأشجار وعلى سفح
جبال لبنان فأمكت هناك ساعات طو لا أترنم بقراءته بأعلى صوته . إلا أنى لم أفكر
فى أمر اعتناق الاسلام إلا بعد أن قضيت فى أميركا بضع سنوات ، ودرست فلسفات
الآديان ، ونوغلنت فى المواضيع التاريخية الاجتماعية حتى دركت كثيراً من الأمور
النامضة التى كان يصعب على حلها ، وفى الوقت نفسه إنى أعتقد بأن محيط أميركا
الذى تمجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان قد يستميل المرء الذى فطر على حب
الحرية والسفاجة الى الانقياد الى تعاليم الدين الاسلامى الشيع بروح الديمقراطية الحقة
والحرية والبساطة ، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأنى مسلم شموذاً وموطناً منذ نعومة
أظفارى ، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعنى لأن أنفض عنى غبار
الميراث من الدين والعنصر ، وأن أسبر أغوار الحقيقة لأهتدى بأنوارها الى المذهب
الصحيح الخنيف . إلا أنى يجب أن أعترف فى الوقت نفسه بأن الليل الفطرى لم يكن

مستندا على ما يقره الاستقراء العلمى والتحصيص الفكرى والتجارب الشخصية ، وما أعظم سرورى لأن حين جاء الاستدلال العلمى الصحيح مؤيدا للدين القطرى ، وانتميت الى الدين الاسلامى بدافع طبيعى غريزى ، وبدأت على تعبهى ، فأصبحت بذلك مسلما شعورا وموطنا ودينا .

ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلم تعلما راقيا أصبح ملحدًا ، طبيعة الحبل قد تمكنت فى إذهابنا شبابنا اللذنين بحيث أصبح الكبر يستغربون ويدهشون إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية أو أطرق الى البحث فى هذا الموضوع ، وأرى لزاما على أن تبحث فى مقدمى هذه ولو بصورة مقتضبة فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائى بعد أن أعلنت له رغبتى فى اعتناق الاسلام إذ قال فى كتابه : « لى لأشعر بخطورة رغبتك هذه لاسيما أنها جاءت فى القرن العشرين ، فى القرن الذى طغت فيه المادة وسادت فيه اللاموسات ، وهى بنت فكر شخص عاش فى بيئة أمريكية ، وأنه من حملة الدكتوراه » .

وكانى بصاحبى قد تخيل له أن من اكتسب علما حديثا وجب عليه طرح ناحية الدين جانبًا والانصراف الى ما فى الحياة الدنيا من أعمال مشغلة ملموسة . وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعتنا : ما هو العلم ؟ : أو هل يقتصر على تدريسنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب ؟ : أم لا أنكر أن العلم قد يستفيد منه ونستعين به فى مشاريعنا الفنية ، ولكن أهى هذه الناية من العلم ؟ : أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية ؟ : إذن فالعلم غاية سامية يرى اليها صاحبه هى غير الأعمال الميكانيكية المادية ، وما هى هذه الغاية ؟ : إن الغاية المهمة من العلم لرائق هى بنظرى تنبيه حس الطموح فى صاحبه الى استكشاف الحقائق والتدقيق والتحصيص ، سواء فى مجالات التفكير الروحى العنوى أو فى منطقة الأعمال الملموسة لا يدرك هذه الحقائق وإذاعتها ، فيستفيد منها المجتمع فى سبيل التعاون والتضامن النهوض بالانسانية الى أسنى درجات الكمال . (دكتور فى الفلسفة)

لحضرات المشتركين

رغبة مساعي تنظيم علاقات وكلاء مجلة الأزهر بقلم حساباتها ، رأينا أن نجعل بدل الايصالات المؤقتة التي يسعونها المشتركين إيصالات نهائية مذبذبة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التي يرونها في نهاية هذا الاعلان . وكل يصال ليس عليه هذا الخاتم لا تصد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فارجو حضرات المشتركين ملاحظة ذلك بكل دقة ، ولهم ما الفكر الجزيل ؟

مدير مجلة الأزهر

سفيان

كتب جديدة

فاروق الاول

أصدرت مجلة الهلال القبعة ملحقها لهذه المنة حملت عنوانه اسم حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ، وموضوعه سيره جلالته مذبذبة بقلم حضرة الاسناد الالمى الاديب طاهر افندي الطناحى سكرتير تحريره ، وقد تناور سيرة حالته المظرة من يوم ميلاده السعيد الى يومنا هذا ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة من هذا الموضوع الشائق الممتع إلا ذكرها بحالة بالصورة الأنيقة المعجبة .

لأنك في أن هذه السيرة الجليلة ستحدث أبلغ الآثار في الغيبة المصرية من حبة القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى ، فإذا كما تكده عقولنا وأقلامنا لحنية هذا المثل الأعلى ، فإن جلالة الملك يمثل للامة بالقيام عليه ، والعمل أبلغ تأثيرا من القول ، فلحنائه الفصل الاول فيه ، لا زال يحسدو جلالته التوفيق ، وتكثؤ العناية الالهية ، حتى يبلغ أتمه قة الحمد ، وغاية السودد .

خلاصة الكلام في أركان الاسلام

هذا كتاب ألقه الاسناد الدابة على فكرى افندي ، الامين الاول بدار الكتب المصرية سابقا ، في أركان الاسلام وعباداته على المذهب الأربعة . وقد أحصى جميع مايجب على الانسان أن يعرفه منها في عبارة طلية خالية من التعقيد ، ككل ما وضعه من المؤلفات القيمة . وقد وقع في نحو ثلاثمائة صفحة ، مرتبة ترتيبا يكفل سهولة الرجوع الى كل مسألة منه عند الحاجة . فنهكر لحضرة المؤلف المجتهد هذه الخدمة ، ونرجو له التوفيق للعز يد منها .

وقد عنيت بطبعه مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعا متقنا على ورق جيد .
ضمائر المواريت في الدلالة على مواضع الحديث .

هذا كتاب صنعه العالم الجليل عبد الغنى النامسى المنوفى بدمشق سنة ١١٤٣ لتسهيل

الكشف عن الأحاديث في الكتب الستة : (البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) وموطأ مالك

قال رحمه الله « إن أردت الاستخراج منه متأمل في معنى الحديث الذي تريد في أي شيء هو ، ولا تعبر بخصوص ألفاظه ، ثم تأمل الصحابي الذي عنه رواية ذلك الحديث ، فقد يكون في السند عن عمر أو أنس مثلا ، والرواية عن صحابي آخر مذكور في ذلك الحديث ، تصحح الصحابي المروي عنه ، ثم اكشف عنه في محله تجد إن شاء الله »

هذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء ، أحدهم فضيلة الأستاذ الشيخ احمد شاكر نسخته من الحجر ، وقامت طبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، وهو أثر جليل من آثارها نرجو أن يجد مكانه من كل مكتبة بمعنى صاحبها بالبحث في لأحداث النبوية .

التشريع الاسلامي :

مصادره ، فواعده العامة ، مزاياه ، الفقه الاسلامي والقانون الروماني ، الخ . هذه موضوعات بحثت في هذا الكتاب بحثا مدققا مستقبضا ، ولا غرو فواضعه لاستاذ الجليل المدقق حسن احمد الخطيب مدرستها بدار العلوم ، وقد رتبته ترتيبا جيلا بحيث تتاح في المباحث لطلابها كأنها تنظية وهو يتطلبها . فثنى على همته ، ورجو لسكناه الذبوع الذي يستحقه .

تهذيب الكفاية في علم الفقه على مذهب الشافعي :

هذا كتاب وضعه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد كامل الحصري المدرس بمعهد دمياط ، وقد أهداه لحفزة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، وهو جدير بأن يهدي لثله .

أما موضوعه فهو تهذيب كتاب كفاية الأخبار ، لنتي الدين أبي بكر بن محمد الحصري ، وقد وكل اليه تدريسه ، فوجد أن تحصيله شاق على الطلاب لتشتت مسائله ، وصعوبة عباراته ، قال : « فرأيت أن أجمع كتابا موحدا يشتمل على ما في الكفاية بعبارة سهلة مع ذكر أحاديث الاحكام واستيفائها وتنظيم بعض المسائل وزيادة كثير من القوائد » الخ

وقد وفي الاستاذ بما وعد ، فجاء كتابه منهلا هذبا للراودين . ولو حدا حذوه كل مدرس في المعاهد فأعاد صياغة الكتب القديمة وتهذيبها على هذا النحو ، ثم لا إحداث انقلاب خطير في التعليم الديني ، بتقريبها من النظام الذي آله المعاصرون ، وأمكن الكفاية تناول العلم الأزهرى من مصادره الاولى دون تكلف لا شاق وقت طويل في تفهم أحاليها . وبذلك يتم لنا نقل كتب أئمتنا الاولين دون التعرض لدور اشغال قد يكون شاقا وطويلا على الكثيرين .

CHAPTER 9

May one polluted by sexual intercourse immerse his hand in the ghusl-vessel before washing it, when it hath no dirt upon it apart from the ritual pollution of sexual intercourse?

Ibn 'Umar and Al-Barâ' b 'Azib immersed their hand in the purification-water without *first* washing it, and then performed their wudu';

Ibn 'Umar and Ibn 'Abbas saw no harm in water used by one for his ghusl after sexual intercourse, splashing back into the vessel

1. We are informed by 'Abdullâh b Maslamah, who had it from Aflah, through Al-Qâsim, through 'A'ishah, who said :

"I used to perform my ghusl () together with the Prophet (Allah bless him and give him peace) from the same vessel, in which we took turns in immersing our hands "

2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammâd, through Hishâm, through his father, through 'A'ishah, who said :

"When the Prophet (Allah bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he used to wash his hand *first* (2) "

- ٩ -

بَابُ : سَهْلٌ بِدَحْلِ الْجَنَسِ
يَدُهُ فِي الْأَسَاءِ قِيلَ أَنْ يَغْسِلَهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى يَدِهِ قَدَرٌ غَيْرُ
الْجَنَابَةِ ؟

وَأَدْخَلَ ابْنُ عُمَرَ وَالْبَرَاءُ بْنُ
عَازِبٍ يَدَهُ فِي الطَّهْوَرِ وَلَمْ
يَغْسِلَهَا ثُمَّ تَوَضَّأَا .

وَلَمْ يَرَوْا مِنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ
بِأَسَاءٍ يَمَّا يَنْتَضِعُ مِنْ غَسَلِ
الْجَنَابَةِ :

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخْبَرَنَا
أَفْلَحُ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

« كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَمَّا وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ
تُخْلِفُ أَيْدِينَا فِيهِ . »

٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ
مُسْلِمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ غَسَلَ
يَدَهُ . »

(1) — required after sexual intercourse according to Muslim

(2) I.e. before immersing it into the vessel in case it is soiled.

poured it from his right hand on to his left, and then washed them both. He next washed his member, after which he struck the ground with his hand, rubbed it on the earth and then washed it. Rinsing his mouth, and cleansing his nostrils, he proceeded to wash his face. Then pouring water over his head, he shifted his position and washed his feet. He was finally brought a towel, but he did not dry himself with it."⁽¹⁾

CHAPTER 8

On rubbing the hand on the dust *during the ghusl* in order that it may be cleaner.

We are informed by Al-Humaidi, who had it from Sufyân, who received it from Al-A'mash, through Sâhm b. Abu-l-Ja'd, through Kurath, through Ibn 'Abbâs, through Maimûnah that

When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) performed the ghusl required after sexual intercourse, he washed his member with his hand, which he then rubbed against the wall and washed. After that he performed his wudû' as for prayer, and when he had completed his ghusl he washed his feet

قَالَ يَسِدُهُ الْأَرْضَ فَسَحَّهَا
بِالثَّرَابِ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَسَّحَ بِهَا
وَأَسْتَشَقَّ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ
وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى
فَمَسَلَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بِمَسْدِيلٍ
فَلَمْ يَغْفُضْ بِهِ.

- ٨ -

بَابُ مَسْحِ الْيَدِ بِالثَّرَابِ
لِتَكُونَ أُنْقَى :

حَدَّثَنَا الْحَيْثِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ قَالَ
حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ
كَرِيبَ بْنِ أَبِي عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ :
« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَسَةِ فَغَسَلَ
فَرْجَهُ يَدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ يَدَهُ الْخَائِطَ،
ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ
لِلصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ غُسلِهِ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ » .

(1) Either because the towel was not clean, or because wudû' water has an element of sacredness. Other hadiths show that the Prophet was in the habit of using a towel.

"When the Prophet (Alláh bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he called for a vessel of water equivalent to a milking-pail. He then took a handful of water from it, and began with the right side of his head, proceeding likewise with the left. Next he took a third scoop of water with both hands and poured (1) it over his head."

CHAPTER 7

On rinsing the mouth and cleansing the nostrils in performing the ghusl required after sexual intercourse. (2)

We are informed by 'Umar b. Hafṣ b. Ghayāth, who had it from his father, who received it from Al-A'mash who was told it by Sālim, through Karaib, through Ibn 'Abbās, to whom it was related by Maimūnah, who said.

"I once poured out ghusl-water for the Prophet (Alláh bless him and give him peace). He first

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
اغتسل من الجنابة دعا شئاً
نحو الحلاب فأخذ يكفيه
فتبدأ يشق رأسه اليمين ثم
اليسار فقال يهما على رأسه .

- ٧ -

بَابُ الْمُضْمَضَةِ
وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي الْجَنَابَةِ :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال
حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني سالم
عن كريب عن ابن عباس قال حدثنا
ميمونه قالت :

وَصَبَّيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عُضْلاً فَأَفْرَغَ يَمِينَهُ عَلَى يَسَارِهِ
فَمَسَّحَ بِمَا تَمَّ غَسْلَ قَرَجِهِ ثُمَّ

(1) The word قال is often used figuratively to denote actions other than speaking, as قال وسم (he took), قال رجع (he walked). Houdas and Margès appear to have mistaken this idiom.

(2) A.-Bukhārī's purpose in giving this chapter is to draw the inference that the cleansing of the mouth and nostrils in performing the ghusl is optional and not obligatory.

We are informed by Māsa, who received it from ‘Abd al Wāhid, through Al-‘amash, through Sāim b. Abū Ja‘d, through Kurāib, through Ibn ‘Abbās, who stated that Mammūnah said :

“ I placed water before the Prophet (Allāh bless him and give him peace) for his ghusl. He washed his hands two or three (1) times, after which he poured water into the hollow of his left hand and washed his parts. Then after rubbing his hand on the ground, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face and hands. Next he let water flow over his body, and then shifting his place, washed his feet ”

CHAPTER 6.

On one who beginneth his ghusl by using water from a milk-pail (2) or by using perfume

We are informed by Muhammad b. Al-Muthannā, who had it from Abū ‘Asim, through Hanzalah, through Al Qāsim, through ‘A‘ishah, who said :

حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال : قالت ميمونة :

« وَتَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُمًا لِلتَّغَسُّلِ فغَسَلَ يَدَيْهِ ثَمَّ ثَلَاثًا أَوْ ثَلَاثَيْنِ ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ مَذَاكِرَهُ، ثُمَّ مَسَحَ بَدَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَدَاخَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ »

- ٦ -

بَابُ مَنْ بَدَأَ بِالْحِلْيَةِ أَوْ الْعُطْبِيِّ عِنْدَ الْغُسْلِ :

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو عاصم عن حطة عن القاسم عن عائشة قالت :

(1) The narrator is doubtful as to which

(2) The word حلب (milk-pail) has given rise to some controversy. The ḥalāḥ is literally a measure of capacity equal to eight ṭols, or one ṭikāḥ of a she-camel. Some commentators prefer to read حلب as a word of Persian origin meaning rose-water, which is more in conformity with other ḥadīths of ‘A‘ishah who show the Prophet using perfume before the ghusl. But since the text of the ṭahīrah makes no reference to perfume, other commentators prefer to take حلب to mean water-vessel and حلب as cleanliness or sweetness in general.

"The Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to pour three scoops of water over his head." (1)

3. We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Ma'mar b. Yahyā b. Sāmī, who received it from Abu Ja'far, who stated that Jabir said to him :

"Thy paternal cousin (2) — alluding to Al-Hasan b. Muhammad b. Al-Hanafiyyah — came to me and asked how the ghusl required after sexual intercourse should be performed. I replied : 'The Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to take three scoops of water in his hands and let them flow over his head, and then pour more water all over his body.'

'I am a man,' said A-Hasan to me, 'with abundant hair!' 'The Prophet (Allāh bless him and give him peace),' replied I, 'had more abundant hair than thou.'"

CHAPTER 5.

On performing the ghusl once only. (3)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يغريغ على رأسه ثلاثاً.

٣ - حدثنا أبو يعيم قال حدثنا معمر
ابن يحيى بن سالم حدثني أبو جعفر قال :
قال لي جابر :

«وَأَتَانِي ابْنُ عَمَّتَيْكَ - يُعْرِضُ
بِالْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَنَفِيِّ - قَالَ :
كَيْفَ الْغُسْلُ مِنَ الْجَسَابَةِ ؟
فَقُلْتُ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَأْخُذُ ثَلَاثَةَ أَكْمِمْ وَيُفِيضُهَا
عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ يَفِيضُ عَلَى سَائِرِ
جَسَدِهِ»

«فَقَالَ لِي الْحَسَنُ : إِنِّي رَجُلٌ
كَثِيرُ الشَّعْرِ، فَقُلْتُ : كَذَنَ السُّيُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْكَ
شَعْرًا».

- 5 -

بَابُ الْغُسْلِ مَرَّةً وَاحِدَةً :

(1) For purification after sexual intercourse — according to Al-Jamā'ah's barrā' on

(2) Cousin here is not meant literally, Al-Hasan being in fact the cousin of Abu Ja'far's uncle

(3) The key of this title is to be found in the last sentence of the hadith — «فَسَلِّ عَلَى رَأْسِهِ» (he let water flow over his body).

The number of times not being specified, it is taken to imply once only (Ibn Hajar)

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) and Maimūnah used to perform their ghusl from the same vessel

(Yazid b. Hārūn, Bahz and Al-Juddī—the three relating through Shu'bah—add مَرَّاحَ measuring the equivalent of a sâ'.)

Al-Bukhārī states that Ibn 'Uyaynah used to relate his hadīth at the end of his life "through Ibn 'Ablās and through him from Maimūnah." The more authentic of the two narrations, however, is that related to us by Abu Nu'aim.

CHAPTER 4.

On one who let water flow over his head three.

1. "We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Zuhair, through Abu Ishāq, who received it from Sulaimān b. Surad, who was told it by Jubair b. Mu'fim, who stated that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said:

"For my own part, I let the water flow over my head three times." So saying he went through the action with both his hands.

2. We are informed by Muhammad b. Bashshār who had it from Ghundar, who received it from Shu'bah, through Mikhwal b. Rāshid, through Muhammad b. 'Alī, through Jābir b. 'Abdullāh, who said:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَيْمُونَةُ كُنَا نَتَغْتَسِلَانِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ»
(وقال يزيد بن هارون ويزيد والجلدي عن شعبة، قد ذكره مصاعف)

قال أبو عبد الله: كان ابن عيينة يقول أخيراً عن ابن عباس عن ميمونة، والصحيح ما روى أبو نعيم.

- ٤ -

بَابُ مَنْ أَقَاضَ عَلَى رَأْسِهِ
كَلَامًا:

١ - حدثنا أبو يعقوب قال حدثنا زهير عن أبي إسحاق قال حدثني سليمان بن صرد قال حدثني جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أَنَا أَمَّا فَأُقِضُ عَلَى رَأْسِي كَلَامًا، وَأُشَارُ بِيَدَيْهِ كَلْتَيْنِهِمَا».

٢ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غُثَيْدٌ قال حدثنا شعبة عن غُثَيْلٍ بن راشد عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال:

Between us and her there was a screen." (1)

Al-Bukhārī states that Yazīd b. Harūn, Bahz and Al-Juddī — the three relating this ḥadīth through Shu'bah — use the variant *فمر صاع* (instead of *من صاع*).

2. We are informed by 'Abdullāh b. Muhammad, who had it from Yahyā b. Adam, who received it from Zubair, through Abu Ishāq, who said.

"Abu Ja'far informed me that he was once at the house of Jābir b. 'Abdullāh, together with his father, there being certain other people present. On being questioned (2) about the ghusl, Jābir replied: 'A sā' is enough for thee'. 'No,' replied another man, 'it is not enough for me'. 'It was enough,' said Jābir, 'for one who had more abundant hair than thou and was nobler than thou'.

Jābir then led us in prayer clad in a single garment."

3. We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Ibn 'Uyaynah, through 'Amr, through Jābir b. Zaid, through Ibn 'Abbās that:

وَيَنْتَنَّا وَيَتَسَّهَا حِجَابًا.

قال أبو عبد الله قال يزيد بن هارون
ونهز واجدتي عن شعبة «قدر صاع»

٢ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا
يحيى بن آدم قال حدثنا زهير بن أبي
اسحاق قال:

«حدثنا أبو جعفر أنه كان عنده
جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنده
قوم فنالوه عن الغسل، فقال:
«يكفيك صاع»، فقال رجل:
«ما يكفيني». فقال جابر: «كان
يكفي من هو أقوى منك شعراً
ونحوه منك».

«ثم أمتنا في ثوب».

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا ابن
عينة عن حمرو عن جابر بن زيد عن
ابن عباس:

(1) Both witnesses were of a prohibited degree of affinity, Abu Salamah being 'A'ishah's sister's son and the other her foster-brother, and therefore there was no breach of decorum. The screen allowed only the upper part of her body to be seen, the sight of the lower part being forbidden even to relatives of prohibited degrees of affinity.

(2) — by Abu Ja'far.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم بن محمد الموصى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

ON GHUSL

(continued)

CHAPTER 3.

On performing the ghusl with a *sâ'* of water, or its equivalent.

1. We are informed by Abdullâh b. Muhammad, who had it from 'Abd-as-Samad, who was told it by Shu'bah, who received it from Abu Bakr b. Hafa, who heard Abu Salamah say :

" I and 'A'ishah's brother (1) once entered 'A'ishah's apartments, when he questioned her on the manner in which the Prophet (Allah bless him and give him peace) used to perform the ghusl. So she called for a vessel containing the equivalent of a *sâ'* of water, and performed the ghusl letting the water flow over her head

كتاب الغسل (تابع ما قبله)

- ٢ -

باب الغسل بالصاع ونحوه :

١ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الصمد قال حدثني شعبه قال حدثني أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول :

« دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألنا أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم، فدعت بإناء نحواً من صاع فغسلت رأسها وأفاضت على رأسها،

(1) Foster-brother, namely 'Abdullâh b. Yazîd Al-Basrî, according to Muslim.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

- ٨ -

المقومات الخلفية

خلق الله الكائنات الحيوانية وطبع كل جنس منها على ما به نصان حياته الشخصية والنوعية ، وما عليه تقوم سعادته النفسية والسادية ، فهو يجري من محاولاته على قانون لا يشعده ، وسنة لا يستطيع منها حولا ، إلا الانسان فانه لقيام أمره على التمثل والاسترشاد ، ولا ارتباط كماله بتعري الأصلح والأفضل من الأمور ، أطلقت له حرية النظر والاستدلال والاختيار . وما خلقه الله على هذا النحو إلا لأنه قد نبى وجوده على الارتقاء والسمو الى درجات لا يصل اليها الخيال ، في كل ضرب من ضروب الكمالات الصورية والمعنوية ، حتى إن أبعد التأملين خيالا عجزوا عن معرفة الحد الذي يقف عنده في تدرجه الى الكمال .

وكيف يصلون الى معرفة هذا الحد ، وقد منح قوى عقلية وروحانية لا يمكن تقديرها بحال من الأحوال . فهو كلما وصل الى غاية تراءت له غايات أبعد منها ، وتيقظت فيه عوامل جديدة للوصول اليها ، ما كان يتخيل وجودها في نفسه . حتى قيل إن كل ما يروى عن الخوارق التي تحدث على أيدي أفراد من المتأزين ، ستصبح أمورا عادية لأنهم الآن زمان المستقبل ، فيقرأ بعضهم ما يجول في ضمائر بعض ، ويعرف أحدهم ما يفعله صاحبه وهو على بعد آلاف من الأميال ، ويأمر القوى الطبيعية فتطيعه صاغرة ، ويرى بقلبه ما وراء الحوائل الكثيفة الخ ، ويكون وهو في هذه الحالة قد بلغ من سمو الروحاني الى درجة لا يفترق بها من سكان الملائكة الأعلى في شيء .

ونحن لا نتمرض لهذه التخييلات بتصديق ولا تكذيب ، ولكننا نلفت القارئ الى ما تشير اليه من توقع الدرجات العلى للانسان ، من جراء ما تبين للباحثين من سمو القوى التي منعها ، وكان من أثرها في آماذ قصيرة الوصول من الناحية للمادية الى الدرجة التي وصل اليها الآن ، ومن الناحية الروحية الى ما يروى عن الآحاد الذين عنوا بتربية أنفسهم على لأساليب الدينية الصحيحة .

هذا كله أثر الأخلاق والآداب التي يتبعها الانسان في تدير القوى المودعة صميم معناه . أقول في تدير القوى ، لأن الأخلاق والآداب المجردة من هذا التدبير لا تشر شيئاً أكثر من حسن السمات ، ولطف المباشرة ، وهذا ليس بكبير الخطر في حياة الأمم ، ولا هو مما يبنى عليها شيئاً في مواقفها حيال الطبيعة ، وحيال الجماعات التي تنازعها الوجود والغلب . فالانسان كما يطلب منه أن يكون على ضرب من الأخلاق إزاء معاشريه ومواطنيه ، كذلك يطلب منه أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوارح الطبيعية الماوردة له ، وحيثما الجماعات التي تراحمه في مضمار الحياة . وهو إن انتقاد لمجرد ميوله الفطرية في هذه الأمور ، فلا يتأدى الى أكثر مما نأدت اليه الطوائف الساذجة في أول وجودها على الأرض ، من تأليه القوى الطبيعية والاستخذاء لأفاعيلها ، وبذل الجهد كله في مكافحة الجماعات للمادية لها ، والميل المتواصل على إبادتها أو الفناء فيها .

هذا كل ما تعطيه البول الفطرية غير المقومة تقويماً عالياً ، وقد استمر الانسان على هذه الحال قروناً لا تحصى حتى ولد العلم ، فبين موقف الانسان من الطبيعة ومن الجماعات الانسانية ، كما عينه من المجتمع الذي يعيش فيه ، وأثره في كل موقف من هذه المواقف أخلاقاً وآداباً تناسب القوى العليا المودعة صميم معناه الانساني .

هذا ما يفهمه العلم من كلتي أخلاق وآداب ، أما ما يفهمه البعض منهما وهو ما يقتصر على المخالطة والمعاملة ، فهو ناحية صغيرة من نواحيها ، وليست بذات أثر كبير في وجودها وتربيتها . فلو قامت أمة من أخلاقها وآدابها على مثل ما عليه الكلمة الأظهر ،

ولم توسع من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل سيرتها مع الكون الذي تعيش فيه ، والجماعات التي تنازعها العيش ، هان أمرها على أصغر أمة تعنى بهذه الناحية الثانية من الأخلاق ، وليست من الناحية الأولى على شيء .

فكم قبيل على مثل ما عليه الوحوش الضارية من الخشونة والتجرد عن الأخلاق ، داموا قبيل آخر في أممي درجات الآداب ، فأذا قوم صنوف الويل ، ومزقهم شر ممزق ، وجعلهم أحاديث .

وكم أمة لا يراعى آحادها الأصول الأدبية المثلى ، ولكنهم على أصول قوية حيال الوجود والآن ، قد وصلوا إلى قمة المدنية المادية ، ومدوا سلطانهم على مساحات واسعة من الأرض ، ويحاورهم أم لا أم لها إلا تدارس الآداب ونطيةها وهي لا تفتى عن أنفسها قليلا .

من هذا التناقض نشأت شبهات قوية على الحكم الأدبية ، وعلى الأديان معا ، ونجست مذاهب سقيمة على معنى الحياة ، حتى لقد ذهب للتطرفون منهم إلى أن التقيد بالأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، يعطل من نهوض الأمم ويعرقل حركاتها إلى الغايات القاصية من المدنية المادية . فزعموا أن إطلاق العنان للشهوات يدفع بالنفوس لطلب المزيد من المتع الجسدية ، وهذا الإحلاق يحفز إلى التوسع في استغلال المادة ، وإلى التعكير في وجوه تسخير قوى الكون للإرادة البشرية ، وهذا لا يكون إلا بدراسة العلوم ونطيةها على العمل ، والتنقيب عن المسابير وحل معياناتها ، فجلة هذه الحركات النفسية والعملية يدفع بالمدنية إلى الارتقاء ، والتعيق في أرفع آفاق الإبداع .

هذه شبهات يظنها هؤلاء الإباحيون حججا لتبرير مذهبهم ، والحقيقة أن للمدنية ليست مدينة لواحد من هؤلاء الشهوانيين بشيء ، وما دعت قواعدها وأقلام صروحها من علم وحمل وفن ، غير أفراد من خيار هذا النوع كانوا على جانب كبير من الاستقامة والتزاهة ، واصلوا أبحاثهم غير مدخرين مالا ولا صحة ، وكثير منهم ذمبوا ضحايا

لإخلاصهم لتجارهم وأمثال هؤلاء، يوجدون في كل مجتمع تتوافر لهم فيه شروط الحياة وحرية العمل. وإذا كان لتمررت قرائحهم خطر يهددهما بالاجتياح، فهو من ناحية أمثال هذه المذاهب الإباحية. فقد تسلطت على مدينتي اليونان والرومان وغيرهم فأبادنها، وجعلتها أفاقيص.

وإذا كان لا يمكن تقديم مادي بدون حافظ شهواني، فكيف نشأت المدينة الإسلامية الباهرة في بيئة كلها أخلاق وآداب وسمو روحاني، حتى صارت أساسا للمدينة الأوروبية الحاضرة؟ وهذه المدينة الحاضرة هل يتوقع علماء الاجتماع تطرق الخراب إليها إلا من تفاقم شر الشهوات فيها، كما صرح به كبار قادتها ونقلناه عنهم في هذه المجلة؟
 فالأخلاق لأجل أن تكون كاملة، وحاصلة على جميع مقوماتها الضرورية، يجب أن تكون شاملة لكل ضروب المعاملات، والإنسان لم يُطلب منه أن يعامل معاشيه ومواطنيه تحسب، ولكن يُطلب منه أن يعامل من يتصدى لمعاملته من الناس كافة، بل ما يمرض له من الكائنات كافة، فهو قيل أن يُدعى لمعاملة مواطنيه دُعى لمعاملة نفسه وجسمه، وما يحيط به من الوجودات، ولما تملقت حاجاته بمخالطة الأمم، والنظر في الأجرام السماوية، والعناصر الأرضية، تبينت له الحاجة إلى نظام عام شامل من الأخلاق والآداب يستهدى به في كل هذه الضروب من للمعاملات التي ندعوها إليها حياته وارتقاؤه.

وقد كفل لإسلام إقامة صرح هذا النظام الخلق العام على أقوى أساس من العلم والعمل، حتى لا يتطرق الوهن إلى بنية جماعته من أية ناحية من النواحي، وحتى يصلح شطره المادي لحماية شطره الروحاني، فلا يكون عرضة في كل دور من أدوار الاجتماع لأفاعيل الانقلابات العسكرية، والتطورات النفسية. فقرر للإنسان حيال كل ما يمرض له أخلاقا وآدابا. فجامعه له منها مع نفسه، أن لا يهينها ولا يمرضها للأمراض النفسانية، وأن يعمل على السمو بها إلى أعلى درجات الصبر والتبذل، وما سنه له منها

مع عقله ، أن يفذه بالمعارف الحقة ، وأن يوسع من دائرة تجاربه الى أقصى حد يمكنه الوصول اليه ؛ ومما فرضه عليه منها مع جسده أن بكرمه بالنظافة ، وأن لا يرهقه في عمل ، سواء أكان دنيوياً أم دينياً ، وأن يلتزم له الصبغة من كل مظانها ؛ ومما أوجبه عليه مع الكون أن يتدبر آياته ، ويكشف عن مسائره ؛ ومع بنى ملته أن يعتبرهم إخواناً ، وأن ينصفهم من نفسه ، وأن يعمل لخيرهم جهده ؛ ومع بنى نوعه أن يحسن اليهم ويبرم ، وأن يعدل فيهم الخ الخ ، حتى لم يستثن من كل ما هداه اليه من أخلاق ، ما يجب عليه نحو الحيوانات السجم ، والجمادات الصم .

فهذه المجموعة من الأخلاق يقوم بعضها بعضاً ، وهي في ترابطها وتساؤها يتألف منها سياج أدنى يسمح للأمة التي تأخذ به أن تدخل في جميع ضروب التطورات الاجتماعية والأدبية آمنة من الانحلال والتلاشي . وقد دل تاريخ المسلمين على صدق هذا النظر ، فإن المسلمين في جميع أدوار قوتهم لم يمتروا ما عتري الأمم من التراخي في كيانهم ، وإنك لتراهم وهم في أشد حالات ضعفهم يستمعصون على جميع عوامل الانحلال . وهذا الأثر قد أدهش علماء الاجتماع ، فلا فتن المدنية ، ولا غلبة الاستعمار الأجنبي ، ولا انتشار الجهالة في بعض يثائهم ، بصالحه لأن تحل رابطتهم الاجتماعية ، أو تمدد على حالهم النفسية . بل تجد أضعف جماعة فيهم عظيمة الثقة بالمستقبل ، قوية الإيمان بصلاحيها لأن تسترد في يوم من الأيام مجدها الضائع على أكل وجه . فهذه القوى للعنوية الضخمة في أشد الحالات الموجبة لليأس ، هي أثر ذلك السياج الخلق المتين ، الذي برهن في كل عهد من عهود الانقلابات التاريخية ، على أنه من قوة الاحتمال بحيث تصطدم به أقوى عوامل التحليل فتترد عنه خاسرة .

لا جرم أن هذا أقوى بناء اجتماعي عرفه البشر منذ أن خلق الله العالم الى اليوم

محمد قمبر ومجدي

وإخلاصاً بإخلاص . ثم هو الذي امتلأ قلبه يقيناً بالآخرة ويوم الحزاء ، ييقن من ملاقاته ذلك اليوم العظيم ، يوم تجسد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، فهو على هذا اليقين دائم العناية بهتذيب نفسه وتنمية حسنة وتنحية سيئاته ، وهو لهذا اليقين دائماً في كمال روحى يتزايد ، وتهذيب نفسى وتطهير خلقى .

انظر هذا مع نظرك الى أولئك الذين طمس الله على قلوبهم فأعرضوا عن رحمة الله تهدى بهم بلا أجر ولا ثمن ، وأقبلوا على لهو الحديث يشترونه ويبدلون في طريق تحصيله ما يملكون !

هذا هو وجه ارتباط الآية الكريمة بسابقتها ، وهو رابط فى منتهى الإحكام ، ويشبهه قولهم : وبضدهما نتميز الأشياء ، أو قولهم : إن الضد أقرب خطورا بالبال عند كرضده . وعلى كل حال فإيراز طرق الهدى والضلال ، وتطهير النفوس وتزنيصها والإقبال على النافع ، أكبر نفع يهدى الى الإنسان بلا ثمن . وضده للمرض عن ذلك ، يشكف المشاق ليحصل ما فيه ضرره وهلاكه ، ثم يبذل فيه من الثمن ما هو بحاجة اليه . وما أجل التعبير عنهم بعبارة « من الناس » ، كأن فى ذلك عجايب أى عجب أن يكون مثل هؤلاء من الناس .

روى فى سبب نزول هذه الآية أن النضر بن الحارث اشترى قينة مغنية ، وكان يرصد من يريد الاسلام فيدعوه الى قينته نطعمه ونسقيه وثقنيه ، ويقول له : هذا خير مما يدعوك اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة والقيام وأن تقاىل بين يديه .

وروى أنه كان يخرج تاجرا الى فارس فيشترى أخبار الأحاجم وكتبها ، فيروها ويحدث بها قريشا ، ويقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأخبار عاد ونعمود وأنا أحدثكم بمحدث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة ، فيقبلون عليه ويستمعون للهوى . وروى غير ذلك ، ولا مانع من تعدد السبب .

والتعبير يشتري هو الحديث : إن حمل اللغو على كتب الأجرام وأخبارهم فالأمر ظاهر ، وإن حمل على مشتري الجارية المعنية فوجهه أنه لما كان اشتراؤه لها لا سبب له إلا الاستمتاع بصوتها وغنائها ، فكأن المشتري واقع على حديثها لا على ذاتها . وإذا فسرنا يشتري بيجتلب ويحصل وأمثال ذلك فالأمر ظاهر ، والتعبير عنه بالاشتراء لأنه لما اتجهت رغبته إليه وبذل في سبيل الحصول عليه ما يملك ، سمي ذلك اشتراء ، وإلا فالحديث نفسه لا يشتري ، وإنما الشراء يتعلق بالذوات والأعيان .

ويؤخذ من الآية الكريمة النعي على من يقبل على لغو الحديث ، سواء في ذلك القصص الخرافية التي لا يقصد منها سوى التسلية وقطع الوقت بلا فائدة ، أو الغناء المبهج لغوى الشهوات والمؤدي إلى الوقوع في الرعونات . ولما بخلوا الغناء في زماننا هذا من ذلك .

أما الغناء الذي يقصد منه فائدة مباحة كتغني الحداة لأبصارهم لتنشط في السير ، أو تغني أرباب المهن الشاقة لمعاونتنا على عملهم ، أو تغني النساء لترضية أطفالهن ، فأمثال هذه لا شك في حلها متى أمنت الفتنة من ورائها . ومثل ذلك التغني في الأعراس إشهاراً لها ، والتغني في الأعياد لإظهار السرور بها ، فقد روى أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجرة عائشة ، وعندهما جارتان تغنيان بالأشعار التي كانت قيلت يوم بعثت - وهو أحد أيام الأوس والخزرج في الجاهلية ، وأصله اسم لموضع قرب المدينة ، وسمي به اليوم الذي حصلت فيه اللقمة - فأنهر عائشة رضي الله عنها وقال : أمر مارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عليه الصلاة والسلام قد تنف بكسائه واضطجع وولى وجهه نحو الخائط ، فقال عليه السلام : دعهما فإنهما يوم عيد . قالت عائشة : فلما عقل غمزتهما فخرجتا . ومعلوم أن الفتنة في هذه الحال مأمونة ، ولذلك قال عليه السلام : دعهما ، مبيها الحكمة بأنه يوم عيد .

أما الغناء تلهيا وتشيها فلا شك أنه من لغو الحديث الذي وقع التشنيع في الآية

على من يشتره ، ذلك أنه مظنة أهيبج الشهوات ، وموقع في الرعونات ، وخارق للمروءات ، فكم يبدو على السامع الوقور من مظاهر الرعونة والخفة والطيش والخروج على حدود الوقار ما لو رآه ذلك السامع من غيره لا نكره أتم إنكار ، وقد سئل بعضهم عن الفناء فجاب هكذا : لو رأيت أن الله قد ماز الحق من الباطل ففي أي قسم يضع الفناء ؟

ويرى بعضهم أنه في ذاته لآحرمة فيه ، فإذا عرض له حرمة فلفظه ، كما يعرض له السكره لغيره ، بل كما يعرض له الذنب أو الإيابة ، ذلك أنه يقول في نفس الفناء : هل خرج عن أنه كلام حسنه حسن وفيبيعه قبيح ؟ كما قالوه في الشعر ، فلو أن للتكلم به قد مطط في الفاظه ومدى ووزنها ورفع صوته به تارة وخفضه أخرى ما خرج بذلك إلى الحرمة في شيء ، فلو أن الفائل له كان حسن الصوت شجيه ما عرض له بحسن صوته حكم جديد ، فلا يختلف الحكم بين حسن الصوت وقبيحه ، ولكن إذا عرض له أنه هيج شهوة أو دما إلى فسوق أو به نفسا للشهر ، فالحرمة تعرض له من جهة ما عرض عليه من حالات .

فإذا كان لتسليية نفس حتى تهض بمملها ، وكان مساعدا على تنمية قوى النفس وتربية نشاطها ، اعتراه حكم ذلك العمل .

فلو كان لمعونة في سفر حج أو سير لطاعة أو نحو ذلك كان مستنونا ، ومثله إذا كان الشخص من أرباب الأحوال التي تنشط فيها النفوس بالصناعة ، ويكمل لها الانجهايات الشريفة حتى تصفو نفسه ويزداد تأمله ، فلا مانع من القول بسنيته حينئذ ، وإن كان ينبغي الاحتراس من أهل الدعاوى الكاذبة ممن احترقوا بالتصوف واعتبروه صناعة يرتقون منها ، مستعملين التقوية والتدجيل على الناس ، وملاحين في استنزاف ما بأيديهم ولو فترأ ممدمين ليتتمتعوا بلبات الطموم ، فليحذر كل الحذر من هؤلاء وأمثالهم ، وليضرب على أيديهم لتغليص الناس من زهاتهم وخزعيلاتهم ، فإكانوا إلا دجالين

مخترقين ، يرا منهم الدين وأهل الدين ورب الدين . فالحال التي شرحناها إنما هي حال المرء في خويصة نفسه ، لا أن يتخذها صناعة يرتزق بها .
وقد يكون مباحا كما إذا تقي متغزلا في حلال : من زوجة أو أمة ، أو منشورة إلى صديق غائب ، مما لا يثير نزعة خبيثة .

وعلى كل حال فهو في ذاته من المباحات ، ويعرض له انتهى بحسب ما اشتمل عليه من العاسد والمحظورات ، فإذا ما تجرد عن ذلك كله فأهل أمره أنه لم يجر ولا يجدر بالمتوهم الذي ينبغي أن تكون الخشية أغلب أحواله والوقار سياج كماله أن يفارقه أو أن يولع به . فإذا كان في مركز يقتدى به فيه كان من المؤكد له الابتعاد عنه كل الابتعاد مما كان لونه ، وربما رآه امرؤ وهو يسمع الغناء المباح فيأخذ منه أنه يستمتع الغناء وكفى ، فيتمسح من عند نفسه حسبما تقتضى به شهوته ، فسد الذرائع يقتضى الامتناع مثله على الإطلاق

وقوله تعالى : « ليضل عن سبيل الله بنير علم » يلوح أن المشتغل باللهو على إطلاقه صاعد عن سبيل الله عما كانت حاله ، وباستغراقه في ذلك تراه يدعو إلى مشاركتة في حاله ، لما في النفوس من استلذاذ الملامى والتعلق بها ، فتتصرف نفسه عن العمل لآخرته كما يطلب منه ، ويدعو الناس إلى نهذاها ومارح الاشتغال بها ، فيكون مضلا عن سبيل الله وهو لا يحظر له ببال أنه مضل ، فيكون « بنير علم » أى بنير شعور ، أو يصرف الناس عن سبيل الله إلى غيره بدون أن يكون عنده علم بتقدير ما صرف عنه وما صرف إليه ، مع أن الكياسة أنه ليس للماقل أن يصرف من شيء إلا إذا علم أن في غيره خيرا منه ، فإذا نزلت الآية على سبب النزول كان معنى « بنير علم » أى بدون أن يكون عنده علم يحسن به الاختيار ، ولا يكون الاختيار في محله إلا إذا صادفه علم . ويجوز أن يكون « بنير علم » متعلما يضل ، أى أنه يضل بما يفعل عن سبيل الله وهو لا يعلم أنه يضل ، أو لا يعلم أن الذى يضل عنه هو سبيل الله .

وأياماً كان فلان المتبادر من الآية أن النسي والنشيع هو على من اشترى اللهو يقصد به الإضلال عن سبيل الله ، حتى يستحق هذا الوعيد والنشيع ، وإلا فجرد اللهو قد يكون في المباحات ولا يستحق عليه العذاب للمهين . أما إذا كان يقصد باللهو صد الناس عن سبيل الله ، أو صرف أفكارهم عن الاهتداء بهدى الله ، كما كان يفعل النضر ابن الحارث الذي تقدم الخبر في حقه ، فلا شك في استحقاقه العذاب للمهين ، ولا سيما إذا لوحظ اقترانها بقوله : « وتتخذها هزوا » فأى موجب لاستحقاق العذاب والهوان أكثر من الإضلال عن سبيل الله باللهو ، واتخاذها هزوا وسخرية ؟ وبذلك ترى أن الآية ليست صريحة في تحريم اللهو على إطلاقه .

ثم ضمير يتخذها عائد على سبيل الله لأن السبيل يذكر ويؤث . وجوز بعضهم أن يكون الضمير راجعاً للآيات المذكورة في أول الآية ، وهو بعيد . وقد نرى ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري .

هذا وإنما اختار وصف العذاب بالمهين ، لأنهم لما أمرضوا عن الآيات واستهزؤوا بها وأضلوا عن سبيل الله ، فقد أهتوا الحق بالاستهزاء به وتقديم اللهو عليه ، فقد حقت عليهم كلمة الهوان ليكون الجزء من جنس العمل . وقد سبق لنا القول مراراً بأن التعبير باسم الإشارة بعد ذكر المشار إليه بأوصاف ليسكون اسم الإشارة محضراً له بالصفات التي انصف بها كأنه مائل أمام السامع يشاهده بصفاته التي هي علة استحقاقه الحكم الذي بعد اسم الإشارة .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم » :

هذه حال لذلك للشئ في بيان إمرأته مما فيه خيره بعد ما يتشتت به عما فيه ضرره . وقوله : « تتلى عليه آياتنا » فيه نشيع عليه من عدة وجوه : فقد جعل الآيات تتلى عليه أى تقرأ متوالية ، وقصد إسماعه إياها أخذاً من قوله : عليه ، وعبر

عنها بالآيات لبيان أن كل جملة منها آية دالة على صدق الرسول وحقية النزل ،
ثم أضيفت الآيات لضمير الحق جل جلاله ، مع بيان العظمة ، كل هذا ليصور حاله
التميس أبلغ ظهور ، ثم ماذا كان منه : أعارضها ، أطنع فيها ، أعترض عليها ؟ كلا كلا
لم يكن شيء من ذلك ، وإنما ولي منزهة أمامها ، إذ لا سبيل له إلى مقارنتها ، ثم لبس
نوب الكبرياء وبالغ في التكبر ، ولا يبالغ المرء في التكبر إلا حيث يشعر بالصغار
في فرارة نفسه ، فإن علة التكبر بالحقيقة شهور النفس بالنقص والصغار ، فيتكف
الشخص مداراته ، فينفخ نفسه بنفخ الكبرياء ، ليوارى ذلك النقص الذي يحسه عن
الناس ، وإذا قال الشاعر :

لا تجمع النفس بين الكبير والكبير .

وقوله : « كأن لم يسمعها » أى أنه في إعرابه وسده على نفسه طريق الانتفاع
بها يشبه حال من لم يسمعها ، وإن كان هو قد سمعها وملأت قلبه ، حتى أخذ نفسه
بمقاومتها ، وتكلف إحضار القيان ومشتري الأخبار ليصرف الناس عنها ، علما منه
أنهم إذا سمعوا الطاعوا لها لا محالة .

وقوله : « كأن في أذنيه وقرا » أى صمما . وأصل الوقرا الحمل الثقيل ، استعمل
في الصمم ، ثم غلب فيه حتى صار كالحقيقة

وقوله : « فبشره بمذاب الأليم » : التبشير هنا مستعمل في ضده وهو الإنذار ،
وحسنه من جهة أنه حين التعبير بلفظ بشره نتجه النفس إلى ما به البشارة وتستشرف له
الأذن ، فحين يقرع صممه ذلك العذاب الأليم يحز في نفسه حز لا ماص له منه . وكأن
الإنسان بوصف أليم في هذا المقام لأنه لما تلذذ بما صرف الناس وتلوى بالأغاني والقصص
الخرافية ، كان مستحقا في مقابلة تلك اللذائذ الباطلة أن يستوفي جزاءه من الآلام
التي لا قبل له بها .

ومن للاحظات اللطيفة في الآية الكريمة أنه أفرد الضمير في قوله : « يشترى

لهو الحديث « مراعاة للفظ مَنْ ، وجمع سم الإشارة في قوله : « أولئك لهم عذاب مهين » نظرا للمعنى ، ثم عاد إلى مراعاة اللفظ في قوله : « وإذا تتلى عليه آياتنا » . والسبب أن مبتدع هذا المسلك قد يكون واحدا ثم يشاركه غيره فيستحقون الجزاء منه . ومن السر في ذلك أن الألف يحسه كل واحد واحد في نفسه ، وأما المجرى فتشعر به المجموعة في مجموعها .

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها وعبد الله حقا وهو العزيز الحكيم » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات الوعيد والترهيب بآيات الوعد والترغيب ، حتى يكون العبد بين رغبة والرغبة ، وحتى تستوفي الدهوة عواملها للثبوت ، فإن من الناس من يؤثر فيه الإرهاب ، ومنهم من تعمل فيه عوامل الكرامة . وقوله : « لهم جنات النعيم » يتخذ عن قوله : نعيم الجنات ، تأمرين : (الأول) أنهم مالكون للعتات ونيعمها ، وقد يكون المرء متمتعا بنعيم شيء هو مملوك لغيره ، فإذا ملكه أيضا كان أكل في النعيم . (والثاني) الدلالة على أن النعيم قد صرف وظهر حتى عرفت الجنات بإضافتها إليه . وقوله : « وعد الله حقا » بالنصب على أنه مفعول مطلق أي وعدم الله وعدا حقا لا تخلف فيه . وقوله : « وهو العزيز الحكيم » أي فلا معقب لحكمه ، ويضع الأمر في نصابه .

نسأله تعالى أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات حتى نكون لنا جنات النعيم !
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم
ابراهيم الجبالي

محمد صلى الله عليه وسلم في تقدير المتعفين من قادة الأفكار في أوروبا (١)

لجأ محمد إلى المدينة فاستقبل فيها بالترحاب ، وبدأ تلاميذه يحتفون به ، فاصبح رأسا للمملكة ،
ولسكن أعداءه الملكيين أجمعوا على تعقبه حيث ذهب ، وهم الذين كانوا يضطهدون ويضربون
أشياعه الأولين . فنقمصدوه في كنائس كثيرة العدد وهو في قلة من الجنود ، فكانت وقعة
يديره قلباً الرسول إلى مولاه وهو يقول : « رب إذا كنت قدرت أن تهلك هذه الطائفة
القليلة من الرجال فلا يبقى من يعبدك حق عبادتك »

كانت المعركة حامية الوطيس ، وهبت طائفة هوجاء من الرمال والخصباء كما بها جاءت
تقاتل مع المسلمين ، فأتمام الله النصر بفضل القرى التي أمدتهم الله بها ، فكان هذا النصر دليلاً
لأصحابه بأن محمداً رسول الله حقاً . كانت هذه أول مرة سمع فيها محمد بإراقة الدماء دفعا
لعارة شنت عليه . وكان أعداؤه يدعونه بالتأنيث لشدة رحمته وغلط شفقتة . ولكنه كان
من هذه الحادثة يقوم بحملة رئيس للمملكة ، وقائد لجيش ، يدرك ما عليه من التبعات لأصحابه
المؤمنين به ، ولم يكن فردا غير مسئول ، يحسن به أن يصطحب عن الأذى الذي يوجه إليه
فقد حال الوقت الذي أصبح فيه باعتبار أنه حاكم لأمة مصطرا لأن يعاقب على الجرائم التي طأها
صطح عنها وهو رجل بسيط ، ذلك لأنه لم يكن كالتحليوه رجلا صاعقا مسخرا لعاطفة نفسية .
بعد انتهاء معركة بدر لم ينفذ حكم القتل إلا في رجلين ، أما من بقي من الأسرى فقد
حرموا بأسر النبي بكل إحسان ، على الرغم من مادة الحرب إذ ذاك ، فكان المسلمون يؤثرونهم
بالحب ويحتفون بهم أنفسهم بالحر .

ثم عقب هذه الحرب سنوات من المكاشفات والاضطرابات ، وصعوبات أخرى حدثت
فيها منازعات بين أصحاب النبي ، وزاد فيها عدد الأعداء المحيطين به . هذا مجال لذكر مظهر
جميل أحب أن أقف أمامه هنيئا ، فقد كانت حدثت موقعة انتهت بانتصار النبي ووزعت منافعها
ولم يصب الدين طال عهد صحبتهم للنبي شيء منها ، فاستاءوا من حرمانهم ، فطالبهم النبي قائلا :
« أحببت يا معشر الأنصار بما دار بينكم من حديث . إني عند ما تحت إلسم وجدتمكم
هائمين في ظلمات الجاهلية ، فهداكم الله إلى سواء السبيل . وكنتم في شقاء فأسعدكم في ، وكانت
الأحقاد تتأصع نيرانها في قلوبكم فلاها حبا أحويا ووفق بينكم . اليس هذا حقا ؟ أجيبيوني . »

(١) هذا المقال تابع لما قبله مما كتبه رجلة الصوبة السالية السبلة (١٥ يراة) راح المدي

فقالوا : نعم كل ما قلته حق لا مرة فيه ، ونحن نعتز بفضل الله علينا ورسوله فقال لهم النبي : « لا والله ، قد كان في وسمكم أن تحيوني بغير هذا ، وكان جوابكم بجيء صحيحاً لأنني أشهد أنا نفسي بصحته »

« كان في وسمكم أن تحيوني بقولكم لقد جئت الينا طريقا كما يفعل بالكعبة والمحرابين ما منابك ، وأقبلت الينا إقبال المنتجي الذي لا مناعة له ، فمزاك ولصرك ، وأيتنا فقيرا مضطهدا ما وبناك ، ووافيتنا كاسف البال لا صاحب لك فواسيناك . لا أدرى لماذا تتكدر قلوبكم من قوت حطام هذه الدنيا ؟ ألم يرصمكم أن يمال غيركم الشيا والابل ، ويكون حظكم أن تعودوا بي الى بيوتكم ؟ فوالذي نفسي بيده إني لا أترككم . وإذا سارت الانسانية كلها في طريق ، وسارت الانصار في طريق آخر لا تبعثهم ، رضى الله عنهم وبارك فيهم ، هم وأبنائهم وأبناء أبنائهم »

قال ناقل هذا التاريخ : فكي هؤلاء المخاريون النواصل ، وسالت مدامهم حتى نلت لحام وصاحوا قائلين :

« نعم يا نبي الله إتنا راضون بصيينا » (١) .

فيا إخواني المسود الذين لا يعرفون شيئا عن النبي العربي العظيم ، ألا تشعرون ببيان الساحر ، وبالقدرة العظيمة التي كانت له في قيادة الرجال وسوقهم لتحمل الآلام ومواجهة الموت الزؤام حبا فيه ، وفي استحقاقه هذا الحب في قلوبهم في خلال القرون ؟ ومع كل هذا فقد كان محمد يتعمد في تنبيههم الى أنه بشر مثلهم ، وأنه واحد منهم ، حتى أن الحب العظيم الذي تثاروا نحوه به لم يطور الى تأليه .

استمرت الحال على ما رأيت مدة عشر سنين ، وبعدها حانت نهاية هذا الدور . فلما تمت الصلاة وكانت تؤدي من قيام في المسجد ، كان النبي ضميما الى حد أنه لم يستطع أن يقف على قدميه ، فأقبل على والفضل فسداه من جانبه ، ورفع صوته الضعيف وقال : « أيها المسلمون إن كنت قد أسأت الى أحد منكم فهاأنذ . مستعد لاصلاح إساءتي إياه ، وإن كنت مدينا لواحد منكم بشيء مما حقر قدره فكل ما أملكه فهو لكم » .

فقال أحد الحاضرين . إنه داث له في ثلاثة دراهم ، فدفعت له . وهذا آخر دين يؤديه محمد في هذه الأرض ، وهذا أيضا كان آخر حضور له الى المسجد ، فقد طلب ليعود الى مقره ، لأن مهمته كانت قد تمت فأخذ يدعوا الله وهو يمدد على فراشه ، وأخذ صوته يضعف يسيرا

(١) اتنا ترجنا عبادة للؤلة كما روتها

يسيرا حتى لم يبق منه إلا خمس حافت . وفي السادس من شهر يونيو سنة ٦٣٢ ترك النبي جسده الأرضي وذهب يراقب من عالم أعلى من هذا العالم الديانة التي أسسها وقام على الدافع عنها . فما أكرم هذه الحياة وأنبها ! حياة محبة هي حياة رسول لله حقا . وكانت في الوقت نفسه حياة بسيطة زاهدة مخبئة . كان هذا الرجل يرقع بيده ثيابه البالية ، ويضع المسامير في يديه نفسه ، بينما كان ألوف من الرجال يحنون رؤوسهم أمامه باعتباره أنه نبي ، وكان هو يعامل باللطف والاحسان كل الذين يحتمون به . ولقد صرح خادمه أنس بأنه التحق بخدمة عشر سنين فما قال له « أف » قط .

هنالك تهتمان حظيرتان توجهان إلى النبي : أولاهما أنه زوج وهو في سن متقدمة بنسبة نسوة . هذا صحيح ، ولكن أيسوغ لك أن تدعى ، مستندا إلى هذا وحده ، بأن الرجل الذي تزوج وهو في عتفوان القلبية ، ولم يكن به من العمر أكثر من أربع وعشرين سنة ، بإمرأة تكبره في السن إلى مدى بعيد ، وفيها لها مدة ست وعشرين سنة ، يقلب وهو في الخمسين ، حيث يتخذ سورة الشهوات ، شهوانيا ، فيتزوج منقادا لموامل الرغبات البهيمية والفرجات الجسدانية ؟ كلا لا يجوز أن يحكم بهذا الأسلوب على حياة الرجال ، لأنك إن تعرفت حال النساء المختلفات اللاتي تزوج هن ، وجدت أنه قصد بواسطة الارتباط بكل واحدة منهن أن يوحّد رابطة بينه وبين قومها ، وأن يحصل خيرا لا تبعاه من ورائها ، أو أن تكون تلك المرأة في حاجة ماسة إلى الحماية .

ثانية التهمتين : قولهم . إن محمدا كان يدعو إلى الجهاد ، وإبادة الكافرين ، وإراقة دماهم ، على طريقة وحشية . ويغيب عن هؤلاء الناقدين ، أن الأصوليين من المسلمين قرروا أنه إذا وجد أمران في موضوع واحد ، أحدهما مطلق مثل « اقتلوا الكافرين » ، والآخر مقيد مثل « اقتلوا الكافر إذا هاجمكم » ، ولم يرد أن يترككم أحرارا لأداء شعائركم الدينية » ، فإن هذا التقييد يسرى على الأمر المطلق . وهذه القاعدة قد جرى عليها العمل في فهم القرآن ، وأيدتها السنة العملية بسبي نفسه . وإني لا أقول ذلك من تلقاء نفسي حتى لا نطعنوا في أحكامكم على طريقة المحمدين . ولذلك فإني صادرة عليكم نصوص المذهب التي نشره محمد في حياته . فقد رأيناها يصرح في حق الكافرين بما يأتي :

« قل للذين كفروا إن يفتنوا يفتنهم ما قد سلف وإن يهودوا فقد مصت سنة الأولى وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير » (السورة النامنة الآية ٣٩ و ٤٠ و ٤١) وفي موضع آخر من القرآن : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتهم فعاقبوا

بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صرحتم لهو خسير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا ولذين هم محسنون» (السورة السادسة عشرة الآيات من ١٢٥ الى ١٢٨) وفي موضع آخر أيضا ، « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (السورة الثانية الآية ٢٥٦) . « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق » (السورة الثانية الآية ١٣٧) .

وقد جاء في الكتاب تعريف جليل القدر لمن يمتبركافرا : جاء فيه « والكامرون هم الظالمون » (السورة الثانية الآية ٢٥٤) .

هؤلاء هم أهل سوء ، ولا يراد بهم البعيدون عن الديانة الاسلامية ، لأننا سرى أن الاسلام في حرف النبي لا ينحصر في أتباعه وحدهم ، فقد جاء في الكتاب : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

فهل من العدل أن تناسي كل هذه القواعد التي بيئت في معمعان الحروب والمكائيات والاضطهادات ، وأن تقتصر على التنويه بالمبارات التي قبلت لثقت روح الشجاعة والاقدام في طائفة قليلة العدد ، وهي عبارات يقوه بمثلها كل قائد وهو يسير الى المعركة قدما ؟ هذا هو تعليل ما جاء به النبي من الأوامر المطلقة .

فلسنظر الآن كيف جاءت سيرته الشخصية مطابقة لتعاليمه القولية . إنه لم يسئ الى أحد قط إلا قابله بالعفو والمغفرة ، ولم توجه اليه إهانة إلا لاأاها بالصنح الجين .

فيأياها الاخوان (تخاطب من يدعون الى محاضرتها) أحذركم أن تنظروا الى رجل من هذا الطراز من خلال حجاب من الآراء الموروثة . لا تخافو ديانة قط من أخطاء ، ولا تنزهه سيرة ما لاى رجل من المحرافات (١) . فان المشايخين الجبال كثيرا ما يخطئون في فهم أمور يكون رسولهم قد فاه بالحقيقة فيها . فاحكموا على الاديان بالنظر الى سيرة أرقى ممثليها ، لا الى المحرافات أخط الأخذين بها . إن حريتنا على هذا عرفنا كيف يجب بمعضنا بعضا كاخوان ، وكيف لا يفيض بمعضنا بعضا على طريقة الغلاة المنمصبين . (يتبع)

محمد فريد رجبى

(١) مجلة الأثر : هذه العبارة ترجمتها حرفيا من بحث الدكتور محمد فريد رجبى وهو تعادل شمة الملائمة .

هل يقع الطلاق في الحيض

استفتاء موجه لخبرة صاحب الفضيلة الشيخ المجوى وجوابه عليه

زعم بعض أن الطلاق لا يقع في الحيض ، فرد عليه بحديث عبد الله بن عمر المروى في موطأ الإمام مالك ، فأجاب بأن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به لظن في بعض رجاله ، والإمام مالك لسلامة صحيره لم يعطن لذلك .

فارجو من فضيلة مولاي القول الفصل في هذا الموضوع ؟

عبد الحكيم عبد الرحيم

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

أما بعد : فهذا الرجل من أجهل الجاهلين بالإمام مالك ، وهما قاله أخطأ فاحشه كما سينصح لك ، فإن الحديث لم يروه مالك فقط ، بل رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم ، فهو حديث متفق عليه .

ومن الصعب العاجب قوله : « إن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به لظن في بعض رجاله » فكأنه أعرف بالرجال من مالك ومن البخاري ومسلم وغيرهم . ولت شعري من ذلك الملعون فيه الذي لم يعرفه مالك ، مع أنه لم يذكر في هذا الحديث بمالك ، لا نافع وعبد الله ابن عمر وعمر بن الخطاب ؟

أما عمر فهو الذي وافق ربه في مسائل كثيرة معروفة ، وقد كان من المحدثين (١) وإذا سلك لنا سلك الشيطان لنا آخر ، كما في الأحاديث الصحيحة ، فاندفع الأسباب والاعتنا .

وأما عبد الله بن عمر فهو صحابي جليل من أكابر الصحابة وعلمائهم وأهل الفتوى فيهم ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بالصلاح ، كما في الحديث الصحيح .

وأما نافع فهو من أجل التابعين ، حتى قال البخاري : « إن أصح الأسانيد مالك من نافع من ابن عمر » . وصرح كثير من المحدثين أن هذه السلسلة هي سلسلة الذهب .

وأما مالك فهو مالك وكفى .

ولتذكر لك ما قيل في أصح الأسانيد :

(١) أي للتابعين .

قال أبو داود : « أصبح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك عن نافع عن ابن عمر ، ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه ، ثم مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . مات تراه قد ذكر مالك في كل ما قال إنه أصبح الأسانيد ، وبدأ بروايته عن نافع ، فإذا تقول لذلك الجاهل بعد هذا ؟ »

ولنذكر لك رواية الموطأ تكون على بصيرة منها ، فانها لم تذكر بنصها في السؤال : « حدثني يحيى عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مره فليراجعها فليمسكها حتى تطهر ثم يحبس ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسكها بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء . »

ولا نطيل بذكر الروايات الأخرى التي جاءت في البخاري وغيره . وقد رأينا أن نذكر لك شيئاً عن مالك وما قاله أئمة هذا الشأن فيه لتعرف إلى أي حد وصل جهل هذا القائل . ولكن لا عجب ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها . وقد قال في آخر هذا الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره : « فليرتقبوا عند ذلك رجلاً حريراً وخسفاً ومسخاً وقلناً . وماذا تنتظر من ذوى الجهل المركب الذين حرموا العلم الذي يقمهم على الحقائق وينأى بهم عن الترهات ، والعقل الذي يرشدهم إلى أن ذلك يضرهم ولا ينفعهم .

وسر تلك المحازفات أنهم نوهوا أنهم يذكرون بذلك بين الناس ، وقد غفلوا عن أنهم إذا ذكروا فانما يذكرون على نحو ما ذكر الأعراب في قوله تعالى : « الأعراب أشد كفراً وقفافاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم . » وما أجدرنا أن نمثل بقول القائل :

إن المصافير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهيها

وقد جاء في بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى يتكلم الروبيضة (وروبيضة الرجل الثنافة الحقيق) .

ألا إنها الأيام قد صرنا كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقد قال قديماً « لو سكنت من لا يعرف لارتفع الترام » .

وهالك نموذجاً من احتياط الإمام مالك وتحريره :

قال ابن القاسم وهو من أجل أصحابه : كان مالك يقول : « ربما وردت على المسألة فأسهر فيها

حامة ليلتي . » وقال ابن عبد الحكم كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل : انصرف حتى أنظر ، فيصرف ، ويتردد فيها ، فقلنا له في ذلك ، فسكى وقال : إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم ومضى يوم . » وقال ابن وهب . قال مالك . سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط ولا أحدثت بها . وقال الشافعي كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله .

أما شهادة العلماء له فشيء كثير لا يسعه هذا المقام ، وهالك قليلا منها ، ولنبدأ بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له على ما رآه أجلة العلماء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تصرب الناس أكباد الأبل في طلب العلم وفي رواية . يلتبسون العلم ، فلا يجدون طالب أعلم ، وفي رواية . أنه من عالم المدينة . » وفي بمصنا : أباط الأبل مكان أكباد الأبل . وقد رواه البخاري عن ابن جريج موقوفا على أبي هريرة رضي الله عنهم ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن جريج أيضا مسندا ، وهو ثقة مأمون . وخرجه أيضا النسائي في مصنفه مرهوما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بضربون أكباد الأبل ويطلبون لعل ولا يجدون عالما أهم من عالم المدينة . ورواه أيضا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سفيان : نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس . وفي رواية عنه كنت أقول هو ابن المسيب حتى قلت كان في زمان ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول إنه مالك . وقال ابن جريج وعبد الرزاق . ترى أن المراد به مالك ، إنه لم يوجد لغيره من علماء المدينة من تقدمه أو جاء بعده من روة ولا تخذين عنه مثل مالك ، وقد أبلغ بعضهم روة عنه أثنى راو . وليلعلم أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الأبل من مشرق الأرض ومغربها إلى عالم ولا رحلوا إليه من الأفاق رحلتهم إلى مالك .

فالناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يمدحوا آثار إحصان

وقال سفيان بن عيينة لما بلغته وفاته : ما ترك على الأرض مثله . وكان يقول : مالك سراج الأمة ، ومالك حجة الله ، وإنما كنا نتبع آثار مالك . وقال الشافعي : مالك أستاذي وعنه أخذت العلم . وكان يقول : جعلت مالكا حجة بيني وبين الله ، وإذا ذكر العلماء شالكا النجم الثاقب . وقال بقية بن الوليد . ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضية ولا باقية من مالك . وقدمه أحمد بن حنبل على الأوزاعي والثوري والبيه وحاد والحكم في العلم ، وقال : هو إمام في الحديث والعقبة .

وقال ابن مهدي وهو من كبار حفاظ الذين كان يعظمهم الشافعي كل النمطين : ما بقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك .

وقال القسبي : ما أحسب مالكا بلغ ما بلغ ، لا بدرة بينه وبين الله تعالى . وقال أبو زهرة وهو من كبار رجال الحديث : لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي في الموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث . وقال بمضمون من أبيات كثيرة :

تفرق شمل العلم في كل تابع فكل امرئ منهم له فيه مذهب
نقله بالصيغ للناس مالك ومنه صحيح في المجلس واجرب
قادر موطأ مالك واستحل ما به فما بعده إن فات للحق مطلب
ودع الموطأ كل علم تزيد فان الموطأ الشمس والشمس كوكب
حزى الله هنا في موطأ مالكا بأفضل ما يجزي البهي المذهب
نقد فاق أهل العلم حيا وميتا فصارت له الأمثال في الناس تعجب
ولا بأس أن تذكر لك شيئا مما امتاز به مذهب مالك ولا سكاذ تراه في غيره .

ذلك أن الامام مالكا يتوسط في الأمور ، كسألة المس - توسط فيها بين الشافعي والحنفي ، وكذلك مسألة السجود القبلي والسني ، وكذلك قراءة المأموم في المصيبة دون الجهرية ، وكذلك عدد الجمعة ، مع ماله من الانظار البعيدة ، كالمصالح المرسلة التي يطول الكلام فيها .

ولنختم هذا المقال بشيء وجيز من كلامه رضي الله عنه :

كان يقول : « لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لما أهلا » وكان يقول : « ما جالست سميا قط » وكان يقول : « لم أجد في الناس أقل من الانصاف فأردت المداومة عليه » . وكان يقول « كتبت يدي مائة ألف حديث » . وكان يقول : « لقد ذهب حفظ الناس ، ما استودعت قلبي شيئا قط فلتسينه » . وكان يقول : « إن هذا العلم دين فانظروا من تأخذونه ، لقد دوت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين (وأشار الى المسجد) ما أخذت منهم شيئا ، وإن أحدهم لو أوعن على بيت مال كان أميا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » . وكان يقول : « لا يكون إماما من حدث بكل ما سمع » . وكان يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء : « أما أنا فعلى بينة من ربى ، وأما أنت فهاك فاذهب الى شاك منك نخاصمه » . ثم يقرأ « هذه سبيل أدهو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »

أما توقيده لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سارت به الركبان ، قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذغته عقرب مت عشرة مرة ، ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس ، قلت : يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا ، فقال : نعم إنما صبرت لإجلال الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومما يلتحق بذلك انه دخل يوما على الرشيد لخصه على مصالح المؤمنين وقال له : لقد بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان في فضله وقدمه ينفع لهم عام لرمادة بالنار تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحبته رضى الله عنه ، وقد رضى الناس منك بدون هذا .

هذا قليل من كثير ، قال الله المشتكى من زمان احتلط فيه الحبل بالتأبيل ، ولم فيه الجهل ، وبحس فيه الفضل ، واضطر كثير من العلماء الى السكوت وملازمة البيوت بأسا من الاصلاح ، طلين أناس في آخر الوقت الذي يصير فيه المنكر معروفا والمعروف منكرا كما في الحديث . ولا بأس أن نشهد في هذا المقام قول الشافعي ، وزماننا أصعب من زمانه ، وأقل أحوالنا ، والمصلحون فيه أخرج مكانا ، ومع ذلك يقول :

بليت يا قوم والبلوى متنوعة بمن أداريه حتى كاد يردني
دفع المضرة لا جلب للمصلحة لحبي الله في عقل وف ديني
أسأل الله أن يصلح حال الأمة المحمدية ، وأن يدلي كلمة الحق ويكثر نصاره ، ويعرف
قدر أسلافنا الماضين بحقه وكرمه ؟

يوسف الدجوي
من جماعة كبار العلماء

بلاغه الخلفاء في العفو

روى أنه لما حج المنصور مر بالمدينة فقال لحاجبه الربيع : على مجعفر بن محمد ، فأحضره ، فلما مثل بين يديه سلم عليه .

فقال أمير المؤمنين : لا سلم الله عليك يا عدو الله ! تعمل على الفوائد في ملكي !
قال جعفر : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فقفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسي بهم .

فنكس المنصور رأسه مليا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه فقال له : الى أبا عبد الله ، فانت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، ثم صاحبه يمينه وطاقه بشماله وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه بحادثه ويسأله ، ثم قال يارب عجل لأبي عبد الله كسوته وجأزته ، وأذنه

من أحسن ما قبل في الاعتذار من الذنب قول صريع الفوائ .

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي فاحط بذنبي عفوكم المأمولا

الأخلاق النظرية

— ٩ —

مقدمة تمهيدية

لما كانت الأخلاق هي روح الحياة ، وضوء عين الإنسانية ، وقبس النور في هذا الوجود المظلم ، وسر المبدع الأول الذي قذف به في قلوب بني البشر منذ اللحظة الأولى لوجودهم ، فقد سار الإنسان الأول على ضوئها ، واهتدى بهدائها ، وأخذ يبت تلميها ، وينقش فوائدها في دوس أبنائه وأحفاده الذين خلقوا على أتم استعداد لقبول هذه الصائح ، لأن الباري جل وعلا قد منحهم من السر النوراني مثل ما منح أيوهم الأولين . غير أن هذا لأب الأول أمر بنصهم ليحفظهم مما عساه أن يحول نيار إرادتهم الى ناحية الشر ، لاسيما وأنه قد علم أن النفس البشرية متأثرة بموامل مختلفة تخضع لأحدها تارة وللثاني تارة أخرى .

وما زالت الإنسانية سائرة على هذا النحو يلي بعض أفرادها صوت الضير الألى فيسلك سبيل الهدى والرشاد ، ويدعن البعض الآخر لقوة الشهوة أو التوحش فيهوى في حضيض التماسه والشقاء .

وما انفك الأبناء يرثون عن الآباء ويقبلون الإخوة والرفاق في خبرهم وشرم ، وينسجون على منوالهم لمختلفة التي هي مزيج من حسن الحياة وقبحها ، وخليط من رياض الفضيلة وسواد الرذيلة ، والتي لا يصلح نظام الوجود إلا بتسييرها على هذا النسق المعتدل الحكيم .

هذا كله بالنسبة الى الأخلاق أو التخلق ، أما علم الأخلاق فلم يأخذ مكانه تحت الشمس ، فيما نعلم الى الآن ، إلا في عهد الفلسفة اليونانية التي انتهى بها الأمر

في عهد «سقراط» الى احتضان الأخلاق واعتبارها غصنا من أهم أغصان دوحها . وما زال هذا الوليد يدرج ويتوسع في حضن أمه الروم (الفلسفة) ويلاقى من سقراط وتلاميذه وغيرهم منذ القرن الخامس قبل المسيح الى اليوم رعاية تختلف كثرة وقلة باختلاف العقليات والبيئات والمصور . وهذه هي الدورة التي سأطوف معكم بها في سرعة لتقفوا على تطورات هذا العلم منذ نشأته الى العصر الذي نعيش فيه الآن ، ولكنى أريد أن أذكر لكم تعريف علم الأخلاق وموضوعه وغايته قبل أن نعرض لهذه السلسلة التاريخية لعلم الأخلاق ، ليكون سيرنا طبيعيا ، ولنكونوا في تتبعكم هذه الدورة الموجزة على بيئة من هذا العلم المتشعب المسالك والطرق .

تعريف علم الأخلاق وموضوعه وغايته :

قرأت تعريفات كثيرة لعلم الأخلاق ، بعضها لفلاسفة الفرنجة من يونانيين وألمانيين وفرنسيين وإنجليز ، والبعض الآخر لمن كتبوا مؤلفات في علم الأخلاق من محدثي المصريين والسوريين . ولكنى رأيت أن كل هذه التعاريف غير دافعة للحاجة ولا رافية للنقض المراد ، إذ ألفت بعضها ناقصا ، والبعض الآخر مطلقا أو هادفا للنقد والاعتراض .

واليك نموذجاً من هذه التعريفات الأوردية :

عرف بعضهم علم الأخلاق بأنه : « علم الخير » لأنه يفرق بين الخير والشر ، ويميز بينهما تمييزاً يحمل الإنسان على اعتناق الأول والنفور من الثاني .

وعرفه آخر بأنه : « علم الواجب » لأنه يهدينا الى ما يجب علينا عمله ، ويشتغل دائماً بوضع زمام الحياة البشرية في يدي الواجب

وحده نالت بأنه : « علم فن الحياة السعيدة » لأنه يقود الى السعادة النشئة من استراحة الضمير .

وعذر هؤلاء الأخلاقيين في نقص تعريفاتهم وظلتها واضح ، لأن هذا العلم ليس من العلوم المادية التي يسهل حلها ، بل هو علم نظري يحوى في داخل مسائله ميدانا فسيحا للعقل والنقاش ، ويحتمل الأخذ والرد كبقية أغصان شجرة الفلسفة ، غير أنى اعترفت ، بالرغم من هذه الصعوبة ، وبعد الاطلاع على أكثر ما كتبوه في هذا الشأن ، أن أنجب جهد طاقى من تعريف يقرأ — بقدر المستطاع — مما دار بخلدى أو جاء في كتب النقاد من الاعتراضات والإشكالات . وأخيرا قر رأى على أن أضمح العلم الأخلاق هذا التعريف وهو : « علم نظري أومىارى يبحث بواسطة قانون داخلى عما بين أعمال بنى الانسان الإرادية من خير أو شر ، وعن نواياهم العامة » . ونمضى بقولنا : إنه علم ، أنه ليس بفن ، وإن كان تطبيقه فى الخارج يعد من الفنون فى باب الفنون . والعلم هو مجموعة مسائل مرتبة منظمة تننى عن المحيط بها جهلا نسبيا . ولم كانت قوانين الأخلاق كذلك فقد سميناهم علما . ونمضى بقولنا : إنه نظرى أومىارى ، أنه ليس وصفيا ولا تجريبيا أو وصفيا وإن كان تطبيقه فى الخارج يقربه نوما من فسيلة العلوم التجريبية . ونقصد بقولنا : إنه يبحث بواسطة قانون داخلى ، أنه لا يستمد عناصر نظرياته من ظواهر الطبيعة المادية ، ولا يخضع لأوامر وضعية ، وإنما هو يتلقى مبادئ ومواده من ذلك الضمير الداخلى أو الصوت الروحى الأسمى

ومعنى قولنا : إنه يبحث عن أعمال بنى الانسان الإرادية ونواياهم العامة ، أنه لا يهتم إلا بالأعمال المقصودة للفاعل أى التى سبقها نية حرة شاعرة بالإذعان للأواجب بصرف النظر عن النتائج الناشئة من هذا العمل .

من هذا التعريف يتضح جليا موضوع علم الأخلاق وغايته القصوى ، إذ نستطيع أن نقول : إن موضوع هذا العلم هو أعمال بنى الانسان الإرادية ونواياهم العامة من حيث خيريتها وشرتها الأديتان ، أو استبطان هذه الأعمال الإرادية واكتناء دواخلها ومعرفة حظ الإذعان للأواجب منها .

أما غاية هذا العلم فهي الخير الأسمى ، والوصول من طريق الفضائل إلى للثل الأعلى والكمال الإنساني .

يظهر مما قدمنا لعلم الأخلاق من تعريف وموضوع وغاية ، ما يبينه وبين علمي النفس والاجتماع من روابط واتفاقات ، ومن فوارق واختلافات سنوضحها هنا ، ولكن بعد أن نفرق بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية ، ونبين الدور الذي يئته كل من القسمين على مسرح الحياة البشرية ، وبعد أن نلقى نظرة عاجلة على تاريخ الأخلاق منذ نشأتها (كلم منظّم) إلى اليوم .

دكتور محمد غنم

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

البلاغة في الاعتراف والاستعطاف

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود ، قال له يا يعقوب .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك

قال : ألم أرفع من قدرك ، إذ كنت ضيماً ، وأبعد من ذكرك إذ كنت غاملاً ، وألبسك من نعمتي ما لم أجد لك بها يد من الشكر ؟ فكيف رأيت الله أظهر عليك ، ورد إليك ملك ؟ قال يعقوب : إن كان ذلك بملك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب ، وإن كان مما استخرجته دغلي الباغين فمائد فضلك

فقال أمير المؤمنين : والله لولا الخنث في ذمك بما تقدم لك لألبسك منه قميصاً لا تشد عليه زراً ، ثم أمر به إلى الحبس .

فتولى يعقوب وهو يقول الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمردة ترحم ، وأنت بهما جدير ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد أذن له في الدخول عليه ، فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذي سهل لي سبيل الكرامة بلفائك ، ورد علي النعمة بوجه الرضاء ملك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سخطك جزاء الحصنين المراقبين ، وفي حال رضاك جزاء المنعمين المنطولين ، فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تثبت تخرجاً عند الغضب ، وتثبت تطلوا بالنعم ، وتستيق المرفوف عند المنائغ تفضلاً بالعمو .

الادب بين الفن والفضيلة

خصومة قديمة بين الفن والفضيلة تنازعت الادب فأثرت فيه أثرا كان يدعو حينا في جانب الفن، وحينا آخر في جانب الاخلاق والفضائل، وكأن هذه الخصومة ضرورة قد اقتضتها طبيعة الادب باعتباره المعبر عن الأفراض، الواصف للحقائق، واقتضتها طبيعة الفن باعتباره المصور لظواهر الوجود كما هي في غير خداع أو تزوير، واقتضتها طبيعة الفضيلة باعتبارها غاية من غايات الخير الذي تدعو إليه الاديان السماوية، والاخلاق الكريمة

وقد كان الادب العربي ميدانا لهذا النضال الممتع، لأن الفن أراد أن يكون الادب ريشته الفنية المصورة ليخرج به صورا من قايين الحياة كما خلقها الله من الحسن والقبح، والخير والشر، وهدفه الذي يرى إليه في هذا التصوير هو الصدق في وصف الحقائق أيا كانت طاقبتها، ولكن الفضيلة أثبت على الفن موقفه هذا من الادب كل الابهاء، وأنكرت أن يكون الادب وسيلة من وسائل تحجيب الشر للناس تحت ستار الفنية، بل يجب أن يكون الادب سبيل إصلاح، وداعية خير وتهذيب

نلح هذا الاثر أولا في الادب الجاهلي، فالشعراء الذين لم يتصلوا كثيرا بالحياة الحضرية التي فيها من نظام الاجتماع والامور الدنيوية ما يسمو بالفضيلة الى مكان التقديس بل عاشوا في حياة مطلقة من قيود الاجتماع والدين والاخلاق، كانوا الى جانب الفن أمل. والشعراء الذين عاشوا في حياة تصرف للدين قداسته، وللأخلاق حرمتها، كانوا الى جانب الفضيلة أقرب، فامرؤ القيس حينما يقول في إحدى قصائده :

محموت إليها بعد ما نام أهلها ممو حباب الماء حالا على حال
وصرنا الى الحصى ورق كلامنا ورضت فذلت ضعبة أى إذلال

إنما يجنح الى الفن يحكمه في شاعريته التي أبرزت هذه الصورة في قلبها الفن البديع، وليس للفضيلة وجود في تنايا هذا الكلام الدمر الخليج. وعدى بن زيد حينما يقول :

وتبين رب الخورنق إذ أشر ف يوما والهدى تفكير
سره حيلة وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فأرموى قلبه وقال وما غبطة حتى ان الممات يصير
ثم بعد الفلاح وملك والامنة وارثهم هناك القبور
ثم أخصوا كأنهم ورق جفف فالوت به الصا والدبور

إنما يستوحى الفضيلة لمائة في نصرانيته التي كان يدين بها ، والتي من أسسها الدعاية الى الزهد في الدنيا ولذاتها . ولو راح إنسان يوازن بين الاسلوبين في الصياغة لوجد مجال الفرق واسعا بين الشاعرين ، فصاحب ألفي مما اى ذروة البرعة في الأسلوب الشعري الجليل ، وصاحب الفضيلة استطاع أن يكون واعظا في أسلوبه ، يجمع الى العبرة البالغة ، العظة النافعة في صياغة هي الى الكلام أقرب منها الى الشعر ، وهذا النحو تجده كثيرا في الشعر الجاهلي ، وهو في أغلبه أميل الى الفن منه الى الفضيلة . ولو قرأت شعرا لأعشى في خزياته ، وشعر النابغة في اعتدالياته ، ثم قرأت شعر أمية بن أبي الصلت في دينياته لرأيت أن الاعشى والتابطة كانا فنيين ، وأن أمية كان داعية دين وشاعر فضيلة حتى أفسد عليه لحسد طهرته المتندية ، فأعادته الى فنية حائقة مغيطة لم يستقم لها الأداء الشعري كما استقام لغيره من الشعراء الفنيين .

ونلمح هذا الأثر - ثانيا - في الأدب الاسلامي ، فحسان بن ثابت شاعر في حينما كان يقول الشعر طليقا من قيود الدين والاجتماع ، وهو شاعر الفضيلة والخلق الكريم حينما كان ينافح عن الدين ، ويتحدث عن فضائله ، روى صاحب الموشح عن الأصمعي أنه قال « طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، لا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مرثي النبي صلى الله عليه وسلم وحزوة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم ، لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة من صفات الدهر والرحل والحعاء والمدح والتشبيب ... وصفة الحر والغيل والحروب والافتحار ، فاذا أدخلته في باب الخير لان » . وهذا الخطيئة أدرك الاسلام ، ولكن بشاشة الايمان لم تحالط قلبه ، فبقى على جاهليته في شعره ، وكان من أجزل شعراء عصره عبارة ، وأصعاصم ديباجة ، حتى إن الأصمعي يقول فيه : ليس من شعر ترده له عينا إلا وجدته ، خلا شعر الخطيئة ، وليس له في ميدان الفضيلة خطوة إلا قلته لسان كقوله :

من يمنع الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وله في المحاء أعاصيب ، فقد حجا من أحسن اليه ، ومن أساء ، وحجا أباء وأنه ، ووجه نفسه ، وهو في كل ذلك شاعر فني يبيع الناية في تصوير ما يريد .

ونلمح أيضا هذا الأثر - ثالثا - في الأدب العباسي ، ذلك العصر الذي تذهبت فيه الروح الادبية ، فطور تطلق لما الحرية مطلقا ، تذهب في فترتي القرون كل مذهب ، لا يزجرها دين ، ولا يصدها خلق ، ولا يمنحها سلطان ، وفي ظلال تلك الحرية الجامعة نشأ بشار بن برد وأبو نواس ، ووالدة بن الحباب ، ومسلم بن الوليد ، وأضر بهم ، وأنشأوا فقههم المردول خلقيا ، وطورا تتحرك هوامل السياسة ، وقيود النظام الاجتماعي ، ودوافع الدين في نفوس الحاكين فيقفون دون هذه حرية الجامعة يردوها الى ساحة الفضيلة فتأبى إلا أن تتحايل

في سبيل الرجوع الى طبيعتها العبية في شيء من الف وال دوران ، كما يقول أبو نواس ، وهو معروف المذهب :

أيها الرأحان بالأموم لوما لا أذوق المـدام إلا شـيما
نالتى بالـلام فيها إمام لا أرى لى غـلافه مستنيا
فاصرفاها الى سـوإى فانى لست إلا على الحديث نديما
كبر حظى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها قصـدى يزين التحكـيما
كل عن حله اللـاح فى الحـرب فأوصى المـسيق ألا يقـيما

وبذا لم ترض الفضيلة منه بهذه الروح المتأرجحة فى غوايتها ، وتم ونما الى مقام النقى والبر فقال :

أخى ما بال قلبك ليس يسقى كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا بن الذين فسوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتسقى
وما أحد يرادك منك أحظى وما أحد يزدك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد إذا جعلت الى الهوات ترقى

هذ مذهب المتن الأرار ، أو المتأهبين الدهاة ، وأبو نواس رجل لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وإنما هى الرهبة فادته الى سلوك هذا الطريق ، والذي يلقي بنظرة موازنة بين أسلوبه فى هذه الأبيات الوعظية الدينية التى تمثل جانبا من الفضيلة ، وبين أسلوبه فى شعر إحساسه ومنحبه المعروف يدرك أن هذه الأبيات الوعظية ليس فيها من حرارة الصدق فى الاحساس والشعور شيء .

وهذا الحد من الحرية ضرورى فى كل زمان لحماية الدين والاخلاق من عبث الاباحية ، ولكن خسارة على الأدب وفنونه ، لانه يفقده الاحساس العادق والوضوح فى العواطف والتزمات النفسية . قال القاصى أبو بكر الباقلانى فى كتاب إعجاز القرآن : « وشبهوا الخط والنطق بالتصوير ، وقد أجمعوا على أن من أحذق المصوريين من صور لك الساكى المضاحك ، والساكى الحزين ، والمضاحك المناكى ، والمضاحك المستبشر »

والأديب الذى يتحدث للرغبة أو للرغبة من العسر عليه أن يكون أميناً لنفسه ، وإن استطاع أن يكون ماهراً ، ولمثل الأعلى للأديب أن يكون ماهراً وأميناً معا ، والتعبير عن الفضيلة إحساس بالحياة من جانب الخير والبقاء والحق والنور والجمال النفسى ، والأدب قد يكون تعبيراً عن الفضيلة ، وليس هو الفضيلة ، وفرق بين الأمرين ، والتمييز بينهما مهمة المصلحين ، فإذا رُوا أديبا يعبر عن فضيلة قالوا عن صاحبه : هذا أديب فاضل حكيم يحب الفضيلة

ويجربى على سننها ، وإدا رأوا ثرا قالوا : هذا أديب شرير ماجن ، أو مقذع فاحر ، بهوى الرذيلة ويحبذها . قال قدامة بن جعفر فى كتاب نقد الشعر : « وعلى الشاعر إذا شرع فى أى معنى كاذب من الرقة ، والصفة ، والرق ، والزراعة ، والبذخ ، والقناعة ، والمدح ، وغير ذلك من المعانى الحيدة أو الذميمة ، أن يتوحى البلوغ من التجويد فى ذلك الى الغاية المطلوبة . وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر ، فلم يكادوا يفرقون بينهما » . وخلاصة الرأى أن الفضيلة شرعة الاخلاق والديانات ، والحرية الكاملة شرعة الادب الكامل ، وقد يتلاقيان فى روح الاديب المساز بسو شعوره وتقاه عبقريته إذا صادف بيئة فاضلة .
صادق ابراهيم مرجون

فضيلة التواضع

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » فالتواضع المشروع لله لا للحلق ، وليس معنى هذا ان يتواضع المرء لله ويتكبر على الخلق تحت ستار حفظ الكرامة ، أو إظهار الاستغناء عنهم ، فلكل مقام حال يجب أن يراعى .
وقال عبد الملك بن مروان ، ورفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدوة ، وأنصف عن قوة » .

وقال ابن السكك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك وقالت الحكماء : كل نعمة يحمد عليها صاحبها إلا التواضع .
وحرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى ، فلقينه امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ! فوقف لها . فقالت له كسا نعرفك سدة صميرا ، ثم صرت من بعد صمير صمرا ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فأتى الله يابى الخطاب وافطر فى أمور الناس ، فانه من خاف اوعيد قرب عليه السعيد ، ومن خاف الموت خشى الموت .

فقال المعلى : إيها يا أمة الله ، فقد أبكيت أمير المؤمنين !
فقال له صر : أسكت أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سماه ، فعمر أخرى أن يسمع قولها ويتندى به .

وقال أبو عبيد : ما جلس الى رجل قط إلا حيل الى أى أنا جالس اليه .
وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك .

« أتدنا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعدنا كتاب حفيظ . » (سورة في الآية ٣ و ٤)

« وقد خلقكم أطوار » « والله أنبئكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا . » (سورة نوح الآيات ١٤ و ١٧ و ١٨)

« ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه في قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون . » (سورة المرسلات الآيات ٢٠ - ٢٣)

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق . » (سورة العلق)

« يومئذ يصدر الناس أشتاتا يريدوا أعمالهم » (سورة الزلزلة)

« وكل إنسان ألؤمه حائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . » (سورة الاسراء الآية ١٣ و ١٤)

« ولا تعقب ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . » (سورة الاسراء الآية ٣٦)

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما هملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا . » (سورة الكهف الآية ٤٩)

« حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . » (سورة فصلت ٢٠ و ٢١)

« وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه . » (سورة الروم ٢٧)

هذه الآيات الكريمة يقرر بعضها بعضا ، وبعضها لا يد أنه كان صعب الفهم على العرب وقت نزوله ، وهو ما يزال كذلك ، إلا إذا نظر إليه من ضوء العلم الحديث ، وسيزداد وضوحا بلا شك كلما تقدمت العلوم .

إن العالم الكبير إذا دعي لمخاطبة أطفال أو جهلاء فإنه يخاطبهم على قدر عقولهم ، ولكن لا يقول إلا حقا ، وعند الضرورة يقول الحق كله ، ولذا قد يسمعون بعض ما لا يفهمونه ، فإن تكلم عن تريف القاهرة مثلا ، فقد يقول : إنها طامصة القطر لمصرى أحد ممالك إفريقيا ، مع أنهم قد لا يعرفون معنى « لإفريقيا » ولكنهم يفهمونها بعد أن يزيد رشحهم . ويرى العالم أن الترميز بسور لفظة إفريقيا فاص ، وسيظهر تقمه لهم في المستقبل .

كذلك الحال في بعض آيات الكتاب الكريم ، فالقرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو أي علم من العلوم ، ولكنه ، وقد رد على أسئلة المشركين ، كان يحببهم على قدر عقولهم ،

على أنه لايقول لاحقا ، فالأمة العربية التي كانت في أعلى درجات الفصححة آمنت به وبما أمكنها فهمه من آياته ، وما لم يمكنها فهمه ردت الى المجاز ، أو آمنت به إجمالا ، ولو لم تفهم تفصيله ، لو توقها أن كل ما جاء في القرآن هو من عند الله تعالى .

أما من خلقوا الأمة العربية بعد ذلك فقد قلت فصاحتهم وزاد إدراكهم ، فهم يحكون عليهم ، ولا يصنفون ما لا يطبق عليه ، وقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات ، وسيدكشف المقي منها كلما تقدمت العلوم ، ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس الى الدين

وفي الآيات القرآنية المقدمة كثير من الحقائق التي لم يعلمها العلماء إلا بعد مرور ألف سنة على الدين الاسلامي « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . هذه الآيات تهيئ بصراحة على أربعة أسئلة ماغنى الانسان ، الجاهل واليأسوس ، ببعثان عنها كل منهما على قدر عقله .

١ - كيف بدأ الخلق أى كيف خلق أول إنسان ، وكيف يخلق باقي المخلوقات .

٢ - تطورات الجنين .

٣ - حياة الانسان على الأرض وبعد الموت .

٤ - النشأة الثانية أو البعث والحساب .

١ - بدأ الله الخلق من طين ، ولم تتقدم العلوم لتثبت ذلك ، وسيأتي الوقت الذي يثبت فيه هذا حقا « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » وكل ما يقال عن مذهب النشوء والانتقاء ومذهب « دارون » الخ ، لا يزال في دور التجربة ، ولم يثبت منه شيء بصفة قاطعة أبدا ، وبما يسهل فهمه أن خلق أول المخلوقات هو من نفس اسادة التي يخلق الله منها جميع المخلوقات ، وقد أخبرنا القرآن أنها من ثلاثة أشياء :

(أ) مما قلبت الأرض .

(ب) من أنفسهم .

(ج) مما لا يعلمون .

(أ) فالجسم الحى ينمو بأن يحول ماياأكله الى حرة حى من جسمه ، وهذه هي أهم مميزات الحى ، وما يأكله الطفل حتى يصير رجلا لا يخرج عن كونه مأخوذا من الحيوان أو النبات . والحيوان أصله من النبات ، فالكل مأخوذ من النبات التى ينمو من مواد الأرض والهواء . وهكذا يكون جسم الانسان كله من الطين الذى يتحول بقوة الحياة فيه كما يتحول الماء الى بخار بقوة الحرارة .

(ب) « من أنفسهم » أى من النطفة التى تخفى

(ج) « مما لا يعلمون » تفسرها سورة السجدة « ثم سواء وقع فيه من روحه » فهناك شيء آخر هو « الروح » وهو خارج عن الطين ، وقد تقدمت علوم المادة حتى ظن العلماء أن المخ والفرد ذات الاغراب الداخلية تفسر كل أفعال الانسان ، ولكن كثيرا منهم أخذ يعترف بأن هذا لا يكفى ، وذهب فريق الى أن بعض الاشعة الكونية النائية قد يكون له تأثير فى المادة الحية « ومازلنا لا نعلم » كثيرا مما يقع بين علماء المادة ، وعلماء المادة والروح من سوء تفاه ، فيقول الأولون : إن المخ إذا أصيب بمرض تأثرت القوى العقلية بل الاخلاق وغيرها الخ . وهذا دليل على أن المادة هى كل شيء ، ومن المدهش أن من أكبر العلماء من يحتاج بذلك على أنه لا وجود للروح ، مثل « كيث وسمت » وغيرها ، والحقيقة أن المادة ضرورية لظهور شيء خفى عنا ، ومثلها مثل عدة المسرة « السليقون » فلها ضرورة لسماع صوت من يشكلم ، وإذا أصيبت المسرة بضرر احتل الكلام ووقف ، ولكن المسرة ليست مثلنا الكلام مطبقا ، وقد أقبح ضرر لوك هلس كثيرا من معارضيته بذلك . وهذا لا يثبت طبعا وجود الروح ، ولكن يجعله ممكنا ، وهذه هى آخر درجة معرفتنا أو بالأحرى « جهلنا » والمهم أنه لم يظهر شيء للآن ينافى مع هذه الآيات .

والله جلت قدرته يخاطبنا على قدر عقولنا ، ويشكلم من النشأة الأولى ومن يده المخلق ، كانه تعالى قد اختص بيده الخلق فقط مع أن الله بدأ المخلق ومن السنن الالهية الطبيعية ، (ومنها خلق الكون كله) التى لا تبدل فيها أبدا لى تكفل وجود النوع الانسانى مادامت السموات والارض . وهكذا يكون معنى خلق آدم عليه السلام بعد خلق السموات والارض والسنن الالهية ، خلق العالم كله الى النهاية التى أرادها الخالق وقت بدئها ، وإذا كان صانع « الاوتوموبيل » عند ما يأتى بالمواد الخام التى يستعملها يتصور فى مخيلته شكل الاوتوموبيل النهاى وسرعته الخ مع أنه لا يتحكم فى الحوادث التى قد تطرأ عليه ، ويجهل كثيرا منها ، أفلا يعلم الخالق الأول كل ما سيكون عند يده المخلق مع أنه واضع السنن كلها ، وهذه السنن لا تتغير أبدا ، فالحقيقة أن الله بدأ المخلق ، والله خلق كل شيء ، وهذا هو معنى الآيات « ما خلقكم ولا بكم إلا كنس واحدة » و « يخلقكم فى بطون أمهاتكم » الآية .

٢ — تطورات الجنين : يقول تعالى . إنه يكون أولا نقطة ثم يصير علقه . وصحيح أن شكله يكون مستطيلا مثل العلقه تماما ، ويستمر كذلك فى الأربعة الأسابيع الأولى تقريبا ، وإذا عرفنا أن طوله حينئذ لا يزيد على خمس السنتيمتر الواحد ، وأنه لا يميز بالعين المجردة تماما ، وأن أول ميكروسكوب عملت فى سنة ١٦٨٣ أى بعد ألف سنة من نزول القرآن ، عرفنا أنه كلام الله تعالى

على أن الجنين يصير بعد ذلك مستديرا بغير انتظام ومكورا ، ويبقى كذلك بضعة أسابيع

وقد ساء الخالق مضخة لكثرة الشبه بينه وبين قطعة اللحم المضغوطة ، وبعدها تظهر العظام والعضلات (العضلات) التي تتصل بها كما وصفت تماما .

ويعلمنا القرآن أن الحين له ثلاثة أغشية مماها ظلمات ، هي النشاء المنباري ، والغروبون ، والغشاء الغائبي (الترجمة من قاموس الدكتور شرف) مع أنها لا تظهر إلا بالتشريح البقيق ، وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة .

وقد ظهر للعلاء أن تاريخ الانسان الجنيني هو تاريخ للحياة منذ بدئت على ظهر الأرض ، فهو أولا يشبه الجوران ذا الطلية الواحدة ، ثم ذا الطليات المتعددة ، ثم يشبه الحيوانات المائية والحيوانات ذات التدبين الخ ، وتاريخه مذهب النشوء والارتقاء ، وقد لخص القرآن ذلك في قوله : « وقد خلقكم أطوارا »

٣ — حياة الانسان والموت .

٤ — بعثه وحسابه .

أدوار حياة الانسان كما وصفه الكتاب الكريم :

لقد وفي هذه المسائل حقها من البحث الدكتور محمد عبد الحيد بك في مقالاته ، وأما الموت فقد شبهه الله بالنوم ، وما أعظم الشبه بينهما ، والنوم هو موت جزئي للأعضاء ، وكما أن النائم يستيقظ كما يشاهد ، كذلك الميت أيضا يستيقظ ولو لم يشاهد ، إلا بإذن الله وعلى أيدي الأنبياء ، ومن لم يشاهد ذلك يحادل ويقل : كيف نبعث ثانية بعد أن نكون عظاما وترابا ؟ والله يجيب على ذلك بقوله : إن الانسان خلق من طين ، وإنه يعلم ما يدخل في تركيبه علما تاما « ألا يعلم من خلق » قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » وبهذا يمكنه أن يعيده سيرته الأولى . وتتحول المادة من شكل الى شكل ، ولكنها في صندوق الكون لا تنقضي أبدا ، وكما أن الماء لا يفتي تحول الى ثلج أو بخار كذلك يتحول الطين الى نبات وحيوان ثم الى جسم إنسان ، ثم الى التراب ثانية ، ثم يعيده الله كما كان .

وقد علمنا المعلوم أن معنى « كتاب حفيظ » ليس بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل أدق وأوفى . والانسان الضعيف قد صنع آلات تسجل من نفسه ، والله صنع هذا الكون كله كآلة عظيمة تسجل كل شيء « كتاب حفيظ » فالإنسان إذا تكلم انقشر صوته في الفضاء كله دون أن يشعر ، بل قد أمكن الانسان أن يسجله ويستعيد عند الحاجة بعد زمن طويل (الراديو والتونوغراف) .

وكما أن الصوت يسجل تسجيلا ، أفلا يكون ذلك بالنسبة لكل حركاته وسكاته ، بل قد يتقدم العلم ، ونعرف أن أفكار الانسان يمكن قراءتها على بعد كبير بل يمكن تسجيلها ، فالإنسان جسم صغير في آلة كبيرة دقيقة حساسة تتأثر وتسجل كل حركات هذا الجسم وما يطرأ عليه لتستعيده عند الحاجة

وقد شبه الله هذا التمسحيل بأكل القديسين التي يعرفها العرب حذاء ، فقال : « إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » وهذا هو كتاب الكون الذي يقول الله فيه « لا يضل ربي ولا ينسى » « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » ويقولون : « لم شهدتم علينا ؟ » فنقول : « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة والبـه ترجعون » ويقولون « يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حـضراً ، ولا يظلم ربك أحداً » وسيرى الانسان أعماله نفسها في المرأة ، ويرى صورة دقيقة لكل أفعاله وأفكاره كما كانت تماماً ، فهو نفس المتكلم ونفس الفاعل « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونحـرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

والسنن الطبيعية عاكسة أنه لا يوجد شيء في هذا الكون بلا فائدة ، فالإنسان مع وضعه قد استخدم السنن الطبيعية وأمكنه أن يسجل الصوت ويستعيده بعد زمن طويل ، أفلا يكون هذا دليلاً على أن التمسحيل لا بد أن يكون لمهمة كبرى ، وأن الطبيعة لا تسرف أبداً « إنا كل شيء خلقناه بقدر » فله يسجل كل أحياء الانسان ليستعيدها يوم النـث ، وهذا أهون من يده خلق الانسان ، فالنشأة الثانية إعادة وهي أهون من الأولى ، وهما بالإسـاهة الى قدره الله تعالى سبحانه ، كما قال الله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » . وهكذا نرى القرآن لا يبالغ أبداً كما نفهم من معنى المبالغة في كلامنا حتى فيما لا ندركه تماماً .

وقد يقال إن إحياء الموتى قد يكون في المستقبل على يد العلماء مع أن الله يقول « إنا نحن نحى الموتى » وذلك لما يقرؤه الناس أحباؤنا في الحرائد عن حياء الميت ورجوع الحياة اليه بعد وقوف علاماتها مثل التنفس والنـبض . والحقيقة هي أن هناك فرقا كبيرا بين الموت المادى كما يفهم الناس من وقف الأعضـاء عن السـل كعدم اشتغال المع أو وقوف القلب ، وبين الموت العلمى الحقيقى ، وهو لا يكون بوقوف محل لأعضاء فقط ، ولكمه يكون بموتها ، ويأخذ القلب من ميت عادى بعد وقوف صـرياته ووضع في محلول مخصوص لاستأنف ضرباته كما كان في جسم الانسان من بضع ساعات ثم يموت ، ولا يمكن أن يضرب بعد ذلك مهما عمل فيه ، وهذا هو الموت الحقيقى الذى يتحلل بعده الانسان الى عناصره الأولى . وقد يوصل الطبيب ، وقد توصل أحيانا ، الى إعادة الحياة في الميت العادى ، أى أن القلب يعود ويضرب مدة قصيرة بعد وقوفه ، وقبل أن يكون قد بدأ في التحلل أى قبل موته الحقيقى . وأما أن العلم يصل الى إعادة الحياة بعد التحلل فهذا مستحيل لأنه لا فرق بين إعادة الحياة الى جسم ميت تماماً ، وبين إيجاد حياة في الجـاد مثل الطين .

دحض شبهات عن الاسلام

مضت فترة من الزمان لم تتعقب فيها ما نشره الكاتب الفرنسي أندريه هرفيه من شبهات على الاسلام ، وقد وصلنا الى شهرته السادسة ، فنذكرها ملخصة ، ونكر بالرد عليها على نحو ما فعلناه بسابقاتها . قال :

الشبهة السادسة :

إن نجاح العرب في فتوحاتهم العظيمة لا يعنى من قيمتهم ، فإن الفاتحين من أمثال أتيل و هانكيز خان قد أخضعوا شعوبا كثيرة ، ولكنها ليست مدينة لهم بمدنية .

رد هذه الشبهة :

يريد المسيو أندريه هرفيه أن يقول إن مثل العرب في توسعهم في الفتوحات ، وبسط سلطانهم على الأمم ، كان كمثلي الهوريين والبنار الذين قادم أتيل و هانكيز خان لجورد الفتح والتسلط . ولما كان هذان الفاتحان قد أتيا على كل عامر فأخرباه ، وكل أهل فأفقراه ، ولم يكن همهم من الفتح إلا سفك الدماء ، وسلب الأموال ، فحق نسال المسيو أندريه : هل هو بالقياس الذي أتى به يريد أن العرب كانوا على هذه السنة في تحطيم العمران ، ونشر الفقر في كل مكان ؟

إبه لم يشر الى هذا الأمر لأنه لا يقوى على مناهضة الحقائق التاريخية ان هذا الحد ، ولكنه أراد أن يقلل من عظمة هذه الفتوحات الخيرة للعقل ، حتى لا يستنتج منها الباطرون أنها تدل على فضائل نفسية ، أو على عبقرية حربية ، محاولة منه أن يجرد العرب المسلمين من كل منزلة إنسانية ، فإن همضتهم الفجائية تحت تأثير تماثيل الاسلام ، بعد أن كانوا قبائل ممزقة الأوصال ، وأوزاما لا تحمها رابطة ، ولا تؤلف بينها أسرة ، غير أهل لأن يعيشوا في عقر دارهم أحرارا آمنين ، حتى وقعت أخصب بقاعهم تحت سلطان الفرس والاحباش والرومانيين ، قلنا فإن همضتهم الفجائية هذه لا لأن يساوا الأمم في تألقها وتكافؤها حسب ، ولكن لكي ينقلبوا قاتحين متعبلين ، قد أدهشت جمهرة المؤرخين ، وحيرت عقولهم أجمين . وما زاد في دهشهم وحيرتهم أن هذه الطائفة التي نهضت هذه النهضة الباهرة ، لم تكن أمام أية قوة ضخمة بليت بها من لدن الفرس والرومانيين ، الذين حارب في صفوفهم حتى العرب الذين كانوا لسلطانهم خاضعين

فهذه الفتوحات قد اعتبرت أعزوة التاريخ الانساني لأنها حدثت على غير السن المعروفة ، وقامت بحمام عالمية في سين معدودة ، لم تأت بمنحها الأمم العريقة في الوحدة الاجتماعية ، وانتظم الحربية فقد جمعت في أقل من مئتين سنة بين أقطار كان مجهل بعضها وجود البعض الآخر ،

في القارات الثلاث الكبرى ، آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وانتظمت في سلك امبراطورية موحدة ، لا تزال أحكامهم فيها مصرب الامثال الى يومنا هذا ، حتى قال أقرب المؤرخين الينا وهو جوستاف لوبون في كتابه تمدن العرب : « لم توزق الارض بفاتحين أكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين » . وقال المؤرخ المشهور (سديو) الفرنسي : « لقد نشر المسلمون العلم والمدنية حيث وطئت أقدامهم » .

ومما لم يهد في تاريخ الفتح الاسلامي ، وأصبح بحجوبة العلم الاجتماعي ، أن شعوبا دعت المسلمين لفتح بلادها ، والحلول محل المتغلبين عليها ، لما آتسوه فيهم من العطف على المقهورين والبر بهم -

فهل يصح أن يقارن المسيو أندريه هذه الفتوحات التي كانت خيرا وبركة على الشعوب ، بتلك الغارات المظرة التي شنها أتيليا وحانكيوزخان على الامم التي تلبت بمحاورتهما ؟

لا يمكن أن يقول قائل بأن ذلك يصح لا من ناحية سمة الفتوحات ، ولا من ناحية آثارها على المغلوبين . ففتوحات المسلمين كانت سلسلة اسلابات اجتماعية ، أوجبت تطورا أدبيا عاما بين شعوب كانت قد أصيبت بتحصن عقلي ونفسي لا يتقنها منه إلا حركة انقلاب عام ، كالتي بعث الله خاتم النبيين لاحداثها ، وقد أدت ما أريد منها ، ودخل العالم تسلسلها في طور جديد ، أجمع المؤرخون كلهم على أن ما فيه الساس اليوم من نسمة الديموقراطية والفتوحات العلمية من آثارها ونمحاتها . فأي هذه الفتوحات العمرانية من تلك الغارات السلصية التي انتهكت حرمان الاجتماع ، وديست فيها المواطن الاسلامي بالاقدام ؟

يمثل المسيو أندريه هذه النفحات من الرحمة الالهية بفتوحات أتيليا وحانكيوزخان ، أنكلف نفسه أن يعرف قبل أن ينوه باسميهما من هما أتيليا وجانكيوزخان ؟

فأما أتيليا فقد كان رئيسا لقوم يدعون بالهونيين ، هاجروا تحت قيادته من مرقم الاول على سواحل بحر قزوين ، في نحو منتصف القرن الخامس للميلاد ، واجتازوا اسيا الى أوروبا في عهد كات مهاجرات القبائل فيها مباحة ، ومازالوا سائرين حتى نزلوا على حدود بلاد الفول وهي فرنسا الحالية ، ولما استقرهم المقام قاموا بما جملوا عليه من القارات والسلب ، فحاربوا مدنا كثيرة من تلك البلاد ، وكان رئيسهم يلقب نفسه ببلاء الله ، ويغفر بما يأتيه من أعمال التخريب . ومما يؤثر عنه قوله : « إن العشب لا ينبت حيث نطا قدمي » ومازال قومه يراولون أعمالهم التخريبية حتى اتفق عليهم القائد الروماني آينيوس Aetius وتيودوريك théodoric ملك الوبزغوثيين ، وميروفيه Merovee ملك الفرنكيين ، فقاتلوه قتلًا طاحنا في كاتلونيك Cataiaunique حتى هزمهم شر هزيمة ، وأجلهم عن بلاد الفول ، فغادروها مذمومين مدحورين ، الى أن استقرهم النوى على شواطئ نهر الدانوب . ومات أتيليا سنة ٤٥٣

هذا أئبلا الذي يضرب المسيو أنذريه بفتوحاته مثلا ، ويقارن بها فتوحات المسلمين ! أما جنكيز خان فهو ابن يسوكاي بيادور رئيس قبائل بيكا مغول التتارية . تول الرئاسة بعده ، وأخذ يحارب قبائل المغول التي حوله ، ووقع مرات عديدة أسيرا في أيدي أعدائه ، حتى كانت سنة (١٢٠١) ميلادية فانتصر عليهم . فتابوا عليه ثانية فدمروهم . ولما هزم جيوش بوورلك رئيس قبائل اليرماق وقاتله ، اعتبر نفسه من ذلك اليوم رئيسا لجميع المغوليين ، وأعلن نفسه ملكا عليهم . وعقب ذلك أعلن الحرب على الصين ، فكانت حروب طويلة انتهت بدخوله بكين سنة ١٢١٤ . ثم أقام على مملكة حواريه شاه وأخضعها ، وعلى بحر فند فسلحت له . ثم عاد إلى بلاده ، وتوفي سنة (١٢٢٧) .

لأشاحة في أن هذه الحركات تعتبر فتوحا بالمعنى الاجتماعي ، ولكنها كانت موضعية جنسية ، لأن عمرتها كانت جمع القبائل المغولية تحت حكومة واحدة ، وكانت قبل جنكيز خان تحت حكومات متعددة ، ثم لم تلبث هذه الوحدة أن انقسمت عراها بفعل جنكيز نفسه ، فإنه قبل أن يموت قسم ملكه بين أولاده ، وفي هذا إيذان بأن هذه الفتوح كلها كان الغرض منها مصلحة أسرة مالكة ، لا إجماع وحدة بين جنس واحد لغرض اجتماعي سام .

والفرق بينهما وبين الفتوح الإسلامية يظهر من ناحيتين : (أولاها) أن تلك الفتوح كانت في بقعة من الأرض محدودة ولم يك واحد منها ضد دولة لها شأن في تاريخ العالم . (ثانياها) أنها لم تكن لغرض اجتماعي ابتث عليه انقلابات جغرافية وأدبية .

فن الناحية الأولى رأينا الفتوح الإسلامية لم تقتصر على توحيد الجنس العربي ، ولكنها كانت ذات صبغة عالمية ، فامتدت من جزيرة العرب إلى سورة فارس فما وراء النهر إلى الصين شرقا ، ومنها إلى مصر وجنوب شرق أفريقيا غربا ، ومنها أيضا إلى أوروبا وجزائر البحر الأبيض المتوسط شمالا .

وأعجب ما في هذا أن الجيوش الإسلامية ، وهي قليلة العدد ، استطاعت أن تحفظ خطوط مواصلاتها في أقطار شاسعة على مسافات لا تتل من أربعة آلاف كيلومتر ، وكانت موجهة ضد دولتين اشتركتا بالسلطان في الأرض إذذاك ، وهما دولتا الفرس والرومان . ولم يكن على صلب الأرض من يستطيع أن يقف في وجههما ، وكانتا ممالك شتى لجميع البقاع التي تجاورهما من بلاد العرب .

فهذه الفتوحات الإسلامية لا يمكن أن تقارن بها فتوحات جنكيز خان المحلية ، فالمقارنة على هذا النحو عبث بالمقول ، وتضليل يراد به الخلط بين الإسلام .

أما من الناحية الثانية فإن الفتوحات الإسلامية لم يكن الغرض منها زيادة سلطان أسرة مالكة ، أو تغليب جنس على جنس ، ولكن كان القصد منها إعلاء كلمة الله في الأرض ، وتأسيس

دولة تقوم على الحق والمصلحة العالمية ، لا على القوة والمصلحة الخدسية .

تتبين هذه الاغراض العالية من السياسة التي اتبعها أولئك الفاتحون في هذا الملك العظيم ، فقد كانوا يرسلون الى الأقطار أعزل رجالاتهم وأرفعهم نفوساً ، وأظهرهم قلوباً ، ويوصونهم بالعدل المطلق ، والمساواة التامة بين القاهرين والمقهورين ، والاحسان الى المحالين لهم في الدين .

ولما حصرت الخليفة الأول ، وفاة ، طلب اليه رجال دولته أن يختار لهم من بعده فامتنع ، فلب أطرافاً عليه لم يقع اختياره على واحد من أولاده ، وما فهم إلا من يصح للحلافة ، ولكنه اختار لهم عمر .

فلما حصرت من الوفاة ألح عليه كبار أصحابه أن يعهد بالأمر الى ابنه عبد الله ، وكان من جدر الناس بهذا الأمر الجليل ، هم يقبل ، ونهاه عن قبوله ، ولفت نظرم الى اختيار رجل من سنة رجال من خيرة صحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

فالفارق كما ترى ظاهر بين الفئتين .

وإذا تأملت في نتائجهما أقيمت فتوحات جنكبير خان كانت كنفقاعة الصابون تضحمت ثم انفجرت ، ولم يبق منها عين ولا أثر ، ولكن فتوحات المسلمين ترتبت عليها نتائج عالمية خطيرة أدبية ومدنية ، لا تزال باقية الى عصرنا هذا ، وستبقى بفضل الله الى آخر الزمان .

فهل ما وقع فيه المسيو ندويه هرفيه من هذه المقارنة بما يصح أن يقع فيه كاتب في القرن لعشرين عصر البحوث المدققة ، والمقاربات الموفقة ؟ وهل مثل هذه المذاجة ، المكتاتبة تصلح أن تهدم صرحاً مشتمراً من المآثر النادرة ، والمناقب الخالدة ، والاعمال الفخمة المسجدة ؟
ترك الجواب للقارئين ؟

محمد فريد وهدي

البلاغة في الإيجاز

قال نقدة الكلام : خير الكلام ما لم يجحج بعده الى كلام :

وقد وصف حسبان بن ثابت عبد الله بن عباس من هذه الناحية فقال

إذا قال لم يترك مقالا لقائل يلتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشي ما في النفوس ولم يدع لدى إربة في القول جدا ولا هولا

ومن الأقوال الوجيزة الدالة على المعاني الكثيرة ما قاله الفرزدق لأحسين بن علي رضي الله عنهما في مسيره الى العراق ، وقد سأله عن الناس : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر في السماء .

الاسلام والفلسفة

فلسفة ابن سينا

يرى ابن سينا ، هذا الذي سلفناه في المقال السابق ، أن العالم أزلي ، لأنه معلول للعلة الأزلية ، ومعلول العلة الأزلية واجب الوجود بغيره ، وإن كان حقه في ذاته الامكان ، وهذه الأزلية الناتئة عنده للعالم لا تختلف عن أزلية الباري إلا بالرتبة المدركة في العقل وهي أن أزلية الباري ذاتية ، وأزلية العالم تابعة معلولة . ولا ريب أن ابن سينا في هذه النظرية متأثر بالقاعدة الاغريقية الثالثة « إن العدم لا ينجح وجودا » . وهو يبرهن على صحة ما ذهب إليه بأنه لو كان العالم قد وجد بعد أن لم يكن ، لزم أن تكون العلة قد وجدت وتحققت شروطها كلها ثم تأخر وجود المعلول عنها زمنا ما ثم وحد بعد هذا الزمن ، وهذا لوجود لا يمكن أن يكون إلا بمرجح تجدد قبيل هذا الوجود ، وهذا المرجح المحدد لا يمكن أن يقوم بالبري ، لأن الباري لا تقوم به المتحولات ، ولا يمكن أن يكون قد قام بالمعلول ، لأن المعلول لم يوجد بعد ، ولا أن يكون هذا المرجح علة مستقلة بذاتها ، وإلا انتهكت العقل على معلول واحد من الجهة عينه ، وهو حلى الاستحالة بإجماع الفلاسفة . وإذا فالعالم عنده معلول أزلي بآزلية علته ، وهو موجود مسد وجودها ، ولا يمكن أن يتأخر عنها مطلقا . ولو أننا فرضنا هذا الامكان لتغلب المعلول عن العلة المستوفية للشروط ، وهذا محال كما أسلفنا ، ولزم نشوء هذا المعلول عن علة أخرى تحتل مكان الأولى ويكون لها فضل ترجيح كفة لوجود على كفة العدم . وهذه العلة الثانية التي فرضناها إما أن تكون ممكنة لوجود أو واجبة ، فإن كانت ممكنة ، فهي تاهته عن غيرها ، والكلام فيها يكون كالكلام في كل ماثي عن غيره . وإن كانت واجبة لزم أن يعتمد واجب الوجود ، وهو محال . وبناء على هذا كله وجب الجزم بأن العالم معلول للعلة الأولى الازلية الواجبة الوجود ، وكل ما كان كذلك فهو أزلي واجب الوجود بغيره ومن غيره .

ويوضح ابن سينا هذا الرأي في إشارات فبقون « تنبيه وإشارة : كل شيء لم يكن ثم كان ، فبين في العقل أن ترجح أحد طرفي إمكانه صار أولى بشيء أو بسبب ، وإن كان قد يمكن العقل أن يذهل عن هذا اليبس ويفرغ الى ضروب من البيان ، وهذا الترجيح والتخصيص عن ذلك الشيء إما أن يقع وقد وجب من السبب أو بعد لم يجب ، بل هو في حد الامكان منه إذ لا وجه للامتناع عنه ، فيعود الحال في طلب سبب الترجيح حذوا ولا يقف ، فالحق أنه يجب عنه (١) » .

(١) راجع المسألة الخامسة من الخط الخامس .

لم يكتف ابن سينا في هذا المقام بذكر رأيه ، بل شرع يسرد مذاهب خصومه من
المكلمين وغيرهم ، ليكون الرد عليها واضحا مستقيا ، فقال : « ومنهم من وافق على أن واجب
الوجود واحد ، ثم افترقا فقال قرن منهم إنه لم يزل ولا وجود لشيء عنه ثم ابتدأ أو أراد
وجود شيء عنه ، ولولا هذا لكانت أحوال متعددة من أصناف شتى في الماصي لا نهاية لها
موجودة بالفعل ، لأن كل واحد منها وحد ، فالكل وجد ، فيكون لما لا نهاية له من أمور
متعاقبة كلية محصورة في الوجود . قالوا وذلك محال ، وإن لم تكن كلية حاصرة لأجزائها
معا ، فانها في حكم ذلك ، وكيف يمكن أن تكون حال من هذه الأحوال توصف بأنها لا تكون
إلا بعد ما لا نهاية له فتكون موهومة على ما لا نهاية له فيقطع اليها ما لا نهاية له ، ثم كل وقت
يتحدد يزداد عدد تلك الأحوال ، وكيف يزداد عدد ما لا نهاية له ؟ ومن هؤلاء من قال :
إن العالم وجد حين كان أصلح لوجوده . ومنهم من قال : لا يمكن وجوده إلا حين وجد .
ومنهم من قال . لا يتعلق وجوده بحين ولا بشيء آخر بل بالفاعل ، ولا يسأل عن لم ، (١) الخ
لا ريب أن هذه الآراء الفائلة بأن الباري لم يزل ، وكان ولا شيء معه ولا موجود
سواه ثم ابتدأ فوجد العالم ، أو القاهية إلى أن العالم لم يكن وجوده ممكن إلا حين وحد ،
أو المائلة إلى أن وجود العالم لا يتعلق إلا بالفاعل وهو لا يسأل عما يفعل : لم فعل ؟ ولا عما
يترك : لم ترك ؟ كلها مذهب فرق إسلاميه يخالف القاعدة اليونانية القاهية إلى أن معلول
العلة الأزلية يجب أن يكون أزليا .

ولما كان أبلغ الردود القديمة التي صوبت مهامها إلى هذا الرأي هورد الامام الغزالي ، فقد
رأيت أن من المفيد أن نلم هنا بطرف من هذا رد لمفهم المدغم بالحجة والبرهان بعد أن رددنا
نحن فيما مضى من الفصول على نظرية العلية والمعلولية بما يقوضها من أساسها ، لتأدية القول
بها إلى الاعتقاد بعدم وجود الارادة والحكمة الالهيتين اللتين عليهما تأسس هذا النظام
الكوني العائقي .

وهناك شيئا من مناقشة الامام الغزالي لهذه النظرية . « ولهذا الثمن من الأدلة ثلاثة
الاول قولهم . يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا ، لا نأ إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه
العالم مثلا فاعلم لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكنا إمكانا صرفا ،
فاذا حدث بعد ذلك لم يتخل : بما أن يتجدد مرجح أولم يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح ، بقي العالم
على الامكان انصرف كما كان قبل ذلك ، وإن تجدد مرجح ، فن حدث ذلك المرجح ؟ ولم حدث
الآن ولم يحدث من قبل ؟ فالسؤال في حدوث المرجح قائم وبالجملة فاحوال القديم إذا كانت
متشبهة ، فاما أن لا يوجد عنه شيء قط ، وإما أن يوجد على الدوام ، فاما أن يتميز حال لترك

(١) انظر المسألة العاشرة من النقط نفسه .

من حال الشرع فهو محال . وتحقيقه أن يقال : لم لم يحدث العالم قبل حدوثه ؟ لا يمكن أن يحال على عجزه عن الأحداث ولا على استحالة الحدوث ، فإن ذلك يؤدي إلى أن يتقلب القديم من المعز إلى القدرة ، والعالم من الاستحالة إلى الاسكان ، وكلاهما محالان . ولا يمكن أن يقال : لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ، ولا يمكن أن يحال على فقد آفة ثم على وجودها ، بل أقرب ما يتجبل أن يقال : لم يرد وجوده قبل ذلك ، فبزم أن يقال : حصل على وجوده لأنه صار مريدا وجوده بعد أن لم يكن مريدا ، فيكون قبله حدثت الإرادة ، وحدوثها في ذاته محال ، لأنه ليس محل الحوادث ، وحدوثها في ذاته لا يجمله مريدا . ولنترك النظر في محل حدوثه البين ، فاعلم الاشكال في أصل حدوثه . وأنه من أين حدث ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث قبله ؟ أحدث الآن لا من جهة الله ؟ فإن جاز حدوث حدث من غير محدث ، فليكن العالم حادثا لا صانع له ، وإلا فأي فرق بين حادث وحادث ؟ وإن حدث بأحداث الله ، فلم حدث الآن ولم يحدث قبل ؟ أعدم آفة أو قدرة أو غرض أو طبيعة ؟ فلماذا تبدل ذلك بالوجود وحدث ؟ وماذا الاشكال بعينه ، أو لعدم الإرادة الأولى ويتسلسل إلى غير نهاية . فإذا قد تحقق بالقول المطلق أن صدور الحادث من القديم من غير تغيير أمر من القديم من قدرة أو آفة أو وقت أو غرض أو طبع ، محال ، وتقدير تغيير القديم محال ، لأن الكلام في ذلك التعبير الحادث كالكلام في غيره ، والكل محال . ومهما كان العالم موجودا واستحال حدوثه تمت قدمه لا محالة . فهذا أدخل أدلتهم .

« وبالجملة كلامهم في سائر مسائل الاهيات أنزل من كلامهم في هذه المسألة ، إذ يفقدون ها هنا على فنون من التخيل لا يتمكنون منه في غيرها ، ولذلك قدمنا هذه المسألة وقدمنا أقوى أدلتهم . والاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تكرر على من يقول : إن العالم حدث ، إرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر العدم إلى القاية التي استمر إليها ، وأن يبتدأ الوجود من حيث ابتدئ » . وأد الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة حدث لذلك . فما المنع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحال له ؟ فإن قيل : هذا محال بين الآلة ، لأن الحادث موجب وموجب وكما يستجبل حادث بغير سبب وموجب ، يستجبل أيضا وجود موجب فديم بشرائط إيجابه وأركانه ، وأسبابه حاصلة حتى لم يبق شيء منتظر أنسه ثم يتأخر عنه الموجب ، بل وجوده موجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضروري ، وتأخره محال حسب استحالة وجود الحادث الموجب ، فقبل وجود العالم كان المرید موجودا ، والإرادة موجودة ، ونسبها إلى المراد موجودة ، ولم يتجدد مريدا ، ولم تتجدد إرادة ، ولا تجدد للإرادة نسبة لم تكن قبل ، فإن كل ذلك تغيير ، فكيف تجدد المراد ، وما المنع من التجدد قبل ذلك وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق في شيء من الأشياء وأمر من الأمور وحال من الأحوال ونسبة من النسب ، بل الأمور كما كانت بعينها ، ثم لم يكن وجد المراد وبقيت هي بعينها كما كانت فوجد المراد ما هذا

إلا غاية الاحالة، وليس استحالة هذا الجنس في لموجب والموجب الضروري الذاتي، بل وفي العرضي والوضعي، فان الرجل لو تنفط بطلاق زوجته ولم تحصل الدينونة في الحال لم يتصور أن تحصل بعده، لانه جعل النطق علة للحكم بالوضع والاصطلاح لم يعقل تأخير المعلول إلا أن يدلى الطلاق لمحيء الغد أو بدخول الدار فلا يقع في الحال، ولكن يقع عند محيى الغد أو عند دخول الدار، فان جعله علة بالاضافة الى شيء منتظر، فلما لم يكن حاضرا في الوقت وهو الغد والدخول، توقف حصول الموجب على حضور ما ليس بمحاصر، فما حصل الموجب إلا وقد تجدد أمر وهو الدخول وحضور الغد لو أراد أن يؤخر الموجب عن النطق، غير منوط بحصول ما ليس بمحاصر، لم يعقل مع أنه الواضح وأنه المختار في تفصيل الوضع، فاذا لم يمكن وضع هذا بشهوتنا ولم نعلمه فكيف ندخله في الايجابيات الذاتية العقلية الضرورية؟

«وأما في العادات، فما يحصل نقصنا لا يتأخر عن القصد مع وجود القصد اليه إلا لما منع، فان لحقت القصد القدرة وارتفعت الموانع لم يعقل تأخر المقصود، وإنما يتصور ذلك في العزم لأن العزم غير كاف في وجود الفعل، بل العزم على الكسابة لا يقع الكسابة ما لم يتحدد قصد هو ايمانه في الانسان متجدد حال الفعل، فان كانت الارادة القديمة في حكم قصدنا الى الفعل، فلا يتصور تأخر لمقصود إلا لما منع، ولا يتصور تقدم القصد، فلا يعقل قصد في اليوم الى قيام في الغد إلا بطريق العزم. وإن كانت الارادة القديمة في حكم عزمنا، فليس ذلك كاف في وقوع لمزوم، بل لابد من تجديد نية قصدى عند الابتداء وقية قول بتغير القديم، مما يبين عن الاشكال في أن ذلك الانبعاث أو القصد أو الارادة أو ما شئت سمه لم يحدث الآن ولم يحدث قبل ذلك؟ فاما أن يبنى حادث بلا سبب أو يتسلسل الى غير نهاية، فرجع حاصل الكلام الى أنه وجد الموجب لتام شروطه ولم يبق أمر منتظر، ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد في مدة لا يرتقي اليوم الى أولها، بل آلاف سنين ولا ينعصر شيء منها، ثم انقلب الموجب موجودا بفترة من غير أمر تجديد وشرط تحقق، وهو محال في نفسه. والجواب أن يقال استحالة إرادة قديمة متعلقة باحداث شيء، أي شيء كان يعرفونه بضرورة العقل أو نظره. وعلى لفتكم في المنطق أن تعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط؟ فان ادعيتم حدا أوسط، وهو الطريق النظري فلا بد من إظهاره، وإن ادعيتم معرفة ذلك ضرورة، فكيف لم يشارككم في معرفته بمخالفكم؟

«والفرقة المعتقدة لحدوث العالم بإرادة قديمة لا يحصرها طرد ولا يحصرها عدد، ولا شك في أنهم لا يكارون القول عنادا مع المعرفة، فلا بد من إقامة برهان على شرط المنطق يدل على استحالة ذلك، إذ ليس في جميع ما ذكرتموه إلا الاستعداد المجرد والتسلك بعزمنا وإرادتنا، وهو فاسد، فلا تضاهي الارادة القديمة المقصود الحادثة. وأما الاستعداد المجرد فلا يكفي

من غير يرهان (١) الى أن يقول: «هم تنكرون على خصوصكم إذ قالوا: قدم العالم محال، لانه يؤدي الى إثبات دورات للعالم لا نهاية لأعدادها، ولا حصر لأحاديثها مع أن لها سدسا وربما وصفا، فإن فلك الشمس يدور في سنة، وفلك زحل في ثلاثين سنة، فتكون أدوار زحل ثلث عشر أدوار الشمس، وأدوار المشتري نصف سدس أدوار الشمس، فانه يدور في اثنتي عشرة سنة؛ ثم إنه كما لا نهاية لأعداد دورات زحل، لا نهاية لأعداد دورات الشمس مع أنه ثلث عشر، بل لا نهاية لأدوار فلك الكواكب الذي يدور في سنة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة، فلو قال قائل: هذا مما يعلم سنعاليته ضرورة، فبماذا تنفصلون عن قوله؟ بل لو قال قائل: أعداد هذه الدورات شفع أو وتر أو شفع ووتر جميعا، أو لا شفع ولا وتر. فإن قلتم: شفع ووتر جميعا أو لا شفع ولا وتر، فيعلم بطلانه ضرورة. وإن قلتم: شفع، فالشفع يصير وترا بواحد فكيف أعوز ما لا نهاية له واحد؟

وإن قلتم: وتر، فالوتر يصير بواحد شفعا، فكيف أعوزه ذلك الواحد الذي به يصير شفعا فيترك القول بأنه ليس بشفع ولا وتر. فإن قيل: إما يوصف بالشفع والوتر المتناهي، وإلا ينسأى لا يوصف به. قلنا: جملة مركبة من أحاديثها سدس وعشر كما سبق ثم لا يوصف بشفع ولا وتر يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر. فبماذا تنفصلون عن هذا؟ فإن قيل: محل الخلط في قولكم: إنه جملة مركبة من أحاديثها، فإن هذه الدورات ممدومة، أما الماسية فقد انقرض، وأما المستقبل فلم يوجد، وجملة إشارة الى موجودات حاصرة، ولا موجود هاهنا. قلنا: العدد ينقسم الى الشفع والوتر، ويستحيل أن يخرج منه سواء كان المحدود موجودا باقيا أو فانيا، فإذا فرضنا عددا من الأقواس لزمنا أن نعقد أنه لا يخلو من كونه شفعا أو وترا سواء قدرناها موجودة أو معدومة، فإن العدد سد الموجود لم تتغير هذه القضية». (٢)

هذه تموضع قيم من حيدل الامام الغزالي مع فلاسفة المسلمين الذين استهوتهم الفلاسفة الأخرقية فأذهلتهم عن كل شيء حتى عن المنطق والتحقيق هذا، وسنكتفي الآن بما أوردناه من مناقشة الامام الغزالي لهذه الآراء، وسنعود في الأعداد التالية الى تميم هذه البحوث معتمدين على أدلتنا الخاصة بعد أن استأنسنا بأدلة هذا الفكر الجليل، على القاء.

الكتور محمد غريب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) انظر سنن ٧ و ٨ من كتاب «نهج البلاغة» للغزالي.

(٢) انظر صفحة ٩ من الكتاب المذكور.

فيوضات النفس الناطقة

مضينا بالقارىء في شيء غير قليل من التحدث عن النفس الناطقة في أوضاع
 الفلاسفة المتقدمين منهم والمتأخرين في بحوث سابقة. والآن نحاول في شيء من التبسيط
 تنسج له المجلة أن نعرض لبعض البحوث التحليلية التي أجعلها الفلاسفة والمتكلمون
 في النفس الناطقة، فيما انعقد عليه إجماع المتقدمين من الفلاسفة أن النفس الناطقة
 هي كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة ما ندرك الكليات والمجردات وتنفعل الأفعال
 الفكرية وتستنبط ما تنجبه إليه بالرأى والرؤية. وقد اتفقت كلهم على أن النفس الانسانية
 بديهية الظهور والجلال، فلا يرتاب أحد في وجودها ولا في أنها مدركة، ضرورة أن كل
 إنسان لا يرقى الشك الى فرد من أفراد نوعه في أن له شيئاً يشير إليه (بأننا) وأنه
 مدرك لذاته. لكنهم بعد ذلك اختلفوا فيما هو ذلك الشيء اختلافاً عظيماً في تعريفه
 والكشف عنه بالفكر الذي حملوا منه قسطاً من الحجة والدليل وملازمة الواقع
 والاستهداء بهدى المشاهدات. ولختار على ما حققه الامام العبد وارتضته جبهة
 من المشتغلين بعلوم النفس الناطقة، ما عليه أهل التحقيق من أئمة علماء الكلام، وهو
 أنه جوهر مجرد ليس جسماً ولا جسمانياً، وهو متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف
 لا تعلق الجزء بالكل ولا تعلق الحال بالحال، وأنه حادث بأن يعد خراب البدن مدرك
 للكليات والجزئيات.

ثم إن في النفس الناطقة مذاهب شتى في تكييفها وحقيقة جوهرها وفي مدى
 تصرفها وفي الآثار الصادرة عنها، وقد تبلغ هذه المذاهب الثلاثين عدداً، غير أن المشهور
 منها ثلاثة عشر مذهباً.

ولأن الأخلاق في صدورنا عن النفس الناطقة وثيقة الاتصال بها وبآثارها فلا بد
 أن نتكلم ولو لماساً عن أهم المذاهب ليكون القارىء على بينة مما قيل في النفس الناطقة

التي هي مصدر الفضائل ومناط هذا المجتمع بما فيه من أنماط صالحة وغير صالحة :
ذهب جالينوس وعامة الأطباء ، وكثير من الفلاسفة في تعريف النفس الناطقة
الى أنها عبارة عن ثلاث قوى ، وتلك القوى هي مبادىء للأفعال (إحداها) الحيوانية التي لها
الحس والحركة الإرادية ، ومسكنها القلب ، على معنى أنه يوجد في القلب قوة تدبر أمر
الروح الذي هو مركب الحس والحركة ، وتقدم لقبوله إياها إذا حصل في الدماغ ، ونجمله
بحيث يخلم على ذلك العضو الذي ينشئ فيه الحياة ، فرياسة الدماغ موقوفة على الحواس
لظاهرة والباطنة لاشتراط صدور الحس والحركة عن القوة القائمة بالروح بكونه
حاصلا في الدماغ ، لا لأن تلك القوة قائمة بالدماغ . و (الثانية) هي النباتية التي هي مبدأ
للأفعال الطبيعية المغذية بالنفاس الى سائر الأعضاء ، وبواسطتها تحصل قوة للتغذي
في سائر الأعضاء ، ومسكنها الكبد .

و (الثالثة) في الدماغ وهي النفسانية ، فإن الدماغ إما بنفسه وإما بمحمة القلب مبدأ
للأفعال النفسانية بالنفاس الى سائر الأعضاء ، على معنى أنه مصدر لتلك الأفعال
بحيث لا تصدر إلا عنه ولا تنظم في سمته واحد وعلى سن واحد إلا بالقياس الى مبلغ
استمداده وقوة تهيئه .

وذهب بعض المحققين من علماء الكلام الى أنها الهيكل المحسوس والبنية المشاهدة
ذات الأثر الشاهد التي تصدر عنها المشاهدات الكونية الخاضعة لتأمر هذا الوجود .
وذهب بعض الفلاسفة الى أنها عبارة عن الأخطا التي يتولد عنها هذا البدن
والمعتدلة كما دكرنا ، ضرورة أن بقاءها بكيفياتها وكومها سبب لبقاء الحياة بالدوران .
وذهب بعض الأطباء من المتأخرين الى أنها الدم المعتدل ، إذ بكثرته واعتداله
تبقى الحياة ، وبقلته وعدم اعتداله تضعف الحياة . ويذهب الفيلسوف الكبير دوجانص
الى أنها اعتدال الزاج النوعي ، فتبقى الحياة ما بقي الاعتدال النوعي ، وتزول إذا زال ، وأنها
هي النفس المتردد النبعت من تلك البنية وذلك الزاج ، فبا تقطاعه تنقطع الحياة ، وببقائه
مترددا تبقى الحياة

ويذهب طاليس الملطي الى أنها عبارة عن عنصر الماء ، لأن الماء سبب النشوء والنمو ، والنفس من حيث إذكاء الفضائل أو إتمام الرذائل ومن حيث إفاضتها تلك الآسرة في الانسان قوة وضعفا وقلة وكثرة إنمائها تمد نماءها وقوتها وحياتها من الماء . لكن يأتي افلاطون وخس فيخالف صاحب هذا المذهب ، ويذهب الى أن النفس الناطقة هي النار ، لأن خاصية النار الإشراف والحركة ، وخاصية النفس الحركة والإدراك الذي هو إشراف .

ويرى بعض علماء النفس من المتقدمين أنها قوة في الدماغ تصعد إليه من القلب ويكون عنها بالروح ، وتكيف تلك القوة بالكيفية الصالحة لقبول الحس والحركة ، والحفظ والفكر والذكر ، بتغذي الأعصاب الى جميع البدن . ويتابع صاحب هذا المذهب العلامة ابن الراوندي فيذهب الى أنها جزء لا يتجزأ من القلب وليس جسما ولا جسمانيا منفصلا . ثم إن النظام نحائحو آخر في تعريف النفس الناطقة ، فذهب الى أنها أجسام لطيفة لذواتها مخالفة بالمهية للجسم الذي تتولد عنه الأعضاء ، وهي نورية علوية خفيفة حية لذواتها متحركة بأنفسها سارية في جواهر الأعضاء سريان الماء في الورد والذهن في السمس والنار في الفحم لا يتطرق إليها انحلال ولا تبديل ، إذ كل أحد يعلم أنه باق غير متبدل ، ولا يلزم من ذوبان البدن وتحلله ذوبان النفس وتحللها ، فادامت الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها وهي قوة الاحساس والحركة الإرادية ، بقيت في هذه الأعضاء وأداتها هذه الآثار ، وبقاؤها فيها هو حياتها ، وإذا فسدت هذه الأعضاء وخرجت عن قبول هذه الآثار انفصلت عنها ، وانفصلها عنها هو موتها وفسادها . وجلي أن هذا المذهب فيه كثير من التعسف ، ولذلك وردت عليه تعقيبات لا تسمع لها هذا البحث . أما بيان الصحيح من تلك المذاهب وغيره فوعده سوانح مقبلة .

تاريخ الادب العربي

في العصر الأموي^(١)

استقرت السادة الدبشة التي شهدها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحكم بناءها ، وحافظ عليها رجال الاسلام الاولون من العلماء الراسخين ، وأحاطوها بسياج منيع من الحكمة والمعدل في أول عهد الاسلام ، فلم يتمرب اليها الضعف ولم تقو على مقابليها الامور الدينية ، ولكنها ما لبثت بعد ذلك أن أفسحت مجالا للتطور الطبيعي الذي كانت تمنحه تغيرات الزمان وتقلبات الحوادث ، خصوصا أن رجالا مثل عمر وأبي بكر يندرون أن يجود التاريخ بأمنائها .

تغلبت المواقف البشرية على الغلفاء من بعدهم ، فهدت الطريق الطبيعي للسيادة الدينية التي بدأت آثارها تظهر شيئا فشيئا في مرافق الحياة العامة ومظاهر الحكم ، فعادت أصنام فريش ورجالها الى الظهور بعد ازوائهم الطويل وزوال سلطنتهم على العرب ، فاكتمبوا بعض السلطة في خلافة عثمان ، وحكموا بعض الولايات ، وأخذت سطوتهم في ازدياد ، وحكمهم في اتساع ، الى أن تمكن معاوية الأموي من الفوز في أمر الخلافة على المسلمين ضد مزاحمه على بن أبي طالب ابن م النبي (صلى الله عليه وسلم) وتمت له السيادة المطلقة على جميع المسلمين . ولم يلبس خلفاء الأسرة الاموية أن الفضل في انتصارهم لا يرجع الى الاسلام ، وإنما الى مقاومتهم للتنازع المباشرة المترتبة عليه ، ولذلك فانا نجد رجال الدين من أهل المدينة كانوا دائما يعتبرون سيادة الامويين ملكا وليست خلافة بالمعنى الاسلامي الصحيح .

لم يحاول الأمويون أن يعمبوا بالحياة العربية في لبدو ، فانا نجد أن الممارعات في صحراء الشام في عصر عبد الملك ، وهو أقوى خلفاء بني أمية ، كما نعلم أنه لم يفتش حكومات نظامية إلا في البلاد ذات الحضارة القديمة مثل بابل والشام ، وذلك لأنه رأى أن الحرية وعدم التقيد وهما الغصلتان اللتان طبع عليهما العرب منذ القدم ، تصبجان خطرا مهددا لكيان أسرته لو أنهما التقيا بوسائل القوة للكلمنة التي امتازت بها تلك البلاد المتحصرة ، وبقيت كذلك الأحوال القديمة في بلاد العرب الاصلية على حالها فلم يدخلها تغيير بعد أن كسرت شوكة الداعين الى الاستقلال من رجال الدين من أهل الحجاز .

ولما كان تطور الحركة الفكرية يتفرج مع الحياة السياسية ، فقد بقيت الحياة الادبية

(١) مترجمة من الالمانية نثلا عن كتاب (تاريخ الادب العربي) للمسنوق الالماني الكبير الاستاذ

الدكتور « بروكلمان »

على وتيرتها القديمة ، ولم يكن للإسلام أثر كبير على فنون الشعر ، وقلما امتدح أحد من الأبطال بالمصائل الخلقية التي عرفت عن طريق الدين الجديد ، وبقي كذلك الشعر على شكله القديم فلم يدخله تغيير ، كما بقيت العوامل الشعرية محدودة بمائل التقليد ، إلا فيما يختص بأبواب الدل ، فقد ظهر فيه من الشعراء ما جعله يحيا حياة مستقلة في هذا العصر بعد أن كان لا يعرف منه إلا ما افتتحت به القصائد القديمة .

وكانت بلاد العرب الأصلية مهد أشعار الغزل وموطن رعايتها ، ويرجع السبب في ذلك الى أن الغزوات الإسلامية الكبيرة كانت تغري الرجال من ذوى الهضم العالية والنشاط الكبير الى خوض غمارها ، كما كانت تستهويهم قواعد الحكم ومراكز السلطة في الشام حيث يجدون في الحياة السياحية غذاء كافيا لمطامعهم الكبيرة ، فافترت منهم بلاد العرب موطنهم الأصلي القديم ، ولم يبق لها إلا من كان يستعذب ملاذ الحياة ، خصوصا في مركزى الاسلام مكة والمدينة ، حيث لم يوجد بها إلا هاة السنة الإسلامية القديمة من رجال الدين والى جانبهم عدد كبير من الشباب المستهترين . وكانت الحياة بمكة مدهاة قسيلية بسبب وفود الحجاج والحاجات اليها من جميع أنحاء الممالك الإسلامية ، ولا زالت هذه المدينة حتى الآن تزرق من زيارة الاجانب بانحس وسائل الترفيع ، ولم تقل المدينة عنها استعدادا لملاذ الحياة ، ويستدل على ذلك من الترفقة التي أحدها هناك عند الحكم بن عمر الجحى للعب والقراءة .

وظهر شعراء الغزل في هذا العصر هو عمر بن أبي ربيعة من قبيلة مخزوم المكية ، وقد ولد حوالي عام ٢٣ هـ وكانت أمه إحدى الامرى الخيريين اتخذها أبوه عبد الله مربية له عند ما ولاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحكم على ولاية في جنوب بلاد العرب ، ولم يكن ميلاده هذا مائبا عليه حيث عند الرأى لاسلامى ، ولذلك فأنما يجد أنه كان يعيش عيشة الوارث النقى منذ أول أمره ، وكان يعيش منذ شبابه بمكة ، ولما لم يكن له مطامع سياسية ، وكان يعيش على ثروة أبيه ، فانه لم يجد سما يجمله يتراف الى الخلفاء ، بل إنه لم يكن في وقت من الاوقات محبوبا عندهم ، لأنه كثيرا ما كان يشجب بأبيات بنى أمية بأشعاره المنتشرة انتشارا واسما دون أن يخشى في ذلك لائمة ، لشعوره بأهين لا يعلو عنه مرتبة .

وكان أخوه يخشى عليه من تورطه في مقاصراته ، فزاد له من النصح ، ولكنه تمادى فيها فكانت مدعاة لأشعاره الغنائية ، وبقي كذلك على نشاطه وحبه للغزل وحياة المشق حتى سنه المتقدم ، الى أن جاء الى منعة الحكم عمر بن عبد العزيز ، وهو ربيب رجال الدين الثقات من أهل المدينة ، فأراد أن يعيد الى السيادة الدينية سطوتها في الحياة السياسية ، فأوقف عمر بن أبي ربيعة عند حدود الدين ، واستدعاه مع الاحوص الى دمشق وحملهما بقمحان ألا يعودا الى ما كانا عليه من الحياة الماجنة ، ولكنه لم يدم على هذه الحال طويلا إذ وافقه المنية بعد ذلك بقليل حوالي سنة ١٠١ هـ

امتازت أشعار عمر بن أبي ربيعة بأنها كانت وليدة مقاماته الشخصية ، فانشدها عن هوى دفين وغرام لحوج ، ولو أن دائرة الموامل الشعرية لم تتسع كثيرا بواسطته مما كانت عليه في الشعر القديم ، إلا أنه عرف كيف يقتطف ثمارا يالسة من هذا الحقل المغروس ، وكانت عبارته في منتهى الرشاقة مسجحة في أحلى المظاهر مع رقيق الشعور ، فلهجج أن نرى أن أشعاره كانت غذاء شهييا للاغاني الشعبية التي كانت قد وصلت في هذا العصر الى أعلى درجاتها بفضل ما أدخل عليها من الحضارة الاغريقية والمارسية .

ولم يكن عمر بن أبي ربيعة الوحيد في هذه الناحية من فنون الشعر ، فأننا نعرف من قومه الحارث بن خالد الذي كان حاكما على مكة في عصر عبد الملك ، والاموي عبد الله بن عمر العرجي ممن جروا على وتيرته في هذا المضمار .

وأما في المدينة فمكان فن القصائد الغزلية ممثلا في الاحوص عبد الله بن محمد الانصاري ، إلا أن هذا الضرب من الشعر لم يجد رواجا في مهد الاسلام ومقل الدين ، فلم ينجح الاحوص بسببه من المتاعب والتألمات مع ولاية الامور ، فعاقبه كل من الوليد وسليمان بن عبد الملك بالسجن ، واستدماه عمر بن عبد العزيز الى دمشق مع عمر بن أبي ربيعة ، ثم نفي الى جهة ثانية على البحر الاحمر الى أن صنف عنه الخليفة يزيد الثاني ، فحاش بدمشق حتى وفاته حوالي عام ١١٠ هـ .

لم يكن فن الانشودة الغرامية بأي حال من الاحوال ونقا على الطبقات الثرية ، بل إنه كان الى حد بعيد أيضا من الفنون الشعبية التي بقيت آثارها حتى الآن ماثلة في عدد كبير من القصائد القصيرة تتفق في لونها ومعناها مع روح أغاني الغزل الشعبية ، بالرغم من صياغتها في عبارة قديمة أعلى من لغة العامة ، كالتي نخدها بين قصص ألف ليلة وليلة ، أو كالتي يفشدها العامة حتى الآن في بللاد العربية بالفرق . وكان العرب يمزون اجتهدا هذه القصائد الى بعض الشعراء الذين عرفوا بأشعارهم الغرامية ، حريا على عاداتهم القديمة من إيجاد نسبة لسكل شيء ، ليمورم من كل ما ليس له أصل يرجع إليه ، وكانت أهم الشخصيات التاريخية المعروفة التي ألصقت بها أغلب هذه الأشعار ثلاثة الأول قيس بن ذريح المتوفى سنة ٦٨ هجرية من قبيلة بكر بن عبد مناة وهو أخو الحسين سبط النبي (صلى الله عليه وسلم) من الرضاغة ، والثاني جميل بن عبد الله من قبيلة عذرة بجنوب بلاد العرب المتوفى حوالي عام ٨٢ هـ .

والثالث قيس بن الملوح (مجنون بن عامر) المتوفى حوالي عام ٧٠ هـ ولو أن الآخرين لم تلت بشكل حاسم شخصياتهما التاريخية ، ففسبوا الى الاول كل القصائد حيث تشدد لبي ، والثاني حيث تشدد بثينة ، والثالث حيث تشدد ليلي ، وقد انتشرت هذه القصائد انتشارا كبيرا خصوصا ما نسب الى الاخير منهم ، فأنها وجدت رواجا عظيما ، وتقلت الى الادب الفارسي ، ولقيت شخصيته مجالا واسعا في القصص حتى العصور المتأخرة .

واشتهر كذلك في هذا الميدان راوية جميل ، ويدعى كثير من قبيلة خزاعة بن ربيعة في جنوب بلاد العرب ، فأثمد قصائد الغزل في عزة من قبيلة ضيرة ، ولكنه عرف كيف يضع قنه في خدمة مبادئه الدينية السياسية ، وكان يتمتع فرقة الكيسانية من الشيعة ، وكان يعتقد بتناسخ الارواح ، فكان بسبب ذلك معاديا للحكومة الامرية ، إلا أنه لم يبخل عليهم بقصائد مديحه التي قرنته من دار الخلافة بدمشق ، وتوفي كثير عام ١٠٥ هـ وامتازت أشعاره برجولتها عن أشعار مواطنيه مما جعلته يسمر الى مرتبة معاصريه من شعراء الشام والمراق

وأما النثر العربي فكان قد اتخذ صياغته منذ العصور الجاهلية الأولى ، إلا أنه بالرغم من ذلك كان في العصر الأموي موضع عناية بعض الأدباء الذين يرجع اليهم الفضل في إعداده للتطور العظيم الذي صادفه بعد ذلك عند العباسيين

وكان أول الأدباء اهتماما بصياغة العبارة الانشائية عبد الحميد الاصغر المتوفى بمصر عام ١٣٧ هـ ولا زالت بعض مؤلفاته في الانشاء باقية تلاك ، ومن بعده أصبح هذا الفن مصجارا يتنافس فيه رجال النثر الى أن وصل الى أعلى مراتب السكال .

وأما المؤلفات التاريخية فأنها بدأت ببحث القمص الدقية ، وعلى الاخص التي جاء ذكرها في القرآن أو التي ذاعت على ألسنة أهالي جنوب بلاد العرب ، وأشهر من عرف من الأدباء في هذا الميدان مبيد بن شريه ووهب بن منبه ، ولو أنه لم يصلنا من مؤلفاتهما شيء مستقل ، بل كان أغلب ما عرف عنهما ما ظهر أثره في المؤلفات المتأخرة ، وكانت بداية هذه الابحاث التاريخية عبارة عن رسائل مقصورة على أحد الأشخاص أو إحدى الحوادث ، واشتهر في هذا المضمار الادبي أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي الذي ذاع صيته بعد ذلك الى أن صار المؤرخون يستشهدون باسمه تصديقا لرواياتهم

وكانت بداية جمع الأحاديث النبوية كذلك في العصر الأموي . ولا زالت بعض المجهودات الادبية باقية حتى الآن . وأشهرها ما جمعه أسد بن موسى بن ابراهيم الملقب أسد السنة ، ولو أنه قصر مجهوده على الاحاديث الخاصة بيوم القيامة وبمذهب الجحيم .

وأما دراسات العلوم الطبيعية وعلى الاخص الفلك والطب وكيمياء الذهب فأخذها العرب عن المصادر الاغريقية ، ويرجع أغلب الفضل في ذلك الى أحد أمراء الامويين خالد بن يزيد المتوفى سنة ٨٥ هـ ، فعالم هذه الموضوعات في عدة رسائل ثرية ومنظومة

« يتبع »

حياة أبي الطيب المتنبي

دينه - أخلاقه - تنبؤه - منازعاته مع النحاة

كلمة فضيلة مندوب الأزهر في المهرجان الذي أقيم لأحياء ذكره في دمشق

في ٥ أغسطس إلى ١٢ منه سنة ١٩٣٦

نحية

أيها السادة : أحبيكم أطيب نحية ، وابلغكم ما أرسلت به من نحيات لأزهريين كافة
أساتذة وطلابا ، وفي طلبهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الإسلام والمسلمين
وزعيم المسلمين وقائد النهضة المباركة في هذا العصر ، المنصر بإفقه تعالى الشيخ محمد بن
مصطفى المراغي .

موضوعات هذا البحث :

وبعد : فلقد فكرت طويلا فيما عسى أن يكون موضوع كلتي التي أنشرف بالقاء بين
بديكم من مساحي المتنبي ، وعرضت مسائل البحث على خاطري ، فكنت كلما فكرت في أمر
وجدت له ما يبرر التوجه إليه ، ووجدت مع ذلك من الشبهات ما يذودني عنه ويقطعني عن
الاسترسال فيه ، ولكنني استنطعت في آخر الأمر أن أقنع نفسي بأنني وافد الأزهر اليكم ، وبأن
الأزهر هو المعهد الذي يقوم على حراسة الدين : أصوله وفروعه ، وعلى حياطة العربية وآدابها ،
وبأن بحث من يمثل الأزهر يجب أن يكون متملا بما يؤديه الأزهر للعالم من أمانة ،
وما يضطلع به من لآعباء ، فاستقام عندي بعد هذه المقدمات أن يدور بحثي حول : دين المتنبي
وأخلاقه ، وتنبيهه ، وموقفه من النحاة ، وما كادت انتهى من ذلك الأمر وأخلص
من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لي أمر آخر ألقىته له بالي كله ، وذلك الأمر هو المقصود
بهذا المهرجان : أهو تفريظ المتنبي والثناء عليه ، إما باطرائه وكيل المديح له إن حقا وإن باطلا ،
وإما بالآارة الجليل من أخباره وشعره والأعراض مما عسى أن يفض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي
من جميع وجوهه لوجه الحق من غير لغت ولا تحيز ؟ ولم ازل أفكر وأقدر للامر حتى أيقنت
أن هذا الحفل الذي يجمع أقطاب الادباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوى عنده الأسماء ،
فإن فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه ، وأنى إنسان يستطيع أن يفنى الفرق بين حفل
يجمع لشكرهم رحل وبين حفل يجتمع فيه صقوة الادباء لدراسة رجل من رجال الادب كان له
أضياع وأعداء ، وكان أضياعه ينشرون محادحه ويذيمون فضائله ويتناولون له ، وكان أعداؤه

يعلاون الأرض حوله مجيئاً ويرمونه بكل نقائص الانسانية ، وهم لا يتورعون من الكذب فيما يحدثون به من أبحار ؛ أليس من أدل ما يلزم الباحثين أن يعرضوا معادلات أعدائه وشيعته جميعاً على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا نتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير غير مباليين أن تكون هذه النتيجة مما يتمدح به أو مما يمدد الناس نقماً ؟ فإن أنا عرضت عليكم شيئاً من هذا ، فهذه سمذرتي وهذا رأي ، وليس لي أن أكون قد أبمدت أو بانبئت الصواب فيما ذهب إليه .

دين المتنبي :

أيها السادة : لقد منى أبو الطيب بصنفين من الناس كان لكل واحد منهما من الأثر في حياته وفي أخباره التي تنوارثها إلى اليوم أقبح الأثر ، ولولاها لماش الرجل عيشة هادئة ، ولولاها لكات صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التي تقرأها اليوم ، ولولاها لما وجد الباحث عنه هذا القموض وهذا التناقض الدين يما بينهما الآن ؛ أما أحدهما لجماعة من ذوي المسكنة بين الناس وأصحاب الحياء ، خافوه على أنفسهم ورهبوا أن تغند مطامعهم إلى مكائدهم وجاههم ، أو طمسوا منه في أن يتسلطهم ويراثيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والأمراء فلم يباوا ذلك منه ، أو دعمت أبا الطيب نوازع قسمة فمال من أعراضهم ؛ فكانوا لأحد هذه الأسباب أو لها كلها مجتمعة يحنقون عليه ويفضون من شانه ، وكانوا مع ذلك يؤلون عليه الشعراء والسلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعره ، وكان أبو الطيب يخشاهم ويرهب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه خشب ، وإنما خشيتهم على بعض أصدقائه ومن يتفق عليه ؛ فقد حدث أبو إسحاق الصائبي قال : « راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمة آلاف درهم ، ووسلت بيني وبينه رجلاً من وحوه التجار ؛ فقال : قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب على في هذه البلاد أحد من الحن ما أوجب ، وإن أأمدحك تكبر لك الوزير (يعنى أبا محمد الميموني) وتغير عليك ؛ لاني لم أمدحه ؛ فإن كنت لا تبالي هذه الحال فإنما أجيبك إلى ما ألتقت ، وما أريد منك مالا ولا عن شعري عوضاً . تنذبت على موضع القلط ، وعلمت أنه نصح ، فلم أأأوده » اه . وأما الصنف الآخر لجماعة ممن كانوا يأملون أن تكون لهم المنزلة التي أدركها من المخلوة عند الملوك وحرص كل واحد منهم على أن يكون أبو الطيب من بطاقته وتماقهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤملون هذه الامنية أكل الحقد عليه قلوبهم واشتملت جدوة الحسد بين جوانحهم ، فتنفخوا في القول عليه والدس له ، ونشروا عنه من المقامح ما لم يكن يعلم من أمر أكثره شيئاً ، ولم يكتفوا بأن يعملوا على إفساده من الملوك الذين كان التقرب إليهم منتهى آمالهم ، بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاءوه

من ناحية الدين ؛ ثقة منهم أن للدين في نظرجهرة الناس وعامتهم المنزلة الاولى ، فاذا أتى الرجل من جهته فقد سقط ، وإن بقي له كل شيء .

رموه بأنه كان رقيق الدين تاركاً لأركان الإسلام ، ورموه بأنه كان يستخف بالأنبياء ويستنصر شأنهم ، ورموه بأنه ذهب في الفلسفة مذهبا بعيدا عما يعتقده المسلمون ، وقد سوا حين رموا أبا الطيب بذلك كله أن دين الإسلام شديد الصرامة في حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتقه أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لأرضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل .

ولسنا حين نتشكك في أخبار هؤلاء الناس أو نتكر استنتاجهم ندعى لأبي الطيب أنه كان رجلا صالحا ورعا يقوم الليل ويصوم النهار ويطلق العبادة وقراءة القرآن ، ولكننا نعمل ذلك لنتقرر أن حياة أبي الطيب قد أساطها أمدؤه بكثير من النصوص ، وأساطها مع هذا النصوص بكثير من الأكاذيب والمفتريات ، كان من شأنها أن تربك حياته سلسلة من المتناقضات .

حكى على بن حمزة البصري قال ، « بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة ، وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن » . وهذا خبر لم يذكر قائله معه وحيا يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان في الدنيا أن ينفي عن آخر فصل شيء حتى يزعم أنه زومه طول حياته فلم يفارقه ، وأنه ما رآه بفعله قط ؟ ثم إن أمر الصوم في حديث علي بن حمزة أمون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام في شهر رمضان في حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التي وطئها فدعا أبي الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أو يشرب نهارا ، يستطيع أن يدعى هذا كله وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبي الطيب حلة ذميمة وهي أنه ما صام ، ولكن أتى له أن يدعى ذلك ! غاما أمر الصلاة وقراءة القرآن فنحن نسأله : أكان قد لزم أبا الطيب في معناه ومراحه ومتيقظه ومسامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صام ؟ وشيء آخر : ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهي أنه ما كذب ، فهل سألته عن صلاته وقراءته القرآن لحديثه وصدقه الحديث أنه ما صام ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن علي بن حمزة البصري رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما روى به أمثاله أمثال أبي الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبي الطيب إلى اليوم ، يريد بذلك أن يرضى خصوم أبي الطيب أو يشبع شهوة الانتقام منه ، وأراد أن يرمى على الناس ويحملهم على تصديقه فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة ، وهذه الصارة فيما نعلم من أمر الناس إحدى الدلائل على اختلاق الحديث . هذا وقد ذكر أبو الملاء في شأن صلاة أبي الطيب قل : « وحدثت أن أبا الطيب

أيام كان إقطاعه بصف (١) رأى يصلي بموضع بحيرة النعمان يقال له كنيسة الاغراب ، وأنه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأنت القصر له جائز ، فهل يمكن أن يكون خبر على بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فاما تناول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحسن من شأنه الآن ، وقراءة القرآن التي زعم على بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، أي الناس من يعقل أن رجلا شاع على حفظ اللغة واستظهار فريدها وانتقل في البوادي ليتلقطها من فواه الاعراب يحمد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر فوق أنه كتاب هداية وخلق وآدب ثم لا يقرؤه ليناسي به ويتقبل أساليبه ويتخذ من اطراد منطقته وإحكام الحجج فيه منهجا لنفسه ؟ ونحن نذكر على بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها كاهورا :

كان كل سؤال في مسامحة قيس يوسف في أجفان يعقوب
وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أمهل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انفق حتى جاز فيه موسى

فاما ما ذكروه من استخفافه بالا بياء واستصغاره شأنهم وعدم مبالاته بأصول العقيدة فقد رأينا في جملة من كلام أبي الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكروه هون من أن يؤبه له ، كقولهم :

ما مقامى بارض نحلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وكقولهم :

أنا في أمة تداركها الله غريب كخال في ثمود

وأى شيء في أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شيء في أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه اغتراب صالح عليه السلام إذ كان يعيش في وسط لا يرون رأيه ؟ وبعض ما أخذوه عليه نجد له عملا في الكلام لو أنت حملته عليه لم يكن به بأس ، وذلك كقولهم في قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التتويحي :

فاتر زق الأقدار من أنت حارم وما محرم الأقدار من أنت راق

فانه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن إسحاق رجل موفق إلى السداد وإصابة

(١) قال ياقوت ، « صف : شعبة بالمرأة كانت إقطاعا لشئ من سيف الدولة ، ومنها هرب إلى دمشق

ومنها إلى مصر »

لمقادير، فهي تجري داعما موافقة لما اهتدى اليه ، ولا شيء في ذلك فيما نطن ، واما بقية ما أخذوه عليه فداخل في باب المبالغة التي تجري على ألسنة الشعراء وهي لم تخلط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة في شعره ، فنحن نأخذها عليه من الناحية الادبية ولا نستدل بها على فساد عقيدته ، فمن ذلك قوله في مدح محمد بن ذريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عذبت فصار العالمون مجوسا
ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها في صباه :

عمرك الله هل رايت يدورا طلعت في برافع وعقود
راميات باسمهم ريشها المد ب تفتح القلوب قبل الجلود
يتشغن من في رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اهتمر الناس عن قوله : « هن فيه أحلى من التوحيد » بوجهه : أخذها قاله ابن حنبل وملخصه إنكار هذه الرواية ، والرواية عنده « هن فيه حلاوة التوحيد » وقد سري الى ابن جني داء لنحاة في تحريف الشواهد وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثاني تفسير التوحيد بأنه تمر من نمار العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبري ، وملخصه أنه ليس المراد تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها من حلاوته ، لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ، وذالك لوجهان من باب التجللات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد . ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبدته كالموحد الله
وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كانت عليك بالاله مقما في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لملك فيهم ما أنزل القرآن والنسوة والانجيل

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعيب عليه أنه قد أسلس العنان لهكره حتى جال في هذا الميدان ، فلا بدع ان يحتل من شباره وتصبية إحدى فذاقته

فاما ما اتهموه به من الذهاب في فلسفته مذهبا لا يقره الاسلام فاني أبادر بانكار ذلك عليهم ، وأعرض عليكم شيئا مما ذكروه لتبينوا بأنفسكم أنهم لم يكونوا منصفين حين نسبوه الى ما نسبوه اليه ، زعموا أنه أسكر المهاد لقوله :

تمتع من سهاد أورداد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان ذلك الحاليل معنى سوى معنى انتباهك والنام

وأى دليل فى هذا الكلام على إنكار المعاد ؟ وأى شىء فى أن تقول : إن نفوت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو معنى النوم واليقظة ، أو أن حال الإنسان فيه كحالهما ؟ وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره فأما يقطات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يفقه شيئا بعده إذا اشتراكا فى أمر من الأمور . ونحن ما زال نسمع الناس يقولون : إن نوم فلان ويقظته سواء ، إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجهد الراحة فى نومه كما لا يجدها فى يقظته ، وما زال نسمعهم يشبهون الموحود بالمعدوم ، والمير بالمظلم ، وهكذا مما يجرى على الالسة من غير أن يلتفت أحد إلى هذا الذى رموه . ونسوه إلى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله فى قصيدة رثى فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب ، والخلف فى الشجب
فقل : تخلف نفس المرء سائلة وقيل : تفرك جسم المرء فى المطب

وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه ، بل أنا أصارحكم — ولا ضير على فى ذلك — باننى لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ، ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه ، على أنه إذا صبح أن يكفر رجل بهذا الكلام وجب أن نحكم على علماء المسلمين طاعة بالكفر ، ونحكم بذلك بآدى الأمر على المشتغين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ؛ ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاه أبو الطيب فى هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه ، لأنهم يذكرون مع ما يمكنه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم فى صورة الأدلة . يجب عند حصول أبى الطيب أن يكون علماء المسلمين كما راوإن لم يمتدوا ما يمكنه من آراء ، وإن كان عندهم من الأدلة على بطلانها ما لا يدخل فى حساب أحد . وفى الحق أن أعداء أبى الطيب لم يكونوا موقفين فيها رموه به ، وأن أبى الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق فى كل ما جرى على لسانه .

ومما يتصل بالكلام على دين أبى الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا فى القليل البادر ، فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجد فى شعره شيئا من الجورن إلا أن يهجو فيقتنع فى هجائه ، وما لأبى الطيب والخمر وهى إنما يشربها الفؤاة وذو السلطة ومن لا مطمع لهم فى الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل الذى يفكر فى المجد ، ويأمل أن يصل إلى فروته فليس ممن يفكرون فى الخمر . حدثوا أن صديقا لأبى الطيب كنيته أبو ضبب سأل يوما أن يشرب معه فأجابه بقوله :

أله من المدام اغندريس واحل من معاطاة السكّوس
معاطاة المتاع والمـوالى وإنعاهى نجسا فى غيـس
فـوئى فى الوغى اربى لآنى ولت الموت فى أرب النفوس
ولو سقينا يـدى مكرم أـمر به لكان أبـا ضبيس
وهو ينادم إخوانه إذا شربوا الخـر فيشرب كأسا من الماء ، فقد قال له بعض بني كلاب :
أشرب هذه الكأس مرووا بك ، فأجاب بقره .

إذا ما شربت الخـر صرنا مهنا شربنا الذى من مثله شرب الكرم
ألا حبنا قوم نداما هم القنا يتقونها ربا وساقينهم المـزم
ومد إنسان له يده بكأس من الخـر وحلف بالطلاق ليشربها ، فقال :
وأخ لنا بعث الطلاق ألية لأعلن بهذه الخـرطوم
لجملت ردى عرسه كفارة من شرها وشربت غير أئيم
وهذه إحدى المرات التى شرب فيها الخـر ، ولم يصح حكم الشريعة فى قوله « وشربت
غير أئيم » ولكنها إحدى نظرات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل على أن امتناعه عن الشرب
فى غير هذه المرة لخافة الإثم .

أخلاق أبي الطيب :

سنتكلم فى هذه المعاملة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر فى حياة أبي الطيب وأخباره
وشعره ، وهى : لشجاعة ، والكبر ، والبخل ، والاندور . فأما شجاعته فعلى أظهر من أن
تلتص لها الشواهد ، فهو شجاع يحسن شوقا الى لقاء العدا ، ويستصغر المخاطر فى هذه السبيل ،
ويستبين بما يكابد فيه من أهوال ، ولقد كان مسوقا الى اقتحام الردى ، تدفعه اليه نفسه
المنوثة الطامحة ، وتفريه به آماله الجسام التى يحصر على إدراكها الحرص كله ، والتى يعتقد
أن الوسيلة اليها هى التضحية وبذل النفس ، وقد كانت فيه مع ذلك عجة نضبه الرعونة نبتت فيه
من تلهمه على بلوغ الغاية التى يصبو اليها ، حتى كان يخشى أن يهمل اليه الموت قبل بلوغها ،
انظر اليه وهو يحدثك عن المجد الذى يتطلع اليه ، ويشير الى أن الحياة أضيق من أن تتسع
لانتظاره :

ذر النفس تأخذ وصعها قبل بينها ففترق جاران دارها العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والصكة البكر
وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والمسكر المجر
وتركك فى الدنيا دوبا كأنما تداول مع المرء أعماله العشر

ثم انظر اليه وهو يتحدث عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد، ويحضك على الاتبات بما تلقاه في حياتك من الشدائد والحن :

أريد من رمي ذا ألف يبلغني ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكثرت مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك القاتل الحزن

ثم انظر اليه وهو يذكرك على أن هناءة العيش وسعته وطيب حياة وساؤ ما في الدنيا من مناع أمور لا تدرك إلا بحمد السيف

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك أحرار الموت في مدرج الخيل
وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته حتى في المواضع التي لا يحسن فيها الفخر
ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه في أثناء المديح والثناء ، استمع اليه وهو يقول لسكافور :

فأرم في حينما أردت ظني أسعد القلب ادنى الرواء
وفؤادي من المسوك وإن كا ن لساني يرى من الشعراء

وهو مفتون بذلك منذ صباه ، ولا عجب في ذلك فإن كثيرا من الناس تولد معهم الآمال في طرارة السن وميعة الشباب . وعصر أبي الطيب الصباح المملء بمجوادث الانقلاب حليق بأن يثير في نفسه لواعج الآمال . قيل له وهو صبي : ما أحسن وفرتك فأجاب

لا تحسن الوفرة حتى ترى منقورة الصغرين يوم القتال
على فسي معقل صاعدة يعلها من ككل وافي السبال

فأما الكبير فقد كان أبو الطيب متكبرا تباها صلقا ، يرى أن لا أحد مثله ، وأن أعلم أهل زمانه قدم وأحرمهم وغد ، وأن كل ما خلق وما لم يخلق حقيقير إلى جانب عظمتة كشمرة في منفرقة . ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح اوزير المهلبى والمصاحب بن عباد ، وحدثنه نفسه أن يثابي على عضد الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب اليه وأغراه بما سيناله لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع ؛ ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوريو والمصاحب ، وعداوة أشبايعهما من الشعراء والكتتاب والعلماء ، فأما الوريو فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه ويثانون من مرضه ويثانون في هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني ، يعقبونه ويشهرون به ، وأما المصاحب فلم يسكتة عنه عمنه بحاسنة وكثرة ما كان ينتفع بمعانيه ، بل أخذ يتلبع هفواته ، ويمد عليه سقطاته ، ويغرى به المترددن عليه الطامعين في عطاياه ، وما أكثر هؤلاء .

ونحب أن ندل هنا على أمرين : لأول : أن آثار كبر أبي الطيب ورفعه لم تظهر جبلة واضحة

إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شأنه ؛ فأتت تراه قبل ذلك بمدح قوما لا ناهة لهم ولا ذكر ، وتراه بمدح على أئمة العظام ، وقد نذبه إلى ذلك أبو منصور الثعالبي ، فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف الدولة بمدح القريب والغريب ، ويمطاد ما بين الكركي والصدلي » اه . وأبو الطيب معذور في ذلك ؛ فان سيف الدولة قد غمره بعطايا حتى دوت له أخلاف الدنيا ، ولقي في جواره من الكرامة ما شحا حاسديه ؛ فكان حليقا أن يقول فيه :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي سمك عسجد
وقبعت نفسي في هواك عسمة ومن وحد الاحسان قيذا تنيدا

الامر الثاني - أنه قد احتلظ على بعض الناس كثير من مواقف أبي الطيب فاعتبروها كبرا أو تكبرا ، وليست هي من الكبر في شيء ، وإنما هي عزة النفس والاحتفاظ بالكرامة ؛ وتقدير للمرء نفسه وإكرامه إياها من الكبر بالمكان الثاني البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من الكبر إنشاد أبي الطيب سيف الدولة وهو جالس واضطراره عليه ألا يقبل الأرض بين يديه ؛ إلا أن يكون ممن تحتلظ الاخلاق في أنظارهم فيرونها بغير المظار الذي يراها به الناس ، وصيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين أنشد كافورا وهو واقف ؟ والجواب على ذلك أن ننبهك الى أنه فارق سيف الدولة حانقا متبرما ؛ فعمل وقوفه بين يدي كافور وهو من اعداء سيف الدولة لينير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور ليسال منه الذي وعد عليه من أجله ، على أنه - وإن كان قد ترك معه ما حرت به مادته مع سيف الدولة - قد اتخذ لمزته لونا آخر ؛ فقد كان يقف بين يديه وفي رجليه حقان وفي وسطه سيفه ومنطقته .

فأما البخل فقد رماه الناس به ، وحكوا في ذلك عنه أنه أحضر مالا من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في الكيس ، وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت الحصير ؛ فأكب عليها ينقرها ويمالج استنقاذا ، ويشغل بذلك عن جلسائه ، حتى إذا ظهر له بمصها تحل بقول قيس بن الخطيم :

تمدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضئت حاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس . ويجب أن يكون تخيلا ذلك الذي يقول :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالتى منع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : « إني وجدت الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك ألف دينار ، فاعتمدت أن يكون عندي مثلها ؛ فأنا أجدر في ذلك حتى يقول الناس : إن أبا الطيب قد ملك ألف دينار » اه . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبي الطيب

عقر في حرمه على المال وفي سنة أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون ، فليس هو هذا العقر الذي نسبوه إليه ؛ وإنما عذره أن المجد الذي كانت نفسه تحذنه به في حاجة الى المال ؛ وهذه إشارة نجتري بها في هذا الموضوع .

فاما القدر فأكتبته أمك تراه كل يوم بين يدي ملك أو وزير ، وتراه كلما وقف بين يدي واحد منهم بمدحه بأنه أكرم الناس وأنجع الناس وخير الناس ، وقد يتجاوز ذلك الى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز التعريض والتلويح الى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله الى الهجاء ، اصنع اليه يقول سيف الدولة :

وحاشا لارتياحك أن يباري وللكرم الذي لك أن يساق
ولكننا نداعب منك فرما تراجت القـروم له حقا
فانه لم يكتف بأن جعل ارتياحه ليلذ لا يباريه ارتياح ، وكرمه لا يطاوله في البقاء كرم
حتى جعله سيد لولا وجعل الناس في موازنته حقا ، وما وفد على كافور كان في أول
قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السوايا
ثم يقول بعد ذلك في شأن سيف الدولة :
رأيتكم لا يصون المرض جاركم ولا يدر على سراكم الابن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل عيب منكم ضغن
وتفضبون على من نال رعدكم حتى يماقبه التنغيص والمق
فصادر الحجر ما بيني وبينكم بهما تكذب فيها العين والاذن
وكان كلما نازعته نفسه الى سيف الدولة واستشرشيت من الأسف على فراقه يملل نفسه
بأنه لقي أهلا بأهل ؛ فيقول :

وأحلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أنشأ تملى على فأكتب
إذا ترك الانسان أهلا وراءه وهم كانوا فما يتغرب
ولكنه ما علم أن اجتوى كافورا وبرم به ويثس بما كان أهله فيه ، فلما اعترم أن يتركه
أسف على غدره ونارعتة نفسه الى ممدوحه الأول فقال وهو يهجر كافورا :

ومارفت خير الناس قاصد شرم وأكرمهم طرا لا لا مهم طرا
فماقبتني الخصى بالقدح جازيا لأن رجلي كان عن حلب غدرا
وما كنت إلا قائل الرأي لم أعن بحزم ولا استمعبت في وجهي حجرا

ومع أنه يعترف بالتندر فقد حانت له فرصة أن يعود الى الوفاء فلم يهتبلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل اليه ابنه بهدية ، فأكتبى بأن يرسل اليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض فلنا حلب قصدا وأت السيل
فليك مرعى جبادنا ، والمطايا واليا وجفنا والدميل
والمسموث بالامير كثير والامير الذي بها المامول
الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداء مقابلي ما يزول
ومى أينما ملكت كأني كل وجه له يوجهي كفيل

وعبر بعد ذلك طمان وبضعة أشهر فيرسل اليه سيف الدولة كتابا بخطه يساله فيه للمسير اليه فيعذر له بقوله :

وما عاقني غير خوف الوشاة وأن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قسوم وتقليبهم وتقريهم بيننا والغيب
وقد ماوده طبعه الذي دلها عليه حين ورد على حشد الدولة ، فقد قال له في أول لقاء :
وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حماني أمن هذا يسار الى الطعان
أبركم آدم سن الماعى وعلمكم مفارقة الجان
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن المباد وذا المكان
فان الناس والدنيا طريق الى من ماله في الناس ثاب
لقد علمت قصي القول فرهم كنعليم الطراد بلا سنان

وانظر الى هذا البيت الأخير فانه يعتذر فيه عن كل مدائحهم التي قالها من قبل حشد الدولة ، بانه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها حتى إذا اعتادت لم يحسن منه القول إلا فيه .

« يتبع » محمد عبي الدين هبة الجيد
المدرس بكلية اللغة العربية

فريضة الحج

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »
صدق الله العظيم ، لقد مضى على نزول هذه الآية نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن
ولا تزال تتجاوب بإصدائها أقطار الأرض الى اليوم . وقد امتد مداها بتوالي الأحقاب
حتى اجتازت السهوب والاقيانوسات وأصبحت عالمية عامة ، ليس لها في العالم شبيه
كما نرى .

أثر واضح شديد الوقع في النفس لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ،

يَعِدُّ قِيَوْمَ الوجود الآخذين بهذا الدين بأن الناس سيرون آياته على نوالى الأيام
في آفاق العالم ، وفي أنفسهم حتى يتبينوا أنه الدين الحق . وهذا غير مكذوب ، ظهرت
تباشيره في كل مكان ، حتى اضطر مثل الكاتب الفيلسوف الأشهر برناردشو أن يقول :
إن المستقبل كله للإسلام ، وإن مصير العالم اليه على أكبر تقدير بعد قرنين .

لا تجيل بصرك في أى بقعة من بقاع الأرض حتى ترى الدعوة اليه تسود
كل دعوة ، وهن بعد أن يجهد هذا الدين من الفلاسفة ورجال العلم معضدا له شك في أنه
سيكون دين العالم كله بعد قرنين أو بعد عدة قرون ؟

دين يدعو الى الأخذ بكل حسن مما هو معروف وما سيعرف الى آخر الزمان ،
والى التمويل على ما عُرف أنه حق ، وما يثبت أنه كذلك في خلال العصور ، والى
الخضوع لسلطان العقل والميل معه حيث مال ، ولو بتأويل النصوص التى يوم ظاهرها
غير ما يقره هذا العقل للمستثير بالعلم والحكمة . دين كهذا لا يمتلأ أن يقف حيث هو
أو يضمحل ، ولا يتصور أن لا يكون دين العالم كله متى رالت الجمالة ، وأنحى أثر
التقليد ، وبطل سلطان الروايات .

ألا ترى أن جميع الأديان قد ترجعت إلى الوراثة إلا الإسلام؟ وهي لم تتراجع لأنها من توليدات الأوهام، ولكن لأنها قد أثقلت آصاراً من آراء قاداتها، ونحجرت حتى لم تعد سائلة في عقول الآخذين بها، وخلفها الإسلام، لا لأنه شيء جديد، ولكن لأنه هو هي خالصة لا تشوبها شائبة من هوى، كما نزل بها الروح الأمين، على قلوب الأنبياء والمرسلين: «أقم يذروا القول، أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين؟».

هذه كلمة نسوقها بين يدي ما سنذكره عن الحج، وقد رأينا أقواهم تستقل الفلك مبعدة البلاد المقدسة، ملبيين دأبى الله إلى بيته المحرم. مظهر يلفت النظر، ويستدعى التفكير، لا لأنه طريق، فالسفر إلى الحج مألوف في جميع بلاد المسلمين، ولكن لأن الجميع في هذه السنين الأخيرة، يكثر بينهم من كان لا يحظر لهم على بال من المترفين والسراة، وقد كان في الفترة التي تقدمت هذا العهد يكاد يكون مقصوراً على طبقة معينة من الأمة.

ظاهرة دينية تستدعي التأمل، ولقد تأملنا فيها فرأيناها ترجع إلى ثلاثة أسباب: أولها: الأمن على النفس، وثانيها: تحسن وسائل الاتقال، وثالثها: يقظة العاطفة الدينية في القلوب.

فأما الأمن على النفس فيرجع الفضل فيه للحكومة الحجازية، فإن جلالة الملك ابن السعود لم يأل جهداً في الأخذ على أبدى العابدين بحياة الجميع وأمواهم، حتى طهرت الطرق من مناسم، وخلت الصحارى من غوائلهم.

وأما تحسّن وسائل النقل، فهو من مآثر رجال بنك مصر وعلى رأسهم المالى العظيم محمد طلعت حرب باشا، فانه لا يفتأ يبذل في هذا السبيل جهداً محموداً، فن سفن مستكملة ووسائل الراحة، إلى أوتوموبيلات تنقل الناس لمكة وعرفة ومنى والمدينة، إلى دور ورياش يأوى إليها الحاج، يؤتون فيها بما تمودوه من مأكل ومشرب وأما كن للنوم. أما يقظة العاطفة الدينية فهي ذات التأثير الغالب في حمل عليه القوم ومتعلمهم على

أداء هذه الفريضة ، وهي تستمد عواملها من البحوث القيمة التي كتبت في التدليل على صحة الدين ، وعلى سلامة أصوله من الوهن ، وعلى تأديته لسعادتي الحياتين معا . ولا يحسن بنا في هذا الموطن أن نغمط حق العلم ، فانه بفضل المستكشفات التي هدى إليها العلماء في المادة ، حتى انتهى الأمر الى تحليلها الى قوة ، وفي النفس البشرية من الناحية التجريبية حتى ثبت علميا استقلال الروح عن الجسد وإمكان قيامها بدونه ، مما أقضى الى القول بخلودها في عالم روحاني ، وقد شوهدت آثار هذا العالم بما لا يمكن التشكك فيه ، بفضل هذه المستكشفات كلها قام الدليل العملي على صدق الأديان فيما أنت به من العقائد النبوية . كل هذا كان له تأثير عظيم في إيقاظ الماطفة الدينية ، وصرف الانسان عن التعاليم اللاحادية ، التي بذل أنصارها نحو ثلاثة قرون في شتات العقول ، وحملها على منازعة الأديان ، والتفصى من علاقتها .

وبما أن ما حصه العالم في هذا المجال يعتبر من العلوم اليقينية ، فينتظر أن تزداد أصول الدين قوة على قوتها ، وتجد من النفس ميلا الى تقوية الارتباط بها . فعلى هذا النحو زالت أكبر عقبة كانت قائمة باسم العلم أمام الأديان ، بل أمام الاسلام ، وأصبحت الطريق مفتوحة حياله ليصل بالناس الى السمو الروحاني والخلق الذي خلقهم الله ليصوبوا اليه ، واعتبر الحياة بدونه لهوا ولعبا ، ليست من شأن الانسانية في شيء .

يختلف الحج في الاسلام عن الحج في جميع الأديان ، فإن الحج فيها كان الفرض منه التبرك بقبور القديسين ، وما تركوه من الآثار واللباني ، وأفضله عندها ما حمل الانسان نفسه في سبيله اشواق والمهلك . وكان الكهنة والراهبة يفتنون لهم في تعيين ضروب للرهبات البدنية . فكان منهم من يتقل كاهله بالسلاسل والأغلال ، ومنهم يمشى على قدميه المسافات الشاسعة ، ومنهم من يمشى داخل كيس يعتبر فيه في كل خطوة ، ومنهم من كانوا يطوفون حول معابدهم زحفا على بطونهم . ولكن الاسلام كره كل ذلك

فحسب أن لا يحج إلا من كان قادراً على الحج، ونهى أن يحمل الإنسان نفسه ما يرهقها، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هرماً يعيش بين ولديه، فسأل عن شأنه فقيل له: إنه نذر أن يحج ماشياً، فكره ذلك، وقال: إن الله غنى عن تمذيب هذا نفسه. وأمر أن يحمل على بعير. وكان هذامته صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر».

ذلك لأن الإسلام قد رى في كل ما شرع إلى إبلاغ الإنسان كماله الذي خلق له، ومنح الفؤاد الادبية التي توصله إليه، وهذا الكمال كما فرد الإسلام لا يتأثر إلا بالعلم الصحيح، وتطهير العقل من الوسوس، والقلب من مله الصفات البهيمية. وهذا عينه ما تراء الفلسفة ويؤيد العلم الطبيعي. وقد جرى الإسلام في كل أواصره ونواحيه على هذه السنة قبل أن يكون للعالم في هذا الشأن علم قائم بنفسه.

نعم إن الفلاسفة القدماء من اليونانيين، قد كتبوا كتابات قيمة في هذا الشأن، ولكنهم لم يصلوا في كثير من مقومات العقل والقلب إلى المدى الذي وصل إليه الإسلام. ونحن نضرب لذلك أمثلة:

اعتبرت الفلسفة اليونانية الجنس الاغريق خيراً لا جناس البشرية، ولكن الإسلام لم يجعل الجنس مقياساً للتفاضل بين الناس، فقد ساوى بين جميع الأجناس، وجعل معيار التفاضل التقوى. وهذا أصل أقره العلم في القرون الأخيرة، ولا يزال يوجد في الفلسفات الحديثة ما لا يقره ذهاباً منها إلى أن الجنس الأبيض خير الأجناس كلها، وأقبل من سائرهما للكمال الأدبي، وهذا خطأ فاحش.

وحسبت الفلسفة اليونانية أن للأرقاء منزلة أمام المدالة أدنى من منزلة الأحرار، ولا يرى الإسلام ذلك، وبحسب جميع الناس سواء أمام الشريعة، أما الرق في نفسه فمعرض اقتضته شئون لا دخل لها في أصل المساواة العامة، التي هي نصيب الكافة على السواء.

وحدثت الفلسفة اليونانية المهن المختلفة سببا للتفاوت بين الناس في الحقوق الوطنية ، فسلبت المال كل هذه الحقوق ، وجعلتها وقفا على الأشراف وأهل اليسار ، والإسلام عد الناس كلهم سواء في التمتع بهذه الحقوق لا فرق بين عامل ماهن ، وسرى كبير ، ولا بين فقير مدقع ، وثرى خطير .

فهذا وأمثاله يعتبر تقصدا عظيما في الفلسفة الأدبية ، والأخذ بها لا يوصل الانسان الى سمو الخالص من الشوائب ، الجدير بالقلب الانساني الذي يكره صفاءه أن يكون فيه أثر من أمثال هذه الأخطاء الفاحشة في تقدير العدالة والمساواة والحقوق الطبيعية .

فلم يصل الناس الى نذوق الديمقراطية الصحيحة إلا في هذا العهد ، بعد أن رسم الاسلام دائرتها بنحو ألف ومائتي سنة .

فلا عجب بعد هذا أن يشرح الاسلام الحج للأخذين به ، وينص على أنه شُرح لمحض مصلحتهم يقومون به قادرين عليه ، أصحاب الجسوم والعقول ، بأكل الوسائل وأوفنها لراحتهم الجسدية والعقلية ، ولو استطاعوا أن يقطعوا المسافة الشاسعة بين بلادهم والأماكن المقدسة في ساعة من زمان ، فإذا توجم بعضهم أن يعدل من هذه الوسيلة المريحة الى ما هو أشق على نفسه منها ، فإن الاسلام يكره منه ذلك ولا يعتبره موصلا الى الكمال الذي ينشده ، وقد دله على أن ذلك الكمال لا يتأتى إلا من طريقه العلمي والتطبيقي ، لا من تمذيب النفس وإرهاقها بالمشاق وتعميرها للأمراض والقواطع ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم ، جريا على هذه القاعدة ، أمر من يؤم الناس أن يخفف في صلاته ، لأنه قد يكون فيمن يأثمون به الرريض وذو الحاجة .

فسبقا للرجال الذين يعملون على تسهيل الحج على المسلمين ، فانهم إنما يعملون خدمة الاسلام من أخص النواحي ، وأعودها بالخير على أهله ، محمد فريد وجدي

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

رسم المصحف الكريم

جاء ال لجنة الفتوى بالجامع الازهر اقتراح خاص بطبع المصحف الكريم على الكيفية الآتية :

(أولا) أن يكون بالرسم الكتابي الصلبي المنبع الآن بالأزهر الشريف وفروعه وجميع المعاهد العلمية بمصر والبلاد العربية إسلامية وغير إسلامية .

(ثانيا) أن يرعى وضع علامات الترفيم وسط الجمل لا فوقها كما هو مبع الآن .

(ثالثا) أن يوسع تفسير عصرى مختصر بهامش هذه الطبعة بمعرفة هيئة من كبار العلماء . وقد جاء في تقرير مرافق لهذا الاقتراح ما خلاسته : أن القرض هو تيسير تناول كتاب الله الكريم ، وسهولة تلاوته كما أزل مع فهم ما غمض من معانيه ، لأن كثيرا من المتحمسين في المدارس مع نبوغهم في اللغة العربية لا يستطيعون تلاوة القرآن في المصحف بطبعته الحالية ، لاختلاف مجامع من الهجاء الذي ألفوه ودرسوه في معاهدهم ، فحرصا على أن تكون تلاوة هؤلاء وأمثالهم من لا يمتثلون القرآن ولم يلقوه من القراء صحيحة ، يجب طبعا بهجاء العادي المعروف لهم ، وحرصا على فهم معاني القرآن لن يقرؤه في المصحف ، يجب وضع تفسير مختصر مفيد على هامش هذه الطبعة .

محمود عفيفي

الحامى بالواتريق

رأى اللجنة في هذا الاقتراح

توافق اللجنة على وضع تفسير مختصر مفيد على هامش المصحف ، وترجو ان يوفق الله جماعة من العلماء لوضع هذا التفسير ، حتى يتم الاتماع بالقرآن الكريم .

أما وضع علامات الترفيم وسط الجمل لا فوقها ، فاللجنة ترى أن المصحف الكريم قد وضعت فيه قديما وحديثا علامات على بعض الحروف ، وبعض الكلمات ، وفي وسط الجمل ، للدلالة على كفيات هذه الحروف ، كالاتقام والاختفاء ، والدلالة على معاني تتعلق بالتلاوة كحسن الوقف وزومه وامتناعه ، وغير ذلك ، وهذه العلامات لا ترى اللجنة حاجة لاحداث تعديل في وضعها ، لأنها وضعت في أماكنها للدلالة على أغراض خاصة ، وقد أدت بوضعها في أماكنها

هذه الاغراض بوصوح لا لبس فيه ، وبين كل ذلك في التعريف الشامل بالمصحف الذي وضع في ذيل الطبعة التي أمر بها حضرة صاحب الجلالة المقفولة الملك فؤاد الاول سنة ١٣٤٧ هجرية .
 واما إقضاء علامات ترفيع أخرى للدلالة على ان الجملة استفهامية مثلاً ، أو مقولة لقول سابق أو محذوف ، فلا ترى اللعنة مانعاً منه بشرط أن توضع بشكل لا يوجد لبساً على القارئ ،
 فقد كان المصحف الكريم مجرداً عن « التشهير » و « الإعجاب » و « النقط » و « رموز الوقف » ثم أحدث كل ذلك ، واستحسنه كثير من العلماء ، حفظاً للآتي ، وصحفاً للأغراب ، خصوصاً للأعاجم وغيرهم ممن لا يحسنون العربية . قال الربيعي من علماء الجمعية : « هو وإن كان محدثاً فستحسن ، وكل من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان » اهـ
 وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن ، فاللعنة ترى لزوم الوقوف عند الماثور من كتابة المصحف وهجائه ، وذلك لان القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكسنة ، لم يحدث فيها تغيير ولا تعديل ، وقد كتبت به مصاحف عثمان ، ووزعت على الأمصار لتكون إماماً للمسلمين ، وأقر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والائمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به . ولا الى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف والتدوين في البصرة والكوفة ، بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه ، بعيداً عن التأثير بتلك القواعد .

ولاريد أنه وجد في تلك العصور المختلفة أناس يقرأون القرآن ولا يحفظونه ، وم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده في عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعماله بين الناس في كتابة غير القرآن ، ولم يكن وجود هؤلاء مما يبيح الائمة على تغيير رسم المصحف بما تقضي به تلك القواعد .

قال العلامة نظام الدين اليسابوري في كتابه « غرائب القرآن ووعائب القرآن » ما نصه :
 « وقال جماعة من الائمة إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف ، فانه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب وحيه » هـ

وبله في الاثنان للامام السيوطي ما نصه :

« وقال أشهب : مثل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال لا إلا على الكسنة الاولى ، رواه الداني في المقنع ، ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر: مثل مالك من الحروف في القرآن، مثل الواو والالف: أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا، قال أبو عمرو: يسي الواو والالف المزيدين في الرسم، المعدومتين في اللفظ، نحو (أولوا)»

وقال الإمام أحمد: «يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو الف أو غير ذلك» وقال البيهقي في شعب الإيمان: «من يكتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فانهم كانوا أكثر علما، وأصدق فلما ولدنا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا ستدراكا عليهم» اهـ

وقد جاء في فقه الحنابلة ما يؤيد نقل السيوطي في الاقتان عن الإمام أحمد بن حنبل: وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية: أن كلمة «الراء» تكتب بالواو والالف، كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الالف، لأن رسمه سنة متبعة.

وجاء في المحيط الرهاني في فقه الحنفية: أنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني على أن قواعد الاملاء التي حدثت في عهد التأليف والتدوين لم يتفق عليها واضعوها، بل اختلفوا في رسم كثير من الكلمات كما هو مدون في مواضعه، وهي بعد ذلك عرضة للتغيير والتبديل، وقد سارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة أحرف لا وجود لها في النطق، وترك أحرف منطوق بها، فلا ينبغي والحالة هذه أن يخضع القرآن في رسمه هذه القواعد المختلف فيها، والتي هي عرضة للتغيير والتبديل.

وأما ما يراه أبو بكر الباقلافي من أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف، فهو رأي ضعيف، لأن الافة في جميع لعصور المختلفة درجوا على الترامه في كتابة المصاحف، ولأن سد ذرائع الفساد مهمات بعيدة، أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تنبى الاحكام عليها، وما كان موقف الائمة من الرسم العثماني لإبدانهم هذا الأصل العظيم، مخالفة في حفظ القرآن وصونه

وأما ما ذكره صاحب الاقتراح من أن كثيرا من المتعلمين لا يحفظون القرآن، ولا يحسنون قراءته في المصحف، لعدم معرفتهم الرسم العثماني، فاللجنة ترى تسهيلات للقراءة على هؤلاء أن ينه في ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف

على أن الأمر أهون مما يتصوره المقترحون للتغيير، لأن رسم المصحف العثماني لا يخالف قواعد الاملاء المعروفة إلا في كلمات قليلة معدودة. ومع ذلك، فليست هذه المخالفة مما تحدث شيئا من المناس على القارئ المتأمل، لأنها إما بحذف حرف، كحذف الالف

في «سم الله الرحمن الرحيم» أو زيادة حرف ، كزيادة الواو والالف في «أولوا» أو إبدال حرف من حرف ، كرم «الصلة» بأواو بدلا من الالف ، أو وصل ما حقه الفصل ، مثل وصل «إن» بما الموصولة ، كما في قوله تعالى . «إنما توعدون لآت» أو فصل ما حقه الوصل ، كفصل «في» الجارة من «ما» الموصولة ، مثل «في ما فعل في أنفسهن» وواضح أن مثل هذا لا يشتبه على أحد أن ينطق به صحيحا .

وإن من يطلع على التعريف بالمصحف الذي أثير اليه فيما سبق ، يستطيع أن يتعرف تلك الكلمات بسهولة ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

لحضرات المشتركين

رغبة منا في تنظيم علاقات وكلاء مجلة الأزهر بقلم حساباتها ، وأيضاً أن نجعل بين الإيصالات المؤقتة التي يملعونها المشتركين إيصالات نهائية مذيبة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التي يرونها في نهاية هذا الاعلان . وكل إيصال ليس عليه هذا الخاتم لا تعتمد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فنرجو حضرات المشتركين ملاحظة ذلك بكل دقة ، ولهم منا الفكر الجزيل ؟

مدير مجلة الأزهر

محمد عبد الله

ترجمة صحيح البخاري :

تأخرت تجربة ملزمة الترجمة لدى الاستاذ الموجي بلندن فلم تلحق هذا العدد .

الفهرس العام

للنسخة السابعة (١٣٥٥ هـ) من مجلد الزهر

المقالات

الرقم	المؤلف	الموضوع
		(١)
٧٩٣	فضيلة الأستاذ محمد محي الدين عبد الحيد	أبو الطيب المنبى - حياته
٢٠٥	حصرة الأستاذ مدير المجلة	إثبات وجود الروح بالادلة العلمية ...
٣٩١	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	أثر البيئة فى أسلوب الادب
٤٩٦	» » » »	أثر النظام الاجتماعى فى الادب
٢٩٦	فلم الترجمة	الاثرة والايثار
٦٨٣	الدكتور محمد غلاب	الاحلاق النظرية ...
٢٥٤	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	الادب بين الحضارة والبداءة
٦٨٧	» » » »	الادب بين الفن والفضيلة
٤٧٢	محمد شلنوت	الاسراء
١٤٦٤٧٩		
٢٩٣٤٧٩		
٤٤٩٤٣٧٠	عباس طه	أسرار التشريع الاسلامى ...
٦٥٣٤٥٧٧		
٣٨٨	فلم الترجمة	الاسطورة الماوروتية
١٥١٤٤٧		
٢٧٩٤٢٠٠		
٤٨٩٤٣٨٤	الدكتور عبد العزيز السماهيل بك	الاسلام والطب الحديث ...
٦٣٠٤٥٦٩		
٦٩١		

الموضوع	بشم	صفحة
الاسلام والفلسفة. ...	الدكتور محمد غلاب	٤٧٦، ٥٩ ٦٣٣، ٥٥٢ ٧٠١
الاسلام وابباحث النعمية	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٥٨
الاسلام في بولونيا — تاريخه	الاستاذين علي اسماعيل فورو نو فوش ومحمد سيد الحموي	٢٤٠، ٢١٩ ٣٨٨، ٣٣٢
أصول الاسلام المقررة بين الامم	حصرة الاستاذ مدير المحلة	٤٤٥
(ب)		
مئة فؤاد الاول — كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر	...	١٨٨
(ت)		
ترجمه القرآن الكريم وأحكامها — بحث	مصلحة الاسناد الاكبر	٧٧
ترجمة القرآن الكريم ونصوص العلماء فيها	فضيلة الامتاذ الشيخ محمود شلتوت	١٢٣
ترجمة القرآن الكريم	السيد محمد بن الحسن الحجوي	١٩٠
تصحيح خطأ تاريخي	الشيخ محمد علي القاضي الطهراوي	٧٤
تفسير سورة الزعد	الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	١١٦، ٢٠ ٢٤٨، ١٧٢ ٤٠٥، ٣١٨ ٤٥١
تفسير سورة لقمان	» » » »	٦٠٣، ٥٢٣ ٦٦٦
تفسير القرآن الكريم — القواعد العامة	...	٦٤٨
التيسير ووح الاسلام	فضيلة الاستاذ سيد احمد متولي الشيخ	٥٦٨
(ج)		
جهر بن أبي طالب	فضيلة الامتاذ سيد احمد متولي الشيخ	٢٧٤

صفحة	بسم	الموضوع
		(ح)
٧٢٤	حضرة الاستاذ مدير المجلة	الحج - فريضته . . .
٥٧٢	قلم الترجمة	الحكمة في خلق الحشرات
١٤١	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عروون	الحياة الأدبية عند العرب . .
		(خ)
٦١٠	فضيلة الأستاذ الاكبر	حبة الجمعة في الاسلام
		(د)
٢٦٧٠٦٦ ٦٩٧	حضرة الأستاذ مدير المجلة	دحض شبهات عن الاسلام . . .
٤٦٠	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	الدين أهدى لل عمران من كل القوايد . . .
		(ر)
١١٣٠١٤ ٢٢٩٠١٦٥ ٥١٧٠٣٧٣ ٦٦٦٠٥٩٧	حضرة الاستاذ مدير المجلة	الروح الاسلامية ومدى تأثيرها في النفس البشرية
		(س)
١٧٧	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	سوانح ونصائح .
٣٧٩	س	سوانح ومقتبسات . . .
		(ش)
٥٨١	فضيلة الاستاذ الاكبر	الشنون الاجتماعية والمذاهب الفقهية .
٤٨٣	حضرة الاستاذ مدير المجلة	شهر الصيام . . .
		(ع)
٦	حضرة الاستاذ مدير المجلة	المام المجري الجديد

الترقيم	الموضوع	الترقيم	
٣٩٩	العلاقة بين المادة المخية والعقل ...	فلم الترجمة	
٢٨١٤٢١٠	العلوم الاخوية - تاريخها في الأدب العربي	» »	
٤٣٣	العلوم الدينية - تاريخها في الادب العربي	» »	
٥٨١٤٥٠٦	العلوم الدينية والتشريعية - تاريخها ...	» »	
٥٥٧	علم الطبيعة	حضرة الاستاذ مدير المجلة	
٦٣٧٤٥٤٨	عوامل فقدان أدب الحضارة العرة	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	
(ف)			
٣	فاتحة السنة السابعة	حضرة الاستاذ مدير المجلة	
٥٠١	فتنة العلم الطبيعي	» » »	
٤١٧	الفكرة والاسلوب في أدب البدوة	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	
١٤٩٤٦٣	فلسفة الاخلاق	عباس مله	
٢٨٦٤٢٢٤			
٤٢٩١٣٦٧			
٥١٤			
(ك)			
١٣٨	كلية مع مقدس التواميس الطبيعية ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	
٥١١	كلية أصول الدين - افتتاح المراجعة	
(ل)			
٧٣	لجنة الفتوى ...	لجنة الفتوى	
١٨٣	اللغة الادبية واختلاف اللهجات العربية	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	
٣١٢	لماذا يصادف أكثر الفاكين في المتعلمين ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	
٦٥٧	لماذا اعتنقت الاسلام	الدكتور احمد نعيم سوسة	

الوضوع	بسم	صفحة
(م)		
للقمر العالي للدين — رسالة فضيلة الاستاذ الاكبر	٣٠٩
محمد صلى الله عليه وسلم — تاريخ حياته ...	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٣٩٧٣٥٩ ٥٣٢
محمد صلى الله عليه وسلم	» » »	٦٤٤٥٥٤٣ ٦٧٤
معنى الحياة وقيمتها	» » »	٥٦٤٥٤٩٤ ٦٢٣
الملك الراحل — نبي جلالة	رياسة التحرير	١
الملك فاروق — جلالة يكرم العلم	» »	٦٢٦
— « المنبوذون » :		
— المنبوذون في الهند	السيد عبد إقبال	٣٣٧
— المنبوذون في الهند	السيد عبد العزيز النعالي	٤٢٢
— المنبوذون والدين الاسلامي	الاستاذ خالد لطيف جابا	٣٤٠
— ثلاثة زعماء هندوكيون يعلنون إسلامهم	٤٠٣
الحجاب والختان في الاسلام	مشيخة الازهر	٣٤٧
زعيم المنبوذين والاسلام	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٦٨
المولد النبوي — احتفال مشيخة الازهر	١٥٧
ن		
التصراعية والاسلام	٦٥٠
النفس الناطقة — فيوضاتها	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	٧٠٦

الفتاوى

صفحة	يقلم	للموضوع
		(ا)
٢٦٠	لجنة الفتوى	إسفاف المريض بالخمر
		(ت)
٣١	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف النجوى	تشریح الميت
٢٦٥	لجنة الفتوى	تصرف الابن
١٨٠	» »	التيمم
		(ح)
٢٣٦	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف النجوى	حریم الدار والبقر والشجرة
٤٣	لجنة الفتوى	الحلف بالمصحف
٣٢٨	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف النجوى	خلق اللحية
		(د)
٦١٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف النجوى	الدماء على المسلم بالكفر هل — يجوز
١٣٧	لجنة الفتوى	الدية
		(ذ)
٢٦٣	لجنة الفتوى	ذكاة العبيد
		(ر)
٢٢٩	لجنة الفتوى	رسم المصحف
١٨٠	» »	الرشق — حده
١٨١٥٤٤	» »	الرشاق
٤٨٧٢٦٣		

الصفحة	بسم	الموضوع
١٩٩	فضيلة الاستاذ محمد عبد السلام القباني	الزناح — الجواب الجامع
٢٦٥	لجنة الفتوى	الزهن
٣٢٨	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	رمضان — ثبوته بالرأى
		(ز)
١٣٩	لجنة الفتوى	الزكاة والخراج
		(ص)
٢٦٢	لجنة الفتوى	صلاة الجمعة
٢٣٧	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	صلاة الوتر جماعة عقب التراويح
٣٢٧	» » » »	الصلاة خلف مرتكب الكبيرة
٢٣٨	» » » »	الصلاة — ارتفاع الامام على المأمومين والمكس
٣٢٧	» » » »	الصور الفوتوغرافية — حكمها
		(ط)
١٨١٤٤	لجنة الفتوى	الطلاق
٣٥٨		
٥٤١	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الطلاق — مسألة
٦٧٨	» » » »	الطلاق في الحيض — هل يقع
		(ق)
٤٥	لجنة الفتوى	القرآن — كتابته بالحروف اللاتينية
٤٥	» »	القنوت بعد الركوع
		(م)
٦٢٠	لجنة الفتوى	متافع المسجد

الوضوح	قلم	صفحة
الميراث	لجنة الفتوى	١٣٥٠٤٢ ٢٦٠٤١٨٢ ٤٨٢٣٣٦٠ ٦١٩
هبة الثواب والائابة عليها	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٣٦
الوصية	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٣٨